



# لجائف الإشارات

تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم

للإمام القشيري



المجلد الأول/ الطبعة الثالثة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

قدّم له وحققه وعلق عليه

د/ إبراهيم بسيوني



# لطائف الإشارات

تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم

للإمام القشيري

المجلد الأول

الطبعة الثالثة

قدم له وحققه وعلق عليه

الدكتور/ إبراهيم بسيوني

الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٠

الهيئة المصرية العامة للكتاب

## إدارة التراث

رئيس مجلس الإدارة

د . سمير سرحان

المشرف على إدارة التراث ورئيس التحرير

سعيد عبد الفتاح

سكرتير التحرير:

أميمة على أحمد

الغلاف

جمال قطب



## مدخل

ترجع أهمية نشر هذا الكتاب إلى ثلاثة عوامل رئيسية :

أولاً : أنه من الناحية الموضوعية يعالج قضية هامة وهي تفسير القرآن الكريم على طريقة أرباب المجاهدات والأحوال ، وهذا منهج في التفسير نادر في المكتبة العربية ، فانت تستطيع أن تجد عدداً غير قليل من التفسير التي تتناول النص القرآني في ضوء اللغة العربية أو الإعراب أو البلاغة أو الفقه أو أسباب النزول أو التشريع أو القصص والأخبار أو نحو ذلك مما هو مأثور ومبروف منذ نزل القرآن ومنذ ظهرت الاتجاهات المختلفة في دراسته ، ويمكن أن تجد عدة مصنفات لعدة شخصيات في كل لون من هذه الألوان بحيث يغنيك واحد أو اثنان منها عما سواهما .

فإذا بحثت عن التفسير الصوفي ألفيته — على العكس من ذلك — نادراً ، وألفت الإنتاج فيه غير شافٍ ، فإما أن يكون مقتضباً « كتفسير القرآن العظيم » لسبل بن عبد الله التستري ( المتوفى سنة ٢٨٣هـ ) وقد طبعته السعادة في عام ١٩٠٨ م فيما لا يزيد على مائتي صفحة ، ويستطيع القارئ أن يتصور كيف يمكن لمائتي صفحة أن تعني بدراسة القرآن على نحو مرضٍ .

وإما أن يكون مطموئناً فيه كما هو الشأن في « حقائق التفسير » لأبي عبد الرحمن السلمي ( المتوفى سنة ٤١٢هـ ) الذي يقول في وصفه — ونحن نتطلف منه هذه الفقرة لنوضح ما قلناه آنفاً عن ندرة التفسير الصوفي : « لما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن من قراءات وتفسير ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجل ومفضل ، وناسخ ، ومنسوخ ، ولم يشغل أحد منهم بفهم الخطأ على لسان الحقيقة إلا آيات متفرقة أحببت أن أجمع حروفاً أستحسنها من ذلك وأضمت أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه على السور حسب وصفي وطاقتي » [ حقائق التفسير للسلي مخطوطة ١٥٠ تفسير دار الكتب ص ٢٢١ ] .

وعندما ظهر حقائق التفسير ، أحدث ضجة كبرى ، فقد لقي معارضا شديدة من معاصريه  
ومن أتوا بعده ، فاتهم بالابتداع والتحريف والقرمطة والتشيع ووضع الأحاديث على الصوفية  
يقول ابن الصلاح : ( وجدت عن الإمام الواحدي أنه قد صنّف أبو عبد الرحمن السلمي  
حقائق التفسير ، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر )

وقال الذهبي في « تذكّره » : أتى السلمي في « حقائقه » بمصائب وتأويلات للباطنية  
لسأل الله العافية تذكّره الحفاظ ج ٣ ص ٢٤٩ .

ووصفه ابن تيمية بالكذب : ( منهاج السنة ج ٤ ص ١٥٥ ) .

وعد السيوطي تفسيره ضمن التفاسير المبتدعة معللا لذلك بقوله : « . . . . وإنما أوردته  
في هذا القسم لأنه غير محمود ( طبقات المفسرين للسيوطي ط لندن سنة ١٨٣٩ ص ٣١ ) .

أما إخوان الصفا الذين يحرم جولد تسير ضمن مفسري الصوفية في كتابه ( مذاهب  
التفسير الإسلامي ) ، فهم أولاً غير صوفية وإنما هم جماعة من المشتغلين بالفلسفة ذوى أغراض  
بسيطة خبيثة ، ضمت صوفهم لغيرهم لغيراً من الناس مختلفي النزعات والثقافات حتى كان من بينهم  
ملاحدة ، فإحاطتهم على الصوفية تبين على الحقيقة وعلى التاريخ وعلى التصوف ، ولنا نبريه  
جولد تسير من ذلك — مع تقديرنا لكتابته القيم .

وحتى القرن الخامس الهجرى لا نجد كما يقول صاحب ( تاريخ أدبيات إيران ) : « أم  
من حقائق السلمي ولطائف الإشارات للتشيع وتفسير سورة الإخلاص للقرالى » [ تاريخ  
أدبيات در ايران لـدكتور ذبيح الله صفا ( مکتوب بالفارسية ) فصل التفسير  
صفحة ٢٥٦ ، ٢٥٧ ] .

وبعد ذلك بنحو قرن تلتقى بتفسير ابن عربى الذى هو قبل كل شىء مطعون فى لسانه  
إليه ، وفى ذلك يقول الشيخ محمد عبده ( اشتبه على الناس فيه كلام الباطنية بكلام الصوفية ،  
ويسبونه للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ، وإنما هو نقاشاتى الباطنى الشهير ) ويضيف  
الأستاذ الإمام ( وفيه من النزعات ما يثيرأ منه دين الله وكتابه العزيز ) تفسير المنار  
ج ١ ص ١٨ ) .

نعم صدق الأستاذ الإمام ، فالكتاب ملوئ بدعوى وحدة الوجود ، وما جرّه هذا المنعبد من ويلات ، ولسنا هنا بصدد دراسة تفصيلية له ، ولكننا نشير بالحاجة إلى أن نسوق شواهد قليلة تثبت عجاجة هذا التفسير للحق ، وكيف أنه لا يصح أن يكون نموذجاً للاتجاه الصوفي السديد — كما حلا لجواد كسير أن يظهره ويتحمس له ، ليخرج من ذلك بأحكام عامة يصدرها عن التصوف الإسلامي — كما نأى يروى غليله .

ففي سورة الزمزل عند قوله تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ، يقول : (واذكر اسم ربك الذي هو أنت . ١١ = ٢ ص ٣٥٢ .

وفي سورة الواقعة عند قوله تعالى (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) ، يقول : نحن خلقناكم بإظهاركم بوجودنا ، وظهورنا في صوركم) ج ٢ ص ٢٩١ وليس هذا التصور بمستغرب على من يقول إن عجل بن إسرائيل أحد المظاهر التي اتخذها الله وحلاً فيها ١١

وليس من الإنصاف أن يقال للناس هذا هو رأى الصوفية المسلمين ولا رأى بعده ، بل يجب أن نضع في اعتبارنا أن مذهب وحدة الوجود مذهب فلسفي يستمد عن المنهج القلبي العرفاني الذي اختطه أرباب المجاهدات والأحوال للوصول إلى وحدة الشهود ، وفي وحدة الشهود — ومهما قيل عنها من كلام ظاهره مستشنع وباطنه سليم على حد تعريف أبي نصر السراج الطوسي للشطط — يبقى دائماً شيء هام قوى ناصع أن العبد عبد والرب رب ولا تداخل ولا امتزاج ولا حلول ولا اتحاد ، بل بمقدار ما يصل العبد إلى تحقيق عبوديته يصل إلى التحقق من ربوبيته الرب وتذنيه عن كل إلفك وباطل . . . تعالى الله علواً كبيراً .

ولا ينبغي لنا أن نفرض الطرف عن قيمة التفسير المبصرة في الراجع الصوفية الكبرى لأيات بينها من القرآن الكريم ، فإن تبشر هذه التفسير لا يحول دون تقديرها حق قدرها ، ذلك لأنها غالباً ما سبقت لتدعيم موقف أو لتشهد على استمداد فكرة أو لفظة ، فهي من هذه الناحية لا تخرج عن كونها تفسيراً صوفياً غير مجموع .

وفيأبعد ذلك يمكن القول إن أبرز التفسيرات الصوفية التي نعرفها كتابان أولهما «عرائس البيان في حقائق القرآن» لأبي محمد روزبهان بن أبي النصر البقل الشيرازي المتوفى سنة ٨٩٠ هـ [كشف الظنون ج ٢ ص ٢١]

وثانيهما التأويلات النجسية ، لنجم الدين داية المتوفى سنة ٦٥٤ هـ وقد مات قبل أن يكمله فأكله علاء الدولة السمناني المتوفى ٧٣٦ هـ ( كشف الظنون ج ١ ص ٢٣٨ ) .

\* \* \*

لأجل هذا كله نحتفل « بلطائف الإشارات » فأغلب ما سقناه من تفاسير صوفية لا يسلم من النقد ، ولا يصح أن يكون نموذجاً صالحاً لتمثيل الصوفية والتصوف بأمانة وصدق . « لطائف الإشارات » سفر نفيس كتبه صاحبه محاولاً أن يوفق بين علوم الحقيقة وعلوم الشريعة ، وقاصداً إلى هدف بعيد أنه لا تعارض بين هذه وتلك ، وأن أى كلام يناقض ذلك خروج على أى منها وعلى كليهما ( فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصل ، الشريعة أن تعبد والحقيقة أن تشهد ) الرسالة القشيرية ص ٤٦ .

وهذا ما حدث فعلاً .. فانت خلال قراءة « اللطائف » تشعر أن كل صغيرة وكبيرة في علوم الصوفية لها أصل من القرآن ، ويتجلى ذلك بصفة خاصة حيناً ورد المصطلح الصوفي صريحاً في النص القرآني كالكثرة والتوكل والرضا ، والولى والولاية والحق والظاهر والباطن ، والقبض والبسط . . الخ فلا تلك إلا أن تحكم أن الصوفية قد استمدوا أصولهم وفروعهم من كتاب الله الكريم ، وأن علومهم ليست غريبة ولا مسنودة كما يحلو لبعض الباحثين حين يهتمون التصوف الإسلامى بالتأثر بالتيارات الأجنبية : اليونانية والفارسية والهندية والمسيحية ونحوها .

كذلك تلحظ عبقرية القشيري إزاء اللفظة أو الآية حيناً لا يكون فيها اصطلاح صوفى ، فإنه يستخرج لك من آيات الطلاق إشارات في الصلابة والصاحب ، ومن علاقة النبي بأصحابه إشارات عن الشيخ ومريديه ، ومن مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والطر والجبال إشارات رائعة تتصل اتصالاً وثيقاً بالرياضيات والمجاهدات أو بالمواصلات والكشوفات .

وربما قيل إن صنيع القشيري مسبق وملحق ، ولكن هانئ منذ قليل أوضحنا مقدار ما أصاب التفاسير الصوفية من سهام النقد ، وبقي أن نتعرف الأسباب التي جعلتنا نحكم بأن لطائف الإشارات ، خير مناضل عن التفسير الصوفى بعامه ، بل بأنه من أفضل الأعمال

التي أنتجتها قرائح الصوفية في شتى العصور ، وربما يبدو في ذلك بعض التعميم مع أن الأحكام العلمية ينبغي ألا تخضع للتعميم لأننا لا نستطيع أن ندعى المعرفة الشاملة بكل التراث الصوفي ، ونعترف أن عشرتنا مع الكتاب وصاحبه عشر سنوات كاملة أثناء إعداد بحثي المجلستير والدكتوراه في الموضوعات الصوفية ، ونعترف أن حملنا لما نلاحظه من الاعتدال عند القشيري دون سائر الباحثين ، ونعترف أن ما كنا نشعر به من وجوه النقص في سائر المصنفات التي نهض بها غيره في هذا الخصوص — كل ذلك ربما كان الدافع إلى جلوسنا إلى هذا الحكم الذي سقناه .

ومن أعجب الأمور أن القشيري يشتهر « بالرسالة » التي لا تخرج عن كونها مجموعة من الأسانيد المنسوبة إلى الشيوخ في موضوعات بعينها ، ومجموعة من التراجم لأبرز الشيوخ الذين ظهروا منذ نهاية القرن الثاني الهجري حتى بداية القرن الخامس في صفحات قليلة ربما أغنت عنها الكتب المطولة التي وضعت خصيصاً لهذا الغرض مثل تذكرة العطار أو طبقات السلي أو طبقات الشعرائي ونحوها . ومع تقديرنا « للرسالة » إلا أننا لا نعتبرها بحال من الأحوال أفضل أعمال القشيري ، وأنها ظلت حين شهرته ، وحين أوقت اسمه عليها ، وأصبح حتماً منذ الآن أن يقول الناس « القشيري صاحب الطوائف » لا صاحب « الرسالة » . فالطائف هي أبلغ أعماله التي تزيد على العشرين — في قل صورة واضحة لشخصيته ، ولست أدري لماذا لم يجد هذا الكتاب ما هو جدير به من الاهتمام في العصور الماضية ؟ لماذا حكم عليه دائماً أن يبقى في منطقة الظل ؟ حتى صار ما نعرفه عن نسخته كما نفهم من « تذكرة النوادر » وكما يقول بروكلمان — محدوداً ومبعثراً بين روما وبرلين واسطنبول وتونس والهند والقاهرة ، ومعظمها كما سنذكر بعد قليل غير كامل .

ولكن ندرك أهمية هذا الكتاب في تصحيح كثير من المفاهيم العلمية عن التصوف والتفسير الصوفي لا بد لنا أن نلم بشيء من سيرة صاحبه ، ونكتفي من معالم هذه السيرة بما يمكن أن يتبرر به وصول هذا العمل الجليل بتلك الأوصاف وإلى تلك النتائج . وذلك هو العامل الثاني لأهمية نشر هذا الكتاب :

ثانياً : صاحب هذا الكتاب هو عبد الكريم بن هوازئ بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري ، ولقبه زين الإسلام ، وشهرته القشيري .

ولد في ربيع الأول عام ٣٧٦ هـ الموافق يوليو ٩٨٦ م .

وتوفي في يوم الأحد السادس عشر من ربيع الآخر عام ٤٦٥ هـ وهو عربي النسب من جهة أبيه فهو من قبيلة قشير العدنانية المتصلة بهوازن ، ويذكر ابن حزم أن سلالات من قشير اتجهت إلى المغرب نحو الأندلس إبان الفتح الإسلامي زمن الأمويين ، واتجه بعضها إلى المشرق وكان منها ولاية وقواد على خراسان ونيسابور . ( جهرة الأنساب ٢٧٣ و ٤٥٩ ) كذلك فإن القشيري عربي النسب من جهة أمه فهي سلمية وأخوها أبو عقيل السلمي من وجوه دهاقين أستولوا ، واستوا هي الناحية التي ولد فيها القشيري وتلقى بها تعليمه الأولي .

وحديث أن اجتاحات المنطقة ضائعة اقتصادية ، ففكر الأهالي في إرسال ليفي من أبنائهم إلى نيسابور لكي يتلقوا من دروس الحساب ما يمكنهم — بعد عودتهم — من المشاركة في تنظيم الأمور الاقتصادية ، وكان القشيري أحد هؤلاء الأبناء .

وبدأ القشيري في نيسابور نهياً لهذا اللون من الدراسة ، ولكنه ما لبث أن انصرف عنها عندما اجتذبه مجالس الفقه والكلام والحديث والتفسير والأدب ، ولم تبخل نيسابور عليه بزيادة ، فلقد كانت في ذلك الوقت تمتع بالنشاط الفكري ، وتحفل بكبار الشيوخ أمثال ابن فورك ، ومحمد بن أبي بكر الطوسي ، وأبي إسحق الاسفراييني ، وقد ظفر القشيري في كنف هؤلاء الأئمة برعاية خاصة حيناً أتيج له الاتصال بهم ، وأتيج لهم معرفته عن قرب ، ووضح لهم فيه حسن الاستعداد ، والدأب ، واستقامة الخلق .

ولم يكن القشيري يضع فترة ما بعد الدرس هباء ، بل كان ينكب على القراءة والاستذكار وكان شديد الرّكع بالعلوم العقلية ، وبخاصة تلك التي تتناول المسائل التي طالما اشتجر اختلاف حولها بين الأشاعرة وأهل الاعتزال ، واستوعب في هذه الفترة معظم ما صنفه الباقلاني .

وجاء يوم سأل فيه الإمام الاسفراييني تلميذه القشيري — حين وجهه لا يكتب كما يكتب سائر الطلاب : أَمَا عِلِّتْ يَا بَنِي أَنْ هَذَا الْعِلْمَ لَا يَحْصُلُ بِالسَّمْعِ ؟

( ولكن القشيري أعاد عليه كل ما سمعه ، وقرره أحسن تقرير ، من غير إخلال بشيء فتمعّب منه وأكرمه ، وقال له ما كنت أدرى يا بَنِي أَنْكَ بِلَفْتِ هَذَا الْحُلِّ ، فلست تحتاج إلى درس يكفيك أن تتطالع مصنفاتي ، وتنظر في طريقي ، وإن أشكل عليك شيء طالعني به .

فصل ذلك ، وجمع بين طريقة الاسفرايينى وطريقة ابن فورك ( طبقات الشامية للسبكى ج ٣ ص ٢٤٣ وما بعدها .

وبينا كان القشبرى منصرفاً بكل همه إلى هذا اللون من الدراسة ، دائب الاتصال بهذا الطراز من الشيوخ ساقه القدر ذات يوم إلى مجلس من لون آخر يتصدره شيخ من طراز آخر . استمع القشبرى إلى أبى على الدقاق وهو يسط على طريقة الصوفية ؛ ويتحدث فى الرياضات والمجاهدات ، والأحوال والكشوفات ، والأذواق والمواجيد ، والمعارف العليا التى تتشال من الحق على عباده الذين اصطفاهم ، وإذا بالرجل والحديث يستوليان عليه ، ويمكنان فيه كل ذرة ، وإذا القشبرى يحدث نفسه صامتاً : إنى لهذا خلقت !

وعندما كان ينهياً لينفى ما اعتاد من مجالس كانت أقدامه تنوته نحو الدقاق ويجلسه ، فكان أول من يجلس وآخر من ينهض .

ولمعه الشيخ ، ورأى فيه إصغاء ملفتا للنظر ، فقربه منه ، وحياه بمطعمه .

وذات يوم قدم الطالب — فى استحياء — من شيخه ، فشكا إليه أمراً حزبه ؛ إنه لا يستطيع أن يجمع بين المواظبة على ما اعتاد من مجالس وبين مجلس الدقاق ، وهو يؤثر أن ينصرف بكل همه وعزيمته إلى علم القلوب ، وابنم الشيخ للشلب ، وتطلع إلى وجهه ، ووربت على كفه قائلاً :

— إنما ينبغي لك أولاً أن تتقن دراستك بقدر طاقتك !

ومعنى الشاب الطموح يجمع بين الدراستين ، وساعده ذلك على أن يكون تكويناً عقلياً ووجدانياً فى مرحلة من أدق مراحل العمر ، كما ساعده على أن يتجنب كثيراً من المشاكل النفسية التى تلم بأمثاله نتيجة الاغتراب عن بلده ، ونتيجة للذل .

وأعجب الدقاق بمنابرته وطموحه واستقامته وتواضعه ( فاختاره لسكريمته فاطمة مؤثراً إياه على سائر أقربائها الذين تقدموا لطلبتها ) ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧٥ .

وهكذا توهمت الصلة بين الشيخ والشاب ، وصار الدقاق رائده وملبه الذى أمانه على مواجهة مشكلات الحياة ، وبصره بأفات النفس وأدوائها ، وكشف له عن الكثير من الخفايا والحقائق .

فكان هذا الاتصال عاملاً جديداً من عوامل الاستقرار النفسى ، وبداية لمرحلة جديدة من النضج الفكرى ، لأنه أتاح له أن يجد فى صهره شيخاً ورثاً وصديقاً ، وسهّل عليه أن يبرع إليه يستنصحه إزاء كل مسألة تعرض له أو أمر يفتهم عليه ، فلم يقع تحت تأثير بلبله ، ولم يخضع لأزمة ، ولم يتجاذبه ضغوط أو صراعات .

كل ذلك ترك أثره فى شخصيته ، فلما نجد فى مؤلفاته اضطراباً أو جرحاً أو غموضاً ، ولما نشعر فيها وراء السطور بمقدرة من المقد ، ولما نحس بميل إلى ابتداء ، إنما نجد أنفسنا أمام شخصية سوية ، يتميز الخط الفكرى لها بالاستقامة والاعتدال ، والوضوح والصدق ، والإخلاص والبذل .

ولعل أبسط دليل على وفاء القشبرى لشيخه أنك لو تصفحت « رسالته » لما غلب اسم الدقاق عن عينك ، وهو يذكر اسمه دائماً مقروناً بالسكرام والترم ، ويكفيك أن تقرأ هذه الفقرة لتوضح لك أولاً شيئاً عن مسلك القشبرى خلال حياته العلمية وتوضح لك ثانياً مدى ما ينبغي أن تكون عليه علاقة المريد بشيخه ، فهذه تلك تصوّر ما نرى إليه من بعيد عن كشف جوانب فى سيرة الرجل الذى تقدم لك كتابه .

يقول القشبرى : « لم أدخل على الأستاذ أبى على - رحمه الله - فى وقت بدايتى إلا صائماً ، وكنت أغتسل قبله ، وكنت أحضر بلب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب احشاشاً من أن أدخل عليه ، فإذا تجاسرت مرة ودخلت ، كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى شبه خمر حتى لو غرّز فى إبرة مثلاً لعلّى كنت لا أحسُ بها . ثم إذا قدمت لواقعة وقعت لى لم أحتج أن أسأله بلسانى عن المسألة ؛ فكلما كنت أجلس كان يبنى بشرح واقعى ، وغير مرة رأيت منه هذا عياناً ، وكنت أفكر فى نفسى كثيراً إنه لو بعث الله عز وجل فى وقى رسولاً إلى الخلق هل يمكن أن أزيد فى حشمتى على قلبى فوق ما كان منه رحمه الله تعالى ؟ فكان لا يتصور لى أن ذلك ممكن ، ولا أذكر أنى فى طول اختلافى إلى مجلسه ثم كوفى به بعد حصول الوصلة أن جرى فى قلبى أو خطر ببالى عليه قط اعتراض إلى أن أخرج - رحمه الله تعالى - من الدنيا ( الرسالة ص ١٤٧ ) .

وليس استطراداً أن نذكر لك كلمة موجزة عن رأى عبد الرؤوف المناوى فى الدقاق ،



لأن هذه الكلمة على إيجازها لا تكشف لك عن سمات الدقائق وحسب إنما هي سمات ،  
القشيري ذاته في أدق التفاصيل .

يقول المناوي « هو أبو علي الحسن الدقاق النيسابوري الشافعي ، كان لسان وقته وإمام  
عصره ، فارها في العلم ، محمود السيرة ، بجهود السريرة ، جنيدي الطريقة ، سرى الحقيقة ،  
أخذ مذهب الشافعي عن القفال والحصري وغيرهما ، وبرع في الأصول وفي الفقه وفي العربية  
حتى شُدَّتْ إليه الرِّحال في ذلك ، ثم أخذ في العمل ، وسلك طريق التصوف ، وأخذ عن  
النصرا باذى ، قال ابن شهبه : وزاد عليه حالاً ومقاماً . . . وقد أخذ عنه القشيري صاحب  
« الرسالة » وله كرامات ظاهرة ومكاشفات باهرة ١٠٤ هـ كلام للنواي بعد أن أخذ بضرب  
أمثلته لأقواله للمنوذة وللنظومة [ السكواكب الدرية في تراجم الصوفية ترجمة الدقاق ] .

أمّا في مجال الصداقة فلعلّ أوثق من نعرف اتصالاً به صديقه أبو عبد الرحمن السلمي  
وصديقه أبو المعالي الجويني إمام الحرمين .

وترجع أهمية السلمي في حياة القشيري إلى أنه غزير الإنتاج في العلوم الصوفية ، وأن  
القشيري استفاد من علمه ، وآية ذلك أنك تجد السلمي في « الرسالة » حلقة اتصال بارزة  
في العديد من الأسانيد والأخبار التي عليها يعتمد القشيري موصولة بالدارقطني والسراج  
والنصرا باذى وغيرهم ، ولكن الأهم من ذلك — في تقديرنا — أن القشيري استفاد من السلمي  
فائدة أبعد أثراً ، ذلك أنه تجنب التورط في للزائق التي أدت بصديقه إلى أن يُنمَّ وأن يكون  
موضع نقد معاصريه ومن جاء بعده ، وقد نوّهنا بشيء من ذلك عند كلامنا عن « حقائقه » .

أمّا الجويني فقد كان — كالقشيري — شافعيّاً من حيث للذهب الفقهي ، أشعريّاً من  
حيث العقيدة السكلامية ، وقد تعرّض — كالقشيري — لألام المحنة التي اكنوى بنواها  
الأشاعرة ، والتي ستحدث عنها بعد قليل ، وهاجر البلاد وجامع الحرمين ، ولم يمد إلى وطنه  
إلا بعد انجلاء الغمة .

وإذا كان السلمي صديقاً أقرب إلى الاستاذ فإن الجويني كان صديقاً أقرب إلى التلميذ ،  
فقد استفاد من علم القشيري ، فإذا تذكرنا أن الجويني أستاذ النزالي أمكن أن نقول إن

القشيري موصول بالفراي لا بطريق للصنفات التي خلفها وحسب بل بطريق السند الذي يمثل الجويني .

وفي مجال الحياة العملية نجد القشيري يضطلع بأعمال تنفق واستمداده وثقافته ، فقد اشتغل بالتدريس في مسجد المطرز وهو في الثلاثين من عمره ويتضح ذلك من هذا النص : « كنتُ في ابتداء وصلي بالاستاذ أبي علي » — رضى الله عنه — عقد لي المجلس في مسجد للمطرز ، فاستأذنته وقتاً للخروج إلى « لنا » ، فكنت أمشي معه يوماً في طريق مجلسه ، فخطر ببالي : ليتني يوب عني في مجالس أيلم فيتي . . . الخ » الرسالة ص ١١٦ .

وإلى جوار ذلك كان القشيري يعكف على التأليف دون انقطاع فانهى من التفسير الكبير المعروف ( بالتيسير في التفسير ) قبل عام ٤١٠ هـ ، ومن الطائفت عام ٤٣٤ هـ ، ومن الرسالة عام ٤٣٧ هـ واستمر يمارس هذا النشاط في دأبٍ لا يعرف الكلال حتى وصلت كنبه إلى خمسة وعشرين كتاباً أو نحوها ، ومن أهمها إلى جوار ما سبق : ترتيب السلوك ، والتجوير في التنكير ، والأربعون حديثاً ، وشكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة ، واستفادات المراتبات ، والقصيدة الصوفية ، والتوحيد النبوي ، والألمع ، والفصول ، والفتوة ، ونحو القلوب الصغير ، والكبير ، وللقامات الثلاثة ، وفتوى ، والمراج .

ولم يطعم من هذه الكتب إلا النفر اليسير ، وفي التنية أن قوم — بعون من الله — بإخراج ما وقع لنا منها خلال رحلات طويلة عديدة ، حتى يزداد الناس علماً به وتقديراً له .

ولم يسلم القشيري خلال حياته من المحن والآلام ، وربما كانت أشدها جميعاً ما حدث له إبّان حكم السلطان طغرل ووزيره العيين الكندري .

كان السلطان طغرل سنياً حنيفياً ، ووزيره أبو نصر الكندري معتزلياً رافضياً ، خبيث العقيدة ، ذا آراء مسرفة في التشبيه وخلق الأفعال ، والقدر ، وكان متمصباً في ذلك أشد التصصب .

وفي هذا الوقت كان بنيسابور شخصية فذة لها في أوساط العامة واتلاصة نفوذ كبير ، ومحبة فائقة ، ذلكم هو الاستاذ أبو سهل بن للوفيق أحد رجال الطبقة الرابعة الشافعية ،

وكان كثير للال جواداً ، وكان مرموقاً بالوزارة ، وداره مجتمع العلماء ، وملحق الأئمة ، ونظراً لما عرف عنه من تعلق بالذهب الأشعري ، وفرد عنه ، وسعى حيث نشره فقد ألهم ذلك حقد الكندري ، خاصة وقد كان يخشى أن يقع اختيار السلطان عليه للوزارة من دونه ، فحسب يلقب — لدى السلطان — عنه التهم . ولم يكنف بذلك بل لجأ إلى حيلة دنيئة حين حصل من السلطان على تفويض بسبب للبتدعة على النابر ، فلم يجد السلطان في ذلك بأساً ، فوافق عليه ، ولكن الكندري استغل هذه الموافقة فأقنع اسم أبي الحسن الأشعري ضمن للبتدعة الواجب سبهم ، وكل من كان يرفض الانصياع لذلك من الوعاظ والخطباء يفضل من عمله ، ويطرده من البلاد ، فنجح عن ذلك شر خطير ، وفتنة كبرى امتد شرورها إلى سائر المشرق ، وبات الأشاعرة في حزن مقيم .

وفي وسط هذه الحنة ، وذات يوم كتيب أسود جاء الأمر من قبل السلطان بالتقبض على القشيري وإمام الحرمين والرئيس الفرائي وأبي سهل للوقوف ، وفهيم ، ومنهم من المحافل ، وحين قرئ الكتاب هجم جماعة من الأوباش على الأستاذ الفرائي وعلى القشيري وأخذوا يحرقونها في الطرقات ، ويكيلون لها أقنع أنواع التهم والامتنعاف حتى وصل الشرطة بهما إلى محبس القهندر .

أما إمام الحرمين فقد هرب من البلاد على طريق كرمان ، وأجبه إلى الحجاز ، وهناك جاور ، وأما أبو سهل . فقد كان لحسن الحظ غائباً في بعض النواحي .

وبقي السجينان الجليلان في المحبس ، وقامت جماعات كبيرة من الناس لإقناضها ، وحدثت حرب دامية بينهم وبين رجال السلطان انتهت بهزيمة رجال السلطان ، وأخرج السجينان الجليلان من سجنهما ، ولكن كبار الأشاعرة اجتمعوا وقرروا أن جهاز الحكم لن يهدأ له قرار ، وأن الخليفة في رحيل أئمة المذهب إلى أما كن نائمة عن المشرق .

فترك القشيري وطنه وبينه وأهله وعشيرته ، ومضى يضرب في الأرض الواسعة عشر سنوات كاملة ، كان خلالها موضع التكريم والتبجيل ، وأقبل الناس عليه وعلى دروسه إقبالاً عظيماً ، حتى لقد خصص الخليفة العباسي — القائم بأمر الله — له مجلساً خاصاً في مسجد قصره ، وكان يراظب على شهود وعظه ومجلس حديثه ، ويكرمه ، ويحظى ببركته .

وقد وصف الخطيب البغدادي (صاحب تاريخ بغداد) مقدار إعجاب الناس بالقشيري ،  
وكان هو نفسه أحد تلاميذه حيث يقول (حدثنا وكتبنا عنه وكان ثقة) .

(تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٨٣) .

وذهب القشيري للحج ، وهناك التقى بصديقه الجويني وبعده كبير من الأئمة الذين شردتهم  
الفتنة طوال سنوات عديدة ، فاجتمعوا وندرسوا أحوالهم ومستقبلهم ، واستقر رأيهم على أن  
يطعموا كلمة واحد منهم مهما كانت هذه الكلمة حتى يتم الاتفاق على مبدأ ثابت يسرى عليهم  
جميعاً ، ولم يكن ذلك الفئ وقع عليه اختيار الجمع غير عبد الكريم القشيري .

فصعد للنهر ، وظل يشكلم ، وهم يجدون لكلامه وقفاً مؤثراً على قلوبهم وعقولهم ، ثم مرّت  
لحظات صمت ، بعدها شخص القشيري ببصره إلى السماء ضارعاً ثم أطرق ، والناس من حوله  
يتابعون أمره ، ويتفرسون ملامحه . . . ثم قبض على لحيته وصاح بصوت عالٍ :

« يا أهل خراسان .. بلادكم بلادكم ، إن السكندري غريمكم يقطع الآن إرباً إرباً ،  
وإن أشاهده الساعة وقد تمزقت أعضاؤه ثم أُلْد :

حميد الملك ساعدك الليالي على ماشئت من درك للمالي  
فلم يك منك شيء غير أمر بلعن المسلمين على التواالي  
قبايلك البلاد بما تلاقى فذق ما تستحق من الوبال

( تبين كذب المعتري لابن عساكر ليدن ص ٩٣ )

ويقول السبكي في طبقاته : ( وضبط التاريخ فكان ذلك اليوم بعينه وتلك الساعة بعينها  
قد أمر السلطان بأن يقطع الكندري إرباً إرباً . وأن يرسل عضو منه إلى كل مكان )  
السبكي في « طبقات الشافعية » ج ٢ ص ٢٧٢ .

وهكذا عاد القشيري بعد هذه السنوات العشر الثقيل ( من ٤٤٥ إلى ٤٥٥ ) إلى بلاده ،  
وهي وإن كانت أقصى فترات عمره ، وأشدها آلاماً إلا أنها كانت حافلة بالتجارب ، وأعانته  
على زيادة خبرته بالحياة والأحياء ، وساعدت على توثيق الصلة بينه وبين الأوساط العلمية  
والأدبية خارج المشرق ، ودفعته إلى أن يصنّف العديد من المصنفات المتصلة بالذهب الأشعري

وبخاصة كتابه الجليل القدر «شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة»، وهي قبل كل شيء وبعد كل شيء آية ثباته على مبدئه، وأنه خليق أن يتصدّر المفكرين الأحرار في جيله. وجاء السلطان ألب أرسلان خَلْفًا لعمه طغرل، وبمجيء أرسلان ووزيره الهمام الغزنوي نظم الملك استقبال العالم الإسلامي كله والأشاعرة بوجه خاص والتشيّري بوجه أخص عهداً زاهراً آمناً، وعاد التشييري إلى مدينته الحبيبة نيسابور حيث قضى بها بقية عمره، وقضى بها عشر سنوات (كان فيها مرفهاً محترماً، ومطاعاً مظلماً، وأكثر صفوة في آخر أيامه التي تهادناه فيها آخرّاً، وازداد من يقرأ عليه كُتبه وتصانيفه والأحاديث المسبوعة له، وما يؤول إليه من نصرة المذهب حتى بلغ المنتعمون إليه آلافًا، فأملوا تذكيره وتصانيفه أطراف) «تاريخ نيسابور لعبد الغافر الفارسي حفيد التشييري».

وكان نظام الملك أحد تلاميذه والمقربين إليه، وأعاد الوزير - بفضل توجيه التشييري - للأشاعرة وللزهاد وللعلماء كل ما قدموه إبان المحنة الأليمة من كرامة وحظوة. أما أبناء التشييري فلا نعرف له إلا بنتاً واحدة هي أمة الرحيم أم عبد الغافر الفارسي (قاموس الأعلام باللغة الأوزبكية ط اسطانبول سنة ١٣١٤ ص ٣٠٨٠).

ونعرف له سنة أبناء كلهم عبادة وكلهم أئمة، سلكوا مسلك أبيهم وقد ترجم لهم السبكي في طبقاته كما تحدث عنهم ابن عساكر وابن خلكان.

ولهذا ينبغي أن نحفظ في نسبة الأقوال المنسوبة إلى التشييري في بعض المراجع فقد تكون هذه الأقوال صادرة عن أحد أبنائه فهم جميعاً أشاعرة وهم جميعاً شافعية وهم جميعاً سلكوا طريق الإزادة.

لبث التشييري في نيسابور في أخريات حياته لم يكده يرحلها إلا لزيارة أقاربه في البلاد المجاورة مثل نسا وأبيورد، ولكنه كان يسود مسرعاً إلى نيسابور بعد كل زيارة.

وقبل أن تبرز شمس السامس عشر من ربيع الآخر من عام ٥٤٦٥ هـ، كانت روحه الطاهرة قد عادت إلى بارئها. فووري جثمانه إلى جوار صهره وشيخه وملهمه وصديقه أبي علي الدقاق في مقبرة خاصة بالأسرة ما زالت قائمة حتى وقتنا الحاضر يزورها الناس للتبرك.

\* \* \*

من خلال هذه السيرة التي حاولنا إيجازها نستطيع أن ندرك أهمية الكتاب الذي قدمه .  
فصاحب الكتاب رجل أوتي حظاً وفيراً من العلوم العقلية والنقلية قبل أن يلج  
باب الصوفية ، وهذه في حدّ ذاتها ظاهرة لها أهميتها ، وقد رأينا كيف نصّح الشيخ الدقاق  
له بالتمق في هذه الدراسات قبل البدء بالسير في دروب الإرادة ، وفي ذلك أبلغ رد  
على من يتخزّنون الاتهامات عن الصوفية فيقولون إنهم قوم يجانبون العقل ، ويحتقرون العلم  
ويأمرون تلامذتهم بكسر محارمهم — كما يدعى ابن الجوزي غفر الله له .

والقشيري بعد ذلك كله أديبه ينظم الشر ويندوق الأسلوب العربي نذوقاً يستمد  
على أسس قوية ، وقد أوضحنا ذلك بتفصيل كبير في الأطروحة التي أعدناها عنه ونلنا بها  
درجة الدكتوراه .

فلما جاء بعد ذلك ليعرس الأسلوب القرآني ، وليستخرج منه إشارات لطيفة فهو مُعَدُّ  
لذلك أحسن إعداد ، وهو قين بالوصول إلى نتائج باهرة ، بقدر ما لديه من نهيئ صالح مكتمل .  
ثم هو شافعي أشعري ، وهو سني متحفظ ، وهو بهذه الأوصاف باحث متعمق منصف ،  
لا يأخذ — وهو يستخرج إشارة من العبارة — إلا جانب الخير والمحيلة والاعتدال ،  
وهو من أجل ذلك لم يخرج قيداً أمّعة عن هذا الخط ، فلم ينصر الحقيقة على حساب الشريعة ،  
ولم ينصر الشريعة على حساب الحقيقة ، ولذلك لا نعجب إذا لم نجد عنده جرحاً أو ميلاً  
إلى جرح ، ولا نعجب إذا ألقيناه لا يُخطِئ أوساط أهل السنة حتى من تعصّب منهم ضدّ  
التصوف وأهله ، فقد كان رائده دائماً نصرة الحق ، فليس غريباً أن يجيء «لطائف الإشارات»  
تفسيراً صادقاً عن التصوف في أفضل درجات الاعتدال ، وأنقى صور التناول . فليس عند  
القشيري ما عند غيره من مساس بالألوهية ، بل هو طامس يملأها حرباً لا هوادة فيها  
على للبتدعين وللضالين الذين أساءوا إلى التصوف وأهله تارة نحت ستار الثوب ،  
وتارة يدهوى الغناء المُرَقَّ ، ونحو ذلك من الأباطيل .

والتصوف عند القشيري ليس ثوباً مرقماً ، أو خرقة بالية تُفَرَّد صاحبها عن سواء ،  
وتكون علماً على قواه ، إنما هو صفاء النفس من كروراتها . وإنَّ من كان صادقاً في طويته  
وَنِيَّتِهِ سيكون محفوظاً في حالة انمحاءه ، سوف يَرُدُّ في حالة التلجّع إلى حالة الفرق الثاني

ليؤدى الفرائض الواجبة عليه ثم يعود إلى حالة الجمع مرة أخرى ، ويكون في كل أحواله مُصَرِّقاً بإرادة مولاه . كذلك فإن من كل صادقاً في بدايته ووسيلته وغايته كان محفوظاً — من قبل الحق — في كل كلمة ينطق بها أو كل حركة تصدر عنه ، فإذا نطق بالله ، وإذا تحرك تحرك بالله . ومثل هذا المبدأ لا يُنتظر منه — وهو في بداهته على هذا النحو — أن يكون غريب الأقوال أو غريب الأفعال . فالصدق هو عمدة الأمر في هذا السبيل — كما يرى هنا الإمام الجليل .

ثالثاً : ننتقل بعد ذلك إلى العامل الثالث في أهمية إخراج هذا الكتاب ، وهو في هذه المرة يعود إلى النسخة أو النسختين اللتين نتمتع عليهما في التحقيق .

النسخ الكاملة من « القطائف » نادرة فهي حسبنا تقول تذكروا النوادر لا تزيد على خمس إحداها في خزنة بانسكي بور مكتوبة في القرن التاسع ، والثانية في المكتبة الحبيبية تاريخ كتابتها عام ٨٤٤ هـ وهي ناقصة من أولها ، والثالثة في الخزانة الأصفية بخط قديم جداً ، والرابعة في مكتبة الجامعة البغدادية بحيدر آباد مكتوبة بخطوط مختلفة سنة ١٢٦٦ هـ والخامسة في مكتبة محمد باشا باسطنبول .

غير أننا نعتقد أن هناك عدداً أكبر من النسخ يزيد عما ذكرت التذكرة وأنها منبثقة في أنحاء متفرقة من العالم ، ونرجح أن النسخ الكاملة نادرة جداً كما يشير بروكلمان . وإنه لمن دواعي التوفيق أن يتاح لنا أن نحصل — لأول مرة — على الكتاب كاملاً ، وقد وجدنا في مدينة طشقند عاصمة جمهوريات أوزبكستان السوفيتية في المركز الديني لسلطان آسيا الوسطى وقازاخستان نسخة شبه كاملة تحت رقم ١٣٠٢ تفسير تبدأ بمقدمة بقلم القشيري — وهي على جانب كبير من الأهمية — لأنها تكشف عن منهجه في الدراسة ، ثم بعدها الفاتحة والبقرة و . . . حتى سورة قريش ، ومعنى ذلك أنها تنقص فقط سور الماعون والكوثر والكافرون والنصر والمسد والإخلاص والفلق والناس . وهذه السور القصيرة موجودة في النسخة الأخرى التي عندنا في مصر ورقمها ٢٦٦ تفسير ( أنظر فهرس الخزانة النيسورية ط تفسير ص ٢٣٠ ) والتي تبدأ بالآية ( إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل . . . ) في سورة الأنبياء وقد قننا بنسخ هذه المخطوطة ، كما قننا بالمقطوع صورة بالميكرو فيلم للنسخة الطشقندية ثم أجرينا تصويرها

وتكبيرها بحيث تسهل قراءتها وكانت النسختان المادة الأساسية التي اعتمدنا عليها أثناء إعداد الدكتوراه عند كلامنا عن القشيري المفسر .

النسختان إذًا تسكانلان ، و يصبح هذا السفر النفيس كاملاً ، ويقع في نحو ألف ومائتين صفحة ، اخترنا أن قسمها إلى أربعة أجزاء تصدر متلاحقة في مدى عام أو عامين حسبما تساعدنا الظروف ويرزقنا الله العافية .

### وصف عام للنسخة السوفيتية

تبلغ أوراقها ٥٩٧ ورقة ، والأرقام التي كتبها الناسخ مطبوسة في كثير من الأحيان ولذا حرصنا عند تكبير الميكرو فيلم والتصوير والطبع أن نرقها نحن من خلف حتى لا تضطرب الأمور عند القراءة والدراسة .

وعلى الورقة الأولى توجد تعلية مكتبة الإدارة الدينية هكذا :

تفسير

أبو القاسم القشيري

200 = ص ١

1302 = II

٣٥

أما الورقة الثانية فيبدو أنها كانت خالية فلأها أحد القراء بأحاديث وشواهد شعرية وكتابة باللغة الفارسية .

ثم تبدأ مقدمة الكتاب بقلم القشيري منذ الورقة الثالثة .

وقد وقع خطأ في ترقيم الصفحات ، فبينما نجد الحديث متصلاً غير منقطع بعد الورقة ٢١٤ نجد رقم الورقة التالية هو ٢٢٥ بدلاً من ٢١٥ ، وهناك خطأ آخر ربما حدث قبل تنليف الكتاب : فالأوراق من ٣٩٤ إلى ٤٠١ كلها موجودة عقب الورقة ٤٣١ دون أن يجد خلل أو سقوط ، ومعنى هذا أن الكتاب رغم هذا — كامل لم يضع منه شيء .

كذلك يقع تفسير أواخر طه وأوائل الأنبياء — خطأ — ضمن تفسير الفرقان . وقد صححنا هذا الوضع .



ونظراً لعدم اكتمال النسخة من آخرها — كما قلنا من قبل — فلقد كنا نخشى أن ينيب عنا التذليل الذى يذكر فيه الناسخ اسم وتاريخ انتهائه من عمله كما جرت العادة ، ولكن لحسن الحظ وجدناه قد قسّم الكتاب قسمين كبيرين ينتهى القسم الأول بنهاية تفسير سورة الكهف ورقة ٣٧٨ ، وعندها كتب هذه العبارة باللغة الفارسية المختلفة بالعربية :

(تم بمون الله وحسن توفيقه نصف أول إيز تفسير محقق لإمام أبو قاسم القشيري رحمة الله عليه بتاريخ شهر شوال سنة ١٢٢٤) .

ومن هذه العبارة يتضح أن الناسخ غير عربى ، وأنه ربما كان فارسياً أو أفغانياً أو أوزبكياً أو أذربيجانياً ، فكثرة من سكان أفغانستان وأوزبكستان وأذربيجان يعتبرون الفارسية لغة اتصالهم بالعلوم الإسلامية حتى اليوم .

وقد نجم عن كون الناسخ فارسياً جساً أو لغة أن كتابته ومراحته للإملاء لم تكونا جيدتين ، وكان علينا أن نقرأ الكتاب قراءة متفحصمة لنحاول أن نحدد الطريقة التى انتهيا ، لأنهما — بما فيها من خطأ أحياناً أو خروج على المؤلف فى الرسم أحياناً أخرى — هى التى جرى عليها عند نقله من النسخة الأخرى التى يحتمل أنها تجرى على هذا النحو ، وربما كان الناسخ ينقل على نحو يكون مفهوماً لديه ، وميسور القراءة له وحده .

وهو لا يهتم بضبط الكلمات ، ولا بترقيم العبارات فليس هناك ضبط أو فاصلة أو علامات استفهام أو أقواس أو علامات تعجب أو نحو ذلك . وقد وقع الناسخ فى أخطاء عديدة أثناء النسخ ، وربما كان مسئولاً عن ذلك أو يحتمل أن النسخة التى نقل عنها بهذا الوصف .

وهامش النسخة وبخاصة فى القسم الأول من الكتاب حافلة بالتعليقات ، بعضها مكتوب بالفارسية قصد منها شرح المفردات وترجمتها .

وهناك عناوين جزئية مكتوبة باللغة العربية بخط حسن تشير إلى موضوعات متنوعة ربما قصد بعض القراء إلى أن يجمعها ليستفيد منها ، وليحدد موقف المصنف إزاءها مثل (الروح — حقوق الوالدين — الدعاء — النفس ... إلخ) .

وعندما كانت تسقط بعض الكلمات أو العبارات من الناسخ أثناء النقل كان يستمر

فيضع علامة مميزة على آخر كلمة في المتن بدأ بعدها السقوط ويضع العلامة نفسها في الهامش فوق الكلمة أو العبارة الساقطة ، فإذا تكرّر السقوط في الصفحة الواحدة ميّز كل موضع وكل مستندك بعلامة مميّنة . كذلك فإنه كان يضع علامة خاصة عندما يعيد كتابة كلمة أو عبارة أو سطر بدون داعٍ حتى يلتفت نظر القارئ إلى ما وقع فيه من سهو .  
ولم يحدث أن وضع الناسخ ترجمة فارسية لكلمة داخل المتن بل كان يكتب الترجمة أسفل نظيرها ، اللهم إلا في حالة واحدة داخل شاهد شعري :

أنكّه شاد شود در عطا دادن

ومعناها : أصبح حيثُذ مسروراً بالعطاء .

ولستبعد أن القشيري يفعل ذلك ، فعلى الرغم من إتقانه للغة الفارسية إلا أنه حرص فيها لعرف له من مصنفات أن يكتب بالعربية خالصة .

ويبدو أن النسخة أُنشِجَ لها أن تراجع ذات مرة ، فهناك تصحيحات مختلفة في رسم الكتابة موجودة في الهامش في أماكن مقابلة لموضع التصحيح في المتن . ومن أمثلة ذلك ما جاء في الورقة ٣٥٠ أول سورة الإسراء ( وتوحّد بملو قموه ) تصحح في المراجعة ( وتوحّد بملو نموته ) .

وفي الورقة ٣٦١ ( لبلاّه أو شدة يقالها ) تصحح في الهامش ( لبلاه أو شدة يقاسيها ) .

وفي الورقة ٣٧٢ جاء في سياق وصف الدنيا ( نعمها مشوقة بنقستها تصحح في المراجعة ) نعمها مشوبة بنقمها ) .

وقد كنا نحكم الدقة عند الاستفادة من هذه المراجعة لأننا نفترض أنها قد تكون نوعاً من الاجتهاد الشخصي وليست تصويماً على لسانه أفضل .

بقي شيء هام جداً ، وهو توضيح موقفنا من أخطاء النسخ ، ويمكن أن نقول إننا اتخذنا منها ثلاثة مواقف .

( ١ ) موقفاً نجد فيه الخطأ مؤكداً ويتجلى ذلك عند كتابة بعض الآيات الكريمة حيث تسقط كلمة أو حرف أو تزيد كلمة أو حرف ، فنصلح هذا الخطأ .

(ب) موقفاً فيه الخطأ شبه مؤكد وعند ذلك نكتب في المتن ما نراه صواباً دون أن نترك الأمر على عواهنه بل نثبت في الهامش ما جاء في النسخة ، موضحين أسباب رفضنا لما كتبه الناسخ حتى نضع أمام القارئ صورة أمينة لما يقوم به من عمل ، وكان للفروض أن نكتب كل ما كتب الناسخ في المتن وأن نصوب ما نراه في الهامش ولكن هذه الأخطاء كثيرة جداً بحيث تموت القراءة ، ونشق على القارئ .

(ج) موقفاً فيه خطأ الناسخ محتمل ، وعند ذلك ننقل عن الناسخ ما كتب في المتن ، ونشير إلى موقفنا لإزاه في الهامش فائلين (ونرجح كذا... أو لا نستبعد أنها في الأصل كذا) نركن الرأي للقارئ والدارس في أن يختاروا ما يراه أقرب إلى الصواب .

أما للشبهات فنضع مكاتها قطعاً بين أقواس ونشير إليها في الهامش ، وليس لنا فيها حيلة إلا إذا ظهرت لنا نسخة من الكتاب أكثر وضوحاً .

وإذا تطلب السياق كلمة أو حرفاً ليتأكد ويتضح وضمنها من عندنا بين قوسين مشيرين إليها في الهامش .

ونجب ملاحظة أننا لا نقيم أنفسنا في تسكلة أو ترجيح إلا بناء على معرفة بأسلوب القسري الذي ترجع معاشرتنا له إلى سنوات تزيد على العشر ، كذلك كثيراً ما نرجع إلى مصنفاته الأخرى لننبئ رأيه في موضع مناظر ومع كل ذلك فإننا دائماً نضع الأمر بين يدي القارئ لنترك له أن يشاركنا ، وله أن يقتنع بما نقول أو يتقبل ما نقلناه عن الناسخ بمخالفته حسبما يحلو له ، وله أن يرفض .

ومع أن الهوامش لا تنحصر من تعليقات وشروح وتخريجات للحديث الشريف إلا أننا نشعر أنها مقنضة وغير كافية ، فحرصنا على تزويد الناس بالمتن كان رائدنا الأول في هذه الرحلة ، على أننا نعد — إن أعاننا الله — أن تتم هذا العمل بشروح أكثر بسطة ، فليس «الطائف» بأقل حاجة إلى الشروح من «الرسالة» التي حظيت باهتمام الدارسين والباحثين طوال أجيال متعاقبة .

## النسخة المصرية

تبدأ هذه النسخة كما قلنا من قبل بالآية (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل ...) حتى نهاية الكتاب ، وترجع أهمية هذه النسخة إلى أنها أولاً أكملت ما ينقص النسخة السوفيتية من قصار السور ، كما أنها ساعدت — نظراً لوضوح كتابتها أكثر من زميلتها — على التقليل من اللشبهات ، وتبجلى أهمية ذلك في المجلد الثايف .

ولسنا ندري شيئاً عن الناسخ الذى اضطلع بها ولا عن تاريخ نسخها نظراً لأنها ناقصة من بدايتها كما أن الناسخ لم يترك شيئاً عنه في نهايتها ، وترجع أنها أحدث عهداً من النسخة السابقة اعتماداً على رسم الكتابة وقواعد الإملاء .

## منهج القشيري في تأليف الكتاب وأهميته

صدر القشيري كتابه بمقدمة مفيدة أوضحت خطته في تناول الأسلوب القرآني ، وهذه المقدمة لا تلقى ضوءاً على الكتاب وحده إنما تقف بنا على المقصود بالتفسير الإشاري للقرآن ، وسائله وغاياته .

أطلق القشيري على كتابه اسم « لطائف الإشارات » وإذا فالنسخة التي زعمها صاحب كتاب (تاريخ أدبيات دوايران) ج ٢ ص ٢٥٧ ط ثالثة سنة ١٣٣٩ غير صحيحة حيث يقول : « لطائف الإشارات في حقائق المবারات » .

ومن المقدمة نفهم أن هذا اللون من التفسير يعتمد على استبطان خفايا الألفاظ — مفردة أو مركبة — دون التوقف عند حدود ظواهرها المألوفة ومعانيها القاموسية ، وإنما يُنظر إلى اللفظة القرآنية على أنها ذات جوهر يرق على الفهم المادى ، وأهل التجريد وحدهم هم الذين يتاح لهم — بفضل من الله — العلم الذى يكشفون به عن هذا الجوهر .

وهناك رباط وثيق بين هذا العلم وبين العمل ؛ إذ لا يحظى به إلا من جرد قلبه من كل سائجة ، وصغى نفسه من كل كدورة ، وتهاى بكل الهمة لهذه المهمة الجليلية : دراسة كلام الحق جلّ ذكره ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وفى ذلك يقول التشيرى فى مقدمته : « أكرم الأصفياء من عبادهم بهم ما أودعه من لطائف أسرارهم وأنواره لاستبصار ماضنه من دقيق إشاراتِهِ وخفى رموزه ، بما لوَّح لأسرارهم من مكنونات ، فوفقوا بما خصوا به من أنوار الغيب على ما استر عن أغيارهم ، ثم نظقوا على مراتبهم وأقدارهم ، والحق — سبحانه وتعالى — يلهمهم بما به يكرهم ، فهم به عنه فاطقون ، وعن لطائفه مخبرون ، وإليه يشيرون ، وعنه يفصحون ، والحكم إليه فى جميع ما يأتون به وينزون » .

وينضح — بادی ذی بدء — أنَّ هذا اللون من الدراسة يفتقر عن سائر ألوان الفكر الإسلامى فى أمور كثيرة ، لعل أهمها عنصر الاصطفاء من قبل الله ، فليس يمكن لنهر من اختصهم الله بفضله أن يخوضوا فيه . فأنت تستطيع أن تكون منكلماً أو فيلسوفاً أو نحوياً أو أديباً إذا توفرت لك ، وكان لديك استعداد ملائم ، وخصصته ببنائك ، أمّا أن تكون مستنبطاً للإشارة من العبارة فهذه خصوصية فريدة لابد أن يسبقها اجتناء إلى . كذلك يمكنك أن تكون عالماً فى أى فرع من فروع المعرفة دون أن يصحب ذلك عمل ، أمّا أن تقبل على القرآن الكريم لتستشف الجواهر من وراء الظواهر فهذه مسألة ينبغي أن تقترن بجهود مضنية فى تصفية النفس والقلب من كل العلائق ، وتحليلهما عن كل الشواغل الدنية ، وتحليلهما بكل الأوصاف السنية .

وربما كانت هذه الشروط المنصلة بالاجتناء المسبوق ، والعمل المقترن بالعلم من أسباب ندرة ما وصلنا من هذا اللون من التفسير ، كما أنها قد تكون أسباب خروج بعض ما يشر فى نطاقه — زوراً أو خطأ — عن التفسير الإشارى السديد .

فرق آخر يفرق هذا اللون من التفسير عن غيره أنه لا يعتمد اعتماداً كلياً أو مسرفاً على العقل ، إنما هو يعنى بالأمور العقلية بالقدر الذى يقتضى به الصوفية بالعقل ، ونعني به أن ذهن آلة لتصحیح الإيمان فى مراحل البداية ، أمّا فيما فوق ذلك وفيما هو حيث الخطو نحو المعارف العليا فهناك ملكات أخرى يناط بها حمل هذا العبء ، وهى فى مذهب التشيرى تندرج صعوداً من القلب إلى الروح إلى السر ثم إلى سر السر أو عين السر . معنى هذا أن استنباط الإشارات اللطيفة من النص القرآنى ليس عملية عقلية صرفة إلا فى الحدود التى تضمن عدم

اختيارات الإشارة على العبارة ، فلا تخرج بها عن مأوف ما ينسجم مع الأسلوب العربي سواء من حيث اللغة أو النحو أو الاشتقاق أو القنون الأدبية ، ولا تخرج بها عن الدلالات التي توافق أسباب النزول والأخبار الموثوقة وعلوم الحديث والأصول والفقه ، فكأن الإشارة ليست انبعثاً تلقائياً محضاً ولكنها مقيدة — منذ البداية — بالكثير من العلوم العقلية والنقلية فما أشبه موقف اللفظة القرآنية في هذا المجال بموقف من ينهأ لارتداد الطريق الصوفي فكلاماً يتعزى عن ظاهره ، وكلاماً يخضع لما تتطلبه المعارف العقلية والنقلية من شرائط البداية ، وكلاماً يصبح صافياً راقياً يشف درجة بعد درجة كلما زاد الصعود وارتقى القصور . . فاللفظة القرآنية فيها حياة وفيها نمو ، وفيها عوالم مضيئة متألفة تشبه تلك العوالم التي يتدرج فيها العابد الزاهد المرید المريد المعارف المحب .

قد يقال وأى فرق إننا بين التفسير الإشاري وغيره من التفاسير مادام يعنى بالأمور العقلية والنقلية ؟ والجواب على ذلك أنه لا يعنى بهذه الأمور لذاتها ، ولا يوقف نفسه داخل أسوارها ، ولا يقطع العمر في حرازاتها وخلافتها ، إنما هي وسيلة في الابتداء يلجأ إليها المفسر بمقدار ما يسعفه حظه منها لكي يفيض الأغلفة الظاهرية . وهذه العناية إن التزمت بذلك صارت وسيلة من وسائل إقناعنا بأن التفسير الإشاري ليس عشوائياً يجب فيه كل من هب ودب ولكنه خاضع لنواميس وقواعد .

ونستطيع بعد ذلك أن نميز بين تفسير القشيري في « لطائف » وبين أولئك الذين نسب تفاسيرهم إلى التصوف وأهل ، أولئك الذين أسرفوا حين حلوا النص القرآني فوق ما يحتمل ، وبدلاً من أن يخضعوا للنص القرآني أخضعوا النص القرآني لنصرة مذاهبهم ، وساروا في الدروب العقلية حتى جمحوا ، وابتعدوا عن الخط الأصيل حتى صارت تفاسيرهم جديرة بالدرس في مجالس الفلسفة والكلام لا في مجالس الرياضات والمجاهدات والأحوال . أما عند القشيري فليس هناك مذهب عقلي خبيء ، ولا عقيدة باطنية مستورة ، كل ما عنده من قصد أن يتم لقاء كامل بين الشريعة والحقيقة في خلال كلمات الله — جل ذكره ، لأنه إذا لم يتم هذا اللقاء في كنف كلام الله فأين يمكن أن يتم ؟

وهنا نلتقي هذه المحاولة التي بذلها في « اللطائف » مع المحاولة التي بذلها في « الرسالة »

فهو منذ الصفحة الأولى في « رسالته » يحاول أن يُعرِّف بأن عقيدة الشيوخ « الذين بهم اقتداء » عقيدة سليمة لا تخرج في قليل أو كثير من عقيدة التوحيد الرائقة الصافية ، ثم يسير في تراجم الشيوخ ليتخالفك من أقوالهم وأخبارهم وأفعالهم ما يؤيد ذلك ، ثم ييؤب رسالته إلى التوبة والزهد والتوكل والرضا والمحبة . . . الخ . ولا ينتهي عند استفتاح كل باب من ذكر آيات من كتاب الله الكريم بمدحها أحاديث وأخبار عن الرسول صلوات الله عليه . . لماذا كل ذلك ؟ لكي يثبت أن هناك لقاء بين الشريعة والحقيقة ، وأنها وجهان لشيء واحد . . تلك هي الناية القصوى التي يطمح إليها هذا الإمام الجليل ، والتي من أجلها نذر عمره ، وخصص جهده ، ولم يرض عليها بشيء في استطاعته ، ولم يفارقه الطموح إليها في مصنف من مصنفاته . . . وما أعظمها وما أشرفها من غاية !

فإذا كنا أخرجنا من نطاق التفسير الإشاري هذه التفسيرات المنسوبة لبعض المنسبين للتصوف فأولئ أن نخرج من هذه التأويلات الاعتزالية والشيوعية والبدعية والإلحادية وغيرها مما تقتضي في مباحثها على أن للقرآن ظاهراً وباطناً ، ذلك لأن قضية الظاهر والباطن استغلت استغلالاً سيئاً نظمة الكثير من العقائد الهدامة ، وارتكبت في حق الظاهر القرآن جرأهم خطيرة حين أريد له أن يؤول لنصرة الأغراض للريضة والدعوات الجماعية ، وفي ذلك يقول التنفازاني في شرح العقائد النسفية : « سميت للملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها بل لها معاني باطنة لا يعرفها إلا المسلم ، وقصدتم بذلك نفي الشريعة بالكلية » ، ويستدرك التنفازاني قائلاً : « وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال العرفان ومحض الإيمان » ( شرح العقائد النسفية ط الحلي سنة ١٣٣٢ هـ ) .

والذي تحمده للتشعير وينبغي أن نشيد به في هذا التقديم أنه حرص أشد الحرص على النص الترتيبي ، وأنه التزم بالنظر إليه نظرة اعتبار وتقدير ، وكان عمله أشبه بمن يقيس قطعات من الضوء من مشكاة كبيرة ينير بها الطريق أمام الزهاد والمعارفين ، دون أن يتورط في تصف أو يترلق في حرب من دروب الشطط ، والبسب الهام الذي يعود إليه هذا المنهج

أنه سبي<sup>١</sup> حريص على منبته بقدر ما هو صوفي حريص على صوفيته ، فكان عليه أن يرضى أوساط أهل السنة في الوقت الذي كان عليه أن ينفع الصوفية ، وأن يوضح لسكلا الطرفين أن الأصول والفروع في الحالين مستمدة من كتاب الله الكريم .

وقد أعان القشيري في عمله أنه صنّف قبل « اللطائف » كتاباً كاملاً في تفسير القرآن على نحو تقليدي هو « التيسير في التفسير » — الذي حصلنا على مسودة للجزء الخامس منه من أكاديمية العلوم السوفيتية — ونجده في « التيسير » معنى أشد العناية باللغة والاشتقاق والنحو وأسباب النزول والأخبار والقصص . وقد صنّفه قبل أن يلتقي بشيخه الدقاق أى قبل أن يسلك المسلك الصوفي ، فأعانه ذلك على أن يبقه العبارة من معظم زواياها المتصلة بالظاهر ، حتى إذا بدأ يكتب « اللطائف » كان طريقه إلى الإشارة وإلى فقه الباطن مهيأً ، ومناه ميسوراً ، وأفاقه مفتحة .

\* \* \*

سار القشيري في « اللطائف » على خطة واضحة محددة التزم بها من أول الكتاب إلى آخره ، فهو يبدأ بتفسير البسملة كلمة كلمة ، وأحياناً حرفاً حرفاً ، والبسملة تتكرر بلغظها في مفتتح كل سورة ، ومع ذلك فإننا نجد نجيده يلجأ إلى تفسير كل بسملة على نحو ملتفت للنظر ؛ إذ هي تختلف وتنوع ولا تكاد تتشابه ، ويزداد إعجابنا بالقشيري كلما وجدنا تفسير البسملة ينسج مع السياق العام للسورة كلها ، فالحمد والرحمن والرحيم لها دلالات خاصة في سورة القارعة ، ولها دلالات أخرى في سورة النساء ولها دلالات خاصة في الأنفال وهكذا . . .

ولستنتج من ذلك عدة نتائج :

أولاً : أنه يعتبر البسملة قرآناً ؛ وليست كما يقول البعض — شيئاً يستفتح به للتبرك ، شأن ما تصنع في بداية أحوالنا وأفعالنا ( انظر « المعنى » للقاضي عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ ج ١١ ط وزارة الثقافة ( تراثا ) ص ١٦١ ) .

ثانياً : أنه مادام يعتبر البسملة قرآناً ، ومادام يجد لها مقاصد متعددة ، فكانه لا يؤمن بفكرة التكرار في القرآن ، وفي ذلك يقول في الورقة الثالثة من



اللطائف : « فلما أعاد الله - سبحانه وتعالى - هذه الآية - أعنى بسم الله الرحمن الرحيم - في كل سورة ، وثبت أنها منها أردنا أن نذكر في كل سورة من إشارات هذه الآية ككلمات غير مكررة وإشارات غير مصادة » .

ثالثاً : أن لدى التشيرى سورة غير عادية ونفساً طويلاً عند استبطان الظاهر ، لأننا نجد أمام أربع كلمات تتكرر بلفظها ومعناها من بداية القرآن إلى نهايته ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه سار على هذه الستة في « التيسير » ازداد إعجابنا به وعجبنا له .

ومن الغير أن نضرب هنا مثلين لما صنع في بسملة « اللطائف » لنستوضح مقاصده من هذا الاتجاه .

يقول في بسملة سورة « الحجر » : « سقطت ألف الوصل من كتابة بسم الله وليس لإسقاطها علة ، وزيد في شكل الباء من بسم الله وليس لزيادتها علة ، لئلم أن الإثبات والإسقاط بلا علة ؛ فلا يَقِيلُ من قِيلَ لاستحقاق علة ، ولا ردٌّ من ردٍّ لاستيجاب ( = لاستحقاق ) علة . فإن قيل العلة في إسقاط الألف من بسم الله كثرة الاستعمال في كتابتها أشكِلَ بأن الباء في بسم الله زيد في كتابتها وكثرة الاستعمال موجودة . فإن قيل العلة في زيادة شكل الباء بركة أفضالها بسم الله أشكِلَ بمحذف ألف الوصل لأن الاتصال فيها موجود . فلم يبقَ إلا أن الإثبات والنفي ليس لهما علة ؛ يرفع من يشاء ويمنع من يشاء » .

ويتضح من هذا أن استنباط الإشارة ليس — كما قلنا من قبل — مسألة عشوائية إنما هو خاضع لقواعد وأصول ، وإلى تقنية تختلف الآراء ، ومحاولة الإقناع .

وليس هذا فقط .. بل إنك لو تعمقت داخل السورة لأدهشتك — كما أدهشني — أن هناك صلة وثيقة محكمة بين هذا الذي فسرت به البسملة وبين كلام في داخل السورة من رفع الخلق بلا علة ، وخضعتهم بلا علة ، وذلك كما ورد في قصة خلق آدم ، وكيف أن الملائكة ( كانوا في حال سترم لأنهم نظروا إلى القوالب مع أن الاعتبار بالمعاني التي يودعها ، فالملائكة استصغروا قدر آدم وحاله وتسجدوا من الأمر لم بالسجود فكشفت لهم شظية مما اختصه فسجدوا للأمر وكذا حال من ادعى الغيرية ) أما إبليس فلم يظن للشبهة الإلمية

العليا ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون ( بعدما لاحتم لم المعرفة ) ويقى هو على عناده متأبياً  
أن يسجد ليش خلق من صلصال من حمأ مسنون ( لأنه لا يعرف أن مشيئة الله تجري  
على غير حلة ) .

· وفى سورة براءة — التى نعرف أنها السورة الفريدة فى القرآن الكريم التى تبدأ بدون  
بسملة نجد الأمر يستوقف نظر القشيري فلا يتركه كي يردون استنباط إشارة ، اسنم إليه  
يقول : « الحق — سبحانه — جرد هذه السورة عن ذكر البسملة لئيلم أنه يخص من يشاء  
وما يشاء بما يشاء ، ويفرد من يشاء بما يشاء ، لا لئيلسمه سبب ، ولا فى أضالعه غرض  
ولا أرب . ومن قال إنه لم يذكرها لأن السورة مفتوحة بالبراءة عن الكفار فهو — وإن كان  
وجهاً فى الإشارة — إلا أنه ضيف ، وفى التحقيق كالبعيد ، لأنه افتتح سوراً من القرآن  
بذكر الكفار مثل قوله : « الذين كفروا . . » ومثل قوله « ويل لكل همزة لمزة »  
وقوله : « تبث بدا أبى لى وتب » وقوله : « قل ياأيا الكافرون . . » هذه كلها مفاتيح  
السور ، والبسملة مثبتة فى أوائلها ، وهى متضمنة ذكر الكفار .

وقد يقال إنها تضمنت ذكر الكفار دون ذكر صريح للبراءة ، وإن تضمنته تلويحاً  
وهذه البراءة هنا فى ذكر البراءة من الكفار قطعاً فلم تصدر بذلك الرحمة ، وإذا كان مجرد  
السورة عن هذه الآية يشير إلى أنها لذكر الفراق فبالحرى أن يحنى أن مجرد الصلاة عنها  
ينمى كمال الوصلة والاستحقاق . »

... .. وبعد أن ينتهى القشيري من بسط مذهبه فى كل بسملة على هذا النحو الطريف  
للمنع يبدأ فى تفسير السورة آية آية ، ولم يتخلل عن آية إلا فى مواضع نادرة ، بل ربما تكون  
الآية طويلة لسياً ومع ذلك لا يتركها دون إشارة حتى ولو كانت سريعة مقتضبة « هل سبيل  
الإقلال خشية لللال » كما يقول فى مقدمته .

ولا يد أن القارى توقع أن تسوق إليه موقف القشيري من الحروف للنقطة التى تلى  
البسملة فى عديد من السور نظراً لما دار حول هذه الحروف من جدل كثير ، ونظراً لأنها  
لبمدها عن مألوف الكلام العادى أقرب ما تكون إلى الرموز وبمعنى آخر أقرب ما تكون  
إلى الإشارات أى أدخل فى عمل القشيري فى « لطائف الإشارات » . وربما كان أفضل

ما ورد هنا قول التشيرى فى (الم) التى افتتحت بها سورة البقرة لأنها كانت أول حروف مقطعة يقابلها أثناء عمله . يقول : « هذه الحروف المقطعة فى أوائل السور من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله عند قوم . ولكل كتاب سر ، وسر الله فى القرآن هذه الحروف للمقطعة . وعند قوم أنها مفاتيح أسمائه ؛ فالألف من اسم « الله » واللام بدل على اسم « اللطيف » ، ولليم بدل على اسم « المجيد » و « للذك » .

وقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها لأنها بسائط أسمائه وخطابه ، وقيل لأنها أسماء السور ، وقيل الألف بدل على اسم « الله » واللام على اسم « جبريل » ولليم بدل على اسم « محمد » صلى الله عليه وسلم ؛ فهذا الكتاب نزل من الله على لسان جبريل إلى محمد (ص) . والألف من بين سائر الحروف انفردت عن أشكلها بأنها لا تتصل بحرف فى الخط ، وسائر الحروف يتصل بها إلا أحرف يسيرة ، فليتنبه العبد عند تأمل هذه الصفة لاحتياج الخلق بحملتهم إليه واستغاثته عن الجميع .

ويقال (١) تذكر العبد المخلص من حالة الألف تَقْدُسَ الحق — سبحانه وتعالى — عن التخصص ؛ ذلك أن سائر الحروف لها محل من الخلق والشقة واللسان إلى غيرها من الخارج ، غير الألف فإنها هويته لا تضاف إلى محل .

ويقال الإشارة منها إلى أفراد العبد لله سبحانه ؛ فيكون كالألف لا يتصل بحرف ، ولا يزول عن حالة الاستقامة والاتصاف بين يديه .

ويقال يطالب العبد فى سره عند مخاطبته بالألف بانفراد القلب إلى الله تعالى ، وعند مخاطبته باللام بدين الجانب ، وعند سماع الليم بمواظقة أمره فيما يكلفه . وقد اخص كل حرف بصفة مخصوصة ، وانفردت الألف باستواء القامة والتميز عن الاتصال بشئ من أضرابها من الحروف فجعل لها صدر الكتاب إشارة إلى أن من تجرد عن الاتصال بالأمثال والأشغال حظى بالمرتبة العليا ، وفاز بالدرجة القصوى ، وصكح للتخاطب بالحروف المنفردة التى هى غير

(١) عندما يقول التشيرى « وهال ... » فليس معنى ذلك دائما أن يورد بهدئ رأيا لغيره فربما — وهذا هو الغالب — أنه يهمد إلى توضيح وجهة نظره من زوايا مختلفة .

مركبة على سُنَّةِ الأجباب في ستر الحال ، وإخفاء الأمر على الأجنبي من هذه القصة ،  
قال شاعرهم :

قلت لها فنى قالت كاف

ولم يقل وقتت سترًا عن الرقيب ، ومراعاة لقلب الحبيب ، وهكذا تكثر العبارات  
للمعوم ، والرموز والإشارات للخصوص ؛ أسنع موسى كلامه في ألف موطن ، وقال نبينا  
صلى الله عليه وسلم : « أوتيت جوامع الكلم فاختصر لي الكلام اختصاراً » وقال بعضهم :  
قال لي مولاي ما هذا الدنف قلت نهواني قال : لام ألف

... .. ويعنى التشيرى بعد ذلك فيستخرج للصوفية إشارات ثمينة مما يصادفه في الآية  
من حكم تشريعى يتصل بالقتال والغنية والأسر والكيل والليزان والدين والشهادة ونحو ذلك  
أو كلام في المبادات كالصوم والصلاة والحج والزكاة أو ما يعود بالآية إلى أسباب زولها  
والأخبار والقصص التي رويت من حولها ، أو ما تحتوى من مظاهر قدرة للولى - جل وعلا -  
في خلق الإنسان والكون .

وينبى ألا ننظر من التشيرى إسهاباً في الأحكام القتبية والقواعد التعبدية والأسانيد  
ونحو ذلك فإلهذا ألف كتابه ، ولا يصح للقارى أن يتوقع منه ذلك فهناك تفاسير مخصوصة  
وضعت للوظف بهذه الأمور ، إنما قصد التشيرى إلى استمداد شئ « نافع للصوفية يتدم به رأى  
من آرائهم أو عمل من أعمالهم » فهذا هو مقصوده ، وتلك مراميه ، ونحن من أجل ذلك نقول  
بلا تحفظ إن « لطائف الإشارات » يمثل تمثيلاً صادقاً مذهب التشيرى في التصوف أكثر مما  
تمثله « الرسالة » فهو ينقى عنها وهي لا تنقى عنه .

وعلينا الآن أن لسوق أمثلة قليلة توضح موقف التشيرى في تلك الأمور حتى يعرف  
القارى منذ البداية أى نوع من التفسير ذلك الذى نضعه بين يديه . ففينا يختص بالأحكام  
التشريعية نراه مثلاً عند الآية الكريمة « واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسة » يقول :  
الغنية ما يحصل عليه المؤمنون من أموال الكفار إذا ظفروا عند الجهاد والقتال . ولما كان  
الجهاد قسبين : جهاد الظاهر مع الكفار وجهاد الباطن مع النفس والشيطان ، وكما أن الجهاد

الأصغر غنيمة عند الظفر كذلك الجهاد الأكبر غنيمة وهو أن يملك نفسه التي كانت في يد عدوّه : الهوى والشيطان ، وبعد أن كانت ظواهره مفرّجاً للأعمال القديمة وباطنه مُستقرّاً للأحوال الدينية يصير محلّ الهوى مسكن الرضا ، ومقرّ الشهوات والمنى محلاً لما يرد عليه من مطالبات للولى ، وتصير النفس مستلبة من إصرار الشهوات ، والقلب غنطفاً من وصف الغفلات ، والروح منزوعة من أيدي الملائك ، والسرّ مصوناً من الملاحظات . وكما أن من جملة الغنيمة مهبها لله وللرسول وهو الخُلس فإها غنيمة — على لسان الإشارة — سهم خالص لله وهو ما لا يكون للعبد فيه نصيب لا من كرائم القبي ولا من ثمرات التقريب ولا من خصائص الإقبال ، فيكون العبد عند ذلك محرراً عن رقّ كل نصيب ، خالصاً لله بالله ، يحمو ما سوى الله .

ونلفت نظر القارى إلى ما ورد في هذا النص من ترتيب الملكات الباطنة للإنسان من أسفل إلى أعلى ، وهى : النفس ثم القلب ثم الروح ثم السر ، ولكل منها وظيفة ولكل وظيفة غاية ، كما أن لكل منها آفات ولكن لكل علاج . . . والكلام في ذلك كله موزع في الكتاب حسب السياق الذى توحى به آيات الكتاب الكريم . والتشيرى مشكور أعظم الشكر حين التزم بهذا الترتيب ، ولم يتخلّ عنه لا فى الطائف وحده بل فى كل ما بين أيدينا من مصنفاته ، حتى صار له مذهب واضح السجلات بارز القسبات فى المراج الروحي ، وتفصيل ذلك موضح فى كتابنا عن « مذهبه فى التصوف » الذى هو القسم الأول من بحثنا للدكتوراه .

وبطابق التشيرى بين ما يحدث من نسخ لبعض الأحكام وبين ما يحدث من نسخ فى السلوك الصوفى حيث يقول عند قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل . . . » « حكم هذه الآية كان ثابتاً فى الشرع ، ولكنه نسخ بعده . والنسخ هو الإزالة ، ومعنى النسخ فى سلوك المريد أنهم فى الابتداء فرضهم القيام بالظاهر من حيث المجاهدات ، فإذا لاح لهم من أحوال القلوب شئ آلت أحوالهم إلى مراعاة القلوب فتسقط عنهم أوراد الظاهر . »

أما فيما يختص بالعبادات فإننا نلاحظ أن التشيرى ينتم كل فرصة كى يوضح ضرورة التزام العبد بأدائها مهما أوغل فى الفناء عن نفسه ، فليس ثمة عذر لسقوطها عنه أو إعفائه

منها ، كذلك نراه يهتم اهتماماً ملحوظاً بالحث على التغافل في بواطنها ، ومعرفة جواهرها ، فهي ليست رسوماً ظاهرة يؤديها البدن وحسب ولكنها ذات مقاصد بعيدة .

فاستقبال القبلة عند الصلاة له عند القشيري إشارة : ( لتكن القبلة مقصود نفسك ، وسبحانه مقصود مشهود قلبك ؛ لا تعلق قلبك بأحجار وآثار ، وأقرِّد قلبك لي ) وعند قوله تعالى « وأنموا الحج والعمرة لله » يقول : « إتمام الحج على لسان العلم القيام بأركانه وسننه وهيئته ، وإراقة الدماء التي يجب فيه ، وعلى لسان أهل الإشارة الحج هو المقصد ، فقصده إلى بيت الحق وقصده إلى الحق ، فالأول حج العوام والثاني حج الخواص ، وكما أن الذي يحج بنفسه يحرم ويقف ثم يطوف بالبيت ويسعى ثم يملق ، فكذلك من يحج بقلبه فأحرامه بمقد صحيح على قصد صحيح ، ثم يتمرد عن لباس مخالقاته وشهواته ثم باشتائه بنوحي صبره وقهره ، وإمساكه عن متابعة حظوظه من اتباع الهوى وإطلاق خواطر المني ، وما في هذا المني ، ثم الحاج أشعث أغبر تظهر عليه آثار الخشوع والخضوع والتلبية ، وأفضل الحج الشَّجَّ والهجَّ ، فالشج صب الدم والهج رفع الصوت بالتلبية فكذلك منك دم النفس بسكاكين مخالقاتها ، ورفع أصوات السر بدوام الاستغاثة وحسن الالتجاء والوقوف بإساحات القربة باستكمال أوصاف الهيبة . وموقف النفوس عرفات وموقف القلوب الأسامي والصفات ( = أسماء الله الحسنى وصفاته ) ، وطواف القلوب حول مشاهد العز ، والسعي بالأسرار بين صنى كشف الجلال ولطف الجلال ، ثم التحلل بقطع أسباب الرغائب والاختيار والمني والمعارضات بكل وجه .

وسمع القشيري عند : « كتب عليكم الصيام ... » يقول : « الصوم على ضربين : صوم ظاهر وهو الإمساك عن المفطرات مصحوباً بالنية ، وصوم باطن وهو صون القلب عن الآفات ، ثم صون الروح عن المساكنت ، ثم صون السر عن الملاحظات ... . ونهاية الصوم إذا هجم الليل ، ولكن من أسلك عن الأغيار فصومه نهائية أن يشهد الحق . والصوم رؤية الهلال والإفطار لرؤيته كما يقول عليه السلام فالرؤية عائدة على الهلال ، وعند أهل التحقيق فالرؤية عائدة إلى الحق ؛ فصومهم لله حتى شهروهم ، وفطروهم لله ، وإقبالهم على الله ، والغالب عليهم الله . »

هذا من العبادات أما عن أسباب النزول فينظر إليها القشيري كما ينظر إلى مورد النمل ومضربه ، فالآية « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله » يقول عندها القشيري : « نزلت حين أمر الله رسوله بقطع بعضها فقالت اليهود : أى فائدة في هذا ؟ أم الملاح قطع النخل وعقر الشجر ؟ »

فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم ، فأنزل الله تعالى الآية ، وأن ذلك بإذن الله ، وانقطع الكلام ، وفي هذا دليل على أن الشريعة غير معلقة ، وأنه إذا جاء الأمر الشرعي بطل طلب التعليل ، وسكنت الألسنة عن المطالبة : ريم ؟ وهكذا من قال لأستاذة وشيخه : لم ؟ لم يفلح ، وكل مريد يكون لأمثال هذه الخواطر في قلبه جولا لا يجرى منه شيء ، ومن لم يتجرد قلبه عن طلب الاعلال ولم يباشر حسن الرضا لكل ما يجري ، واستحسان ما يبدو من الغيب من الله — بسرّه وقلبه — فليس من الله في شيء .

وفي قوله تعالى : « إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة » يقول : « نزلت هذه الآية في أهل رجل من الجن ترك لهم بنة متنة ، وكان يتصدق منها للمساكين ، فلما ورثه أهله قالوا : لن نفعل فعله ، وأقسوا ألا يعطوا شيئا ، فأهلك الله جنهم . وندموا وتابوا » وهذه حال من له بداية حسنة ، ويجد التوفيق على التوالى ، ويجنب المماضى ، فيعوضه الله في الوقت نشاطا ، وتلوح في باطنه أحوال فإذا بدّر منه سوء دعوى ، وترك أدبا من آداب الخدمة تسد عليه تلك الأحوال ، ويقع في فترة ، فإذا حصل منه بالعبادات والفرائض إخلال اقلب حاله ، وردّ عن الوصال إلى البعاد ، ومن الاقتراب إلى الاغتراب عن الباب ، وصارت صفوة قسوة ، فإن كان له بعد ذلك توبة على ماسلف ، وندامة على ما طلت من أمره ، فقلما يصل إلى حاله ، ولكن لا يبعد أن ينظر إليه الحق بأفضاله ، فيقبله بعد ذلك ، رعاية لما سلف منه في البداية من أحواله ، فإن الله تعالى رءوف بعباده .

من مظاهر القدرة الإلهية في الكون والحياة والإنسان لا ينبى عن القشيري أن يستمد إشارات مناسبة يوجهها نحو الموضوعات الصوفية فيقول مثلاً عند « ألم تخلقكم من ماء مهين » : « مهين أى حقير ذكرهم أصل خلقهم لثلا يعجبوا بأحوالهم ، فإنه لا جنس من المخلوقات والمخلوقين أشد دعوى من بنى آدم ، ومن الواجب أن يتفكر الإنسان في أصله ،

كان نقطة وفي انتهائه إلى جيفة ، وفي وسائط حاله كنيف في قيص ، فبالجرى ألا يدل ولا يضخر . . . ثم صورته فأحسن صورته ؛ فهو قادر على أن يريقك من الأحوال الخبيسة إلى المنازل الشريفة النفيسة .

والإنسان أفضل من الجن لأن الجنان من نار ، والنار بالماء تنطفئ وتصبح دماً ولا يبعث منها شيء . أمّا الطين ( الإنسان ) فلما انكسر عاد به الماء إلى ما كان عليه ، ولذلك العدو ( إبليس ) انطلقاً ما كان يلوح عليه من سراج الطاعة ، ولكن آثم عليه السلام لما اغترَّ بجَبْرَةِ ماء العناية فقال تعالى : ثم اجْبَاهُ بِهِ .

« خلق الإنسان من طين ولكنه تعالى » يحبهم ويحبونه « خلق الإنسان من طين ولكنه تعالى » رضى الله عنهم رضوا عنه « خلق الإنسان من طين ولكنه يقول » اذكروني أذكركم « خلق الإنسان من طين ولكن : فكم أبصرت من حُسْنٍ ولكن عليك من الورى وقع اختيارى

\* \* \*

وبعد . . . فهذه أمثلة سريعة أردنا أن نقدمها لتدليل على المواقف التي يتخذها القشيري في ظلال القرآن من زوايا مختلفة وفي ظروف متنوعة ، ومن مجموع هذه المواقف يتحصل منهجه في التصوف فضلاً عن منهجه في الكلام ، وهنا نجد الإشارة إلى أنه حاول أن يحل بطريق العلم الصوفي ما عجز المتكلمون عن حله ، فحين حلَّ القلبُ محلَّ العقل ليصمد ويقصد نحو الملائ الأهل ، وأصبح الحقُّ مناط الأمل لم يعد هناك معنى لأى حديث في الجبر والاختيار والحسن والقبيح والثواب والعقاب — على النحو الذى اشتجر من حوله الخلاف بين المتكلمين . الله — في عرف هذا الصوفي وفي عرف الصوفية الخُلُص — مشهود وع محبوب لا مبود فقط ، وكلُّ كلام عن جبر الحب وعذاب الحب يسُخف ويسخف ، وهل هناك أجل من أن يعتذب الإنسان في حبه حتى يهلك ؟ ألا ما أروعها من غاية ! وما أجدر من أن يضيع العمر بين فقد ووجد ! وما أعظم أن يكون الحقُّ خُلُصاً لك عن كل حطام الدنيا وأن تكون مشاهدته بديلاً لك عن كل نعيم الجنان !

\* \* \*



بقيت مسألة هامة لا أحب أن أنهى هذا التقديم دون أن أوضّحها ، وهى قيمة هذا الكتاب من الناحية الأدبية .

والواقع أن المسألة أكثر شمولاً وأوسع أبعاداً من أن تنصرف إلى « لطائف الإشارات » وحده أو حتى إلى أعمال التشيرى كلها ، إنها اتصل بقضية أعظم هى الطريقة التى يؤخذ بها الإنتاج الصوفى عموماً ، فازلنا حتى الآن نكتفى بدراسة الأعمال الصوفية ضمن الدراسات الفلسفية والعقلية ، فالصوف فى جامعاتنا يدرس فى أقسام الفلسفة بينما لا يدرس فى أقسام اللغة العربية وآدابها ، وإذا حدث شيء من ذلك فهو ينتقل إليها بطريق أساتذة الفلسفة .

وإلى لأسائل : إلى متى يظل الحال هكذا ؟ إن الوضع مقلوب ، فالشعنتون بالأدب أولى باحتضان التصوف ، لأن الإنتاج الصوفى — فى كثير من الأحوال — درر من المنظوم والمنثور ، والصوفية أنفسهم قوم يصرحون أن مذهبهم لا يعنى بالعقل إلا فى مراحل البداية من أجل تصحيح الإيمان ، أما طريقهم بعد ذلك فوثيق الصلة بالقلب والوجدان ، فهم بذلك يقتربون من أهل الفن ويتأون عن أهل العقل ، هم فى حاجة إلى من يتدقّق أقوالهم أكثر مما هم فى حاجة إلى من يتفكر فيها ، وتجربتهم فى الفناء تدنو من تجربة الإلهام فى الفن ، ومصطلحاتهم التى وضعوها لأنفسهم تنم عن بصر نافذ فى الأسلوب العربى والاشتقاق ، وهكذا يقرض الإنتاج الصوفى نفسه على الدراسات الأدبية ، بينما للشعنتون بهذه الدراسات لا يكادون يجركون ساكناً .

وليس بمقول أن أقنع القارىء بمجوى دراسة « اللطائف » من الناحية الأدبية بواسطة هذه السطور القليلة ، فهذا له مكان آخر ، إنما قصدت لأثير قضية عامة قد يؤدى الأخذ بها إلى تصحيح كثير من المقاييس التى اتصل بالتصوف والأدب على حدّ سواء .

وفى تقديرنا أن منهج التشيرى فى استخراج الإشارة من العبارة منهج أدبى ، لأنه يعتمد على تدقيق النظرة — مفردة ومركبة — تدقّقاً يبنى على أصول من اللغة والاشتقاق والإعراب والبلاغة ، ثم إن التعبير الذى ينصح به التشيرى تعبير أدبى له خصائص الأسلوب الأدبى والصياغة الفنية ، ومعنى هذا أنه نظر للقرآن بمنظار أدبى وعبر عن نظره بطريقة أدبية ، وليس أدخل فى التفسير الأدبى من منهج كهذا ، حيث استكمل ناحيتين : أدب للفهم وأدب للفهم .

حقاً إن القرآن كتاب دين وهداية وتشريع وعلم وغير ذلك مما يمكن أن نخرج إليه للتأصيل الإنسانية تلتبس فيه زاداً ينمى للعارف، ويثرى العلوم، ويفتح مغاليق الأمور. ولكنه قبل كل ذلك معجزة فنية بهرت سامعها أول ما بهرتهم بالبيان، والنظم، والقول، فوجدوا لذلك حلاوة، وعليه طلاوة، وهم أهل لسن وفصاحة، فنحن نعلم أن المعجزة تكون من جنس معجزات المخاطبين ولكنها من حيث الدرجة أعلى قدراً وأصعب دركاً وأعز مثلاً.

نخرج من هنا إلى أن دراسة إيجاز القرآن إن أغفلت تنسب كالتلطف -- راحي فيه صاحبه أدب الفسر وأدب المنسر -- إنما تغفل عن رافد غنى من روافد الدراسات القرآنية. ويمكن أن نضرب أمثلة سريعة توضح طريقة التشييء عندما يتصدى لبعض الجواب في الأسلوب القرآني.

فن اللفظة للفردة تلبث إجماعات جميلة مؤثرة تزيد للمعنى قوة وتأكيدها؛ كأن يقول عند قوله تعالى: «بل م في شك يلعبون»: اللعب فعل يجري على غير ترتيب، تشبيهاً باللعب الذي يسيل لا على نظام مخصوص، فوصف المنافق باللعب تصويراً لتردده وتغيره وشكه في عقيدته.

والتسبيح عنده مرتبط «بالسباحة في بحار التوحيد بلا شاطئ»، فبعدما حصلوا فيها فلا خروج ولا براح فغازت أيديهم جواهر التفريد، نظموها في عقود الإيمان وورصوها في أطواق الوصلة.

والفجر «انفجار الصبح كما يتفجر الماء من الصخر».

ومن القصة تلبث إجماعات منممة؛ فريم حين خوطبت «وهزى إليك يمين النخلة»: كان ذلك الجنح ياباً أخرج الله سبحانه في الوقت الرطب الجنح، وكان ذلك آية ودلالة على أن الذي قبر على فعل هذا قادر على خلق عيسى عليه السلام من غير أب، وقد أمرت بهز النخلة اليابسة حينما جاعتها علاقة الولد بعد أن كانت لا تتسكف السعى إذ كان زكريا يدخل عليها المحراب فيجد عندها رزقا، أمرت بهز النخلة وهي في أضعف حالها زمان قرب عهدها بوضع الولد ليعلم أن العلاقة توجب المشقة والعناء، أمرت بهز النخلة اليابسة وأمكنها ذلك وهي في حال ضعفها وفي ذلك أوضح دلالة على صدقها...

وإذا ضرب القرآن مثلاً بالكلب أو الذبابة أو البعوضة أو النمل قفصت غزلها من بعد قوة ، فإن هذا التصوير القرآني الأخاذ له على وجدان القشيري الأديب وقع مؤثر ، يقول مثلاً ( . . . . . وضرب المثل بالبعوضة لأنها إذا جاعت فرت وطارت ، وإذا شبعت تمثقت وتلفت ، كذلك الإنسان ليطنى أن رآه استغنى . « وما فوقها » أى الذباب ، وجهة الإشارة في أن للذباب وقاحة حيث يعود عند البلاغ في الذب ، والله سبحانه خلق القوة في الأسد ولكنه خلق فيه النفور من الناس ، وخلق الضعف في الذباب ، ولكنه خلق فيه الوقاحة ، وتلك حكمة الله ) .

والمظاهر الكونية في القرآن مصادر إشارات لا تنهى وهي من أقوى الوسائل التي استعملها القشيري لتوضيح حقائق العلم الصوفي فالشمس والقمر ، والليل والنهار ، والجبال والبحار ، والسحب والأمطار . . . . . كلها توحى بعمان كثيرة لتوضيح الفروق الدقيقة بين الطوائف والأوامع والأوامع ، وعلم اليقين وحق اليقين ، وعلوم الإنسان العقلية والمعارف الدنية . . . . . إلى آخره .

يقول عند « كلا والقمر » : أقار العلوم إذا أخذ هلالها في الزيادة بزيادة البراهين فإنها تزداد حتى إذا صارت إلى حد التمام وبلغت الغاية تبدو أعلام المعرفة ، ثم تأخذ علوم البراهين في النقصان حين تطلع شمس المعرفة ، وكأ أن القمر كلما قرب من الشمس يزداد نقصانه حتى يصير عفاً كذلك إذا ظهر سلطان العرفان تأخذ أقار العلوم في النقصان بزيادة المعارف كالسراج في ضوء الشمس ) .

وتوقف القشيري طويلاً عند المواقف النفسية وعند الاستدلالات الوجدانية في الأسلوب القرآني فكشف الكثير من أسرار الإعجاز القرآني كما أبان عن عبقريته في التذوق الفني ، وليس ذلك غريباً بالنسبة لصوفي ذى بصيرة كاشفة ، وشاعر له حس دقيق مرهف ، وباحث متعمق في أغوار النفس البشرية ، وأديب يحسن التعبير عما يذوق ويمجد .

فصنا الله بعله ويركته ما

دكتور إبراهيم بسيوني

نرمز للنسخة السوفيتية المصورة بالحرف (ص)

ونرمز للنسخة المصرية بالحرف ( م )

ونرمز الرسالة التشريعية ط الحلبي سنة ١٩٥٩ (بالرسالة)





رَبِّ يَسِّرْ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرح قلوب أوليائه عرفاته ، وأوضح نهج الحق بلامع برهانه ، لمن أراد طريقه ، وأتاح البصيرة لمن ابتغى تحقيقه ، وأنزل الفرقان هدى وتبiana ، على صفيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله - معجزة وبيان ، وأودع صدور العلماء معرفته وتأويله ، وأكرمهم بعلم قصصه ونزوله ، ورزقهم الإيمان بحكايه ومتشابه وناسخه ، ووعدوه ووعديه ، وأكرم الأصفياء من عباده بفهم ما أودعه من لطائف أسرارهِ وأند ( واره ) لاستبصار ماضيه من دقيق إشاراته ، وخفي رموزه ، بما لوح لأسرارهم من مكنونات ، فوقفوا بما خُصوا به من أنوار الغيب على ما استتر عن أغيارهم ، ثم نقطوا على مراتبهم وأقدارهم ، والحق سبحانه وتعالى يلهمهم بما به يكرمهم ، فهم به عنه ناطقون وعن لطائفه مخبرون<sup>(١)</sup> وإليه يشيرون ، وعنه يفصحون ، والحكمُ إليه في جميع ما يأتون به وينزلون .

قال الإمام جمال الإسلام أبو القاسم القشيري رحمه الله : وكتابتنا هذا يأتي على ذكر طرف من إشارات القرآن<sup>(٢)</sup> على لسان أهل المعرفة ، إما من معاني مقولهم ، أو قضايا أصولهم ، سلكتنا فيه طريق الإقلا ( ل ) خشية الملل ، مستمدين من الله تعالى عوائد اللذة ، متبرئين من الحول واللذة<sup>(٣)</sup> مستعصين من الخطأ والغلل ، مستوفقين لأصوب القول والعمل ، ملتزمين أن يصلوا على سيدنا محمد صلى الله عليه و ( سلم ) ، ليختم لنا بالحقى بمنه وأفضاله . ويسر الأخذ

(١) وردت في س ( مخبرون ) والبيان لا يتطلبها .

(٢) ما تحت خط هو تنكية اعتمادنا في إثباتها هنا على ما جاء في ( تذكرة النوادر ) التي اقتبست بضع فقرات رجوعاً إل نسخة أخرى .

(٣) السُّنة بضم الميم القوة .

في ابتداء هذا الكتاب في شهور سنة أربع وثلاثين وأربعمائة<sup>(١)</sup> ، وعلى الله إتساعه .  
إن شاء الله تعالى عز وجل .

## سورة فاتحة الكتاب .

هذه السورة بدا (ية) الكتاب ، ومفاتيح الأحباب بالطلاب والكتاب منه أجل<sup>٢</sup>  
النعمى ، وأكرم الحسنى إذ هي ( . . . )<sup>(٣)</sup> وابتداء وفي مناه قيل .

أفديك بل أيام دهرى كلها تفدين أياماً ( . . . . . )  
سقياً لمهدك الذى لو لم يكن ما كان قلبى للصباية مهدياً<sup>(٤)</sup>

ولقد كان صلى الله عليه وسلم غير مُرْتَقِبٍ لهذا الشأن ، وما كان هذا الحديث منه على  
بال ، وحينما نزل عليه جبريل صلوات الله عليه وسلامه أخذ في الفرار ، وآثر التباعد لهذا  
الامر آوى ( . . . ) قائلاً : ذرونى ذرونى ، زملوى زملوى ، وكان يتحنث في جراه ، ويخلو  
هنالك ( . . . ) فجأة ، وصادفته القصة بفتنة كما قيل :

أتانى هروها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبى فارغاً فتمكناً<sup>(٥)</sup>

وكان صلوات الله عليه وسلم رضى بأن يقال له أجبر خديجة ولكن (الحق سبحانه وتعالى  
أراد أن يكون سيد الأولين والآخرين حيث قال . « يس والقرآن الحكيم » ) ( رفعه إلى )  
أشرف المنازل وإن لم يسم إليه بطرف التأمل سنة منه تعالى وقُدُس ( . . . ) إلا عند من  
تقاصرت الأوهام عن استحقاقه ، ولذلك ما قصوا العجب من شأنه ( . . . ) ينم أبى طالب

(١) اعتمدنا في استكمال وفي الأحاد والشرحات من السنة على ( تذكرة النوادر ) حيث سقط في م .  
وبهذا يبطل قول صاحب كشف الظنون ( المجلد الثاني م ١٥٥١ ) بأن القشيري ألف القلطاب قبل  
عام ٤١٠ ، ويبدو أن الأمر قد التبس على حاجي خليفة فظن تاريخ تأليف « التيسير في التفسير » هو  
تاريخ تأليف « الطلائع » .

(٢) ما بين الأقواس المرغفة ساقط في م ومن حسن الحظ أن السقوط الكثير على هذا النحو لا يتكرر  
بعد الورقتين الأولى والثانية من ( م ) .

(٣) اعتمدنا في نسخة البيت على هذا النحو على وروده في ( م ) كاملاً عند تفسير سورة الحديد .

(٤) للشرط الثاني من البيت ناقص في ( م ) ومكمل في ( م ) عند تفسير آية : علم القرآن من سورة الرحمن

(٥) زيادة أضافها ليستقيم المعنى .



من بين البرية ، ولقد كان صلوات الله عليه وسلم في سابق ( عليه ) سبحانه وتعالى مقدماً على الكافة من أشكاله وأضرابه ، وفي معناه قيل :

هنا ( . . . ) أطلو وكان في فقر من السيار  
آثرُ عندي ( بالإكبار ) من أخى ( ومن ) جرى  
وصاحب الفرم ( والدينار ) فإن صاحب الأمر مع الإكثار<sup>(١)</sup>

ولقد كان صلى الله عليه وسلم قبل النبوة حيد الشأن ، ( عمود ) الذكر ، مدوح الإسم ، أميناً لكل واحد . وكانوا يسمونه محمداً الأمين ، ولكن ( الكافرين ) ( . . . ) حالته ، بدّلوا اسمه ، وحرّفوا وصفه ، وهجّجوا ذكره ، فواحد كان يقول ساحر وآخر يقول ( . . . ) وثالث يقول كاذب ، ورابع يقول شاعر :

أشاعوا لنا في الحى أشنع قصة وكانوا لنا سلفاً فصاروا لنا حرباً

وهكذا صفة النُجَب ، لا ينفك عن اللام ولكن كما قيل  
أجد الملازمة في هواك لذينة حباً قد كرك فليكني اليوم<sup>(٢)</sup>

وماذا عليه من قبيح قاله ( من ) يقول ، ( والحق سبحانه يقول ) : « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك » أى استمع إلى ما يقال فيك بحسن الثناء علينا . [ فصل ] ونسى هذه السورة أيضاً أم الكتاب ، وأم الشيء أصله ، وإمام كل شيء مقدمه . وهذه السورة لما تشتمل عليه من الأمر بالعبودية ، والثناء على الله بحمال الزبونية ، ثم<sup>(٣)</sup> كمالها من الفضائل — لا تصح الفرائض إلا بها . وقوله صلى الله عليه وسلم مخبراً عنه سبحانه وتعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين » يعنى قراءة هذه السورة ، فصارت أم الكتاب ، وأصلاً لما تنبئ عليه من لطائف الكرامات وبدائع التقريب والإيجاب .

(١) أشاع الياض الذى في الصورة كثيراً من ألفاظ هذه الآيات فلو أننا إضافة بنى الألفاظ . وإن كان وزن الشعر ما زال هير سليم .

(٢) وودت خطأ في (س) : فليكني اليوم .

(٣) لا نستبعد أن تكون في الأصل ( ثم ) كمالها ...

قوله جل ذكره : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الباء في «بسم الله» معرف التضمين ؛ أي بالله ظهرت الحادثات ، وبه وجدت المخلوقات ، فما من حادث مخلوق ، وحاصل منسوق ، من عين وأثر وغير ، وغير من حجر ومدر ، ونجم وشجر ، ورسم وظلل ، وحكم وعمل — إلا بالخلق وجوده ، والخلق ملكه ، ومن الحق بدؤه ، وإلى الحق عوده ، فبه وَجَدَ مَنْ وَجَدَ ، وبه جحد من أُلِدَ<sup>(١)</sup> ، وبه عرف من اعترف ، وبه تخلف من اقرنف .

وقال «بسم الله» ولم يقل بالله على وجه التبرك بذكر اسمه عند قوم ، وللفرق بين هذا وبين القسم عند الآخرين ، ولأن الاسم هو المسمى عند العلماء ، ولا منصفاه القلوب من الملائق ولا مستخلص الأسرار عن العوائق عند أهل العرفان ، ليسكون ورود قوله «الله» على قلب مُتَّقٍ وسِرِّ مُصَفٍّ . وقوم عند ذكر هذه الآية يذكرون من الباء (بره)<sup>(٢)</sup> بأوليائه ومن السين سره مع أصفياه ومن الميم منه على أهل ولايته ، فيعلمون أنهم يبره عرفوا سره ، ويمنته عليهم خففتوا أسرهم ، وبه سبحانه وتعالى عرفوا قدره . وقوم عند سماع بسم الله تذكروا بالباء براءة الله سبحانه وتعالى من كل سوء ، وبالسين<sup>(٣)</sup> سلامته سبحانه عن كل عيب ، وبالميم مجده سبحانه بجز وصفه ، وآخرون يذكرون عند الباء بهاءه ، وعند السين سناؤه ، وعند الليم ملكه ، فلما أعاد الله سبحانه وتعالى هذه الآية أعنى بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وثبت أنها منها أردنا أن نذكر في كل سورة من إشارات هذه الآية<sup>(٤)</sup> كلمات غير مكروهة<sup>(٥)</sup> ، وإشارات غير معادة ، فذلك نستقصي القول ها هنا وبه الثقة .

(١) وردت في س (الحد) .

(٢) سقطت في س وأثبتناها لأن ما بعدها يدل عليها .

(٣) وردت في س (السين) .

(٤) من هنا ندرك أن التشيخي يمتزج السمة قرآنا خلافاً لمن يدونها من فيل الاستفتاح والتبرك ، فتبدأ بها القراءة كما 'يُقال (أنظر المقي لفتاوى عبد الجبار ص ١١ ط وزارة الثقافة سلسلة زائنا ص ١٦١) .

(٥) من هنا وما نظم من مذهب التشيخي نراه لا يستند في فكرة التكرار في القرآن لأن التكرار ألبق بالمخولتين ولأسباب أخرى لا عمل لها هنا .

حقيقة الحمد الثناء على المحمود ، بذكر نعمته الجليلة وأفضاله الجليلة ، واللام هنا الجنس ، ومقتضاها الاستفراق ؛ فجميع المحامد لله سبحانه إما وصفاً وإما خلقاً ، فله الحمد لظهور سلطانه ، وله الشكر لوفور إحسانه . والحمد لله لاستحقاقه لجلاله وجهاله ، والشكر لله لجزيل نواله وعزیز أفضاله ، فحمد سبحانه له هو من صفات كماله وحوله ، وحمد الخلق له على إنعامه وطوليه ، وجلاله وجهاله استحقاقه لصفات العلو ، واستيجابه لنعوت العز والسمو ، فله الوجود (قدرة)<sup>(١)</sup> القديم ، وله الجود الكريم ، وله الثبوت الأبدى ، والكون الصمدى ، والبقاء الأزلى ، والبهاء الأبدى ، والثناء الديموى ، وله السمع والبصر ، والقضاء والقدر ، والكلام والتول ، والمزة والطول ، والرحمة والجود ، والعين والوجه والجلال ، والقدرة والجلال ، وهو الواحد للشمال ، كبرياؤه رذاؤه ، وعلاؤه سناؤه ، ومجده عزه ، وكونه ذاته ، وأزله أبده ، وقدمه سرمده ، وحقه يقينه ، وثبوتة عينه ، ودوامه بقاءه ، وقدره قضاؤه ، وجلاله جماله ، ونهيه أمره ، وغضبه رحمته ، وإرادته مشيئته ، وهو لللك يجبروته ، والأحد فى ملكوته . تبارك الله سبحانه ! فسبحانه ما أعظم شأنه !

[ فصل ] علم الحق سبحانه وتعالى شدة إرادته أولياته بمجده وثنائه ، وعجزهم عن القيام بحق مدحه على مقتضى عزه وسنائه فأخبرهم أنه تجد نفسه بما اقتنع به خطابه بقوله : « الحمد لله » فانتشوا بعد الذلة ، وعاشوا بعد الخمود ، واستقلت أسرارهم بكمال التنمى حيث سمعوا ثناء الحق عن الحق بخطاب الحق ، فنطقوا ببيان الرمز على قضية الأشكال . وقالوا :

ولو جهها من وجهها قر ولينها من عينها كحل

هذا خطيب الأولين والآخرين ، سيد النصحاء ، وإمام البلغاء ، لما سمع حمده لنفسه ، ومدحه سبحانه لحقه ، علم النبي أن قلصر اللسان أليق به فى هذه الحالة فقال : « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

داوود لو سمعت أذناه قالتها لما ترتم بالألحان داوود  
غنت سعاد بصوتها فتناذلت ألحان داوود من الغجل

(١) هذه كلمة زائدة يمكن الاستثناء عنها ، ويرجح ذلك نظم الأسلوب وسياق المتن ، أو ربما كانت (قدرة).

[فصل] وتتفاوت طبقات الحامدين لتباينهم فى أحوالهم ؛ فطائفة حمدوه على ما نالوا من إنعامه وإكرامه من نوعى صفة فقهه ودفعه ، وإزاحته وإتاحته ، وما عقّلوا عنه من إحسانه بهم أكثره ما عرفوا من أفضاله معهم قال جل ذكره : « وإن تمدوا نعمة الله لا تحصوها » ، وطائفة حمدوه على ملاح لتلويهم من عجائب لطائفه ، وأودع سرائرم من مكنونات بره ، وكشف أسرارهم به من خفى غيبه ، وأفرد أرواحهم به من بواده مواجده . وقوم حمدوه عند شهود ما كاشفهم به من صفات القدم ، ولم يردوا من ملاحظة الزوال والكرم إلى تصفح أقسام النعم ، وتأمل خصائص القسم ، و ( فرق بين )<sup>(١)</sup> من يمدحه بمنزلة جلاله وبين من يشكره على وجود أفضاله ، كما قال قائمهم :

وما الفقر عن أرض المشيرة ساقنا ولكننا جئنا بلقياك نسعد

وقوم حمدوه مُسْتَهْكِكِينَ عنهم فيها استنطقوا من عبارات تحميده ، بما اصطلم أسرارهم من حقائق توحيده ، فهم به منه يعبّرون ، ومنه إليه يشيرون ، يُبهرى عليهم أحكام التصريف ، وظواهرهم<sup>(٢)</sup> بنمت التفرقة مرعية ، وأمزجهم مأخوذة بحكم جمع<sup>(٣)</sup> الجمع ، كما قالوا :

بيان بيان الحق أنت بيانه وكل مائى الغيب أنت لسانه

قوله جل ذكره : ﴿ رب العالمين ﴾

الرب هو السيد ، والعالمون جميع المخلوقات ، واختصاص هذا الجمع بلفظ العالمين لاشتماله على العقلاء والجمادات فهو مالك الأعيان ومُنشِئها ، ومُوجد الرسوم والديار بما فيها . ويدل اسم الرب أيضاً على تربية الخلق ، فهو مُربّ نفوس العابدين بالتأييد ومربّ قلوب الطالبين بالتسديد ، ومربّ أرواح العارفين بالتوحيد ، وهو مربّ الأشباح بوجود النعم ، ومربّ الأرواح بشهود الكرم .

ويدل اسم الرب أيضاً على إصلاحه لأمر عباده من ربيت المديم أربه ؛ فهو مصلح أمور الزاهدين بجميل رعايته ، ومصلح أمور العابدين بحسن كفايته ، ومصلح أمور الراجدين

(١) وردت ( وفر ... ) ثم بعدما يباين فأكتنما على هذا النحو لئيم الحق .

(٢) وردت ( وظاهرهم ) ولكن السياق يقتضى ما أثبتناه .

(٣) وردت ( جميع الجمع ) ولكن الاصطلاح الصواب هو جمع الجمع وهو درجة فوق الجمع وجميع الجمع هو الاستهلاك بالكلفة وفناء الإحساس بما سوى الله ( رسالة القشبرى ط سنة ١٩٥٩ ص ٣٩ ) .

بقدم عنايته ، أصلح أمور قوم فاستنقوا بطلانه ، وأصلح أمور آخرين فاستنقوا لقائه ،  
وثالث أصلح أمورهم فاستقاموا لقائه ، قال فانهم :

ما دام عزك مسوداً طوالهم فلا بألى أعشى الناس أم فقدوا

قوله جل ذكره : ﴿الرحمن الرحيم﴾

ايمان مشتقان من الرحمة ، والرحمة صفة أزلية وهي إرادة النعمة وهما ايمان موضوعان  
للنبالة ولا فضل بينهما عند أهل التحقيق .

وقيل الرحمن أشد مبالغة وأتم في الإفادة ، وغير الحق سبحانه لا يسمى بالرحمن على الإطلاق ،  
والرحيم ينعت به غيره ، ويرحمته عرف العبد أنه الرحمن ، ولولا رحمته لما عرف أحد أنه الرحمن ،  
وإذا كانت الرحمة لإرادة النعمة ، أو قس النعمة كما هي ( عند قوم فالتم في أنفسها مختلفة ،  
ومراتبها متفاوتة فتعنى هي )<sup>(١)</sup> نعمة الأشباح والظواهر ، ونعمة هي نعمة الأرواح والسرائر .

وعلى طريقة من فرق بينهما فالرحمن خاص الاسم عام للمنى ، والرحيم عام الاسم خاص  
للمنى ؛ فلأنه الرحمن رزق الجميع ما فيه راحة ظواهرهم ، ولأنه الرحيم وفق المؤمنين لما به  
حياة سرائرهم ، فالرحمن بما رزق ، والرحيم بما رزق ؛ فالرزق بالسيار ، والتلويح بالأنوار ؛  
والرحمن بكشف تحجيلي والرحيم بلفظ تولي ، والرحمن بما أولى من الإيمان والرحيم  
بما أسدى<sup>(٢)</sup> من العرفان ، والرحمن بما أعطى من العرفان والرحيم بما تولى من العرفان ،  
بل الرحمن بما ينم به من العرفان والرحيم بما يمن به من الرضوان ، بل الرحمن بما يكتم به  
والرحيم بما ينم به من الرؤية والبيان ، بل الرحمن بما يوفق ، والرحيم بما يحقق ، والتوفيق  
للمعاملات ، والتحقيق للمواصلات ، فالمعاملات للقاصدين ، والمواصلات للواجدين ، والرحمن  
بما يصنع لهم والرحيم بما يدفع عنهم ؛ فالصنع بمجيب الرعاية والدفع بمحسن العناية .

قوله جل ذكره : ﴿مالك يوم الدين﴾

للمالك من له الملك ، ومالك الحق سبحانه وتعالى قدرته على الإبداع ،  
فمالك مبالغة من المالك وهو سبحانه الملك المالك ، وله الملك . وكلا لا إله إلا هو  
فلا قادر على الإبداع إلا هو ، فهو يألئته منوحد ، ويملكه منفرد ، ملك نفوس  
الماعدين فصرفها في خدمته ، وملك قلوب المارقين فصرفها بمرقته ، وملك نفوس القاصدين

(١) تسكئة في الهامش استلوك بها التناسخ فائتباطا في موضحا .

(٢) وردت (أسرى) والأصح (أسدى) .

فَتَبَّيْهَا ، وَمَلَكَ قُلُوبَ الرَّاجِدِينَ فِيْهَا . مَلَكَ أَشْبَاحَ مِنْ عِبَادِهِ فَلَاظِفَهَا بِنَوَالِهِ وَأَفْضَالِهِ ، وَمَلَكَ أَرْوَاحَ مَنْ أَحْبَبَهُ ( . . . )<sup>(١)</sup> فَكَشَفْنَا بِنِعْمَتِ جَلَالِهِ ، وَوَصَفَ جَمَالِهِ . مَلَكَ زَمَانَ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ فَصَرَفَهُمْ حَيْثُ شَاءَ عَلَى مَا شَاءَ وَوَقَّفَهُمْ حَيْثُ شَاءَ عَلَى مَا شَاءَ كَمَا شَاءَ ، وَلَمْ يَكَلِّمْهُمْ إِلَّا بِمِثْلِ لُحْظَةٍ ، وَلَا مَلَكَهُمْ مِنْ أَمْرٍ سِنَّةً وَلَا خُطْرَةً ، وَكَانَ لَمْ عَنْهُمْ ، وَأَفْزَاؤُهُمْ لَهُ مِنْهُمْ<sup>(٢)</sup> .

[ فَصْل ] مَلَكَ قُلُوبَ الْعَابِدِينَ إِحْسَانَهُ فَعَلِمُوا فِي عَطَائِهِ ، وَمَلَكَ قُلُوبَ الْمُوَحِّدِينَ سُلْطَانَهُ فَقَنَعُوا بِبَقَائِهِ . عَرَفَ أَرْبَابَ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ مَالِكُهُمْ فَسَقَطَ عَنْهُمْ اخْتِيَارُهُمْ ، عَلِمُوا أَنَّ الْعَبْدَ لَا مَلَكَ لَهُ ، وَمَنْ لَا مَلَكَ لَهُ لَا حُكْمَ لَهُ ، وَمَنْ لَا حُكْمَ لَهُ لَا اخْتِيَارَ لَهُ ، فَلَا لَمْ عَنْ طَاعَتِهِ إِمْرَاضَ وَلَا عَلَى حُكْمِهِ اعْتِرَاضَ ، وَلَا فِي اخْتِيَارِهِ مَعَارِضَ ، وَلَا لِحُفَافَتِهِ تَمَرُّضَ ، « وَيَوْمَ الدِّينِ » . يَوْمُ الْجَزَاءِ وَالنَّشْرِ ، وَيَوْمُ الْحِسَابِ وَالْحُشْرِ — اَلْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَجْزِي كُلًّا بِمَا يَرِيدُ ، فَخَيْرٌ بَيْنَ مَقْبُولِ يَوْمِ الْحُشْرِ بِفَضْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَفْعَلُهُمْ ، وَمَنْ بَيْنَ مَرْدُودٍ بِحُكْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَجْزِيهِمْ . فَأَمَّا الْأَعْدَاءُ فَيَحْسَبُهُمْ ثُمَّ يَعْذِبُهُمْ وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَيَمَاتِبُهُمْ ثُمَّ يَقْرِبُهُمْ :

قَوْمٌ إِذَا غَفَرُوا بَنَى جَادُوا بِسُقَى رَقَابَتِهِ

قَوْلُهُ جَلْ ذَكَرَهُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ لَسْتَعِينُ ﴾

مَعْنَاهُ نَعْبُدُكَ وَلَسْتَعِينُ بِكَ . وَالْإِبْتِدَاءُ يَذْكُرُ الْمَبْدُودَ أَمُّهُ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ بِذِكْرِ صِفَتِهِ — الَّتِي هِيَ عِبَادَتُهُ وَاسْتِعَانَتُهُ ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ أَجْزَلُ فِي اللفظِ ، وَأَعْنَبُ فِي السَّمْعِ . وَالْعِبَادَةُ الْإِيتِيَانُ بِغَايَةِ مَا فِي (بَابِهَا)<sup>(٣)</sup> مِنَ الْخُضُوعِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِمُوَاقَعَةِ الْأَمْرِ ، وَالْوُقُوفُ حَيْثَا وَقَفَ الشَّرْعُ . وَالِاسْتِعَانَةُ طَلَبُ الْإِعَاذَةِ مِنَ الْحَقِّ .

وَالْعِبَادَةُ تَشِيرُ إِلَى يَدْلِ الْجُهْدِ وَالسُّتَّةِ ، وَالِاسْتِعَانَةُ تَخْبِرُ عَنْ اسْتِجْلَابِ الطُّولِ وَالْمُنَّةِ ، فَبِالْعِبَادَةِ يَنْظُرُ شَرَفُ الْعَبْدِ ، وَبِالِاسْتِعَانَةِ يَحْصُلُ الْطُفُّ لِلْعَبْدِ . فِي الْعِبَادَةِ وَجُودُ شَرَفِهِ ، وَبِالِاسْتِعَانَةِ أَمَانُ تَلَفِهِ . وَالْعِبَادَةُ ظَاهِرُهَا تَذَلُّلٌ ، وَحَقِيقَتُهَا تَمَرُّزٌ وَتَحَمُّلٌ :

وَإِذَا تَذَلَّتِ الرُّقَبُ تَقَرَّبَا مِنَّا إِلَيْكَ ، فَزُرْهَا فِي ذُلِّهَا

(١) مُشْتَبِهَةٌ لِي س ، وَوَرَعًا كَانَتْ ( وَأَحْبَبَهُ )  
(٢) ( لَ ) هَذَا مَتَابَعًا لِأَجْلِ أَيْ أَنَّهُ أَفْزَاؤُهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِأَجْلِ لِيَقُولُوا بِهِ ، وَكُلَّ الْأَسْمَاءِ أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةَ :  
وَأَفْزَاؤُهُمْ مِنْهُمْ لَهُ وَلَكِنْ حَرَسَ الْمُصَنِّفُ عَلَى مِرَاعَةِ الْأَنْجَامِ بَيْنَ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ .  
(٣) وَرَدَتْ ( بَابُهَا )

وفي معناه :

حين أسلَمتَني لقالٍ ولام أَلتيتني في عينِ وزاى<sup>(١)</sup>

[ فصل ] العبادة نزهة القاصدين<sup>(٢)</sup> ، ومستروح الريدين ، ومرجع الألس للمعنيين ، ومرجع البهجة للعارفين ، بها قرّةُ أعينهم ، وفيها مسرة قلوبهم ، ومنها راحة أرواحهم . وإليه<sup>(٣)</sup> أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : أرِحنا بها يا بلال . ولقد قال مخلوق في مخلوق :

يا قوم ثارى عند أسمى يعرفه السامع والرائى  
لا تدعى إلا يساعدها فإنه أصدق أسمى

والاستماتة إجلالك لتعوت كرمه ، ونزلك بساحة جوده ، وتسليك إلى يد حكمه ، فتقصده بأمل فسيح ، وتخطو إليه بخطو وسيع ، وتأمل فيه برجله قوى<sup>(٤)</sup> ، وتثق بكرم أزلّ ، وتشكل على اختيار سابق ، وتمتص بسبب جوده (غير ضعف)<sup>(٥)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾

الهداية الإرشاد ، وأصلها الإمامة ، والمهدى من عرف الحق سبحانه ، وآثر رضاه ، وآمن به . والأمر في هذه الآية مضمّر ، فنعنا . اهدنا بنا<sup>(٦)</sup> — والمؤمنون على الهداية في الحال — فعنى السؤال الاستدانة والاستزادة . والصراط المستقيم الطريق الحق وهو ما عليه أهل التوحيد . ومعنى اهدنا أى ملّ بنا إليك ، وخُذنا لك ، وكُن علينا دليلنا ، ويُسّرْ إليك سبيلنا ، وأتم لنا همنا ، واجمع بك همونا .

[ فصل ] اقطع أسرارنا عن شهود الأغيار ، ولوّس في قلوبنا طوابع الأنوار ، وأفرد

(١) وردت ( و زار ) (٢) وردت ( القاصرين ) (٣) أى وإلى ذلك أشار

(٤) وردت ( قوى ) ومعنى غير مناسبة للمعنى .

(٥) إما أن تكون زائدة أو يتصاحف الجر في فتكون ( لى غير ضيف ) أو تكون ( غير متعبد ) أساس البلاغة ص ٥٦٣ أى غير متكرر بالأسباب لجلب المال .

(٦) ويكون المعنى على هذا أتم فينا ما يجتئنا ننتدى به إليك ، ولكن ترجع أن يكون قد وقع خطأ من الناسخ وأن الأصل ( اهدنا بك ) لأن ذلك يتفق مع مذهب القشيري وغيره من الصوفية حيث يعتبرون كل شيء يقع من البعد مرده إلى الحق سبحانه ، فلا قفرة للبعد — وحده — على معرفة الله ، ولا على الاهتمام إليه ، وتدل الدلائل فيما بعد على ذلك مثل قوله ( فتجذب بك ) . وأما أن يكون الأصل ( اهدر بنا ) أى — كما جاء فيها بعد — ملّ بنا .

قصودنا إليك عن دَکس الآثار ، ورقنّا عن منازل الطلب والاستدلال إلى نجع ساحات القرب والوصال .

[ فصل ] حلّ بيننا وبين مساكنة<sup>(١)</sup> الأمثال والأشكال ، بما تلاطفنا به من وجود الوصال ، وتكاشفنا به من شهود الجلال والجلال .

[ فصل ] أرشدنا إلى الحق لثلا تنكّل على سائط الممالات ، ويقع على وجه التوحيد غبار الظنون وحسبان الإللال .

\* اهدنا الصراط المستقيم أي: أزلّ عنا ظلمات أحوالنا لتستضيء<sup>(٢)</sup> بأنوار قدّيك عن التفيؤ بظلال طلبنا ، وارفع عنا ظل جهدنا لنستبصر بنجوم جودك ، فنجدك بك .

[ فصل ] اهدنا الصراط المستقيم حتى لا يصحبنا قرين من نزغات الشيطان ووساوسه ، ورفيق من خطرات النفوس وهو اجسها ، أو يصدنا عن الوصول ترميج في أوطان التقليد ، أو يحول بيننا وبين الاستبصار ركون لى معتاد من التلقين ، وتسهوينا آفة من نشو أوهوادة ، وظن أو عادة ، وكل أو ضعف لإرادة ، وطمع مالى أو استراذة .

[ فصل ] الصراط المستقيم ما عليه من الكتاب والسنة دليل ، وليس للبدعة عليه سلطان ولا إليه سبيل . الصراط المستقيم ما شهدت بصحته دلائل التوحيد ، ونهبت عليه شواهد التحقيق . الصراط المستقيم ما درجّ عليه سلف الأمة ، ونطقت بصوابه دلائل العبرة . الصراط المستقيم ما بين المخلوط صالكة وفارق<sup>(٣)</sup> الحقوق قاصده . الصراط المستقيم ما يفيض بسالكه إلى ساحة التوحيد ، ويشهد صاحبه أثر العناية والجود ، لثلا يظنه موجب (ينذل)<sup>(٤)</sup> المجهود .

(١) وردت ( ساكنة ) والأصح بالميم فقد جاءت كذلك في مواضع كثيرة أخرى .

(٢) وردت خطأ ( لتستضيء ) .

(٣) وردت ( وفارق ) في ص ، والأصح أن تكون بالقاف ؛ فالمخلوط للبعد والمفوق للحق .

(٤) وردت ( ينذل ) بدون ياء والأقوى في رأينا أن تكون بالياء وأن نقرأ موجب بفتح الميم أى مستقيم ، وبذلك يتضح موقف القشيري من قضية هامة وهى : هل يجب طاعة أن يبب المطيع ؟ ولا يرى القشيري هنا الوجوب لأنه يربط كل عمل للبعد بالنهاية الإلهية للمجهود الإنسانى . وقد صدق الرسول (ص) حين قال : « ما منكم من أحد ينجي عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتخذنى الله رجلاً » .



قوله جل ذكره : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾

يعنى طريق من أنعمت عليهم بالمداية إلى الصراط المستقيم ، وهم الأولياء والأصفياء .  
ويقال طريق من ( أفئتهم )<sup>(١)</sup> عنهم ، وأفئتهم بك لك ، حق لم يقفوا فى الطريق ، ولم تصدم  
عنك خفايا المسكر . ويقال صراط من أنعمت عليهم بالقيام بحقوقك دون التعرّيج على  
استجلاب حظوظهم .

ويقال صراط من ( ملهتهم )<sup>(٢)</sup> عن آثارهم حتى وصلوا إليك بك .

ويقال صراط من أنعمت عليهم حتى تحرروا من مكائد الشيطان ، ومغاليط<sup>(٣)</sup> النفوس  
ومخائيل الظنون ، وحسابات الوصول قبل خمود آثار البشر (ية) .

ويقال صراط من أنعمت عليهم بالنظر والاستماعة بك ، والتبرى من الحول والقوة ،  
وشهود ماسبق لهم من السعادة فى سابق الاختيار ، والعلم بتوحيدك فيما تخضيه من المسار والمضار .

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بحفظ الأدب فى أوقات الخدمة ، واستثمار نعم الهيبة .

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بأن حفظت عليهم آداب الشريعة وأحكامها عند  
غلبات (يواده)<sup>(٤)</sup> الحقائق حتى لم يخرجوا عن حد العلم ، ولم يُخلوا بشيء من أحكام الشريعة .  
ويقال صراط الذين أنعمت عليهم حتى لم تطفئ شمسُ معارفهم أنوارَ ورعهم ولم يضيّعوا شيئاً  
من أحكام الشرع<sup>(٥)</sup> .

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بالعبودية عند ظهور سلطان الحقيقة .

قوله جل ذكره : ﴿ غير المنضوب عليهم ولا الضالين ﴾

(١) وردت (ظهرتهم) فى س

(٢) وردت (يواد)

(٣) وردت (أفئتهم) فى س

(٤) وردت (مغاليط) فى س

(٥) تلاحظ أن التشبى يلى كثيراً على التزام آداب الشريعة مهما جلبت على العبد سطورة الانحياز ،  
واستلبه سلطان الغناء ، وبمحن هنا أن نشير إلى اصطلاح فى مذهب التشبى وهو الفرق الثانى وهو حالة  
مزوجة يرد عندها العبد إلى الصغر لى يزدى ما يجب عليه من الفرائض فى أوقاتها ، ويكون رجوعه قد  
باقه (انظر الرسالة التبشيرية س ٣٩) .

المضروب عليهم الذين صدتهم هواجم الغفلاق<sup>(١)</sup> ، وأدركتهم مصائب الحرمان ،  
وركبهم سطوة الرد ، وغلبتهم بؤاده الصد والطرد .

ويقال هم الذين لحقهم ذل الهوان ، وأصابهم<sup>(٢)</sup> سوء الخسران ، فشطوا في الحال باجتلاب  
الخطوط — وهو في التحقيق ( شقاء ) ؛ إذ يحسبون أنهم على شوء ، ولحق في شقايم سر .  
ويقال هم الذين أنسوا بنفحات التفریب زماناً ثم أظهر الحق صبحانه في بايهم شانا ؛ بدّلوا  
بالوصول بعبادا ، وطمعوا في القرب فلم يجدوا مرادا ، أولئك الذين ضلّ سعيهم ، وخاب ظنهم .  
ويقال غير المضروب عليهم بنسيان التوفيق ، والتعاضى عن رؤية التأييد . ولا الضالين  
عن شهود سابق الاختيار ، وجريان التصاريف والأقدار .

ويقال غير للمضروب عليهم بتضييعهم آداب الخدمة ، وتقصيرهم في أداء شروط الطاعة .  
ويقال غير المضروب عليهم هم الذين تقطعوا في مفاوز النبوة ، وتفرقت بهم الهوم  
في أودية وجوه الحسيان .

[ فصل ] ويقول المبد عند قراءة هذه السورة آمين ، والتأمين سنة ، ومعناه يلرب افضل  
واسنجب ، وكأنه يستدعى بهذه القالة التوفيق للأعمال ، وللتحقيق للآمال ، وتحيط رجله  
بساحات الافتقار ، ويناجى حضرة الكرم بلسان الانهال ، ويتوسل ( بتبريه )<sup>(٣)</sup> عن الحول  
والطاقة والمثنة والاستطاعة إلى حضرة الجود . وإن أقوى وسيلة للفقير تعلقه بدوام الاستعانة  
لنحققه بصديق الاستغاثة .

السورة التي تذكر فيها البقرة . . قوله تعالى :

### بسم الله الرحمن الرحيم

الاسم مشتق من السمو والسمة ، فسيل من يذكر هذا الاسم أن يتم بظاهرة بأنواع  
المجاهدات ، ويسمو بهمه إلى تحال المشاهدات . فمن عدم ثمة المعاملات على ظاهرة ، وفقد

(١) يقول الفشري في الرسالة ( ومنهم من تغيرم البواده وتصرفه الهواجم ، ومنهم من يكون فوق  
ما يجيؤه حالا ووقفاً .. أولئك هم سادات الوقت ) ص ٤٤ .

(٢) وردت ( أحياهم ) . (٣) وردت ( ببريه ) والصواب ( بتبريه ) .

سَمُوْهُ الْهَيْئَةُ لِلْمَوَاصِلَاتِ بِسَرَائِرِهِ لَمْ يَجِدْ لَطَائِفَ الذِّكْرِ عِنْدَ قَائِلِهِ ، وَلَا كِرَامِ الْقُرْبِ فِي مَعْنَاهُ حَالَتِهِ .

[ فصل ] معنى الله : الذى له الإلهية ، والإلهية استحقاق نموت الجلال . فعنى يسم الله : باسم من تفرَّد بالقُوَّةِ والقُدْرَةِ . الرحمن الرحيم من تَوَحَّدَ في ابتداء الفضل والنصرة . فسماح الإلهية يُوجِبُ الهَيْئَةَ والاصْطِلَامَ ، وسماح الرحمة يُوجِبُ القَرِيَّةَ والإِكْرَامَ . وَكُلُّ مَنْ لَاحَظَهُ الْحَقُّ سَبَّحَانَهُ عِنْدَ سَمَاعِ هَذِهِ الْآيَةِ رَدَّهُ بَيْنَ مَحْوَ وَمَحْوٍ ، وَبَقَاءَ وَفَنَاءٍ ، فَإِذَا كَلَّشَفَهُ بَنَعَتِ الْإِلَهِيَّةُ أَشْهَدَهُ جَلَالَهُ ، فَغَالَهُ عَمَّوْ . وَإِذَا كَلَّشَفَهُ بَنَعَتِ الرَّحْمَةُ أَشْهَدَهُ جَلَالَهُ فَغَالَهُ مَحْوَ :

أُضْيِبَ إِذَا شَهِدْتُكَ ثُمَّ أَحْيَا فَكَمْ أَحْيَا لَدَيْكَ وَكَمْ أُيِّدُ

قوله جل ذكره : ﴿ اَلَمْ ﴾

هذه الحروف المقطعة في أوائل السورة من التشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله — عند قوم ، ويقولون لكل كتاب سر ، وسر الله في القرآن هذه الحروف المقطعة . وعند قوم إنها مفاتيح أسمائه ، فالألف من اسم « الله » ، واللام يدل على اسمه « اللطيف » ، والليم يدل على اسمه « المجيد » و « للالك » .

وقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها لأنها بسائط أسمائه وخطابه .

وقيل إنها أسماء السور .

وقيل الألف تدل على اسم « الله » واللام تدل على اسم « جبريل » والليم تدل على اسم « محمد » صلى عليه وسلم ، فهذا الكتاب نزل من الله على لسان جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

والألف من بين سائر الحروف انفردت عن أشكالها بأنها لا تتصل بحرف في الخط وسائر الحروف يتصل بها إلا بحروف يسيرة ، فيقتبى العبد عند تأمل هذه الصفة إلى احتياج الخلق بمجملتهم إليه ، واستغناؤه عن الجميع .

ويقال يتذكر العبد المخلص <sup>(١)</sup> من حلة الألف تَقْدُّسَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَمَالَى عَنْ التَّخَصُّصِ

(١) وردت في س ( الخلف ) وهى خطأ من الناسخ .

بالسكان ؛ فإن سائر الحروف لما محل من الخلق<sup>(١)</sup> أو الشفة<sup>(٢)</sup> أو اللسان إلى غيره من المدارج<sup>(٣)</sup> غير الألف فإنها هويته ، لا تنضاف إلى محل .

ويقال الإشارة منها إلى افراد العبد لله سبحانه وتعالى فيكون كالألف لا يتصل بحرف ، ولا يزول عن حالة الاستقامة والاتصاف بين يديه .

ويقال يطالب العبد في سره عند مخاطبته بالألف بانفراد القلب إلى الله تعالى ، وعند مخاطبته باللام بلين جانبه في ( مراعاة ) حقه ، وعند سماع اللبم بموافقة أمره فيها يكلفه .

ويقال اختص كل حرف بصيغة مخصوصة وانفردت الألف باستواء القامة ، والتميز عن الاتصال بشيء من أضرابها من الحروف ، فجعل لها صدر الكتاب إشارة إلى أن من تخرج عن الاتصال بالأمثال والأشغال حظي بالرتبة العليا ، وفاز بالدرجة القصوى ، وصلاح للتخاطب بالحروف المنفردة التي هي غير مركبة ، على سنة الأحياء في ستر الحال ، وإنهاء الأمر على الأجنبي من القصة — قال شاعرهم :

قلت لها فقلنا قالت . قاف

لا تحصى أنا لسينا لا يخاف

ولم يقل وقت ستراً على الرقيب ولم يقل لا أقف مراعاة لقلب الحبيب بل : « قالت قاف » .  
ويقال تكثر العبارات<sup>(٤)</sup> للموم والرموز والإشارات للخصوص ، أسمع موسى كلامه في ألف موطن ، وقال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : ألف . . . وقال عليه السلام : أوتيت جوامع الكلم<sup>(٥)</sup> فاختصر لي الكلام اختصاراً » وقال بعضهم : قال لي مولاي : ما هذا الدنف ؟

قلت : نهواني ؟ قال : لام الف

قوله جل ذكره : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾

(١) وردت في ( الشفق ) وهي خطأ من النسخ .

(٢) متاهات الحارج — كما جاء في المامش .

(٣) وردت في ( البادات ) والأصح هراء لأن التشرى في مواضع كثيرة يقابل بين البارة والإشارة

(٤) وردت في ( التلم ) وهي خطأ من النسخ . وسبأني تخرج الحديث في مامش قريب .

قيل ذلك الكتاب أى هذا الكتاب ، وقيل إشارة إلى ما تقدم إزاله من الخطأ ،  
وقيل ذلك الكتاب الذى وعدتُك إزاله عليك يوم لليثاق .

لا ريب فيه ، فهذا وقت إزاله . وقيل ذلك الكتاب الذى كتبتُ فيه الرحمة على نفسى  
لانك — لا شك فيه ، فتحق بقولى .

وقيل الكتاب الذى هو سابق حكى ، وقديم قضائى لمن حكمت له بالسعادة ، أو خمنت  
عليه بالشقاوة لا شك فيه .

وقيل ( حكى الذى أخبرت أن رحتى سبقت على غضبى لا شك فيه <sup>(١)</sup> ) .

وقيل إشارة إلى ما كتب فى قلوب أوليائه من الإيمان والمرقان ، والمحبة والإحسان ، وإن  
كتاب الأحباب عزيز على الأحباب ، لا سيما عند اللقاء ، وكتاب الأحباب سلوهم  
وألسهم ، وفيه شفاءم وروّحهم ، وفي مناه أنشدوا :

وكتبك حولى لا تفارق مضجعى وفيها شفاء للذى أنا كاتم  
وأنشدا :

ورد الكتاب بما أقرّ عيوننا وشفى القلوب فنلن غليات للى  
وتقاسم الناسُ للسرة بينهم قسماً وكان أجلمم حظاً أنا <sup>(٢)</sup>  
قوله جل ذكره : ﴿ هُدًى للنفين ﴾

أى بياناً وحجة ، وضياء ومحبة ، لمن وناه الحق سبحانه وتعالى من ظلمات الجهل ، وبصره  
بأنوار العقل ، واستخلصه بمقائق الوصل . وهذا الكتاب للأولياء شفاء ، وعلى الأعداء  
عنى وبلاء . المتقى من اتقى رؤية نفاه ، ولم يستند إلى تقواه ، ولم يرَّ نجاته إلا بفضل مولاه .

قوله جل ذكره : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ﴾

---

(١) ما بين القوسين نسخة استدرج بها الناسخ فأثبتها فى هامش الصفحة .

(٢) لم يكن الناسخ يظهر اهتماماً بأبيات الشعر فوصلنا وديعة الخط كثيرة الأخطاء فقلنا بتصحيحها  
شعر الإمكان حتى تبدو دلالة مسمى . وذلك استناداً إلى حالة لها أكثر ضبطاً إما فى مواضع أخرى من هذا  
الكتاب أو من كتب التنزيل الأخرى .

حقيقة الإيمان التصديق ثم التحقيق ، وموجب الأمرين التوفيق . والتصديق بالمثل والتحقيق ببذل الجهد ، في حفظ العهد ، ومراعاة الحد . فالؤمنون هم الذين صدّقوا باعتقادهم ثم الذين صدّقوا في اجتهادهم .

وأما الغيب فما يلهه<sup>(١)</sup> العبد مما خرج عن حد الاضطراب ؛ فكل أمر ديني أحركه العبد بضرب استدلال ؛ ونوع فكر واستشهاد بالإيمان به غيبي . فالرب سبحانه وتعالى غيب . وما أخبر الحق عنه من الحشر والنشر ، والثواب واللعاب ، والحساب والعذاب — غيب .

وقيل إنما يؤمن بالغيب من كان منه سراج الغيب ، وأن من أيدوا ببرهان العقول آمنوا بدلالة العلم وإشارة اليقين ، فأوردكم صدق الاستدلال ساحات الاستبصار ، وأوصلهم صائب الاستشهاد إلى مراتب السكون ؛ فإيمانهم بالغيب بمزايا علومهم دواعي الريب . ومن كوشف بأنواع التعريف أسبل عليهم سمعوف الأنوار ، فأغنام بلوائح البيان عن كل فكر وروية ، وطلب بغواطر ذكية ، وردّ وردد لبوايح ردية ، فطلعت شموس أسرارهم فاستفتوا عن مصاييح استدلالهم ، وفي معناه أنشدوا :

كَيْلٍ من وجهك شمس الضحا وظلامه في الناس سارى  
والناس في سلف الظلام ونحن في ضوء النهار  
وأنشدوا :

طلعت شمس من أحبك ليلاً فاستضاءت وما لها من غروب  
إن شمس النهار تقرب بالليل وشمس القلوب ليست تقيب<sup>(٢)</sup>  
ومن آمن بالغيب بشهود الغيب غاب في شهود الغيب فصار غيباً غيب .

وأما إقامة الصلاة فالقيام بأركانها وسننها ثم الغيبة<sup>(٣)</sup> عن شهودها برؤية من يصلّي له<sup>(٤)</sup>

(١) وردت ( يلهه ) والأرجح أن تكون ( يلهه ) حق تتلاءم مع طبيعة الغيب .  
(٢) وردت ( ما لها ) ، ( وتقيب بالليل ) ، ( ليت تقيب ) وقد صححنا ذلك بما يتلاءم مع الوزن والمعنى .  
(٣) وردت ( ثم التبت ) وهي خطأ من الناسخ والأصح ( التبية ) كما سنجد في المامش التال .  
(٤) القشيري هنا متأثر بفكرة الواسطي حينما دخل نيسابور وسأل أصحاب أبي هان : بماذا كان يأمركم شيخكم ؟ فقالوا : كان يأمرنا بالقيام بالطاعات ورؤية التنصير فيها . فقال « ... هلا امركم بالغبية عنها برؤية ملتصقها ويجريها » الرسالة ص ٣٤ .

فيحفظ عليه أحكام الأمر بما يجري عليه منه ، وهو عن ملاحظتها هو ، فنفسهم مستغلبة  
الغلبة ، وقلوبهم مستغرقة في حقائق الوصلة :

أرأيت إذا صليت يمتت نحوها بوجهي وإن كان الصلّ ورائيا  
أصلى فلا أدري إذا ما قضيتها أثنين صليت الضحا أم ثمانيا ؟

وإن أصحاب الموم يجتهدون عند افتتاح الصلاة ليردوا قلوبهم إلى معرفة ما يؤدون من  
الغرض ، ولكن عن أودية الغفلة ما يرجعون . أما أهل التخصص فيردون قلوبهم إلى معرفة  
ما يؤدون ولكن عن حقائق الوصلة ما يرجعون ؛ فشتان بين غائب يحضر أحكام الشرع  
ولكن عند أوطان الغفلة ، وبين غائب يرجع إلى أحكام الشرع ولكن عند حقائق الوصلة .

قوله جل ذكره : ﴿ وما وزقناهم ينفقون ﴾

الرزق ما تمكن الإنسان من الانتفاع به ، وعلى لسان التفسير أنهم ينفقون أموالهم  
إنما نقلاً وإما فرضاً على موجب تفصيل<sup>(١)</sup> العلم . وبيان الإشارة أنهم لا يسخرون عن الله  
سبحانه وتعالى شيئاً من ميسورهم ؛ فينفقون نفوسهم في آداب المبودية ، وينفقون قلوبهم  
على دوام مشاهدة الربوبية . فإنفاق أصحاب الشرعة من حيث الأموال ، وإنفاق أرباب  
الحقيقة من حيث الأحوال ، فهؤلاء يكتفي منهم عشرين بنصف من المائتين بخمس<sup>(٢)</sup> ، وعلى  
هذا السنن جميع الأموال ينثر فيه التصاب . وأما أهل الحقائق فلو جملوا من جميع أحوالهم  
- لأنفسهم ولخطوطهم - لحظة قامت عليهم القيامة .

[فصل] الزاهدون أنفقوا في طريقة متعبة هوام ، فأثروا رضاء الله على منام ، والعايدون  
أنفقوا في سبيل الله وسعهم وقوام ، فلأزموا سرّاً وعلناً نفوسهم . وللريدون أنفقوا في سبيله  
ما يشغلهم عن ذكر مولاهم فلم يلتفتوا إلى شيء من ديارهم وعقبهم . والمارفون أنفقوا في سبيل  
الله ما هو سوى مولاهم فقرّبهم الحق سبحانه وأجزام ، وبحكم الأفراد به لقّام .

(١) وردت ( تفضيل ) ولا يرجعها السياق للقصود ما يفصله العلم من مقادير زكاة المال .

(٢) إشارة إلى أن زكاة الأموال مقدارها ربع الشئ .

[فصل] الأغنياء أنفقوا من مئيمهم على عاقبتهم. والفقراء أنفقوا من مئيمهم على منابيتهم<sup>(١)</sup>  
 ويقال العبد بقلبه وببدنه وبماله ، فبايمانهم بالغيب قاموا بقلوبهم ، وبصلاتهم قاموا بنفوسهم ،  
 وبايمانهم قاموا بأموالهم ، فلم تنحوا خصائص القرية من مئيمهم ، وحين قاموا ليحج بالكاية  
 استوجبوا كمال الخصوصية .

قوله جل ذكره : ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل

من قبلك ، وبالأخرة هم يوقنون﴾

إيمانهم بالغيب أفضى إيمانهم بالقرآن ، وبما أنزل الله من الكتب قبل القرآن ، ولكنه  
 أعاد ذكر الإيمان هنا على جهة للتخصيص والتأكيد ، وتصديق الواسطة صلى الله عليه وسلم  
 في بعض ما أخبر بوجوب تصديقه في جميع ما أخبر ، فإن دلالة صِدِّقه تشهد على الإطلاق دون  
 التخصيص ، وإنما أيقنوا بالأخرة لأنهم شهدوا على الغيب فإن حادثة لما قال له رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمناً بالله حقاً ، وكأني بأهل الجنة  
 يتزاورون وكأني بأهل النار يتعالمون<sup>(٢)</sup> وكأني بعرش ربي بارزاً فقال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم : أصبت فالزم .

وهذا عاصم بن عبد القيس يقول : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً » . وحقيقة اليقين  
 التخلّص عن تردد التخمين ، والتقصي عن مجوزات الظنون .

قوله جل ذكره : ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ يعني على بيان

(١) من (اناب) وعند القشيري : التوبة بداية والأوبة نهاية والإنابة واستطها ، فكل من تاب  
 لحرف عقوبة فهو صاحب توبة ، ومن تاب طمأناً في الثواب فهو صاحب إنابة ، ومن تاب مراعاة للأمر  
 « لربه في الثواب ، أو رغبة من العقاب فهو صاحب أوبة (الرسالة ص ٥٠) .

(٢) وردت (وكأني بأهل النار يتعالمون) ووردت في موضع آخر من الكتاب عند تفسير الآية ٤٩  
 من سورة البقرة (يتعادون) . وبالرجوع إلى مصادر الحديث وجدناه على النحو التالي : « سأل النبي  
 (ص) حادثة فقال : لكسك حتى حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عرفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ،  
 واضطأبت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون ، وإلى أهل  
 النار في النار كيف يتعالمون . فقال له النبي (ص) : عرفت فالزم . » .

البراز يستد ضعيف عن انس ، والطبراني في الكبير من حديث الحارث بن مالك ، وسنده ضعيف أيضاً



من دهم وبقين وكشف ونحقيق ، وذلك أنه نَحْيَلُ لِقَوْلِهِمْ أَوْلَا بَأْأَنَهُ نَم نَحْيَلُ لَهَا بَصَفَاتِهِ  
نَم نَحْيَلُ لَهَا بِحَقِّهِ وَذَاتِهِ .

وقوم « على هدىً من دهم » بدلائل المقول ؛ وضوعها في موضعها فوصلوا إلى حقائق  
العلوم ، وقوم على بصيرة ملاطفات التقريب فيمشاهدة الرحمة والكرم وصلوا إلى بيان اليقين ،  
وآخرون ظهرت الحقيقة لأسرارهم فشهدوا بالنيب حقيقة الصمدية ، فوصلوا بحكم الرفان  
إلى عين الاستبصار .

« وأولئك هم المفلحون » الفلاح الظفر بالبُنية<sup>(١)</sup> ، واللفوز بالطلبة ، ولقد نال القوم  
البقاء في مشهد اللقاء فظفروا بغير الأعداء ، وهي غائبة<sup>(٢)</sup> للنفوس من هواجسها ، ثم زلات  
القلوب من خواطرها<sup>(٣)</sup> ، فوقدوا بالحق للحق بلا واسطة من عقل ، أو رجوع  
إلى ذكر وفكر .

قوله جلّ ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ  
أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

من كان في غطاء وصفه عجوباً عن شهود حقه فالإشارة لئمنه أنه سيان عنده قول من  
دله على الحق ، وقول من أعانته على استجلاب الخط ، بل هو إلى دواهي الغفلة أميل ،  
وفي الإصغاء إليها أرغب . كيف لا ؟ وهو بِكَيِّ الفرقة موسوم ، وفي سجن الغيبة محبوس ،  
وعن محل القرية ممنوع ، لا يحصل منهم إيمان ، لأنه ليس لهم من الحق أمان ؛ فلما لم يؤمنوا  
لم يؤمنوا . حكم سبق من الله حكم ، وقول له فصل ، وإن القدرة لا تعارض ، ومن زاحم الحق  
في القضية<sup>(٤)</sup> كبسته سطوات العزة ، وقصمته بواده<sup>(٥)</sup> الحكم .

ويقال إن الكافر لا يروعى عن ضلّاته لِمَا سَبَقَ من شقاوته ، وكذلك المربوط بأغلال  
نفسه محجوب عن شهود غيبه وحقه ، فهو لا يبصر رشده ، ولا يسلك قصده . ويقال إن

(١) ووددت في ( باليعة ) وهي خطأ من الناسخ .

(٢) النافذة مرعى الهائم .

(٣) يقول التشبهي في رسالته : إن الهاجس خاس بالنفس والهاطر خاس بالقلب من ٤٦ و ٤٧ .

(٤) القضية هنا معناها القضاء .

(٥) البواده ما ينفجأ القلب من الليب على سبيل الوهبة ( الرسالة من ٤٤ ) .

التي بقي في ظلمات دعوته سواء جنده نصيح المرشدين وتبويلات المبطلين ، لأن الله سبحانه وتعالى نزع عن أحواله بركات الإنصاف ، فلا يدرك بسمع القبول ، ولا يُصْنَى إلى داعي الرشاد ، كما قيل :

وعلى النصح نصيحتي وعلى عصيان النصح

ويقال من ضلَّ عن شهود النية عليه في سابق القسمة توهم أن الأمر من حركته وسكناؤه فاتسكل على أعماله ، وتماهى عن شهود أفضاله .

قوله جلّ ذكره : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى

أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

انغم على الشيء يمنع ما ليس فيه أن يدخله وما فيه أن يخرج منه ، وكذلك حكم الحق سبحانه بالآل يُلَوِّقُ قُلُوبَ أَعْدَائِهِ ما فيها من الجهالة والضلالة ، ولا يدخلها شيء من البصيرة والهداية . على أسماع قلوبهم غطاء الخذلان ، سُدَّتْ تلك المسامع عن إدراك خطاب الحق من حيث الإيمان ، فوساوس الشيطان وهواجس النفوس شغلتها عن استماع خواطر الحق . وأما الخواص فخواطر العلوم وجولان تحقيقات المسائل في قلوبهم شغلت قلوبهم عن ورود أسرار الحق عليهم بلا واسطة ، وإنما ذلك لخاص الخاص ، لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي قعر »<sup>(١)</sup> فهذا الحديث مخصوص من الخواص كما أن صاحب العلوم مخصوص من بين العوام . وعلى بصائر الأجانب غشاوة فلا يشهدون لا ببصر العلوم ولا ببصيرة الحقائق ، ولهم عذاب عظيم لحسبائهم أنهم على شيء ، وغفلتهم عما مثوا من الحنة ( و... )<sup>(٢)</sup> في الحال والمآل<sup>(٣)</sup> ، في الساجل فرقتهم ، وفي الآجل حرقتهم .

قوله جلّ ذكره : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ

وَيَاذِئْتَنِي بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

(١) قعديت سورة أخرى « إن من أمتي مكذّبين وعدّيين وإن عمر منهم » .

(٢) مشتبه في س .

(٣) والأرجح أنها ( في الحال والمآل ) حتى تتسجم مع الساجل والآجل .

ثبتوا على فئاقهم ، ودأبوا على أن يلبسوا على المسلمين ، فهتَكَ اللهُ أَسْأَارَهُمْ بقوله : وما هم  
بمؤمنين كُنَّا قِيلَ :

من تحلى بشيء ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه  
ولما تجردت أقوالهم عن الماتى كان وبال ما حصلوه منها أكثر من النفع الذى توهموه فيها ،  
لأنه تعالى قال : « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » ولولا فئاقهم لم يزد عذابهم .  
ويقال لما عذبوا صدق الأحوال لم يفهم صدق الأقوال ، فإن الله تعالى قال : « والله  
يشهد إن المنافقين لكاذبون » فكانوا يقولون نشهد إنك رسول الله ، وكذلك من أظهر  
من نفسه ما لم يتحقق به افتضح عند أرباب التحقيق فى الحال ، وقيل :

أيها المدعى سلبى هواها لستَ منها ولا قلامة ظفر .  
إنما أنت فى هواها كراوى أُنصِيتَ فى الهجاء ظلما بعمرو

قوله جلّ ذكره : ﴿ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ  
إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

عاد وبال خداعهم والتقوية عليه<sup>(١)</sup> إلى أنفسهم فصاروا فى التحقيق كأنهم خادعوا  
أنفسهم ، فما استهانوا إلا بأقدارهم ، وما استخفوا إلا بأنفسهم ، وما ذاق وبال فصلهم سوام ،  
وما قطعوا إلا وتينهم . ومن كان عالماً بمقتضى المعلومات فن رام خداعه إنما يخدع نفسه .  
والإشارة فى هذه الآية أن من تناسى لطفه السابق وقال لى وبى ومنى وأنا يقع فى وهمه  
وظنه لك وبك ومنك وأنت ، وهذا التوهم أصعب العقوبات<sup>(٢)</sup> لأنه يرى سرايا فيظنه شراباً  
حتى إذا جاهد لم يجد شيناً ووجد الله عنده فوقه حساباً .

قوله جلّ ذكره : ﴿ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ،

ولم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾

فى قلوب المنافقين مرض الشك ، ويزيدهم الله مرضاً بنوهمهم أنهم نجوا بما لبسوا

(١) وردت لى س (عليها) والأصح أن تكون عليه لأن الضمير يعود على الخناع وربما قصد التشبى  
عردة الضمير على مفهوم ، وهو جرعة الخناع .

(٢) جاء فى رسالة التشبى « التوحيد إسقاط الپادات فلا تتول لى وبى ومنى وللى » ص ١٤٩

على المسلمين ، ثم لم عذاب أليم مؤلم ، يَخْلُص وجهه إليهم في اللال . ( وفي ) الإشارة بمحمل .  
 لمن خلط قصده بجهله ، وشاب إرادته بهواه ( أن ) يتقدم في الإرادة بقدّم ، ويتأخر بالمحفوظ  
 ومتابعة النفس بأخرى ، فهو لا يريدُ صادق ولا غافلُ متنبّئ . ولو أن المناقبين أخلصوا  
 في عقائدهم لأمنوا<sup>(١)</sup> في الآخرة من العقوبة كما آمنوا في الدنيا من نحو بذل الجزية وغير ذلك  
 مما هو صفة أهل الشرك والذمة<sup>(٢)</sup> ، كذلك لو صدق المريد في إرادته لوصل بقلبه إلى حقائق  
 الوصلة ، ولأدركته بركات الصديق فيها رame من الظفر بالبقية ، ولكن حاله كما قيل :

فأثبتنا فيثبت لنا عدل بلا حنف ولو خلصنا تخلصنا من الحنف<sup>(٣)</sup>

وإن من سقمت عبادته حيل بينه وبين درجات الجنات ، ومن سقمت إرادته حيل بينه  
 وبين مواسلات القرب والمناجاة . وأما من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى فسكوتهم<sup>(٤)</sup> إلى دار  
 الضرر سقم لغايبهم ، والزيادة في علمهم تكون بزيادة حرصهم ؛ كلما وجدوا منها شيئاً — تجلّ لهم  
 العقوبة عليه — يتضاعف حرصهم على ما لم يجدوه .

ثم من المقربات العاجلة لم تشتتْ همومهم ثم تنفّص عيشهم فيبغون بها عن مولاهم ،  
 ولم يكن لهم استمتاع ولا راحة فيها آثروه من متابعة هوام ، وهذا جزاء من أعرض عن صحبة  
 مولاه ، وفي معناه قيل :

تبدلت فتبدلنا واحسرتا لمن ابتغى عوضاً ليس له فلم يجد<sup>(٥)</sup>

والإشارة في العذاب الأليم بما كانوا يكذبون إنما هي الحسرة يوم الكشف إذا رأوا  
 أشكالهم الذين صدقوا كيف وصلوا ، ورأوا أنفسهم كيف خسروا .

(١) وروى ( لأمنوا ) وهي خطأ من الناسخ .

(٢) وروى ( والذمة ) ، هي خطأ في الكتابة .

(٣) أخلصنا قليلاً إلى البيت لكي يؤدي معنى ، لأن ما في البيت من أخطاء كتابية ننقدهم . بل قبيحة ،  
 ونرجح أنها ( حنف ) لا ( حنف ) وإن كان الحنف معناه الميل إلا أن الحنف وهو العلم أقرب .

(٤) ويحمل أيضاً أنها في الأصل ( فركونهم ) حتى تتلاءم مع ( ومن ركن ... ) ، ولاهما معاً .

(٥) وزن البيت غير سليم وقد ورد فيه ( واخسرا ) و ( ليل ) ويبدو أن الناسخ قد وقع في أخطاء  
 أخرى عند النقل

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ

مُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

الإشارة منها : أنه إذا دعاهم وأعظ في قلوبهم من خفي خواطرهم إلى ما فيه رشدهم تتبعوا  
رخص التأويل ، ولبسوا على أنفسهم ما يشهد بقساوة قلوبهم ، وحين جحدوا برهان الحق من  
خواطر قلوبهم نزع الله البركة من أحوالهم ، وأبطل تصانمًا عن الحق ، وايتلام بالاعتراض  
على الطريقة<sup>(١)</sup> وسلمهم الإيمان بها .

وكأن المرتد أشد على المسلمين عداوة كذلك من رجع عن الإرادة إلى الدنيا والعادة  
فهو أشد الناس إنكاراً لهذه الطريقة ، وأبعد من أهلها ، وفي المثل : من اخترق كُدُّه<sup>(٢)</sup>  
مخى أن يقع بجميع الناس ما أصابه .

وإرطاق المرتدين عن طريق الإرادة — عند الصادقين منهم — غير مقبول كما أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل زكاة ثعلبية .

ويقال كفى لصاحب الكذب فضيحة بأن يقال له في وجهه كذبت ، فهم لما قالوا  
إنما نحن مصلحون ، أ كذبهم الحق سبحانه فقال : « أَلَا إِنَّهُمْ مُفْسِدُونَ وَلَكِنْ  
لَا يَشْعُرُونَ » : إِنَّا نَعْلَمُهُمْ فَتَفْضَحُهُمْ .

قوله عز ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ

قَالُوا أَكُفْرًا كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ

مُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

الإشارة منها أن المنافقين لما دُعُوا إلى الحق وصفوا للمسلمين بالسُّفَهَاءُ ، وكذلك أصحاب  
الغنى إذا أمرُوا بِتَرْكِ الدنيا وصفوا أهل الرشد بالكسل والعجز ، ويقولون إن الفقراء ليسوا  
على شيء ، لأنه لا مال لهم ولا جاه ولا راحة ولا عيش ، وفي الحقيقة هم الفقراء وهم أصحاب  
الحنة ، وقعروا في القل مخافة القتل ، ومارسوا الهوان خشية الهوان ، شيدوا القصور ولكن

(١) يقصد التشبهي طريقة الصوفية .

(٢) الكُدُّ شتم بالكاف وتكبين الدال : المجتمع من كل شيء كالحب المحمود والنمر والدرام والزمل  
والجمل اكباس ( الوسيط والسان ) .

سكنوا القبور ، زينتوا المهد ولكن أخرجوا اللحد ، وكهنوا في ميدان الغلة ولكن عثروا في أودية الحسرة ، وعن قريب سيملئون ، ولكن حين لا ينتفعهم علمهم ، ولا ينفي عنهم شيء .

سوف ترى إذا انجلى الغبارُ أَنفُسُ تَحْتَكُ أَمْ حِمَارُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا

خَلَوْا إِلَى شِيَاعِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ

إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . الله يستهزئ

بهم ويعدم في طغيانهم يسمهون ﴿

أراد المناقون أن يجمعوا بين عشرة الكفار وصحبة للمسلمين ، فإذا برزوا للمسلمين قالوا نحن معكم ، وإذا خلوا بأضراسهم من الكفار أظهروا الإخلاص لهم ، فأرادوا الجمع بين الأمرين فَنَفَّوْا عنها . قال الله تعالى : « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » ، وكذلك من رام أن يجمع بين طريق الإرادة وما عليه أهل السادة لا يلتزم ذلك ، فالضدان لا يجتمعان ، و « السُّكَّاتُ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عليه حرم » ، وإذا ادلم الليل من هاهنا أدبر النهار من هاهنا ، ومن كان له في كل ناحية خليط ، وفي زاوية من قلبه ريبط كان نهبا للطوارق ، بنابه كل قوم ، وينزل في قلبه كل ( . . . ) <sup>(١)</sup> ، فقلبه أبداً خراب ، لا يهنا بعيش ، ولا له في التحقيق رزق من قلبه ، قال قائمهم :

أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعاصم

ولما قال المناقون إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ قال الله تعالى : « الله يستهزئ بهم » أي يجازيهم على استهزائهم ، كذلك لما ألقي القوم أَرْمَتْهُمْ في أيدي الشهوات استهزئتهم في أودية التفرقة ، فلم يستقر لهم قدم على مقام فتنطوحوا في متاهات الغيبة ، وكما يمد المناقون في طغيانهم يسمهون يطيل مدة <sup>(٢)</sup> هؤلاء في غيابة الأمل فيكونون عند اقتراب آجالهم أطول ما كانوا آملا ، وأسوأ ما كانوا عملا ، ذلك جزاء ما عملوا ، ووبال ما صنعوا . وتحسين أعمالهم القبيحة في أعينهم من

(١) مثلية في ص .

(٢) وربما كانت بطيل ( مد ) والحيات يبدل طعاصم .

أشد العقوبات لهم ، ورضاؤهم بما فيه من الفترة<sup>(١)</sup> أجل مصيبة لهم .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى

فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين ﴾

الإشارة منها أن من بقى عن الحقوق بالبقاء في أوطان الحفظ خسرت صفته

وما ربحت تجارتهم . والذى رضى بالدنيا عن المعنى لنى خسران ظاهر .

ومن أثر الدنيا أو المعنى على الحق تعالى لأشد خسرانا .

وإذا كان للمصائب<sup>(٢)</sup> بقوات النعم مضمونا فالذى مُمَيَّ بالبعد عن المناجاة وأنماز<sup>(٣)</sup> بقلبه

عن مولاه ، وبقي في أسر الشهوات ، لا إلى قلبه رسول ، ولا لوجه وصول ، ولا معه مناجاة ،

ولا عليه إقبال ، ولا في مرة شهود — فهذا هو المصائب والمُستَحَن .

وإن من فاتموت فقد فاته ربه ، فالأوقات لا تخلف عنها ولا بدّل منها ، ولقد قال بعضهم :

كُنْتُ السَّوَادَ لِمَقَاتِي فَبِكَيْ عَلَيْكَ النَّازِرُ

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمَتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَخَاذِرُ

قوله جل ذكره : ﴿ تَتْلُوهُمْ كَتَلَ الْهَى اسْتَوْقَد نَاراً فَلَمَّا

أُضْأَمَتْ مَاحُولَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ

فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴾

هذا مثل ضربه الله سبحانه للنافقين بمن استوقد نارا<sup>(٤)</sup> في ابتداء ليلته ثم أطفئت

النيران فبقي صاحبها في الظلمة ، كذلك النافق ظهر عليه شيء من العوائق في الدنيا بظاها

ثم اُستَحِوْا في الآخرة بألم العقوبة ، أو لاح شيء من إقارمهم ثم بقوا في ظلمة إنكلامهم .

والإشارة من هذه الآية لمن له بداية جيلة ؛ يسلك طريق الإرادة ، وينتهي مدة ، ويقضى

بعد الشدة شدة ، ثم يرجع إلى الدنيا قبل الوصول إلى الحقيقة ، ويعود إلى ما كان فيه من

ظلمات البشرية . أو رزق عموده ثم لم يشر ، وأزهر غصنه ثم لم يتركه ، وعجل كسوف الفترة على

(١) الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها ، والوقفه سكون عن السب باستتلاء حالات الكسل ، ووقفه المريد شر من فقرته ( الرسالة ص ١٩٩ ) .

(٢) وردت ( المصائب ) في من وهي غير ملائمة .

(٣) وردت ( وأنماز ) والأرجح ما اخترنا .

(٤) وردت ( ناري ) والأرجح ما اخترنا .

أقار حضوره ، وردّته يد القهر بعد ما أحضره لسان اللطف ، فوطن عن القرب قلبه ، وغلّ من الطالبين نفسه ، فكان كما قيل .

حين قرّ الهوى وقلنا مُرّونا وحسبنا من الفراق أينما

بثّ اليقين رُسله في خفاه فأبادوا من شغلنا ما جمعنا

وكذلك تحصل الإشارة في هذه الآية لمن له أدنى شيء من المعاني فيظهر الدعوى فوق ما هو به ، فإذا انقطع عنه ( . . . )<sup>(١)</sup> ماله من أحواله بقي في غلة دعاواه .

وكذلك الذي يركن إلى حطام الدنيا وزخرفها ، فإذا استتب الأحوال وساعد الأمل وارتفع المراد — برز عليه الموت من مكامن المكر فيترك الكل ويحمل الكل .

قوله جل ذكره : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

صم من سماع دواهي الحق بأذان قلوبهم ، بك من مناجاة الحق بألسنة أسرارهم ، عمى عن شهود جريان المتأدبر بعيون بصائرهم ، فهم لا يرجعون عن تماديهم في تهتكهم ، ولا يرتدعون عن انهماكهم في ضلالتهم

ويقال صم عن السماع بالحق ، بك عن النطق بالحق ، وعمى عن مطالعة الخلق بالحق . لم يسبق لهم الحكم بالافلاخ ، ولم تساعدهم القسمة بالارتداع .

قوله جل ذكره : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ

وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آفَاتِهِمْ مِنَ الصَّوَاقِعِ

حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾

معنى قوله أو لإباحته ضرب مثلهم إما بهذا وإما بذلك شبه القرآن بمطر ينزل من السماء ، وشبه ما في القرآن من الوعد والوعيد بما في المطر من الرعد والبرق ، وشبه التجاهل إلى الفرار عند سماع أصوات الرعد . كذلك الإشارة لأصحاب الغفلات إذا طرقت أسماعهم وعظ أرواعهم ، أو لاحت قلوبهم أنوار السعادة ؛ ولو أقلعوا عيّنهم فيه من الغفلة لسعدوا ، لكنهم ركنوا إلى التشاغل بآمالهم الكاذبة ، وأصرروا على طريقتهم الفاسدة ، وتملأوا بأعدار واهية ،

(١) هنا كلمات زائدة وضع للناسخ عليها علامات مميزة توضح ضرورة الاستغناء عنها .



وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ، يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَيَسْمُونَ فِي الْغَطْرِ بِأَيْمَانِهِمْ <sup>(١)</sup> :

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا حَبَاكَ بَوْدُهُ سَتَرَ الْقَبِيحَ وَأَعْلَى الْإِحْسَانَ  
وَكَذَا الْمَوْلُ <sup>(٢)</sup> إِذَا أَرَادَ قَطِيعَةً مَلَّ <sup>(٣)</sup> الرِّصَالِ وَقَالَ كَانَ وَكَانَا

قوله جل ذكره : ﴿ يَكَادُ الْبَرَقُ يُخَفِّفُ أَبْصَارَهُمْ

كَمَا أَضَاءَ لَهُمْ شَوْأُ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ  
تَامُوا ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَنَهَبَ بِسْمِهِمْ  
وَأَبْصَارَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

من تمام مثل المنافقين — كذلك أصحاب الغفلات — إذا حضروا مشاهد الوعد ،  
أو جنت <sup>(١)</sup> قلوبهم إلى الرقة ، أو داخلهم شيء من الوهلة تَقَرَّبُ أَجْزَالُهُمْ مِنَ التَّوْبَةِ ،  
وتقوى رغبتهم في الإنابة حتى إذا رجعوا إلى تدبيرهم ، وشاوروا إلى قرائنهم ، أشار الأهل  
والولد عليهم بالموءد إلى دنياهم ، وبسطوا فيهم لسان النصيح ، وهددوهم بالضمف والعجز ،  
فيضعف قسودهم ، وتسقط إرادتهم ، وصاروا كما قيل :

إِذَا ارْعَوْى ، عَادَ إِلَى جِهَلِهِ كَغَدَى الضُّفَى عَادَ إِلَى نَكْسَةٍ

وقال : « ولو شاء الله لنهب بسميمهم وأبصارهم » يعني سمع المنافقين الظاهر وأبصارهم  
الظاهرة ، كما أصمهم وأعمى بالسر ، فكذلك أرباب الغفلة ، والقانونون من الإسلام بالظواهر —  
فأله تعالى قادر على سلبهم التوفيق فيما يستعملونه من ظاهر الطاعات ، كما سلبهم التحقيق  
فما يستنبطونه من صفاء الحالات .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ  
تَقْوَى

العبادة موافقة الأمر ، وهي است فراغ الطاقة في مطالبات تحقيق الغيب ، ويدخل فيه  
التوحيد بالقلب ، والتجريد بالسر ، والتفريد بالقصد ، والخضوع بالنفس ، والاستسلام للحكم .  
ويقال اعبدوه بالتجرد عن المحظورات ، والتجديد في أداء الطاعات ، ومقابلة الواجبات

(٢) وردت ( الملاك ) وهي خطأ في النسخ .

(٤) وردت في س ( جنت ) وهي خطأ في النسخ .

(١) جمع عين ومثما هنا اليد .

(٣) وردت ( ملا ) وهي خطأ في النسخ .

بالخشوع والاستسكاة ، والتجاني عن التبرج في منازل الكسل والاستهانة .  
 قوله : « لعلكم تتقون » : تقريب الأمر عليهم وتسهيله ، ولقد وقفهم بهذه الكلمة  
 — أعني لعل — على حد الخوف والرجاء .  
 وحقيقة التقوى التحرز والوظء ( بالطاعة )<sup>(١)</sup> عن متوعدات العقاب .

قوله جل ذكره : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ،  
 وَالسَّمَاءَ بَنَاءً ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ  
 مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ  
 فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

تعريف إليهم بذكر ما من به عليهم من خلق السماء لهم سقفا<sup>(٢)</sup> مرفوعا ، وإنشاء الأرض  
 لهم فرشا موضوعا ، وإخراج النبات لهم بالمطر رزقا مجموعا . ويقال أعتقهم عن مئة الأمثال  
 بما أراح لهم من العلة فيها لا بد منه ، فكافئهم السماء لهم غطلة ، والأرض وظلة ، وللباحات  
 رزقا ، والطاعة حرفة ، والعبادة شغلا ، والذكر مؤسسا ، والرب وكلاء — فلا تجعلوا لله  
 أندادا ، ولا تجعلوا قلوبكم بالأغيار في طلب ما تحتاجون إليه ، فإن الحق سبحانه وتعالى  
 متوحد بالإبداع ، لا يحدث سواه ، فإذا توهمتم أن شيئا من الحادثات من نفع أو ضرر ،  
 أو خير أو شر يحدث من مخلوق كان ذلك — في التحقيق شرسا .

وقوله عز وجل : « وأنتم تعلمون » أن من له حاجة في نفسه لا يصلح أن ترفع حاجتك إليه .  
 وتعلق المحتاج بالمحتاج ، واعتماد الضعيف على الضعيف يزيد في الفقر ، ولا يزيل هوانهم الضمر .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا  
 فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا  
 شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا  
 فَأْتُوا نَارَ اللَّهِ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ  
 وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

(١) هذه كلمة احتاجها السياق فأضفناها مستعدين من أقوال القشيري في موقف مماثل في الرسالة ص ٦٠ .  
 وحقيقة الانثناء للتحرز .... ( )  
 (٢) وردت ( شغلا ) وهي خطأ في النسخ .

لبس على بصائر الأجانب حتى لم يشهدوا حبيبه صلوات الله عليه ، فتأهوا في أودية الظنون لما قدوا نور النباية ، فلم يزد الرسول عليهم إتيانا بالآيات ، وإظهاراً من المعجزات إلا ازدادوا ريباً على ريب ونكساً على شك ، وهكذا سبيل من أعرض عن الحق سبحانه ، لا يزيده ضياء الحجج إلا عى عن الحقيقة ، قال الله تعالى : « وما تنقى الآيات والنُّور من قوم لا يؤمنون » ، وليبلغ عليهم في إزام الحجة عرفتهم عجزهم عن معارضة ما آتاهم من معجزة القرآن .  
الذى قهر الأنام من أولهم إلى آخرهم ، وقدّر عليهم أنهم لو تظاهروا فيا بينهم ، واعتضدوا بأشكالهم ، واستفروا كنه طاقاتهم واحتياهم لم يقدموا على الإتيان بسورة مثل سورة القرآن . ثم قال فإن لم تفعلوا — وأخير أنهم قطعاً لا يقدمون على ذلك ولا يفعلون فقال : « ولن تفعلوا » ، فكان كما قال — فانظروا لأنفسكم ، واحذروا الشرك الذى يوجب لكم عقوبة النار التى من (سلوتها) <sup>(١)</sup> بحيث وقودها الناس والحجارة ، فإذا كانت تلك النار التى لا تبت لها الحجارة مع صلابتها ( ) <sup>(٢)</sup> فكيف يطبقها الناس مع ضعفهم ، وحين أشرفت <sup>(٣)</sup> قلوب المؤمنين على غاية الإشفاق من سماع ذكر النار تداركها بحكم التثنية فقال : « أعدت لكافرين ، ففى ذلك بشارة للمؤمنين . وهذه سنة من الحق سبحانه : إذا خوف أعداءه <sup>(٤)</sup> بشر مع ذلك أو لاءه .

وكأن كيد الكافرين يسهل فى مقابلة معجزات الرسل عليهم السلام فكذلك دطوى الملبسين ثلاثى عند ظهور أنوار الصديقين ، وأمانة الميطل فى دعواه رجوع الزجر منه إلى القلوب ، وعلامة الصادق فى معناه وقوع التهر <sup>(٥)</sup> منه على القلوب . وعزير من فصل وميز بين رجوع الزجر وبين وقوع التهر .

قوله جل ذكره : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا

الصلوات أن لهم جنات تجري من

تحتها الأنهار ﴾ .

(١) وردت بالصاد وعند ذلك يكون الخطأ من الناسخ ، وربما كانت فى الأصل ( منقها ) ، وقد نجحنا ( سلوتها ) لأنها أقرب إلى الشكل الوارد ولتلازمها مع المعنى والسياق .

(٢) هنا كلمة رائلة وضع الناسخ عليها علامة مميزة .

(٣) وردت بالثقف وهى خطأ فى الناسخ .

(٤) وردت هكذا ( اعداويه ) وهى خطأ فى الناسخ .

(٥) وردت ( التهم ) ولكن ما جاء بعدها يثبت خطأ الناسخ ، فضلاً عن أنها غير ذات معنى هنا .

هذه البشارة بالجنان تتضمن تعريفاً بنعم مؤجلة لعبود المؤمنين على الوصف الذي يُسرح بلسان التفسير. ويشير إلى البشارة للخواص بنعم مُعجَّلة مضافة إلى تلك النعم يتيح (ها) الله لهم على التخصيص، فتلك المؤجلة<sup>(١)</sup> جنان للثوبة وهذه جنان القربة، وتلك رياض النزهة وهذه رياض الزُلَّة، بل تلك حقائق الأفضال وهذه حقائق الوصال، وتلك رفع الدرجات وهذه رُوح المناجاة، وتلك قضية جوده، هذه الاشتغال بوجوده، وتلك راحة الأيثار وهذه نزع الأسرار، وتلك لطف العطاء لظواهر وهذه كشف الخطاء عن السرائر، وتلك لطف نواله وأفضاله وهذه كشف جماله وجلاله.

قوله جل ذكره : ﴿كَلِمَاتُ رُزْقٍ مِنْ ثَمَرَةِ رِزْقٍ فَالُوا﴾

هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ

متشابهها ولم فيها أزواج مطهرة وهم فيها

• خالفون \*

كما أن أهل الجنة تتجدد<sup>(٢)</sup> عليهم النعم في كل وقت ، طلائعهم عندهم — على ما يقننون — كالأول ، فإذا ذاقوه وجبوه فوق ما تقدم — فكذلك أهل الخالق : أحوالهم في السرائر أبداً في البرق ، فإذا رآني أحدكم عن علة توهم أن الذي سيلقاه في هذا النفس مثل ما تقدم فإذا ذاقه وجبه فوق ذلك بأصناف ، كما قال تعالى :

مازلت أنزل من وداذك منزلاً      تنحيرُ الأبواب دون نزوله

قوله جل ذكره : **وَإِنْ أَفْلَحَ لَا يَسْتَحْيَ أَنْ يُضْرَبَ مَثَلًا**

ما يروضة فافوقها .

الاستحياء من الله تعالى بمعنى التُّرك ، فإذا وصف نفسه بأنه يستحي من شيء فمعناه أنه لا يفعل ذلك وإذا قيل لا يستحي فمعناه لا يبالي بفعل ذلك .

وَالْخَلْقُ فِي التَّحْقِيقِ - بِالإِضَافَةِ إِلَى وَجُودِ الْحَقِّ - أَقَلُّ مِنْ ذَرَّةٍ مِنَ الْمَاءِ فِي الْمَوَاءِ ،

(١) وقم الناسم في خطأ فكتها ( المجله ) والسباق يرفضها لأن الإشاره البعيدة بك والقریب بهذه .

(٢) وردت (محمد) والسياق يرفضها ويقبل (تتجدد) ههنا كانت (يمجدد) أى الحق سبحانه وتعالى يمجدد .

لأن هذا استهلاك محدود في محدود . فسيبان — في قدرته (٣) — العرش والبعوضة ، فلا خلق العرش أشق وأعسر ، ولا خلق البعوضة أخف عليه وأيسر ، فأما سبحانه مُتَقَدِّسٌ عن حقوق العُسر واليسر .

فإذا كان الأمر بذلك الوصف ، فلا يستحي أن يضرب بالبعوضة مثلاً كما لا يستحي أن يضرب بالعرش — فاحذونه — مثلاً .

وقيل إن جهة ضرب المثل بالبعوضة أنها إذا جاءت قَرَّتْ (١) وطارت ، وإذا شبت تشقت فَتَلَفَتْ كذلك (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) .

وقيل ما فوقها معنى الذباب ، وجهة الإشارة فيه إلى وطأته ، حتى إنه ليعود عند البلاغ في الذب ، ولو كان ذلك في الأسد لم ينبُجْ منه أحد من أتلقى ، ولكنه لما خلق القوة في الأسد خلق فيه تنافراً من الناس ، ولما خلق الواحظة في الذباب خلق فيه الضعف ، تنبيهاً منه سبحانه على كمال حكته ، وفنائه قدرته .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ

مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ ﴾ .

فأما من فتحت أبصار سرائره فلا ينظر إلى الأغيار والآثار إلا بنظر الاعتبار ، ولا يزداد إلا نفاذاً لاستبصار . وأما الذين سكروا أبصارهم بحكم الغفلة فلا يزيدهم ضرب الأمثال إلا زيادة الجبل والإشكال والأنكال .

قوله جل ذكره : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ، يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ .

هذا الكتاب لقوم شفاء ورحمة ، ولآخرين شقاء وقتنة . فمن تعرف إلى يوم الميثاق بأنوار العناية حين سمعوا قوله : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » تذكروا عند ورود الواسطة — صلوات الله عليه وعلى آله — قديم عهده ، وسابق وُدّه فازدادوا بصيرة على بصيرة ، ومن رَسَمَهُ بِذُلِّ القطيعة ، وأنطقه ذلك اليوم عن الحسبان والرهبة ما ازدادوا عند حصول الدعوة

(١) وودت ( حریت ) وهي خطأ في النسخ - (٣) وودت ( قدرة ) -

النبوية إلا جُحداً على جُحد ، وما خفى عليهم اليوم صادق الدلالة ، إلا لما تقدم لهم سابق  
النضالة . لذلك قال الله تعالى : « وما يضل به إلا الفاسقين » .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل

ويضلون في الأرض أولئك هم

الفاكسون .

الإشارة فيه إلى حال من سلك طريق الإرادة ، ثم رجع إلى ما هو عليه أهل المادة ،  
قال بترك نفسه ثم لم يصدق حين عزم الأمر ، ونزل من إشارة الحقيقة إلى رخص  
الشريعة<sup>(١)</sup> ، وكما أن من سلك الطريق بنفسه — مادام يبقى درم في كيسه — فخير محمود  
رجوعه فكذا من قصد بقلبه — مادام يبقى نفس من روحه — فخير مريض رجوعه :  
إن الألى ماتوا على دين الهندي وجدوا اللينة منهلاً معلولاً<sup>(٢)</sup>

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل : وصل أسباب الحق بقطع أسباب التلحق ، ولا يتم  
وصل ماله إلا بقطع ماله ، فإذا كان الأمر بالمعكس كان الحال بالضد .

ومما أمر العبد بوصله : حفظه ذمام أهل هذه الطريقة ، والإنفاق على تحصيل ذلك  
بصدق الهم لا ببذل النعم ، فهمهم على اتصال أسباب هذه الطريقة وانتظام أحوالها موقوفة ،  
وقلوبهم إلى توقع الحراسة من الله تعالى لأهلها مصروفة . وفساد هذه الطريقة في الأرض :  
أما من لم حواشي أحوالهم ، وإطراق أمورهم فيتشاغفون عن إرشاد مرير بكلامهم ، وإشحاذ  
قاصد بهمهم ، وذلك مما لا يرضى به الحق سبحانه منهم .

ومن نقض العهد أيضاً أن يجيد سيرك لحظة عن شهوده ، ومن قطع ما أمرت بوصله

(١) من عناصر المذهب الصوفي عند القشيري الحاحه الباطن على ألا يلبأ بالصوفي إلى الاسترخاس ،  
ذلك لأن الرخصة — وإن كانت محتاجة بأمر الشريعة — إلا أنها — أي التريية — للصوم ، ولها  
يؤخذ في الاعتبار أمر المستضعفين وأصحاب الأغفال والموانع أما « هؤلاء الطائفة فليس لهم شغل سوى  
القيام بحقه سبحانه ، فإذا انحط الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عهد مع الله تعالى » .  
الرسالة ص ١٩٩ .

(٢) وردت ( الهوى ) وفي موضع آخر من الطائفة ( و ١٦٥ ) وردت : ( منهلاً مسلولاً ) .

أن يتخلل أوقاتك نفس لحظتك دون التيام بحقه ، ومن فسادك في الأرض ساعة تجري عليك ولم تره فيها . ألا إن ذلك هو الخسران المبين ، والمحنة العظيمة ، والرزقة الكبرى .

قوله جل ذكره : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ .

هذه كلمة تعجيب وتعظيم لما فيه العبد ، أي لا ينبغي مع ظهور الآيات أن يرجع إلى الكفر قلبه .

ويقال تعرف إلى الخلق بلوائح دلالاته ، ولوامع آياته . قال : « وكنتم أمواتاً » يعنى نطفة ، أجزاءها متساوية ، « فأحياكم » : بشرّاً اختص بعض أجزاء النطفة بكونه عظيماً ، وبعضها بكونه لحماً ، وبعضها بكونه شراً ، وبعضها بكونه جلدًا . . إلى غير ذلك .

« ثم يميتكم » بأن يجعلكم عظاماً ورقاً ، « ثم يحييكم » بأن يحشركم بعدما صرتم أمواتاً ، « ثم إليه ترجعون » أي إلى ما سبق به حكم من السعادة والشقاوة .

ويقال « كنتم أمواتاً » يجعلكم هنا ، ثم « أحياكم » بمرفقكم بنا ، « ثم يميتكم » عن شواهدكم ، « ثم يحييكم » به بأن يأخذكم عنكم ، « ثم إليه ترجعون » أي يحفظ أحكام الشرع بإجراء الحق (١) .

ويقال « كنتم أمواتاً » لبقاء نفوسكم فأحياكم بفناء نفوسكم ثم يميتكم عنكم عن شهود ذلك لئلا تلاحظوه فيفسد عليكم ، ثم يحييكم بأن يأخذكم عنكم ثم إليه ترجعون بتقلبكم في قبضته سبحانه وتعالى .

ويقال يحبس عليهم الأحوال ؛ فلا حياة بالنوام ولا فناء بالكلية ، كلما قالوا هذه حياة — وبينناهم كذلك — إذ أدال عليهم فأفانهم ، فإذا صاروا إلى الفناء أثبتهم وأبقاهم ، فهم أبدًا بين نفي وإثبات ، وبين بقاء وفناء ، وبين محو ومحو . . كذلك جرت سنته سبحانه معهم .

(١) وردت ( بأجزاء ) وهي خطأ قطعاً .

والمقصود بإجراء الحق هنا هو ما سبق أن توهمنا به في هامش سابق من حالة الفرق الثاني حيث « يرد البعد إلى الصغر عند أوقات أداء الفرائض ليجرى عليه الفرائض في أوقاتها فيكون رجوعاً لله بالله . فالخلق يجري أماله وأحواله عليه » الرسالة ص ٣٩ .

قوله جل ذكره : ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ .

سخر لهم جميع المخلوقات على معنى حصول انتفاعهم بكل شيء منها ، فلي الأرض يستقروا وتحت السماء يسكنون ، وبالنجم يهتدون ، وبكل مخلوق يوجه آخر ينتفعون . لا بل ما من عين وأثر فكروا فيه إلا وكال قدرته وظهور ربوبيته به يعرفون .

ويقال مهّد لهم سبيل العرفان ، ونبيّهم إلى ما خصّهم به من الإحسان ، ثم علمهم علوّ الهمة حيث استخلص لنفسه أعمالهم وأحوالهم فقال « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر » .

قوله جل ذكره : ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع

سموات ، وهو بكل شيء عليم﴾

فالأكران بقدرته استوت ، لا أن الحق سبحانه بذاته — على مخلوق — استوى ، وأتى بذلك الأحدى والعصدية حقه وما توهموه من جواز التخصيص بمكان فحال ما توهموه ، إذ المسكان به استوى ، لا الحق سبحانه على مكان بذاته استوى .

قوله جل ذكره : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل

في الأرض خليفة ، قالوا أنجبل فيها من

يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن

نسيح بحمدك وتقديس لك قال إني أعلم

ما لا تعلمون﴾ .

هنا ابتداء إظهار ميرّة في آدم وذريته . أمر حتى سلّ من كل بقعة طينة ثم أمر بأن يخرط طينه أربعين صباحاً ، وكل واحد من الملائكة يفضي<sup>(١)</sup> العَجَب : ما حكم هذه الطينة ؟ فلمّا ركب صورته لم يكونوا رأوا مثلها في بديع الصنعة وعجيب الحكمة ، فحين قال « إني جاعل في الأرض ... » ترجمت الظنون ، وتقسّمت القلوب ، وتجنّبت الأكاويل ، وكان كما قيل :

وكم أبصرت من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختيارى

ويقال إن الله سبحانه وتعالى خلق ما خلق من الأشياء ولم يقل في شأن شيء منه ما قال في حديث آدم حيث قال : « إني جاعل في الأرض خليفة » ، فظاهر هذا الخطاب يشبه المشاورة

(١) وردت في من ( يفضى ) بالالف والصواب أن تكون ( يفضى ) بالفاء .



لو كان من المخلوقين . والحق سبحانه وتعالى خلق الجنان بما فيها ، والعرش بما هو عليه من انتظام الأجزاء ، وكل الصورة ، ولم يقل إني خالق عرشاً أو جنة أو ملكاً ، وإنما قال تشریفاً وتحصيماً لأدم إني جاعل في الأرض خليفة .

[ فصل ] ولم يكن قول الملائكة : « أئجل فيها من يفسد فيها » على وجه الاعتراض على التقدير ولكن على جهة الاستفهام ، فإن حَمَلَ الخطاب على ما يوجب تزيه الملائكة أروى لأنهم مبصرون . . قال تعالى « لا يصبون الله ما أمرهم » .

ويقال استخرج الحق سبحانه منهم ما استكن في قلوبهم من استعظام طاعتهم والملاحظة إلى أفعالهم بهذا الخطاب ، فأفصحوا عن خفايا أسرارهم بقولهم : « ونحن نسبح بحمدك » . ثم إن الحق سبحانه عرفهم أن الفضيلة بالعلم أتم من الفضيلة بالفعل ، فهم كانوا أكثر فعلاً وأقدمه ، وأدم كان أكثر علماً وأوفره ، فظهرت فضيلته ومرتبتة .

ويقال لم يقل الحق سبحانه أتم لا تفسدون فيها ولا تسفكون الدماء بل قال : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، من غفرائي لهم .

ويقال : في تسبيحهم إظهار فعلهم واشتبار خصائصهم وفضلهم <sup>(١)</sup> ، ومن غفرانه لما صي بى آدم إظهار كرمه سبحانه ورحمته ، والحق سبحانه غنى عن طاعات كل مطيع ، فلئن ظهر بتسبيحهم استحقاق تمدحهم ثبت بالفقران استحقاق تمدح الخالق سبحانه .

ويقال إني أعلم ما لا تعلمون من صفاء عقائد المؤمنين منهم في محبتنا ، وذكاه سرائرهم في حفظ عهودنا وإن تدنس بالمصيان ظاهراً ، كما قيل :

وإذا الحبيب أتى يذنب واحد  
جاءت محاسنه بألف <sup>(٢)</sup> شفيح

ويقال إني أعلم ما لا تعلمون من محبتى لهم ، وأنتم تظهرون أحوالكم ، وأنا أخفى عليهم أسرارى فيهم ، وفي معناه أثلثوا :

ما حطك الواشون عن رتبة عندى ولا ضرك مغتلب  
كانهم أثنوا — ولم يعلموا — عليك عندى بالذى عابوا <sup>(٣)</sup>

(١) نلاحظ هنا تأثير التشبى بفكرة الملامة التيساورية التي ظهرت في موطنه ، والتي من أصولها عدم إظهار الفعل ، لأن في ذلك ملاحظة واستجلاب ، ملاحظة للفعل الإنسان وهو ما بلغ تائه حقير ، واستجلاب لرضا الناس والاشتهار بينهم ، وكلا الأمرين - في نظر الملامية - شرك حق .

(٢) دزدت ( بالآلى ) وبها يسكر الوزن .

(٣) وردت أخطاء كثيرة في البيتين مثل ( ضربك ) ولم ( يعلوا عليك ) .

ويقال إني أعلم ما لا تعلمون من انكسار قلوبهم وإن ارتكبوا قبيح أفئالهم ، وصولة قلوبكم عند إظهار تسييحكم وتقديسكم ، فأنتم في رتبة وفاقكم وفي عصاة أفئالكم ، وفي تجميل تسييحكم ، وهم مُنكرون عن شواهدهم ، متذللون بقلوبهم ، وإن لانكسار قلوب العباد عندنا لزمأما قويا .

ويقال أى خطر لتسييحكم لولا فضلى ، وأى ضرر من ذنوبهم إذا كان عفوى ؟ ويقال لبئسكم طاعنكم ولبيسهم رحمتى ، فأنتم فى صدر<sup>(١)</sup> طاعنكم وفى حلة<sup>(٢)</sup> تقديسكم وتسييحكم ، وهم فى تفرد عفوى وفى ستر رحمتى ألبسهم ثوب كرمى ، وجللتهم رداء عفوى .

ويقال: إن أسعدتكم عصيتى فلقد أدرتكم رحمتى .

وإيصال عصيتى بكم عنده وجودكم وتعلق رحمتى به فى أزل .

ويقال : لئن كان مُحسنكم عتيق المصاة فإن بحرهم غريق الرحمة

ويقال : انكلم على زكى أحوالهم فالجألم إلى الاعتراف بالجهالة حتى يتبرأوا عن المعارف إلا بمقدار ما من به الحق عليهم فقالوا : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

عموم قوله الأسماء يقتضى الاستفراق ، واقران قوله سبحانه بكلمها يوجب الشمول والتحقيق ، وكما علمه أسماء المخلوقات كلها — على ما نطق به تفسير ابن عباس وغيره — علمه

أسماء الحق سبحانه ، ولكن إنما أظهر لم<sup>(٣)</sup> محل تخصصه فى علمه أسماء المخلوقات وبذلك

المقدار بان رجاءه عليهم ، فأما أفرادهم بمعرفة أسمائهم — سبحانه — فذلك مير لم يطلع عليه ملك مقرب . ومن ليس له رتبة مساواة آدم فى معرفة أسماء المخلوقات فأى طمع فى مدانته

فى أسماء الحق ، ووقوفه على أسرار النيب ؟

وإذا كان التخصيص بمعرفة أسماء المخلوقات يقتضى أن يصح ( به سجود )<sup>(٤)</sup> الملائكة

(١) المدار فهم صغير إلى الجسد ، ولاحظ مقابلة التشرى بين المدار للملائكة وبين الثوب والرداء للإنسان لتدرك مقاصده البعيدة .

(٢) أى فلتاكة . (٣) وردت لى من ( بسجود ) وترجع أنها كما أنبتنا .

فدالطن بالتخصيص بمعرفة أسماء الحق سبحانه ؟ ما الذي يُوجبُ لمن أكرم به ؟

وقال خصوصية الملائكة بالتسبيح والتقدّس وهذه طاعات تليق بالخلوقين ؛ فإن الطاعة سمة العبيد ولا تتمهم ، وللعلم في الجملة صفة مدح يجب في نعت الحق سبحانه وإيجاباً لا يصح لنزيه ، فالذي يُكرّمه بما يتصف هو سبحانه ( بيانه وإن كان للمساواة أتم من الكرام بما يكون مخلوقاً على جنس المخلوقات )<sup>(١)</sup> .

ويقال أكرمه في السر بما علّمه ثم بين تخصيصه يوم الجهر وقدمه . ويقال قوله : « ثم عرضهم » ثم : عرف تراخ ومهلة . « إمّا على آدم ؛ فإنه أمهله من الوقت ما تقرر ذلك في قلبه ، وتحقق المعلوم له بحجة ثم حينئذ استخبره عما تحقق به واستيقنه . وإمّا على الملائكة ؛ فقال لهم على وجه الوهلة : « أنبنوني » فلما لم يتقدم لهم تعريف تحيروا ، ولما تقدم لآدم التلميح أجاب وأخبر ، ونطق وأفصح ، إظهاراً لثانيته السابقة — سبحانه — بشأنه .

وقوله : « إن كنتم صادقين » فيه إشارة إلى أنهم تعرّضوا لدعوى الخصوصية ، والفضيلة والمزية على آدم ، فرفهم أن الفضل ليس بتقديم تسبيحهم لكنه في قدم تخصّصه . ولما علّم الحق سبحانه تقاصر علومهم عن معرفة أسماء المخلوقات ثم كلّفهم الإنبياء عنها صار فيه أوضح دلالة على أن الأمر أمره ، والحكم حكمه ، فله تكليف المستطيع ، ردّاً على من توهم أن أحكم الحق سبحانه مملّلة باستحيان أرباب النفلة بما يدعون من قضايا العقول ، لا بل له أن يلزم ما يشاء لمن يشاء ، الحسن ما حكم بتحسينه والقبيح ما حكم بتقبيحه<sup>(٢)</sup> .

قوله جلّ ذكره : ﴿ قالوا سبحانه لا يعلم لنا إلا ما علمنا ﴾

إنك أنت العليم الحكيم ﴿

قدّموا الثناء على ذكر ما اعترفوا به ، ونزّوها حقيقة حكمه عن أن يكون يعرض وهم المعارضون<sup>(٣)</sup> ، يعني لا علم لنا بما سألتنا عنه ، ولا يتوجّه عليك لوم في تكليف المعجز

(١) . ممكنات جاءت للعبارة في من وهي لا تخلو من محوس ولكننا آثرنا عدم التنظير في إصلاحها نظراً لخطورة الموقف الذي تصدّه ، ورجّح أن الناسخ عطل في تلك .

(٢) . يذم التشبّهي هنا بالمتزلة الذين يسيرون بالأفعال الإلهية بما يتيسر لإنسانية عقلية ( ولستكم زهواً )  
أقّة من حيث العقل فأخطأوا ونزّهه العرفية من حيث العلم فأصابوا ( الرسالة ص ٢٩ .

(٣) . وردت ( للمعارضين ) ، ويرى هنا مضارع عرض في الآية السابقة .

بما علمت أنه غير مستطیع له ، إنك أنت العلم الحکیم أى ما فعله فهو حقٌ صِدْقٌ ليس لأحد عليك حُكْمٌ ، ولا منك سَفَهٌ وقبح .

قوله جلّ ذكره : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ .

من آثار العناية بآدم عليه السلام أنه لما قال للملائكة : « أَنْبِئُوهُ » دَاخِلُهُمْ من هبة الخطاب ما أخذهم عنهم ، لا سيما حين طَالَبَهُمْ بِأَنْبِئِهِمْ إِيَّاهُ ما لم يُحِيطْ بِهِ علومهم . ولما كان حديث آدم عليه السلام ردّه في الإنشاء إليهم فقال : « أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ » ومخاطبة آدم عليه السلام للملائكة لم يوجب له الاستفراق في الهيبة . فلما أخبرهم آدم عليه السلام بأسماء ما تقاصرت عنها علومهم ظهرت فضيلته عليهم فقال : « أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » يعنى ما تقاصرت عنه علوم الخلق ، وأعلم ما تبديون من الطاعات ، وتكتُمون من اعتقاد الخيرية على آدم عليه السلام والصلاة .

[ فصل ] ولما أراد الحق سبحانه أن يُنَجِّى <sup>(١)</sup> آدَمَ عَصِيه ، وعَلَّمَهُ ، وأظهر عليه آثار الرعاية حتى أخبر بما أخبر به ، وحين أراد إِمضاء حكمه فيه أدخل عليه النسيان حتى نَسِيَ في الحضرة عهده ، وجلوز حدّه ، فقال الله تعالى : « وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَفسِهِ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْماً » فالوقت الذى ساعدته العناية تقدم على الجملة بالعلم والإحسان ، والوقت الذى أمضى عليه الحكم ردّه إلى حال النسيان والعصيان ، كذا أحكام الحق سبحانه فيما يجرى وتمضى ، ذلّ بحكمه العبيد ، وهو ضالّ لما يريد .

[ فصل ] ولما توهموا حصول تفضيلهم بتسبيحهم وتقديسهم عرفهم أن يساط العزّ مقدس عن التجمل بطاعة مطيع أو التدنس بركة جاحد عنيد ، فَرَدُّهُمْ إلى السجود لآدم أظهر النَّعَاءَ عن كل وفائق وخلاف <sup>(٢)</sup> .

(١) وردت (ينجى) وهى بلا ريب خطأ في النسخ ويمكن أن تكون ينجى آدم - نأ أنبتنا ... وأوينجو آدمه والأرجح ما اخترناه .

(٢) وردت (وخلاق) وهى خطأ في النسخ ، وقد اخترنا ما يلائم السياق .

قوله جلّ ذكره : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ

وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ ﴾ .

السجود لا يكون عبادة لِمَعْنَاهُ<sup>(١)</sup> ولكن لموافقة أمره سبحانه ، فكان سجودهم لآدم عبادة لله ، لأنه كان بأمره ، وتعطياً لآدم لأنه أمرهم به تشرعاً لثأنه ، فكان ذلك النوع خضوع له ولكن لا يسمى عبادة ، لأن حقيقة العبادة نهاية الخضوع وذلك لا يصح لنوره سبحانه .

ويقال بَيِّنْ أَنْ تَقْدَسَ — سبحانه — بِجَلَالِهِ لَا بِأَفْضَالِهِ ، وَأَنْ تَجْمَلَ بِتَقْدِيسِهِمْ وَتَسْبِيحِهِمْ عَائِدٌ إِلَيْهِمْ ، فَبِمَا أَهْلَى مِنْ أَجَلِّهِ لَا بِأَفْضَالِهِ ، وَيَمُزُّ مِنْ أَعَزِّ قَدَرِهِ سَبْحَانَهُ بِإِعْزَازِهِ ، جَلٌّ عَنْ إِجْلَالِ الْخَلْقِ قَدْرُهُ ، وَعَزٌّ عَنْ إِعْزَازِ الْخَلْقِ ذِكْرُهُ .

قوله تعالى : « فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ » أبى بقلبه ، واستكبر عن السجود بنفسه ، وكان من الكافرين في سابق حكمه وعمله . ولقد كان إبليس مدة في دلال طاعته يَحْتَلُّ في صدار موافقته ، سلّموا له رتبة النقص ، واعتقدوا فيه استحقاق الاختصاص ، فصار أمره كما قيل :

وَكَانَ سِرَاجُ الْوَصْلِ أَزْهَرَ يَبْنِنَا فَبَيَّتْ بِهِ رِيحٌ مِنَ الْبَيْنِ فَاَنْطَفَا

كَانَ يُحَسِّبُ لِنَفْسِهِ اسْتِجَابَ الْخَيْرِ ، وَيَحْسِبُ اسْتِحْقَاقَ الزَّلَّةِ وَالْخُصُوصِ :

فَبَاتَ بِخَيْرٍ وَالَّذِي<sup>(٢)</sup> مَطْمَئِنَّةٌ وَأَصْبَحَ يَوْمًا وَالزَّمَانُ تَقَلُّبًا

فَلَا سَالِفَ طَاعَةٍ نَفَعَهُ ، وَلَا آتِيَّ رَجْعَةٍ رَفَعَهُ ، وَلَا شَفَاعَةَ شَفَعَهُ أَحَدُكُنْهُ ، وَلَا سَابِقَ عَنَابَةٍ أَمْسَكْتُهُ . وَمِنْ غَلَبَةِ الْقَضَاءِ لَا يَنْفَعُهُ الْعَنَاءُ .

ولقد حصلت من آدم هفوة بشرية ، فتداركنه رحمةٌ أحدى ، وأما إبليس فأدركته شقوةٌ أزلية ، وغلبته قسمة وقضية . خاب رجلاؤه ، وضلّ عناؤه .

---

(١) اللفظ عائد على آدم أى ليس السجود لآدم عنه ، ويحتمل أنها ( لنوره ) بدليل قوله فيها بعد ( وذلك لا يصح لنوره سبحانه )

(٢) وردت ( والزمان ) وقد صمنا البيت طبقاً لما ورد في عيون الأخبار لابن قتيبة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقلنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ

الجنة وكلا<sup>(١)</sup> منها رغداً حيث شئتما

ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا

من الظالمين ﴾ .

أَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ ولكن أثبت مع دخوله شجرة الجنة ، ولولا سابق التقدير لكان يبذل تلك الشجرة بالنضارة ذبولاً ، وبالمضرة ييساً ، وبالوجود فقداً ، وكانت لا تصل يد آدم إلى الأوراق ليخضعها على نفسه — ويقع منه ما يقع .

ولو تناولت تلك الشجرة حتى كانت لا تصل إليها يده حين مدّها لم يقع في شأنه كل ذلك التشويش ولكن بدأ من التقدير ما سبق به الحكم .

ولا مكان أفضل من الجنة ، ولا بشرَ أكبر من آدم ، ولا ناصح يقابل قوله إشارة الحق عليه ، ولا غريبة ( منه ) قبل ارتكابه ما ارتكب ، ولا عزيمة أشد من عزيمته — ولكن القدرة لا تُنكأ ، والحكم لا يُمارس .

ويقال لما قال له : « اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً » كان فيه إشارة إلى أن القى يليق بالخلق السكون إلى الخلق ، والقيام باستجلاب الحظ ، وآدم عليه السلام وحده كان بكل خير وكل عافية ، فلما جاء الشكل والزوج ظهرت أنياب الفتنة ، وانفتح باب الجنة ؛ فحين ساءل حواء أطاعها فيها أشارت عليه بالأكل ، فوقع فيها وقع ، ولقد قيل :

داه قديم في بني آدم صبوة لسان بل لسان

[ فصل ] وكل ما مُسِع<sup>(٢)</sup> منه ابن آدم توفرت دواهيهِ إلى الاقتراب منه .

فهذا آدم عليه السلام أبيعته له الجنة بمجملتها ونهى عن شجرة واحدة ، فليس في المنقول أنعمد إليه إلى شيء من جملة ما أبيع ، وكان عيل صبره حتى واقع ما نهي عنه — هكذا صفة الخلق .

[ فصل ] وإنما نبه على عاقبة دخول آدم الجنة من ارتكابه ما يوجب خروجه منها حين

قال : « إني جاعل في الأرض خليفة » فإذا أخبر أن يجعله خليفة في الأرض كيف يمكن بقاؤه في الجنة ؟

(١) وودت خطأ ( لكلا ) ، والصحيح ( وكلا ) البقرة : ٣٥ .

(٢) وودت ( امتع ) ثم استدرك التناسخ فضعها على هذا النحو في المامش .

ويقال أصبح آدم عليه السلام محمداً لللائكة ، مسجود الكفافة ، على رأسه تاج الوصلة ، وعلى وسطه نطاق القرية ، وفي جيبه ( . . . )<sup>(١)</sup> الزلفة ، لا أحد فوقه في الرتبة ، ولا شخص مثله في الرفعة ، يتوالى عليه النداء في كل لحظة يا آدم يا آدم . فلم يُسَخَّرْ عنه لباسه ، وسُلب استئناسه ، ولللائكة يدفعونه بنف أن أخرج بغير مكث :

وَأَمِنَتْهُ فَأَتَانِ لِي مِنْ مَأْمَى مَكْرَأً ، كَذَا مِنْ يَأْمَنِ الْأَحْبَابِ

ولما ناه آدم عليه السلام في مشيته لم يلبث إلا ساعة حتى خرج بألف ألف عتاب ، وكان كما قيل :

لَهُ دَرَمٌ مِنْ رَفْيَةٍ بَكَرُوا مَثَلًا لِلْكَوْكِ وَرَاحُوا كَالْمَسَاكِينِ

[ فصل ] ناه عن قرب الشجرة بأمره ، وألقاه فيها ناه عنه بقره ، ولبس عليه مأخفاه فيه من ميرته .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَزَلِمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهَا ﴾<sup>(٢)</sup> مما كانا فيه .

أزَلِمَا أى تحلَّهما على الزلة ، وفي التحقيق : ما صرَفَتْهُمَا إِلَّا الْقُدْرَةُ<sup>(٣)</sup> ، وما كان قلبهما إلا في القضية ، أخرجهما عما كانا فيه من الرتبة والدرجة جهراً ، ولكن ما ازداد — في حكم الحق سبحانه — شأنهما إلا رُفْعَةً وَقَدْرًا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾<sup>(٤)</sup> . أوقع العداوة بينهما وبين الشيطان ، ولكن كان سبحانه مع آدم ( وحرب وهو معهم عاظم بالظفر<sup>(٥)</sup> ) .

[ فصل ] لم يكن للشيطان من الخطر ما يكون لعداوته إثبات ، فإن خصوصية الحق سبحانه عزيزة قال تعالى : « إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » .

[ فصل ] لو كان لإبليس سلطان على غواية غيره لكان له إمكان في هداية نفسه ،

(١) مشتبهة ولكن يحتل أنها ( نُصْلَار ) فهي قرية من ذلك في الرسم .

(٢) هنا رأى على جانب كبير من الأهمية .

(٣) هكنا وردت العبارة في س وقد أثبتناها كما هي دون تصرف حتى في رسم الحروف .

وكيف يكون ذلك ؟ والتفرد بالإبداع لسكل شيء من خصائص نعمته سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَسَرُوعَاتٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ .

مشهد الأشباح ومألفها أقطار الأرض ، ومعه الأرواح ومرتها رداء القرش ، ولفظ الرداء استعارة وتوسع فكيف يكون لهم بالجدّ ثمان تعلّق ، ولصمود القصور إلى الخفايا على الأغيار وقوع .

قوله جل ذكره : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾

إنه هو التواب الرحيم .

جرت على لسان آدم مع الحق — سبحانه — كلمات ، وأسمع الحق — سبحانه — آدم كلمات ، وأنشوا :

وإذا خفنا من الرقباء عينا تكلمت السرائر في القلوب

وأجل الحق سبحانه القول في ذلك إجمالا ليُتيقن القصة مستورة ، أو ليكون للاحتيال والظنون مساغ ، ولما يحتمله الحال من التأويل مطرح<sup>(١)</sup> .

ويحتمل أن تكون كلمات آدم عليه السلام اعتذاراً وتتملاً ، وكلمات الحق سبحانه قبولاً وتمضلاً . وعلى لسان التفسير أن قوله تعالى له : أفراراً منا يا آدم ؟ كذلك قوله عليه السلام : ربنا ظلمنا أنفسنا . وقوله : أخرجني أنت من الجنة ؟ فقال : نعم ، فقال أتردني إليها ؟ فقال : نعم .

ويقال حين أمر بخروجه من الجنة جل ما أسمعهم إياه من عزيز خطابه زاداً ، ليكون له تذكرة وعناداً :

وأذكر أيام الحى ثم انثني على على كبدى<sup>(٢)</sup> من خشية أن تقطعا

ومخاطبات الأحباب لا تحتمل الشرح ، ولا يحيط الأجانب بها علماً ، وعلى طريق الإشارة لا على معنى التفسير والتأويل ، والحكم على النيب بأنه كان كذلك وأراد به الحق سبحانه

(١) مطرح أى موضع .

(٢) وودت على ( كبد ) . ( والأمل في البيت ) ( تصدأ ) بدلاً من ( تقطعا ) .



ذلك بمحتمل في حال الأجباب عند المفارقة ، وأوقلت الوداع أن يقال إذا خرجت من عندي فلا تنس عهدي ، وإن تقاصر عنك يوماً خبري فأياك أن تؤثر على غيبي ، ومن المحتمل أيضاً أن يقال إن فاني وصولك فلا يتأخرن عني ورسولك .

قوله جل ذكره : ﴿ اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

سوء الأدب على البسطاء يوجب الرد إلى الباب ، فلما أساء آدم عليه السلام الأدب في عين القرية قال الله تعالى : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر » بعد أن كان لكم في محل القرية قرار ومناع إلى حين ، يستمتعون بسيراً ولكن ( في ) آخرهم يعودون إلى الفقر ، وأشدوا :

إذا اقتروا عادوا إلى الفقر حبة<sup>(١)</sup> وإن أسروا عادوا سرعاناً إلى الفقر  
وحين أخرجه من الجنة وأنزله إلى الأرض بشره بأنه يردّه إلى حاله لو جنح بقلبه إلى الرجوع فقال : « فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .  
قوله جل ذكره : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

والذين قابوا النعمة بنير الشكر ، وغفلوا عن التصديق والتحقيق فلم عذاب أليم مؤجل ، وفراق مصيّل .

قوله جل ذكره : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴾ .

حقيقة النعمة على لسان العلماء<sup>(٢)</sup> لغة خالصة عن الشوائب ، وما يوجب مثلها فهي أيضاً عندهم نعمة ، وعند أهل الحقيقة النعمة ما أشهدك المنعم أو ما ذكرك بالنعمة أو ما أوصلك إلى إلى المنعم أو ما لم يحجبك عن المنعم .

(١) حبة أى احتساباً - هكذا في الماش .

(٢) واضح أن مقصود التفسير من ( لسان العلماء ) و ( لسان التفسير ) هو التفسير العادى ، أما ( عند أهل الحقيقة ) و ( الإشارة منه ) ونحو ذلك فهو التفسير الصولى .

وتنقسم إلى نعمة أبشار وظواهر ، و نعمة أرواح وسرائر ، فالأولى وجوه الراحة والثانية صنوف المشاهدات واللكاشفات . فمن النعم الباطنة عرطان القلوب ومحاب الأرواح ومشاهدات السرائر<sup>(١)</sup> .

[ فصل ] ويقال أمر بني إسرائيل بذكر النعم وأمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم بذكر النعم ، وفرق بين من يقال له اذكر نعمتي وبين من يقال له : اذكروني أذكركم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون ﴾<sup>(٢)</sup> عهده — سبحانه — حفظ المعرفة وعهدنا اتصال المغفرة ، عهده حفظ محابه وعهدنا لطف ثوابه ، عهده حضور الباب وعهدنا جزيل المآب .

أوفوا بعهدى يحفظ السر أوف بعهدكم بجميل البر ، أوفوا بعهدى الذى قبلتم يوم الميثاق أوف بعهدكم الذى ضمنتم لكم يوم التلاق ، أوفوا بعهدى فى ألا تؤثروا على غيرى أوف بعهدكم فى ألا تمنع عنكم لطفى وخيرى ، أوفوا بعهدى برعاية ما أثبت فيكم من الودائع أوف بعهدكم بما أديم لكم من شوارق اللوامع وزواهر الطوالع<sup>(٣)</sup> ، أوفوا بعهدى يحفظ أسرارى أوف بعهدكم بجميل ميثارى ، أوفوا بعهدى باستدامة عرفاتى أوف بعهدكم فى إدامة إحسانى ، أوفوا بعهدى فى القيام بخدعتى أوف بعهدكم فى المنة عليكم بقبولها منكم ، أوفوا بعهدى فى القيام بحسن المجاهدة والمعاملة أوف بعهدكم بدوام المواصله والمجاهدة ، أوفوا بعهدى بالنبرى عن الحول والمنة أوف بعهدكم بالإكرام بالطول والمنة ، أوفوا بعهدى بالتفضيل والتوكل أوف بعهدكم بالكفاية والتفضل ، أوفوا بعهدى بصدق المحبة أوف بعهدكم بكمال القرية ، أوفوا بعهدى اكتشفوا منى فى أوف بعهدكم أرضى بكم عنكم ، أوفوا بعهدى فى دار الغيبة على بساط الخدمة بشد تطلق الطاعة ، وبذل الوسع والاستطاعة أوف بعهدكم فى دار القرية على بساط الوصلة بإدامة الأئس والرؤية وسماح الخطب وتامم الزلقة ، أوفوا بعهدى فى المطالبات بترك

(١) نعرف من هذا ان المسكات الباطنة عند القشيري هى فعلان عن النفس الى هى عمل المخطورات والملاوات ، والقل الذى به تصحيح الإيمان فى البداية — القلب وهو مستودع المعرفة والروح وهى مستودع المحبة ثم السر وهو الذى يشاهد الخفايا ، وله فوق ذلك ملكة أخرى هى سر السر أو هين السر لا يطلع عليها سوى الحق .

(٢) اللوامع تسبق الطوالع فى الظهور ، والطوالع ابقى وقتاً وأقوم سلطاناً وأدوم مكاناً وأذهب لاطنة وانقضى لاثمة ( الرسالة من ٤٣ ، ٤٤ ) .

الشهوات أوفِ بهمكم بكنائسكم تلك المطالبات ، أوفوا بهمدي بأن قولوا أبداً : ربى ربى  
أوفِ بهمكم بأن أقول لكم عبي عبي . وإلى فارهبون ، أى أفرّدوني بالخشية لافترادى  
بالقدرة على الإيجاد فلا تصح الخشية من ليس له قوة ولا منة .

قوله جل ذكره : ﴿وَأَمَّا إِنَّمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ  
وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا  
بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِلَى قَاتُونَ﴾ .

الإشارة أن يقرن (العبد) إيمانه من حيث البيان بإيمانه من حيث البرهان ، وجمهور  
المؤمنين لم إيمان برهان بشرط الاستدلال ، وخواص المؤمنين لم إيمان من حيث البيان بحق  
الإقبال ، وأقبل الحق سبحانه عليهم فآمنوا بالله ، وآخر أحوالهم الإيمان من حيث العيان ،  
وذلك لخواص الخواص .

ولا تكونوا أول كافرين به ، ولا تسؤوا<sup>(١)</sup> الكفر سنة فإن وزر المبتدئ فيها يسر أعظم  
من وزر المعتدى فيها يتابع .

«ولا تشعروا بآياتي ثمناً قليلاً» لا تؤثروا على عظيم حق خسيس حطكم . «وإلى قاتون»  
كثير<sup>(٢)</sup> من يتقى عقوبته وعزيم من يهاب اطلاعه ورؤيته .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا<sup>(٣)</sup> الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا  
الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

لا تتوهموا أن يلتئم لكم جمع الضدين ، والكون في حالة واحدة في محلين<sup>(٤)</sup> ، (العبد)  
إما مبسوط بحق أو مربوط بحظ ، وأما حصول الأمرين فحال من الظن .  
«ولا تلبسوا الحق بالباطل» تدليس ، «وتكتموا الحق» تلبس ، «وأنتم تعلمون» أن  
حق الحق قد ديس ، وأنشدوا :

أيها المنكح الثريا سهيلا عرك الله ، كيف يلتقيان ؟  
هى شامية إذا ما استهلّت وسهيل إذا استهل يمانى !

(١) وردت ( ولا تسؤوا ) وهى خطأ فى النسخ .

(٢) وردت ( كثير ) وهى خطأ حيث يجب الرفع على تدبير ( من ) يتقى عقوبته كثير .

(٣) أخطأ الناسخ إذ كتبها . ( ولا تلبس ) والمصحح ولا تلبسوا ( البقرة : ٤١ ) .

(٤) وردت فى ( على ) وهى خطأ فى النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

واركعوا مع الراكعين ﴾

احفظوا آداب الحضرة ؛ حفظ الآداب أتم في الخدمة من الخدمة ، والإشارة في إيتاء الزكاة إلى زكاة الهِمم كما تؤدى زكاة النعم ، قال قائمهم :

كلُّ شيء له زكاةٌ تؤدى وزكاةُ الجلال رحمةٌ مثل

فيفيض من زوائد همه ولطائف نظره على المتبیین والمربين بما ينتمشون به و (...)<sup>(١)</sup> ،  
« واركعوا مع الراكعين » : تقتدى بآثار السلف في الأحوال ، وتجنب سنن الانفراد فإن  
الكون في غمار الجمع أسلم من الامتياز من الكفاة<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « أئامرون الناس بالبر وتنسون

أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب  
أفلا تعقلون » .

أُخْرِضُون الناس على الیدار<sup>(٣)</sup> وترضون بالتخلف ؟ ويقال أندعون اخلقَ إلینا وتقدمون  
عنا ؟ أنسرحون الوفود وتقصرون في الورد<sup>(٤)</sup> ؟ أتنافسون اخلقَ<sup>(٥)</sup> وتنافرونهم بدقائق  
الأحوال وترضون بإفلاسكم عن ظواهرها ؟  
ويقال أتبصرون من الحق منقال الذرِّ ومقيلس الحبِّ وتسامحون لأنفسكم أمثال الرمال  
والجبال ؟ قال قائمهم :

وتبصر في العين منى القذى وفي عينك الجنبع لا تبصر ! ؟  
ويقال أُنسَقُونَ بالنَّجَبِ<sup>(٦)</sup> ولا تشربون بالنَّوْبِ ؟

(١) هنا لفظتان . مشتبهتان وفيها شطب .

(٢) الإشارة وإلا كانت صلاة الجماعة إلا أنها توضح أيضا حرص القشيري على الاهتمام بالاجماع كمصدر من مصادر الشريعة .

(٣) وردت بإلياء وهي خطأ في النسخ .

(٤) من ورد الماء أى ذهب ليلسقى .

(٥) وردت أتنافسون ( الحق ) ووضح أنها خطأ في النسخ .

(٦) نجبة الأشياء ونجائها كتبها وخالفها ، وربما كانت النجب ( بالخاء ) نجب وهو الصفة الطيبة الوسيط من ٩١٥ .

« وأنتم تتلون الكتاب » ثم تآدون بخفايا الدعوى وتحمدون بما شام قلوبكم من فضيحات الخطاظر وصريحيات الزواجر .

« أفلا تفتلون » إن ذلك ذمٌّ من الخصال وقبيحٌ من العمال .

قوله جل ذكره : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها

لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ .

الصبر فطم النفس عن اللأوفات ، والصلاة التعرض لحصول المواصلات ، فالصبر يشير إلى هجران القدر ، والصلاة تشير إلى دوام الوقوف بمحضرة الغيب ، وإن الاستعانة بهما خلصة شديدة إلا على من تجلّى الحق لسيره فإن في الخبر المنقول : « إن الله تعالى إذا تجلّى لشيء <sup>(١)</sup> خضع له » . وإذا تجلّى الحق ، خفَّ وسهل ما توفى الخلق ؛ لأن التوالت للطاعات يوجب التكليف بموجب مفاصلة الكلفة ، والتجلى بالمشاهدات — بحكم التحقيق — يوجب تمام الوصلة ودوام الزلفة .

ويقال استعينوا بي على الصبر مى ، واستعينوا بحفظى لكم على صلاتكم لى ، حتى لا تستغرقكم واردات الكشف والهيبة ، فلا تقدرون على إقامة الخدمة .

وإن تخفيف سطوات الوجود على القلب فى أوامر الكشف حتى يقوى <sup>(٢)</sup> البذل على القيام بأحكام الفرق لينة عظيمة من الحق <sup>(٣)</sup> .

وأنسام الصبر كلها محمودة الصبر فى الله ، والصبر لله ، والصبر بالله والصبر مع الله إلا صبراً واحداً وهو الصبر عن <sup>(٤)</sup> الله :

والصبر يخلص فى المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم <sup>(٥)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم

وأنهم إليه راجعون ﴾ .

(١) وردت بدون اللام ، والأصح بها .

(٢) وردت حتى ( يقول ) وهى خطأ فى النسخ .

(٣) يشير التقدير بذلك إلى الفرق الثانى ، ويشتبه أن من علامة قبول المبدأ عند ربه أن يساعده على الرجوع إلى هذا الفرق حتى يستطيع أداء ما عليه من فريضة

(٤) الأرجح أنها ( على ) بدليل ورودها فى البيت للشاهد ، كذا فى « الرسالة » فى سياق مماثل .

(٥) ورد البيت فى الرسالة هكذا ( والصبر يجمل ) و ( فإنه لا يجمل ) من ٩٣ .

الظن يُذكر ، ويقال المراد به اليقين ، وهو الأنظر ما هنا .  
 ويذكر ويراد به الحسبان فمن ظن ظن يقين فصاحب وصلة .  
 ومن ظن ظن تخمين فصاحب فرقة . وملاقو ربهم ، صيغة تصلح لماضي الزمان والحاضر  
 وهم ملاقون ربهم في المستقبل . ولكن القوم<sup>(١)</sup> لتحققهم بما يكون من أحكام النيب صاروا  
 كأن الوعد لهم تقرر ، والنيب لهم حضور .

قوله جل ذكره : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي  
 أنعمت عليكم وأني فضلتكم على  
 العالمين ﴾ .

أشهد بنى إسرائيل فضل أنفسهم فقال : « وأني فضلتكم على العالمين »  
 وأشهد المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فضل نفسه فقال : « قل بفضل الله وبرحمته  
 فبذلك فليفرحوا »<sup>(٢)</sup> .

فشتان بين من مشهوده فضل نفسه ، وبين من مشهوده فضل ربه ، فشهود العبد فضل  
 نفسه يوجب له الشكر وهو خطر الإحباب ، وشهود العبد فضل الحق — الذى هو جلالة  
 فى وصفه وجهاله فى استحقاق نعمته — يقتضى الثناء وهو يوجب الإيجاب<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ واتقوا يوماً لا تجمزى نفس عن نفس  
 شيئاً ولا يقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ  
 منها عدل ولا هم ينصرون ﴾

الموام خوئهم بأفعاله فقال : « واتقوا يوماً » « واتقوا النار » .  
 والخواص خوئهم بصفاته فقال : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » وقال :  
 « وما تكون فى شأن . . . إلى قوله إلا كنا عليكم شهودا »<sup>(٤)</sup> .  
 وخاص الخاص خوئهم بنفسه فقال : « ويحفركم الله نفسه »

(١) يقصد الصوفية .

(٢) سورة يونس آية ٥٨ .

(٣) الإيجاب = الاستحقاق والتبجول .

(٤) يونس آية ٦١ .

ويوم القيامة لا تسمع الشفاعة إلا لمن أمر الحق بالشفاعة له ، وأُذِنَ فيه ، فهو الشفيع الأكبر — على التحقيق — وإن كان لا يطلق عليه لفظ الشفيع لعدم التوقيف<sup>(١)</sup> .  
وفي معناه قيل :

الحمد لله شكراً فكل خير لديه  
صار الحبيب شفيعاً إلى شفيع إليه

والذين أصابهم نكبة القسمة لا تنفعهم شفاعة الشافعين ، ومالم من ناصرين ، فلا يقبل منهم فداء ، ولو افتدوا بملء السموات وملء الأرضين .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ

يَسْمُونُكَ سِوَةَ الطَّائِبِ ، يُذْهِبُونَ  
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ، وَفِي ذَلِكَ  
بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ ﴾

من صبر في الله على بلاء أعدائه عوضه الله محبة أوليائه ، وأنّاح<sup>(٢)</sup> له جيل عظامه ؛  
فهؤلاء بنو إسرائيل صبروا على مقاساة الضر من فرعون وقومه فجعل منهم أنبياءهم ، وجعلهم  
ملوكاً ، وآتاهم مالم يوت أحداً من المملئين . « وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » : قيل نعمة  
عظيمة وقيل محنة شديدة . وفي الحقيقة ما كان من الله — في الظاهر — محنة فهو  
— في الحقيقة لمن عرفه — نعمة ونية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكَ الْبَاحِرَ فَاُنْجَيْنَاكَ

وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝ ﴾

تقاصرت بصائر بني إسرائيل فأراهم المعجزات عياناً ، وفننت بصائر هذه الأمة فكشفتهم  
بآياته سرّاً ، وبذلك جرت سُنَنُهُ سبحانه ، وكل من كان أشدَّ بصيرةً كان الأمر عليه أنخص ،

(١) وردت (التوقيف) وهي خطأ في النسخ ، والقشيري — كثيره من الباحثين — يرى أنه لا ينبغي  
إزالة أسماء وصفات لما ورد في الحديث المروي عن أبي هريرة والذي أبلغنا تسعة وتسعين ، فلا يصح  
أن يسمى الله طائلاً ولا ذكياً ونحو ذلك .  
(٢) وردت (بلحاء) وهي خطأ في النسخ .

والإشارات معه أوفر ، قال صلى الله عليه وسلم : « أوتيت جوامع الكلم واخترت لي الكلام اختصاراً »<sup>(١)</sup> .

وحين شاهدوا ظاهر تلك الآيات من فلق البحر وإغراق آل فرعون — ذاك لهم ربٌّ ؛ فقالوا : إنه لم يبق (٢) حتى قدفهم البحر ، فظفر بنو إسرائيل إليهم وهم مغرورون . وهذه الأمة لفظ تصديقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وقوة بصائرهم (أن) قال واحد من أئمتنا (٣) الناس : « كَأَنِّي بِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ وَكَأَنِّي بِأَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوَنُونَ وَكَأَنِّي أَنْظُرُ عَرْشَ رَبِّي بَارِزًا » (٤) فشتان بين من يُؤمن فيرتاب مع عيانه ، وبين من يسمع فكاليمان حاله من قوة إيمانه .

ان قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً أَنُتَّخِذَكَ بِعِبَادِي مِمَّنْ يَشَاءُ ۚ وَاتَّخَذَ الظَّالِمُونَ لِمُخْرَجِكَ مَكَامِشًا ۚ ﴾

شَتَانِ بَيْنَ أُمَةٍ وَأُمَةٍ ، فَأَمَّا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ — غَابَ نَبِيُّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَاتَّخَذُوا الْعِجْلَ مَعْبُودَهُمْ ، وَرَضُوا بِأَن يَكُونَ لَهُمْ بِمَثَلِ الْعِجْلِ مَعْبُودًا ، قَالُوا : « هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَبِيٌّ » <sup>(٥)</sup> وَأَمَّا مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَضَى مِنْ وَقْتِ نَبِيِّهِمْ سِنُونَ كَثِيرَةً فَلَمْ يَسْمَعُوا وَاحِدًا يَذْكُرُ فِي وَصْفِ مَعْبُودِهِمْ مَا يُوجِبُ تَشْبِيهَا لِمَا أَتَوْا عَلَى حَشَاشَتِهِمْ وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ ذَهَابُ أَرْوَاحِهِمْ <sup>(٦)</sup> .

(١) « إنما بشت فأنما وغائما وأعطيت جوامع الكلم وفوائده واختصر لي الحديث اختصاراً فلا يهلككم اللغوكون » البيهقي في شعب الإيمان عن أبي قتادة مرسلاً ( المختب من كثر المال ١ ص ٢٠٢ ) .

واللهو كـ = الاضطراب في القول وأن يكون على غير استقامة .

(٢) اللبس بالفرد هنا لأنه عائد على لفظ آكل أو على فرعون ، ثم تحدث بعد ذلك بالجمع حين أعاده على المعنى

(٣) افتاء وفتاء جمع فتى وهو الشاب من إنسان أو حيوان الوسط من ٦١٠ .

(۱) آخر جتنا عذابا

(٦) يفسر التشريح هنا بالشمع ، فيلحق من يقول بالشمع ببداية العجل ، فكلاما نوحح ونسب للالهية ما يبغي أن تتزه عنه . وأهل السنة يرفضون رفضاً قاطعاً كل ما يشهد الذات الإلهية من تصورات مادية .



ويقال إن موسى — صلوات الله عليه — سلم أمت إلى أخيه فقال : اخلفني في قومي ،  
 وحين رجع وجدهم وقعوا في الفتنة ، ونبيثا — صلوات الله عليه — توكل على الله فلم  
 يُشِرْ على أحدٍ في أمر الأمة وكان يقول في آخر حاله : الزفيق الأعلى . فانظر كيف تولى الحق  
 رعاية أمة في حفظ التوحيد عليهم . لعمرى يُصَيِّعون حدودهم ولكن لا ينقضون<sup>(١)</sup> توحيدهم .  
 قوله جل ذكره : ﴿ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم  
 تشكرون ﴾

سرعة المغفرة على عظيم الجرم تدل على حقارة قدر المغفرة عنه ، يشهد لذلك قوله تعالى  
 ( مخاطباً أمهات المؤمنين ) : « من يأت منك بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » ،  
 هؤلاء بنو إسرائيل عبدوا المجل فقال الله تعالى : « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك » ،  
 وقال لهذه الأمة ( يقصد أمة محمد صلى الله عليه وسلم ) : « ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »  
 قوله جل ذكره : ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان  
 لعلكم تهتدون ﴾ .

فرقان هذه الأمة الذي اختصوا به نور في قلوبهم ، به يفرقون بين الحق والباطل ،  
 قال النبي صلى الله عليه وسلم لوابصة : « استنبت قلبك »<sup>(٢)</sup> .  
 وقال : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »<sup>(٣)</sup> .  
 وقال الله تعالى : « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » وذلك الفرقان ميراث ما قدّموه  
 من الإحسان .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم  
 ظلمتم أنفسكم باتخاذكم المجل ﴾ .

أى ما أضردتم إلا بأنفسكم فيما ارتكبتم من ذنوبكم ، فأما الحق سبحانه فعزيز الزصف ،  
 لا يعود إلى عزه من ظلم الظالمين شيء ، ومن وافق هواه وأنعم مناه فعجزه ما علق به همه ،  
 وأفرده قصده .

(١) وردت ( يتقصون ) بالصاد والأقوى أن تكون بالصاد لأد للقصد هو تمسك أمة محمد (ص) بعدم  
 ( نقض ) التوحيد .  
 (٢) مكلفاً رواد أحد في مستنده والبخارى في تاريخه والدارمي في سننه وحسنه التتوي في رياس  
 الصالحين بلفظ « استنبت نفسك وإن أفتاك الفتون » .  
 (٣) للترمذي والطبراني من حديث أبي أمامة والترمذي من حديث أبي سعد والطبراني وابن جرير عن : س

قوله جل ذكره : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم ﴾ .

الإشارة إلى حقيقة التوبة بالظروح إلى الله بالكلية .

قوله جل ذكره : ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾

التوبة بقتل النفوس غير ( . . . )<sup>(١)</sup> إلا أن بنى إسرائيل كان لم يقتل أنفسهم جهراً ، وهذه الأمة توبتهم بقتل أنفسهم في أنفسهم سراً ، فأولُ قَدَمٍ في القصد إلى الله الخروجُ عن النفس .

[ فصل ] ولقد توم الناس أن توبة بنى إسرائيل كانت أشق ، ولا كما توهوا ، فإن ذلك كان مقاساة القتل مرة واحدة ، وأما أهل الخصوص من هذه ( الأمة )<sup>(٢)</sup> ففي كل لحظة قتل ، ولهذا :

ليس من مات فاستراح يميت إنما الميت ميت الأحياء  
وقتل النفس في الحقيقة التبرى عن حورها وقوتها أو شهود شيء منها ، ورد دعواها إليها ، وتشويش تدبيرها عليها ، وتسليم الأمور إلى الحق — سبحانه — بجملتها ، وانسلاخها من اختيارها وإرادتها ، وانحسار آثار البشرية عنها ، فأما بقاء الرسوم والمياكل فلا خطر له ولا عبرة به .

قوله جل ذكره : ﴿ ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب

عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾

كونه لكم عنكم أنتم من كونكم لأنفسكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نبين لك

حتى نرى الله جبراً فأخذتكم بالصاعقة

وأنتم تنظرون ﴾ .

التعرض بمطالعة اللغات على غير نعمة إلهية إفصاحٌ بِتَرْكِ الحرمة ، وذلك من أمارات

البعد والشقوة .

(١) هنا كلمة مُشْتَقَّة .

(٢) بقصد أمة الصلبي صلات الله عليه وسلامه .

وإثبات نعت التولى بمكاشفات العزة مقرونا بملاحظات القرية من علامات الوصلة ،  
دلالات السعادة .

فلا جرمَ لما أطلقوا لسان الجبل بتقوية ترك الحشمة أخذتهم الرجفة والصقعة .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ بَشِّرْهُمْ بِمَوْتِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

أعدهم إلى حال الإحساس بمد ما استوقتهم سطوات العذاب إملأهم بمقتضى الحكم ،  
وإجراء للسنّة في الصفح عن الجرم ، ومن قضايا الكرم إسبال السر على هنأت الخدم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَنَلَلْنَا عَلَيْكَ النَّامُ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ

التَّيْنَ وَالتَّوْلَى ، كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ

مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

لما طرحهم في متاهات القرية لم يرض إلا بأن ظلّهم ، وبلبسة الكفانيات جَلَّتْهُمْ ،  
وعن تكلف التكبُّب أغنام ، وبجصيل صنمه فيها احتاجوا إليه تولاّهم ؛ فلا شعورهم  
كانت تطول ، ولا أظفارهم كانت تنبت ، ولا ثيابهم كانت تسيخ ، ولا شعاع الشمس عليهم  
كان ينسط . وكذلك سنّتُه لمن حال بينه وبين اختياره ، يكون ما يختاره سبحانه له خيراً  
بما يختاره لنفسه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ

فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ،

وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ، وَقُولُوا حِطَّةٌ

نُفِّرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ، وَسَيَزِيدُ

الْحَسَنِينَ ﴾ .

( ١ ) بنو إسرائيل على تضييع ما كانوا يؤمرون ، حتى قالوا أَوْصُوا بِحِفْظِهَا قَبِلْوْهَا ،

وحالة من السجود أَمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهَا غَوَّوْهَا ، وَعَرَّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِهَامِ الْغَيْبِ ، ثُمَّ

لَمْ يَعْطُوا الْإِصَابَةَ بِقَرْعِهَا (٢) ، وتعرضوا لمفاجآت العقوبة فلم يثبتوا عند صدمات وقعها .

(١) كلمة مشبهة في ص . (٢) وردت بدون الباء في ص وقد أضافها ليستقيم المعنى .

قوله جل ذكره : ﴿ قَبِلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي

قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا

مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۖ

لم يمكنهم أن يردوا باب السماء باحتيالم ، أو يصدوا من دونهم أسباب البلاء بما ركنوا إليه من أحوالهم ، فزعوا من الندم لما عظم نلب<sup>(١)</sup> الألم ، وهيبات أن ينقمهم ذلك لأنه محال من الحساب .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ

بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ

مِيقَاتًا ، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ،

كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ،

وَلَا تَعْلَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۖ

إن الذي قدر عل إخراج الماء من الصخرة الصماء كان قادراً على إروائهم بغير ماء ولكن لإظهار أثر المعجزة فيه ، وإيصال محل الاستغاثة إليه ، وليكون على موسى عليه السلام — أيضاً في قتل الحجر — مع نفسه شغل ، ولتكليفه أن يضرب بالمصا مفاصلة نوع من معالجة ما أمضى حكمه عند استسقاؤه لقومه<sup>(٢)</sup> .

ثم أراد الحق سبحانه أن يكون كل قوم جارياً على سنة ، ملازماً لحده ، غير مزاحم لصاحبه فأفرد لكل سبلة علامة يعرفون بها مشربهم ، فلهؤلاء لا يرذون مشرب الآخرين ، والآخرون لا يرذون مشرب الأولين .

وحين كفاهم ما طلبوا أمرهم بالشكر ، وحفظ الأمر ، وترك اختيار الوزر ، فقال : ولا تعنوا في الأرض مفسدين .

والتاهل مختلفة ، والمشارب متفاوتة ، وكل يرذ مشربه ، فشرب عذب فترات ، ومشرب ملح أجاج ، ومشرب صاف زلال ، ومشرب رقيق أو شال<sup>(٣)</sup> . وسائق كل قوم

(١) وردت (تاب) بالهاء وهي خطأ في النسخ .

(٢) لاحظ هنا مذهب القشيري في التوكل ، وكيف أنه لا يتعارض مع السعي .

(٣) أو شال : جمع وشش = وهو الماء القليل يتعلب به من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره الوسيط من ١٠٤٧ .

يقودهم ، ورائد كُلِّ طائفة يسوقهم ؛ فالنفوس تَرِدُ مناهل المني والشهوات ، والقلوب تَرِدُ مشارب التقوى والطاعات ، والأرواح تَرِدُ مناهل الكشف والمجاهدات ، والأسرار تَرِدُ مناهل الحقائق بالاختلاف عن الكون والمرسومات ، ثم عن الإحساس والصفات ثم بالاستهلاك في حقيقة الوجود والذات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَى إِنَّا نَبْصُرُ عَلَى طَعَامِ  
وَلَحْدِ طَعْنٍ لَنَا رَبُّكَ يُخْرِجُ لَنَا  
مِمَّا تُنْتِجُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا  
وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا . قَالِ  
أَتَسْتَبْلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ  
أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ،  
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاعُوا  
بِبَعْضِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا  
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ  
بِفِعْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
يَسْتَكْبِرُونَ ۝۱۰۰ ﴾ .

لم يرضوا بحسن اختياره لهم ، ولم يصبروا على قيامه بنولي ما كان بهم من كفاية  
مأكلهم وملبسهم ، ففزلوا في التحير إلى ما جرت<sup>(١)</sup> عليه عاداتهم من أكل الحلييس من  
الطعام ، والرضا بالذون من الحال ، فردم إلى مقاساة الهوان ، وربطهم بإدامة الخذلان ، حتى  
سفكوا دماء الأنبياء وهدموا حرمة الأمر بقلة الاستحياء ، وترك الارواء ، فعاقبهم على  
قبیح فعلهم ، وردم إلى ما اختاره لأنفسهم من خسائس أحوالهم ، وحين لم تنجح فيهم<sup>(٢)</sup>  
النصيحة ، أدركتهم النقمة والفضيحة . ويقال كل بنو إسرائيل متفرق اليوم مُشْتَتِي القصد ؛  
لم يرضوا لأنفسهم بطعام واحد ، ولم يكنفوا في تدينهم بعبود واحد ، حتى قالوا لموسى  
عليه السلام — لما رأوا قوماً يعبدون الصنم<sup>(٣)</sup> — يا موسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم إله ،

(١) وردت في ص (مرت) وهي بالجمع أصوب . (٢) وردت (فيهم) وهي خطأ في النسخ .

(٣) وردت (اللفم) وهي خطأ في النسخ .

وهكذا صفة أرباب التفرقة . والصبر مع الواحد شديد ، قال تعالى : « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أذنينهم نفورا » .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

اختلاف الطريق مع اتحاد الأصل لا يمنع من حسن القبول ، فمن صدق الحق سبحانه في آياته ، وآمن بما أخبر من حقه وصفاته ، فنبأين الشرع واختلاف وقوع الاسم غير قادر في استحقاق الرضوان ، لذلك <sup>(١)</sup> قال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ ثم قال : « من آمن منهم ، أى إذا انتقوا في المعارف فالشكل لم يحسن المكاب ، وجزيل الثواب . والمؤمن من كان في أمان الحق سبحانه ، ومن كان في أمانه - سبحانه وتعالى - فبالحرى ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا

فَوْقَكُمْ الطُّورَ خَلِفُوا مَا آمَنَّاكُمْ بِقُوَّةٍ

وَإِذْ كَرَّوْا مَا فِيهِ لَمَلِكٌ تَقْوُونَ ، ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

أخذ سبحانه ميثاق جميع السكّلفين ، ولكن قوماً أجابوا طوعاً لأنه تعرف إليهم قوّته وقوماً أجابوه كرهاً لأنه ستر عليهم فجحدوه ، ولا حجة أقوى من عيان ما رفع فوقهم من الطور - وهو الجبل - ولكن عديموا نور البصيرة ، فلا يفهم عيان البصر . قال الله تعالى « ثم توليت من بعد ذلك » ، أى رجعت إلى العصيان بعد ما شاهدتم تلك الآيات بالعيان ، ولولا حكمه بإمهاله ، وحلمه بأفضاله لعلجكم بالعقوبة ، وأحل عليكم عظيم المصيبة وتغيّرت صفاتكم بالكليّة .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي

السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ .

مَسَخَ هذه الأمة حصل على القلوب ، فكما أنهم لما تركوا الأمر واستهاتوا بما ألزموا به من الشرع — عجلت عقوبتهم بالنسف والسخ و غير ذلك من ضروب ماورد به النص ، فهذه الأمة من تَقَضَّى العهد ورفض الحد عوقبت بمسخ القلوب ، وتبدل الأحوال ، قال تعالى : «وَتَقَلَّبُ أُنْقِدَتِهِمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَأَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ» (١) وعقوبات القلوب أنكى من عقوبات النفوس ، وفي مناهة أنشدوا :

يا سائلي : كيف كنت بعده ؟ لقيت ما ساءني وسره  
ما زلت أختال في وصالى حتى أمنت من الزمان مكره (٢)  
طال حتى الصدود حتى لم يُبق مما شهدت ذره

قوله جل ذكره : ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَسْكَالًا لِّأَيِّ بَيْنِ يَدَيْهَا  
وَمَا خَلِفْنَا مَوْعِدَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ .

هكذا من مَنى المجران ، وويم بالغدلان ؛ صارت أحواله غيرة ، وتخرج — من ملاحظته  
الحالة — عليه الحسرة ، وصار المسكين — بعد عزه لكل خسيس سخرة . هكذا آثار سخط  
للولك وإعراض السادة عن الأصاغر :

وقد أحق الصبيان بي ونجسوا . طي وأشلوا بالكلاب وراينا  
قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ  
أَنْ تَذِيبُوا بَقَرَةً﴾ .

كان الواجب عليهم استقبال الأمر بالاعتناق ولكنهم تعللوا ببقاء الأشكال توهمًا بأن  
يكون لهم ( . . . ) (٣) تفضي بالإخلاد إلى الاعتدال (٤) من عهدة الإلزام فضاغت عليهم للشقة  
وحل بهم (٥) ما حذرروه من الانفضاح .

[فصل] ولما قال إنها بقرة لا فريض ولا يكر عوان بين ذلك ، أى ليست بقية  
ولا مسنة بل هى بين السنين . حصلت الإشارة أن الذى يصلح لهذه الطريقة من لا يستهويه

(١) سورة الأنعام آية ١١٠ .

(٢) ورد في البيت ( أختال ) و ( وصال ) و ( أمنت ) من الزمان وقد أصلحنا ليستقيم المعنى والوزن .

(٣) سقطت هنا لفظة من الناسخ وهو ينتقل من ورقة إلى أخرى .

(٤) الاعتدال هنا بمعنى المدلول من الشيء .

(٥) وردت ( وجلبهم ) وهى غير ملائمة للمعنى والسياق .

نَزَقُ الشَّيْبِ وَنُكْرُهُ ، وَلَمْ يُعْطَلْهُ عِزُّ الْمَشِيبِ وَضَعْفُهُ ، بَلْ هُوَ صَاحِرٌ اسْتَفَاقَ عَنْ سُكْرِهِ ،  
وَقَبِيتَ لَهُ — بَعْدُ<sup>(١)</sup> — نَضَارَةٌ مِنْ عَمْرِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ . قَالُوا  
أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَغْرَ  
تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾  
كما كان يأخذ لونها الأبصار فالإشارة منها أن من كان من أهل القصة<sup>(٢)</sup> يستغرق شاهده  
القلوب ليما ألبس من رداء الجبروت ، وأقيم به من شاهد القيب<sup>(٣)</sup> حتى أن من لاحظته تناسى  
أحوال البشرية ، واستولى عليه ذكر الحق ، كذا في الظهير المنقول : أولياء الله الذين  
إذا رأوا ذكر الله ( . . . )<sup>(٤)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ  
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ  
لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا<sup>(٥)</sup> الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ  
فَذَبِّحْوهَا وَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

كما أن تلك البقرة لم يذللها العمل ، ولم تبذل في المكاسب ، لا لَوْنٌ فيها يخالف عظم  
لَوْنِهَا فالإشارة منه أن أهل الولاية<sup>(٦)</sup> الذين لم يقبلوا بالأغيار لتحصيل ما طلبوا من الأسباب ،  
ولم يركنوا بقلوبهم إلى الأشكال والأمثال ، ولم ينكسروا على الاختيار والاحتيايل ، ولبسوا  
نهباً لمطالبات المني ، ولا صيداً في غلب الدنيا ، ولا حكم للشهوات عليهم ، ولا سلطان  
للشريعة كملكهم ، ولم يسعوا قط في تحصيل مرادم ، ولم يشقوا لترك بقيتهم ، وليس عليهم  
رقم الأغيار ، ولا سبب الأسباب — فَنَهْمٌ قَائِمُونَ بِاللَّهِ ، فانون عما سوى الله ، بل هم نحو ،  
مُصْرَفُهُمُ اللَّهُ . وَالضَّالِّبُ — عَلَى قلوبهم — اللَّهُ  
وَمَا أَن مَبُودُهُمُ اللَّهُ كَمَلَّتْ مَقْصُودُهُمُ اللَّهُ .

(١) ربما صحت هل هذا ويكون المني ما زالت فيه بقية من نضارة عمره ، ويحتمل أن تكون في الأصل  
(بعض) ويكون المني وبقيت له بعض نضارة من عمره . (٢) بعد أهل التصوف .  
(٣) وردت (الغير) ولا معنى لها هنا لأن شهوة القيب هو الذي يحدث ذلك الأثر .  
(٤) في (س) علامات تدل على أن الكلام ميتور ، وترجع أن (ذاكر) بدل (ذكر) .  
(٥) أخطأ الناسخ عند كتابة هذه الفقرة من الآية الكريمة حيث وردت (قال) الآية ٧٠ من سورة البقرة .  
(٦) في (س) ولاية (بدون تعريف والأصح بها) .



وكما أن مقصودهم الله كذلك مشهودهم الله ، وموجودهم الله ، بل هم يحو بالله و (....) (١)

عنهم الله ، وأشد قائلهم .

إذا شئت أن أرضي وترضى وتملكي زيماني - ماعشنا معاً - وعناني  
إذن طرقتي الدنيا بعيني واسمعي بأذني وانطقي بلساني  
قوله جل ذكره : ﴿ قالوا الآن جئت بالحق فذبوها  
وما كادوا يفعلون ﴾ .

طلبوا الحيلة ما أمكنهم فلما ضاقت بهم الحيل استسلموا للحكم فنخلصوا من شدائد  
المطالبات ، ولو أنهم فعلوا ما أمروا به لما تضاعفت عليهم المشاق .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا قتلتم نفساً فادّوا أثم فيها والله  
مخرج ما كنتم تكتمون ﴾ .

الغلان خائف ، ونفسية أن يظهر سره يركن إلى التليس والتدليس ، والإنكار والجهود  
ولا محالة ينكشف حواره ، وتتضح أسرارُه ، وتهتك عن شينِ فعله أسناره . قال الله تعالى :  
« والله يخرج ما كنتم تكتمون » .

قوله جل ذكره : ﴿ قتلنا اضربوه ببعضها كذلك  
يحيي الله الموتى ويريك آياته ﴾ .

أراد الله سبحانه أن يحيي ميتهم ليفضح بالشهادة على قاتله قاصر بقتل حيوان لم يفعل  
سبب حياة مقتولهم قتل حيوان لم ، صارت الإشارة منه :

أن من أراد حياة قلبه لا يصل إليه إلا بذبح نفسه ، فمن ذبح نفسه بالمجاهدات حي قلبه بأنوار  
المشاهدات ، وكذلك من أراد الله حياة ذكره في الأبدال (٢) أمات في الدنيا ذكره بالخول (٣) .

قوله جل ذكره : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ،

فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من  
الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها  
لما يشقق فيخروج منه الماء وإن منها  
لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل  
 عما تعملون ﴾ .

(٢) وبما كانت في الأصل (الابد)

(١) مثبته في س .

(٣) أى منع منه الاشتغال بين الخلق لأن الله مرتبه لدى الحق .

بَيَّنْ أَنَّهُمْ — وإن شاهدوا عظيم الآيات وطالوا واضح البينات — فحين لم تساعدهم العناية ولم يخلق الله (لم) الهداية ، لم تزدكم كثرة الآيات إلا قسوة ، ولم تبرز لكم من مكامن التقدير إلا شقوة (على شقوة ، وشبه قلوبهم بالحجارة لأنها لا تقبل ولا تزك ، وكذلك قلوبهم لا تفهم<sup>(١)</sup> ، ولا تفنى<sup>(٢)</sup> . ثم بين أنها أشد ( . . . . . )<sup>(٣)</sup> من الحجارة ، فإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، ومنها ما تظهر عليه آثار خشية الله<sup>(٤)</sup> ، وأما قلوبهم فخالية عن كل خير ، وكيف لا وفد منيت بأعراض الحق عنها ، وحصت بأقزاع الخيرات منها .

قوله جل ذكره : ﴿ أَتَقْطِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْجَرُونَ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

أنبأهم عن إيمانهم ، وذكر أنهم بعد سماع الخطاب من الله — سبحانه — حرفوا وبدكوا فكيف يؤمنون لكم وإنما يسمعون بواسطة الرسالة ، ومن لم يبقَ على الإيمان بعد العيان فكيف يؤمن بالبرهان ، والذي لم يصلح للحق لا يصلح لكم ، ومن لم يحقش من الحق فكيف يحقش منكم ؟ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ .

تواصوا فيما بينهم بإنكار الحق ، وإخفاء الحال على المسلمين ، ولم يعلموا أن الله يطلعُ رسوله عليه السلام على أسرارهم ، وأن نوراً أظهر الغيب لا ينطقُ بمزاولة الأغيار . وموافقة اللسان مع مخالفة العقيدة لا يزيد إلا زيادة الفرة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ . قَوْلِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ رَأْيُ بِنَا قَلِيلًا ﴾ .

(١) نكتة في الهامش استدرك بها الناسخ اثنتاهما في موضعها .  
 (٢) أى لا تنفى عنهم من الله شيئاً ، وربما كانت في الأصل ( ولا تنى ) حتى تتلازم مع ( لا تفهم ) .  
 (٣) زيادة ميزها الناسخ — لا تؤوم لها .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله »

أخبر أنهم متفاوتون في قائص كفرهم ، فقومٌ منهم أخصُّ درجةً وأكثرُ جهلاً ركنوا إلى التقليد ، ولم يملكهم استيلاء شبهة بل اغتروا بظنٍّ ونخمين ، فهم الذين لا نصيب لهم من كتبهم إلا قراءتها ، دون معرفة معانيها . ومنهم مَنْ أكثرُ شأنه ما يسمّاه في نفسه ، ولا يساعده إمكان ، ولا لفتونه قط تحقيق . ثم أخبر عن سوء عاقبتهم بقوله جل ذكره :

« فويل لهم مما كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلَ لِمِمَّا يَكْسِبُونَ » .

أى خسروا في الحال والمآل ، والإشارة في هذه الآية لمن عَدِمَ الإخلاص في الصبغة في طريق الحق ، يَنْقُصُ إلى الأولياء ظاهراً ثم لا تصدق له إرادة فهو مع أهل الغفلة مضاجع ، وله مع هذه الطريقة جانب ، كلما دَعَتْهُ هوائف الحظوظ تسارع إلى الإجابة طوعاً ، وإذا فادته دواعي الحق — سبحانه — ينكفئ شيئاً ، فَيُتْلَسُ الحالة حين لم يخلص ، وما أشد ندمه فيما آخَرَ عن الله اثم لا يُفْلَحُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَسْتَأْذِنَكَ الْتَارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ، قُلْ أَتَعْبُدُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

الإشارة في هذه الآية لمن مرت على قلبه دعاواه المريضة ، وغلب عليه حسابه ، فحكم لنفسه — لفرط غفلته — بأنه من أهل القصة<sup>(١)</sup> ، وَيَحْتَلِدُ إلى هواجس مناه ، فيحكم على الغيب بأنه يتجاوز عنه ؛ نَسِيَ قبائح ما أسلفه ، ويذكر مغاليط ما غلّنه ، فهو عَبْدٌ نَفْسِهِ ، يغلب عليه حسن ظنه ، وفي الحقيقة تعثره نتائج غفلته ومكره ، قال تعالى : « وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ صَبَّحْتُمُ الْمُنَافِقِينَ » .

قوله جل ذكره : ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

الذي أحاطت به خطيئته هو الكافر — على لسان العلم<sup>(٢)</sup> .

(١) أى من أهل الطريق الصولى .

(٢) أى على لسان التفسير المادى أى غير الاشعارى

ولكن الإشارة منه إلى مَنْ سَكَنَ قَلْبُهُ على استغاثته على وجه الدوام ، فإن أصحاب الحقائق كالحب<sup>(١)</sup> على العقل - في أوقات محسوم ، فَمَنْ سَكَنَ فَلَيْفَ طَمِعَتْهُ - لا يَفْتَرُونَ<sup>(٢)</sup> .

وَمَنْ استند إلى طاعة يتوسلُ بها ويظن أنه يقرب بها يبنى أن يتباعد عن السكون إليها وَمَنْ يَحْقُقْ بالتوحيد عِلْمَ ألا وسيلة إليه إلا به .

قوله جل ذكره : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك

أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾

في الحال جنان الوصل . . . . .

( . . . . . )

( . . . . . )

( . . . . . )<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون

فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون

عليهم بالإثم والعدوان﴾ .

... أضرابكم وقرنائكم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ، الإشارة فيه أن نصرتمكم لإخوانكم على ما فيه بلاؤهم نصره عليهم بما فيه شقاؤهم ، فالأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو .

قوله جل ذكره : ﴿وإن يأتوك أسارى<sup>(٤)</sup> تنادونهم ،

وهو مُحَرَّمٌ عليكم إخراجهم ،

أفتؤمنون ببعض الكتاب

وتكفرون ببعض﴾

أى كما تراعون - بالعداء عنهم - حقوقهم ، فكذلك يُفترضُ عليكم كَفُّ أيديكم عنهم ، وتركُ إزعاجهم عن أوطالهم ، فإذا قُسمَ ببعض ما يجب عليكم فما الذى يقدمكم

(١) وردت (كلحب) وهى خطأ فى النسخ .

(٢) من الفترة ، وقد أوضحنا رأى المصنف فى الفترة والوقفة فى هامش سبق .

(٣) حدث سقط فيما بين (الوصل) و ... (أضرابكم) وبذلك لم يصلنا تفسير الآيات الكريمة من رقم ٨٢ إلى ٨٤ .

(٤) يستفزع الشيرى من لفظة أسارى إشارات مقيمة بمد قليل .

عن الباقي ، حتى تقوموا به كما أمرتم ؟ أما علمتم أن من فرق بين ما أمر به فآمن ببعض  
وكفر ببعض فقد حبط — بما ضيَّبه — أجرُ ما عملَ .

قوله جل ذكره : ﴿ فاجزاء من فعل ذلك منكم إلا خزي ﴾  
في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردُّون  
إلى أشدَّ العذاب وما الله بغافل عما  
تعملون ﴾ .

أى غلوا أن ما فعلوه تنعمهم ، فأنكشفت لهم في الآخرة أن جميع ما فعلوه — لما مزجوه  
بالآفات وجردوه عن الصدق والإخلاص — غيرُ مقبولٍ منهم .

والأسرَّاء أصناف : فمن أسير غرق في بحار الهوى فأقاده بأن تدله على الهدى .  
ومن أسير بقي في أيدي الوسواس فافتداؤه أن ترشده إلى اليقين بلوائح اليراهين لتنقذه من  
الشك والتخمين ، وتخرجه عن ظلمات التقليد فيما تقوده إلى اليقين . ومن أسير تجمده في أسر  
هواجسه استأسرته ظافة نفسه ، فنكَّ أسرَه بأن تدله على شهود البين ، يتبرَّيه عن حساب  
كلِّ حوَّلٍ يَخْلُقُ ويغيِّر . ومن أسير تجمده في ربيطة ذاته فنكَّ أسرَه إنشاده (١) إلى إقلاعه ،  
وإنجاده على ارتداعه . ومن أسير تجمده في أسر صفاته فنكَّ أسرَه أن تدله على الحق بما يحمل  
عليه من وثائق الكون (٢) ، ومن أسير تجمده في قبضة الحق فتخبره أنه ليس لأسرائهم  
فداء ، ولا لقتلام عود ، ولا ليعطيهم خلاص ، ولا عنهم بدٌّ ، ولا إليهم سبيل ، ولا من  
دونهم حيلة ، ولا مع سواهم راحة ، ولا لحكمهم ردٌّ .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا  
بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب  
ولا هم يُنصرون ﴾ .

إن الذين آثروا عليه شيئاً خسروا في الدنيا والآخرة كما قالوا :

---

(١) إنشاده إلى إقلاعه أى مطالبته والتمسح له .  
(٢) ردحت ( المسكون ) والأصوب المسكون لأن المصود يقتضى ذلك .

أَناسُ أَعْرَضُوا عَنَّا بِلَا جُرْمٍ وَلَا مَعِي  
فَإِنْ كَانُوا<sup>(١)</sup> قَدْ اسْتَفْتَوْا فَإِنَّا عَنْهُمْ أَغْنَى

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا  
مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ، وَآتَيْنَا عِيسَى  
ابْنَ مَرْيَمَ الْيِنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ  
الْقُدُسِ ، أَفَكُلَّمَا جَاءَكَ رَسُولٌ بِمَا  
لَا تَهْوَى أَنْفُسُكَ اسْتَكْبَرْتَمْ فَفَرِقْنَا  
كَذَّبْتُمْ وَفَرِقًا تَقْتُلُونَ ﴾ .

الإشارة : أوصلنا لهم الخطاب ، وأوردنا رسولا بعد رسول ، والجميع دَعَوًا إلى واحد .  
ولكنهم أَصْغَوْا إلى دعاء الداعين بسمع الهوى ، فما استلذته النفوس قَبِلُوهُ ، وما استقلته<sup>(٢)</sup>  
أهواؤهم جحدوه<sup>(٣)</sup> ، فإذا كان الهوى<sup>(٤)</sup> صفتهم ثم عبوديه ، صارت للعبود<sup>(٥)</sup> صفات العابد ،  
فلا جَرَمَ الأول لم ثم الأول !

قوله جل ذكره : ﴿ وَطَلَّوْا قُلُوبَنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ  
بِكُفْرِهِمْ فَقليلًا مَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

لو كان منهم شيء بمجرد الدعوى لمان وجود المعاني ، ولكن عند مطالبات التحقيق تَفَتَّرُ  
أنيابُ المتكبرين عن أسنان شاحنة بل ( . . . . )<sup>(٦)</sup> وقيل :

إذا السكت دموع في خدود تبين من يسكى من تباكي

(١) اللفظة ناقصة في المتن ومصحفة في الهامش على اليسار .

(٢) وردت ( استقلته ) وهي خطأ في النسخ .

(٣) وردت ( جحدوه ) ثم تصحیح لها في الهامش ( جحدوه ) ولا يسلم أنها : ( جحدوه ) على  
أساس تكرارهم للتوحيد .

(٤) وردت ( الهوا ) والصحيح ( الهوى ) .

(٥) وردت ( للعبود ) وهي خطأ في النسخ .

(٦) هنا كلمة مشبهة .

قوله جل ذكره: ﴿وَلَا جَاهِمُ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مِمْهُمْ وَكَاتُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَمِنَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝﴾ .

الإشارة فيه لمن عزم على الصفاء ، ووعد من نفسه بتحقيق الوفاء ، ونشر أعلام النشاط عند البروز<sup>(١)</sup> إلى القتال ، تنادى بالترال وصدق القتال — انهدم عند التفات<sup>(٢)</sup> الصنوف ، وانجزل عن الجملة خشية هجوم المخدور ، قال تعالى : « فَإِذَا عَزَمُوا الْأَمْرَ فَلَوْ صدَّقُوا اللَّهَ لَكُنْ خَيْرًا لَمْ » .

قوله جل ذكره: ﴿بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِه أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَقِيًّا أَنْ يُزِيلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝﴾ .

أنزلهم التحاسد عن مقر العز<sup>(٣)</sup> إلى حضيض الخزي ، وسامهم ذل الصغر حين لم يرضوا بمقتضى الحكم ، فأضافوا استيجاب مقت آف إلى استحقال مقت سالف .  
قوله جل ذكره : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوَاضَعُوا لِمَا عَلَيْنَا ، وَيَكْفُرُوا بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مِمْهُمْ ، قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ » .

(١) وردت ( البرود ) وهي خطأ في النسخ .

(٢) وردت هسكنا في ( س ) ، وربما كانت في الأصل ( التاء ) الصلوف أو ( التلاف ) كذلك يحصل ( انهدم ) بدلا من ( انهدم ) .

(٣) وردت ( اليسر ) وهي خطأ في النسخ .

الإشارة فيه : إذا قيل لم حَقَّقُوا ما أظهرتم من حكم الوفاق بتحقيق الحال وإقامة البرهان سَمِعَتْ ففوسِّم بيمض ما التبتس عندهم لما يوافق أهواءهم ، ثم يكفرون بما وراء حقلوطلهم ، ( . . . )<sup>(١)</sup> يندأ عن زمرة الخواص ، غير مدودين في جملة أرباب الاختصاص .

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ .

أى دعاكم إلى التوحيد ، وإفراد المعبود عن كل معبود ومحدود ، ولكنكم لم تسمعوا إلا إلى عبادة ما يلقى بكم من عجل اتخذتموه ، وعصمتم عنيتموه . فرغ ذلك من بين أيديهم ، لكن بقيت آثاره في قلوبهم وقلوب أعقابهم ، ولذلك يقول أكثر اليهود بالنشيه .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قلوا سمعنا وعصينا وأشرىوا في قلوبهم العجل بكفرهم ، قل يئسا يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ .

كرّر الإخبار عن علوهم في حب العجل ، ونبوهم عن قبول الحق ، و ( . . . . . )<sup>(٢)</sup> وتعرفهم بمآلاتهم بالقوبة على ما يستنون من العمل ، فلا التصحح تبع فيهم ، ولا القوبة أوجبت إقلاعهن عن معاصيهم ، ولا بالتم فيهم احتفلوا<sup>(٣)</sup> ، ولا بموجب الأمر عملوا .

(١) هنا لفظة مثلية .

(٢) أخطأ الناسخ حين كتبها ( جاءكم ) فصحتاها طبقاً للآية ٩٢ .

(٣) هنا عبارة غامضة كتابة وبالآل معنى .

(٤) ودت ( احتفلوا ) ، وللاشم السياق ( احتفلوا ) أى اظهروا الاهتمام .



قوله جل ذكره: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ  
عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ  
فَتَسْتَمُوا اللَّوْثَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>  
ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم  
والله عليم بالظالمين ﴿٢﴾ .

من علامات الاشتياق تمنى اللوث على بساط المواقي ؛ فمن وثق بأن له الجنة قطعاً  
— فلا محالة — يشاق إليها ، ولما لم يتمنوا اللوث<sup>(١)</sup> — وأخبر الله سبحانه أنهم لن يتمنوه  
أبداً — صار هذا التخریف معجزة للرسول صلوات الله عليه وعلى آله إذ كان كما قال .  
وفي هذا إشارة<sup>(٢)</sup> للمؤمنين الذين يشاقون إلى اللوث أنهم مغفور لهم ، ولا يرزقهم  
الاشتياق إلا وتحقق لهم الوصول إلى الجنة ، وقدما قيل : كفى للمقصر الحياء يوم اللقاء .  
قال الله تعالى : « ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم » .

قوله جل ذكره: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ ،  
وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ  
لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُ  
مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ  
بِمَا يَمْشُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

حُب الحياة في الدنيا نتيجة الغفلة عن الله ، وأشد منه غفلة أحبهم للبقاء في الدنيا . وحال  
المؤمن من هذا على الضد . وأما أهل الغفلة وأصحاب التهلكة فإنما حرصهم على الحياة لهمهم  
بما فقدوا فيها من طاعتهم ؛ فالعبد الآييق لا يريد رجوعاً إلى سيده . والانتقال إلى مَنْ هو  
خيرهُ مرجوٌ خيرٌ للمؤمنين من البقاء مع مَنْ شرهُ غيرُ مأمون ، ثم إن امتداد العمر مع يقيين

(١) في النسخة ( الجنة ) ولكن الآية السكرية والسياق يشيران إلى تمنى اللوث ثم إن الضمير فيها  
جدي ( لن يتمنوه أبداً ) ضمير مذكر وليس ضمير مؤنث .  
(٢) وردت ( ولما هنا إشارة ) وللمنى يتطلب ( إشارة ) بما يرجع منه على تلك .  
(٣) أسقط الناسخ من الآية من أول ( وما هو ) إلى ( أن يسر ) فأثبتناه .

للموت (لا قيمة له) إذا فاتجا الأمرُ واقطع السُرُّ . وكلُّ ما هو آتٍ قريب ، وإذا انتقضت  
اللدةُ فلا مردَّ لهجوم الأجل على أكتاف الأمل .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ  
نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا  
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ .  
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ  
وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ  
اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

زعمت اليهود أن جبريل لا يأتي بالخير ، وأنهم لا يحبونه ، ولو كان ميكائيل لكانوا  
أمنوا به ، فأكذبهم الحق سبحانه فقال : من كان عدوًّا لجبريل لأنه لا يأتي بالخير فأى خير  
أعظم مما نزل به من القرآن ؟ ؟

ثم قال إن من عادى<sup>(١)</sup> جبريل وميكائيل فإن الله عدو له ، فإن رسول الحبيب إلى  
الحبيب العزيز المورّد — كريم المنة ، عظيم الشرف . وما ضرت جبريل — عليه السلام  
— عداوة الكفار ، والحق سبحانه وتعالى وليه ، ومن عادى جبريل فالحقَّ عدوه ،  
وما أعزّز<sup>(٢)</sup> بهذا الشرف وما آجّل ! وما أكبر علوه !

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أُولُوا  
الْأَلْبَانِ ﴾ . أولئك الذين لا يؤمنون .  
يَكْفُرُ بِهِمَا إِلَّا الْمَافِقُونَ . أَوْ كَلَّمَا  
عَاهَدُوا عَهْدًا تُبْدِيهِمْ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِئْسَ  
الْعَهْدُ الَّذِي يَصِفُونَ .

لم يكفر بواضح آياته إلا من سُدَّتْ عن الإدراك بصائرُه ، وسبقت من الله بالشقاوة

(١) وردت (عبادى) وهى خطأ فى النسخ ، فعادى مبالغة لمدح محبتهم لجبريل كما سبق .  
(٢) الصحيح ان يقال وأعزّز . بهذا الشرف أو : ما أعزّز هذا الشرف فليس فى التعجب ما أنفِرَ به  
فما حدث هو خطأ من الناسخ لأن القشيري — كما نعلم من سيرته — حريص أشد الحرس على قواعد النحو .

قَسَمْتُهُ ، وَلَا عَقْلَ لِمَنْ يَجْعُدُ أَنَّ التَّهَارَ نَهَارٌ ، وَكَذَلِكَ لَا وَضْعَ لِمَنْ لَمْ تَسَاعِدْهُ مِنَ الْحَقِّ أَمْرٌ وَاسْتِبْصَارٌ ، أَوْ كُلُّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا سَابِقُ التَّقْدِيرِ لَمْ كَانَ يَشُوشُ عَلَيْهِمْ ، وَيَنْقُضُ عَهْدُهُمْ لَا حَقَّ التَّدْبِيرِ مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ<sup>(١)</sup> لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

جحدوا رسل الحق إلى قلوبهم من حيث انطواطر ، وكذبوا رسلهم الذين أتوهم في الظاهر ، فباجهلاً ما فيه شغلية من العرفان ! وإيا حرماناً قَارَنَهُ خِذْلَان !

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ، وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ .

مَنْ فَرَّقَتْهُ الْأَهْوَاءُ وَقَعَ فِي كُلِّ مَطْرَحٍ مِنْ مَطَارِحِ الْغَفْلَةِ ، فَيَسْتَقْبِلُهُ كُلُّ جِنْسٍ مِنْ قَضَايَا

---

(١) أخطأ الناسخ فكتبها ( ممدداً ) والصحيح ( مصدق ) الآية ١٠١ .

الجهالة ، ثم إن من طالت به الغيبة صار للناس عبدة ، ولين سلك طريقه فتنة ، فمن اقتدى به في غيبة انخرط في سلكه ، والتحق بجنسه ، هكذا صفة هاروت وماروت فيما استقبلهما ، صارا للخلق فتنة بل عبدة ، فمن أصنى إلى قبيلهما ، ولم يعتبر بهما تعلق به بلاؤهما ، وأصابه في الآخرة عناؤهما .

والإشارة من قصتهما إلى من مآل في هذه الطريقة إلى تمويه وتلييس ، وإظهار دعوى بتدليس ، فهو يستهوي من أتبعه <sup>(١)</sup> ، ويلقيه في جهنم بباطله ، ( ..... ) <sup>(٢)</sup> ومن تهتك بالجنوح إلى أباطيله تهتك أستاذه ، وظهر لذوى البصائر عوارده . وإن هاروت وماروت لما اغترأ بحاصل ما اعتاده من المعصية بسطاً لسان الملامة في عصاة بي آدم ، فلما ركب فيها من نوازع الشهوات ، ودواعي الفتن والآفات ، اقتحما في المصيان ، وظهر منهما ما انتشر ذكره على ألسنة القصاص ، وهما منكسان إلى يوم القيامة ولولا الفرق بهما وبشأنهما لما انتهى في القيامة عناؤهما ، ولكن لطف الله مع السكاكة كثير . ولما قال الله تعالى : « ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم » عليم أهل التحصيل أن العلم بكل معلوم — وإن كان صفة مدح — ففيه غير مرغوب فيه ، بل هو مستعاض منه قال النبي صلى الله عليه وسلم : أعود بك من علم لا ينفع .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِبَئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا

يعلمون ﴾

لو علم المغبون ماذا أبقى وماذا أبلى لتقطعت أحشاؤه حشرات ، ولكن سيلم — يوم تبلى السرائر — القى فاته من الكرائم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ

عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

ولو آتروا الإقبال على الله على اشتغالهم عن الله ، لحصلوا ذخراً الدارين ، ووصلوا إلى

(١) وودت ( التبة ) وهي خطأ في النسخ .

(٢) هنا عبارة غامضة كتابة ومضى ، ويرجح أن التاسخ قد وقع في إعطاء نغلة .

عَزَّ الْكَوْنَيْنِ ، وَلَكِنْ كَبَسَتْهُمْ سَطَوَاتُ الْقَهْرِ ، فَأُثْبِتْنَهُمْ فِي مَوَاطِنِ الْمَجَرِ .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا

وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝

قصودُ الأعداء في جميع أحوالهم — من أعمالهم وأقوالهم — قصودُ خيثة ؛ فهم — على مناهجهم — يبنون فيما يأتون ويدَّعون . فسيبُلُ الأولياء التَّحرُّزُ عن مشابهِهم ، والأخذُ في طريق غير طريقهم .

قوله جل ذكره : ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ وَلَا لِلشُّرَكِيِّنَ أَنْ يُتَزَلَّ

عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ،

وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝

كرهيةُ الأعداء لانتظام صلاح الأولياء متصلةٌ مُستدامةٌ ، ولكن الحسد لا يسود ، ولا يحصل له مقصود . وخصائص الرحمة للأولياء كافية — وإن زعمَ مِنَ الأعداء أفاك أنه انهدمت من أوطان فرحهم أكناف وأطراف .

قوله جل ذكره : ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ

بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ

اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝

النسخُ الإزالةُ أي ما ينقلك من حال إلى ما هو فوقها وأعلى منها ، فنصنُ وَصَلِكُ أبدأ ناضر ، ونجْمُ عَزْلُكُ أبدأ ظاهر ، فلا تنسخُ من آثار العبادَةِ شيئاً إلا وأبدلنا عنه أشياء من أنوار العبودية ، ولا نسخنا من أنوار العبودية أشياء إلا أقمنا مكانها أشياء من أنوار العبودية<sup>(١)</sup> .

---

(١) وردت ( من آثار العبودية ) وهي خطأ من الناسخ ، لأن السياق هنا يتطلب ( العبودية ) =

فأبداً<sup>(١)</sup> سِرِّكَ في الترقى ، وقدرك في الزيادة بحسن التوَلَّى  
وقيل مارقاًكَ عن محل العبودية إِلا سَلَكَكَ بساجات الحرية ، وما رَفَعَ عنك شيئاً من  
صفات<sup>(٢)</sup> البشرية إِلا أَطْعَمَكَ بشاهدين من شواهد الألوهية .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ .

سُنَّتُهُ — سبحانه — أن يجنب أوليائه عن شهود مُلْكِهِ إلى رؤية مُلْكِهِ<sup>(٣)</sup> ، ثم  
يأخذهم من مطالعة مُلْكِهِ إلى شهود حَقِّهِ ، فيأخذهم من رؤية آيَاتِهِ إلى رؤية صفاته ، ومن  
رؤية صفاته إلى شهود ذاته .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ زَيْدُونَ أَنْ تَأْتُوا رَسُولَكُمْ  
كَأُتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ . وَمَنْ  
يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ  
سُوءَ السَّبِيلِ ﴾ .

إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ آذَوْا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَنَهَى لِّلْمُسْلِمِينَ عَنْ فِعْلِ مَا أَسْلَفُوهُ ، وَأَمَرُوا

== فنحن نعرف من مذهب التشيى أن العبادة للهوام من اللؤمين ، والعبودية الخواص ، والعبودية  
لخاص الخاص .

العبادة لأصحاب المجاهدات ، والعبودية لأرباب المكابيات ، والعبودية صفة أهل الشاهدات ...  
وهكذا — ومن أساليب كثيرة في باب العبودية في « الرسالة » — نلاحظ أن الدرجة القصوى في الأمر  
هي ( العبودة ) ، والترتيب هنا يحى مكاناً آثار العبادة ، انوار العبودية ، أثمار العبودة ، وهو  
ترتيب في غاية الحكمة ، يسطي كل درجة قبلها .

( ) وردت ( فأبد ) بدون تنوين .  
(٢) نفقت النظر هنا إلى أهمية كلمة صفات البشرية ، أى أن المقصود — حسب مذهب التشيى — ليس  
سقوط البشرية في حد ذاتها ، وإنما صفاتها الملولة ، وينبى أن يكون واضحاً تمام الوضوح أن التصوف  
الإسلامى الحق — والتشيى من أفضل المبرين عنه — لا يقول بأدنى تداخل بين البشرية والألوهية  
قالبه عبد والرب رب .

(٣) ضبطنا ملك وملك مستعدين من كلام التشيى في كتابه « التنبيه » ضمن اسم « الملك » .

براءة أن حشمة الرسول صلى الله عليه وسلم بغاية ما يتسع في الإيمان . فكأنوا بحضرة كأن  
على رجوسهم الطير . قال تعالى : « تمزروه وتوقروه » وحسن الأدب — في الظاهر — عنوان  
حسن الأدب مع الله في الباطن .

قوله جل ذكره : ﴿ وَذَكِّرْهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
لَوْ يَرُّونَكُمْ مِنْ يَدَيْكُمْ عَنْكُمْ كُفَّارًا  
حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ  
مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاصْبُوا واصْبُوا  
حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

مَنْ لَحِقَهُ خَسْرَانُ فَفَهِمَ مِنْ أَصْحَابِ الْفِتْلَةِ وَذَلِكَ يَطْلَعُ لِأَحَدٍ بِالسَّلَامَةِ نَجْمٌ ، وَمَنْ اعْتَرَاهُ  
الْحَسَدُ أَرَادَ أَلَّا تَنْبَسِطَ عَلَى مَحْسُودِهِ شَمْسٌ .

وكنذلك كانت صفات الكفار ، فأرغم الله أنفهم ، وكبهم على (١) وجوهم .

والإشارة من هنا إلى حال أصحاب الإرادة في البداية إذا رغبوا في السلوك ، فمن لم يساعده  
التوفيق ( في الصلابة ، وعاشر أناساً متربسين بالطواهر ) (٢) فإنهم يمتنون هؤلاء من السلوك  
ولا يزالون يطالبونهم بلسان النصيح ، والتخويف بالعجز والتهديد بالفقر حتى ينقلهم إلى سبيل  
الفلة ، ويقطعوا عليهم طريق الإرادة ، أولئك أعداء الله حقاً ، أذكرهم مقت الوقت .  
وعقوبتهم حرمانهم من أن يشعروا شيئاً من روائع الصدق .

« فاصبوا واصبوا . . . » فسبيل المريد أن يحفظ عن الأغيار سره ، ويستعمل مع كل  
أحد ضلة (٣) ، وينذل في الطلب رضة (٤) ، فمن قريب ينتج الحق عليه طريقه .

(١) في النسخة (س) (كبهم لوجوهم) وقد آثرنا عليها (على وجوهم) .  
(٢) أصلنا في هذه العبارة قليلاً لكي يوضح معناها طبقاً لوصايا القشيري للفردين في « رسالت »  
(٣) هكذا وردت في (س) وقد نقلناها كما جاءت ، وربما كانت في الأصل ( ضلة ) بمعنى الصفة  
أي أن يحافظ على سره مع ربه عن طريق اتصاله مع صحبة بصفات ملائمة . تضمن أن يكون سره محفوظاً  
(٤) ربما كانت في الأصل ( وينذل في الطلب وسه ) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ،

وَمَا تَقْدُمُوا لَأَفْسَاحِكُمْ مِنْ خَيْرِ تَجِدُوهُ

عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝

الواجب على المريد إقامة المواصلات ، وإدامة التوسل بفنون<sup>(١)</sup> القربات ، واثقاً بأن ما يقدمه من صدق المجاهدات تُدرَك<sup>(٢)</sup> ثمرته في أواخر الحالات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ<sup>(٣)</sup> الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ

كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، تِلْكَ

أَمَانَتُهُمْ ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ، إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝

كلُّ حِزْبٍ بِمُحَمَّدٍ الْأَمَلِ لِنَفْسِهِ ، ويظنُّ النجاة لخاله ، ويدعى الوسل<sup>(٤)</sup> من سبهه .  
ولكن مجرد الحسين دون تحقق البرهان لا يأتي بمحصل ، ولا يجوز بطائل .

قوله جل ذكره : ﴿ بَلَى<sup>(٥)</sup> مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ ۝

أسلم وجهه أى أخلص لله قصده ، وأفرد لله وجهه ، وطهر عن الشوائب عقله .  
« وهو محسن » . عالمٌ بحقيقة ما يفعله وحقيقة ما يستعمله ، وهو محسن فى المآل كما أنه مسلم فى الحال .

ويقال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فتكون مستسلماً بظاهرك ، مشاهداً بسرائرك ،  
فى الظاهر جيد وسجود وفى الباطن كشف ووجود .

(١) جاءت هكذا فى س ( يقنون ) ثم صححها للناسخ فى المداresh .

(٢) جاءت فى س ( تدرَكوا ) .

(٣) أخطأ الناسخ إذ كتبها ( يدخلوا ) والصحيح ( يدخل ) الآية ١١١ .

(٤) الوسل والوسية والواسة = الوسلة والترفى من الله ( الوسيط ص ١٠٤٤ )

(٥) أسقط الناسخ ( بلى ) والصحيح وجودها الآية ١١٢ .



ويقال « أسلم وجهه » بالترام الطاعلت ، « وهو عمن » قائم بأداب الخدمة بحسن آداب  
الحضور ، فهو لا يسهل عليهم خوف المعجر ، ولا يلحقهم خفي المكر ، فلا الدنيا تشغلهم عن  
المشاهدة ولا الآخرة تشغلهم غداً عن الرؤية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى

عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ

الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ، وهم يثبون الكتاب ،

كنذك قال الذين لا يعلمون مثل

قولهم والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما

كانوا فيه يختلفون .

الإشارة في هذه الآية على العكس من حكم الظاهر ، فالأعداء يتبرأ بعضهم من بعض  
اليوم ، والأولياء من وجه كذلك ، ولما قالوا : لا زالت الصوفية بخير ما تافروا ، ولا يقبل  
بعضهم بعضاً لأنه لو قبل بعضهم بعضاً بقي بعضهم مع بعض .

لكن الأعداء كلهم على الباطل . عند تبارى بعضهم من بعض أما الأولياء فنكلهم  
على الحق — وهذه ما ذكرنا من حكم العكس .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ

أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسُيِّئَ خَرَابُهَا

أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا

إِلَّا خَائِفِينَ . لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ

فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

الإشارة فيه أن الظالم من خرب أوطان العبادة بالشهوات ، وأوطان العبادة نفوس  
الماعدين . وخرب أوطان المعرفة بالثمن والملاقات ، وأوطان المعرفة قلوب الماعدين .  
وخرب أوطان المحبة بالمفظوظ والمساكنات ، وهي أرواح الواجدين . وخرب أوطان

المشاهدات بالالتفات إلى القربات وهي أسرار الموحدين<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ في الدنيا خِزْيٌ ولم في الآخرة عذاب عظيم .

لأهل الإشارة خِزْيُ الدنيا بذل الحجب، وعذاب الآخرة الامتناع بالدرجات .

قوله جل ذكره : ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ أَقْدَرِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .

الإشارة منها إلى مشارق القلوب ومغاربها . وللقلوب شوارق وطوارق . وطوارقها هواجس النفوس تطرق في ظلمات المني والشهوات .

وشوارقها نجوم العلوم وأقار الحضور وثموس للمعارف .

فما دامت الشوارق طالمة فَعَبْلَةُ القلوب ، واضحية ظاهرة ، فإذا استولت<sup>(٢)</sup> الحقائق خفي سلطان الشوارق ، كالنجوم تستر عند طلوع الشمس ، كذلك عند ظهور الحق يحصل اصطلام وقهر ، فلا شهود رسم ، ولا بقاء حِسٌّ وفهم ، ولا سلطان عقل وعلم ، ولا ضياء عرفان . فإن وجدان<sup>(٣)</sup> هذه الجملة صفات لائق ببقاء البشرية ، وإذا صار الموصوف محوًّا فأفنى لهم بقاء الصفة !

قال تعالى : « فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ » مادام يبقى من الإحساس والتمييز بقية — ولو شظية — فالعَبْلَةُ مقصودة ، فإن لم تكن معلومة تكون مطالبة . وعلى لسان العلم إذا اشتبهت الدلائل بكلِّ وجهة ، ولا معرفة بالعَبْلَةُ تَسَاوَتْ الجِهَاتُ في جواز الصلاة إلى كل واحدٍ منها إذا لم يكن لثنية ترجيح .

---

(١) نرف من مذهب التشيعي أن الأسرار ( للموحدين ) ولقد ترجيح أن التاسخ أخطأ حينما كتبها ( الواجدين ) وقد أبتناها هنا على هذا الترجيح .  
(٢) وردت ( سولت ) وهي خطأ في النسخ .  
(٣) وجدان ، ووجود معبران لوجد ، غير أن التشيعي يؤثر استعمال اللفظة ( الوجود ) بمعناها الاصطلاحي الدقيق في موضعها للملائم ( التواجد بداية الوجد واسطة الوجود نهاية ) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۚ .

مَكْرَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ — من الإِفْهَاء — في الحال ، بل جعل موجب اغترارهم طول الإِهْمَال ، فَنَطَقُوا بِعَظِيمِ الْفِرْيَةِ عَلَى اللَّهِ ، وَاسْتَنْبَطُوا عَجِيبَ الْمِرْيَةِ فِي وَصْفِ اللَّهِ ، فَوَسَّوهُ بِالْوَلَدِ وَأَتَى بِالْوَلَدِ وَهُوَ أَحَدَى الْإِقَاتِ ۚ لَا حُدَّ لِنَاتِهِ ، وَلَا يَجُوزُ الشُّبُهَةُ فِي صِفَاتِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانُونَ ۚ .

أَيُّ لَيْسَ فِي السَّكُونِ شَيْءٌ مِنَ الْآثَارِ الْخَفِيَّةِ أَوْ الْأَعْيَانِ الْمُسْتَقْلَةِ إِلَّا وَتَدَايَ عَلَيْهِ آثَارُ الْخِلْقَةِ ، وَتَفْصَحُ مِنْهُ شَوَاهِدُ الْفُطْرَةِ ، وَكُلُّ صَامِتٍ مِنْهَا نَاطِقٌ ، وَعَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ — سُبْحَانَهُ — دَلِيلٌ وَشَاهِدٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ بِدَعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ .

الْبَدِيعُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مُوْجِدُ الْعَيْنِ لَا عَلَى مِثْلِ ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْإِشَارَةِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِثْلُهُ . فَهَذَا الْأَسْمُ يَشِيرُ إِلَى نَفْيِ اللَّثَلِ عَنْ ذَاتِهِ ، وَنَفْيِ الْمَثَالِ عَنْ أَعْمَالِهِ ، فَهُوَ الْأَحَدُ الَّذِي لَا عِدَدَ يَجْمَعُهُ ، وَالْمَسَدُ الَّذِي لَا أَمَدَ يَقْطَعُهُ ، وَالْحَقُّ الَّذِي لَا وَهْمَ يَصُورُهُ ، وَلِلْوُجُودِ الَّذِي لَا فَهْمَ يَقْدِرُهُ . وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَلَا يَمَارِضُ <sup>(١)</sup> عَلَيْهِ مَقْدُورٌ ، وَلَا يَنْفَكُ مِنْ حَكْمِهِ مَحْظُورٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ۚ

اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قَوْلُهُمْ

قَدْ يَبَيَّنُ <sup>(٢)</sup> الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۚ .

(١) الصواب أن تكون ( فلا يمارض ) ، فهكذا يسير القشيري في مثل هذا السياق .

(٢) وردت ( لولا يكلمهم ) وهي خطأ ، وقد سمحنا لها طبعاً للآية ١١٧ .

(٣) وردت خطأ ( يبين ) والصحيح ( بينا ) الآية ١١٧ .

كلام الله سبحانه متعلق بجميع المخلوقات بأعيانها وآثارها ، وأمر التكوين ( يتناول المكلفين وأفعال المكلفين )<sup>(١)</sup> ، لكن من عديم سمع الفهم تصام<sup>(٢)</sup> عن استماع الحق ، فإنه — سبحانه — خاطب قوماً من أهل الكتاب ، وأسمهم خطاباً<sup>(٣)</sup> ، فلم يطبقوا سمعاً ، وبعدم أروا من عظيم الآيات حُرّفوا وبدّلوا . وفي الآيات التي أظهرها ما يزيح الغلظة عن الأغيار ، ويشفي الغلظة من الأغيار ، ولكن ما تُثني الدلائل — وإن وضحت — عن حُجّت لم الشكوة وسبقت ؟

قوله جل ذكره : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ﴾  
ولا تسأل عن أصحاب الجحيم .

أفردناك بمخصائص لم نُظهِرْها على غيرك ؛ فالجهور والكافة تحت لوائك ، والمقبول من وافقك ، والمردود من خالفك ، وليس عليك من أحوال الأغيار سؤال ، ولا عنك لأحد ( . . . )<sup>(٤)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ﴾  
حتى تتبع ملّتهم قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ  
هُوَ الْمُهْدَى وَلَنْ أُتِمَّتْ أَهْوَاهُمْ بِهِ  
الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ  
اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ .

لا تبال برضاء الأعداء بعد ما حصل لك رضانا ، فإنهم لا يرضون عنك إلا بمناجاة أديانهم ، ودون ذلك لم حظ القتال فأعلن<sup>(٥)</sup> التبري منهم ، وأظهر الخلاف معهم ، وأنصب المداواة

(١) البارة التي في ( س ) مضطربة في الخط والمشي ، وقد سبحانه طبعاً لما نرف من آراء التشيبي الكلامية : إن الله خالق الباد وأفعال الباد ( فأنه خالق كل شيء ، أما الانسان فليس له أن يوصف بذلك لأن كل من خلقه وصف التكوين لا يصح منه الابداد ) .

(٢) وودت ( تصاع ) وهي خطأ في النسخ .

(٣) وودت أسمهم ( خاطبهم ) والأرجح أنها في الأصل أسمهم ( خطابه ) .

(٤) مثلية .

(٥) وودت ( ما علف ) وهي خطأ في النسخ ، وقد جعلناها ( فأعلن ) لتلازم ( وأظهر ) بهما . .

لهم ، وأعلم أن مساكنهم إلى ما يرزقون سبب الشقاوة المؤبدة ، فاحرص ألا ينظر ذلك  
 بيباك<sup>(١)</sup> ، وادعُ - إلى البراءة عنهم وعن طريقتهم - أمتك ، وكُن بنا لنا ، مُتَبَرِّكاً  
 عن سوانا ، واثمنا بفصرنا ، فإِنَّكَ بِنَا وَلَنَا .

قوله جل ذكره: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الكتاب يتلونه حق

الذين فتحن أبصارهم بشهود حقنا وَكَلَّمْنَا أَمْجَاع قُلُوبِهِمْ بِسَازِ خَطَابِنَا، وَخَصَصْنَا لَهُمْ نُورَ الْإِسْبَالِ عَلَيْهِمْ، وَأَيَّدْنَا بِمُتَحَقِّقِ التَّعْرِيفِ فِي أَسْرَارِهِمْ، يَقُومُونَ بِحَقِّ التَّلَاوَةِ، وَيُصَنِّفُونَ بِخَصَائِصِ الْإِيمَانِ وَلِلْعَرَفَةِ قَهْمَ أَهْلِ التَّخْصِصِ، وَمَنْ سِوَاهُمْ أَهْمَابُ الدِّدِ .

قوله جل ذكره: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمِي

جرت سُنَّتُهُ — سِمَحَاتُهُ — في اغتلاب مع قوم مومى عليه السلام أن يناديهم بِنَدَاءِ  
 العلامة فيقول : يا بني إسرائيل اذكروا ، أى يا بني يعقوب ، ومع هذه الآية <sup>(٢)</sup> أن يخاطبهم  
 بِنَدَاءِ الكَرَامَةِ فيقول : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا »

قوله جل ذكره: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ

أما الأعداء فلا يقبل منهم شيئا ، وأما الأولياء فقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو يشق فخره » ، والكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين فهذا حكم كل أمة مع نبيها ، وأما المؤمنون — فعل التخصيص — تنفعهم شفاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

(١) جاءت الجملة في س مكاننا ( فخرس عن أخطار ذلك ببلاك ) ومعنا لأنفسنا بشيء من التصرف .  
يلتحق فهم للنبي ، وربما كان أقرب إلى الأصل .  
(٢) قصد أمة للعظمى صلوات الله عليه وسلامه .

وكلُّ أحدٍ يقول يومئذٍ نفسى نفسى ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم يقول: أمتى أمتى<sup>(١)</sup> .  
قوله جل ذكره: ﴿وَلِإِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمْنَ﴾

البلاء بتحقيق الولاء ، فأصدقهم ولاءاً أشدهم بلاء .

ولقد ابتلى الحق — سبحانه — خليله عليه السلام بما فرض عليه وشرع له ، فقام بشرط وجوبها ، ووفى بحكم مقتضاها ، فأثنى عليه سبحانه بقوله : « وإبراهيم الذى وفى » — من التوفية — أى لم يقصّر وجه ألبنة .

يقال حملهُ أعباء النبوة ، وطالبه بأحكام الخلّة ، وأشدّ بلاء له كان قيامه بشرائط الخلّة ، والافتراء له بالتجافى عن كل واحد وكل شيء ، فقام بتصحيح ذلك مخلياً عن جميع ما سواه ، سيراً وعلناً .<sup>(٢)</sup>

كذلك لم يلاحظ جبريل عليه السلام حين تعرض له وهو يُقذف فى بطن الملاك ، فقال : هل من حاجة ؟ فقال : أما إليك . . . فلا .

ومن كمال بلاءه تعرض جبريل عليه السلام فى تلك الحالة ، وأى بقية كانت بقيت له منه حتى يكون مخلوق فيه مساغ كائناتاً من كان ؟

(١) أخطأ الناسخ حين نقلها « كل عبد يقول . . والصواب » كل أحد . . . وقد سمع التشيرى هذه البارة من أستاذة الدقاق — كما يقول فى رسالته فى باب الفتوة .

(٢) هذا هو رأى التشيرى فى « الخلّة » ، ونرى لزماً علينا أن نفيه إلى بعض الآراء الأخرى فيها . فالمتمرّز — الذين يتسمون من كل ما يحمل على التشبيه — ينزلون جهدم فى الاستئانة بالجنة للحصول على تأويلات للنس القرآنى بتعمد هذه الناية ، فلما لم يرضهم تحل لفظة الخليل على ظاهرها فى الآية « واتخذ الله لإبراهيم خليلاً » ( النساء : ١٢٥ ) استشهدوا ببني من الشر التدرج لزمير وهو : ولأن اتاه خليل يوم صألة يقول لا غالب ملكى ولا حرم .

( ديوان زمير نمر دار الكتب من ١٥٣ ) وفيه خليل بمعنى عتاج ، وقد أورد التشيرى هذا الرأى ضمن تفسيره للآية ١٢٤ النساء ، أى أنه لا يمارض أن تحتل لفظة هذا المعنى .

ويسر دكتور عبد الرحمن بدوى قول أبى طالب المسكى ( إن رابطة قد ارتفعت إلى وصف معنى الخلّة ) بما يلى : ( على أن مقام الخلّة هذا يمكن أن يُفسر على أساس أنه شعور يتجاوز الخير والشر ، ذلك أن العلم الأخلاقية لا اعتبار لها إلا بالنسبة إلى بنى الإنسان والدنيا . أما — رابطة وربّاح — فقد تجاوزا نطاق البشرية وصارا يلوذان بجوار الأروحية واطرحا الناسوت وشاع فيهما اللاهوت » .

شبيبة المشق الألهى ص ٦٣ ، ٦٤

وفى هذا إشارة دقيقة إلى الفرق بين حال نبيِّنا صلى الله عليه وسلم وحال إبراهيم عليه السلام، لأنه تعرض جبريل للخليل وعرضَ عليه نفسه :

فقال : أَمَا إِلَيْكَ . . . فَلَا . وَلَمْ يُطِقْ جبريل محبة النبي صلى الله عليه وسلم فنطق بلسان المعجز وقال :

لَوْ دَنَوْتُ أُمَّةً لَأَحْتَرَقْتُ<sup>(١)</sup> .

وشتان بين حالة يكون فيها جبريل عليه السلام من قُوَّتِهِ بحيث يعرض للخليل عليه السلام نفسه ، وبين حالة يشرف للحبيب — صلوات الله عليه — فيها بعجزه .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۚ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۚ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۚ ﴾

الإمام مَنْ يُقْتَدَى بِهِ ، وقد حقق له هذا حتى خاطب جميع الخلائق إلى يوم القيامة بالانضمام به فقال : « ملّة أَيْكُمْ لإبراهيم » أى اتبعوا ملّة إبراهيم يعنى التوحيد ، وقال : « وانضموا من مقام إبراهيم مُصَلِّيً » .

هذا هو تحقيق الإمامة . ورتبة الإمامة أَنْ يَفْهَمَ عَنْ الْحَقِّ ثُمَّ يُفْهَمَ الْخَلْقُ ؛ فَيَكُونُ واسطة بين الحق والخلق ، يكون بظاهره مع الخلق لا يفر عن تبليغ الرسالة ، وبباطنه مشاهدًا للحق ، لا يتغير له صفاء الحالة ، ويقول للخلق ما يقوله له الحق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۚ ﴾

نطق بمقتضى الشفقة عليهم ، فطلب لهم ما أكرم به . فأخبره أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِمُسْتَحَقٍّ لِّسَبِّهِ ، أَوْ بِاسْتِجَابِ سَبِّهِ ، وَإِنَّمَا هِيَ أَقْسَامُ مَضَتْ بِهَا أَحْكَامُ فَقَالَ لَهُ : « لَا يَنَالُ عَهْدِي

(١) يشير بهذا إلى ما حدث ليلة الاسراء والمراجع إلى اللأهل الأهل ( انظر كتاب المراجع ) القشيري نصره دكتور على عبد القادر . ط . ( الكتب الحديثة ) سنة ١٩٦٤ .

الظالمين » وليس هذا كنتم الدنيا وسعة الأرزاق فيها ، ففى لا ادْخَارَ لها من أحد وإن كان كافرين ، وقلنا :  
﴿

قال جلّ ذكره : ﴿ وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾  
فقال الله تعالى : ﴿ ومن كفر فأمتعه قليلا ﴾

يعنى ليس لهدنيا من الخطر ما يمنها عن الكفر ، ولكن عهدى لا يناله إلا من اخترته من خواص عبادى .

أما الطعام والشراب فغير ممنوع من أحد .

أما الإسلام والهاب فغير مبنول لكل أحد .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾

واذكر يا محمد حين جعلنا البيت — يعنى الكعبة — مثابة للناس إليه يثوبون ، وأمانا لهم إليه يرجعون ، وإياه من كل نحو يقصدون .

هو بيت خلقته من الحجر ولكن أضفته إلى الأزل ؛ فنظر إلى البيت بعين الخلقه انفصل ، ومن نظر إليه بعين الإضافة وصل واتصل<sup>(١)</sup> ، وكل من للتجا إلى ذلك البيت آمن من عقوبة الآخرة إذا كان التجاؤه على جهة الإعظام والاحترام ، والتوبة عن الآثام .

ويقال يُقَى البيت من الحجر لكنه حجر يجذب القلوب كحجر المغناطيس يجذب الحديد .

بيت من وقع عليه ظله أمانه بقوة<sup>(٢)</sup> الأمن .

(١) قارن رأى القشيري الصوى الحريس بأراء بعض الصوفية الذين أوتوا حظا من الجرأة فى التعبير . من هذا الموضوع ، من ذلك مثلا قول رابعة « لا أريد الكعبة بل رب الكعبة أما الكعبة فإذا أنزل بها ... ولم تنأ أن تنظر إليها ( تذكرة الأولياء . المطار ج ١ ص ٦١ ) .

وقول الخلاج : « إن شئنا إلى آفة يجب أن مجموعتيا فى نفوسنا صورة الكعبة ، كما نجد من أقامها » شتتجات قلقة فى الاسلام . د . يدوى ص ٦٨ .

(٢) السقوة = الموضع للتعس أمام الدار أو المحلة أو حولها ( الوسيط ص ٦٢٤ ) .



بَيْتٌ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ طَرَفُهُ بُشِّرَ بِتَحْقِيقِ الْفَرَّانِ .  
 بَيْتٌ مَنْ طَافَ حَوْلَهُ طَافَتْ الطَّائِفُ بِقَلْبِهِ ، فَطَوَّفَتْهُ بِطَوْفَةٍ ، وَشَوَّطَتْهُ بِشَوَّطَةٍ وَهَلْ جَزَاءُ  
 الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ .

بَيْتٌ مَا خَيْرَ مَنْ أَتَقَى عَلَى الْوَصُولِ <sup>(١)</sup> إِلَيْهِ مَالَهُ .  
 بَيْتٌ مَا رَجَحَ مَنْ ضَنَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ زَارِهِ نَبِيَّ مَزَارِهِ ، وَهَجَرَ دِيَارِهِ .  
 بَيْتٌ لَا تُسَبِّحُ إِلَّا إِلَيْهِ لِلْسَّافَةِ ، بَيْتٌ لَا تُتْرَكُ زيارَتُهُ لِحَصُولِ خَافَةٍ ، أَوْ هَجُومِ آفَةٍ ، بَيْتٌ  
 لَيْسَ لَهُ بِمِجْمَعَةِ الْقُرَاءِ آفَةٍ .

بَيْتٌ مَنْ قَعَدَ عَنْ زيارَتِهِ قَلَعَهُمْ فُتُوؤُهُ ، أَوْ لَقَعَهُ مَحَبَّتُهُ .  
 بَيْتٌ مَنْ صَبَرَ عَنْ قَلْبِهِ أَقْسَى مِنَ الْحِجَارَةِ . بَيْتٌ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ شِعَاعُ أَنْوَارِهِ نَسَكَى عَنْ  
 شِعْوَمِهِ وَأَقَارِهِ .

بَيْتٌ لَيْسَ الْمَجِبُ مِنْ بَقَى ( عَنْهُ ) <sup>(٢)</sup> كَيْفَ يَصْبِرُ ، إِنَّمَا الْمَجِبُ مَنْ حَضَرَهُ  
 كَيْفَ يَرْجِعُ !

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّقُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ .  
 عِبَادُ رَفَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدَمًا فَا إِلَى الْقِيَامَةِ جَعَلَ أَرْضَ قَدَمِهِ قِبْلَةً لَجَمِيعِ السَّالِكِينَ إِكْرَامًا  
 لَا مَدَى لَهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَعِدْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ  
 طَهْرًا يَبْقَى لِلطَّائِفِينَ وَالْمَا كُفِينَ  
 وَالزَّكَاةَ السَّجُودَ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
 رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَارْزُقْ  
 أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ  
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ

(١) وردت ( الوصل ) وهي خطأ في النسخ .

(٢) ( عنه ) تسكعة جاءت في هامش المتنعة : وهي تسكعة ضرورية .

قليلاً ، ثم أضطروه إلى عذاب النار  
وينس المصير ❦ .

الأمر في الظاهر بتطهير البيت ، والإشارة من الآية إلى تطهير القلب .  
وتطهير البيت بصوته عن الأدناس والأوضار ، وتطهير القلب بحفظه عن ملاحظة  
الأجناس والأغيار .

وطوافُ الحجاج حول البيت معلومٌ بلسان الشرع ، وطوافُ المعاني معلومٌ لأهل الحق ؛  
فقلوبُ المارفين للمعاني فيها طائفة ، وقلوبُ الموحدين للحقائق فيها ما كفة ، فهؤلاء أصحاب  
التلوين<sup>(١)</sup> وهؤلاء أرباب التمكن .

وقلوبُ القاصدين بملزمة الخلع على باب الجود أبداً واقفة .  
وقلوبُ الموحدين على بساط الوصل أبداً راكعة .  
وقلوبُ الواجدين على بساط القرب أبداً ساجدة .

وقال صواعد نوازح الطالبين بباب الكرم أبداً واقفة ، وسراى قصود المريدين بمشهد  
الجود أبداً طائفة ، ووفود ههم المازفين بحضرة العز أبداً ما كفة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا  
بِلَدًا آمِنًا ﴾ .

السؤال إذا لم يكن مشوباً بحفظ المبدأ كان مستجاباً ، ولم يكن سؤال إبراهيم هذا لحفظ  
نفسه ، وإنما كان لحقُّ ربه عز وجل .

ولما حفظ شرط الأدب طلب الرزق لمن آمن منهم على الخصوص أجيب فيهم

---

(١) ووددت ( التكوين ) وهي خطأ من التناسخ ، والصحيح أنها ( التلوين ) .  
والتلوين والتكنين لفظان اصطلاحيان : ( التلوين صفة أرباب الأحوال والتكنين صفة أهل الحقائق ،  
فأدام المبدأ الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقى من حال إلى حال ، ويتلن من وصف إلى وصف  
وهو أبداً في الزيادة أما صاحب التمكن فوصل ثم اتصل ، وأما أنه اتصل أنه بالكيفية من كنيته بطل .  
والتغير بما يرد على المبدأ إما لقوة الوارد أو لضعف صاحبه ، والتكون إما لقوته أو لضعف الوارد عليه )  
الرسالة ص ٤٤

وفي الدين لم يؤمنوا . ولما قال في حديث الإمامة : « من ذُرِّيَّتِي » من غير إذن مُسَمَّعٍ وقيل له :  
« لا ينال عهدى الظالمين » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ  
وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

نَجْحُ السُّؤال في صدق الانبهاال ؛ فلما فرغا إلى الخوض في الدعاء أنامها المدد ،  
ونَحْقِ السُّؤال .

« إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ » لأقوالنا « العليم » بأحوالنا .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ، وَمِنْ  
ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ، وَأَرْسِلْ  
مِّنَّا رَسُولًا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ  
الْوَهَّابُ الْحَكِيمُ ﴾ .

« مسلمين » : متقادين لحكمك حتى لا يتحرك مِنَّا عِرْقٌ بغور رضاك ، واجعل من  
ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مسلمةً لك لتقوم بعدنا مقامنا في القيام بحقوقك ، وشتان بين من يطلب وارثاً  
لله ، وبين من يطلب نائباً بعده يقوم بطاعته في أحواله .

« وَأَرْسِلْ مِّنَّا رَسُولًا » : إذ لا سبيل إلى معرفة المواقفات إلا بطريق التوفيق والإعلام .  
« وتب علينا » : بعد قيامنا بجميع ما أَمَرْتَنَا حتى لا نلاحظ حركاتنا وسكناتنا ،  
ونرجع إليك عن شهود أفعالنا لئلا يكونَ خطَرُ الشُّركِ الخفيِّ في توهم شيء مِنَّا بنا .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو  
عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ ﴾ .

إن الواجبات لما كانت من قبلي الرسل دون مجرد المقول سأل ألا يتركهم سُدًى ،  
وَأَلَّا يُخْلِيَهُمْ عَنْ رَسُولٍ وَشَرَعَ . وطلب في ذلك للوقف أن يكون الرسول « منهم »  
ليكونوا أَتَسْكَنَ إِلَيْهِ وَأَسْهَلَ عَلَيْهِمْ ، ويصح أن يكون معناه أنه لما عَرَفَهُ — سبحانه —  
حَالًا نَبِيًّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل إنجاز ما وعده على الوجه الذي به ( أمره <sup>(١)</sup> ) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا  
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

أخبر أنه آثر الخليل صلوات الله عليه على اللرية ، فجعل الدين دينه ، والتوحيد شِعَارَهُ  
والمعرفة صفته ؛ فمن رَغِبَ عن دينه أو حاد عن سُنَّتِهِ فالباطل مطرحة ، والكفر مهواه ؛  
إذ ليست الأنوار يجمعتها إلا مقتبسة من نوره .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ  
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

الإسلام هو الإخلاص وهو الاستسلام ، وحقيقته الخروج عن أحوال البشرية بالكلية من  
منازعات الاختيار ومعارضات النفس ، قال : « أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » : فأبليت الأمر بالسمع  
والطاعة ، واعتنقت الحكم على حسب الاستطاعة . ولم يدخر شيئاً من ماله وبدنه وولده ،  
وحين أمر بذيبح الولد قصد الذبيح ، وحين قال له خُذْهُ مِنَ الْأَمْرِ ( عمل ) <sup>(٢)</sup> ما أمر به ، فلم  
يكن له في الحالين « اختيار » ولا تدبير .

ويقال إن قوله : « أَسْلَمْتُ » : ليس بدعوى من قبيله لأن حقيقة الإسلام إنما هو التبرى من  
الحول والقوة ، فإذا قال : « أَسْلَمْتُ » فكأنه قال أَقْبَى فبما كلمتني ، وَحَقَّقَ مَنَى مَا بِهِ  
أُتْرُقِي . فهو أحال الأمر عليه ، لا لإظهار معنى أو ضمان شيء من قبيل نفسه .  
ويقال أمره بأن يستأثر بمطالبات القدرة ؛ فإن من حلَّ في الخلَّة محلَّ يحمل به — لا محالة —  
ما حلَّ به .

(١) ترجح أنها في الأصل ( أخيره ) حتى تتلاءم مع السياق وبنا يكون التاسخ غلطاً في نقلها .  
(٢) ذ م ( كَمَلِيم ) ويمكن أن يحتملها المعنى ، ولكن ترجيح ( عمل ) أقوى في الدلالة على الامتثال

وَيُسْأَلُ مَا هَذَا سُؤَالَ فَيَقَالُ : كَيْفَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : « أَسَلْتُ » وَلَمْ يَقُلْ نَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِنَا قِيلَ لَهُ : « أَعْلَمَ » عَلِمْتُ ؟ .

والجواب عن ذلك من وجوه : منها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أَنَا أَعْلَمُ بِاللَّهِ »<sup>(١)</sup> ، ولكن لم يَرِدْ بعده شرع فكان يخبر عنه بأنه قال علمت .

ويقال : إن الله سبحانه أخبر عن الرسول عليه السلام بقوله : « آمَنَ الرَّسُولُ » لأن الإيمان هو العلم بالله سبحانه وتعالى ، وقول الحق وإخباره عنه أَمُّهُ من إخباره .. عليه السلام .. عن نفسه .

والآخر أن إبراهيم لما أخبر بقوله : « أَسَلْتُ » اقترنت به البلوى ، ونبيْنَا — صلى الله عليه وسلم — يتحرز عما هو صورة الدعوى فَحَفِظَ وَكُنِيَ .

والآخر أن إبراهيم عليه السلام أَمِرَ بما يجري مجرى الأفعال ، فإن الأسلام به إليه يشير . ونبيْنَا صلى الله عليه وسلم أَمِرَ بالعلم ، (ولطائف العلم أقسام)<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ ، وَيَعْقُوبَ :

يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ  
فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

أخبر أن إبراهيم عليه السلام وصَّى بنيه ، وكذلك يعقوب عليه السلام قال لبنيه لا يصيبنكم للوث إلا وأنتم بوصف الإسلام . فشرائعهم — وإن اختلفت في الأفعال — فالأصل واحد ، ومشرَب التوحيد لا ثانی — له في التقسيم — وقوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى

(١) « أَنَا أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَأَشْأَكُهُ » .

البخاري عن أنس « وَاقَهُ إِلَى لِأَخْشَاكُمُ وَأَتَقَاكُمُ لَهُ » .

والشيخان عن عائشة « وَاقَهُ إِلَى لِأَخْشَاكُمُ بِاللَّهِ وَأَشْأَكُمُ لَهُ خَشْيَةً » .

(٢) هنا وضع الناسخ علامة تدل على أنه أخطأ في النقل ، ولهذا فإن العبارة التي وردت في (س) مضطربة وقد آثرنا أن نلتقط منها ما ترجح أنه ملائم للمعنى . فالتصود أن إبراهيم عليه السلام عبَّرَ بقوله « أَسَلْتُ » وهذا فعل إنساني بينما لم يقل الرسول (س) « عَلِمْتُ » لأن العلم ليس كعب القيد وإنما هو قسمة له أي أنه من عين الجود لا من قبيل الجهود ، والله أعلم

لَكُمْ الدِّينَ « بِشَارَةٍ بِمَا هَوَىٰ بِهِ دَوَاعِيهِمْ عَلَى الرِّغْبَةِ فِيَّا يَكْفِيهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ، لِأَنَّهُمْ إِذَا تَحَقَّقُوا أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَصْطَفَىٰ لَهُمْ ذَلِكَ عِلْمُوا أَنَّهُ لَا عَمَّالَةَ يَمِينُهُمْ فَيَسْهَلُ عَلَيْهِمُ الْقِيَامُ بِحَقِّ الْإِسْلَامِ .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ اللَّوْثُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ ﴾ .

جروا كلهم — صلوات الله عليهم — على منهاج واحد في التوحيد والإسلام ، وتوارثوا ذلك خَلْفًا عَنْ سَلَفٍ ، فهم أهل بيت الزلفة ، ومستحقو القرية ، والمطهرون من قبل الله — على الحقيقة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُمَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .  
لم يقولوا إلهاً مراعاة لخصوصية قَدْرِهِ ، حيث سلوا له للزفة ، ورأوا أنفسهم ملحقين ببقائه ، ثم أخبروا عن أنفسهم أَنَّهُمْ طُيِّعُ لَهُ <sup>(١)</sup> بقوله « وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .  
قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

أَنْزَلَ الْحَقُّ — سَبَّحَانَهُ — كُلًّا بِمِثْلِهِ ، وَأَفْرَدَ لِكُلِّ وَاحِدٍ قَدْرًا بِمُوجِبِ حِكْمِهِ ، فَلَا لِهَوْلَاءَ عَنْ أَشْكَالِهِمْ خَيْرٌ ، وَلَا بِمَا خَصَّ بِهِ كُلَّ طَائِفَةٍ إِلَى آخِرِينَ أَمْرٌ ، وَكُلٌّ فِي إِقْلِيمِهِ مَلِكٌ ، وَلِكُلِّ يَدُورُ بِالسَّادَةِ فَلَيْتُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

(١) وَرَدَّتْ (طَبِيعُهُمْ) وَتَوَجَّحَ أَنْ النَّاسُ قَدْ أَخْطَأَ فِي النَّفْلِ لِأَنَّ « وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » مَتَاهُ (وَنَحْنُ طُيِّعُ لَهُ) وَطُيِّعَ جَمِيعُ طَائِفَةٍ مِثْلُ وَسْطِجٍ وَسَجْدٍ مِنْ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ .

منه إذا تجاوزتكَ الفِرق ، واختلعت عليك الطالبات بالمواقة ، فاحكم بتقابل دعاوهم ،  
وأزِد من توجهِك إلينا ، جاريًا على منهاج الخليل عليه السلام في اعتزال الجلة ، سواء كان أباه ،  
أو كان ممن لا يوافق مولاہ ، ولذا قال « وأعتزلکم وما تدعون من دون الله » للحق بالحق :

قوله جل ذكره : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾

وما أُنْزِلَ إلى إبراهيم وإسماعيل

وإسحاق ويعقوب والأسباط ،

وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى

النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحدٍ

منهم ونحن له مسلمون ﴿ ١٠٠ 》 .

لما آمن نبيُّنا صلى الله عليه وسلم بجميع ما أُنْزِلَ من قبله أُكْرِمَ بجميع ما أُكْرِمَه من  
قبله ، فلما أظهر موافقة الجميع أمرَ الكلَّ بالسكون تحت لوائه فقال : « آدمُ ومن دونه تحت  
لوائى يوم القيامة » <sup>(١)</sup> .

ولما آمنت أمتُه بجميع ما أنزل الله على رسله <sup>(٢)</sup> ، ولم يفرقوا بين أحدٍ فهم ضربوا  
في التكريم بالسهم الأعلى فتقدموا على كافة الأمم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَمَّوا ﴾

وإن تولوا فإِنَّمَا هم في شقاقٍ فيسكينكم

الله وهو السميع العليم ﴿ ١٠١ 》 .

إن سلكوا طريقكم ، وأخذوا بسيلكم ، أُكْرِمُوا بما أُكْرِمْتُمْ ، ووصلوا  
إلى ما وصلتم ، وإن أبوا إلا امتيازًا أَيْنَأَ إلّا هوانهم . فَإِنْ تَفَرَّقْنَا مِنْ خِدْمَتِكَ بِإِعْمَالِ الصَّلَاةِ ،

(١) « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا خير ، ويبيد لواء الحمد ولا خير ، وماني يومئذ آدم فمن سواه  
إلا تحت لوائي » .

من أحاديث الشفاة رواه الترمذى ( ٧٩ / ٦ متعجب كنز العمال ) .

(٢) وردت رسوله ، والأول أن تكون رسوله لأن السياق يقتضى ذلك .

وإعراضنا عن بآيتك وخالفك ( . . . )<sup>(١)</sup> ، من خالفك فهو في شق الأعداء ، ومن خدّك فهو في شق<sup>(٢)</sup> الأولياء .

« فيكشفكم الله وهو السميع العليم » : كفاية الله متحققة لأن عناية الله بكم متعلقة ، فمن نأذكم قصته أيدى النصره ، ومن خالفكم قهرته قضايها القسمة ، وهو السميع لمناجاة أسراركم معنا على وصف الدوام ، العليم باستحقاقكم ( منا )<sup>(٣)</sup> خصائص اللطف والإكرام .

قوله جل ذكره : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ .

منه الزموا صبغة الله ، فهو نصب بإخبار فعل .

والإشارة أن العبرة بما وضع الحق لا بما جمع العبد ، فما يتكلفه المخلوق في الزوال مأكله ، وما أثبت الحق عليه الفطرة فبإثباته العبرة .

والتلوين صبغة وللأرواح صبغة وللأسرار صبغة وللظواهر صبغة . صبغة الأشباح والظواهر بآثار التوفيق ، وصبغة الأرواح والمرائر بأنوار التحقيق .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أُنْحَاكُمْ رِئْبًا وَرِبْصًا وَكُنَّا أَعْمَالًا وَلَكُمْ أَعْمَالٌ ﴾ .

ونحن له مخلصون ﴿<sup>(٤)</sup>﴾ .

كيف تصح<sup>٥</sup> حاجة الأجانب<sup>(٦)</sup> وهم تحت غطاء النبوة ، وفي خلال الحجة . والأولياء في ضياء الكشف وظهور الشهود ؟

(١) هناك ( بالواجب ) ونظن أنها في الأصل ( بالفرقة ) أو ما في معناها لتقابل ( الوصية ) .  
(٢) وردت ( سك ) والمضى يرفضها تماما مما يدل على أنها خطأ من الناسخ . وربما كانت ( سلك ) .  
(٣) وردت ( من ) وهي مقبولة ، ولكن الأجل أن تكون ( منا ) حتى تتسجم الموسيقى الداخلية — وهذه خصيصة في أسلوب التشيخي — مع ( منا ) في الجملة السابقة عليها ، فضلا عن أن فيها إعادة كل فضل إلى الله .

(٤) أخطأ الناسخ وكتبها ( مخلصون ) وصحة الآية (١٣٨) ( . . . مخلصون ) .

(٥) وردت ( الأجابه ) وهي خطأ من الناسخ .



ومنى يستوى حال من هو بنت الإخلاص يَنْبَغِيهِ مع حال من هو فى حكم الاختصاص والإخلاص لا تفرقه فى قُرْبَتِهِ ؟ هيهات لا سواء !

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا لَأِبراهيمَ وإسماعيلَ  
وليسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا  
هوداً أو نصارى قُلْ أأنتم أعلمُ أم  
الله ، ومن أنظلمَ ممن كُتِبَ شهادة  
عِندَهُ مِن الله وما الله بِغافلٍ عما  
تعملون ﴾ .

مَنْ نظرَ مِنْ نفسه إلى اتِّلَاقِ يَنْخِيلَ كُلَّ يَرَقِهِ ، وبحسبِ الجميعِ بنمتِ مثله ؛ فلما كانوا  
بِحُكْمِ الْأَجْنِيَّةِ حُكْمَ الْأَنْبِيَاءِ — عليهم السلام — بمثلِ حالتهم ، فردَّ الحقُّ — سبحانه —  
عليهم ظُهُومَ ( ... )<sup>(١)</sup> فيهم رأيتهم . وهل يكونُ المجدوبُ عن شاهدهِ كالْمَجْدُوبِ فى شاهدهِ ؟  
وهل يتساوى المختطفُ<sup>(٢)</sup> عن كُلِّهِ بالمردودِ إلى مثله ؟  
ذلك ظنُّ الذين كفروا فتعسا<sup>(٣)</sup> لهم !

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ أمةٌ قد خَلَّتْ لها ما كَتَبْتَ  
ولكم ما كُتِبَتم ولا تُسألون  
عما كانوا يعملون ﴾ .

حالتَ بينكم وبينهم حواجز من القيسة ؛ فهم على الفرقة والغفلة أسوأ بنياتهم ، وأتم  
على الزلفة والوصلة ضربتم خيامكم . وعتيق فضلنا لا يشبه طريقه قهرنا<sup>(٤)</sup> ..

(١) مثبته لى (س) .

(٢) وردت ( المختطف ) وهى خطأ من الناسخ ، فمن معرفتنا بأسلوب القشيري نجزم أنها ( المختطف )  
من كُله خذ مثلا قوله لى منتهل رسالتك مبعراً عن الفكرة ذاتها ... واخطفوا عنهم بالسكبة .

(٣) وردت ( فتعسا ) والصحيح ( فتعسا ) .

(٤) أخطأ أحد قراء اللسعة ( س ) حينما كتبهم ( عتيق ) هنا على معنى عديم والمقصود هنا — حسب  
السياق العام — أنها بمعنى حر ، فبنى العبارة : لأن من يتحرر فى اكتناف فضل الله ليس كمن يبرد  
لى متاهات قهره .

قوله جل ذكره : ﴿سيقول السفهاء من الناس ماولاهم  
عن قبيلتهم التي كانوا عليها﴾ .

سقيمت بصائر الكفار فلم يُلح لهم وجه الصواب في جميع أحوال المؤمنين ، فطاعوها بعين  
الاستبجاح ، وانطلقت ألسنتهم بالاعتراض<sup>(١)</sup> في كل ما كان ويكون منهم ، فلم يروا شيئاً  
جديداً إلا اتوا عليه باعتراض جديد .

فمن ذلك تغير أمر القبيلة حينما حُوِّلَتْ إلى الكعبة قالوا إن كانت قبلتهم حقاً فما الذي  
ولاهم<sup>(٢)</sup> عنها ؟ فقال جل ذكره :

﴿قُلْ لله للشرق والغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾  
يتعبد البعاد إلى أى قطرٍ و ( . . . ) ونحى شأوا ، وكذلك أصحاب الغيبة والحجبة —  
عن شهود تصريف الحق لأوليائه — يطلبون وجوهاً من الأمر ، يحملون عليها أحوالهم ،  
ولو طالموا الجميع من عين واحدة لتخلصوا عن ألم توزع النكر ، وشغل ترجم الغاطر ،  
ومطالبات تقسم الظنون ، ولكن الله يهدي لنوره من شاء .

قوله جل ذكره : ﴿وذلك جملناكم أمة وسطاً ل تكونوا  
شهداء على الناس ويكون الرنول  
عليكم شهداء﴾ .

الوسط اختيار ، فجعل هذه الأمة خيار الأمم ، وجعل هذه الطائفة<sup>(٣)</sup> خيار هذه الأمة فهم  
خيار اختيار . فكما أن هذه الأمة شهداء على الأمم في القيامة فهذه الطائفة هم الأصول ، وعليهم  
المدار ، وهم القطب ، وبهم يحفظ الله جميع الأمة ، وكل من قبلته قلوبهم فهو المقبول ، ومن  
ردته<sup>(٤)</sup> قلوبهم فهو للردود . فالحكم الصادق لفراسيتهم ، والصحيح حكمهم ، والصائب نظرم

(١) وردت ( بالاعتراض ) وربما يقبلها المنى ، ولكن النطق ( بالاعتراض ) أكثر ملازمة ، خصوصاً  
وقد جاءت ( الاعتراض ) بعد قليل .  
(٢) وردت ( ولهم ) وهي خطأ في الكتابة .  
(٣) يقصد أهل الحقائق .  
(٤) في السنة ( روية ) ومصحة في المامش ( ودته ) وهي الصحيحة .

عصم جميع الأمة (عن) <sup>(١)</sup> الاجتماع على الخطأ ، وعصم هذه الطائفة عن الخطأ في النظر والحكم ، والقبول والرد ، ثم إن بناء أمرهم مُسْتَنَدٌ إِلَى سُنَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وكل ما لا يكون فيه اقتداء بالرَّسُولِ <sup>(٢)</sup> عليه السلام فهو عليه رد <sup>(٣)</sup> ، وصاحبه على لا شيء .

قوله جل ذكره : ﴿ وما جعلنا القِبْلَةَ التي كنت عليها

إلا لنعلم من يتبع الرسول مِنْ يَنْقَلِبُ

على عقبه ، وإن كانت لكبيرة

إلا على الذين هَدَى اللَّهُ ، وما كان

اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ

لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝

يَبَيِّنُ أَنَّ الْحُكْمَ فِي تَقْرِيرِ أَمْرِ الْقِبْلَةِ إِلَى وَقْتِ التَّحْوِيلِ ، وَتَحْوِيلِهَا مِنْ وَقْتِ التَّحْوِيلِ كَانَ اخْتِبَاراً لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ لِيُمَيِّزَ الصَّادِقَ مِنَ الْمَارِقِ <sup>(٤)</sup> ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى الْأَمْرِ بَيْنَ التَّفَرُّقِ لِكَبْرِهِ عَلَيْهِ أَمْرُ التَّحْوِيلِ ، وَمَنْ نَظَرَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ ظَهَرَتْ لِبَصِيرَتِهِ وَجْهُ الصَّوَابِ . ثُمَّ قَالَ : « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ » أَيْ مِنْ كَانَ مَعَ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ فَالْمُخْتَلِفَاتُ مِنَ الْأَحْوَالِ لَهُ وَاحِدَةٌ ، فَصَوَابُهُ غَيْرُ أَوْ قَرَرٌ ، وَأَثَبَتْ أَوْ بَدَلٌ ، وَحَقٌّ أَوْ حَوَّلَ فَهُوَ بِهِ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، قَالَ قَائِلُهُمْ :

كَيْفَا حَارَتْ الزُّجَاجَةُ دُرَّتَا يَحْسَبُ الْجَاهِلُونَ أَنَّا جُفَّتَا

فَإِنْ قَالُوا شَرْقًا أَوْ وَاجِبُوا قَرْبًا ، وَإِنْ اسْتَقْبَلُوا حَجْرًا أَوْ قَارَبُوا مَدْرًا ، فَمَقْصُودُ قُلُوبِهِمْ وَاحِدٌ ، وَمَا كَانَ لَوَاحِدٍ تَحْكُمُ الْجَمِيعَ فِيهِ وَاحِدٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء

فلنولينك قبلة ترضاها ، قَوْلُ

وجهك شطر المسجد الحرام ، وَحِينَئِذٍ

كُنْتُمْ فَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۝

(١) ووردت ( على ) والمصحيح عصم ( عن ) وقد استعملت ( عن ) في الجملة التالية في المتن نفسه .

(٢) أخطأ النسخ فكتبها ( بالرسول ) .

(٣) جاءت ( فهو عليهم رد ) والصواب أن تكون ( فهو عليه رد ) .

(٤) ووردت ( الماروق ) وقد جعلناها ( الماروق ) للائمتها للمنى . وترجح أنها كذلك في الأصل .

حَفِظَ - صلوات الله عليه - الآدابَ حيث سكت بلسانه عن سؤال ما تمتّاه من أمر القبله بقلبه ، فَلَا حَظَّ السَّاءَ لَأَنهَا طَرِيقُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّاءِ » أَيْ عَلِمْنَا سَوَاكَ عَمَّا لَمْ تُفَصِّحْ عَنْهُ بِلِسَانِ الدُّعَاءِ ، فَلَقَدْ غَيَّرْنَا الْقِبْلَةَ لِأَجْلِكَ ، وَهَذِهِ غَايَةُ مَا يُضِلُّ الْحَبِيبَ لِأَجْلِ الْحَبِيبِ .

كُلُّ الْمَبِيدِ يَجْتَهُونَ فِي طَلَبِ رِضَايَ وَأَنَا أَطْلُبُ رِضَاكَ : فَلَنُؤَيِّنَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا .  
« قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » : وَلَكِنْ لَا تُتَمَلَّقُ قَلْبُكَ بِالْأَحْجَارِ وَالْأَثَرِ ، وَأَفْرِدْ قَلْبَكَ لِي ، وَتُسَكِّنِ الْقِبْلَةَ مَقْصُودَ قَلْبِكَ ، وَالْحَقُّ مُشْهُودُ قَلْبِكَ ، وَحِينَئِذٍ كُنْتُمْ أَهْلُ الْمُؤْمِنُونَ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ، وَلَكِنْ أَخْلَصُوا قُلُوبَكُمْ لِي وَأَفْرِدُوا شَهَادَتَكُمْ لِي .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

ولكنه علم لا يكون عليهم حجة ، ولا تكون لهم فيه راحة أو منه زيادة ، « وما الله بغافل عما يعملون » تهويلا على الأعداء ، وتأبيلا على الأولياء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ . وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

سبق لكم من قديم الحكم ( . . . ) <sup>(٢)</sup> أفراد بطريق الحق ، ووقوع أهدائك في شق

(١) وقع الناسخ في المخطأ حين وضع مكان ( إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ) مَاكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَعِيرٍ ، فَأَصْلَحْنَاهُ .

(٢) هنا كلمة ( القرب ) ثم استبعدنا الناسخ لزيدتها .

اليعد ، فينتكا برزخ لا يبغيان ، فام بتايي قبلتكم وإن أرتهم من الآثار ما هو أظهر من  
 الشمس والأقار ، ولا أنت — بتايي قبلتهم وإن أتوا بكل احتيال ، حُكُماً من الله —  
 سبحانه — يذك في سابق الأزل .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَمْرُقُونَ  
 كَمَا يَمْرُقُونَ أُنْيَاهُمْ ﴾ وإن فريفاً منهم  
 ليكتنون الحق وهم يعلون ﴿ .

تَحَكَّنْهُمْ مُتَحَكَّنْتُ الْحَسَدَ عَلَى مَكَايِدَ مَا عَلِمُوهُ بِالْاضْطِرَارِّ ، فَكَفَكَ الْمَطْلُوبُ  
 فِي ظِلَاتِ نَفْسِهِ ، أَلَيْ (١) جَلْبَابُ الْحَيَاءِ فَلَمْ يَنْجِعْ فِيهِ مَلَأَمٌ ، وَلَمْ يَرُدَّ عَنْهُمْ عَنْ أَنْهَاهُ كَلَامٌ .  
 قوله جل ذكره : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ  
 الْمُنْكَرِينَ ﴾ .

أَيَّ بَدْمَا طَلَمْتَ لَكَ شَمْسُ الْيَقِينِ فَلَا تَذَعَنَّ (٢) إِلَى مَجْزَاتِ التَّنْخِيهِ (٣) . وَالْمَطْلَبُ لَهُ  
 وَالْمَرَادُ بِهِ الْأَمَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِكُلِّ وُجْهٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْبِقُوا  
 الْغُلَبَاتِ ، أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ  
 اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

الإشارة منه : أَنْ كُلَّ قَوْمٍ اسْتَغْلَوْا عَنَّا بِشَيْءٍ سَالَّ يَنْهَمُ وَيُنْهَى ، فَكَوْنُوا أَنْتُمْ  
 أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَنَا وَنَا ، وَأَلْثَمَ بِهِمْ :

إِذَا الْأَشْغَالُ الْهَوَتْ عَنْكَ بِشْغَلِهِمْ جَعَلْتُكَ أَشْغَالِي فَأَنْسَيْتَنِي شُغْلِي

(١) وودت (تلقى) وهي خطأ من النسخ .

(٢) وودت (لا ترعن) . والصواب أن تكون (لا تَذَعَنَّ) بالفتح .

(٣) ينز القشيري هنا بما بين علوم أرباب الأحوال وبين العلوم الظلية ، لأنها تعرف من منفعه أنه مع  
 احترامه العقل في البداية إلا أنه يحتل للإصابة بالتنجيز والتخمين وغيرهما من الآلات التي لا يحلج جديراً  
 — وحده — بالوصول إلى المعارف العليا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ

شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ

كما تستقبلون أيّنا كنتم القبلة - قَرَّبْتُمْ مِنْهَا أَمْ بَعْدْتُمْ - فكذلك أقبِلُوا علينا بقلوبكم كيما كنتم ؛ حَقَّيْتُمْ مِنَّا أَوْ مَنِّيْتُمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَحِينَئِذَا كُنْتُمْ فَوَلُوا وَجْهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا

يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ

ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۚ

إذا أردت ألا يكون لأحد عليك سبيلٌ ، ولا يقع لمخلوق عليك ظلٌ ، ولا تصل إليك بالسوء يدٌ ، فحينئذ كنتم وأيّا كنتم وكيما كنتم كُنْ لَنَا وَكُنْ مِنَّا ، فإن من أقطع إلينا لا يتطرق إليه حدثان .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا وَاخْشَوْنِي ۚ

إذا كانوا يحو عن كونهم رسوماً تجري عليهم أحكامنا - فَأَنْتَ بِالْخَشْيَةِ مِنْهُمْ ؟ !

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْتُمْ تَعْلِيَّ عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۚ

إتمام النعمة إضافة الكشف إلى العطف ، فإن من كفاه بمقتضى جوده دون من أغناه بحق وجوده ، وفي مثله أشدوا :

نحن في أكل السرور ولكن ليس إلا بكم يتم السرور  
عيب ما نحن فيه - يا أهل ودّي - أنكم غيبٌ ونحن الحضور

قوله جل ذكره : ﴿ كَأَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو<sup>(١)</sup>

عليكم آياتنا ويذكركم ويصلحكم

الكتاب والحكمة ويصلحكم ما لم

تسكنوا تعلمون ۚ

(١) أخطأ الناسخ حين كتبها ( يتلون ) .

إرسال الرسل مفاتيح لأبواب الوصول ، فكان في سابق حله — سبحانه — أن قلوب أوليائه متطهية إلى لقاءه . ولا سبيل لأحد إليه إلا بواسطة الرسل ، فأقوام أكرمهم — بالرسالة — الرسل إليهم الكُف ، وآخرون أكرمهم — بالرسالة الرسل إليهم — بفنون القرب والرف ، وشأن بين قوم وقوم !

قوله جل ذكره : ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ .

الذكر استغراق القاء في شهود المذكور ، ثم استهلاكه في وجود المذكور ، حتى لا يبقى منك أثر يذكر ، فيقال قد كان مرة فلان .

« فاذكروني أذكركم » أي كونوا مستهلكين في وجودنا ، نذكركم بعد فوائدهم عنكم ، قال الله تعالى : « إنهم كانوا قبل ذلك محسنين » كانوا وقتاً ولكنهم بانوا دائماً<sup>(١)</sup> :

انس حديث حسن فكان حديثاً حسناً لنوعه<sup>(٢)</sup>

وطريقة أهل العبادة<sup>(٣)</sup> ( فاذكروني ) بالمواقفات ( أذكركم ) بالكرامات ، وطريقة أهل الإشارة ( فاذكروني ) بترك كل حظ ( أذكركم ) بأن أقيمكم بحق بعد فوائدهم عنكم .

( فاذكروني ) مكتفين بي<sup>(٤)</sup> عن عطائي وأفضالي ( أذكركم ) راضياً بكم دون أفضالكم .

( فاذكروني ) بذكرى لكم ما تذكرون ، ولولا سابق ذكرى لما كان لاجئ ذكركم .

( فاذكروني ) بقطع العلائق ( أذكركم ) بنوع الخلق .

ويقال اذكروني لكل من لقيته أذكركم لمن خاطبته ، فمن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ

خير منهم .

(١) يقول يحيى بن معاذ : لما قال : مرة قال : للماروف كان فيان ( الرسالة ١٥٧ ) .

(٢) لبيت مقول كاجاء في م ، لم نحاول أن نبذل في كتابته وهو مضطرب وزنا ومعنى .

(٣) وردت ( العبادة ) والأصوب أن يكون احتمال ورودها في الأصل ( العبادة ) لتشير عن درجة أدنى من درجة أهل ( الإشارة ) .

(٤) وردت ( مكتفين ) والأقرب إلى المعنى أن تجعلها في سورة الجمع وأن يكون حرف الباء أولى من اللام حيث يقال اكتفيت بالله عن عطائه الله .

ويقال (واشكروني) على عظيم اللِّتِّ عليكم بأن قلْتُ : ( فاذكروني أذكركم ) .  
ويقال الشكر من قبيل الذكر ، وقوله (ولا تكفرون) النهي عن الكفران أمرٌ بالشكر ،  
الشكر ذكر ، فكرر عليك الأمر بالذكر ، والثلاث أول حدِّ الكثرة ، والأمر بالذكر  
الكثير أمر بالمحبة لأن في الخير : « من أحب شيئاً أكثر ذكره » فهذا — في الحقيقة —  
أمر بالمحبة أي أحببني أحبك ؛ « فاذكروني أذكركم » أي أحبوني أحببكم .

ويقال : ( فاذكروني ) بالتدلل ( أذكركم ) بالنفعل .

( فاذكروني ) بالانكسار ( أذكركم ) بالمبار .

( فاذكروني ) باللسان ( أذكركم ) بالجلنان .

( فاذكروني ) بقلوبكم ( أذكركم ) بتحقيق مطلوبكم .

( فاذكروني ) على السبب من حيث الخدمة ( أذكركم ) بالإيجاب على بساط القرية  
بإكمال النعمة .

( فاذكروني ) بتصفية السر ( أذكركم ) بتوفية البر .

( فاذكروني ) بالجهد والنماء ( أذكركم ) بالجود والعطاء .

( فاذكروني ) بوصف السلامة ( أذكركم ) بيوم القيامة يوم لا تنفع الندامة .

( فاذكروني ) بالرهبة ( أذكركم ) بتحقيق الرغبة .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

استعينوا بالصبر على الصلاة أي بصبركم — عند جريان أحكام الحق عليكم —  
استحقاقكم صلاة ربكم عليكم ، ولذا فإنه تعالى بعد « وبشِّر الصَّابِرِينَ » يقول : « أولئك  
عليهم صلوات من ربهم » .

ويقال استوجب الصابرون نهاية النخر ، وعلو القدر حيث نالوا مَعِيَّةَ اللَّهِ قال تعالى :  
« إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » .



قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَمْوَاتٌ بَلْ أحياء ، ولكن لا تشعرون ﴾ .

فاتهم الحياة في الدنيا ولكن وصلوا إلى الحياة الأبدية في المعنى ، فهم في الحقيقة أحياء ،

يمجدون من الله فنون الكرامات .

ويقال هم أحياء لأن اختلف عنهم الله ومن كان اختلف عنه الله لا يكون ميتاً ، قال قائلهم

في مخلوق :

إن يكن عنا مضي بسبيله فما مات من يبق له مثل خاله

ويقال هم أحياء بذكر الله لهم ، والتي هو مذكور الحق بالجليل بذكره السرمدي

ليس يميت .

ويقال إن أشباحهم وإن كانت متفرقة ، فإن أرواحهم — بالحق سبحانه — متحققة .

ولئن فنيَتْ بالله أشباحهم فلقد بقيَتْ بالله أرواحهم لأن من كان فناؤه بالله كان بقاؤه بالله .

ويقال هم أحياء بشواهد التنظيم ، عليهم رداء الهيبة وهم في ظلال الأنس ، يسظم

بجأله مرة ، ويستفرقهم بجلاله أخرى <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَتَبْلُوَنَكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ غُلُوفٍ

وَالْجُوعِ وَقَيْسٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ

وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا

أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

راجعون ﴾ .

ابتلاءم بالنعمة ليظهر شكرهم ، وابتلاءم بالحنة ليظهر صبرهم ، فلما أدخل المعلوم من

حلم في الوجود ، ورممهم بالرقم الذي قسسه ، وأثبتهم على الوصف الذي علمه ، (ابتلاءم)

---

(١) شبهة بذلك ما يقوله التشيخي في كتابه « التحجير في التذكير » حينما شرح « المعنى الميت »

و « الجليل الجليل » : « من كاشفه بجلاله أفناء ، ومن كاشفه بجأله أحياء ، فكشف الجلال يوجب محواً

وشبهة ، وكشف الجلال يوجب صحواً وقرية » .

بالخوف وفيه تصفية لصدورهم ، وبالجوع وفيه تنقية لأبدانهم ، وينقص من الأموال تركوها  
نفوسهم ، ويصائب النفوس يعظم بها عند الله أجرهم ، وبآفة الثروات يتضاعف من  
الله خلفهم .

« ويُسَرُّ الصَّابِرِينَ » يعنى الذين لا اعتراض لهم على تقديره فيها أمضاء .

ويقال طالبهم بالخوف ( ابتعاداً ) عن عقوبته ثم بمقاماة الجوع ابتغاء قربته وكرامته ،  
ونقص من الأموال بتصفية الأموال والخروج عنها طلباً للخير منه يحصل معرفته .

« والأَنْفُسِ » تسلياً لها إلى عبادته . « والثَّرَاتِ » القول بترك ما يأملونه من الزوائد  
في نسمة « ويُسَرُّ الصَّابِرِينَ » على استحسان قضيته ، والالتحاق لجريان قدرته .

ومطالبات الغيب إما أن تكون بالمال أو بالنفس أو بالأطرب ؛ فمن أوقف المال لله  
فله النجاة<sup>(١)</sup> ، ومن بذل لحكمة النَّفْسِ فله الدرجات ، ومن صبر عند مصائب الأطرب فله الخلف  
والقربات ، ومن لم يدخر عنه الروح فله دوام المواصلات .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ ﴾ ... الآية .

فأولوا الأمر بالصبر لا بل بالشكر لا بل بالفرح والفخر .

ومن طالع الأشياء ملكاً للحق رأى نفسه أجنيا بينه وبين حكمة ؛ فمُنِشَىءً أَنْخَلَقَ أَوَّلَى  
بِأَنْخَلَقَ مِنْ أَنْخَلَقَ .

ويقال من شهد المصائب شهد نفسه لله وإلى الله ، ومن شاهد المبلى عليم أن ما يكون من  
الله فهو عبد بالله ، وشتان بين من كان لله وبين من كان بالله ؛ الذى كان لله فصائراً واقفاً ،  
والذى هو بالله فساقط الاختيار والحكم ، إن أثبتته ثَبَّتَ ، وإن محاه اَمْحَى ، وإن حرَّكه  
تَحَرَّكَ ، وإن سَكَّنَهُ سَكَّنَ ، فهو عن اختياراته ظن ، وفى القبضة مُصَرَّفٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .

(١) ربما كانت فى الأصل ( الجنات ) .

بصلواته<sup>(١)</sup> عليهم ابتداء وصلوا إلى صبرهم ووقوفهم عند مطالبات التقدير ، لا بصبرهم ووقوفهم وصلوا إلى صلواته ، فولا رحمة الأزلية لما حصلت طاعتهم بشرط العبودية ، فغنايته السابقة أوجبت لهم هداية خالصة<sup>(٢)</sup> .

قال تعالى : « وَأَرْثِكُمْ الْمُهْتَدُونَ » لما رحمهم في البداية اعتدوا في النهاية .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الصَّغَا وَالْمُرُوَّةَ مِنْ شَعَارِ اللَّهِ﴾ .

تلك المشاهد والرسوم ، وتلك الأطلال والرقوم ، تُعظم<sup>(٣)</sup> وتُزَّار ، وتُشدُّ إليها الرحال<sup>(٤)</sup> لأنها أطلال الأحباب ، وهناك تلوح الآثار :

أهوى النيار لمن قد كان ساكنها وليس في البارح ولا طرب<sup>(٥)</sup>

وإن لثرابِ طريقهم بل لنبار آثارهم — عند حاجة الأحباب — أقداراً عظيمة ، وكل غيرة تقع على (حافظات طريقهم)<sup>(٦)</sup> لأمر من الميسك الأذفر :

وما ذاك إلا أن مشيت عليه أمة في تربها وجرت به بردا

قوله جل ذكره : ﴿فَمَنْ حَاجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ

عليه أن يطوفَ بهما ومن تطوع

خيراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ .

حفظ الصفا والمروة بجوار البيت فشرع السعي بينهما كما شرع البيت الطواف ، فكما أن الطواف ركن في الفسك فالسعي أيضاً ركن ، والجار يُكرم لأجل الجار .

(١) وودت ( بصلواتهم ) وهي خطأ من الناسخ لأن السياق يؤدى إلى (صلاته) سبحانه عليهم في سابق الأزل ، كذلك تشير الآية الكريمة إلى صلاته لا إلى صلواتهم .

(٢) لاحظ هنا معارضة التشبیه لفكرة وجوب إنابة المطيع على الله . فاقه في رأى التشبیه تنزه عن أن يجب عليه شيء ، لأن طاعة المطيع "أولا فضل من الله ، وليست بفضل المبد .

(٣) وودت ( تعظيم ) وهي خطأ في النسخ .

(٤) وودت ( الرجال ) وهي خطأ في النسخ .

(٥) إما أن تكون ( هم ) صحيحة ، أى لا حزن ولا فرح ، وإما أنها في الأصل ( همس ) لتناسب الطرب ، وليتناسبا مع خلو البار من أقل أثر للحياة .

(٦) هكذا وودت في ( ص ) .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنِّ الْقَيْنِ يَكْتُمُونَ مَا أُنْزِلْنَا مِنْ  
الْبَيِّنَاتِ وَالْمُدَى مِنْ بَيْنَمَا يَبْنَاهُ  
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ  
.وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ .

الإشارة في هذه الآية لمن كاشفه الحق سبحانه بعلم من آداب السلوك ثم ضمن<sup>(١)</sup> بإظهاره  
للمريد على وجه النصيحة والإرشاد استوجب للفت في الوقت ، ويشقى عليه نزع البركة  
عن علمه متى قصر فيه لما أخر من تعليم للمستحق .

قوله جل ذكره : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا  
فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ﴾ .

تداركوا ما سلف من قصير بمحسن الرجعى ، والقيل للمريد على وجه النصيحة ،  
ويبينوا لهم — بمجمل البيان وإقامة البرهان على ما يقولون — حسن قيامهم بمعاملهم .  
فإن أظهر الحجج لبيان أفعال وأصدق الشهادة لتصحیح ما تدعو به انطلق إلى الله —  
ألا يخالف بماملتك ما تشير إليه بمفالتك ، قال الله تعالى : « وما أريد أن أخالفكم  
إلى ما أنهاكم عنه » .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنِّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَتَابُوا وَهُمْ فُتَارٌ  
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّامِكَةُ  
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . خَالِدِينَ فِيهَا  
لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْمَنَابِ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾

الإشارة فيه أن الذين يدا لم بعدما سلكوا طريق الإزادة ( أن ) يرجعوا إلى أحوال  
المادة ، ثم في تلك الوحشة قبضوا ، وعلى تلك الحالة من الدنيا خرجوا ، أولئك أصحاب الفرقة ،

(١) وردت ( ضمن ) وهي خطأ من الناسخ وقد استندنا في الوصول الى أنها ( ضمن ) من كلمة ( بخل )  
التي سبقتها الناسخ تحنها ، والسياق يؤيدها .

علا على أرواحهم إقبال ولا مصيبتهم جيران ، ولا لأحد عليهم ترحم ، خسروا في الدنيا والآخرة ، يلصمهم البق في الهواء والنقع على الماء .

« خالدين » أى مقبين أبداً في هوانهم وصغرهم ، لا تخفيف ولا إسعاف ، ولا رفيق ولا أليف .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ .

شَرَّفَهُمْ غايةً التشريف بقوله وإلهكم . وإن شيوخ هذه الطائفة قالوا : علامة من يَمُدُّه من خاص الخواص أن يقول له : عبيد ، وذلك أنهم من هذا يكنون لأن قوله : « وإلهكم » : وإضافة نعتهم أنهم من إضافته لإياك إلى نفسه لأن إلهيته لك بلا علة ، وكونك له عبد يُعَوِّضُ كل قصصك وأفتك . ومتى قال لكم « وإلهكم » ؟

حين كانت طاعتك وحركاتك وسكناتك أو ذاتك وصفاتك لا بل قبل ذلك أزل الأزل حين لا حين ولا آوان ، ولا رسم ولا حدثان .

و « الواحد » من لا مثل له يذانيه ، ولا شكل يلاقيه . لا قسم يجانسه ولا ديم يواضعه . لا شريك يعاضده ولا معين يساعده ولا منازع يعانده .

أحدى الحق صمدى العين ديموى البقاء أبدى العز أزلى اللذات .

واحد في عز سنائه فرد في جلال بهائه ، ورث في جيروت كبريائه ، قديم في سلطان عزه ، مجيد في جمال ملكوته . وكل من أظن في وصفه أصبح منسوباً إلى المعنى<sup>(١)</sup> ( ذ ) لولا أنه الرحمن الرحيم لتلاشى العبد إذا تعرض لمرقائه عند أول ساطع من باديت عزه .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ

الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ ،

وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ

(١) وردت ( الأسمى ) في ص ، ويمكن قبولها على أنها اسم جالس .

فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا  
وَبَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ  
الرياح ، والسحاب المَسْحُورِ بين  
السماء والأرض لِآيَاتِ لقوم يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ .

تعرَّف إلى قلوب الطالبين من أصحاب الاستدلال وأرباب العقول بدلالات قدرته ، وأمارات  
وجوده ، ومخات ربييته التي هي أقسام أفعاله . ونبهم على وجود الحكمة ودلالات الوحدةانية  
بما أثبت فيها من براهين تُلطف عن العبارة ، ووجود من الدلالات تدقُّ عن الإشارة ،  
فما من عين من المدم محصورة — من شخصي أو ملل ، أو رسم أو أثر ، أو سمع أو نفاذ <sup>(١)</sup> ،  
أو هواء أو ماء ، أو شمس أو قمر ، أو قطر أو مطر ، أو رمل أو حجر ، أو نهم أو شجر —  
إلا وهو على الوحدةانية دليل ، ولين قصد وجوده سبيل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
أنداداً يحبونهم كَحُبِّ اللَّهِ ﴾

هؤلاء قوم لم يجعلهم الحق سبحانه أهل المحبة ، فَشَغَلَهُمْ بِمَحَبَةِ الْأَغْيَارِ حَتَّى رَضُوا لَأَنْفُسِهِمْ  
أَن يَحْبُوا كُلَّ مَا هَوَتْهُ أَنْفُسُهُمْ ، فَرَضُوا بِمَحْبُولٍ لَمْ أَن يَبْدُوهُ ، وَمُنْحَوَتْ — مِنْ دُونِهِ —  
أَن يَحْبُوهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى  
الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ  
لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ .

ليس للمقصود من هذا ذكر محبة الأغيار للأصنام ، ولكن للرد منه منح المؤمنين على  
محبتهم ، ولا تحتاج إلى كثير محبة حتى تزيد على محبة الكفار للأصنام ، ولكن من أحب  
حيثما استكثر ذكره ، بل استحسن كل شيء منه .

ويقال وجه رجحان محبة المؤمنين لله على محبة الكفار لأصنامهم أن ( هذه ) محبة الجنس

(١) وودت ( قضاء ) في م .

للجنس ، وقد يحيل الجنس إلى الجنس ، وتلك محبة من ليس بجنس لم فذلك أعز وأحق .  
 ويقال إنهم أحبوا ما شاهدوه ، وليس بمحبب محبة ما هو لك مشهود ، وأما المؤمنون  
 فإنهم أحبوا من حال بينهم وبين (شهوده) رداء الكبرياء على وجهه .  
 ويقال الذين آمنوا أشد حبا لله لأنهم لا يتبرأون من الله سبحانه وإن عذبهم . والكافر  
 تبرأ من الصنم والصنم من الكافر كما قال تعالى : «إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّيَمُوا مِنَ الَّذِينَ  
 اتَّبَعُوا... الآية» .

ويقال محبة المؤمنين حاصلة من محبة الله لم فنى أتم ، قال تعالى : «يحبهم ويحبونه» .  
 ويحبهم للأصنام من قضايا هوام .

ويقال محبة المؤمنين أتم وأشد لأنها على موافقة الأمر ، ومحبة الكفار على موافقة الهوى  
 والعلج ، ويقال إنهم كانوا إذا صلحت أحوالهم ، وانست ذات يدهم اتخذوا أصناماً أحسن  
 من التي كانوا يعبدونها قبل ذلك في حال فقرهم ، فكانوا يتخذون من الفضة — عند غنم —  
 أصناماً ويهجرون ما كان من الحديد . . . وعلى هذا القياس ! وأما المؤمنون فأشد حبا لله  
 لأنهم عبدوا إلهاً واحداً في السراء والضراء .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّيَمُوا مِنَ  
 الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ  
 بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ .

إذا بدت لهم أوائل العذاب انضح أنهم لم يقفوا من الصدق على قدم ، وأما المؤمنون  
 فيسلمهم أرواحهم وأملأهم وأزواجهم وأولادهم ، ويسكن (أولئك) <sup>(١)</sup> في القبور سنين  
 ثم ينتليهم في القيامة بطول الأجل <sup>(٢)</sup> وسوء الأعمال ثم يلقيهم في النار .

(١) أمفنا ( أولئك ) ليمتنع اليأس .

(٢) في مس ( طول الأحوال ) وترجع أنها في الأصل (الآجال) لأن وصف الأحوال بالطول غير ملائم  
 فضلا عن أننا نفترض أن القسري لا يستعمل الأحوال الا لأوياب الأحوال . وطول الآجال في جهنم معناه  
 تأييد العذاب .

(أما المؤمنون) <sup>(١)</sup> فيأتى عليهم طول الأيام والأعمال فلا يزدادون إلا حبة (على حبة) <sup>(٢)</sup> ولذلك قال : والذين آمنوا أشد حبا لله .

قوله جل ذكره : ﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منّا كذلك يبرهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بتخرجين من النار ﴾ .

عند <sup>(٣)</sup> ذلك يرفون مرارة طعم محبة المخلوقين ولكن لا يحصلون إلا على حسرات .

قوله جل ذكره : ﴿ يا أيها الناس كُفُوا عما في الأرض حالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ .

الحرام — وإن استدلّ في الحلال — فهو وبيء في المآل ، والحلال — وإن استكبر في الحلال — فهو مرىء في المآل .

والحلال الصافي ما لم ينسُ مكتسبه الحق في حال اكتسابه <sup>(٤)</sup> .

ويقال أخلل ما حصله الجامع له والمكتسب على شهود الحق في كل حال .

وكل ما يحملك على نسيان الحق أو عصيان الحق فهو من خطوات الشيطان .

قوله جل ذكره : ﴿ إنما يأمركم بالموءود الفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ .

لاجترائه على الله يدعوكم به إلى افترائك على الله .

(١) أضغاثها ليستقيم السياق إذ يبدو أنها سقطت أثناء النسخ .

(٢) في الهامش مستدركة وعليها علامة بموضها .

(٣) وردت ( من ) والأصح ( عند ) .

(٤) القشيري هنا مستفيد من تعريف سهل بن عبد الله القشيري لخلل الصافي ( الرسالة ص ٥٩ ) .



قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لِمَ اتَّبَعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا

بَلْ تَتَّبِعُوا مَا أَفْسَدَ عَلَيْهِ آبَاؤُنَا وَلَوْ كَانَ

آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

لا ترفع أبصارهم عن أشكالم وأصنافهم ، من أضربهم وأسلافهم ، قَبِنُوا على مناجهم ،

فلا جرمَ انحططوا في النار ، وانسلخوا في سلكهم ، ولو عَلِمُوا أن أسلافهم لا عقل يردعهم ،

ولا رشد يجمعهم لنابذوم مناصبين ، وعادوم مخالفين ، ولكن سلبوا أنوار البصيرة ،

وَحُرِمُوا دلائل اليقين .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَتَبَ اللَّهُ

يُنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَهْدَاهُمْ

بِكُمْ عَمَى فَبِمَا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

عدموا سمع الفهم والقبول ، فلم ينفعهم سمع الظاهر ، فتركوا منزلة البهائم في الخلق

عن التحصيل ، وَمَنْ رَضَى أَنْ يَكُونَ كَالْبَيْهَةِ لَمْ يَقْعَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ قِيَمَةٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ

مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .

الحلال ما لا تَبَيَّهَ عليه ، والطيب الذي ليس لمخلوق فيه رِئْثَةٌ ، وإذا وجد العبد

(طعاماً) يجمع فيه الوصفان فهو الحلال الطيب .

وحقيقة الشكر عليه ألا تنفس في غير رضاه الحق ما دام تبقى فيك القوة لذلك الطعام .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّا حَرَّمْنَا عَلَيْكَ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَحُمَ

الْخَنِزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ،

فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ

عَلَيْهِ إِنْ أَكَلَ مِنْهُ خِيفَةً .

حرّم على الظواهر هذه الممدودات وهي ما أهل به لنفي الله ، وحرّم على السرائر صحة .  
غير الله بل شهود غير الله ، فن اضطر — أى لم يجد إلى الاستهلاك فى حقائق الحق  
وصولاً — فلا يسلك غير سبيل الشرع سبيلاً ، فإما أن يكون محوآ فى الله ، أو يكون  
قائماً بالله ، أو علماً لله ، والرابع هجج لا خطر له .

قوله جل ذكره : ﴿ إِن الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ

مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ إِلَّا النَّارَ

وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

العلماء مُطَالِبُونَ بنشر دلائل العلم ، والأولياء مأمورون بحفظ ودائع السر فإن كنتم  
هؤلاء يراهم العلوم ألبوا بلجام من النار ، وإن أظهر هؤلاء شظية من السر عوجوا ببعاد  
الأسرار ، وسكبي ما أوتوا<sup>(١)</sup> من الأنوار . ولكل حد ، وعلى كل أمر قطعية .

قوله جل ذكره : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَاطَةَ بِالْهُدَىٰ

وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرُوا عَلَى النَّارِ .

ذلك يَأْنِ اللَّهُ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

وَإِن الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ

لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ .

إن الذين آثروا النّيب على النّيب ، والخلق على الحق ، والنفس على الأنس ، ما أقسى  
قلوبهم ، وما أوقع محبوبيهم ومطوحيهم ، وما أخس<sup>(٢)</sup> قدرهم ، وما أنضح<sup>(٣)</sup> لذوى الأبصار  
أمرهم ! ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ، وأمضى القضاء والحكم فيه بالصدق ، وأوصلهم  
إلى مآله أهلهم ، وأثبتهم على الوجه الذى عليه جبتهم .

(١) وردت (أوتوا) والصواب (أوتوا) لتناسب المتى .

(٢) وردت (أخس) والصواب أخس لتناسب المتى .

(٣) وردت ما (أنضح) ونرجح أنها فى الأصل ما (أنضح) .

قوله جل ذكره : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل  
 المشرق والمغرب ولكن البر من  
 آمن بالله واليوم الآخر واللائحة  
 والكتاب والنبين وآتى للآل  
 على حبه ذوى القربى واليتامى  
 والمساكين وابن السبيل والسائلين  
 وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى  
 الزكاة <sup>(١)</sup> وللفنون بهدم إذا هدموا  
 والصابرين فى البأساء والضراء موحين  
 البأس ، أولئك الذين صدقوا  
 وأولئك هم المتقون ۞ .

والإشارة أن الظواهر ليس لها كثير اعتبار إنما الخبر عن الله عزيز .  
 وكثرة الأوراد — وإن جلت — غرفة المجاز ، وإخلاص الطاعات — وإن عز — فصفة  
 العوام ، ووصل الليل بالنهار فى وظائف كثيرة ومجاهدات غزيرة عظيم الخطر فى استحقاق  
 الثواب ، ولكن معرفة الحق عزيزة .

وما ذكر فى هذه الآية من فنون الإحسان ، ووجوه فضائل الإيمان ، وإيتاء المال ،  
 وتصفية الأعمال ، وصلة الرحم ، والتمسك بمنون الذم والعصم ، والوفاء بالعهود ، ومراعاة  
 الحدود — عظيم الأثر ، كثير الخطر ، محبوب الحق شرعاً ، ومطلوبه أمراً ، لكن قيام الحق  
 عنك بعد فناءك ، وامتناعك من شهادتك ، واستهلاكك فى وجود القديم ، وتعطل رسومك  
 عن مساكنات إحساسك — أتم وأعلى فى المنى ، لأن التوحيد لا يبقى ربحاً ولا أضراراً ،  
 ولا ينادر فقيراً ولا فقيراً <sup>(٢)</sup>

(١) اخطأ الناسخ فسكتها (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) .

(٢) التبر = السوى أما (التبر) لفروف .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْثُ بِالْحَرْثِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُتِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ، ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ 》 .

حق القصاص مشروع ، والعفو خير ، فمن جنى إلى استيفاء حقه فُسِّمَ له ، ومن نزل عن ابتغاء حقه فمحسن ، فالأول صاحب عبادة بل عبودية ، والثاني صاحب فتوة بل حرية .  
والهم المراق يجرى فيه القصاص على لسان أهل العلم ، وأما على لسان الإشارة لأهل القصة<sup>(١)</sup> فمساوهم مطلولة وأرواحهم هترة قال :

وإن فؤاداً رعته لك حامدٌ وإن دماً أجرته بك طائرٌ

وسمك دماء الأحباب (فوق)<sup>(٢)</sup> بساط<sup>(٣)</sup> القرب خوف أهل الوصال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللون لونُ الهم والريح ريحُ اللبسك »

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ 》 .

في استيفاء القصاص حياة لأنه إذا عِلِمَ أنه إذا قُتِلَ قُتِلَ أَسْكَنَ عن القتل وفي ذلك حياة القتائل والمقتول .

ولكن ترك القصاص — على بيان الإشارة — فيه أعظم الحياة لأنه إذا تَلَفَ فيه (سبعاته)

(١) أهل التهمة م أرباب الأحوال .

(٢) وردت ( ق ) والأصوب فوق .

(٣) وردت ( سباط ) وقد رجحنا ( بساط ) القرب لورودها في مواضع أخرى هكذا .

فهو اختلف عنه ، وحياته عنه أتم له من بقائه بنفسه ، وإذا كان الوارث عنهم الله واختلف عنهم الله فبقائه اختلف<sup>(١)</sup> أعزُّ من حياة من ورد عليه التلف .

قوله جل ذكره : ﴿ كُنِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ

الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَدِينِ

وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ .

مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَصِيَّةٍ لَهُ فِي مَالِهِ مُسْتَحَبَّةٌ ، وَمَنْ لَمْ يَتَرَكَ شَيْئًا فَأَتَى بِالْوَصِيَّةِ ! ! فِي حَالَةِ الْأَغْيَاءِ يُوصُونَ فِي آخِرِ أَعْمَارِهِمُ بِالثَّلَاثِ ، أَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَيُخْرَجُونَ فِي حَيَاتِهِمْ عَنِ الْكُلِّ ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلَّا هِمَّةٌ أَنْفَصَلَتْ عَنْهُمْ وَلَمْ تَتَّصِلْ بِشَيْءٍ ، لِأَنَّ الْحَقَّ لَا سَبِيلَ لِلْهِمَّةِ إِلَيْهِ ، وَالْهِمَّةُ لَا تَعْلُقُ لِمَا يَخْلُقُ ، فَبَقِيَتْ وَحِيدَةً مُنْفَصِلَةً غَيْرَ مُتَّصِلَةٍ ، وَأَشْهَدُوا :

أَجَبَكُمْ مَا دُمْتُ حَيًّا فَإِنْ أُمْتُ يَجِبْكُمْ عَظْمِي فِي التُّرَابِ رَمِيمٌ .

هذه وصيتهم : وقال بعضهم :

( . . . . . )

لَا بَلْ كَمَا قَالَ قَالِهِمْ :

وَأَيُّ الرُّسُولِ فَأَخْبِرْ أَنَّهُمْ رَحَلُوا قَرِيبًا

رَجَعُوا إِلَى أَوْطَانِهِمْ فُجِرَى لَهُ دُمَى صَبِيحًا

قوله جل ذكره : ﴿ قَمِنَ بَدَأُهُ بَدَأٌ سَيِّئَةٌ فَأَنْعَمَ لِأَنَّهُ

عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

مَنْ حَرَفَ نَفَقًا جَرَى بِحَقِّهِ لِحَقِّهِ شَوْمٌ ذَلِكَ وَبِإِلَهِهِ .

وعقوبته أن يُجَرِّمَ رَاحَةَ الصَّدَقِ أَنْ يَشْه . فَمَنْ أَعْلَنَ الدِّينَ أَعَانَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ أَعْلَنَ عَلَى الدِّينِ خَذَلَهُ اللَّهُ .

(١) وردت ( الخلق ) والصواب ( الخلف ) .

(٢) هنا شاهد شرعى عجربنا تماماً عن قراءته أو إصلاحه ... وما أكثر خطأ الناسخ في نقل شواهد

الشر !!

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسَى جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

الإشارة فيه : أن من تفرس<sup>(١)</sup> في بعض المريدين ضعفاً ، أو رأى في بعض<sup>(٢)</sup> أهل البداية رخاوة قصدير أو وجد بعض النابضين يتكلم بالصدق المحض على من لم يمتثل له — فرأى أن يرفق بذلك المريد بما يكون ترخيصاً له أو استئالة له أو مداراة أو رضا بتعاطي مباح — فلا بأس به فإن حُملَ الناس على الصدق المحض مما لم يثبت له كثيرٌ أجر . فالرفق بأهل البداية — إذا لم يكن لهم صارم عزم ، ولا صادق جهد — ركنٌ في ابتغاء الصلاح العظيم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الضِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

الصوم على ضربين : صوم ظاهر وهو الإمساك عن المفطرات مصحوباً بالنية ، وصوم باطن وهو صَوْنُ القلب عن الآفات ، ثم صون الروح عن المساكنت ، ثم صون السرِّ عن الملاحظات .

ويقال صوم العابدين شرطه — حتى يَكْمُلَ — صَوْنُ اللسان عن النية ، وصون الطرف عن النظر بالريبة كما في الخبر : ( مَنْ صَامَ فَلْيَصُمْ مَعَهُ وَبَصْرُهُ ... ) . . . الخبر<sup>(٣)</sup> ، وأما صوم المارفين فهو حفظ السر عن شهود كل غيره .

وإن من أمسك عن المفطرات فتهاية صومه إذا هجم القيل ، ومن أمسك عن الأغيار فتهاية صومه أن يشهد الحق ، قال صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » : الهاء في قوله

(١) وودت بإصداً وهي خطأ من الناسخ .

(٢) وودت ( في أهل بعض البداية ) ووضح أنها خطأ من الناسخ .

(٣) ( إذا صمت فليصم سمك وبعرك ولسانك وبنك : متناه من لم يدع قول الزور والعمل به فليس له حاجة أن يدع طعامه وشرابه ) .

رواه البخاري وأصحاب السنن عن أبي هريرة .

عليه السلام — رؤيته — عادة عند أهل التحقيق إلى الحق سبحانه ، فالعلماء يقولون معناه  
عندهم صوموا إذا رأيتم هلال رمضان وأفطروا لرؤية هلال شوال ، وأما الخواص فنصومهم لله  
لأن شهودهم الله وخطرم بالله وإقبالهم على الله والغالب عليهم الله ، والذى "م به  
عمر — الله .

قوله جل ذكره : ﴿ أَيَّاماً مَّسْكُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ  
مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ  
أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

من شهد الشهر صام لله ، ومن شهد خالق الشهر صام بالله ، فالصوم لله يوجب للثبوت ،  
والصوم بالله يوجب التقرية . الصوم لله تحقيق العبادة والصوم بالله تصحيح الإرادة . الصوم لله  
صفة كل عابد والصوم بالله نمت كل قاصد . الصوم لله قيام بالظواهر والصوم بالله  
قيام بالضمائر . الصوم لله إمساك من حيث عبادات الشريعة والصوم بالله إمساك  
بإشارات الحقيقة .

من شهد الشهر أمسك من المنطرات ومن شهد الحق أمسك في جميع أوقاته من  
شهود المخلوقات .

من صام بنفسه سُقِيَ شراب السلسيل والزعجيل ، ومن صام بقلبه سُقِيَ شراب المحاب  
بنعمة الإيجاب .

ومن صام بِبِرِّهِ فَمِنْ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ اللَّهُ تَعَالَى : « وَسَقَامُ رَبِّهِمْ شَرَاباً طَهُورًا » .  
شراب ياله من شراب !! شراب لا يُدَار على الكف لكنه يبدو له من القطف .  
شراب استثناس لا شراب كلس .

قوله تعالى : « فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ » أى من أفطر لهذه  
الأعداد فعليه صوم عدة أيام بعد ما أفطر قضاء لذلك . الإشارة لمن سقت إرادته عن الصحة  
فيرجع إلى غيره إما لرخصة تأويل أو لفة قوة واحتمال ، أو عجز لقليل بأعباء أحكام الحقيقة

(١) وردت (والذين) وهو خطأ من النسخ .

فليُتمَّ حق تقوى عزيمته وتشدُّ إرادته ، فعند ذلك يُستدرك منه ما رخص له بالأخذ بالتأويل ، وتلك سنة الله سبحانه وتعالى في التسهيل على أهل البداية ، ثم استيفاء ذلك منهم واجب في آخر الحال .

قوله جل ذكره : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية ﴾ (١)

..... . طمام

مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له

وأن تصوموا خير لكم إن كنتم

تصلون ﴿

الإشارة منه أن مَنْ فيه بقية من القوة للوقوف لمطالبات الحقيقة ويرجع إلى تسهيل الشريعة وينحط إلى رخصة التأويل فعليه الفرامة بواجب الحال وهو الخروج عما بقي له من معلوم مال أو مرسوم حال ويبقى مجرداً للواحد .

[ فصل ] ويقال إنه لما علم أن التكليف يقتضى المشقة خففه عليك ذلك بأن قلل أيام الصوم في قلبك فقال : « أياماً معدودات » أى مدة هنا الصوم أيام قليلة فلا يهولنكم صناع ذكره ، وهنا كقوله تعالى : وجاهدوا في الله حق جهاده . ثم قال : « وما جعل عليكم في الدين من حرج أى لا يلحقكم كثير مشقة في القيام بحق جهاده .

قوله جل ذكره : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴾

هدى للناس وبينات من الهدى

والفرقان فمن شهد منكم الشهر

فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على

سفر فعدة من أيام أخر ﴿

رمضان بِرُضٍ ذنوب قوم ويرمض رسوم قوم ، وشتان بين من تحرق ذنوبه رحمة وبين من تحرق رسومه حقيقة .

(١) وقع للناسخ في سهو حين أعاد ثلاثة أسطر مما سبق له أن كتبه ، وقعت هذه الأسطر المادة بين كلمتي ( فدية ، وطمام ) في الآية الكريمة .



شهر رمضان شهر مناجاة الطالب ، شهر إزال الكتاب ، شهر حصول الثواب ، شهر التقريب والإيجاب . شهر تخفيف الكلفة ، شهر تحقيق الزلّة . شهر نزول الرحة ، شهر وفور النعمة . شهر النجاة ، شهر المناجاة .

قوله جل ذكره : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ .

أراد بك اليسر ( وأنت تظن ) أنه أراد بك العسر .

ومن أمارات أنه أراد بمبده اليسر أنه ( أقامه )<sup>(١)</sup> بطلب اليسر ؛ ولو لم يُردّ به اليسر لَأَجَله راجعاً في اليسر ، قال تأملهم :

لو لم تُردّ نَيْلَ ما أُرجو وأطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلب

حقّق الرجاء وكُدّ الطمع وأوجب التحقيق حيث قال : « ولا يريد بكم العسر » لينبئ عن حقيقة التخصيص بمجوزات الظنون .

قوله جل ذكره : ﴿ وتيسر لكم العسر ﴾ .

على لسان العلم تسرّوا مدة الصوم .

وعلى لسان الإشارة لتقرنوا بصفاة الحال ( وفاء )<sup>(٢)</sup> ( المال )<sup>(٣)</sup>

وتسكروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون « في النفس الأخير ، ونخرجوا من مدة عمركم بسلامة إيمانكم . والتوفيق في أن تسكل صوم شهرك عظيم لكن تحتيق أنه ينجم عرك بالسعادة — أعظم .

قوله جل ذكره : ﴿ وإنا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾

(١) جاءت ( أقام ) وقد جئناها ( أقامه ) ليزداد وضوح المعنى .

(٢) جاءت ( وفاء ) ونظن أن الواو الأولى زائدة من التاسخ .

(٣) جاءت ( المال ) وقد اعتاد التاسخ أن يكتب المال مثل المال أي بدون علامة على اللد ، وآثرنا هنا أن نضمها ، فالصوم الإعداد ليوم الآخر بالطاعات والعبادات ، وطاية الختام أن نجيب بين الحقيقة والخرية . هنا فضلاً عن أن الإشارة للصوفية ، والصوفية قوم لا مال لهم .

سؤال كل أحد يدل على حاله ؛ لم يسألوا عن حكم ولا عن مخلوق ولا عن دين<sup>(١)</sup> ولا عن دنيا ولا عن عتي بل سألوا عنه فقال تعالى : « وإذا سألك عبادى عني . وليس هؤلاء من جملة من قال : « ويسألونك عن الجبال » ، ولا من جملة من قال : « ويسألونك عن الينابيع » ، ولا من جملة من قال : « ويسألونك عن المحيط » ، ولا من جملة من قال : « ويسألونك عن الروح » ، ولا من جملة من قال : « ويسألونك عن الحجر واللبس » ، « ويسألونك عن الشهر الحرام فقال فيه » .

هؤلاء قوم مخصوصون : « وإذا سألك<sup>(٢)</sup> . . . عبادى عني » .

أى إذا سألك عبادى عني فباذا نجيبهم ؟ ليس هذا الجواب بلسانك يا محمد ، فأنت وإن كنت السفير بيننا وبين الخلق فهذا الجواب أنا أتولاه « فإني قريب » ( رَفَعَ الواسطة من الأغيار عن القرية فلم يَقُلْ قل لهم إني قريب بل قال جل شأنه : فإني قريب<sup>(٣)</sup> ) .

ثم يبين أن تلك القرية ماهى : حيث تقدس الحق سبحانه عن كل اقتراب بجملة أو ابتعاد بجملة أو اختصاص بجملة فقال : « أجيب دعوة الداع » وإن الحق سبحانه قريب — من الجملة والكافة — بالعلم والقدرة والسامع والرؤية ، وهو قريب من المؤمنين على وجه التبرية والنصرة وإجابة الدعوة ، وجلّ وقدس عن أن يكون قريباً من أحد بالذات والجملة ؛ فإنه أحدى لا يتجه في الأقطار ، وهزبر لا يتصف بالكثرة والمقدار .

قوله جل ذكره : « أجيب دعوة الداع إذا دعانِ

فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

لم يعبء إجابة من كان باستحقاق زهد أو في زمان عبادة بل قال دعوة الداع متى دعاني وكيفية دعائي وحيثما دعاني ثم قال : « فليستجيبوا لى » هذا تكليف ، وقوله : « أجيب دعوة

(١) تكرونت كلمة ( دنيا ) مرتين فربما أن تكون الأولى ( دين ) وتركنا الثانية ( دنيا ) لتقابل مع ( عتي ) .

(٢) وضع للناسخ علامة تشير بوجود كل كلمة زائدة بين ( سألك ) ... ( وعبادى ) لحذفنا أزانة .

(٣) ما بين القوسين تكملة من الهامش استدرجها الناسخ فوضناها في موضعها .

الداع « تعريف وتخفيف ، قدّم التخفيف على التكليف ، وكأنه قال : إذا دعوتني - عبدي - أجبتك ، فأجبتني أيضاً إذا دعوتك ، أنا لا أرضى برّد دعائك فلا ترّض - عبدي - برّدني من نفسك . إجابتي لك بالخير تحملك - عبدي - على دعائي ، ولا دعاؤك يحملني على إجابتك . « فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي » : وليتقوا في ، فإنني أجيب من دعائي ، قال قائمهم :

ياعزُّ أقيم بالذي أنا عبده وله الحجيج وما حوت عرفات<sup>(١)</sup>  
لا أبتغي بدلاً سيواك خليفة فثقي بقول والكرام ثقات

ثم قال في آخر الآية : « لعلمهم يرشدون » أي ليس القصد من تكليفك ودعائك إلا وصولك إلى إرشادك .

قوله جل ذكره : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ بِلَاسِ الْعِيَامِ الرَّفَثُ

إِلَى نَائِكَم مِّنْ رِّبَاسٍ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ

رِبَاسٌ لِّمَن ، علم الله أنكم كنتم

تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا

عنكم ، فالآن باثيروهن ، وابتنوا

ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا

حتى يقبض لكم الغليظ الأبيض من

الغليظ الأسود من الفجر ثم أتموا

الصيام إلى الليل .

أخبر أنه - في الحقيقة - لا يعود إليه عائد من أوصاف الخلق ؛ إن كنت في العبادة

التي هي حق الحق أو في أحكام العادة من محبة جنسك التي هي غابة النفس والحظ ، فسيأت

في حالك إذا أورد فيه الإذن .

(١) جاءت ( مرغان ) وهي خطأ في النسخ .

نزلت الآية في ذلّة بدرت من الفاروق<sup>(١)</sup>، فجعل ذلك سبباً رخصته لجميع<sup>(٢)</sup> المسلمين إلى القيامة . وهكذا أحكم الناية .

ويقال علم أنه لا بدّ للبد من المخطوط قسم الليل والنهار في هذا الشهر بين حقه وحظك ، فقال أما حتى « فأتموا الصيام إلى الليل » ، وأما حظك « فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم غليظ الأبيض من الغليظ الأسود من الفجر » .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا تبأثروهن ﴾ وأنتم عاكفون

في للساجد تلك حدود الله

فلا تقربوها ، كذلك يُبينُ الله

آياته للناس لعلهم يتقون ﴿ .

أخبر أن عمل القدرة مقدّس عن اجتلاب المخطوط ، وقال إذا كنتم مشاغل بنفوسكم كنتم محجوبين بكم فيكم ، وإذا كنتم قائمين بنأ فلا تمردوا منّا إليكم .

ويقال غيرة الحق سبحانه على الأوقات أن يُمزجَ الجِدُّ بالهزل ، قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله إني أحبك وأحبّ قريبي فقال عليه السلام : ذريي يا ابنة أبي أباك أتعبد ربّي . وقال صلى الله عليه وسلم لي وقت لا يسعني غير ربّي<sup>(٣)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل

وتدّثوا بها إلى الحكم لتأكلوا

فريقاً من أموال الناس بالإثم

وأتمّ تعملون ﴾ .

(١) أي عمر بن الخطاب . قال هشام عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله إني أردت أهل البازعة على ما يريد الرجل أمه فقالت إنها قد نامت فقلتها نمت فراقبتها فمزل في عمر ( أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ) وهكذا روى عن مجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة ( تفسير القرآن العظيم لا ين كثير ج ١ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ط الحلي ) .

(٢) ووردت ( جميع ) .

(٣) للحديث صوة أخرى « ل مع الله وقت لا يسعني فيه شيء غير الله عز وجل » والمعنى صحيح ولكن سنده غير معروف .

إذا نجا كيم إلى المخلوقين فاعلموا أن الله مطلع عليكم ، وعلمه محيط بكم ، فراقبوا موضع الاستحياء من الحق سبحانه ، ولئن كان المخلوقون<sup>(١)</sup> عالمين بالظهور فالحق - سبحانه وتعالى - متولى السرائر .

قوله جل ذكره : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ .

الناس والحج﴾ .

الأهلة - جمع هلال - مواقيت للناس ؛ لأشغالهم وعملاتهم .

وهي مواقيت لأهل القصة في تفاوت أحوالهم ؛ فلزاهدين مواقيت أورادهم ، وأما أقوام مخصوصون فهي لم مواقيت لحالاتهم ، قال تعالى :  
أعد الأيالي ليلة بعد ليلة وقد كنت قدما لا أهد الأيالي

وقال آخر :

ثمان قد مضين بلا تلاقى وما في الصبر فضل عن ثمان

وقال آخر :

شهور يتقضين وما شعرنا بأنصاف لمن ولا سرا<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت

من ظهورها ولكن البر من اتقى

وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله

لكم تفلحون﴾ .

يعنى ليس البر مراعاة الأمور الظاهرة ، بل البر تصفية السرائر وتنقية الضمائر .

قوله جل ذكره : ﴿وقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ

يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَسُدُّوا إِذَا اللَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُتَدِينُ﴾ .

لتسكن قلوبكم عندكم ودائع الحق ؛ إن أمر بإسكانها أمسكوها وصونوها ، وإن أمر

(١) وردت (المخلوقين) وهي خطأ من النسخ لأن اسم كل مرفوع بجراد .

(٢) سراد النهر وسراره (بالكسر والفتح) آخر لية فيه (الوسيط ص ٤٢٨) .

بتسليمها إلى القتل فلا تدخروها عن أمره ، وهذا معنى قوله : « ولا تعتدوا » وهو أن تقف حيناً أو قِفْتَ ، وتقل ما به أمرت .

قوله جل ذكره : ﴿ واقتلهم حيث تقبضونهم ﴾

يعنى عليكم بنصب المداوة مع أعدائى — كما أن عليكم إثبات الولاية واللوازم مع أوليائى — فلا تشفقوا<sup>(١)</sup> عليهم وإن كان بينكم واعد<sup>(٢)</sup> الرحم وشائج القرابة .

( وأخرجهم من حيث أخرجوك ) . أولاً أخرجوا جبههم وموالاهم من قلوبكم ، ثم ( . . . )<sup>(٣)</sup> من أو طان الإسلام ليكون الصغار جاريًا عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾

والإشارة : أن الهنة التى ترْدُ على القلوب من طوارق الحجب أشد من الهنة التى ترْدُ على النفوس من بذل الروح ، لأن فوات حياة القلب أشد من فوات حياة النفس ، إذ النفوس حياتها بألوانها ، ولكن حياة القلب لا تكون إلا بالله .

ويقال الفتنة أشد من القتل : أن<sup>(٤)</sup> تنأى عن الله أعظم من أن تنأى عن روحك وحياتك .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا تقاتلوه عند المسجد الحرام

حتى يقاتلكم فيه فإن قاتلكم فاقتلوه

كذلك جزاء الكافرين ﴾

الإشارة منه : لا تشوش وقتك<sup>(٥)</sup> مع الله إذا كان بوصف الصفات بما تدخله على نفسك

(١) ووردت ( فلا تشقوا ) والمعنى والسياق يرفضانها رفضاً قاطعاً وقد صوبناها بما يتلادم .

(٢) الواعد والأعد = المهد . مثل الورث والإرث والوحد والأحد وربما كانت أو أضر .

(٣) مشتقة من س وربما كانت : ثم ( أخرجهم ) .

(٤) وردت ( تنهى ) والمعنى والسياق يرفضانها رفضاً قاطعاً وقد صوبناها بما يتلادم .

(٥) قال الدقاق — شيخ القشيري — فى تعريف الوقت : الوقت ما أنت فيه فإن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا ، وإن كنت بالحق فوقتك الحق ، وإن كنت بالسرور فوقتك السرور ، وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن .

ويعلق القشيري على رأى أستاذة قاتلا : يريد بهذا أن الوقت ما كان هو الغالب على الإنسان . ويقولون الصوابي أين وقته يريدون بذلك أنه مشتغل بما هو أول به فى الحال ، قائم بما هو مُطالب به فى الحين . وينبى ألا يفرط السيد فيها يتعديه حتى للشرع .

وإن كانت نوافل من الطاعات ، فإن زاحك مزاحم يشنك عن الله فاقطع مادة ذلك عن نفسك بكل ما أمكنك للاتباع علاقة تصدك<sup>(١)</sup> عن الله .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ اتَّبَعْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

الإشارة منه : إذا انقطعت عنك غافة خواطرك وأعداء نفسك ، مما يخرجك عنه ويزاحمك ، فَمُحْدِثِ النَّفْسِ وَدَعِ مَجَاهِدَاتِهَا ؛ فَإِنَّ مَنْ طَوَّبَ بِحِفْظِ الْأَسْرَارِ لَا يَتَفَرَّغُ إِلَى مَجَاهِدَاتِ النَّفْسِ بِتَنَوُّنِ الْخَالَاتِ<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَتَطْلُبُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ

الَّذِينَ اللَّهُ ، فَإِنْ أَشْهَرُوا فَلَا عُدْوَانَ

إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ .

الإشارة من الآية إلى مجاهدات النفوس ؛ فَإِنَّ أَعْدَى عَبْدٍكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنِيكَ .  
أَيِ اسْتَوْفِ أَحْكَامَ الرِّيَاضَاتِ حَتَّى لَا يَبْقَى لِلْآثَارِ الْبَشَرِيَّةِ شَيْءٌ ، وَتُسَلِّمَ النَّفْسَ وَالْقَلْبَ لِلَّهِ ،  
فَلَا يَكُونُ مَعَارِضَ وَلَا مُنَازِعَ مَعَكَ لَا بِالتَّوَقُّعِ وَلَا بِالتَّنَاقُصِ ، لَا بِالتَّدْبِيرِ وَلَا بِالْإِخْتِيَارِ — بِحَالِ  
مِنَ الْأَحْوَالِ ، تَجْرِي عَلَيْكَ صُرُوفُهُ<sup>(٣)</sup> سَكَا يَرِيدُ ، وَتَكُونُ<sup>(٤)</sup> مَحْوًا عَنِ الْإِخْتِيَارَاتِ ،  
بِخِلَافِ مَا يَرُدُّ بِهِ الْحُكْمُ ، فَإِذَا اسْتَلَمْتَ النَّفْسَ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى أَرْبَابِ التَّقْصِيرِ ، فَأَمَّا مَنْ  
قَامَ بِحَقِّ الْأَمْرِ تَقْصَى عَنْ عَهْدَةِ الْإِزَامِ .

قوله جل ذكره : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ

وَالْحَرَمُ الْقَصَاصُ ، فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ

فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(١) وردت ( تصدق ) والمعنى والسياق يوفضانها رفضاً قاطعاً وقد صوبناها بما يتلوه :

(٢) يريد القسري هذه الفقرة أن تنزل على حكم الرحمة التي وصلت إليها ، فإذا اجتاز بك فضل الله رحمة جهادك مع نفسك إلى ما فوقها فلا تشغلن وتلك إلا بما صرت عليه ، بمعنى أن تنزل على حكم الوقت .

(٣) وردت ( حروفه ) والمعنى صرُوفه ، وقد جاء في الرسالة هذا الشاهد :

(٤) وردت ( يكون ) وهي خطأ من الناسخ .  
تجري عليك صرُوفه وهووم سرك مطرقة ( الرسالة ص ٦٣ )

الإشارة فيه : إذا قابل حقان كلاماً لله فَسَلَّمَ الوقت بحكم الوقت ، ودلّ مع إشارات الوقت ، وإياك أن ترجع أحدهما على الآخر بمالك من حظ — وإن قلّ — فتُجَبِّع عن شهود الحق ، وتُعمى بصيرة قلبك . وكلُّ ما كان إلى خلاف هواك أقرب ، وعن استجلابك وسكونك إليه أبعد — كان ذلك في نفسه أصوب .

« واعلموا أن الله مع المتقين » : الذين اتقوا إيثار هوام على ما فيه رضاه ، فإذا نادى الله — فيها يأتون — لا بلهم فإن الله تعالى بالنصرة معهم ، قال تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم » . قوله جل ذكره : ﴿ وَأَنْتَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقْلُوا بَأْيَدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

إنفاق الأغنياء من أموالهم ، وإنفاق العابدين بنفوسهم لا يدخرونها عن العبادات والوظائف ، وإنفاق العارفين بقلوبهم لا يدخرونها عن أحكامه ، وإنفاق المحبين بأرواحهم لا يدخرونها عن حبه .

إنفاق الأغنياء من النعم وإنفاق الفقراء من الهِمَم .  
إنفاق الأغنياء لإخراج المال من الكيس ، وإنفاق الفقراء لإخراج الروح عن أنفُس النفيس ، وإنفاق الموحدين لإخراج اتِّلَافٍ من السُّر .

قوله تعالى : « وَلَا تَقْلُوا بَأْيَدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » الإشارة فيه إلى إمساك يدك عن البذل ؛ فن أمسك يده وأدخّر شيئاً لنفسه فقد ألقى يده إلى التهلكة . ويقال : إلى إيثار هواك على رضاه .

ويقال « وَلَا تَقْلُوا بَأْيَدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » أي الغفلة عنه بالأخيار .

ويقال تَوَكَّمْ أَنْتَ تَعِيشُ مِنْ دُونِ لَطْفِهِ وَإِقْبَالِهِ لَحْظَةً .

ويقال الرضا بما أنت فيه من الفترة والحجاب .

ويقال إمساك اللسان عن حوام الاستغابة في كل نفس .

قوله تعالى : « وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » الإحسان أن ترفق مع كل أحد



إلا ملك ؛ فإحسانك إلى نفسك في صورة إساءتك إليها في ظن الاعتماد ، وذلك لارتكابك كل شديدة ، ومقاساتك فيه كل عظيمة . والإحسان أيضاً ترك جميع حظوظك من غير بقية ، والإحسان أيضاً تفرغك الى قضاء حق كل أحد علّق عليك حديثه . والإحسان أن تعبه على غير غفلة . والإحسان أن تعبه وأنت بوصف المشاهدة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْمُومِنَةَ لِلَّهِ ﴾

إتمام الحج على لسان العلم القيام بأركانه ومنته وهيبته ، وإراقة الدماء التي تحب فيها ( دون ) التخصير في بعض أحوالها .

وفي التفسير أن تحرم بهما من ديرة أهلك <sup>(١)</sup> .

وعلى لسان الإشارة الحج هو القصد ؛ فقصد إلى بيت الحق وقصد إلى الحق ، فالأول حج العوام والثاني حج الخواص .

وكأن الذي يحج بنفسه يحرم ويَقِفُ ثم يطوف بالبيت ويسعى ثم يملأ ، فكذلك من يحج بقلبه ؛ فأحرامه بقصد صحيح على قصد صريح ، ثم يتجرد عن لباس مخالقاته وشهواته ، ثم يشتماله بثوب صبره وفقره ، وإسكاه عن متابعة حظوظه من اتباع الهوى ، وإطلاق خواطر المني ، وما في هذا للمعنى . ثم الحاج أشعث أغبر تظهر عليه آثار الخشوع والخضوع ، ثم تلبية الأسرار باستجابة كل جزء منك .

وأفضل الحج الشَّحُّ والحج ؛ الشَّحُّ صَبُّ الدَّمِّ والحج رفع الصوت بالتلبية ، فكذلك سفك دم النفس بسكاكين الخلاف <sup>(٢)</sup> ، ورفع أصوات السر بدوام الاستغاة ، وحسن الاستجابة ثم الوقوف بساحات القربة بلسكال أوصاف الهيبة . وموقف النفوس عرفات وموقف

(١) قال شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلفة عن علي أنه قال في هذه الآية ( وأتموا الحج والعمرة لله ) قال أن تحرم من ديرة أهلك ، وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٢٤٠ ط الحلي .

(٣) الخلاف هنا معناها ( المخالفة ) أي مخالفة النفس وأهوائها .

القلوب الأساى والصفات لِمَزِّ القات (عند)<sup>(١)</sup> للواملات . ثم طواف القلوب حول (مشاهدة)<sup>(٢)</sup> المَزِّ ، والسى بالأمرار بين صَفَى كشف الللال ولطف اللال .

ثم التحلل بقطع أسبب الرغائب والاختيارات ، وللى والمعارضات . . بكل وجه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾

الحصر بأمرين يعدو أو مرض .

والإشارة فيه إن استولى عدو النفس فلم يجد بداً من الإناخة بمقوة الرخص وتاويلات العلم فعند ذلك تحلل بموجب العنو والاضطرار لإزالة مزاحمة مع الحكم . « والهدى » الذى يهدى به عند التحلل بالعنو ، والخروج عن المعلوم ، وتسليمه للفقراء ، وانتظار أن يزول الحصر فيستأنف الأمر . وإن مرصت الواردات وسقيت القصود وآل الأمر إلى التكليف فليجتهد ألا ينصرف كما أنه فى الحجج الظاهر يجتهد ألا ينصرف لكل مرض أو إن احتاج إلى اللبس والخلق وغير ذلك — بشرط الفدية .

ثم إن عجز ، أشرت أن محله حيث حبه فكذلك قوم ويقعد فى أوصاف القصد وأحكام الإرادة ، فإن رجع — والعباذ بالله — لم يُقَابَلْ إِلَّا بِالرَّدِّ والصد ، وقيل :

فلا عن قلى كان التقرب يننا ولكنه دهر بُتت ويجمع

وقال الآخر :

ولست — وإن أحببت من يسكن الفضا بأول راجر حاجة لا ينالها

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ

مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ

أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفَدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ

أَوْ نُسْكَ ﴾ .

(١) وردت ( عن ) لى س ، والأساى والصفات مقصود بها أسماء الله الحسنى وصفاته .

(٢) ترجع أنها ل الأصل ( مشاهد ) جمع مشهد لتناظر ( مشاهد ) الحجج .

يَبْذُلُ مَا أَمْكَنَهُ ، وَيُخْرِجُ عَنْ جَمِيعِ مَا يَمْلِكُهُ ، وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْحُمْرَةِ ، وَاسْتِشَارَةُ  
أَحْزَانِ الْحُجْبَةِ .

وَفَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا . . . عَالِجُ : الْإِشَارَةُ مِنْهُ أَنْ يَبْتَهِلَ وَيَجْتَهِدَ بِالطَّوْفِ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ ،  
وَالْخِدْمَةِ لِلْفُقَرَاءِ ، وَالتَّقَرُّبِ بِمَا أَمْكَنَهُ مِنْ وَجُودِ الْأَحْيَالِ وَالْبَعَاءِ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِذَا أُمِيتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ

إِلَى الْحَجِّ فَاسْتَغْسِرْ مِنَ الْيَدْيِ ،

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ

وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ، تِلْكَ عَشْرَةٌ

كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرًا

لِلْحَجِّ الْحَرَامِ . وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ .

فَإِذَا تَجَلَّتْ أَقَارِ الْقَصُودِ عَنْ كَشُوفِ التَّنَزُّزِ ، وَانْجَلَتْ غَيَابَةُ الْحُجْبَةِ عَنْ شُمُوسِ الْوَصَلَةِ  
وَأُشْرُقَ نُورُ الْإِقْبَالِ فِي تَضَاعِيفِ أَيَّامِ الْوَقْفَةِ ، فَلَيْسَتْ أَيْفٌ لِلْوَصَلَةِ وَقَفًا ، وَلَيْفَرَشُ لِلْقُرْبَةِ بَاسَاطًا ،  
وَلَيَجِدُّدُ لِلْقِيَامِ بِحَقِّ السَّرُورِ نَشَاطًا ، وَلَيَقْلُ : حَيٌّ عَلَى الْبَهْجَةِ ! فَقَدْ مَضَتْ أَيَّامُ الْحَنَةِ .

وَلَيُكْمِلِ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ، وَلَيَسْتَدِيمَ الْقِيَامَ بِأَحْكَامِ الصَّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ .

« وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » بِالْحُجَابِ لِمَنْ لَمْ يَرِهِ أَهْلَةُ الْوَصَلَةِ وَالْإِقْرَابِ .

قوله جل ذكره : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۝ .

كَأَنَّ الْحَجَّ بِالنُّفُوسِ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ لَا يَنْتَعِدُ الْإِحْرَامُ بِهِ إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يَجُوزُ فَعْلُ  
الْحَجِّ فِي جَمِيعِ السَّنَةِ إِلَّا فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ ، مِنْ فَاتِهِ ذَلِكَ الْوَقْتُ فَاتَهُ الْحَجُّ — فَكَذَلِكَ حُجَّ  
الْقُلُوبِ لَهُ أَوْقَاتٌ مَعْلُومَةٌ لَا يَبْصَحُ إِلَّا فِيهَا ، وَهِيَ أَيَّامُ الشَّبَابِ ؛ فَمَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ إِرَادَةُ فِي حَالِ  
شَبَابِهِ فَلَيْسَتْ لَهُ وَصَلَةٌ فِي حَالِ مِثْلِهِ ، وَكَذَلِكَ مِنْ فَاتِهِ وَقْتُ قَصْدِهِ وَحَالِ إِرَادَتِهِ فَلَا يَصْلَحُ  
إِلَّا لِلْعِبَادَةِ الَّتِي آخَرَهَا الْجَنَّةُ ، فَأَمَّا الْإِرَادَةُ الَّتِي آخَرَهَا الْوَصَلَةُ . . . فَلَا .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِمْ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ

وَلَا تَسْوِيقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۝ .

كذلك الإشارة لمن سلك طريق الإرادة ألا يُعرج على شيء في الطريق ، ولا يمزج إرادته بشيء . فمن نازعه أو عارضه أو زاحه — سَلَّم الكَلَّ الكَلَّ ، فلا لأجل الدنيا مع أحدٍ يخاصم ، ولا لشيء من حظوظ النفس والجوارح مع أحد يزاحم ، قال تعالى : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ .  
تسكنني بعلمه وحكمه عن شهود خلقه وحكم خلقه وعلم خلقه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَتَزِدُوا فَإِنْ خَيْرٌ أَزَادَ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ .

تقوى العامة مجانبة الزلات ، وتقوى الخواص مجانبة الأفيار بالسرائر .  
قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ .

الإشارة فيه أن ما تبتغي من فضل الله مما يُمكنك على قضاء حقّه ، ويكون فيه نصيب للمسلمين أو قوة للدين — فهو محمود . وما تطلبه لاستيفاء حظك أو لما فيه نصيب لنفسك — فهو معول .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْرِعِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لِنَ الضَّالِّينَ ﴾ .

الإشارة فيه إذا وقعت حتى قُت بحق طلبه فاذا ذكر فضله منك ؛ فقل أنه أرادك لما أَرَدْتَهُ ، ولولا أنه اختارك لما آثرت رضاه .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

الإشارة فيه ألا تعلم نفسك بما تمتاز عن أشكالك في الظاهر ؛ لا بلبسة ولا بخمرة ولا بصفة ،

بل تكون كواحد من الناس ، وإذا خطر ببالك أنك ضلت شيئاً ، أو بك أو لك أو معك شيء فاستغفر الله ، وجدّدْ إيمانك فإنه شريكٌ خفيٌّ خامر قلبك .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَمَ فَادْكُرُوا اللَّهَ

كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۖ ﴾

« قضيتُم مناسِككم » إشارة إلى القيام بحق العبودية .

« فادْكروا الله كذكركم آباءكم » إشارة إلى القيام بحق المحبة .

فضاء المناسك قيامٌ بالنفس .

« فادْكروا الله كذكركم آباءكم » قيامٌ له بالقلب على استدامة الوقت واستغراق العمر .

ويقال كما أنَّ الأغيار يفنخرون بأبائهم ، ويستبشرون بأسلافهم فَلْيَسْكُنْ افنخاركم بنا واستبشاركم بنا .

ويقال إن كان لأبائكم عليكم حقٌ التربية فحقنا عليكم أوجب ، وأفضالنا عليكم أتم .

ويقال إن كان لأسلافكم مآثر ومناقب <sup>(١)</sup> ، فاستحقاقنا نعمت الجلال فوق ما لأبائكم من حسن الحال .

ويقال إنك لا تعلم ذكر أبيك ولا تنساه على غالب أحوالك ، فاستدبرم ذكرنا ، ولا تغترضنك ملاة أو سامة <sup>(٢)</sup> أو نسيان .

ويقال إن طمأن في نسبك طاعينٌ لم ترض فكذلك ما تسمع من أقاويل أهل الضلال والبدع قدبٌ هنا .

ويقال الأب يُذكرُ بالحرمة والحشمة فكذلك اذكرونا بالهيبة مع ذكر لطيف القرية بحسن التربية .

وقال « كذكركم آباءكم » ولم يقل أمهاتكم لأن الأب يُذكر احتراماً والأم تُذكر شفقةً عليها ، والله يرحم ولا يرحم .

(١) وردت ( مناتب ) وهي خطأ في النسخ .

(٢) وردت ( سامة ) وهي خطأ في النسخ .

« أو أشد ذكراً ، لأن الحق أحق ، ولأنك قد تستوحش كثيراً عن أهلك ، والحق سبحانه منزّه عن أن يخطر ببال من يعرفه أنه بخلاف ما يقتضيه الواجب حتى إن كان فزّة . وقوله « كذا ذكركم آباءكم » الأب على ما يستحقه والرب على ما يستحقه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا ۗ » ومآله في الآخرة من خلق .

خطاب لوطاه مخلوق فك كان شاكرًا<sup>(١)</sup> ، ولو أنه شكّ منك كما شكّا إليك لسألت الحائلة ، ولكن بفضل أحقّ محل أن يشكو إليك فقال : من الناس من لا ينجح قلبه إلينا ، ويرضى بدوننا عنا ، فلا يصبر غير نفسه وحظه ، ولا يمكن إيمان له بربه وحقه .

قوله جل ذكره : ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ورزقنا عذاب النار ﴾ .

إنما أراد بها حسنة تنظم بوجودها جميع الحسنات ، والحسنة التي بها تحصل جميع الحسنات في الدنيا — حفظ الإيمان عليهم في المال ، فإن من خرج من الدنيا مؤمناً لا ينجح في النار ، وبفوات هذا لا يحصل شيء . والحسنة التي تنظم بها حسنات الآخرة — المغفرة ، فإذا غفر تبعدها ليس إلا كل خير .

ويقال الحسنة في الدنيا الموزون عنها ، والحسنة في الآخرة الصون عن مساكنها . والوقاية من النار ونيران القرّة إذ اللام في قوله « النار » لام جنس فنحصل الاستعاذة عن نيران الحفرة ونيران القرّة جميعاً .

ويقال الحسنة في الدنيا شهود بالأسرار وفي الآخرة رؤية بالآبصار .

ويقال حسنة الدنيا ألا يفتيك عنك وحسنة الآخرة ألا يردك إليك .

(١) التمس على الناسخ نقل هذه الآية بالآية التي تليها فوضع هنا ( حسنة ) وهي زائدة .

(٢) ترجع أنها ( عاكيا ) في الأصل .

ويقال حسنة الدنيا توفيق الخدمة وحسنة الآخرة تحقيق الوصلة .

قوله جل ذكره : ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَصِيبْ مَا كَسَبُوا ﴾ .  
إن كان خيراً خيراً وإن كان غيراً غيراً . « والله سريع الحساب » للموا في الفرصة ،  
وللموا في كل نفس .

ويقال ذكر فريقين : منهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا ، والثاني يقول في الدنيا والعقبى ،  
وثالث لم يذكرهم وهم الراضون بقضائه ، المستسلمون لأمره ، الساكنون عن كل دعه واقتضاه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ  
فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِمَّ عَلَيْهِ ،  
وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِمَّ عَلَيْهِ يَلِئَ آتَقَى ،  
وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ  
تُحْشَرُونَ ﴾ .

هذه مئة أواخر النكس ، وهو الرمي في أيام مني لما قدموا بأركان الحج خفف عنهم  
بأن يحرم في المقام والإقامة والتسجيل في التفریق  
والإشارة منه أن من خدعت نفسه ، وحسب قلبه ، واستدام بمخاتق الشهود ( سره )<sup>(١)</sup>  
— فإن سقط عنه شيء من فروع الأوراد ففيها هوله مستديم من آداب الحضور مؤوض  
عن القى يفوت .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجِئُكَ قَوْلُهُ  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى  
مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْإِطْلَامِ ﴾ .

أخبر أن قوماً أعرض الحق سبحانه وتعالى عن قلوبهم فأعطاهم في الظاهر بسطة في اللسان  
ولكن ربط على قلوبهم أسباب الحرمان ؛ فهم في غطاء جهلهم ، ليس وراءهم معنى ، ولا على  
قولهم اعتماد ، ولا على إيمانهم انكسار ، ولا بهم قوة بوجه .

(١) نعلم من مذهب القشيري أن مخاتق الشهود متصلة بالسر ، وما دام قد ذكر النفس والقلب فقد  
وجدنا من الشروزي توضيح ذكر ( سره ) حيث ترجع أنها سقطت من النسخ .

والإشارة إلى أهل الظاهر الذين لم تساعدهم أنوار البصيرة فهم مربوطون بأحكام الظاهر ؛  
 لا لم بهذا الحديث لإيمان ، ولا بهذه الجملة استنبصار ، فالواجبُ صونُ الأسرار عنهم فإنهم  
 لا يقايلون هذا الحديث إلا بالإنكار<sup>(١)</sup> ، وإن أهل الوداعة<sup>(٢)</sup> من العوام الذين في قلوبهم  
 تعظيم لهذه الطريقة ، ولم إيمان على الجملة بهذا الحديث لأقرب إلى هذه الطريقة من كثير  
 ممن عدّ نفسه من الخواص وهو يمزج عن الإيمان بهذا الأمر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ  
 فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ  
 لَا يَحِبُّ الْفُسَادَ ۗ ۝ ﴾

الإشارة لمن سعيه مقصور على استجلاب حظوظه ، فهو لا يبالي بما ينحل من عرى  
 الدين، ويهي من أسباب الإسلام ، بعدما تشتد حبال دنياه ، وتنظم أسباب منام ، من حرام  
 جعده ، وحطام خصومه . فإذا تخلوا لوسوسهم وقصودهم الردية سعوا بالفساد بأحكام أسباب  
 الدنيا ، واستعالم من يستعينون بهم في تمشية أمورهم من القوم الذين نزع الله البصيرة  
 من قلوبهم .

« والله لا يحب الفساد » : ما كان فيه خراب الأمور الدينية ونظام الأحوال الدنيوية  
 فهو الفساد الظاهر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ  
 الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبُهُمْ جَهَنَّمُ  
 وَلَيْسَ لِلْهَادِثِ ۗ ۝ ﴾

هؤلاء أقوام استولى عليهم التكبر ، وزال عنهم خضوع الإنصاف ؛ فسمحت آفاتهم  
 عن قبول الحق فإذا أمرته بمعرفه قال : أُلْغِيَ يُقَالُ هَذَا ١٩

(١) هنا نلاحظ أن القشيري يرى عدم البوح بأسرار الطريقة وأن الكتمان خير - وهذا موقف هام  
 له مساهلة على جانب عظيم من الخطورة .

(٢) وودت (الوداعة) ويرجح أنها الوداعة لأنها أقرب إلى السياق .



وأنا كنا وكذا ! ثم يكبر عليك ( ... )<sup>(١)</sup> فيقول : وأنت أولى بأن تؤمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فإن من حالك وقصتك كنا وكذا .

أو لوساعده التوفيق وأدركته الرحمة ، وتقلد للنة بمن هداه إلى رؤية خطئه ، ونبيه على سوء<sup>(٢)</sup> وصفه ، لم يطو على نصيحة جنبه وتبى في القلب — إلى سنين — آثارها .

قال تعالى « لحسبه جهنم » يعنى ما هو فيه في الحال من الوحشة وظلمات النفس وضيق الاختيار حتى لا يسي في شيء غير مراده ، فيقع في كل لحظة غير مرة في العقوبة والمحنة ، ثم إنه منقول من هذا الزناب إلى العذاب الأكبر ، قال الله تعالى : « ولنديقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر » .

قوله جل ذكره : ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء

مرضاة الله والله رهوف بالعباد ﴾ .

أولئك الذين أدركهم خصائص الرحمة ، ونعتهم سوابق القسمة ، فأثروا رضاه الحق على أنفسهم ، واستسلموا بالسكينة لمولاهم ، والله زعوف بالعباد : ولراقتهم بهم وصلوا إلى هذه الأحوال ، لا يهذه الأحوال استوجبوا راقته .

قوله جل ذكره : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم

كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان

إنه لكم عدو مبين ﴾ .

كُفَّ المؤمنَ بأن يسلم كل أحدٍ إلا نفسه فإنها لا تتحرك إلا بمخالفة سيده ، فإن من سلم نفسه قتر عن مجاهداته ، وذلك سبب انقطاع كل قاصد ، وموجب فترة كل مرید .

و « خطوات الشيطان » ما يوسوسه إليك من عجزك عن القيام باستيفاء أحكام المعاملة ، وترك نزعات لا عثرة بها ، ولا ينبغي أن يلتفت إليها ، بل كما قال الله تعالى : « فإذا خفت عليه فالقته في اليأس » ثم أبصر ما الذي فعل به حين ألقتَه ، وكيف دَّه إليها بعدما نجَّاه .

(١) مثلية .

(٢) وردت ( سواء ) وهي خطأ في النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ زَلَمْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ

الْبَيِّنَاتِ فَاغْلُظُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

الرَّزَّةُ الواحدةُ بعد كشف البرهان أضح من كثير منها قبل ذلك ، ومن عُرِفَ في اُطلياة لا يُعتمد عليه في الأمانة . وعنه الأكاير<sup>(١)</sup> إذا حلت كان فيها استصالح بالكلية .

قوله جل ذكره : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ

فِي ظُلُمٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاللَّامِكَةِ ﴾ .

استبطأ القوم قيام الساعة فأخبروا عن شدة الأمر إذا قامت الساعة بتفصيل ما ذكر .

وتلك أفعال في معنى الأحوال ، يظهرها الله سبحانه بما يزيل عنهم الإشكال في عا شأنه سبحانه وتعالى ، ونفذ قدرته فيما يريد . « وقفى الأمر وإلى الله ترجع الأمور » أى انتهت ستر الغيب عن صريح التقدير السابق . ولقد استغنت قلوب اللوحدين لما فيها من أنوار البصائر عن طلب التأويل لهذه الآية وأمثالها إذ الحق سبحانه مُنَزَّهٌ عن كل انتقال وزوال ، واختصاص بمكان أو زمان ، تقس عن كل حركة وإتيان<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ

آيَةٍ يُفْنِئُ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ

بِعْدَمَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

فائدة السؤال ليقرو عليهم بالسؤال المحبة ، لا ليقرر لرسول صلى الله عليه وسلم بسؤال ما أشكل عليهم من واضح المحبة .

« ومن يبديل نعمة الله من بعدما جاءته فإن الله شديد العقاب » يزوال تلك النعمة . وعند

ذلك يعرفون قدرها ، ثم يندوبونها ولا يصلون إليها قط ، قال قائمهم :

سَهَجَرْنِي وَتَرَكْنِي فَتَطْلُبْنِي فَلَا تَجِدُ

---

(١) عنة الأكاير المقصود بها هنا زلات الأكاير ، وعقوبتها اشد ، وقد استدلت التشيى على ذلك في موضع سابق بأن من ترتكب فاحشة من أمهات المسلمين يضاعف لها العذاب ضعفين .

(٢) إشارة إلى ما في الآية الكريمة ( يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ) .

قوله جل ذكره : ﴿ زَيْنٌ لَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ

آمَنُوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ

مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝

مكروا<sup>(١)</sup> فلم يشعروا ، وحلمهم اشتداد الغلظة على بصائرهم على الوقيعة في أولياته سبحانه ،

والسخرة منهم ، وحين تقشمت غواية الجبل عن قلوبهم (.....)<sup>(٢)</sup> علموا من الخلم

منهم من الذي كان في ضلال بعيد .

قوله جل ذكره ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ

النَّبِيِّينَ مِبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأُنْزِلَ

مَعَهُمُ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ

النَّاسِ فَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ

فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ

الْبَيِّنَاتُ بَنِيَاءً يَنْهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ

بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝

يعني النفية عن الحق بجمعهم ، فلما أتهم الرسل تابوا على حسب ماؤزقوا من أنوار

البصيرة وحرّموها . ويقال كانوا على ماسبق لهم من الاختيار القديم ، ويحیی الرسل هود قوم

وتنصّر قوم ، ثم في العاقبة يردّ كل واحد إلى ماسبق له من التقدير ، وإن الناس اجتمعوا

كلهم في علمه سبحانه ثم تفرّقوا في حكمه ، فقوم هدام وقوم أغوام ، وقوم حجبهم وقوم

---

(١) ربما كانت في الأصل ( 'مكر بهم ) فلم يشعروا ، فالآية تقول ( زَيْنٌ لَّذِينَ كَفَرُوا ) فهم لم يشعروا

بأن تزین الدنيا لهم مكر من الله والله خير الماكرين .

(٢) زائفة .

جذبهم ، وقوم ربطهم بالخلافة وقوم بطمهم بالإحسان ، فلا من للقبولين أمر مكتسب ، ولا لردّ للرودين سبب ، بل هو حكمٌ بتّ وقضاء جزم .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ الْيَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَذُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نَصْرَ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝ ﴾

خلق الله الجنة وحفها بالمصاعب ، وخلق النار وحفها بالشهوات والرضايب ، فمن احشتم ركوب الأحوال بقي عن إدراك الآمال . ثم إن الحق سبحانه ابتلى الأولين بفنون من مقاسة الشدائد ، وكلٌّ من أُلْحِقَ بهم من خلف الأولياء أدخلهم في سلكهم ، وأدرجهم في غمارهم ، فمن ظنّ غير ذلك فَسَرَابٌ ظَنَّهُ ماءً ، وحكم لم يحصل على ما ظنه تأويلاً . ولقد مضت سنة الله سبحانه مع الأولياء أنهم لا يُفِيحُونَ بقوة النظر إلا بعد إشرافهم على عرصات اليأس ، حين طال بهم الترقُّبُ صادفهم اللطفُ بغنةً ونحقيق لم المبتغى فجأة . قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝ ﴾

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَاللَّيْلِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝ ﴾

علموا أن العبد غير منفرد بالفاعلية أن يفعل ، فإنَّ العبد ليس له فعل شيء إلا بإذن مولاه فنوقفوا في الإنفاق على ما يشير إليه تفصيل الإذن ، لأنَّ العبودية الوقوف حينها أَوْفَقُكُ الْأَمْرِ ..

ويقال لم ينفقوا على إشارات الهوى . وإن ما طالعوه تفاصيل الأمر ، وإشارات الشرع والواو في هذه الآية في قوله : « والأقربين واليتامى » تشير إلى نوع من الترتيب ؛ فالأولى بمروفتك وإفادتك ثم أقاربك ثم على الترتيب الذى قاله .

قوله جل ذكره : ﴿ كُنَيْبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

صعبت على النفوس مباشرة القتال ، فبين أن راحت النفوس مزجلة لأنها في حكم التأديب ، وبالعكس من هذا راحت القلوب فاتها ممجلة إذ هي في وصف القريب ، فالسادة في مخالفة النفوس ؛ فن واقفها حاد عن المحبة المثل ، كما أن السادة في مواقة القلوب فن خالفها زاغ عن السنة العليا .

وبشرى ضمان الحق باليُسْر أوتى أن تُقبَل من محنرات هواجس النفوس في حلول العسر وحصول الضر .

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ .

من المماضى ما يكون أشد من غيره وأصعب في المعنى ، فسوء الأدب على الباب لا يُوجب ما يُوجب على البساط ؛ فإذا حصلت الزلة بالنفس فأثرها بالقوبة الموجلة وهى الاحتراق ، وإذا زل<sup>(١)</sup> القلب فالقوبة ممجلة وهى بالفراق ، وأثر الفعلة على القلوب أعظم من ضرر الزلة

(١) وردت ( زال ) وهى قطعاً خطأ فى النسخ .

على النفوس ، فإن النفس عن الحظ تبق ، والقلب عن الحق يبق

قوله جل ذكره : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم  
عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يرددْ  
منكم عن دينه فبئسَ وهو كافر  
فأولئك حَبِطَتْ أَعْمَالُهم في الدنيا  
والآخرة وأولئك أصحاب النار هم  
فيها خالدون ﴾ .

الإشارة من هذا أن أهل الغفلة إذا راودوك أرادوا صَرْفَكَ إلى ما هم عليه من الغفلة ،  
فلا يرضون إلا بأن تفسخ عقد إرادتك بما تمود إليه من سابق حالتك ، ومن فسَخ مع الله  
عهده مَسَحَ قلبه .

قوله جل ذكره : ﴿ إنَّ الذين آمنوا والذين هاجروا  
وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون  
رحمتَ الله والله غفور رحيم ﴾ .

إن الذين صدقوا في قصدهم ، وأخلصوا في عهدهم ، ولم يردوا في الإرادة على أعقابهم ،  
أولئك الذين عاشوا في رَوْح الرجاء إلى أن يصلوا إلى كَال البقاء ودار النقاء .

قوله جل ذكره : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قلْ فيها  
إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس وإثمها  
أكبر من نفعها ﴾ .

الخمر ما خامر العقل ، وكما أن الخمر حرام بعينها فالسُّكْر حرام بقوله صلى الله عليه وسلم :  
« حُرِّمَت الخمر بعينها ، والسُّكْر من كل شراب » ، فمن سَكِرَ من شراب الغفلة استحق  
ما يستحق شارِب الخمر من حيث الإشارات ، فسكنا أن السكران ممنوع من الصلاة فصاحب  
السُّكْر بالغفلة محبوب عن المواصلات وأوضح شواهد الوجود ، فمن لم يَصْدَقْ فَلْيَجْرَبْ .

ومعنى التلذذ موجود في أكثر معاملات أهل النعمة إذا سلكوا طريق الحيل والخباع والكنب في القتل . وينزل الصدق والإنصاف عزيزاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَوْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ .

قيل الغَوْ ما فضل عن حاجتك ، وهذا للخواص يخرجون من فضل أموالهم عن قدر كفايتهم ، فأما خواص الخواص فطريقهم الإيثار وهو أن يُؤثر به غيره على نفسه وبه فاقه إلى ما يخرج وإن كان صاحبه الذي يؤثر به غيباً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلِ إِصْلَاحٌ لِمَ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ .

إصلاح حلم بما يكون فيه تأديبهم أتم من إصلاح مالهم ، ثم الصبر على الاحتمال عنهم مع بذل النصيح ، و ( مفارقة المال مَنْ مِنْ أَرْشَادِهِمْ خَيْرٌ مِنَ التَّرَخُّصِ بِأَنْ يَقُولَ إِنَّهُ لَا يَتَوَجَّهْ عَلَى فُرْضِهِمْ )<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

فيعامل كلاً على سوا كنه قلبه من التصود لا على ظواهر كسبه من جميع الفنون .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا تُعْجِبْكُمْ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا تُعْجِبْكُمْ ، أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ

---

(١) لها بين قوسين محووض وبما نتج عن خطأ في النقل .

إلى النار والله يدهو إلى الجنة  
والمغفرة بإذنه ، وَيُسَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ  
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٠﴾ .

صلة حبلى الدين والتمسك بمصحة المسلمين أتم من الرضا بأن تنتهى إلى أحدٍ يسلك  
إلى الكفر ، ولئن كانت رخصة الشريعة حاصلة فى فعله فإشارة الحقيقة مانعة من حيث الثبوت  
عن اختياره ، هذا فى الكتايبات اللاتى يجوز مواصلة من ، فأما أهل الشرك فخرام مواصلة من  
قطعا ، وأوجه مبايعة من فى هذا الباب حُكْمٌ جَزْمٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَيْمُونِ قُلْ هُوَ أَذًى  
فَاعْتَرِضُوا لِلنِّسَاءِ فِى الْمَيْمُونِ  
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا  
طَهَّرْنَ فَأَنْوَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾

ليس كل ما يكون موجب الاستحياء والنفور مما هو باختيار العبد ، فقد يكون من  
النقائص ما ليس للعبد فيه كسب ، وهو ابتداء حكم الحق ، فمن ذلك ما كتب الله على بنات آدم  
من تلك الحالة ، ثم أُمِرْنَ باعتزال المصلى فى أوان تلك الحالة ، فالمصلى مناجر ربه ، فتُحْيَن  
عن محل المناجاة حكما من الله لا جرما لمن . وفى هذا إشارة فىقال : إيمان — وإن مُنِعَ عن  
الصلاة التى هى حضور بالبدن فلم يحجب عن استدامة الذكر بالقلب واللسان ، وذلك تعرض  
بساط القرب ، قال صلى الله عليه وسلم غيباً عنه تعالى : « أنا جالس من ذكرنى » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ اللَّهُ بِحَبِّ السَّوْءَيْنِ يَعْلَمُ  
لِلطَّاهِرِينَ ﴾ .

يقال يجب التوايين من الذنوب ، وللطاهرين من العيوب .

ويقال التوايين من الزلة ، وللطاهرين من التوهم أن نجاتهم بالتوبة .

ويقال التوايين من ارتكاب المحظورات ، وللطاهرين من الساكنات والملاحظات .

ويقال التوايين بماء الاستغفار وللطاهرين بصوب ماء الخجل بنمت الانكسار .



ويقال التوَّابين من الزلة ، وللمنطهرين من الغفلة .

ويقال التوَّابين من شهود التوبة ، والمنطهرين من توبم أن شيئاً بالزلة بل الحكم ابتداء من الله تعالى .

قوله جل ذكره : ﴿ سَاوِكُمْ حَرْثُكُمْ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ  
أَنْتُمْ شَتْمٌ وَقَدْ شَتِمُوا أَنْفُسَكُمْ وَاتَّقُوا  
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ وَبَشِّرِ  
الْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ .

لما كانت النفوس بوصف الغيبة عن الحقيقة أباح لها السكون إلى أشكلها إذا كان على وصف الإذن ، فلما كانت القلوب في محل الحضور حرم عليها المساكنة إلى جميع الأغيار والمخلوقات .

« وَقَدْ شَتِمُوا أَنْفُسَكُمْ » من الأعمال الصالحة ما ينفعكم يوم إفلاسكم ، لذلك قال :

« وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ » فانظروا لأنفسكم بتقديم ما يسركم وجدهاه عند ربكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَجْلِسُوا لِلَّهِ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ  
أَنْ تَهْرَبُوا وَتَتَّقُوا وَتَصْلَحُوا بَيْنَ  
النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾

نُزُوهَا ذِكْرُ رَبِّكُمْ عَنْ ابْتِدَائِهِ بِأَيِّ حِطٍّ مِنَ الْخَطِئِ .

ويقال لا تجلسوا ذكر الله شراً كما يُصْطَلَدُ به حطام الدنيا .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفِئُو فِي أَيْمَانِكُمْ  
وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾

ما جرى به اللسان على مقتضى السهو فليس له كثير خطيئة في الخير والشر ، ولكن ما انطوت عليه الضائر ، واحتوت عليه السرائر ، من قصود صحيحة ، وعزائم قوية فذلك الذي يوخذ به إن كان خيراً فجراه جميل ، وإن كان شراً فمناه طويل .

قوله جل ذكره : ﴿لَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ لَدُنْهُمْ رِزْقًا

أَرِيمَةً أَشْهَرُ﴾

إذا كان حق صحة الأشكال محفوظاً عليك — حتى لو اختلفت به — وأخذك بحكمه :  
فحق الحق أحق بأن تحب مراعاته . « فإن طأوا » أى رجعوا إلى إحياء ما أماتوا ، واستدراك  
ما ضيعوا « فإن الله غفور رحيم » فلما تقاصر لسان الزوجة — لكونها أسيراً في يد الزوج —  
تولى الله — سبحانه — الأمر بمراعاة حقها فأمر الزوج بالرجوع إليها أو تسريحها .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

إن مل حق صحبتها ، وأكّد العزم على مفارقتها فإن الله مطلع على حاله وسره ، فإن بدا  
له باء من ندم فلا يلبس بأركان الطلاق فإن الله سبحانه عليم أنه طلقها .  
ولما كان الفراق شديداً عزى المرأة بأن قال إنه « سميع » أى سمعنا موحش تلك القالة ،  
فهذا تعزية لها من الحق سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿وَالطَّلَاقُ يَتَرَضَىٰ مِنْ بَيْنِهِمَا

ثَلَاثَ قُرُوءٍ﴾ .

أمر المطلقات بالمدة احتراماً لصحبة الأزواج ، يعنى إن اقطعت العلاقة بينكما فأقيموا  
على شرط الوفاء لما سلف من الصحبة ، ولا تقيموا غيره مقامه بهذه السرعة ؛ فاصبروا حتى  
يمضى مقدار من المدة . ألا ترى أن غير المدخول بها لم تؤمر بالمدة حيث لم تتم  
بينهما صحبة ؟

ثم قال جل ذكره : ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَكُنَّ مَا خَلَقَ

اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِمْ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ .

يعنى إن انقطع بينكما السبب فلا تعطوا ما أثبت الله من النسب .

ثم قال جل ذكره : ﴿وَيُؤْمِنُ لَهَا أَحَقُّ بِرَدِّهَا مِنْ

يعني مَنْ سَبَقَ له الصَّحبة فهو أَحَقُّ بالرجعة لما وقع في النكاح من الثلثة  
﴿ في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ﴾ .

يعني أن يكون القصد بالرجعة استدراك ما حصل من الجفاه لا تطويل المدة عليها بأن  
يمزم على علاقتها بعدما أرجعها .

﴿ وَلَكِنْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

يعني إن كان له عليها حق ما أنفق من المال فلها حق الخدمة لما سلف من الحال .

﴿ وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ وَآلَهُ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ ﴾ .

في الفضيلة ، ولهن مزية في الضعف وعجز البشرية .

قوله جل ذكره : ﴿ الطلاق مرتان ﴾ .

نذب إلى تفريق الطلاق لثلاث تسارع إلى إتمام الفراق ، وقيل في معناه :

إِنَّ تَبَيَّنْتُ أَنَّ عَزْمَكَ قَتْلِي فَتَرِنِي أَضَى قَلِيلًا قَلِيلًا

ثم قال جل ذكره : ﴿ فَإِذَا كُنتُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَعْرِيفٍ  
بِإِحْسَانٍ ﴾ .

إنما محبة جميلة أو فرقة جميلة . فأما سوء العشرة وإذهاب لذة العيش بالأخلاق الذميمة  
فتثير مرضي في الطريقة ، ولا محمود في الشريعة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا  
بِمَا آتَيْنَاهُمْ شَيْئًا ﴾ .

فإن في الخبر « المائد في هبته كالعائد في قَيْثِهِ » والرجوع فيها خرجت عنه خيئة .

ثم قال جل ذكره : ﴿ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ  
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ  
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا فَيَا أَقْدَتُ بِهِ ﴾ .

يعنى إن أرادت المرأة أن تنخلص من زوجها فلا جناح عليها فيها تبذل من مال ، فإن النفس تساوى لصاحبها كل شيء ، والرجل إذا فاته محبة المرأة فلو اعتاض عنها شيئاً فلا أقل من ذلك ، حتى إذا فاته راحة الحال يصل إلى يده شيء من اللال .

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>  
 هذه آداب يعلمكمها الله ويُسَنُّها لكم ، لحافظوا على حدوده ، وداوموا على معرفة حقوقه .  
 قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾<sup>(٢)</sup>

الرجل يُشَقُّ عليه أن ينكحَ زوجةً غيرَهُ فمنه عن اختيار الفراق بغاية الفراق بُحْيَةُ المنع<sup>(١)</sup> لما بينَ أنها لا تحل له إن طارها إلا بأن تفعل<sup>(٢)</sup> غاية ما يشق عليه وهو الزواج الثانى لِيَحْذَرَ الطلاق ما أمكنه . ثم قال « فَإِنْ طَلَّقَهَا » يعنى الزوج « فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يَتَرَاجَعَا » يعنى تزوج بالزوج الأول

والإشارة فيه أن استيلاء المحبة على القلب يَهْوَنُ مَقَاسَهُ كُلَّ شِدِيدَةٍ ؛ فلو انطوى الزوجان بعد الفقرة على التحسر على ما فاتهما من الوصلة ، وبندما حلى ذلك غايَةُ الندامة فلا جناح عليهما أن يتراجعا ، وللرأى فى هذه الحلة كأنها ( . . . )<sup>(٣)</sup> من الزوج الأول بمكان الزوج الثانى والزوج كالأنى على نفسه فى احتمال ذلك .

ثم قال جل ذكره ﴿ إِنْ طَلَّأَ أَنْ يُقْبَا حُدُودَ اللَّهِ ؛ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>  
 يعنى لا يمودان بعد ذلك إلى الفراق ثانياً إذا علما حاجة أحدهما إلى صاحبه ، قال قائلهم :  
 ولقد حلفت لئن لقيتك مرةً ألا أعود إلى فراقك ثانية

(١) وودت ( بنائة المنع ) والأرجح أنها ( بُحْيَةُ المنع ) فإن السياق يتطلب ذلك .  
 (٢) وودت ( يفعل ) والأصوب أن تعود على المرأة لأنها هى التى ستزوج ثانية وهذا هو ما يشق على الزوج الأول .  
 (٣) هناكمة وسها هكننا ( الميشور ) وربما كانت ( المبتور ) .

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذَا طَلَقْتِ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ

فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ

بِمَعْرُوفٍ وَلَا يَمْسُكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّيَتَمَتَّذُوا

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ

وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا

نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ

الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا

اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

تضمنت الآية الأمر بحسن العشرة، وترك المناظلة مع الزوجة، والمحط على وجه اللجاج؛ فأما مخلة سبيل من غير جناح أو قيام بحق الصحبة على شرط الوفاء.

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذَا طَلَقْتِ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ

فَلَا تَقْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ

إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ

يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ

وَأَطْيَرُ وَأَلَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝

تضمنت الآية نهى الأولياء<sup>(١)</sup> عن مضارتهن، وترك حية الجاهلية، والانقياد لحكم الله في تزويج النساء إن أردن النكاح من دون استئثار الأنفة والحية.

بل إذا رضيت بكفوف يخطبها غرام عليكم ظلمها. والتنفوب عن أوصاف البشرية بغير النفس أشد مجاهدة وأصلح معاملة لله.

قوله جل ذكره: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِينَ أَوْلَادَهُنَّ حَوَاطِينَ

كَامِلِينَ لَعِنْ أَرَادَ أَنْ يَمِ الرِّضَاعَةَ ۝

(١) الأولياء هنا من ولاية الرجل على المرأة وليست من الولاية في باب التصوف.

غاية الرحمة التي يُضرب بها المثلُ رحمةُ الأمهات ؛ فأمر الله سبحانه الأمهاتُ بإكمال الرحمة بإرضاع المولود حَوْلَيْنِ كاملين ، وقطعُ الرضاعة عنه قبل الحولين إشارةً إلى أن رحمة الله بالبعد أتمُّ من رحمة الأمهات .

ثم قال جل ذكره : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ .

يعني الأب عليه رزقهن وكسوتهن — أي المرضعات — بالمعروف . لَمْ يَنْبَغْ عَنْكَ وَجَبَ حَقُّهُنَّ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ مِنْ لَكَ كُلَّهُ فَعَلَيْكَ كُلَّهُ .

ثم قال جل ذكره : ﴿ لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ إدخالُ المستطاع بُخْلًا ، والوقوفُ — عند العجز — عنهُ .  
ثم قال جل ذكره : ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ .

في الإرضاع وما يجب عليه .

﴿ وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ .

يعني الوالد<sup>(١)</sup> بولده يعني فيما يلزم من الثقة والشفقة . فكما يجب حق المولود على الوالدين يجب حق الوالدين على المولود .

ثم قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا .

وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا إِنْ أَرَدْتُمْ

أَنْ تَنْزِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ

عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ،

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

يعني فطامًا قبل الحولين ، فلا جناحَ بدماء كان قصدُ الصلاح . اشتملت الآية على نميذ

طريق الصعبة ، وتعليم محاسن الأخلاق في أحكام السرقة وإن من لا يَرُحِمُ لا يَرُحِمُ .

وقال صلى الله عليه وسلم لمن ذكر أنه لم يَقْبَلْ أولاده : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ

قَلْبٍ شَقِيٍّ » .

(١) وردت (الولد) والسياق يقتضي أن تكون (الوالد) بعد أن تحدث عن (الوالدة) .

قوله جل ذكره : ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَیَذَرُونَ أَزْوَاجًا  
 یَتْرَکْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ  
 وَعَشْرًا فَاذًا بَلَقْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ  
 عَلَیْکُمْ قِیَا فَعَلُنَّ فِی أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ  
 وَافَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

لَمَّا كَانَ حَقُّ الْمِيتِ أَعْظَمُ لِأَنِّ فِرَاقَهُ لَمْ یَكُنْ بِالِاخْتِیَارِ کَانَ مَدَّةُ الْوَفَاةِ لَهُ أَطْوَلُ . وَكَانَتْ  
 عِدَّةُ الْوَفَاةِ فِی ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ سَنَةً ، ثُمَّ رُدَّتْ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةِ أَيَّامٍ لِتَتَّحِقَ بَرَاءَةُ الرَّحِمِ  
 مِنْ مَاءِ الزَّوْجِ ، ثُمَّ إِذَا أَقْصَتْ الْمَدَّةُ أُبْیَحَ لَهَا الزَّوْجُ بِزَوْجٍ آخَرَ . وَالْمِيتُ لَا یَسْتَدِیْمُ وَفَاةً  
 إِلَى آخِرِ الْعَمْرِ أَحَدُهَا قِيلَ :

وَمَا تَبَلَى وَجُوهٌ فِی الثَّرَى فَکُنَّا یَبْلَى عِلْمُنَ الْحَزَنَ

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَیْکُمْ فِی مَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ  
 خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتُمْتُمْ فِی أَنْفُسِکُمْ  
 عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّکُمْ سَتَذَكَّرُوهُنَّ وَلَکِنْ  
 لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا  
 قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

أُبْیَحُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ فِیهِ اسْتِجْلَابٌ لِلوَدَةِ ، وَتَأْسِيسٌ لِحَالِ الْوَصْلَةِ . وَحَرَّمَ مِنْهُ مَا فِیهِ  
 ارْتِکَابُ الْمُحْظُورَاتِ مِنَ الْمَلَمِّ یَذْنِبُ أَوْ عِدَّةٌ یُحْجَرُ<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا تَعْرِضُوا عَهْدَ النِّكَاحِ حَقًّا  
 یَبْلُغُ الْکِتَابُ أَجَلَهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
 یَعْلَمُ مَا فِی أَنْفُسِکُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا  
 أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

(١) وَرُدَّتْ بِالْمَاءِ وَالْمَصْبِیحِ أَنْ تَکُونَ بِالْمِیَةِ .

أى تنقضى عمة الأول فإن حرمة الماضى لا تضع .

قوله جل ذكره : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ  
مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً  
وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِمِ قَدَرَهُ ،  
وَعَلَى الْمُقْتَرِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ  
حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ ﴾

إن ابتلاء تم بوصيلة<sup>(١)</sup> أشكالكم ثم بدالككم فلا جناح<sup>(٢)</sup> عليكم في اختيار الفرة  
— إذا أودتم — فإن القى لا يميز اختيار فرقته — واحد ؛ فأماً صبة الخلق بعضهم  
مع بعض فليس بواجب ، بل غاية وصفه أنه جائز .

ولما وقع عليهن الحكم فنصف للسى يجب لمن ، فإن الفراق — كيفاً كان — فهو شديد ،  
فجل ما يستحق من العوض كالتكليف لها عند تخرج كأس الفرة .

فإن لم يكن سى فلا يخلو العقد من منعة ؛ فإن تخرج الفرة — مجرداً عن الراحة —  
بلاء عظيم .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ  
وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ  
مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا لِمَنْ  
بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ، وَأَنْ تَعْفُوا  
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾

ثم ذكر أن العفو أتم وأحسن ، إما من جهة للمرأة في النصف للسحق لها ، أو من قبل  
الزوج في النصف المأد إليه .

(١) وردت ( بوصيلة ) وربما كانت الباء زائدة وأنها ( بوصلة ) أشكالكم .

(٢) وردت ( فلاح جرح ) ومعنى خطأ من الناسخ ، وقد صححتا ( فلا جناح ) طبقاً للآية ، وبجمل  
أيضاً أنها في الأصل ( فلا جرح ) .



ثم قال جل ذكره : ﴿ وَلَا تَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

يقال من أخذ بالفضل واقتصصر على الفرض فمن قريب بخل <sup>(١)</sup> بالفرض .

وقال نسيان الفضل يقرب صاحبه من البخل ، وإن من سنة الكرام إذا خفيت عليهم مواضع الكرم أن يشجعوا بصائر الجود لتطالع لطائف الكرم فتتوفر دواعيهم في اقتناء أسباب الفضل .

قوله جل ذكره : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى

وَقُومُوا لِلَّهِ خَانِقِينَ ﴾ .

الحافظة على الصلاة أن يدخلها بالمبىة ، ويخرج بالتعظيم ، ويستديم بدوام الشهود بنمت الأدب ، والصلاة الوسطى ( أيهم ذكرها على البيت ) <sup>(٢)</sup> لتراعى الجميع اعتقاداً منك لكل واحدة أنها هي ثلاثا يقع منك تقصير في شيء منها .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا

فَإِذَا أَمْسَمْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ

مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ .

أى لا تخفوا بتناجى لأوقاتها على الوصف الذى أمكنكم فان ما يحسنه <sup>(٣)</sup> من أحوالكم أنا سلطتهم عليكم ، فإذا خلوتهم فى بقلوبكم قصرت أيديهم عنكم ، وجعلت لكم الظفر عليهم ، ثم إذا زال عنكم الخوف وأمنتم فمردوا إلى استقراكم باستفراغ أوقاتكم فى الاعتكاف بحضرتى سرّاً وجهرآ .

---

(١) يحتمل أنها ( بخل ) و ( بخيل ) ، فإذا عرفنا أن الصوفية عموماً يتشددون فى التبدد ويفتخرون فيه على الكفاية أمكن القول أن الحق ممكن أن ينصرف إلى بخل بمعنى أن التشدد بمنع من أن الاكتفاء بالفرض قد يؤدي إلى البخل به ، وهذا بدوره يؤدي إلى أن بخل بشأنه قد وردت بخل وبخل فى السياق فيها بعد - والله أعلم .

(٢) وردت مكثراً وقد تنقلنا من النص دون تعديل وربما كانت ( أيهم ذكرها عن البيت ) .

(٣) يحتمل أن تكون ( محسنه ) من أحوالكم وكلاماً مقبولاً ، وإن كنا نؤثر ( تحسنه ) لتناسب « فإن خفتم » فى الآية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَقَّظُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ  
أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى  
الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ  
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ  
مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

كانت عِدَّةُ الوفاة في ابتداء الإسلام سَنَةً مستديمة كقول العرب وفعلهم ذلك حيث  
يقول قائلهم :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكم وَمَنْ لَبَّكَ حَوْلًا كَمَلًّا فقد اعتذر  
ثم يُسَبِّحُ ذلك إلى أربعة أشهر وعشرة أيام إذ لابد من انتهاء مدة الحداد ولقد قال قائلهم :  
قال : لو ريت لم أعيض قلت : نافقت فأسكت  
أى حميد رأيته ملت ووجدت يمينته ؟<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ وَالْمُطَلَّقاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا  
عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ .

الإشارة ألا تجمعوا عليهن الفراق والحرمان فيتضاعف عليهن البلاء .  
﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم  
تعقلون ﴾ .

الدلائل ، فتأدبوا بما أشير عليكم ، وتخللوا بما تعقلون من إشارات حكى .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ  
وَمِ أَوَّلَ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ  
مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَنُفِضِلِ عَلَى  
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
لَا يَشْكُرُونَ ﴾ .

(١) في النشر أخطاء كثيرة وقع فيها التباس طاولنا إصلاحها بقدر الممكن ليسكون مفهومًا .

لَمَّا اسْتَعْبَدُوا قُدْرَةَ اللَّهِ فِي الْإِعَاجَةِ أَرَاهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ عِيَانًا ، ثُمَّ لَمْ يَنْفَعِ إِنْظَارُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ بِصِيرَتِهِ فِي التَّوْحِيدِ . وَمِنْ قُوَّةِ بَصِيرَتِهِ لَمْ يَضُرَّهُ عَدَمُ تِلْكَ الْمَشَاهِدَاتِ فَإِنَّهُمْ تَحَقَّقُوا بِمَا أُخْبِرُوا ، لَهَا آمَنُوا بِهِ بِالْغَيْبِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعِلْمُوا أَنَّ اللَّهَ

يعني إِنَّ مَسْئَلَكُمْ أَلَمْ تَنْصَاعُوا<sup>(١)</sup> مِنْكُمْ أَنْ تَفْعَلُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، عليهما بأحوالكم ، بصير بأمركم . والآية توجب تسهيل ما يقاسونه من الألم ، وقالوا :

إذا ما معنى الناسُ روحاً وراحةً      تمنيت أن أشكو إليك فتسم

قوله جل ذكره : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

يُجْبَى القرض قرضاً لأنه يقطع<sup>(٢٤)</sup> من ماله شيئاً يعطيه للمقرض ، والمتصدق لما يقطع الصدقة من ماله سميت صدقة قرضاً ، فالقرض القمع ، ولكن هذه التسمية لحفظ قلوب الأحباب حيث خاطبك في باب الصدقة باسم القرض ولغظه .

ويقال دلت الآية على عظم رتبة النبي حيث سأل منه القرض ، ولكن رتبة الغنيير في هذا أعظم لأنه سأل لأجله القرض ، وقد يسأل القرض من (٣) كل أحد ولكن لا يسأل لأجل كل أحد . وفي الظاهر « مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند أبي شحمة اليهودي على شعير أخذه لقوت عياله » (٤) أبشیر من اقترض ولأجل من اقترض !

وقال القرض الحسن ما لا تتعلم عليه جزاء ولا تطلب بسببه العوض .

(١) وردت (فتعمد) وواضح أنها خطأ في النسخ.

(٢) أخطأ الناسخ لجاءت (يقر) وقد اخترنا (يعظم) لتناسب القرض ... القطع كما سيذكر بعد .

(٣) وردت (هن) والصحيح والملائم السياق أن يقال (من).

(٤) للحديث بقية ( ... ولم يترك ديناراً ولا درهماً ، ولم يقسم له ميراث ولم يوجده له بيت أثاث ) البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة (توفي ودعوه مروهة عند يهودي بنطالين ) ، وعن أبي بصير بنطالين صاعاً من الشعير ، والترمذي والنسائي والبيهقي عن ابن عباس بمشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله . وسنده حسن ، ولم يترك ولا درهما ، مسلم عن عائشة .

ويقال القرض الحسن: ألا يعطى على النفقة ، وإنما يعطى عن شهود .  
ويقال القرض الحسن من العلماء<sup>(١)</sup> إذا كان عند ظهر النقي ، ومن الأكابر إذا كان بشرط الإيثار يعطى ما لا بد منه .  
ويقال القرض الحسن من العلماء عن مائتين خمسة<sup>(٢)</sup> ، وعلى لسان القوم يذل الكل ، وزكاة الروح على ما يبدل .  
قوله جل ذكره ﴿وَاللَّهُ يَفْقِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .  
يقبض الصدقة من الأغنياء قبض قبوله ، ويبسط عليهم بسط خلّيه .  
ويقال يقبض الرزق أى يُضَيِّقُ ، يبسط الرزق أى يوسّع ؛ يقبض على الفقراء لينتجهم بالصبر ، ويبسط على الأغنياء ليطالبهم بالشكر .  
ويقال يقبض تسليّة للفقراء ليطالبهم حتى لا يروا من الأغنياء ، ويبسط لتلايقلوا المية من الأغنياء .  
ويقال قال للأغنياء : إذا أنا قبضت الرزق على الفقراء فلا تندروهم ، وإذا أنا بسطت عليكم فلا تروا ذك لفضيلة لكم .  
ويقال قَبَضَ القلوب بإعراضه وبَسَطَهَا بإقباله .  
ويقال القَبْضُ لما غلب القلوب من الخوف ، والبَسَطُ لما ينقلب عليها من الرجاء .  
ويقال القَبْضُ لقره والبَسَطُ ليرّه .  
ويقال القَبْضُ لِسِرّه والبَسَطُ لِكَشْفِهِ .  
ويقال القَبْضُ للفردين والبَسَطُ للرّادين .  
ويقال القَبْضُ للمتسايقين<sup>(٣)</sup> والبَسَطُ للمعارفين .  
ويقال يقبضك عنك ثم يبسطك .

(١) يقصد التشيرى بالعلماء - على لسان العربية ، والأكابر - على لسان الحقيقة .  
(٢) يشير بذلك إلى مقدار زكاة المال وهى ربع السعر .  
(٣) ربما كانت « السابقين » إشارة إلى قوله تعالى : « والسابقون السابقون أولئك المقربون » .

ويقال القبض حقه ، والبسط حفظك .

ويقال القبض لمن تولى عن الحق ، والبسط لمن تجلّى له الحق .

ويقال يقبض إذا أشهدَكَ فَعَلَكَ ، ويبسط إذا أشهدك فضله .

ويقال يقبض بذكر العتاب ويبسط بذكر الإيجاب .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ

بَعْدَ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّهِمْ لِمَ ابْعَثْ

لَنَا مَلِيكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

قَالَ هَلْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُكَلِّبَ عَلَيْكُمْ

الْقِتَالَ أَلَا تَعْقِلُونَ ۝

استقبلوا الأمر بالاختيار ، واقترحوا على نبيهم بسؤال الإذن لم في القتال ، فلما أجيبوا

إلى ما ضمنوه من أنفسهم ركنوا إلى التسكسل ، وعرجوا في أوطان التجادل والتفاؤل . ويقال

لهم أظهروا التصلب والجد في القتال ذبّا عن أموالهم ومنازلهم حيث :

﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَقَدْ أَخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاؤُنَا

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا

إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝

فلذلك لم يتم قصدهم لأنه لم يخلص — لحق — الله — عزهم ، ولو أنهم قالوا وما لنا ألا نقاتل

في سبيل الله لأنه قد أمرنا ، وأوجب علينا ، فإنه سيدنا ومولانا ، ويجب علينا أمره —

لعلهم وفّقوا لإتمام ما قصدوه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ لِمَ نَبِيِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَدْ بَعَثَ لَكُمْ

طَالُوتَ مَلِيكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ

الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ

يُؤْتِ سَمَةً مِنَ اللَّيْلِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ

عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم  
والله يؤتي مملكته من يشاء والله

واسع عليم ﴿

نسوا حق الاختيار فنظروا إلى الحال بعين الظاهر فاستبعدوا أن يكون طالوت ملكاً  
لأنه <sup>(١)</sup> كان قتيلاً لا مال له ، فبين لم أن الفضيلة باختيار الحق ، وأنه وإن عديم المال فقد  
زاده الله علماً ففضلكم بعلمه وجسمه ، وقيل أراد أنه محمود خصال النفس ولم يرد عظيم البنية  
فإن في المثل : « فلان اسم بلا جسم » أي ذكر بلا معنى .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ لَهُ نِيبُهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ

يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ  
وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ  
هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿

إن الله سبحانه إذا أظهر نوراً أمدّه بتأييد من قبله ، فلما ملك طالوت عليهم أزال الإشكال  
عن صفته بما أظهر من آياته المالة على صدق قول نبيهم في اختياره ، فرد عليهم التابوت  
الذي فيه السكينة ، فابضحت لهم آية ملكه ، وأن نبيهم عليه السلام صدقهم فيما أخبرهم .

ويقال إن الله تعالى جعل سكينة بنى إسرائيل في التابوت الذي رُضوا عن الألواح ،  
وعصا موسى عليه السلام ، وآثار صاحب نبوتهم . وجعل سكينة هذه الأمة <sup>(٢)</sup> في قلوبهم ،  
فقال : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين » ثم إن التابوت كان تتداوله أيدي الأعداء  
وغيرهم ؛ فمرة كان يدفن ومرة كان يُقلب عليه فيجتل . ومرة يرد ومرة . . .  
وأما قلوب المؤمنين فحال بين أربابها وبينها ، ولم يستودعها ملكاً ولا نبياً ، ولا سماء  
ولا هواء ، ولا مكاناً ولا شخصاً ، وقال صلى الله عليه وسلم :

(١) وردت (كأنه) وهي خطأ في النسخ .

(٢) يقصد أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

« قلب للؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن » بمعنى في قبضة الحق سبحانه ،  
وتحت تغليبهِ وتصريهِ ، وللرأد منه « القدرة » ، وشَتَان بين أمة سَكَيْتَهُمْ فيما للأعداء  
عليه تَسَكُّطُ وأمة سَكَيْتَهُمْ فيما ليس لمخلوق عليه سلطان .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ

إِنَّ اللَّهَ مَبْتَلِكُمْ يُهْرِمُ فَمَنْ شَرِبَ

منه فليس مني ومن لَمْ يَطْعَمْ فَإِنَّهُ

منِي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾

الإشارة من هذه الآية أن الله سبحانه ابتلى المَخْلُقَ بصحبة المخلوق وبالذات والنفس ،  
ومن كانت صحبته مع هذه الأشياء على حد الاضطراب بمقدار القوام ، وما لا يد منه نجا  
وسَلَمٌ<sup>(١)</sup> ، ومن جاوز حد الاضطراب وانيسط في صحبته مع شيء من ذلك من الدنيا والنفس  
واخلط بموجب الشهادة<sup>(٢)</sup> والاختيار — فليس من الله في شيء إِنْ كَانَ ارتسكب محذور ،  
وليس من هذه الطريقة في شيء إِنْ كَانَ على حجة الفضيلة وماله منه بُدٌّ .

ثم قال جل ذكره : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾

كذلك الخواص في كل وقت يقل عددهم ولكن يحمل قدرهم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُ

قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ

وَجُنُودِهِ ﴾

فنظروا إلى الحال بين الظاهر فَقَدْ أَخْلَكَهُمْ شيء من رعب البشرية ، فربط الله على قلوبهم  
بما ذكّرهم من نصرته الحق سبحانه لأوليائه إذا شاء .

(١) هذه درجة في الاعتدال يسميها منعب التشيرى ، يوفق بها بين الشريعة والحقيقة في النظر إلى  
الدنيا والنفس والناس في عرف أرباب القلوب .

(٢) أى أن يشهد الدنيا والنفس والمخلوق في شيء من الأشياء والواجب أن يشهد الله في كل شيء ، غير  
أننا لا نسجد أنها ربما كانت في الأصل ( الشهوة ) أى أنه ليس من الله في شيء من ينظر إلى هذه الأمور  
بشهوة واختيار .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهَ كَم مِّنْ  
فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ  
اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

لا بهم ولكن بإذن الله ، بمشيئته وعونه ونصرته ، والله مع الصابرين بالنصرة  
والتأييد والقوة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا يَرِزُوا جُلُوتَ وَجُنُودَهُم مَّا ظَنُّوا أَنَّهُمْ  
مُفْرَغٌ عَلَيْهِمْ أَصْحَابًا ، وَقِيلَتْ أَقْدَامُنَا  
وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

كان أهم أمومم الصبر والوقوف للعدو ، ثم بعدهم النصر عليهم ، فإن الصبر حق الحق ،  
والنصرة نصيبهم ، فقدّموا تحقيق حقه — سبحانه — وتوفيقه لهم ، ثم وجود حظهم من  
النصرة ، ثم أشاروا إلى أنهم يطلبون النصر عليهم — لا للانتقام منهم لأجل ما ظنهم من  
نصيبتهم — ولكن لكونهم كافرين ، أعداء الله .

فقاموا بكل وجه لله بالله ؛ فقللك نصروا وَوَجِدُوا الظفر .

قوله جل ذكره : ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ  
جُلُوتَ ، وَأَنَاءَ اللَّهُ الْمُلُوكَ وَالْحِكْمَةَ  
وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ ﴾

هَيَّبَ اللَّهُ الأعداء بطالوت لما زاده من البسطة في الجسم ولكن عند القتال جعل الظفر  
على يدي داود . وكان كما في القصة رَيْحَ القامة غير عظيم الجثة ، مختصر الشخص ، ولم يكن معه  
من السلاح إلا مقلع ، ولكن الظفر كان له لأن نصرة الله سبحانه كانت معه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

فلم يبق منهم أثر ولا عين ، وقتل داود جالوت . وداود بالإضافة إلى جالوت في الضخامة  
والجسامة كان بحيث لا تتوهم غلبته إياه ولكن كما قال فانهم .



استقبلني وسيفه مسلول وقال لي واحدا منقول<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ .

لو تظاهر الخلق وتوافقوا بأجمعهم لملك للستمنون لنفلة الأقوياء ولكن شغل بعضهم ببعض ليدفع بشاغلهم شرهم عن قوم .

قوله جل ذكره : ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزِلُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾  
وَأَتَتْكَ لَيِّنَ لِلرَّسُولِينَ﴾ .

لم يكن في علمك ولا في وسع احتياك الوقوف على هذه الغائبات من الكائنات التي سلفت ، وإنما وَفَّتَ عليها بتعريف من يقبل الله سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْيَتِيمَ ، وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾

جسمهم الرسالة ولكن تباينوا في خصائص التفضيل ، لكل واحد منهم أنوار ، ولأنوارهم مطارج ، فمنهم من هو أعلى نورا ، وأنهم من الرفعة وفورا . فلم تكن فضائلهم استحقاقهم على أفعالهم وأحوالهم ، بل حكمهم بالحسن أدرتهم ، وعاقبة بالجميل تداركهم .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ لَكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمُ الْيَتِيمَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مِنْ آمَنُوا مِنْهُمْ مِنْ كَفَرُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلُوا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ .

---

(١) ربما كانت (مغلوط) .

ولكنهم مُصْرَفُونَ بالشبهة الأزلية ، ومسلوبون من الاختيار الذى عليه المدار  
وبه الاعتبار . والعبودية شدة نطاق الخدمة وشهود سابق القسم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ  
وَلَا شَفَاعَةٌ ، وَالْكَافِرُونَ فِي الظَّالِمِينَ ﴾

يعنى اغتنموا مساعدة الإمكان فى تقديم الإحسان قبل فتور الجَلَد واقضاء الأمل .

قوله جل ذكره : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

« الله » اسم تفرّد به الحق — سبحانه فلا سمى له فيه . قال الله تعالى : « هل تلمع مميا »  
أى هل تعرف أحداً غيره تسمى « الله » ؟

من اعتبر فى هذا الاسم الاشتقاق فهو كالتمازض ، فهذا اسم يدل على استحقاق صفات  
الجلال لا على اشتقاق الألفاظ ، فلا يمارض ما لا يمارض فيه من الأقوال .

قوله « لا إله إلا هو » : إخبار عن نفي النظير والشيء ، بما استوجب من التقديس  
والتنزيه . ومن تحقق هذه القالة لا يرى ذرّة من الإثبات بغيره أو من غيره ؛ فلا يرضع إلى  
غيره حاجته ، ولا يشهد من غيره ذرة ، قيصِدُقُ إليه إقطاعه ، ويدعى لوجوده انفرادَه ،  
فلا يسمع إلا من الله وبالله ، ولا يشهد إلا بالله ، ولا يُقْبَلُ إلا على الله ، ولا يشتغل إلا بالله ،  
فهو محو عما سوى الله ، كقَالَهُ شَكْرَى ولا دعوى ، ولا يتحرك منه لغيره عرق ، فإذا استوفى  
الحق عبداً لم يَبْقَ للحفظ — ألبنة — مساغ .

ثم إن هذه القالة تقتضى التحقّق بها ، والفناء عن اللوسومات بمجملتها ، والتحقق بأنه  
لا سبيل لمخلوق إلى وجود الحق — سبحانه ، فلا وصل ولا فصل ولا قُرْبَ ولا بُدَ ،  
فإن ذلك أجمع آتت لا تليق بالقدم .

وقوله « الحى القيوم » : للتولى لأمر عبادَه ، التأم بكل حركة ، و ( المحوى )<sup>(١)</sup> ،  
لكل عين وأثر .

(١) وردت مكانا ويمحى أن تكون فى الأصل إما ( المحى ) لتلازم مع ( الحى ) أو أن تكون  
( المحرى ) أى القائم أو ( القيوم ) على ملكه :

« لا تأخذه سنة ولا نوم » لأنه أحدى لا ترهقه غفلة ، وصمد لا تمسه علة ، وعزيز لا تقاربه قلة ، وجبار لا يميزه عزلة ، وفرد لا تقضه جنة ، ووتر لا يحدّه جهة ، وقديم لا تملحه آفة ، وعظيم لا تتركه مسافة .

تَقْدُسُ مِنْ جِلالِهِ جِلالُهُ ، وَجِلالُهُ جِمالُهُ ، وسناؤه بهاؤه ، وبهاؤه سناؤه ، وأزله أبده ، وأبده سرمده ، وسرمده قَدَمُهُ ، وقدمه وجوده

قوله جل ذكره : ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾

مَلِكًا وَإِبداءًا ، وَخَلقًا ، اختراعًا .

﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾

من ذا الذي يتنفس بِنَفْسٍ ( . . . )<sup>(١)</sup> إلا بإِجرائِهِ ، أو يتوسل إليه من دون إِذْنِهِ وإِبداءِهِ . ومن ظن أنه يتوسل إليه باستحقاق أو عمل ، أو تذلل أو أمل ، أو قرينة أو نسب ، أو علة أو سبب — فالظنُّ وطنه والجهلُ مألفه والغلطُ غايته والبعدُ قُصَّاراه .

قوله جل ذكره : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ .

لأنه لا يخرج عن علمه معلوم ، ولا يلتبس عليه موجود ولا معدوم .

﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾

إلا بما شاء .

يعنى من معلوماته ، أى تقاصرت العلوم عن الإحاطة بمعلوماته إلا بإذنه .

فأى طمع لما فى الإحاطة بذاته وحته ؟ وأنى تجوز الإحاطة عليه وهو لا يقطعه فى عزِّه أَمَدٌ ، ولا يتركه حدٌّ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ .

خطاب لهم على قدر فهمهم . وإلا فأى خَطَرٍ للأكران عند صفاته ؟

جلُّ قُدْرَتِهِ عن التمرز برسى أو كرسى ، والتجمل بحين أو إنسى .

(١) مشبهة لى (س) ويحتمل أن تكون مشطوبة لإيادتها فهناك شبه علامة على ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا يتوده حفظهما وهو المولى العظيم ﴾  
 كيف تُتَعَبُ المخلوقاتُ مَنْ خَلَقَ القِرةَ والكونَ بِمِجْلَتِهِ — له سواءٌ ، فلا من القليل له  
 نَيْسَرٌ ، ولا من الكثير عليه تَصَرُّسٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾  
 فإن الحجج لأئمتنا ، والبراهين ظاهرة واضحة .

﴿ قد تبين الرشد من الغي ﴾

وامتاز الليل بظلامه عن النهار بضياءه ، والحقوق الأزلية معلومة ، والحدود الأولية معلومة  
 فهذا بنيت التقدم وهذا بوصف العدم .

﴿ فمن يكفر بالطاغوت ﴾

وطاغوت كل واحدٍ ما يشغله من ربه

﴿ ويؤمن بالله ﴾

والإيمان حياة القلب بالله

﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾

الاستمسك بالعروة الوثقى الوقوف عند الأمر والنهي ، وهو سلوك طريق المصطفى  
 صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

﴿ لا انفصام لما والله جميع عليهم ﴾

فن تحقق بها سرّاً ، وتعلّق بها جبراً فاز في الدارين وسعيد في الكونين .

قوله جل ذكره : ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾

الولى بمعنى للتولى لأمرهم ، والمتفرد بإصلاح شئونهم ، ويصحح أن يكون الولي على وزن  
 فيعل في معنى للفعول فالقولون يقولون<sup>(١)</sup> طاعته . وكلاهما حق : فالأول جمع والثاني فرق ،

(١) أخطأ الناسخ فسكتها ( يقولون ) بالالف وجمع أنها ( يقولون ) بالفاء .

وكلُّ جَعْمٍ لا يكون مقيداً بفرقٍ وكلُّ فرقٍ لا يكون مؤيداً بجميع فذلك خطأ وصاحبه مبطل<sup>(١)</sup>  
والآية تُفَكِّلُ عليهما جميعاً .

﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾  
يعنى يحكمه الأزلى صاهم من الظلمات التى هى الضلال والبدع ، لأنهم<sup>(٢)</sup> ما كانوا فى الظلمات  
فقط فى سابق علمه .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ الْغَافُونَ﴾

ما استهواهم من دواعى الكفر

﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

بإسنيلاه الشُّبَّةَ على قلوبهم ، فيجحدون الربوبية ، أو تلك الذين بقوا عن الحق بقاء أبدياً .  
ويقال يخرجهم من ظلمات تدبرهم إلى سمة شهود تقديره .

ويقال يخرجهم من ظلمات غنوتهم أنهم يتوسلون أو يصلون إليه بشيء من  
سكناتهم وحركتهم .

ويقال يخرجهم من ظلماتهم بأن يرفع عنهم ظلم أنفسهم ويدخلهم فى ظل عنايته .

ويقال يخلصهم عن حسابان النجاة بهم .

ويقال يحول بينهم وبين الاعتماد على أعمالهم والاستناد إلى أحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ

أَن آتَاهُ اللَّهُ التَّوَكُّلاً إِذْ قَالَ لِبَرَاهِيمَ

رَبِّىَ الَّذِي يَحْيِ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِ

وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

---

(١) يقصد الفسيفرى من ذلك أن الفرقى ضرورى وهام و إذ ينسب للعبد خلاه أن يؤدى ماعليه من  
فرائض ، وهذا ركن أساسى فى مذهب الفسيفرى وغيره من الشيوخ الثلاثة .  
(٢) سقطت (ما) والفتى يطلبا .

بالشمس من للشرق قات بها من  
المغرب فبئت لذي كفر والله لا يهدي  
القوم الظالمين ❦

عَجَّلَ الحق سبحانه لاعدائه عقوبة الفرقة قبل أن يعاقبهم بالحرقة ، وهذه العقوبة أشد  
أثراً في التحقيق — لو كانت لهم عين البعيرة . وإن الحق سبحانه أخبر أن إبراهيم عليه السلام  
انتقل مع العدو اللعين من الحجة الصحيحة إلى أخرى ، أَوْضَحَ مِنْهَا — لَا لِخَلَلٍ فِي الْحُجَّةِ —  
ولكن قصور في فهم الكافر ، وعكس مَنْ سُدَّتْ بَصَارُهُ عن التحقيق تضيق الوقت بلا فائدة  
تجدي ، لا بمقدار ما يكون من الحاجة لأمر لا بُدَّ منه .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ

عَلَى غُرُوشِهَا قَالَ : أَتَىٰ يَمِيْنِي هَذِهِ  
اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ  
عَلَمٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ : كَمْ لَبِثْتَ ؟ قَالَ :  
لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ : بَلْ  
لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ  
وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ  
وَلِنَجْكَ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ إِلَىٰ  
الْعِطَافِ كَيْفَ تُنْقِضُهَا ثُمَّ نَكَسَهَا  
لَحْمًا ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ : أَعْلَمُ أَنَّ  
اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❦

لم يكن ذلك سؤال جحد ، ولا قضية جبل ، ولا دلائل شك في القدرة ، فإن هذا الخبر  
عن عزير الذي عليه السلام ، والأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الشك والجهل ، ولكنه  
كان سؤال تعجب ، وأراد بهذه المقالة زيادة اليقين ، فأراه الله ذلك في نفسه ، بأن أماته



وقيل إنه طلب رؤية الحق سبحانه ولكن بالرمز والإشارة فَنُصِحَ منها بالإشارة بقوله «واعلم أن الله عزيز حكيم». وإن موسى — عليه السلام — لما سأل الرؤية جهراً وقال: «رب أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ» فَرَدَّ بِالْجَهْرِ صَرِيحاً وقيل له «لن تراني».

وقيل إنما طلب حياة قلبه فأشهر إليه بأن ذلك بذبح هذه الطيور، وفي الطيور الأربعة طابوس، والإشارة إلى ذبحه تمنى زينة الدنيا، وزهرتها، والثراب لِحِرَصِهِ، والديك لمشيته، والبط لطلبه لرزقه.

ولما قال إبراهيم عليه السلام: أَرِنِي كَيْفَ تَحْيِي الْمَوْتَى؟ قيل له: وأَرِنِي كَيْفَ تَذْبَحُ الْحَيَ؟ يعني إسماعيل، مطالبة بمطالبة. فلما وَفَّى بما طُوبِ به وفي الحق سبحانه يحكم ما طلب.

وقيل كان تحت مياد من الحق — سبحانه — أن يتخذ خليلاً، وأما ذلك إحياء الموتى على يده، فخرى ما جرى.

ووصل بين<sup>(١)</sup> قصة التلليل صلى الله عليه وسلم فيها أَرَاهُ وأظهره على يده من إحياء الموتى وبين عزير إذ أَرَاهُ في نفسه؛ لأن التلليل يَرْجِعُ على عزير في السؤال وفي الحال، فإن إبراهيم — عليه السلام — لم يَرِدْ عليه في شيء ولكنه تَلَطَّفَ في السؤال، وعزير كلمه كلام من يُشَبِّهُ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمُسْتَبِيدِ، فأراد الحق أن يظهر له أقوى معجزة وأتم دلالة حيث أظهر إحياء الموتى على يده حين التمس على تمرود ما قال إبراهيم — عليه السلام — ربي الذي يحيي ويميت، فقال «أنا أحيي وأميت» أراد إبراهيم أن يُرِيَهُ الله سبحانه إحياء الموتى ليعلم أنه ليس هو الذي ادَّعى.

وفي هاتين الآيتين رخصة لمن طلب زيادة اليقين من الله سبحانه وتعالى في حال النظر<sup>(٢)</sup>.  
ويقال إن إبراهيم أراد إحياء القلب بنور الوصلة بحكم التمام، فقيل له: «أو لم تؤمن» يعني أما تذكر حال طلبك لإنا حين كنت تقول لكل شيء رأيت «هَذَا رَبِّي» فلم تَذَرِ كَيْفَ بَلَّغْتَهُ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ، فكذلك يوصلك إلى ما تَحْتَ إِلَيْهِ هَمَّتْكَ.

(١) جميل من القشيري أن يوضح التماسك والانتماء في السياق القرآني بين قصة وقصة.

(٢) خصوصاً في مرحلة البداية من أجل تصحيح الإيمان.



والإشارة من هذا أن حياة القلب لا تكون إلا بذيخ هذه الأشياء يعنى النفس ؛ فمن لم يذبح نفسه بالمجاهدات لم يمت قلبه بالله .

وفيه إشارة أيضاً وهو أنه قال قطع يديك هذه الطيور ، وقرق أجزاءها ، ثم ادعهن يائينك سعيًا ، فما كان مذبحاً بيد صاحب الخطيئة ، مقطعاً مفزقاً بيده — فإذا ناداه استجاب له كل جزء مفزق . كذلك القى فرقه الحق وشقته فإذا ناداه استجاب :

ولو أن فوق رُبة ودعوتني لأجبتُ صوتك ، والعظم رُفاتُ

قوله جل ذكره : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل

الله كمثل حية أنبتت سمع سنابل

في كل سُنبلة مائة حبة والله يضاعف

لِمَن يشاء والله واسع عليم ۝

فالحُكفُ لم الجنة ، والذين ينفقون أرواحهم في سبيل الله فالحُكفُ عنهم الحق سبحانه ، وشتان بين خلف من أنفق ماله فوجد مثوبته ، ومن أنفق حاله فوجد قربته ؛ فإففاق المال في سبيله بالصدقة ، وإففاق الأحوال في سبيله بملازمة الصديق ، وبنفى كل حظ ونصيب ، فترضى لجرىان حكمه عليك من غير تعيس القلب ، قال قائمهم :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

والإففاق على ضربين : إففاق الماديين وإففاق الواجدين . أما الماديون فإذا أنفقوا حبة ضاعفت لهم سبعين إلى ما ليس فيه حساب ، وأما الواجدون فسكا قيل :

فلا حسن فأتى به يقبلونه ولا إن أسأنا كل عند محو

قوله جل ذكره : ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله

ثم لا ينجون ما أنفقوا منا ولا أذى

لم أجرم عند ربهم ولا خوف

عليهم ولا هم يحزنون ۝

المن شهود ما فعله ، والأذى تذكره — لمن أحسنت إليه — إحسانك .

ويقال ينفقون ما ينفقون ثم لا يشهدون ألبنة أضلّم ولا أعمالهم .

ويقال كيف يمتنون بشيء تستمنونه وتستحقونه .

ويقال لا يمتنون بفعلهم بل يشهدون المنة لله بتوفيق ذلك عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ

صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَلِيمٌ ۝ ﴾

يعنى قول — للفقير المجرّد — يرد به من تعرض له بإظهار العذر خير وأتم من صدقة  
المعجب بفعله ، وما يتبع من إلزام المنة فيه .

ويقال إقرار منك مع الله بمجزئك وجزئك ، وغفران الله لك على تلك القالة — خير  
من صدقة بالئن مشوبة ، وبالأذى مصحوبة .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ

بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي ينفق ماله رِئاء

الناسِ وَلَا يُرْمِيَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ

فَعَشَلَهُ كَنَلٌ صَفْوَانٌ عَلَيْهِ تَرَابٌ

فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْبًا لَا يَقْدِرُونَ

عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ ﴾

إنما يُجْزَلُ جِزْلُ المنة من الحق سبحانه ، فأما من الخلق فليس لأحد على غيره مَنَّةٌ ؛ فإنَّ  
تحمّل المنة من المخلوقين أعظم محنة ، وشهود المنة من الله أعظم نعمة ، قال قائلمهم :

ليس إجلالك الكبار بِذُلٍّ إنما الذُلُّ أنْ تُجِبَّ الصَّغَارَا

ويقال أقصر الخلق مَنْ ظَنَّ نفسه موسراً قَبِيحاً له إفلاس ، كذلك أقل الخلق قدراً مَنْ  
ظَنَّ أنه على شيء فيبدو له من الله ما لم يكن يحسبه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ  
 مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَجْرِهِمْ  
 كَنَسْلِ جَنَّةٍ بَرِيَّةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ  
 قَاتَتْ أَكْثُلَهَا ضَعِيفًا فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا  
 وَابِلٌ فَطُلَّ اللَّهُ بِمَا تَصْلُونَ بَصِيرًا \*  
 أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ  
 مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ  
 وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعُفًا  
 فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ،  
 كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ  
 لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

هذه آيات كثيرة ذكرها الله تعالى على جهة ضرب المثل للخلص وللنافق : لمن أنفق  
 في سبيل الله ، ولمن أنفق ماله في الباطل ؛ فهؤلاء يحصل لهم الشرف والخلف ، وهؤلاء  
 لا يحصل لهم في الحال إلا الرد ، وفي المال<sup>(١)</sup> إلا التلف . وهؤلاء ظلّ سعيهم مشكوراً ،  
 وهؤلاء يدعون ثبورا ويصلون سعيهم هؤلاء نكرو أعمالهم وتنمو أموالهم وتلو عند الله  
 أحوالهم وتكون الوصلة مآلهم ، وهؤلاء حبطت أعمالهم وخسرت أحوالهم وختم بالسوء آمالهم  
 ويضاهف عليهم وبآلهم .

ويقال مثلاً هؤلاء كالنبي أنبت زرعاً فزكا أصله ونما<sup>(٢)</sup> فصله ، وعلا فرعوه وكثر  
 نفعه . ومثلاً هؤلاء كالنبي خسرت صفقته وسرقت بضاعته وضاعت — على كبره<sup>(٣)</sup> —

(١) وردت ( المال ) والصحيح أنها ( المآل ) على لغة التشبیه في المقابلة بين ما يحدث في الدنيا  
 وفي الآخرة ؛ بين الحال والمآل .

(٢) وردت ( نما ) والصحيح أنها فعل ( نما ) ليسجم التركيب الداخلى للأسلوب .

(٣) إشارة إلى ما في الآية : ( وأصابه الكبر ) .

حيلته وتوارت من كل وجه وفي كل وقت عنته . . . . هل يستويان مثلاً ؟ وهل  
ينفاريان سُبُها ؟

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا مِنْ مَلِكِ  
مَا كُنتُمْ وَرِثًا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ  
الْأَرْضِ ، وَلَا تَمِئْتُمْ أَنْتُمْ  
تَنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخْذِهِ إِلَّا أَنْ  
تُقِضُوا فِيهِ وَاعْلُوا أَنَّ اللَّهَ  
غَفِيرٌ حَكِيمٌ ﴾

لينظر كل واحد ما الذي ينقعه لأجل نفسه ، وما الذي يخرج به بأمر ربه . والذي يخرج  
عليك من ديوانك : فما كان لحظك فنماتك ملكك ، وما كان لربك فخصائص مالك الذي لله  
( فَالْقَمَّةُ لِقَتُّ ) (١) ، والذي لأجلك فأكثرها قيمة وأكلها نسيئة .

ثم أبصر كيف يستر عليك بل كيف يقبله ملك بل أبصر كيف يروضك عليه ، بل  
أبصر كيف يقبله منك ، بل أبصر كيف يمدحك بل أبصر كيف ينسب إليك ؛ الكل منه  
فضلاً لكنه ينسب إليك فضلاً (٢) ، ثم يؤني عليك عطائه ويسى العطاء جزاء ، يوصيك  
بتوفيقه يرآ ، ثم يملأ العالم منك شكرياً .

قوله جل ذكره : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ  
بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ  
وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

يَعِدُ الشَّيْطَانُ الْفَقْرَ لِقَتْرِهِ ، وَاللَّهُ يَعِدُ الْمَغْفِرَةَ لِكَرَمِهِ .

---

(١) ووددت هكذا ( فقلت لنت ) ويحتمل ان تكون كما أثبتنا ، أو أن تكون فالفظة لنتيه  
بدليل ما بعدها .  
(٢) تأمل كيف يرى الشئير قيمة السل الإنسان : إنه على الحقيقة فضل من الله ولكن من  
الناحية السلبية فضل للإنسان . . . وهذه مسألة هامة تنطرح عنها قضايا كلامية كثيرة يختلف فيها  
من الملة .

الشیطانُ يمدِّمُ القفرَ فيشيرُ عليكم بإحرازِ العلوم ، ويقالُ يشيرُ عليكم — بطاعته — بالحرص ، ولا قفرَ فوقه .

يعدِّمُ القفرَ بالإحالة على تدبيركم واختياركم .

يعدِّمُ القفرَ نسيانَ ما تمَّودَّتموه من فضله — سبحانه<sup>(١)</sup> .

ويقالُ يعدِّمُ القفرَ بأنَّه لا يزيدُ شكايَتكم .

ويقالُ يعدِّمُ القفرَ بتعليقِ قلبك بما لا تحتاجُ إليه .

ويقالُ بالتليسِ عليك رؤيةَ كفايته .

« ويأمركم بالفحشاء » أى الرغبة فى الدنيا ، ويقالُ بالأسباب التى تقوى الحرص ، ويقالُ بكثرة الأمل ونسيانِ القناعة ، ويقالُ بمتابعة الشهوات ، ويقالُ بإيثار الحظوظ ، ويقالُ بالنظر إلى غيره ، ويقالُ بإخطار شيء سواه ببالك .

ويقالُ بالانحطاط إلى أوطان الرُّخص والتأويلات بعد وضوح الحق .

ويقالُ بالرجوع إلى ما تركه الله

« والله يعدِّمُكم مغفرةً منه ونضلاً » : النضل للرجوع — فى العاجل — فى القناعة ، وفى الآجل الثواب والجنان والرؤية والرضوان و ( . . . )<sup>(٢)</sup> والغفران .

ويقالُ فى العاجل الظفر بالنفس ، ويقالُ فتح باب العرفان ، ونشر بساط القرب ، والتلقى لمكاشفات الأُس .

قوله جل ذكره : ﴿ يُوَفِّي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۚ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۚ ﴾

الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً

وما يذكّر إلا أولو الأبواب

(١) أمضنا ( سبحانه ) لفتح الهمزة وهى غير موجودة فى (س) .

(٢) هنا لفظة مشبهة أقرب ما تكون إلى ( القفر ) ولكننا آثرنا عدم إثباتها فى النص لعدم التأكد .

الحكمة : يحكم عليكم خاطرُ الحقِّ لاداعي النفس ، ونحكم عليكم قواهر الحق  
لا زواجِر الشيطان .

ويقال الحكمة صواب الأمور .

ويقال هي ألا تحكم عليكم دعواتُ البشرية .  
(ومن لا حكم له على نفسه لا حكم له على غيره )<sup>(١)</sup> .

ويقال الحكمة موازنة أمر الله تعالى ، والسفاهة مخالفة أمره .

ويقال الحكمة شهود الحق والسفاهة شهود الغير

قوله جل ذكره : ﴿وَمَا أَنْتُمْ مِنْ فَتَّةٍ أَوْ نَذْرَةٍ مِنْ  
نَذْرِ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا لِلظَّالِمِينَ  
مِنْ أَنْصَارٍ﴾

قوم توعدهم بقوته ، وآخرون توعدهم بعتوبته .. وآخرون توعدهم بسفه ؛ هؤلاء العوام<sup>(٢)</sup>  
وهؤلاء الخواص . قال تعالى : « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » فلا شيء يوجب سقوط  
المبد من عين الله كخالفته لمهوده معه بقلبه ، فليحزنوا للريد من إزالال<sup>(٣)</sup> نفسه في ذلك  
غاية الخسر .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِنْ تَبَيَّنُوا الصِّدَقَاتِ فَنَسِيًا هِيَ ،  
وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتُوهَا غُفْرًا فَبُؤْسٌ  
خَيْرٌ لَكُمْ ، وَكَفَرٌ عَنْكُمْ مِنْ  
سِيئَاتِكُمْ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

---

(١) ربما وقع التباس في خطأ حين وضع هذه الجملة في هذا المكان ، والأقرب أن تكون بعد كلمة  
(زواجِر الشيطان) فتبين نرف من مذهب التشيبي أنه يرى أن الشيطان لا يمكن أن يقرى الحق  
(لأنه لو كان قادراً على ذلك لكان يمكنه على الهداية نفسه ، ومن حيز أن يحافظ على نفسه كل في إلهاء  
غيره أشد عجزاً) قال تعالى : « إن هبدي ليس لك عليهم سلطان » .  
(٢) العوام هنا تنصرف إلى الموحدين بالثوبة والتوحيد بالثوبة .

(٣) (إزالال) بإزاي منهاها الإيتاع في إزالة والتسبب في ارتكابها ، أو ضحائها حتى لا تتلبس  
(بإزالال) ومع ذلك فيمكن قبول (إزالال) بلقال إذا هبتا أن سقوط البد من عين الله هو  
(ذلك) نفسه .

إِنْ أَظْهَرْتَ مَحَبَّتَكَ مِنَّا وَأَعْلَنْتَ فَلَقَدْ جَوَّدْتَ وَأَحْسَنْتَ ، وَإِنْ حَفِظْتَ سِرَّنَا عَنْ دُخُولِ الْوَسَائِلِ بَيْنَنَا صُنْتَ شَرُوطَ الْوَنَادِ ، وَشَيَّدْتَ مِنْ بِنَاءِ الْوَصْلَةِ الْعَهْدَ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هَدَامٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ بَدِىَ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا تُفْقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُفْسِدُوا مَا تَنْقُحُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَمَا تُفْقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

لَكَ الْقَتَامُ الْمَحْصُودُ ، وَالْوَاهُ لِلْمَقْوُودِ ، وَالرَّتَبُ الشَّرِيفَةُ ، وَاللَّنازِلُ الْعَلِيَّةُ ، وَالسَّنَنُ لِلْمَرْضِيَّةِ . وَأَنْتَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَلَا يَدَانِيكَ أَحَدٌ — فَضلاً عَنْ أَنْ يَسَامِكَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ عَلَيْكَ هَدَامٌ فَالْهَدَايَةُ مِنْ خِصَائِصِ حَقِّنَا ، وَلَيْسَ لِلْأَغْيَارِ مِنْهُ شَغْلِيَّةٌ . يَا مُحَمَّدُ : أَنْتَ تَدْعُوهُمْ وَلَكِنْ نَهْدِيهِمْ <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ، يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفِيفِ ، تَعْرِفُهُمْ بِسَيَامٍ ، لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ، وَمَا تُفْقُوا مِنْ خَيْرٍ فَأَنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

أَخِذْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانُ الْحَقِيقَةِ كُلِّ طَرِيقٍ ، فَلَا لَمْ فِي الشَّرْقِ مَذْهَبٌ ، وَلَا لَمْ فِي الْغَرْبِ مَضْرِبٌ . كَيْفَا نَظَرُوا رَأَوْا سِرَافَاتِ التَّوْحِيدِ مَحْدَقَةِ بِهِمْ :

كَأَنَّ فُجَاجَ الْأَرْضِ ضَاقَتْ بِرَحْبِهَا عَلَيْهِمْ فَمَا تَزْدَادُ طَوْلًا وَلَا عَرْضًا

(١) مِنْ هَذِهِ الْفَرَقَةِ يَتَضَحَّعُ مَوْقِفُ التَّصَوُّفِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَقِّ فِي نَظَرِهِ إِلَى الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَيْسَ فِي الْأَمْرِ - كَمَا نَرَى - مَجْرَحٌ أَوْ شَطَطٌ ( قَارِنْ ذَلِكَ بِنَظَرَةِ إِبْنِ عَرَبٍ وَتَلَامِيذِهِ ) .

ولا يعلم نفس مع الخلق ، وأنت بخلق ولا خلق ii وإذا لم يكن فإثبات ما ليس  
شريكاً (سبحا) (١) في التوحيد .

والفقير الصادق واقف مع الله باقه ، لا إشراف للأجانب عليه ، ولا سبيل لمخلوق إليه  
تنظره عين الأغيار في لبسة سوى ما هو به ؛ قال تعالى : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » ،  
فأما من كان ذا بصيرة فلا إشكال عليه في شيء من أحوالهم . تعرفهم يا محمد — أنت —  
بسياهم ، فليست تلك السياة مما يلوح للبصر ولكنها سياة تدركها البصيرة . لا إشراف عليهم  
إلا بنور الأهدية .

ويقال « تعرفهم بسياهم » : استبشار قلوبهم عند انكسار نفوسهم ، وصياح أسرارهم إلى  
العرش ( نشاطاً عنه ) عند ذبول ظاهريهم عن الاتعاش (٢) .

ويقال تكسر الظاهر عند تكسر الباطن وبالعكس من هذه لا يسألون الناس إلخافاً ،  
فإن جرى منهم من الخلق بدون الإلخاف سؤال — لما يشير إليه دليل الخطأ — فذلك  
صياة لهم وليس قصتهم ، لتلا يلاحظهم الخلق بين السؤال ، وليس على سرهم خفة من  
الإثبات للأغيار (٣) .

ويقال : « أحصرُوا في سبيل الله » : وقضوا على حكم الله ، وأحصرُوا نفوسهم على طاعته  
وقلوبهم على معرفته ، وأرواحهم على محبته ، وأسرارهم على رؤيته .

قوله جل ذكره : « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار  
سراً وعلانية فلم أجرم عند ربهم  
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

— مادام لم مال لا يفترون ساعة عن إتقائه ليلاً ونهاراً ، فإذا نفد المال لا يفترون عن شهوده  
لحظة ليلاً ونهاراً .

---

(١) مشبهة وقد أثرنا أن نطلبها كما هي وربما كانت (سبحا) أي علة في التوحيد .  
(٢) العبادة فيها شيء من مروض نتيجة اشتباه ما بين النفوس ولكن المراد — والله أعلم — أنه بينما  
يبدو ظواهرهم ذائبة بحكم التواضع والانكسار فإنه أسرارهم جادة في التسبيح من حول العرش .  
(٣) هنا يبدو الفخري متأثراً بتعاليم أهل الملاحة للتياسيورية .



قوله جل ذكره: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ

إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ

مِنَ الْمَسِّ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ

مِثْلَ الرِّبَا، وَأَحْلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ

الرِّبَا، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ

فَاتَّبَعَهَا فَهُوَ مَاسِفٌ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ

وَمِنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿

مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْأَمْرِ، وَدَخَلَ لِنَفْسِهِ بِمَا يَسُؤُهُ لَهُ خَاطِرُهُ مِنَ التَّأْوِيلِ فَلَا اسْتِغْلَالَ لَمْ  
فِي الْحَالِ وَلَا اتِّمَّاعٌ فِي الْمَالِ؛ خَسِرُوا فِي عَاجِلِهِمْ وَلَمْ يَرْجِعُوا فِي آجِلِهِمْ.

وَمَنْ أَتْبَعَهُ زَوَاجِرَ الرُّعُظِ، وَكَبَّحَ لُجَامَ الْهَوَى، وَلَمْ يُطْلِقْ حَنَانَ الْإِصْرَارِ فَلَهُ الْإِمَالُ  
فِي الْحَالِ، فَإِنْ عَادَ إِلَى مَنَعَمِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ فَلْيَنْتَظِرُوا أَوْشَكَ الْاِسْتِصَالِ وَبِجَانَةِ الشُّكْلِ.

قوله جل ذكره: ﴿يَحْتَقِقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الْمَصْدَقَ

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرَ أُنِيمَ ﴿

مَا كَانَ بِإِذْنٍ مِنْهُ سَبِيحًا— مِنَ التَّصَرُّفَاتِ فَفَرَّقَ بَيْنَ الْفُرَاتِ، وَمَصْحُوبٌ بِالْبَرَكَاتِ .  
وَمَا كَانَ بِمُتَابَعَةِ الْهَوَى يُسَلِّطَ عَلَيْهِ الْحَقَّ، وَكَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ الْغُفْرَانُ

قوله جل ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَأَتَّامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَمْ أَجْرَمْ

عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿

إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا لَا يَكْنُفُونَ مِثًا، لَا نَضِيعُ أَجْرٍ مِنْ أَحْسَنِ عِلَّا .

قوله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفَرُوا

مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿

الأكتفاء بموعد الرب خيرٌ للسلم من تعليق قلبه بمقصود نفسه .

ومقصودك من تسويات النفس ، وموعدك مما ضمنه الحق .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمِجْرَبٍ مِنْ

اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُحُوسٌ

أَمْوَالَكُمْ لَا يُغْلِبُونَ وَلَا تُغْلَبُونَ ﴾

إن صاحب الإصرار ليس له عندنا وزن ولا مقدار ، ولا قدرٌ ولا أخطار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى

مِيسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

إذا تقرر عند القاضى إغلاس المحبوس فلا تحل له استدامة حبسه ، وإن ظهرت لذى الحق

حجة المفلس فنك مرتين بحق خصمه ، ولكنّه فى إهمال وإنظار . والرب لا يحكم بهذا علينا ؛

فعلمه بإعسارنا وعجزنا ، وصدق اقتنارنا إليه وانقطاعنا له — يرجئنا .

قوله « إلى ميسرة » : ليس للتقير المفلس وجه يحصل له منه شيء إلا من حيث ما جعل

الله سبحانه من سهم الفارمين ، فأما من جهة الغلات فالغلة تدخل من رقاب الأموال والعقب ..

وأقضى للمفلس به ١٢

وأما الربح فى التجارة من تعليق رأس المال والتصرف فيه .. فأقضى للمفلس به ١٤

مابقى للمفلس إلا قول من قال من الفقهاء ( . . . . . )<sup>(١)</sup> وإن كان ضيقاً ،

فذلك لمن بقيت له مئة الحراك أما للمفلس عن قوته — كما هو مفلس عن ماله — مابقى له وجه

إلا ما يسبب له مولاه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ

ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

(١) هنا عبارة مطبوعة .

الرجوع على ضربين : بالأبشار والنفوس غداً عند التوفى ، وبالأسرار والتلويح فى كل نفسٍ محاسبة ، نقدٌ ووعد ، فنقدُ مطالبته أحقُّ مما سيكون فى القيامة من وعده .

وقال للموام : « واقفوا يوماً » وقال للخواص : « وإلى هاتون »

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ

إِلَى آجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ

أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ

وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ

رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ

كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ مَغْفِرًا

أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمْلَ

فَلْيُمْلِلْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ ، وَاسْتَشْهِدُوا

شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا

رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ

مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ

إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةَ

إِذَا مَا دُعُوا ، وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ

تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى آجَلٍ

ذَلِكَ أَمْرٌ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْرَبُ لِلشَّهَادَةِ

وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ

نَجْدَةً حَاضِرَةً تَذِيرُنَّكُمْ فَلَيْسَ

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ،

وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ، وَلَا يُضَارَّ

كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ قَضَوْا فَإِنَّهُ

فُسُوقٌ بَكُمْ ، وَاقْفُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ

الله ، والله بكل شيء عليم \* وإن  
كنتم على سفرٍ ولم تجدوا كتاباً  
فَرَحْمَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم  
بِضْعًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي آؤْتِنَ أَمَانَتَهُ  
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْنُزُوا  
الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْنُزْهَا فَاِنَهُ آيَمٌ  
قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ .

أمر الله سبحانه أنطلق بالقيام بالصدق ، وعَلَّمَهُمْ كَيْفَةَ معاملتهم فيما بينهم ، والأخذ  
بالاحتياط والاستعداد لتلا بيجري - بعضهم على بعض - حيقاً ، وذلك من مقتضى رحمة  
سبحانه عليهم ، وموجب رفقه بهم كيلا يتخاصموا . فأمر بتحصين الحقوق بالكتابة  
والإشهاد ، وأمر الشهود بالتحمل ثم بالإقامة .

ومن شرع اليوم ما يقطع الخصومة بينهم قبل الحرقى أن يجرى ما يرفع فى الآخرة آثار  
الخصومة<sup>(١)</sup> بينهم ، وفى الخبر للقول : تواهبوا فيما بينكم فقد وهبت منكم مالى عليكم ،  
فإن الكريم إذا قدر غفر .

وفى شرع من الدين<sup>(٢)</sup> رفق بأرباب الخابيات ، لأن الحاجة تمس فيعمله الحال على  
الاحتيال ، ويضيق به الصدر عن الاحتمال ، ويمنه حفظ التجميل عن الكدية والسؤال ، فأذن  
له فى الاستدانة ليَجْزِرَ أمره فى الحال ، وينتظر فضل الله فى المال ، وقد وعد على الإداة  
التواب الكبير ، وذلك من لطفه تعالى .

قوله جل ذكره : ﴿ اللَّهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ  
وَإِنْ تَبَدَّلُوا مَافِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوا  
بِحَسَابِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ

(١) وودت (الحكومة) وتنظ أنها خطأ فى النسخ وأن الأصل (الخصومة) .

(٢) ضبطناها مكاناً وذلك هو اللام فى لسان .

وينب من يشاء والله على كل شيء  
قدير .

من للماني والعاوي ، ويقال من القصور والرغائب ، وفنون الحوائج وللطالب .

ويقال ما « تبديه » : العبادة ، « وما تخفيه » : الإرادة .

ويقال ما « تخفيه » : انطورات و « ماتبيه » : « العبارات » .

ويقال ما « تخفيه » : السكنات والحركات<sup>(١)</sup>

ويقال الإشارة فيه إلى استدامة للرابعة واستصحاب المحاسبة ، فلا تغفل<sup>(٢)</sup> خسارة  
ولا تحمل وقتك نفسك<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ

مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَبِّحْنَا وَأُطِيعْنَا

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝

هذه شهادة الحق — سبحانه — لنبيه — صلى الله عليه وسلم وعلى آله — بالإيمان ،  
وذلك أنهم له من إخباره عن نفسه بشهادته .

ويقال آمن أخلق كلهم من حيث البرهان وآمن الرسول — عليه السلام —  
من حيث الميان .

ويقال آمن أخلق بالوساطة وآمن محمد — صلى الله عليه وسلم — بنير واسطة .

---

(١) ربما كانت في الأصل « تخفيه » السكنات « وتبديه » الحركات وسقطت تبديه من الناسخ .  
(٢) وردت ( تغفل وربما صحت على أساس أن تغفل ( بمعنى تجيب ) أو بمعنى استخدام العقل ، وهو  
في هذه الحالة آفة تترسب الفناء الكامل .  
(٣) ضبطناها هكذا لأن الانتباه إلى ( التمسك ) أمانة عدم اكتمال الفناء .

ويقال هذا خطاب الحق مع ليلة المعراج على جهة تعظيم التَّذَرُّ قتل «آمن الرسول» ،  
ولم يقل آمَنْتَ ، كما قول لعظيم الشأن من الناس : قال الشيخ ، وأنت تريد قلت .  
ويقال آمن الرسول وللمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ولكن شتان بين  
إيمان وإيمان ، الكل آمنوا استدلالاً ، وأنت يا محمد آمَنْتَ وصلاً .

قوله جل ذكره ﴿ لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعًا ﴾

لكمال رحمته بهم وقهم على حد وسعهم ودون ذلك بكثير ، كل ذلك رَفِيعٌ منه وفضل .  
﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾

من الخيرات .

﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾

ما تكسبه من التوبة التي تُنَجِّي من كسب <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ  
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا  
مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾

كان إذا وقت حاجة كلموه بلسان الواسطة . قالوا « يا موسى ادْعُ لنا ربك » وهذه  
الامة قال لهم : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » .

وكانت الامم (السالفة) <sup>(٢)</sup> إذا أذنبوا احتاجوا إلى مضي مدة لقبول التوبة ، وفي هذه  
الامة قال صلى الله عليه وسلم : « التدم توبة » .

وكانت الامم السالفة منهم من قال اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، وهذه الامة اخنصت بإشراق  
أنوار توحيدهم ، وخصائصهم أكثر من أن يأتي عليه الشرح .

(١) قد يبدو قولهُ الأول أن الفشري في استخراج إشارته من ( لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت )  
ينبغي إجمالاً بخالفاً للتفسير التقليدي ، ولكن الواقع أن إشارة الفشري مرتبطة بمذهبه في أن الله خالق  
كل شيء . حتى أعمال العباد ، فهو خالق التوبة وحين يتقبلها تعود (على) البعد ، انظر مثلاً تفسيره ( ويترتب  
عليكم ) من سورة النساء .. من هذا الكتاب ) .

(٢) ( السالفة ) موجودة في الهوامش فأنتهتاهما في موضعها من المتن .

قوله جل ذكره : ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾

في الحال

﴿وَافِر لَنَا﴾

في اللآل

﴿وَارْحَنَا ، أَنْتَ مولانا فانصرنا

على القوم الكافرين﴾

في جميع الأحوال إذ ليس لنا أحد سواك ، فأنت مولانا فاجعل النصرة لنا على ما يشغلنا عنك .

ولما قالوا « ولا تجعل علينا إصرأ كما جعلته على الذين من قبلنا » خَفَّ الله ذنوبهم بدل خسف المتقدمين ، فأبدل ذنوبهم حسنات بدل مسخهم ، وأمطر عليهم الرحمة بدل ما أمطر على المتقين من الحجارة .

والحمد لله رب العالمين .

## السورة التي يذكر فيها آل عمران

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

اختلف أهل التحقيق في اسم « الله » هل هو مشتق من معنى أم لا ؟ فكثير منهم قالوا إنه ليس بمشتق من معنى ، وهو له سبحانه على جهة الاختصاص<sup>(١)</sup> ، يجري في وضعه مجرى أسماء الأعلام في صفة غيره ، فإذا قرع بهذا اللفظ أسماء أهل المعرفة لم تذهب فهمهم ولا علومهم إلى معنى غير وجوده سبحانه وحقه . وحق هذه المقالة أن تكون مقرونة بشهود القلب فإذا قال بلسانه « الله » أو سمع بأذنه شهد بقلبه « الله » .

وكلا لا تدل هذه الكلمة على معنى سوى « الله » لا يكون مشهوداً قائلاً إلا « الله » فيقول بلسانه « الله » ، ويسلم بفؤاده « الله » ، ويعرف بقلبه « الله » ، ويجب بروحه « الله » ،

(١) وردت (الاقتصاص) .

ويشهد بسمه «الله»، ويتلقى<sup>(١)</sup> بظاهرة بين يدي الله، ويتحقق بسمه الله، ويخلو بأحواله الله وفي الله؛ فلا يكون فيه نصيب لغير الله، وإذا أشرف على أن يصير محواً في الله بالله تداركه الحق سبحانه برحمته فيكشفه بقوله<sup>(٢)</sup> الرحمن الرحيم استبقه لمهجته أن تلتف، وإرادة في قلوبهم أن تنق؛ فالتلطف سنة منه سبحانه لتلايفي أولياؤه بالسكينة.

قوله جل ذكره: ﴿الم • الله﴾

أشار بقوله ألف إلى قيامه بكفائتك على عموم أحوالك، فأنت في أسر النعمة لا تهتدي إلى صلاحك ورشدك، وهو بحر ما يجبرك، وكلف بما ينصرك، فغير سؤالك — بل بغير علمك بمالك — يكفئك من حيث لا تشعر، ويسطيك من غير أن تطلب.

والإشارة من اللام إلى لطفه بك في خفي السر حتى أنه لا يظهر عليك عمل اللنة فيما يبتك فيه. والإشارة من الليم لمواقة جريان التقدير بمتعلقات الطلقة من الأولياء، فلا يتحرك في العالم شيء، ولا تظهر ذرة إلا وهو يحمل الرضا منهم حتى أن قائلاً لو قال في قوله: «كل يوم هو في شأن» إن ذلك الشأن تحقيق مراد الأولياء — لم يكن ذلك بعيد.

ويقال تفرق عن القلوب — باستماع هذه الحروف المقطعة التي هي خلاف عادة الناس في التخاطب — كل معلوم ومرسوم، ومضاد وموهوم، من ضرورة أو حس أو اجتهاد، حتى إذا خلت القلوب عن اللوهمات والمعلومات، وصنى الأسرار عن المتعادات والمعهودات برز هذا الاسم وهو قوله: «الله» على قلب مقدس من كل غدير، ومبر مصفى عن كل كيف؛ فقال «الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم».

فهو الذي لا يلهو فيشتغل عنك، ولا يسهو فتبقى عنه، فهو على عموم أحوالك رقيب مرسك؛ إن خلوت فهو رقيبك وإن توسعت اتلقت فهو رقيبك<sup>(٣)</sup>، وفي الجلة — كيهما دارت بك الأحوال — فهو حيييك.

(١) استخدم القسيري هذا الفصل في موضع مماثل عند قوله (تذكير ماسلف من الإنعام فتح لباب التلطف في اختيار أمثاله في المستقبل) وفي موضع آخر (فيحله صدق الإرادة على التلطف والتضرع من هذا الجزء).

(٢) وردت (بقر).

(٣) وردت فهو (قريبك) والمعنى يحتلها ولكن الانجم في الأسلوب يتطلب (وقيبك) مكررة



قوله جل ذكره: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ .

وما كنت يا محمد تدرى ما الكتاب ، ولا قصة الأحباب ، ولكننا صادق اختيار أنزلي  
فألقاك في أمرٍ عجيبٍ شأنه ، جليُّ برهانه ، عزيزٌ عمله ومكانه .

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ .

أى محققاً لموعوده لك في الكتاب على السنة الرسل عليهم السلام .

﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ من قبلُ

هدى للناس وأَنْزَلَ الْقُرْآنَ ﴿ .

أى إنا وإن أنزلنا قبلك كُتُبَنَا على المرسلين فأَتَخَلَيْنَا كِتَابًا مِنْ ذِكْرِكَ ، قال قائلهم :

ومعنى لأحبابنا الغائبين صحائفُ ذِكْرِكَ عنوانها

وكما أَعْمَنَّا بِكَ أَنْوَارَ الْأَنْبِيَاءِ زَيْنًا بِذِكْرِكَ جميع ما أنزلنا من الأذكار .

قوله جل ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَمْ عَذَابُ

شديد﴾ .

وهو ذُلُّ الحجاب ، ولكنهم لا يشعرون .

« والله عزيز » على أوليائه « ذو انتقام » من أعدائه ، عزيز يطلبه كل أحد ، ولكن

لا يجيده — كثيراً — أحد .

قوله جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ

وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ .

لا يتخفى عبداً نَفْساً إلا والله سبحانه وتعالى مُحْصِيهِ<sup>(١)</sup> ، ولا تحصل في السماء والأرض

خبرة لا وهو سبحانه مُحْدِثُهُ وَمُبْدِيهِ ، ولا يكون أحد بوصف ولا نت إلا هو متوليهِ .

هنا على العموم ، فأما على الخصوص : فلا رَفَعَ أَحَدٌ إِلَيْهِ حُلَّةً إلا وهو قاضيها ،

ولا رجع أَحَدٌ إِلَيْهِ فِي نَازِلَةٍ إلا وهو كافيها .

---

(١) وردت ( عجيبة ) وهي خطأ من الناسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ هو الذى يُصَوِّرُكُمْ فى الأرحام  
كيف يشاء ﴾ .

هنا فيما لا يزال من حيث الخلقه ، وهو الذى قدّر أحوالكم فى الأزل كيف شاء ،  
وهذا فيما لم يزال من حيث القضاء والقسمه .

﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾

فلا يُعَقَّبُ حكمه بالنقض ، أو يُمَارَضُ تقديره بالإجمال والرفض .

قوله جل ذكره : ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه

آيات محكمات هن أم الكتاب

وأخر متشابهات فأما الذين

فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه

منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ،

وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون

فى العلم يقولون أئنا به ، كل ثين

عند ربنا ، وما يدكر إلا أولوا

الألباب ﴾

جَسَّسَ عليهم المطلب ؛ فَمِنْ ظاهِر واضح تَزِيلُه ، ومن غامض مشكل تَأْوِيلُه . الْقِسْمُ  
الأول لِبَصْطِ الشَّرْعِ واهْتِدَاءِ أَهْلِ الظَّاهِرِ ، وَالْقِسْمُ الثَّانِي لِمُصَايَاةِ الْأَسْرَارِ عَنْ إِطْلَاعِ الْأَجَانِبِ  
عليها ، فَمُسَبِّلُ الْمَلَأِ الرَّسُوخِ فى طَلَبِ مَعْنَاهِ عَلَى مَا يوافق الْأَصُولَ ، فَمَا حَصَلَ عَلَيْهِ الْمَوْقُوفُ  
فَمُقَابَلٌ بِالْقَبُولِ ، وَمَا امْتَنَعَ مِنَ التَّأَثُّرِ فِيهِ بِمَحَلُولِ الْفِكْرِ سَلَّوْهُ إِلَى عَالَمِ الْقِيَمِ .

وسبيل أهل الإشارة والفهم إلقاء السمع بحضور القلب ، فاستمع لفهمهم من لائح  
التعريفات بتوا ( عليه )<sup>(١)</sup> إشارات الكشف .

---

(١) لى من ( بنوا على ) والأصوب ( بنوا عليه ) حتى تناسك الباءة لأن الإشارة تبني على التعريف .

إِنْ (طوبوا) <sup>(١)</sup> باستدامة السر وطمع السر تخارسوا عن التعلق ، وإن أمروا بالإظهار والنشر أطلقوا بيان الحق ، ونطقوا عن تعريفات النبية ، فأما الذين أيدوا بأنوار البصائر فستضيئون إشباع شحوس الفهم ، وأما الذين ألبسوا غطاء الريب ، وحرموها لطائف التحقيق ، فتقسم بهم الأحوال وتترجم بهم الظنون ، ويطيحون في أودية الريب والتلبس ، فلا يزدادون إلا جهلاً على جهل ، وفوراً على شك .

قوله جل ذكره : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾

ومن وجد علمه من الله فيكون إيمانهم بلا احتمال جولان خواطر التجويز بل عن صريحات الظهور ، وصافيات اليقين . وأما أصحاب العقول الصاحبة ففي محبة التذكر ، لظهور البراهين ( . . . ) <sup>(٢)</sup> أحكام التحصيل .

قوله جل ذكره : ﴿ ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا

وهب لنا من لذك رحمة إنك

أنت الوهاب ﴾

ما ازدادوا قريباً إلا ازدادوا أدباً ، والياف إلى التباعد أقوى أسباب رعاية الأدب <sup>(٣)</sup> .

ويقال حين صدقوا في حسن الاستغاة أيدوا بأنوار الكفاية .

قوله جل ذكره : ﴿ ربنا إنك جامع الناس ليوم

لا ريب فيه إن الله لا يخلف

الميعاد ﴾

اليوم جمع الأحباب على بساط الاقتراب ، وغداً جمع الكافة لهل الثواب والمقاب ،

(١) في س ( طوبوا ) والأوفق أن تبنى لمجهول مثل ( أمروا ) التي بعدها ، لأن فاعليهم حينئذ مفقودة .

(٢) مثلية .

(٣) ربما يقصد التشيرى من هذه البارة أنهم أبداً طامعون في الهداية محتاجون - لا لأعمالهم - بل للفضل الله ، ومهما أسبغ عليهم يشكرون بأنهم ما زالوا يبتعدون عن النمام ، وعلى هذا التفسير تنسجم هذه البارة مع سابقتها « ما ازدادوا قريباً إلا ازدادوا أدباً » .

اليوم جمع الأسرار لكشف الجلال والجلال ، وغداً جمع الأبطال لشهود الأحوال ، ومقاساة ما أخبر عنه من تلك الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ إِن الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُفْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾

فلا فناء ينفعهم ، ولا غناء يدفعهم ، ولا مال يُقَبِّلُ منهم ، ولا حجاب يُرْفَعُ عنهم ، ولا مقال يَسْمَعُ فيهم ، بهم يُعْرَضُ الجحيم ، ولم الطرد الأليم ، والحمد والحليم .

قوله جل ذكره : ﴿ كَذَّابٌ أَكَلْ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

أصرُّوا في المنزلة على سَنَنِهم ، وأدَمَّتْ أَلَمُ في الانتقام سَنَتَنَا ، فلا من الإصرار أفلحوا ، ولا في المَبَارَ طَمِعُوا ، ولعمري إنهم هم الذين نَدِمُوا ونَحَسَرُوا على ما قَدَّمُوا — ولكن حينما وجدوا الباب مسدوداً ، والتنمَّ عليهم مردوداً .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ الَّذِينَ كَفَرُوا سَتَلْبَثُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيَسُوءُ لِلْعَالَمِ ﴾

أخبرهم أنهم يفونهم حديث الحق في الآجل<sup>(١)</sup> ، ولا تكون لهم لغةٌ يعيش في العاجل ، والذي يلقونه في الآخرة من شدة العقوبة بالحرقة فوق ما يصيبهم في الدنيا من الغيبة عن الله والفرقة<sup>(٢)</sup> ، ولكن سَقِمتْ البصائر فلم يحسوا بألم العقاب .

---

(١) يشير القشيري بهذا إلى الآية الكريمة « لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ، (٧) أما الخواص فيرون رؤية الله حتى كَلَمَهُمْ ، وصلة منهم أشد عليهم من عذاب السمير ، يقول البساطي : « قد خواس من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته ساحة لاستنابوا بالخروج من الجنة كما يستنبت أهل النار من النار »

قوله جل ذكره : ﴿ قَدْ كُنْ لَكُمْ آيَةً فِي فَتْنِ الْفِتْنَةِ  
تَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ  
يُرِيدُ مِنْهُمْ مَنْ يُبْصِرُ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤِيدُ  
بَنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً  
لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

إذا أراد الله إضفاء أسرار قلل الكثير في أعين قوم ، وكثر القليل في أعين قوم ،  
وإذا لبس على بصيرة قوم لم ينفعهم فإذ أبصرهم ، وإذا فتح أسرار آخرين فلا يضرهم  
انسداد بصائرهم<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ  
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ  
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ  
وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ  
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾

يذكر بعض الشهوات على ما سواها مما هو في معناها ، وفي الجملة ما يحجب عن الشهود  
فهو من جلبها . وأصب العوائق في هذه الطريق الشهوة الخفية . وأداء الطاعة على وجه  
الاستحلاء معدود عندم في جملة الشهوة الخفية . ومن المقاطع المشكلة السكن إلى ما يلقاك به  
من فنون تزيينك ، وكأنه في حال ما ينجيك بتأنيك ، فإنه بكل لطيفة يصنعك (فيطريك)<sup>(٢)</sup>  
وتحتها خدع خافية . ومن أدركته السعادة كشفه بشهود جلاله وجهه (لا) (٣) بإثباته  
في لطيف أحواله وما يخصه به من أفضاله وإقباله .

(١) من هذا فهم أن ترتيب ملكتنا لاطلاع عند النفس هو على هذا النحو : البصر ثم البصيرة ثم السر  
(٢) مستدركة في المامش فأثبتها في موضعها .  
(٣) نظن أن (لا) رائدة لأن السعادة التي تدرك البعد لا تم إلا بإثباته لـ . . .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ أَنتُمْ بَحِيرٌ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ  
اتَّقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ  
مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ  
بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

بَيْنَ فَضِيلَةِ أَهْلِ التَّقْوَى عَلَى أَرْيَابِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ لَمْ تَنَابَعِ لِلتَّى وَمَوَاقِفَ الْهَوَى  
وَأُولَئِكَ لَمْ يَدْرَجُوا فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ؛ أُنْزِلَ كُلُّ قَوْمٍ مَنَزَلَهُ، وَأُوْصِلَهُ  
إِلَى مَا لَهُ أَهْلُهُ.

قوله جل ذكره: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا فَاغْفِرْ لَنَا  
ذُنُوبَنَا وَتَجْزِئْنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

أَيُّ يَنْقَطِعُونَ إِلَيْنَا بِالْكَلِمَةِ، وَيَتَضَرَّعُونَ بَيْنَ أَيْدِينَا بِذِكْرِ الْحَنِّ وَالرَّزِيَّةِ، وَأُولَئِكَ  
يَنَالُونَ مِنَّا الْقُرْبَى وَالْخُصُوصِيَّةَ، وَالْأَرْجَى وَالطَّيِّبَةَ، وَالتَّسَمُّ الْمَرْغُوبَةَ.

قوله جل ذكره: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِمِينَ  
وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾

الصَّبْرُ حَيْثُ النَّفْسُ، وَذَلِكَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ:

صَبْرٌ عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ الْعَبْدُ، وَصَبْرٌ عَمَّا نَهَى عَنْهُ وَصَبْرٌ هُوَ الْوُقُوفُ تَحْتَ جَرِيَانِ حُكْمِهِ  
عَلَى مَا يَرِيدُ؛ إِمَّا فِي فَوَاتٍ مَحْبُوبَةٍ أَوْ هَجِيمٍ مَا لَا تَسْتَطِيعُهُ<sup>(١)</sup>.

فَإِذَا تَرَقَّيْتَ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ - بِأَلَّا تُصِيبَكَ مُشَقَّةٌ أَوْ تَنَالِ رَاحَةً - فَذَلِكَ رِضًا لَا صَبْرَ<sup>(٢)</sup>.

وَيُقَالُ لِلصَّابِرِينَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَالصَّادِقِينَ، فِيمَا عَاهَدُوا اللَّهَ.

وَالْقَائِمِينَ، بِمَعْنَى بَقَائِهِمْ فِي حُجَّةِ اللَّهِ.

(١) فَوَاتٍ الْمَحْبُوبُ مَدَامَ تَكُ وَهَجِيمٌ تَكُ، وَالْمُجِيمُ هُوَ الَّذِي لَا تَسْتَطِيعُ هُوَ الَّذِي (يُرَدُّ عَلَى الْقَلْبِ بِنُورِ  
الْوَقْتِ مِنْ شَيْءٍ تَصْنَعُ تَكُ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَصْرِفُهُ الْمَوَاجِمُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ فَوْقَ مَا يَجُوزُ حَالًا وَقُوَّةً، وَأُولَئِكَ  
سَادَاتُ الْوَقْتِ) الرَّسَالَةُ ص ٤٤.

(٢) لَاحِظِ الْفَرْقَ بَيْنَ الرِّضَا وَالصَّبْرِ.

و « للمستغفرين » عن جميع ما فعلوه لرؤية تصيرهم في الله<sup>(١)</sup>

ويقال : « الصابرين » بقلوبهم و « الصادقين » بأرواحهم و « القانتين » بنفوسهم ، و « للمستغفرين » بأنفسهم .

ويقال « الصابرين » على صدق التصود و « الصادقين » في العبود و « القانتين » بحفظ الحدود و « للمستغفرين » عن أعمالهم وأحوالهم بحمد استيلاء سلطان التوحيد .

ويقال « الصابرين » الذين صبروا على الطلب ولم يتعلوا بالحرب ولم يحنثوا من النصب ، وهجروا كل راحة وطلب . وصبروا على البؤس ، ورفضوا الشكوى ، حتى وصلوا إلى المولى ، ولم يقطعهم<sup>(٢)</sup> شيء من الدنيا والعقوبة .

و « الصادقين » الذين صدقوا في الطلب فقصدها ، ثم صدقوا حتى وردوا ، ثم صدقوا حتى شهدوا ، ثم صدقوا حتى وجدوا ، ثم صدقوا حتى قدروا . . فترتيبهم قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خلود<sup>(٣)</sup> .

و « القانتين » الذين لازموا الباب ، وداؤموا على تجرع الاكتئاب ، وتركوا الهباب ، ورفضوا الأصحاب إلى أن تحقروا بالاقتراب .

و « المتقين » الذين جادوا بنفوسهم من حيث الأعمال ، ( ثم جادوا بمسودم من الأموال )<sup>(٤)</sup> ، ثم جادوا بقلوبهم بصدق الأحوال ، ثم جادوا بترك كل حظ لهم في العاجل الآجل ، استهلاكاً عند القرب والوصول بما لقوا من الاصطلام والاستئصال<sup>(٥)</sup> .

و « المستغفرين » عن جميع ذلك إذا رجعوا إلى الصحو عند الاسحار يعني ظهور الإسفار ، وهو فجر القلوب لا فجر يظهر في الأقطار .

(١) تارة ذلك بما يحكيه التأوي في ( طيفاته ) وابن الجوزي في ( صفة الصلوة ) من رابطة أنها كانت تردد : ( استغفارتنا يحتاج إلى استغفار لدم الصدق فيه ) .

(٢) قواطع الدنيا مزودة أما قواطع التي فهي تطبيق العمل المبذول بالاجر ، إما الطمع في الثوبة أو الخوف من العقوبة .

(٣) هذا تلخيص دقيق للمراج الروحي ينبغي أن تسهل عنده لحسن فهمه واستيعابه .

(٤) مستدركة فيها بين السطور فأثبتهما في موضعها .

(٥) الاستئصال هو الذي عبر عنه القشيري في رسالته بقوله : ( كأس تصطلمهم منهم وتغنيمهم وتختطلمهم ولا تبقيهم ، كأس لا تبقى ولا تذر ، تعموم بالكلية ، ولا تبقى شظية من آثار البسيرة ) الرسالة ص ٤٣

قوله جل ذكره : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾

أى عَلمَ اللهُ وأخبر اللهُ وحَكَمَ اللهُ بأنه لا إله إلا هو ، فهو شهادة الحق الحق بأنه الحق ، وأوَّلُ مَنْ شَهِدَ بأنه اللهُ — اللهُ ، فشَهِدَ في آزاله بقوله وكلامه وخطابه الأزلَى ، وأخبر عن وجوده الأحدي ، وكونه الصمدى ، وعونه القيوى ، وذاته الدعوى ، وجلاله السمدى ، وجلاله الأبدى . فقال : « شهد اللهُ » ثم في آلهه ، « شهد اللهُ » أى بَيَّنَّ اللهُ بما نَصَبَ من البراهين ، وأثبت من دلائل اليقين ، وأوضح من الآيات ، وأبدى من اليناث . فشكل جزءه من جميع ما خلق وفطر ، ومن كتم المدم أظهر ، وعلى ما شاء من الصفة الذاتية حصل ، من أعيان مستقلة ، وآثار في (ثاني)<sup>(١)</sup> وجودها مضحلة ، وذوات للالاقة قابلة ، وصفات في المحال متناقية — فهو لوجوده مُفَصِّحٌ ، ولربوبيته مَوْضِّحٌ ، وعلى قِيَمِهِ شاهد ، وللعقول مُخْبِرٌ بأنه واحد ، عزيز ، ماجد ، شهد سبحانه بجلال قدره ، وكمال عزه ، حين لا يجد ولا جود<sup>(٢)</sup> ولا عرفان لخلق ولا عقل ، ولا وفق ، ولا كفر ، ولا حدثان ، ولا غير ، ولا إلهاد ، ولا شرك ، ولا فهم ، ولا فكر ، ولا سماه ولا فضاء ، ولا ظلام ولا ضياء ، ولا وصول للزودجات<sup>(٣)</sup> ، ولا فضول باختلاف الآفات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاللَّاسِكَةُ ﴾

لم يؤيد شهادته بوجدانيته بشهادة اللالاسكة بل أسددهم وأيدهم ، حين وفقهم بشهادته وسددهم ، وإلى معرفة وجدانيته أرودهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾

وهم أولياء بنى آدم إذ علموا جلال قدرته ، وعرفوا نعم عزته فأكرمهم حيث قرن شهادته بشهادتهم ، فشهدوا عن شهود وتعيين ، لا عن ظن وتخمين ، إن لم يدركوه — اليوم —

(١) ربما كانت في الأصل في (شان) وجودها ... خطيف المهر .

(٢) ربما كانت في الأصل (جود) ، ويحتمل أنها (جود) فيكون المقصود الجود الإنسانية الكسبية .

(٣) ربما قصد منها كل شيء وسنده ، وربما كانت (لدرجات) .



ضرورة وجباً، لم يستفدوه غناً وحدساً؛ تعرّف إليهم فقرهه ، وأشهدهم فذلك شهدوا ، ولو لم يقل لم إنه من هو لآ عرفوا من هو .

ولكنّ الماء يشهدون بصحو عقولهم ، والموحّدون يشهدون بمدّ خودهم ؛ فهم  
كما قيل :

مُسْتَهْلِكُونَ بَهِرَ الْحَقِّ قَدْ هَمَدُوا      وَاسْتَقْطَعُوا بَعْدَ اقْتِنَائِهِمْ بِتَوْحِيدِ

فالمُجْرَى عليهم ما يبدو منهم — سواهم ، والقائمُ عنهم بما هم عليه وبه — غيرُهم ، ولقد  
كانوا لکنهم بانوا ، قال قائلهم :

كُنَّا بِي إِلَيْكُمْ بَعْدَ مَوْتِي بَلِيلَةً      وَلَمْ أَدْرِ أَنِّي بَعْدَ مَوْتِي أَكْتُبُ

وأولو العلم على مراتب : فَمِنْ عِلْمٍ نَعْتُهُ وَفَقَّ وَرَهْبَانِيَّةً ، ومن علم وصفه فناء وربّانية ،  
وعالم يعرف أحكام حلاله وحرامه ، وعالم يعلم أخباره وسفنه وآثاره ، وعالم يعلم كتابه ويعرف  
تفسيره وتأويله ، وحكمه وتنزيله ، وعالم يعلم صفاته ونموته ويستقوى حججه وتوحيده بمحدث  
يخرجه ( . . . )<sup>(١)</sup> ، وعالم لا طغى حتى أحضره ثم كاشفه فقهره ، فالاسم باقي ، والعين محو ،  
والحكم طارق والعبد محق ، قال قائلهم .

بنو حق غدوا بالحق صيرفاً      فنمت الخلق فيهمو مستور

وليست الإشارة من هذا إلا إلى فنائهم عن إحساسهم ، وعند عِلْمِهِم بأنفسهم ، فأما  
أعمالهم<sup>(٢)</sup> أعيانهم فمخلوقة ، وما يفهم بذواتهم من أحوالهم فمبسوطة ، وذات الحق لا توصف  
بقبول حدثان ، وصفات ذاته لا تقبل اتصالاً بالغير ولا انفصالاً عن الذات ، تقدّس الحق  
من كل ضدّ ونِدٍّ ، ووصل وفصل ، وجمع وفرق ، وعين وخلق ، وملك وملك ، ورسم  
وأثر ، وعبد وبشر ، وشمس وقر ، وشخص وقَبَر .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .

(١) مشبهة .

(٢) ترجع أنه في الأصل ( وأعيانهم ) وأن الواو سقطت من التناسخ أي أنهم وما يصنعون — من خلق  
الله ، وذلك الأصل من الأصول الكلامية عند القشيري .

الَّذِينَ الَّذِينَ يَرْضِيهِ ، وَالَّذِي حَكَمَ لَصَاحِبِهِ أَنَّهُ يَجْزِيهِ وَيَمْلِكُهُ ، وَيَا فَضْلُ يُلْقِيهِ — هُوَ  
الإسلام .

والإسلام هو الإخلاص والاستسلام ، وما سواه فردود ، وطريق النجاة على صاحبه  
مستود .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ  
إِلَّا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ ،  
وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ  
الْحِسَابِ ﴾ .

جاءهم العلم الذي عليهم حجة ، لا للمعرفة التي لها بيان وعجبة ، فأصروا على الجحود ،  
لأنهم حُجِّبُوا عن محل الشهود

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَصَلَّيْتُ وَحَمَّيْتُ  
اللَّهِ وَمَنْ آمَنَ ، وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا  
الْكِتَابَ وَالْأَمِينَ أَصَلَّيْتُمْ ، فَإِنْ  
أَسْلَمُوا فَقَدْ احْتَسَبُوا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا  
فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ  
بِالْعِبَادِ ﴾ .

طَالَعَهُمْ بِعَيْنِ التَّصْرِيفِ كَيْلًا يَتَقَرَّقُ بِكَ الْخِلَالُ فِي شُهُودِ اخْتِلَافِهِمْ وَتَبَايُنِ أَطْوَارِهِمْ ؛  
فَإِنَّ مَنْ طَالَعَ الْكَاتِلَاتِ بَيْنَ الْقَمَرَةِ عِلْمُ أَنَّ الْمُثَبِّتَ لِلْكَلِّ — عَلَى مَا اخْتَصَّ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ  
مِنَ الْكُلِّ — وَاحِدٌ .

فَأَذَعَهُمْ جَبْرًا بِجَهْرٍ ، وَاشْهَدَ تَصْرِيفَنَا لِأَيَّامٍ سِرًّا بِسِرٍّ ، وَاشْهَلْ لِسَانَكَ بِنَصِيحِهِمْ ، وَفَرِّغْ  
قَلْبَكَ عَنْ حَدِيثِهِمْ ، وَأَفْرِدْ سِرَّكَ عَنْ شُهُودِهِمْ ، فَلَيْسَ الَّذِي كَلَفْنَاكَ مِنْ أُمُورِهِمْ إِلَّا الْبَلَاغُ ،  
وَالْمُجَرِّى لِلْأُمُورِ وَالْمُبْدِى — نَحْنُ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ  
النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ

يَأْمُرُونَ بِالنَّاسِ قَبْضُورًا  
بِغَنَابِ الْعِلْمِ .

إِنَّ الَّذِينَ يُبْطِنُونَ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ بِوَصْفِ الْحَرَمَانِ — أُنْخِرْتُمْ بِأَنْ إِمْرَاضَنَا عَنْهُمْ  
مُؤَيَّدٌ ، وَأَنْ حَكْمَنَا سَبَقَ بِتَقْلِيمٍ عَنْ دَارِ الْبَنَاتِ إِلَى دَارِ الْهَوَانِ ، مِنْ الْخِلْدَانِ وَالْحَرَمَانِ  
إِلَى الْمَقُوبَةِ وَالْثَيْرَانِ .

قوله جل ذكره : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ  
نَاصِرِينَ ﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ — الْيَوْمَ — تَوْفِيقٌ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَلَا غِنَىٰ لِّمَنْ لَا مَالَهُمْ ، وَمَا ذَلِكَ  
إِلَّا لِأَنَّهُمْ قَدَّمُوا فِي الدَّارِ الْبَنَاتِ ، وَلَمْ يَشْهَدُوا عِزَّنَا وَقَدَرَتَنَا .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنْ  
الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ  
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فُرْقَانَهُمْ  
وَمِنْ مُضِلٍّ ﴾

امْتَحَنَّاكَ بِدَعْوَةٍ مِنْ سَبَقِ عَلَمْنَا بِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ ، فَاصْبِرْ عَلَى مَا أُمِرْتَ فِيهِمْ ، وَاعْلَمْ  
سُوءَ أَحْوَالِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ التَّوَلَّى عَنِ الْإِجَابَةِ ، لِأَنَّهُمْ قَدَّمُوا مِنَّا حَسْنَ التَّجَلُّلِ بِسَاقِ الْإِرَادَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّكَ النَّارُ  
إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ، وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ  
مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

عَاقِبَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْإِسْتِدْرَاجِ حَتَّىٰ حَكَمُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِالنَّجَاةِ وَتَخَفِيفِ الْعِقَابِ ، وَسَوْفَ  
يَعْلَمُونَ تَضَاعُفَ الْبَلَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ .  
نَعْنِ الْمُخْطَطُونَ حَكَمًا . . .

﴿ فكيف إذا جئناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظنون ﴾

هذه كلمة تعجب لما أخبر به عن تعظيم الأمر، وتضخيم الشأن عند هيئة عقولهم ودعشة أسرارهم، واقطاع دواعيهم، وانخلاع قلوبهم من مكانها، وتزاقبها إلى تراقبهم، ثم ما يلتقونه من الحساب والعتاب، والمذاب والمقاب، وعدم الإكرام والإيجاب، وما في هذا الباب .  
وقيامة الكفار يوم الحشر، وقيامه الأحياء في الوقت، ولشئرح هذا تفسير طويل<sup>(١)</sup>  
قوله جل ذكره: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ﴾

«اللهم» معناها يا الله والميم في آخرها بدل عن حرف النداء وهو يا . فهذا تعليم الحق كيفية النشاء على الحق، أى صفى بما استحقه من جلال القدر فقل: يا مالك الملك لا شريك لك ولا معين، ولا ظهير ولا قرين، ولا مقاسم لك في الذات، ولا مسام في الملك، ولا معارض في الإبداع .

﴿ قُوِي الْمُلْكَ مِنْ نَشَاءٍ وَتَزَعِ لِلْمَلِكِ مِنْ نَشَاءٍ ﴾

حقى نعلم أن الملك لك، والملك من المخلوقين من تدلل له، ومزوع الملك ممن تكبر عليه؛ فتجعل الخلق في نذلهم للحق، وعزم في محوم فيه، ويقاوم في فناءهم به  
﴿ وتُؤْمَرُ مِنْ نَشَاءٍ ﴾

بمن ذاتك .

﴿ وَتُدَلُّ مِنْ نَشَاءٍ ﴾

بمخلداتك

وتؤمر من نشاء بأن تهديه لبشهادك ويوحدهك، وتدل من نشاء بأن يجحدك ويقبلك . وتؤمر

(١) من كلام التشييع في هذا الخصوص في موضع آخر من هذا الكتاب :  
( والقيامة عند هؤلاء تنوم كل يوم غير مرة بالمجر والنوى والفرافى ، وليس لها كاشف غيره سبحانه )

من تشاء بين إقبالك ، وتذل من تشاء بحشة إعراضك . وتمز من تشاء بأن توه بك ،  
وتذل من تشاء بأن توحشه عنك . وتمز من تشاء بأن تشغه بك ، وتذل من تشاء بأن تشغه  
عنك . وتمز من تشاء يسقط أحكام نفسه ، وتذل من تشاء بغلبة غايته نفسه . وتمز من تشاء  
بطول ألسنه وتذل من تشاء بطوارق<sup>(١)</sup> نفسه . وتمز من تشاء ببسطه بك ، وتذل من تشاء  
بقبضه عنك .

وتؤتى للملك من تشاء بشد نطاق خدمتك ، وتترزع للملك ممن تشاء بنفيه عن بساط  
عبادتك<sup>(٢)</sup> . تؤتى للملك من تشاء بإفراذ سيره لك وتترزع الملك ممن تشاء بأن تربط قلبه  
بمخلوق ، وتمز من تشاء بأقامته بالإرادة ، وتذل من تشاء برده إلى ما عليه أهل العادة .

﴿ بيدك الخبير ﴾

ولم يذكر الشر حفظاً لأداب الخطاب ، وتجاوزاً يذكر الجليل ، وتطيراً من ذكر السوء .  
﴿ إنك على كل شيء قدير ﴾

من المحجب والجانب ، ( والنصرة )<sup>(٣)</sup> والظفان ، والأخذ والرد ، والفرق والجلب ،  
والقبض والبسط .

قوله جل ذكره : ﴿ توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت  
وتخرج الميت من الحي ، وترزق من تشاء بغير حساب ﴾

(١) الطوارق في اللغة ما يطرق بالليل ، وروى عن النبي (ص) أنه كان يدعو : « وأهوذ بك من تر  
طوارق الليل والنهار إلا طارقتا بطرق بخير » .  
ومن معنى الشايخ : يطرق مسمى علم من علوم أهل الحقائق فلا أذهه أن يدخل قلبه إلا بعد أن أحسنه  
على الكتاب والسنة . ( الفقه الطوسي ص ٤٢٢ ) .  
(٢) وردت ( عبادك ) والأصوب أن يقال ( عبادتك ) لأن العبودية لا تنفي عن مخلوق ، أما العباد  
فهي حالة مخصصة يمان عليها السيد أو لا يمان ، فالسيد إما في العباد أو في العادة :  
(٣) أمتقنا هذه الكلمة من عندنا حتى يتم الانسجام الداخلي للأصوب ويكون المعنى أوضح ، ونحن  
في هذه الإضافة - كدأ بنا دائماً - متبتلين التبع الذي يسلكه القشيري في مثل هذا الواضع .

تَوَلَّجَ الْبَيْلَ فِي النَّهَارِ حَتَّى يَنْتَلِبَ سُلْطَانُ ضِيَاءِ التَّوْحِيدِ فَلَا يَبْقَى مِنْ آثَارِ النَّفْسِ وَظَلَمَاتِهَا شَيْءٌ ، وَتَوَلَّجَ النَّهَارَ فِي الْبَيْلِ حَتَّى كَانَ شَمْسُ الْقُلُوبِ كُسِفَتْ ، أَوْ كَانَ الْبَيْلُ دَامَ ، وَكَانَ الصَّبْحُ فَقْدَ .

وَنَخْرُجُ الْخَى مِنَ الْمَيْتِ حَتَّى كَانَ الْفَتْرَةُ لَمْ تَكُنْ ، وَعَهْدُ الْوَصَالِ رَجَعَ فَنِيًّا ، وَعَوْدُ الْقُلُوبِ صَارَ غَضًّا طَرِيًّا .

وَنَخْرُجُ اللَّيْلَ مِنَ الْخَى حَتَّى كَانَ شَجَرَةُ الْبَرَمِ أَوْدَقَتْ شَوْكًا وَأَزْهَرَتْ شَوْكًا ، وَكَانَ الْيَأْسُ لَمْ يَجِدْ خَيْرًا ، وَلَمْ يَشْمَ رِيحًا ، وَقَلْبُ أَتَدْتَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يَوْمِنَا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

﴿ وَتَرْزُقُ مِنْ تَشَاءِ بِشِيرِ حَسَابٍ ﴾

حَقٌّ لَا ( كَدْرٌ ) <sup>(١)</sup> وَلَا جَهْدٌ وَلَا عَرَقٌ جَبِينٍ ، وَلَا تَقَبُّ يَمِينٍ . لِيْلَهُ رَوْحٌ وَرَاحَةٌ ، وَنَهَارُهُ طَرِبٌ وَبَهْجَةٌ ، وَسَامَاتُهُ كَرَامَاتٌ ، وَلُحْظَاتُهُ قُرْبَاتٌ ، وَأَجْنَسُ أَفْصَالِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ لَا يَجْمَعُهَا لِسَانٌ ، وَلَا يَأْتِي عَلَى اسْتِقْصَاءِ كُنْهَيْهَا عِبَارَةٌ وَلَا يَبَانُ .

وَفِيهَا لَوْحَانٌ مِنْ ذَلِكَ تَتَبِعُهُ عَلَى طَرِيقِ كَيْفِيَةِ الْإِفْصَاحِ عَنْهُ .

وَيَقَالُ لِمَا قَالُ : « وَتَرْزُقُ لِلَّذِي مِنْ تَشَاءِ أَنْ كَسَرَ حُزْنَ كُلِّ غُلَامٍ أَنَّهُ سَيَكُ لَأَنَّهُ شَهِيدٌ مَلِكُهُ يَرْضُ الْفَزَا وَالْقَلَمُ أَنَّ التَّنْذَالَ إِلَيْهِ فِي اسْتِقْصَاءِ مَلِكِهِ أَوَّلَى بِهِ مِنَ الْإِجْهَابِ وَالْإِدْلَالِ .

وَيَقَالُ الْمَلِكُ فِي الْحَقِيقَةِ — مَنْ لَا يَشْفُهُ شَيْءٌ بِالْأَلْفَنْتِ إِلَيْهِ عَنْ شَهُودٍ مِنْ هُوَ لِلَّذِي عَلَى الْحَقِيقَةِ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ لَا يَتَّخِذُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

مِنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ لِلْوَالِدَةِ فِي اللَّهِ وَالْمَعَادَةِ فِي اللَّهِ .

وَأَوَّلَى مَنْ تَسْمُوهُ الْمَجْرَانِ وَالْإِعْرَاضَ عَنْ الْكُفَرِ — تَفْسُكُ ؛ فَإِنَّهَا مَجْبُودَةٌ عَلَى

(١) نَجَحَ أَنْهَا ( كَدْرٌ ) بِدُونِ رَاءٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ ظَلَمْنِي بِتَعْبِلِ كَلِمَتِهِ .

المجوسية حيث تقول : لى ومنى وبى<sup>(١)</sup> ، وقال الله تعالى . « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ<sup>(٢)</sup> » .

وإن الإيمان فى هذه الطريقة عزيز ، ومن لا إيمان له بهذه الطريقة من العوام — وإن كانوا قد بلغوا من الزهد والجهد مبلغاً عظيماً — فليسوا بأهل لمواالاتك ، والشكل بالشكل أليق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَ »  
ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير ﴿

صحبة الحق سبحانه وقربته لا تكون محروقة بصحبة الأضداد وقربتهم — ألبتة .  
« ويحذركم الله نفسه » : هذا خطاب للخواص من أهل المعرفة ، فأما الذين زلت رُكبتهم من هذا فقال لهم : « واقفوا النار التي . . . » وقال : « واقفوا يوماً ترجعون . . . » إلى غير ذلك من الآيات .

ويقال : « يحذركم الله نفسه » أن يكون عندكم أنكم وصلتم ؛ فإن خفايا المكر تنترى الإكابر ، قال فاعلمهم :

وَأَمِنْهُمْ فَاثْبَحْ لِي مِنْ مَأْمِيْ مَكْرًا ، كَذَا مِنْ يَأْمَنِ الْأَحْبَابِ

ويقال « يحذركم الله نفسه » لأن يجري فى وهم أحد أنه يصل إليه مخلوق ، أو يسطأ بساطاً الميز قدّم همه بشر ، جلّت الأحذية وهرّت !  
وإن من ظن أنه أقربهم إليه فى الحقيقة أنه أبعدهم عنه .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنْ تَحْسَبُوا مَأْمِيْ صُدُّوكُمْ عَنْ تَابِعِهِ »  
يلمه الله ويعلم ما فى السموات

---

(١) وإلى هذا يشيرون حين يقولون ( التوحيد إسقاط الابدات ) الرسالة ص ١٤٩ . لأن التوحيد الحق لا يتفق شعورك بما سوى الشُّعْد ، ولكن النفس مجبولة على الدعوى . وهذا شرك خفى .  
(٢) سورة التوبة آية ١٢٣ .

وما في الأرض والله على كل شيء

قدير ﴿

لَا يَزُبُّ مَلُومٌ عَنْ عِلْمِهِ ، فَلَا تَحْتَسِمُ مِنْ نَازِلَةِ بَيْتِ سَوْدَةَ ، فَمَنْ قَرِيبَ سَيِّئَاتِكَ الْفَوْتُ  
وَالْإِجَابَةُ ، وَعَنْ قَرِيبِ سِزُولِ الْبَلَاءِ وَالْمَحَنَةِ ، وَيَسْجُلُ الْمَدَدَ وَالْكَفَايَةَ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ  
خَيْرٍ مُخَضَّرًا أَوْ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ  
لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ .

وَدَّ أَهْلُ الطَّلَاعَاتِ أَنْ لَوْ اسْتَكْتَرُوا مِنْهَا ، وَدَّ أَهْلُ الْخَالَاتِ أَنْ لَوْ كَبَحُوا لَجَاهِمٍ عَنْ  
الرَّكْضِ فِي مَيَادِينِهِمْ ، قَالَ تَائِلُهُمْ :

وَلَوْ أَنِّي أُعْطِيتُ مِنْ دَهْرِي النَّفْيَ وَمَا كُلُّ مَنْ يُنْعَلِي لِلِّي بِمُسْتَدِرٍّ  
لَقُلْتُ لِأَيَّامٍ مَصْنِينَ : أَلَا أَرْجَى وَقُلْتُ لِأَيَّامٍ أَنْتَيْنِ أَلَا أَبْصِرُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَحْنَرُكُمْ اللَّهُ فَسْهُ وَاللَّهُ رَهُوفٌ  
بِالْعِبَادِ ﴾ .

الإشارة من قوله : « ويحنركم الله نفسه » للعارفين ، ومن قوله « والله رهوف بالعباد »  
للمسئتين ، فهؤلاء أصحاب العنف والضوة ، وهؤلاء أصحاب التخفيف والسهولة .

ويقال لما قال : « ويحنركم الله نفسه » اقتضى أسمع هذا الخطاب نحويلهم<sup>(١)</sup> فقال  
مقرونًا به « والله رهوف بالعباد » لتحقيق تأميلهم ، وكذلك سَنَتْهُ يطمهم<sup>(٢)</sup> في  
عين ما يروهم .

ويقال أنفام بقوله « ويحنركم الله نفسه » ثم أحياهم وأبقاهم بقوله « والله رهوف بالعباد »

(١) ربما يقصد التشيرى نحويلهم من الخوف إلى الرجاء ، فيبد أن خوفهم نفس أعطهم لى رافته .

(٢) وردت ( يطمهم ) وواضح أنها خطأ لى النسخ فأصلعته بما يلائم السياق .



قوله جل ذكره: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

«تُحِبُّونَ اللَّهَ» فرق، و«يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» جمع.

«تُحِبُّونَ اللَّهَ» مشوب بالعلّة، و«يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» بلا علّة، بل هو حقيقة الرصلة. وعجبة العبد لله حالة لطيفة يجدها من نفسه، وتحمله تلك الحالة على موافقة أمره على الرضا دون الكراهية، وتقتضى منه تلك الحالة إثاره — سبحانه — على كل شيء وعلى كل أحد. وشرط المحبة ألا يكون فيها حظٌ بحال، فَنَ لَمْ يَفْنَ عَنْ حَظْوَلِهِ بِالْكَلْبَةِ فَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْمَحَبَةِ شَيْئَةٌ.

وعجبة الحق للعبد إرادته إحسانه إليه ولطفه به، وهي إرادةُ فضلٍ مخصوص، وتكون بمعنى ثناءه سبحانه عليه ومداحه له، وتكون بمعنى فضله الخصوص معه، فعلى هذا تكون من صفات فضله.

ويقال شرط المحبة امتناع كلينك عنك لاستهلاكك في محبوبك، قال قائلهم.

وما الحب حتى تنزف العين بالبكا وتخرس حتى لا تنجيب للناديا

وهذا فرق<sup>(١)</sup> بين الحبيب والخليل؛ قال الخليل: «فمن تبعني فإنه مني».

وقال الحبيب: «أتابعوني يحبكم الله».

فإن كان مُتَّبِعُ الخليل «منه» إفضالاً فإن متابع الحبيب محبوب الحق سبحانه، وكفى بذلك قرينة وحالا.

ويقال قطع أطلع الكافة أن يسلم لأحد نفس إلا ومقتدام وإمامهم سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم.

ويقال في هذه الآية إشارة إلى أن المحبة غير مملولة وليست باحتلاب طاعة، أو التجرد

(١) وردت (فراق) وهي خطأ من الناسخ، إذ المراد التفرقة بين موقف المصطفى (ص) وإبراهيم عليه السلام.

عن آفة لأنه قال يحبكم الله ويفرلکم ذنوبکم ، بین أنه يجوز أن يكون عبد له فنون كثيرة ثم يحب الله ويحبّه الله .

ويقال قال أولاً : « يحبكم الله » ثم قال : « ويفرلکم ذنوبکم » والوار تقتضى الترتيب ليُعلم أن المحبة سابقة على الغفران ؛ أولاً يحبهم ويحبونه (وبعد) يفر لهم ويستغفرونه ، فالمحبة توجب الغفران لأن الغفر يوجب المحبة .

والحبة تشير إلى صفاء الأحوال ومنه حبب الأسنان<sup>(١)</sup> وهو صفائها .

والحبة توجب الاعتكاف بمحضرة المحبوب في السر .

ويقال أحب البعير إذا استنأخ فلا يروح بالضرب .

والحب حرفان حاء وباء ، والإشارة من الحاء إلى الروح ومن الباء إلى البدن ، فأُحب لا يدخر عن محبوبه لا قلبه ولا بدنه .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا

فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

أمرهم بالطاعة ثم قال : « فَإِنْ تَوَلَّوْا » أى قَصَرُوا فى الطاعة بأن خالفوا ، ثم قال : « فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ » لم يقل العاصين بل قال الكافرين ، ودليل الخطاب أنه يحب المؤمنين وإن كانوا عصاة<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا اللَّهُ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ

إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

خزية بعضها من بعض والله

صميع عليهم ﴿

اتفق آدم وخزيته فى الطينة ، وإنما الخصوصية بالاصطفاء الذى هو من رتبته ، لا بالسبب ولا بالسبب .

(١) وردت (الإنسان) وهى خطأ من النسخ (أنظر الرسالة ص ١٥٨) .

(٢) فالؤمن العامى مثله بين المرتبين : الإيمان والكفر - فى نظر الشفيعى المتكلم .

قوله جبل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَفَثْتُ لَكَ مَالِي بَطْنَى عَمْرَأً فَقَبِّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾  
فلما وضعتها قالت رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ، وَإِنِّي نَعَيْتُهَا مَرِيضًا وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝

المحرر الذي ليس في رقبته شيء من الخلفات ، حرّره الحق سبحانه في سابق حكمه عن رق الاشتغال بجميع الوجود والأحوال . فلما نذرت أم مريم ذلك ، ووضعتها أنثى خجلت ، فلما رأتها قالت « رب إني وضعتها أنثى » وهي لا تصلح أن تكون محرراً فقال تعالى : « والله أعلم بما وضعت » ولم يردّ ليس الذكر كالأُنثى في الظاهر ، ولكن إذا تقبلها الحق سبحانه وتعالى - طلع عنها كل أعوبة .

ولما قالت «إني نذرت لك ما في بطني محرراً» قالت «فَتَقَبَّلَ مِنْي» باستجاب ، وظهرت آثار القبول عليها وعلى ابنها ، ونجا بحديتها عالم ، وهلك بسببها عالم ، ووقعت الفتنة لأجلهما في عالم .

قالت : « وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وخزيها من الشيطان الرجيم » استجارت بالله من أن يكون للشيطان في حديثها شيء بما هو الأسهل ، لتعلم مريم به من أحكام القلوب .

قوله جل ذكره: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾

حيث بلغنا فوق ما خُفَّتْ أُمها ، ويقال تقبُّلًا بقبول حسنٍ حتى أُرْدمها لطاعته ، وتولّاهما بما تولّى به أولياءه ، حتى أفضى جميع من في عصرها العجَب من حُسْن توليه أمرها ، وإن كانت بنتًا .

ويقال القبولُ الحسنُ حينُ تربيته لها مع علمه — سبحانه — بأنه يُقال فيه بسببها ما يُقال ، فلم يُقال بِقِيح مقال الأعداء .

أجد الملامة في هوائكَ لذينةً حُبًّا لذكرك فليلغنى اللومُ  
وكما قيل :

ليقل من شاء ما شاء طمئ لا أبالي

ويقال القبول الحسن أن ربها على نعت الصفة حتى كانت تقول : « إني أهوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا » .

« وأنبأها نبأًا حسنًا » حتى استقامت على الطاعة ، وآثرت رضا — سبحانه — في جميع الأوقات ، وحتى كانت الثمرة منها مثل عيسى عليه السلام ، وهذا هو النبات الحسن ، وكفلها زكريا . ومن القبول الحسن والنبات الحسن أن جبل كافلها والقيّم بأمرها وحفظها نبيا من الأنبياء مثل زكريا عليه السلام ، وقد أوحى الله إلى داود عليه السلام : « إني رأيت لى طالبًا فكن له خادما » .

قوله جل ذكره : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ

وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۚ قَالَ : يَا مَرْيَمُ

أَنَّى لَكَ هَذَا ؟ ۖ قَالَتْ : هُوَ مِنِّي

عِنْدَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِرِزْقٍ مِّنْ يَّشَاءُ

بَغِيرِ حِسَابٍ ۝۲۰۰

من أمارات القبول الحسن أنها لم تكن توجد إلا في المحراب ، ومن كان مسكنه وموضعه الذي يتمبّد فيه وهناك يوجد المحراب — فذلك حَبْدٌ عزيز .

ويقال من القبول الحسن أنه لم يطرح أمرها كَلَّةً وشغلها على زكريا عليه السلام ، فكان إذا دخل عليها زكريا لينهدها بطعام وجدَّ عندها رزقًا لِيَلْمَ المامون أن الله — سبحانه — لا يُلْقِي شَقْلَ أوليائه على غير<sup>(١)</sup> ، ومن خدم وليًا من أوليائه كان هو في رفق الولي لا إنه

(١) وردت على (عين) وهي خطأ في النسخ .

تكون عليه مشقة لأجل الأولياء . وفي هذا إشارة لمن يخضع للقراء أن يعلم أنه في رفق القراء .  
ثم كان ذكرها عليه السلام يقول : **أُتِيَ لَكَ هَذَا ؟** لأنه لم يكن يعتقد فيها استحقاق تلك  
للنزلة ، وكان يخاف أن غيره ينلها ويتميز بفرصة تمهدها ويسبقه بكفاية شغلها ، فكان يسأل  
ويقول : **أُتِيَ لَكَ هَذَا ؟ ومن أنا ؟**

وكانت مريم تقول : هو من عند الله لا من عند مخلوق ، فيكون ذكرها فيه راحتان :  
إحداها شهود مقامها وكرامتها عند الله تعالى ، والثانية أنه لم ينلها أحد على تمهدها ، ولم يسبق  
به . قوله **« كما دخل عليها ذكرها الحراب »** فلغة كَلِمًا للتكرار <sup>(١)</sup> وفي هذا إشارة : وهو أن  
ذكرها عليه السلام لم يَدْرُ تَعَهْدَهَا — وإن وجب عندها رزقاً — بل كل يوم وكل وقت كان  
يتنقذ حالها لأن كرامات الأولياء ليست مما يجب أن يدوم ذلك قطعاً ، فيجوز أن يظهر الله  
ذلك عليهم دائماً ، ويجوز ألا يظهر ، فإكان ذكرها عليه السلام يستمد على ذلك فيترك تفقد  
حالتها ، ثم كان يُجَدِّدُ السؤال عنها بقوله : **« يا مريم أُتِيَ لَكَ هَذَا ؟ »** لجواز أن يكون الذي  
هو اليوم لا على الوجه الذي كان بالأمس ، فإنه لا واجب على الله سبحانه <sup>(٢)</sup> .

وقوله : **« إن الله يرزق من يشاء بغير حساب »** إيضاح عن عين التوحيد ، وأن رزقه  
للمباد ، وإحسانه إليهم يقتضى مشيئته ، دون أن يكون مُسَلَّلاً بطاعتهم ووسيلة عبادتهم .

قوله جل ذكره : **« هُنَاكَ دعا ذكرها ربّه قال ربّ هَبْ**

**لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ**

**سَمِيعُ الدُّعَاءِ »**

أى لما رأى كرامة الله سبحانه معها ازداد يقيناً على يقين ، ورجاء على رجاء ، فسأل الولد  
على كبر سنّه ، وإجابته إلى ذلك كانت قطعاً للمادة .

(١) أتى لتكرار زيارة ذكرها لها مرة بعد مرة .

(٢) هنا إشارة دقيقة تتصل بمذهب الشورى — الذى يخالف المنزلة — أنه لا وجوب على الله في إجابة  
الطبع ، لأن طاعة الطبع ليست زينة ، ومصيبته ليست شيناً ، وإنما المولى عليه فضل الله وهذا  
لا حاجة له ، ولا وجوب على الله فيه .

ويقال إن ذكرى عليه السلام سأل الولدَ ليكونَ عوناً له على الطاعة ، ووارثاً من نَسْله في النبوة ، ليكونَ قائماً بحقِّ الله ، فلذلك استحقَّ الإجابة ؛ فإن السؤال إذا كان لحقِّ الحقِّ — لا لحظِّ النفسِ — لا يكون له الردُّ<sup>(١)</sup>.

وكان ذكرى عليه السلام يرى الفاكهة الصيفية عند مريم في الشتاء ، وفاكهة الشتاء عندها في الصيف ، فسأل الولد في حال الكِبَر ليكون آية ومعجزة .

قوله جل ذكره : ﴿ فَتَذَكَّرْهُ لِّلْآيَةِ ﴾ وهو قائمٌ يُصَلِّي في الحراب .

لما سأل السؤال ، ولازم الباب أُنْتُهِتْ الإجابة .

وفيه إشارة إلى أن من له إلى اللوك حاجة ضليه بملازمة الباب إلى وقت الإجابة .

ويقال حكم الله — سبحانه — أنه إنما يقبل بالإجابة على من هو مُعَاتِقٌ لخدمته ، فأما مَنْ أَعْرَضَ عن الطاعة ألقاه في ذُلِّ الوحشة .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبْشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحْصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

قيل سمَّاه يحيى لحياة قلبه بالله ، ولسان التفسير أنه حي به غفر أنه .

ويقال إنه سبب حياة من آمن به بقلبه .

قوله : مصدقاً بكلمة من الله : أن تصديقه بكلمة « الله » فيما تعبد به أو هو مكوِّن بكلمة الله .

وقوله « وسيداً » : السيد من ليس في رق مخلوق ، تحرَّرَ عن أسر هواه وعن كل مخلوق ، ويقال السيد من تحقق بملوئته سبحانه ، ويقال السيد من ألقى أهل عصره ، وكذلك كان يحيى عليه السلام .

---

(١) الرد هنا معناه الرد .

ويقال سيد لأنه لم يطلب لنفسه مقاماً ، ولا شاهدَ لنفسه قدراً . ولما أخلص في تواضعه  
 لله بكل وجه رَفَّاه على الجملة ، وجهه سيداً للجميع .

وقوله « وحسورا » أى مُتَمَتِّعاً من الشهوات ، مكفياً أحكام البشرية مع كونه من جملة  
 البشر . ويقال متوقفاً عن المطالبات ، مانفاً نفسه عن ذلك تعززا وتقربا ، وقيل منعه  
 استتصالات بواده الحقائق عليه فلم يبق فيه فضلٌ لحظ .  
 « ونبييا من الصالحين » أى مستحقا لبلوغ رتبهم .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ رَبِّ أُنِّى يَكُون لى غلام  
 وقد بلغنى الكِبَرُ وامرأى طافِرُ  
 قال كذلك الله فضل ما يشاء ﴾ .

قيل كان بين سؤاله وبين الإجابة مدة طويلة ولذلك قال : أُنِّى يكون لى غلام ؟

ويحتمل أنه قال : بأى استحقاقى مى تكون لى هذه الإجابة لولا فضلك ؟

ويحتمل أنه قال أُنِّى يكون هذا : أعلى وجه النبى أم على وجه التناسل ؟

ويحتمل أنه يكون من امرأة أخرى سوى هذه التى طنفت فى السن أو من جهة  
 التشرى بمملوكة ؟ أم من هذه ؟

قيل له : لا بل من هذه ؛ فإنك تاسيتا وحشة الافراد معا ، فكذلك تكون بشارة  
 الولد لكما جيما .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ رَبِّ أَجَل لى آية قال آيتك

ألا تُكَلِّم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ﴾

طلب الآية ليعلم الوقت الذى هو وقت الإجابة على التمين لا لئلك له فى أصل الإجابة .

وجعل آية ولايته<sup>(١)</sup> فى إمساك لسانه عن المخلوقين مع انطلاقها مع الله بالتسبيح ، أى  
 لا تمتنع عن خطابى فإنى لا أمنع أوليائى من مناجائى .

(١) وردت (دلائل) وقد تكون مقبولة فى المعنى أيضا .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَاكَ كَثِيرًا﴾ .

يقبلُك ولما نك في جيع أوقاتك .

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالْإِبْرَارِ﴾ .

في الصلاة النائية .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ

أَصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى

نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ .

يجوز أن يكون هذا ابتداء خطاب من الملائكة على مريم من قبيلهم رضا بشأنها ، ويجوز أن تكون قد سمعت كلامهم وشاهدتهم ، ويجوز أنها لم تشاهدهم وأنهم هتفوا بها : إن الله اصطفاك بتنفيذك ، وإفرادك من أشكالك وأنداك ، وطهرتك من الفحشاء والمعاصي بمجيب المصيبة ، وعن مباشرة الخلق<sup>(١)</sup> ، وأصطفاك على نساء العالمين في وقتك .

وثالثة تكرار<sup>(٢)</sup> ذكر الاصطفاء : الأول اصطفاك بالكرامة والمنزلة وعلو الحالة والثاني اصطفاك بأنَّ حَلَّتْ بِمِيسَى عليه السلام من غير أب ، ولم تشبهك امرأة — ولن تشبهك — إلى يوم القيامة ، ولذلك قال « على نساء العالمين » .

قوله جل ذكره : ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي

مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ .

لازمي بساط العبادة ، وداومي على الطاعة ، ولا تقصري في استدامة الخدمة ، فكما أفردك الحق بمقامك ، كوني في عبادته أو حد زمانك .

قوله جل ذكره : ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ

(١) ربما قصد التشير من ذلك أنه أجدها من أن ياترها الزوج شأن نساء العالمين .

(٢) لاحظ كيف يلتصق التشيرى معنى متجدداً لكثرة تكرره بلفظها — لأنه لا يرى أن في القرآن تكراراً إلا لافاع متجدد .



وما كنتَ لديهم إذ يُلقون  
أقلامهم أيهم يكفلُ مريمَ وما كنتَ  
لديهم إذ يمتصون ﴿

أى هذه القصص نحن عرفنا كماو (خا) طينك يمانها ، وإن قصصنا نحن عليك  
هذا — فمزيءُ خطابنا ، وأعرُ وأُم من أن لو كنتَ مشاهداً لها .

قوله جل ذكره : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله  
يُبشرك بكلمة منه اسمه المسيح  
عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا  
والآخرة ومن المقربين . وَيُكَلِّمُ  
الناسَ في المهدِ وكهلاً ومن  
الصلحين ﴾

لم يُبشرها بنصيب لها في الدنيا ولا في الآخرة من حيث المخطوط ، ولكن بشرها  
بما أثبت في ذلك من عظيم الآية ، وكونه نبياً لله مؤيداً بالمعجزة .

ويقال عرفها أن من وقع في تغليب القدرة ، وانتهى عند حكمة يلقى من عجائب القدرة  
مالاً عهد به لأحد . ولقد عاشت مريم مدةً يجمّل العيب ، والاشتهار بالفة ، فشوش  
عليها ظاهر تلك الحال بما كان عند الناس بسبب استحقاق ملام ، ولكن — في التحقيق —  
ليس كما ظنُّه الأغبياء<sup>(١)</sup> الذين سكوت أبصارهم من شهود جريان التقدير .

وقيل إنه ( . . . . . )<sup>(٢)</sup> عرفها ذلك بالتدرج والتفصيل ، فأخبرها أن ذلك  
الولد يعيش حتى يُكَلِّم الناس صبياً وكهلاً ، وأن كبد الأعداء لا يؤثر فيه .  
وقيل كهلاً بعد نزوله من السماء .

ويقال ربط على قلبها بما عرفها أنه إذا لم ينطق لسانها بذكر براعة ساحتها يُنطق الله  
عيسى عليه السلام بما يكون دلالة على صدقها وجلالتها .

(١) وردت ( الأغبياء ) والمضى والبقا يرفضانها .

(٢) مشبهة .

قوله جل ذكره: ﴿قَالَ رَبُّ أُنِّي يَكُونُ لِي قَلْدٌ

وَلَمْ يَمْسَسْ بِشَرٍّ﴾ ، قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴿

كما شاهدت ظهور أشياء ناقضة للمادة في رزقنا فكذلك ننقض المادة في خلق ولدٍ من

غير ميسر بشر .

قوله جل ذكره: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾

أَيُّ أَرَادَ إِمضَاءَ حُكْمِهِ .

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

فَلَا يَتَصَرَّ عَلَيْهِ إِهْدَاءٌ وَلَا إِشَاءٌ .

وَلَمَّا بَسَطُوا فِيهَا لِسَانَ الْمَلَامَةِ أَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ يَوْمٍ حَتَّىٰ قَالَ :

﴿أُنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بَآيَةً مِنْ رَبِّكُمْ﴾

قوله جل ذكره: ﴿وَيُنَزِّلُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ

وَالْإِنْجِيلَ﴾ ورسولاً إلى بني

إِسْرَائِيلَ أُنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بَآيَةً مِنْ

رَبِّكُمْ أُنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ

كَيْسَةً الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ

طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزَيِّدُ الْأَكْمَه

وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي لِلْمَوْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ

وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ

فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿

وَتِلْكَ آيَاتُ الظَّاهِرَةِ ، وَدَلَالَاتُ الْقَاهِرَةِ الْبَاهِرَةِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتِ ، وَإِبرَاءِ الْأَكْمَه

وَالْأَبْرَصَ ، وَالْإِخْبَارَ عَمَّا عَمِلُوهُ مُسْرِينَ بِهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعْجَزَاتِهِ . وَأَخْبَرَ أَنَّهُ

مصدق لما تقدمه من الشرائع ، ومختص بشرية تنسخ بعض ما تقدمه ، وأقرم على البعض — على ما نطق به تفصيل القرآن .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ ..... ﴾ الآية .

حين بلغهم الرسالة واختلفوا — فمنهم من صدقه ومنهم من كذبه وهم الأكثرون — علم أن النبوة لا تنفك عن البلاء وتسلط الأعداء ، فقطع عنهم قلبه ، وصدق إلى الله قصده ، وقال لقومه : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ لِيَسَاعِدُونِي عَلَى التَّجَرُّدِ لِحَقِّهِ وَالْخُلُوصِ فِي قَصْدِهِ ؟ فَقَالَ مَنْ ابْسَطَتْ عَلَيْهِمْ آثَارُ الْعَنَاءِ ، وَاسْتَخْلَصُوا بِآثَارِ التَّخْصِصِ : فَمِنْ أَنْصَارِ اللَّهِ ، أَنَا بِاللَّهِ ، وَاشْهَدْ عَلَيْنَا بِالصِّدْقِ ، وَلَيْسَ يَشْكُلُ عَلَيْكَ<sup>(١)</sup> شَيْءٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ .

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا بِمَا نُزِّلَتْ وَأَنْتُمْ بِالرُّسُولِ فَكُتِبْنَا عَلَى الشَّاهِدِينَ ﴾

وأما الباقون فجذوا في الشقاق ، وبالفوافي العداوة ، ودشوا له المكائد ، ومكروا ولكن أذاقهم الله وبال مكرم ، فتوهوا أنهم صلبوا عيسى عليه السلام وقتلوه ، وذلك جهل منهم ، وكبى عليهم . فله — سبحانه — رفع عيسى عليه السلام بيه ووليّه ، وحق الطرد والأمن على أعدائه ، وهذا مكروه بهم :

﴿ وَمَكُرُوا وَكَمَرُوا لِلَّهِ ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ

الْمَاكِرِينَ ﴾

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ الإشارة<sup>(٢)</sup> فيه إلى متوفيك عنك ، وقابضك منك ، ورافضك من نعت البشرية ، ومطهرك من إرادتك بالكلية ، حتى تكون مُصرِّفاً بنالناً ، ولا يكون عليك من

---

(١) ترجح أنها في الأصل : و يشك ( علينا ) شيء مما نحن فيه ، لأن هذا الترجيح يتولى المنى ، إذ يفصح عن مدى صحة إيمانهم ، أما إذا كانت ( عليك ) فيكون المنى أن أنصاره طأنوه عن أنفسهم ، وطلبوا إليه ألا يشكلك ( عليه ) أمر من أمورهم ، بدليل ما أفصحوا عنه في الآية التالية .

(٢) تختم هذه الإشارة في إبراز وتدعيم واحدة من أخطر قضايا الفكر الديني .

اختيارك شيء ، ويكون إسماعيل التولى عليك قائماً عليك . وهذا الوصف كان يظهر على يده إحياء الموتى ، وما كانت تلك الأحداث حاصلة إلا بالقدره — جَلَّتْ .  
ويقال طهر قلبه عن مطالمة الأغبيار ، ومشاهدة الأمثال والآثار ، في جميع الأحوال والأطوار .

﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

بالنصرة والقهر والحجة .

ومنبهوه مَنْ لَمْ يُبَدِّلْ دِينَهُ وَمَنْ هُوَ عَلَى عَقِيدَتِهِ فِي التَّوْحِيدِ — وهم المؤمنون ، قَبْلَهُمْ عَلَى الْحَقِّ ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَمْ النَّصْرَةَ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ بِحُكْمِ — يَوْمِ الْقِيَامَةِ — بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ . فَأَمَّا الْكَافِرُ فِي الْحُجُبِ وَأَمَّا لِلْمُؤْمِنِ فِي النِّعَمِ .

قوله جل ذكره : ﴿ ذَكَرْكَ تَلَوَّهَ عَلَيْكَ مِنْ الْآيَاتِ

وَالذِّكْرُ الْحَكِيمِ ﴾

ذَلِكَ تَلَوَّهَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّد ، نَزَّلَكَ مَعَانِيَهُ بِمَا نَوَحَى إِلَيْكَ ، لَا بِتَكَلُّفِكَ مَا تَصِلُ إِلَى عَلَيْهِ ، أَوْ يَتَلَفَّكَ مِنَ الْأَمْثَالِ ، أَوْ اسْتِبْطَاطِكَ مَا تَنْزِعُ مِنَ الِاسْتِدْلَالِ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ

آدَمَ ... ﴾ الْآيَةُ

خَصَمَا<sup>(١)</sup> بتطهير الروح عن التناسخ في الأصلاب وأفرد آدم بصفة البدء ، وعيسى عليه السلام بتخصيص فسخ الروح فيه على وجه الإعزاز ، وهما وإن كانا كبيرى الشأن فنقص الحدثنان والمخلوقية لازم لهما :

﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

قوله جل ذكره : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ... ﴾ الْآيَةُ

(١) وودت ( خصما ) والمصحيح خصمها لمودة الفضل على آدم وعيسى عليهما السلام . ٨٠

الحق من ربك يا محمد ، فلا تُشكَّنْ في أنه — سبحانه — لا يئله في الإيجاد أحدٌ ، ولا على إثبات يئنه لخلق قدرة . والموجودات التي ( . . . )<sup>(١)</sup> وجودها من كتم العدم — من الله مبدؤها وإليه عودها .

قوله جل ذكره : ﴿ فَنَحْنُ حَاجِبُكَ فِيهِ . . . . . ﴾ الآية

يعنى بعدما ظهَّرت على صدق ما يقال لك ، وتَحَقَّقَتْ بقلبك معرفة ما خاطبك ، فلا نخشع من حلمهم على المباهة ، وثق بأن لك الفهر والنصرة ، وأننا توليناك ، وفي كنف قُرْبنا آويناك ، ولو أنهم رغبوا في هذه المباهة لأحرقت الأودية عليهم نيراناً موجبة ، ولكن أخر الله — سبحانه — ذلك عنهم لعله يبنّ في أصلاهم من المؤمنين<sup>(٢)</sup> .

والإشارة في هذه الآية لِمَنْ نزلت حالته عن أحوال الصديقين ، فإنه إذا ظهرت أنوارهم انقضت آثار هؤلاء فلا إقرار ، ولا عنهم آثار .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ هَذَا لَمَوْ الْقَصَصِ الْحَقِّ ﴾

لا ينسلط على شواهد التوحيد غبار شبهة ، ولا يدرك سر حكمة وم<sup>(٣)</sup> مخلوق ، ولا يدانيه معلوم يحصره الوجود ، أو موهوم يصوره التقدير<sup>(٤)</sup> .

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ الْفٰسِدِينَ ﴾

فإن تولوا — يا محمد — فإنه لا ثبات عند شعاع أنوارك لشبهة مبطل .

« فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ الْفٰسِدِينَ » إمّا يحتاجهم<sup>(٥)</sup> ، أو يحل<sup>(٦)</sup> حتى إذا استمكنك ظنوتهم يأخذهم بقتة وهم لا يتصرون .

(١) مشبهة .

(٢) هنا تحليل بمعنى الإيهال المحالين .

(٣) وردت ( وهو ) ومى خطأ من الناسخ ، وتنظ أن الأصل ( وم ) وهي مناسبة لسياق .

(٤) لقشبرى عبارة في نفس الموضوع وردت في متبل رسالت : « وكل ما تصوره الأوهام فاته بخلاف ذلك » .

(٥) وردت ( يحتاجهم ) ومى خطأ من الناسخ .

(٦) وردت ( ويحكم ) والملائم للمنى ( أو يحل ) من الحلم ، ويكون للمنى على هذا الأساس أنه إما أن يسجل بانتظام فيحتاجهم أو يحلهم بحله ثم يشتم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ

سواء بيننا وبينكم .... ﴾ الآية

هي كلمة التوحيد وإفراد الحق سبحانه في إنشاء الأشياء بالشهود .

وقوله : « ألا نعبد إلا الله » : لا تطالع بغيرك خلقاً . وكما لا يكون غيره معبودك فينبغي ألا يكون غيره مقصودك ولا مشهودك ، وهذا هو اتقاء الشرك ، وأنت أول الأغيار الذين يجب ألا تشهدم .

« ولا تتخذ بعضنا بعضاً أرباباً » ويظهر صدق هذا بترك الملح والتم لم .

ونفي الشكوى والشك عنهم ، وتنظيف السر عن حساب فرة من المحر والاثبات منهم قال صلى الله عليه وسلم « أصدق كلمة قالها العرب قول لبيد » .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل<sup>(١)</sup>

فإن الذي على قلوبهم من الشقاق أشد . وأما أهل البداية فالأمر مُصَيَّقٌ عليهم في الوظائف والأوراد ، فسيبيلهم الأخذ بما هو الأشق والأصعب ، فتراغم بقلوبهم من الممانى<sup>(٢)</sup> ، فن ظن بخلاف هذا قد غلط .

والإشارة من هذه الآية أيضاً في قوله جل ذكره :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّمَا نُمَلِّكُمْ

فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية .

ضرب على خليله — صلوات الله — قلب الضنة وحجاب الغيرة ، قطع سببه من جميعهم بعد ادعاء الكل فيه ، وحكم بتعارض شُبُهَانِهِمْ ، وكيف يكون إبراهيم — عليه السلام — على دين من أتى بعده ١٩ إن هذا تناقض من القن .

ثم قال :

﴿ هَآؤُنْكُمْ هَلْوَءَ سَابِغَتُمْ فَيَا لَكُمْ

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة .

(٢) المصود من ( الممانى ) هنا كل ما تميل إليه النفس ، والنفس على المخلوقات .

به علم ، فَلَمْ تُجَاجِرْ فِيهِ لَيْسَ لَكُمْ  
علم ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾

يعنى ما كان فى كتابكم له بيان ، ويصح أن يكون لكم عليه برهان ، فَخَصَّصَهُمْ فى ذلك  
إِنَّمَا يَحِقُّ وَإِنَّمَا يَبَاطِلُ ، فالذى ليس لكم ألبنة عليه دليل ولا لكم إلى معرفته سبيل فكيف  
تصدقهم للحكم فيه ، وأدعاه الإحاطة به ١٤

قوله جل ذكره : ﴿ مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا  
وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾

الحنيف للستقيم على الحق ، والأحنف هو للمستقيم فى حلقة الرجل ، ويسمى ماثل التدم  
بنك على التناول<sup>(١)</sup> . وإبراهيم عليه السلام كان حنيفاً لا مائلاً عن الحق ، ولا زائغاً عن الشرع ،  
ولا مَعْرِجاً على شئ فيه نصيب للنفس ، فقد سَلَّمَ مَالَهُ وَنَفْسَهُ وَوَلَدَهُ ، وما كان له به جملة —  
إلى حكم الله وانتظار أمره .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلدِّينِ  
أَتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا ،  
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

لما تفرقت الأهواء والبديع وصار كل حزب إلى خطأ آخر ، بقى أهل الحق فى كل عصر  
وكل حين وقت على الحجة المثل ، فكانوا حزباً واحداً ، فبعضهم أولى ببعض . وإبراهيم  
صاحب الحق ، ومن دان بدينه — كمثل رسولنا صلى الله عليه وسلم وأمنه — على الدين الذى  
كان عليه إبراهيم عليه السلام وهو توحيد الله سبحانه وتعالى .

﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، لأنهم تولوا دينه ، ووافقوا توحيده ، وولاية الله إنما تكون  
بالؤمن والنصرة والتخصيص والقرية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
لَوْ يَضُلُونَكُمْ وَمَا يَضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾

من حلت به فتنة ، وأصابته محنة ، واستهوته غواية — رضى لجميع الناس ما حل به ،

(١) فكلية حنيف من الأضداد = مستقيم وماثل .

فَأَهْلَ الْكِتَابِ يَرِيدُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَزِيغُوا عَنِ الْحَقِّ ، وَلَكِنْ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَمَّ نُوْرُهُ ،  
وَأَنْ يَسُوْدَ إِلَيْهِمْ وَبِالْغُلَامِ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ  
بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾

قِيلَ<sup>(١)</sup> بعنه — صلى الله عليه وسلم — على صحة نبوته<sup>(٢)</sup> ، فما الذى يحملك على غيكم  
حتى جحدتم ما علمتم ؟

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ  
بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ ﴾

تكتُمون الحق في شأن محمد عليه السلام وأنتم تعلمون أنه النبي الصادق ، وهل هذا  
إلا حكم الخذلان وقضية الحرمان ، ثم أخبر أن منهم من ينافق في حالته ، فيريد أن يدفع عنه أذى  
المسلمين ، ولا يخالف إخوانه من الكافرين ، فتواصوا فيما بينهم بموافقة الرسول عليه السلام  
والمسلمين جهراً ، والخلوص في عقائدهم الفاسدة بعضهم مع بعض سراً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَتَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا  
وَجْهَ النَّهَارِ وَآكَفَرُوا آخِرَهُ لِمَلِهِمْ  
يَرْجِعُونَ ﴾

فبين الله سبحانه أن تفاقم كُشْفِ للمسلمين ، وأن ذلك لا ينشئهم أمراً في الدنيا فلاطلاع  
الله نبيه عليه السلام والمؤمنين — عليه ، وأمراً في الآخرة فَلِفَقْدِ إِيْخْلَاصِهِمْ فِيهِ .  
قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَزِمُوا لِلْإِلَهِينَ نِعَ دِينِكُمْ ﴾ الآية .

---

(١) في ص ( قيل ) وهي خطأ في النسخ ، ويكون المعنى أتم — يا أهل الكتاب — تشهدون قبل بعنه  
على صحة نبوته ...  
(٢) في ص ( نبوة ) وهي خطأ في النسخ .



يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا ابْتِدَاءً أَمْرٍ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَالْإِشَارَةُ فِيهِ أَلَّا تَعَاثَرُوا الْأَعْدَادَ ، وَلَا تَقْتَرُوا أَسْرَارَكُمْ لِلْأَجَانِبِ .

﴿ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾

فَهُوَ الَّذِي يُخْتَصُّ مِنْ يَشَاءُ بِأَتَوَارِ التَّعْرِيفِ ، وَيُخْتَصُّ مِنْ يَشَاءُ بِالْغُلْزَانِ وَالْحُرْمَانِ .

قوله جل ذكره : ﴿ يُخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

يُخْتَصُّ مِنْ يَشَاءُ بِغُفْرَانِهِ ، فَالْرَّحْمَةُ عَلَى هَذَا سَبَبٌ لِتَخْصِيسِ النِّعَةِ لِمَنْ أَرَادَهُ . وَلَا بُدَّ مِنْ إِضْهَارِ فَيْحْتَمَلُ أَنْ يُخْتَصَّ بِالرَّحْمَةِ مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَجْرِي الرَّحْمَةُ بِجَرَى السَّبَبِ فَالرَّحْمَةُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ تَكُونُ بِمَعْنَى التَّيْبَةِ وَتَكُونُ بِمَعْنَى الْوَلَايَةِ .

وَبِمَعْنَى الْعَصَةِ وَجَمِيعِ أَقْسَامِ الْخَلِيقَاتِ الَّتِي يُخْتَصُّ — بِشَيْءٍ مِنْهَا — عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ ، فَيَدْخُلُ تَحْتَ قَوْلِهِ : يُخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ ، أَيْ بِنِسْبَتِهِ .

فَقَوْمٌ اخْتَصَّ بِنِعْمَةِ الْأَخْلَاقِ وَقَوْمٌ اخْتَصَّ بِنِعْمَةِ الْأَرْزَاقِ ، وَقَوْمٌ اخْتَصَّ بِنِعْمَةِ الْعِبَادَةِ وَآخَرِينَ بِنِعْمَةِ الْإِرَادَةِ ، وَآخَرِينَ بِتَوْفِيقِ الظُّوَاهِرِ وَآخَرِينَ بِعَطَاءِ الْأَشْيَارِ ، وَآخَرِينَ بِعَطَاءِ الْأَسْرَارِ ، قَالَ تَعَالَى : « وَإِنْ تَدَاوَى نِعْمَةُ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا » .

وَيُقَالُ لَمَّا مَحْمُودٌ قَوْلُهُ : « يُخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ » ، عَلِمُوا أَنَّ الْوَسَائِلَ لَيْسَتْ بِهَادِيَةٍ (١) ، وَلِنَا الْأَمْرَ بِالْإِبْتِدَاءِ وَلِلشَّيْئَةِ .

وَيُقَالُ يُخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ بِأَلْفِهِمْ عَنْهُ فَمَا يَكْتَفِيهِ بِهِ مِنَ الْأَسْرَارِ وَيُلْقِيهِ إِلَيْهِ مِنْ فَنُونِ التَّعْرِيفَاتِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ

بِقَنْطَارٍ يُوَدُّهُ إِلَيْكَ . وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ

تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُوَدُّهُ إِلَيْكَ ﴾ . الْآيَةُ

---

(١) وَصَدَّقَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ حِينَ قَالَ : « إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ عَمَلُهُ » قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا . إِلَّا أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ بِرَحْمَتِهِ « رَوَاهُ الشَّيْخَانُ مِنْ ثَابِتٍ »

أخبر أنهم — مع ضلالتهم وكفرهم — متفاوتون في أخلاقهم ، فكلهم خونة في أمانة  
 الذين ، ولكن منهم من يرجع إلى سداد للمانة ، ثم وإن كانت معاملتهم بالصدق فلا ينفعهم  
 ذلك في إيجاب الثواب ولكن ينفعهم من حيث تخفيف العذاب ، إذ الكفار مظلّون  
 بتفصيل الشرائع ، فإذا كانوا في كفرهم أقلّ ذنباً كانوا بالإضافة إلى الأحرسين أقلّ  
 عذاباً ، وإن كانت عقوبتهم أيضاً مؤبّدة .  
 ثم بين أنه ليس الحكم إليهم حتى إذا :

﴿ قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾

فلا تجري عليهم هذه الحالة ، أو تنفعهم هذه القالة ، بل الحكم لله تعالى .

قوله جلّ ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَدْوِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ

ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي

الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ

إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزَكِيهِمْ ، وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

الذين آثروا هوام على عقباهم ، وقدّموا مناهم على مواقة مولاهم أولئك لا نصيب لهم في

الآخرة ، فللاستمتاع بما اختاروا من العاجل خسروا في البارين .

بقوا من الحق ، وما استمتعوا بحظّ ، جمع عليهم فنون اليمين ولكنهم لا يدرون

ما أصابهم : لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ، ثم مع هذا يخلّد لهم في  
 العقوبة الأبدية .

قوله جلّ ذكره : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُمْ

بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ ،

وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَقُولُونَ

هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ

اللَّهِ ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُفْرُ

وَمَنْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

الإشارة من هذه الآية إلى المبتلين في المعاري في هذه الطريقة .

يزنّون العبارات ، ويطلقون ألسنتهم بما لا خَيْرَ في قلوبهم منه ، ولا لم بذلك تحقيق ،  
تليساً على الأغبياء والعمام وأهل البداية ؛ يوهمون أن لم تحقيق ما يقولونه بألسنتهم .  
قال تعالى في صفة هؤلاء « لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب » ، كذلك أرباب  
التليس والتدليس ، يروّجون قائلهم على المستضعفين ، فأما أهل الحقائق فأسرارهم عندهم  
مكشوفة .

قال الله تعالى « ويقولون على الله الكتاب وهم يعلمون » ، أي يعلمون أنهم كاذبون ،  
كذلك أهل الباطل والتليس في هذه الطريقة يتكلمون عن قلوب خربة ، وأسرار محجوبة ،  
نمود بالله من استحقاق للقت ١

قوله جل ذكره : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُثْبِتَ اللَّهُ الْكِتَابَ  
وَالْحُكْمَ وَالنَّبِيَّةَ ، ثُمَّ يَقُولَ فَنَاسٍ  
كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ،  
وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ  
تُكَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ  
تَدْرُسُونَ ﴾ .

أي ليس من صفة من اخترناه للنبوّة واصطفيناه للولاية أن يدعو الخلق إلى نفسه ،  
أو يقول بإثبات نفسه وحظه ، لأن اختياره — سبحانه — لإمام للنبوّة ينضن عصمتهم عما  
لا يجوز ، فتجوز ذلك في وصفهم متأفٍ للحلم ، وإنما دعاه الرسل والأولياء — للخلق —  
إلى الله سبحانه وتعالى ، وهو معنى قوله تعالى : « ولكن كونوا ربّانيين » أي إنما أشار بهم  
على الخلق بأن يكونوا ربّانيين ، والربّاني منسوب إلى الرب كما يقال فلان دقياني ولحياتي  
... وبابه .

وهم العلماء بالله العلماء في الله التأمون بفنائهم عن غير الله ، للسهلكة حظوظهم ،  
المستغرقين في حقائق وجوده عن إحساسهم بأحوال أنفسهم ، ينطقون بالله ويسمعون بالله ،  
وينظرون بالله ، فهم بالله محو عما سوى الله .

ويقال الرباني من ارتفع عنه ظِلُّ نفسه ، وعاش في كنف ظِلِّه — سبحانه .  
ويقال الرباني الذي لا يُشَبِّهُ غيرَهِ ومُوحِّداً ، ولا يشهد ذرة من الحو والإثبات لنظيره .  
أو من غيره .

ويقال الرباني من هو بَحْثُ في وجوده — سبحانه — وهو عن شهوده ، فالتأم عنه  
غَيْرُهُ ، والمُجَرِّى لِيَا عليه سواه .

ويقال الرباني الذي لا تُؤَوَّرُ فيه تصاريف الأقدار على اختلافها .  
ويقال الرباني الذي لا تُغَيَّرُه محنة ولا تُضَرُّه نَصَمَةٌ — فهو على حالة واحدة  
في اختلاف الطوارق .

ويقال الرباني الذي لا يتأثر بورود واردة عليه ، فمن استنطقته رقة قلب ، أو استنكاه  
هجومُ أمر ، أو تفاوتت عنده أخطار حادث — فليس يرباني .

ويقال إنَّ الرباني هو الذي لا يبالى بشيء من الحوادث بقلبه وبيِّره ، ومن كان لا يقصر  
في شيء من الشرع بفعله .

« بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تترسون » من توالى إحسانى إليكم ، وتضاعف  
نعمتى لديكم .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا يأمركم أن تتخفوا الملائكة  
والنبيين أرباباً أيامكم بالكفر بعد  
إذ أنتم مسلمون ﴾ .

أى لا تلبسون إليهم ذرة من الإثبات في الخير والشر .

ويقال يعرفكم حدَّ البشرية وحقَّ الربوبية .

ويقال يأمركم بتوقيهم من حيث الأمر والشرية ، وتحقير قدر الخلق — بالإضافة<sup>(١)</sup>  
إلى الربوبية . « أيامكم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » أيامكم بإثبات الخلق بعد  
شهود الحق ؟

(١) وتحقير قدر الخلق ( بالإضافة إلى الربوبية ) معناها ( بالنسبة إلى ) جلال الربوبية وعظمتها .

ويقال «أيامركم بمطالبة الأشكال، ونسبة الهدنان إلى الأمثال، بعد أن لاحظت في أسراركم أنوار التوحيد، وطلعت في قلوبكم شمس التفريد.

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ...﴾ الآية

أخذ الله ميثاق محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء عليهم السلام، كما أخذ ميثاقهم في الإقرار بربوبيته — سبحانه، وهذا غاية التشريف للرسول عليه السلام، فقد قرّن اسمه باسم نفسه، وأثبت قدره كما أثبت قدر نفسه، فهو أوجد السكافة في الرتبة، ثم سهل سبيل السكافة في مرة جلاله بما أظهر عليه من المعجزات.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

الإشارة فيه: فمن حاد عن سنته، أو زاغ عن اتباع طريقته بعد ظهور دليله، ووضوح معجزته فأولئك هم الذين خيبت درجهم، ووجب المقت عليهم لجهنم، وسقوطهم عن تملئ العناية بهم.

قوله جل ذكره: ﴿أَفْخِرْ دِينَ اللَّهِ يَفْنُونَ﴾<sup>(١)</sup> أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً...﴾

من لاحظته على غير الحقيقة، أو طالع سواه في يوم الأهمية<sup>(١)</sup> كراء السراب ظنه ماء فلما أتاه وجده هبة. ومنايلط الحسابات مقطعة مسككة فمن حل بها نزل برادر قفر.

«وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً، لإجراؤه حكم الإلهية على وجه القهر عليهم.

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا،

---

(١) الأهمية معناها الاستحقاق، استحقاق كل تديس، ولا تسليد أنها لي الأصل الألومية لأن السياق يحسن متحدثاً عن البشر الذين يقولون فلان كونا عباداً لنا، وعن اللائكة والنبين ووجوب عدم اتخاذهم أولياء.

وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل  
وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي  
موسى وعيسى والنبيون من ربهم  
لا نفرق بين أحد منهم ونحن  
له مسلمون ﴿١﴾

آمنّا بالله لا بنفوسنا أو حوّلنا أو قوتنا .

وآمنّا بما أنزل علينا بالله ، وأنّا لا نفرق بين أحد منهم — بالله سبحانه — لا بهولنا  
واختيارنا ، وجهدنا<sup>(١)</sup> واكتسابنا ، ولولا أنّه عرفنا أنّه من هو ما عرفنا وإلا ففقدنا  
علينا ذلك<sup>(٢)</sup> ١٩ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

من سلك غير الجود تحت جريان حكمه سيلاً زلت قدمه في هدة<sup>(٣)</sup> من المغالط  
لا مدى لقرها .

ويقال من توسّل إليه شيء دون الاعتصام به فخرّاه أكثر من ربحه .  
ويقال من لم يقف عن شهود الكل لم يصل إلى من به الكل .  
ويقال من لم يمش تحت راية المصطفى صلى الله عليه وسلم المظلم في قدّره ، التملّ في وصفه ،  
لم يقبل منه شيء ولا فرة .

قوله جل ذكره : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ

(١) وردت (وجهدنا) وهي خطأ من الناسخ .

(٢) قارن ذلك ببارة ذي النون المصري : عرفت ربّي ولولا ربّي ما عرفت ربّي . ( الرسالة

ص ١٥٦ ) .

(٣) أخطأ الناسخ حين كتبها ( وحدة ) بلقاء .

لِعَاسِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ

..... الآية ﴿

مَنْ أَبْهَدَ عَنْ اسْتِحْقَاقِ الْوَصْلَةِ فِي سَابِقِ حُكْمٍ فَتَى قَرِيبَهُ مِنْ بَسَاطَةِ الْخُدْمَةِ بَعْدَهُ فِي وَقْتِهِ ؟

ويقال : القى أقصاه (١) حكم (الأول) (٢) متى أدناه صدق العمل ؟ والله غالبٌ على أمره .

قوله جل ذكره : ﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُهم أَنَّ عَلَيْهِم لَعْنَةُ اللَّهِ

وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمِينَ ﴾

أُولَئِكَ قصارى حالهم ما سبق لهم من حكمه في ابتداء أمرهم ، ابتداءهم ردُّ القصة ،  
وسأطعهم الصدُّ عن الخدمة ، ونهايتهم المصير إلى الطرد والمنة .

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ

وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾

خالدين في تلك المنلة لا يفتقر عنهم العذاب لحظة ، ولا يخفف دونهم التراق ساعة .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

أُولَئِكَ هم الذين تداركتهم الرحمة ، ولم يكونوا في شق السبق من تلك الجلة ، وإن كانوا  
في قوم الخلق من تلك الزمرة .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِدِّهِمْ

ثُمَّ أَدَّاهُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ

وَأُولَئِكَ هم الضالون ﴾

الإشارة منه : أن الذين رجسوا إلى أحوال أهل العادة بعد سلوكهم طريق الإرادة ،

---

(١) وردت ( أقصاه ) ونحن نرجح أن تكون ( أقصاه ) بإسناد حتى تتلاءم مع ( أدناه ) التي جاءت  
بعدها — فذلك أقرب إلى طبيعة أسلوب القشيري في هذا السياق .

(٢) مكنا كتبها للتاسخ ، ونحن نحيل إلى أنها في الأصل ( الأول ) .  
فالقشيري يستعد أن الأقسام سبقت في الأول وأن قيمة الإنسان مرتبة بذلك .

وأتوا الدنيا ومطاعة الهوى على طلب الحق سبحانه وتعالى ، ثم أنكروا على أهل الطريقة ، وازداحوا في وحشة ظلماتهم — لن تُقبلَ توبتهم ، « وأولئك هم الضالون » من طريق الحق فإنه لا يقبل الأمانة بعد ظهور الخيانة . وعقوبتهم أنهم على عمر الأليم لا يزادون إلا فترة قلب عن الطريقة ، ولا يتحسرون على ما فاتهم من صفاء الحالة . ولو أنهم رجعوا عن إصرارهم لما لُقيت توبتهم ، ولكن الحق سبحانه أجرى سنته مع أصحاب الفترة في هذه الطريقة إذا رجعوا إلى أصول العادة ألا يتأينوا على ما مضى من أوقاتهم .

قال تعالى : « وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة » وإن المرتد عن الإسلام لأشدَّ عداوةً للسلبيين من الكافر الأصلي ، فكذلك الراجع عن هذه الطريقة لأشدَّ إنكاراً لها وأكثر إغراءً عن أهلها من الأجنبي عنها .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الدِّينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ  
فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةُ الْأَرْضِ  
ذَهَبًا وَلَوْ اخْتَصَى بِهِ أُولَئِكَ لَمْ يَخْلُصْ  
أَلِيمٌ وَمَلَمٌ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾

الإشارة منه : لمن مات بعد فترته — وإن كانت له بداية حسنة — فلا يحشر في الآخرة مع أهل هذه القصة ، ولو تشفع له ألف طرف ، بل من كمال للسكر به أنه يلقى شبهه في الآخرة على غيره حتى يتوهم معارفه من أهل المعرفة أنه هو — فلا ينظر ببال أحد أنه ينبغي أن يشفع له .

قوله جل ذكره : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ  
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

لما كان وجود البر مطلوباً ذكر فيه « مِنْ » التي لتبويض فقال : « مما تحبون » ؛ فمن أراد البر فلينفق مما يحبه أي البعض ، ومن أراد الباء فلينفق جميع ما يحبه . ومن أنفق محبوبه من الدنيا وجد مطلوبه من الحق تعالى ، ومن كان مربوطاً بمحظوظ نفسه لم يحفظ بقرب ربه . ويقال إذا كنت لاتصل إلى البر إلا بإفناق محبوبك ففي تصل إلى الباء وأنت تؤثر عليه محظوظك . « وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم » منهم من ينفق على ملاحظة الجزاء



والعوض ، ومنهم من ينفق على مراقبة دفع البلاء والخزن ، ومنهم من ينفق اكفائه بملءه ،  
قال قائلهم :

ويشتهر المعروف في طلب الولي لتذكر يوماً — عند سلمي — شمائله  
قوله جل ذكره : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاَّبِي إِسْرَائِيلَ  
إِلَّا مَلْحَرَمٌ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ  
قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ، قُلْ فَأَتُوا  
بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ •  
فَقَدْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُتَيْبَ مِنْ  
بَيْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

الأصل في الأشياء ألا يشرع فيها بالتحليل والتحریم ، فالأ يوجب فيه حد فذلك من  
الحق — سبحانه — توسعة ورقة إلى أن يحصل فيه أمر وشرع ؛ فإن الله — سبحانه —  
وسَّعَ أحكام التكليف على أهل النهاية<sup>(١)</sup> ، فسيبيلهم الأخذ بما هو الأسهل لنظام مام به من أحكام  
القلوب ، فإن اتى على قلوبهم من المشاق أشد . وأما أهل البداية فالأمر مضيق عليهم في  
الوظائف والأوراد ؛ فسيبيلهم الأخذ بما هو الأشق والأصعب لفراغهم بقلوبهم من الممانى ،  
فمن ظن بخلاف هذا قد غلط .

والإشارة من هذه الآية أيضاً في قوله : « فن افتري على الله الكذب » إلى أحوال  
أهل الطغوى والمغاليط ؛ فإنهم يخلون بنفوسهم فيفسبون إلى الله — سبحانه — هواجسها ،  
والله يرى عنها . وعزيز عبد يفرق بين الطواغر والهواجس .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ صدق الله فأتبعوا ملة إبراهيم ملة إبراهيم  
حنيفاً وما كان من المشركين ﴾

ملة إبراهيم الخروج إلى الله بالكيفية ، والتسليم لحكمه من غير أن تبقى بقية ؛ فإن بات  
درة في الحسبان من الحدثان شرك — في التحقيق .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي

---

(١) أهل النهاية هم النوام ، وأهل البداية هم الخواص .

بَيْكَةً مُبَارَكًا وَهَدَى لِمَالَيْنِ •  
 فِيهِ أَيْتٌ يَنْتَلِمْ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ  
 دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَشَفَى عَلَى النَّاسِ  
 حِجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ حَيْلًا،  
 وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيْرٌ  
 الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

البيت حجّرةً والعمدة مدّرةً ، فربطاً المذرة بالحجرة ، فالمر مع الحجر .  
 وتعرّز وتقدّس من لم يزل .

ويقال البيت مطاف النفوس ، والحق سبحانه مقصود القلوب !

البيت أطلال وآثار وإنما هي رسوم وأحجار ولكن :

تلك آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بمدنا إلى الآثار

ويقال البيت حجر ، ولكن ليس كل حجر كالذي يجانسه من الحجر .

حجّروا ولكن قلوب الأحباب مزعج بل لا كبد القراء منفع<sup>(١)</sup> ، لا بل قلوب قوم  
 مُكَلِّجٌ مبهج ، وقلوب الآخرين منفع مزعج .

وم على أصناف : بيت هو مقصد الأحباب ومزارهم ، وعنده يسمع أخبارهم  
 ويشهد آثارهم .

بيت من طالعه بين التفرقة عاد يسر خراب ، ومن لاحظته بين الإضافة حظى بكل تقرب  
 وإيجاب ، كما قيل :

إن الفيل - وإن صُنِّتْ - فإن لها عهداً بأحبائنا إذ عندها نزول

بيت من زاره بنفسه وجد أطفاه ، ومن شاهده بقلبه نال كشوفاته .

(١) نفع الأربح أناره والتأجّل الریح الشديدة ، فيكون مني منفع شديد الإنارة .

ويقال قال سبحانه : « وطهر يتي » وأضافه إلى نفسه ، وقال هاهنا : « إن أول بيت وضع للناس » وفي هنا طرف من الإشارة إلى عين الجمع <sup>(١)</sup> .

وسميت (بكة) لأزدحم الناس ، فالكل يتناجزون على البدار إليه ، ويزدحون في الطواف حوالبه ، وينزلون للهيج في الطريق لوصولوا إليه .

والبيت لم يخاطب أحداً منذ بني يمينية ، ولم يستقبل أحداً بخطوة ، ولا راسل أحداً بسطر في رسالة ، فإذا كان البيت الذي خلقه من حجر — هذا وصفه في التمرز <sup>(٢)</sup> — فما ظنك بمن البيت له . قال صلى الله عليه وسلم غبراً عنه سبحانه : « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري » .

ويقال إذا كان البيت المنسوب إليه لا تصل إليه من ناحية من نواحيه إلا يقطع للفاوز وللناهات فكيف تطمع أن تصل إلى رب البيت بالمهوي دون تحمل المشقات ومفارقة الزاحات ؟

ويقال لا تعلق قلبك بأول بيت وضع لك ولكن أفرد ميرك لأول حبيب آترك .  
ويقال شأن بين عبد اعتكف عند أول بيت وضع له وبين عبد لازم حضرة أول عزيز كان له .

ويقال ازدحم الفقراء بهمهم حول البيت ليس بأقل من ازدحم العاطفين بقدمهم ، فالأغنياء يزورون البيت ، ويلطفون بقدمهم ، والفقراء يبقون عنه فيطوفون حوله بهمهم .  
ويقال الكعبة بيت الحق سبحانه في الحجر ، والقلب بيت الحق سبحانه في السر ،  
قال تعالى :  
لست من جملة المحبين إن لم أجعل القلب بينه والمقام

وطوافي إجملة السر فيه وهو ركبي إذا أردت استلاما  
فالعاطف تطوف بقلوب العارفين ، والحقائق تمتكف في قلوب الموحدين ، والكعبة مقصود العبد بالهيج ، والقلب مقصود الحق بإفراده إليه بالتوحيد والوجد .

(١) وما كان في الأصل ( ... ) الإشارة إلى عين الجمع ، « وأول بيت وضع للناس » إشارة إلى الفرق في الأول نسب البيت إلى نفسه ، وفي الثاني أشار إلى وضعه للناس .  
وسقطت هذه العبارة الأخيرة من النسخ .  
(٢) وردت ( التمرز ) والسياق يتطلب ( التمرز ) .

قوله جل ذكره : ﴿مباركاً وهدىّ للعالمين﴾

بركاته اتصال الألف والكشوفات ، فمن قصده بهتة ، ونزل عليه بقصده هداة إلى طريق رُشدِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿فيه آيات بينات﴾

ولكن لا تُذكرُ تلك الآيات بأبصار الرُوس ولكن ببصار القلوب ، ومقام إبراهيم — في الظاهر — ما أثر بقدرِهِ ، وفي الإشارة : ما وقف الخليل عليه السلام بهتة .  
ويقال إن شرف مقام إبراهيم لأنه أثر الخليل ، ولأثر الخليل خطر عظيم .

قوله جل ذكره : ﴿ومن دخله كان آمناً﴾

يقال من دخل مقام إبراهيم كان آمناً ، ومقام إبراهيم التسليم ، ومن كان مسلماً أموره إلى الله لم يبق له اختيار ، وكان آمناً ؛ لأن من ضمه الخوف ، وانطوف إنما يكون على ألا يحصل مرادك على ما تريد ، فإذا لم تكن للمعبودة إرادة واختيار فأى مسأغ للخوف في وصفه ؟

ويقال إن الكناية<sup>(١)</sup> بقوله (دخله) راجعة إلى البيت ، فمن دخل بيته — على الحقيقة — كان آمناً ، وذلك بأن يكون دخوله على وصف الأحب ، ولا محالة أدب دخول البيت تسليم الأمور إلى رب البيت ، فإن من لم يكن صاحب تسليم فهو معارض للتقدير . ودخول البيت إنما الأدب فيه أن يكون دخولا على التسليم دون المارضة والتزاع فيؤول إلى الحق المتقدم .

وإن جعلت الإشارة من البيت إلى القلب فمن دخل قلبه سلطان الحقيقة أمين من تواضع البشرية وهو أجسر ظافة النفس ، فإن من التجأ إلى ظل اللئيم لم يمتط إليه عنذورا .

ويقال لا يكون دخول البيت — على الحقيقة — إلا بخروجك عنك ، فإذا خرجت عنك صَحَّ دخولك في البيت ، وإذا خرجت عنك أمنت .

ويقال دخول بيته لا يصح مع تعريضك في أوطانك ومعاهدك ، فإن الشخص الواحد

(١) يحمدها ضمير الغائب في (دخله) .

لا يكون في حالة واحدة في مكانين ؛ فمن دخل بيت ربّه فبالحرى أن يخرج عن معاهد<sup>(١)</sup> نف .

قوله جل ذكره : ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ

استطاع إليه سبيلاً﴾

شرط التّيقن ألا يتأخّر عن البيت شيئاً من ماله ، وشرط التقدير ألا يتأخّر عن الوصول إلى بيته نفساً من روحه .

ويقال الاستطاعة فنون ؛ فستطيع بنفسه وماله وهو الصحيح السليم ، ومستطيع بغيره وهو إئتمن للمصوب ، وثالث غفل الكثيرون عنه وهو مستطيع بربه وهذا نفت كل مخلص مستحق فإن بلاياه لا تحملها إلا مطايا .

ويقال حج البيت قرض على أصحاب الأموال ، ورب البيت قرض على القراء فرض حتم ؛ فقد ينسب الطريق إلى البيت ولكن لا ينسب الطريق إلى رب البيت ، ولا يمنع التقدير من رب البيت .

ويقال الحج هو القصد إلى من تعظّمه : فتعظّمه بنفسه إلى زيارة البيت ، وقاصد بقلبه إلى شهود رب البيت ، فشتان بين حج وحج ، هؤلاء تحلّهم من إحرامهم عند قضاء منكم وأداء فرضهم ، وهؤلاء تحلّهم من إحرامهم عند<sup>(٢)</sup> شهود ربهم ، فأما القاصدون بنفوسهم فأخرجوا عن المهورات من محرّمات الإحرام ، وأما القاصدون بقلوبهم فإنهم أحرّموا عن للسكنات وشهود الغير وجميع الأنام .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾  
ضرب رقم الكفر على من ترك حج البيت ، ووقعت بسبب هذا القول قلوب العلماء في كد التأويل ، ثم قال : « فإن الله غفّ عن العالمين » وهذا زيادة تهديد تدل على زيادة تخصيص .

ويقال إن سبيل من حج البيت أن يقوم بأدب الحج ، فإذا عند قلبه الإحرام يجب أن

(١) أي ما ألوقت نفسه .

(٢) وردت ( من ) والمصحيح ( عند ) .

يفسخ كلَّ عَقْدٍ يصدّه عن هذا الطريق، وينقض كلَّ عزم يردّه عن هذا التحقيق، وإذا أظهر تطهر من كلِّ ذَنْسٍ من آثار الأغيار بماه الخجل ثم بماه الحياء ثم بماه الوفاء ثم بماه الصفاء، فإذا تَجَرَّدَ عن ثيابه تَجَرَّدَ عن كلِّ ملبوسٍ له من الأخلاق القبيحة، وإذا لَبَّى بلسانه وجب ألا تبقى شَعْرَةٌ مِنْ بَدَنِهِ إِلَّا وقد استجابت لله. فإذا بلغ الموقف وقف بقلبه وسيره حيث وقفه الحق بلا اختيار مقام، ولا تعرض لتخصيص؛ فإذا وقف برفات عرف الحق سبحانه، وعرف له تعالى حقّه على نفسه، ويعترف إلى الله تعالى بِتَبَرُّيهِ عَنْ مُنْتَهَى<sup>(١)</sup> وَحَوْلِهِ، والحق سبحانه يتعرّف إليه بِعَيْنَتِهِ وَعُلُوْلِهِ، فإذا بلغ المشعر الحرام يذكر مولاه بنسبان نفسه، ولا يصحُّ ذِكْرُهُ لِرَبِّهِ مع ذِكْرِهِ لنفسه، فإذا بلغ مَنَى نَقَى عن قلبه كلَّ طَلَبٍ وَمُنَى، وكلَّ شهوة وهوى.

وإذا رمى الجمار رمى عن قلبه وقف عن سره كلَّ علاقة في الدنيا والبعى.  
وإذا ذبح ذبح هواه بالكليّة، وتقرّب به إلى الحق سبحانه، فإذا دخل الحرم عزّم على التباعد عن كلِّ مُحَرَّم على لسان الشريعة وإشارة الحقيقة.  
وإذا وقع طَرَفُهُ على البيت شهد بقلبه ربّ البيت، فإذا طاف بالبيت أخذ سِرَّهُ بِالْجَوْلَانِ في اللسكوت

فإذا سى بين الصفا واللروة صُنِّي عنه كلَّ كدورة بشرية وكلَّ آفة إنسانية.  
فإذا حَلَقَ قَطَعَ كلَّ علاقة بقيت له.  
وإذا تحلّل من إحرام نفسه وقصده إلى بيت ربّه استأنف إحراماً جديداً بقلبه، فسكاً خرج من بيت نفسه إلى بيت ربّه يخرج من بيت ربّه إلى ربّه تعالى.  
فن أكل نَسَكَةً فإنما عمل لنفسه، ومن تكلّل فإنَّ الله غنى عن المملين وقال صلى الله عليه وسلم: «الحاج أشعث أخبر»، فمن لم يتحقق بكمال الخضوع والقبول عن كليته فليس بأشعث ولا أخبر.

(١) ضبطنا هكذا لأن القشيري يميز بين (البيتة) للحق و (المُنْتَهَى) للبد.

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَكْفُرُونَ

بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾

الخطاب بهذه الآية لنا كيد الحجة عليهم ، ومن حيث الحقيقة والتميز بسد الحجة عليهم ،  
فهم مدعون — شرعاً وأمرأ ، مطرودون — حُكماً وقهراً .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَصُدُّونَ

عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبَيَّنَّهَا

عَوْجاً وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ

عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

كيف يصد غيره من هو مصدود في نفسه ؟ إن في هذا لَئيراً للربوبية .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم

بِمَدِّ أَيْمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾

الوحشة ليست بلازمة لأصحابها ، بل هي متمدية إلى كل من يحوم حول أهلها ، فَمَنْ أَطَاعَ

عَدُوَّ اللَّهِ إِلَى شَوْمِ حِمْبَةٍ (الأعداء) <sup>(١)</sup> ألقاه في وحدته .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ

آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ، وَمَنْ

يَتَّبِعِ اللَّهَ فَقَدْ يُهْدِ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴾

لا ينبغي لمن أشرقت في قلبه شمسُ العرمان أن يوقع الكفر عليه ظلاً ، فإنه إذا أقبل

التَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا أَدْبَرَ الْبَلَّ مِنْ هَاهُنَا .

وقوله : « وَمَنْ يَتَّبِعِ ... » الآية إنما يتنصم بالله مَنْ وَجَدَ المصنعة من الله ، فأما

---

(١) مكتوبة ( إلا ) وسقطت بنية الكلمة فأكتلتها ( الأعداء ) ورجع ( الأجانب ) أو ما لي من مقام

طبعا لما نعرفه من انجاء القسري في مواضع مماثلة .

مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَتَى يَعْصِمُ بِاللَّهِ ؟ فَالْهُدَايَةُ مِنْهُ فِي الْبَدَايَةِ تَوْجِبُ اعْتِمَادَكَ فِي الْتَهَايَةِ ، لَا الْإِعْتِمَادَ مِنْكَ يَوْجِبُ الْهُدَايَةَ .

وَحَقِيقَةُ الْإِعْتِمَادِ صَدَقَ الْجُودُ إِلَيْهِ ، وَدَوَامُ الْفِرَارِ إِلَيْهِ ، وَاسْتِصْحَابُ الْإِسْتِغَاثَةِ إِلَيْهِ . وَمَنْ كَشَفَ عَنْ سِرِّهِ فَطَلَهُ التَّفَرُّقَةُ تَحَقُّقُ بَأَنَّهُ لَا لَتَوْرَ اللَّهُ خَرَّةً أَوْ مِنْهُ سَبْنَةُ ، فَهَذَا الْإِنْسَانُ يَعْصِمُ بِهِ مِمَّنْ يُفْتَضَّمُ بِهِ ؛ قَالَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ : « أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ » .

وَمَنْ اعْتَصِمَ بِنَفْسِهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ مَحْوَرًّا عَنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ فِي اعْتِمَادِهِ — فَالْشِّرْكُ وَطَنُهُ وَلَيْسَ بِشَعْرِ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ .

حَقُّ التَّقْوَى أَنْ يَكُونَ عَلَى وَفْقِ الْأَمْرِ لَا يَزِيدُ مِنْ رَجُلٍ نَفْسِهِ وَلَا يَنْقُصُ .

هَذَا هُوَ الْمُتَعَدِّ مِنَ الْأَفْوَاجِلِ فِيهِ ، وَأَمْرُهُ عَلَى وَجْهَيْنِ : عَلَى وَجْهِ اتِّلَافٍ وَعَلَى وَجْهِ التَّنْذِيرِ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي التَّهْمَى عَلَى قَسْبَيْنِ : تَحْرِيمٌ وَتَنْزِيهِ ، فَيَدْخُلُ فِي جَمْلَةٍ هَذَا أَنْ يَكُونَ حَقُّ تَقَاتِهِ أَوَّلًا اجْتِنَابُ الْإِثْمِ ثُمَّ اجْتِنَابُ الْغَفْلَةِ ثُمَّ التَّوَقُّفُ عَنْ كُلِّ خِلْفَةٍ ثُمَّ التَّنَقُّيُّ مِنْ كُلِّ عِلَّةٍ ، فَإِذَا تَقَيَّيْتُ عَنْ شَهْوَدِ تَقْوَاكَ بِعَدِّ اتِّصَافِكَ بِتَقْوَاكَ فَقَدْ اتَّقَيْتَ حَقَّ تَقْوَاكَ .

وَحَقُّ التَّقْوَى رَفْضُ الْمُصِيبَاتِ وَتَقْيُّ النِّسْيَانِ ، وَصَوْنُ الْمَهْرَدِ ، وَحِفْظُ الْمُدْرَدِ ، وَشَهْوَدُ الْإِلَهِيَّةِ ، وَالْإِسْلَاحُ عَنْ أَحْكَامِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَالْحُدُودُ نَحْتِ جَرِيَانِ الْحُكْمِ بِعَدِّ اجْتِنَابِ كُلِّ جُرْمٍ وَظَلَمٍ ، وَاسْتِشْعَارُ الْآفَةِ عَنْ التَّوَسُّلِ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَتِكَ دُونَ مَرْفَعِهِ ، وَالتَّحَقُّقُ بِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ أَحَدًا بِعِلَّةٍ وَلَا يَرُدُّ أَحَدًا بِعِلَّةٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَخُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

لَا تَصَادِفُكُمْ الْوَفَاةُ إِلَّا وَأَنْتُمْ بِشَرَطِ الْوَفَاةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .



واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم  
أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم  
بنعمة إخوانا ، وكنتم على شفا  
حفرة من النار فأقذكم منها ،  
كذلك يُبين الله لكم آياته  
لعلكم تهتدون .

الاعتصامُ بحبله — سبحانه — التمسكُ بآثار الواسطة — العزيز صلوات الله عليه —  
وذلك بالتحقق والتعلق بالكتاب والسنة .

ويصح أن يقال : انطواص يُقال لم « اعتصموا بحبل الله » ، وخاص انطاص قيل لم  
« واعتصموا بالله » ، ولين رجع عند سوانحه إلى اختياره واحتياله ، أو فكرته واستدلاله ،  
أو ممارفمواشكاله ، والتجأ إلى ظل تدبيره ، واستضاء بنور عقله وتفكيره <sup>(١)</sup> — ففروع عنه  
ظل الناية ، ومركول إلى سوء حاله .

وقوله : « ولا تفرقوا » : التفرقة أشد العقوبات وهي قرينة الشرك .

وقوله : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء » . وكانوا أعداء حين كانوا قاطعين  
بخطوطهم ، مُعْرِجين على ضيق البشرية ، متزاحمين بمقتضى شح النفوس .

« فألف بين قلوبكم » : بالانطاص من أسير للكوفات ، ودفع الأخطار عن أسرارهم ،  
فصار مقصودهم جيباً واحداً ، فوَأَلَفَ أَلَفَ شَخْصٍ في طلب واحد — فهم في الحقيقة واحد .

« فأصبحتم بنعمة إخوانا » نعمته التي هي عصمته لاكم ، إخواناً متفقين القصد والهمة ،  
متفانين من حظوظ النفس وخفايا البخل والشح .

« وكنتم على شفا حفرة من النار » : بكونكم تحت أسير مُنَاكَم ، ورباط  
حظوظكم وهواكم .

(١) واضح أن التشبهي يرى أن الالتجاء إلى العقل والسكر كوسيلة للوصول إلى طائفة من القواطع ،  
لأن عقل آفات — ذكرها التشبهي في مواضع مختلفة — تجهله غير جدير بأن يشتد عليه البعد في معرفة  
الحقائق العليا ، وإن مهمة العقل عند هذا الباحث لا تتجاوز منطقة البداية — عند تصحيح الإيمان .

« فَأَتَذَكَّرُ مِنْهَا » : بنور الرضاء ، والحدود عند جريان القضاء ، وتلك حقا هي المكاة  
المطلقة والدرجة الكبرى ، ويدخل في هذه الجملة ترك السكون إلى ما ينبتك من المناب  
والثقي ، ولعل والحب ، والتحصيل والنهي ، والفرار إلى الله — عز وجل — عن كل  
غير وسوى .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى

الظُّلُمِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

هذه إشارة إلى أقوام قاموا بالله لله ، لا تأخذهم لومة لائم ، ولا تقطعهم عن الله  
استقامة إلى علة ، وقوا جلهم على دلالات أمره ، وقصروا أنفاسهم واستغرقوا أعمارهم  
على تفصيل رضاء ، عملوا لله ، ونصحوا الدين لله ، ودعوا خلق الله إلى الله ، قَرِبتْ  
نجاتهم ، وما خسرنا صفقتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا

وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ

وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

هؤلاء أقوام أظفر عليهم في الابتداء وقوم الطلب ، ثم دهمهم <sup>(١)</sup> في الانتهاء بكى  
الفرقة ، فباتوا في شق الأجباب ، وأصبحوا في زمرة الأجانب <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ

وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ

وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ لِعَانِكُمْ

فَتَوَقَّوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

• وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وَجُوهُهُمْ

فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(١) الرقم تحت يجرى في الانتهاء والوسم تحت يجرى في الأبد بما جرى في الأول .

(٢) تأمل الدقة في استعمال (باتوا) وكيف تعب عن البداية ، ثم (أصبحوا) لتعب عن النهاية .

أرباب الدُّعَاوى سودّ وجوههم ، وأصحاب اللعاني تبيّض وجوههم ، وأهل الكشوفات غداً تبيّض بالإشراق وجوههم ، وأصحاب الحجاب سودّ بالحجبة وجوههم ، فتملوها غيرة ، وترهقها قنطرة .

ويقال من ابيض - اليوم - قلبه ابيض - غداً - وجهه ، ومن كان بالصدغالة المكس .

ويقال من أمرض عن الخلق - عند سوائمه - ابيض وجهه يروح النفوس ، ومن علّق بالأغيار قلبه عند الحوائج اسودّ حياءه بنبل الطمع ؛ فأما الذين ابيضت وجوههم في أنس وروح ، وأما الذين اسودّت وجوههم في محن وتوَح .

قوله جل ذكره : ﴿ تَكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ

وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِّلْعَالَمِينَ ۝

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَالِلَّهِ اللَّهُ رُجِعَ الْأُمُورُ ۝

نُذِيرٌ مُّخَاطَبُنَا مَعَكَ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ فِي كُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ ، عِلَاةٌ لِّسَبِيلِ الْوِدَادِ : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِّلْعَالَمِينَ ۝ وَأَنِّي بَيِّزُ الظَّلَمَ فِي وَصْفِهِ تَقْدِيرًا وَوُجُودًا - وَانْخَلِقْ كُلَّهُمْ خَلْقَهُ - وَالْحُكْمُ عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ ؟

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِلْكًا ، وَإِلَى اللَّهِ رُجِعَ الْأُمُورُ حُكْمًا .

قوله جل ذكره : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ

لِّلنَّكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۝

لَمَّا كَانَ الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَشْرَفَ الْأَنْبِيَاءَ كَانَتْ أُمَّتُهُ - عَلَيْهِ السَّلَام - خَيْرَ الْأُمَمِ . وَلَمَّا كَانُوا خَيْرَ الْأُمَمِ كَانُوا أَشْرَفَ الْأُمَمِ ، وَلَمَّا كَانُوا أَشْرَفَ الْأُمَمِ كَانُوا أَشَوْقَ الْأُمَمِ ، فَلَمَّا كَانُوا أَشَوْقَ الْأُمَمِ كَانَتْ أَعْمَارُهُمْ أَقْصَرَ الْأَعْمَارِ ، وَخَلَقَهُمْ آخِرَ الْخَلَائِقِ لَتَلَا يَطُولُ مُكْنَهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ . وَمَا حَصَلَتْ خَيْرِيَّتُهُمْ بِكَثْرَةِ صَلَوَاتِهِمْ

وعباداتهم ، ولكن بزيادة إقبالهم ، وتخصيصه لإمام . ولقد طال وقوف المتقين بالباب ولكن لما خرج الإذن بالدخول تقدم المتأخرون .

وكم - باسطين إلى وصلنا أكفهم لم ينالوا نصيباً

قوله جل ذكره : ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن

المنكر ﴾

المعروف خدسه الحق ، والمنكر حبة النفس .

للمعروف إشار حق الحق ، والمنكر اختيار حظ النفس .

المعروف ما يزيلك إليه ، والمنكر ما يجعلك عنه .

وشرط الأمر بالمعروف أن يكون متصفاً بالمعروف ، وحق الثأى عن المنكر أن

يكون منصرفاً عن المنكر .

﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان

خييراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرم

الفاستقون ﴾

لو دخل الكافة تحت أمرنا لوصلوا إلى حقيقة المرز في الدنيا والعقبى ، ولكن بعدوا

عن القبول في سابق الاختيار فصاروا أكثرهم موسوماً بالشرك .

قوله جل ذكره : ﴿ لَنْ يُضِرُّوكُمْ إِلَّا أَتَىٰ

وإن يقاتلوكم يولوكم الأديار

ثم لا ينصرون ﴾

إن الحق سبحانه وتعالى لا يسلط على أوليائه إلا بمقدار ما يصدق إلى الله فرارهم ، فإذا

حق فرارهم أكرم لديه فرارهم ، وإن استطالوا على الأولياء بموجب حسابهم انكس الحال

عليهم بالصغار والمهوان .

قال جل ذكره : ﴿ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَا تُقِفُوا

إلا يحبلي من الله وحبلي من  
الناس وباهوا بفضي من الله \*  
وضربت عليهم للسكنة ذلك  
بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ،  
ويعتلون الأنبياء بنور حق ، ذلك  
بما عصوا وكانوا يعتدون \*

علم المجران لا ينكمم ، وسمه البعد لا تخفى ، ودليل القطيعة لا يستتر ، فهم في صفار  
الطرد ، وذل الرد ، يتنبر بهم أولو الأبعاد ، ويغتر بهم أضراهم من الكفار الفجار .

قوله جل ذكره : ﴿ ليسوا صوابه من أهل الكتاب  
أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل  
وهم يسجدون ﴾ يؤمنون بالله واليوم  
الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون  
عن المنكر ويسارعون في الخيرات  
وأولئك من الصالحين \*

كما غاير بين التور والظلام مغايرة تضاد فكذلك أثبت مغايرة بين أحوال الأولياء  
وأحوال الأعداء ، ومتى يستوى الضياء والظلمة ، واليقين والشبهة ، والوصلة والفرقة ، والعباد  
والألفة ، والمتشكك على البساط والمنصرف عن القلب ، والمتصف بالولاء والمنحرف عن  
الوفاء ؟ هيات يلتقيان ! فكيف يتفقان أو يستويان ؟ !

قوله جل ذكره : ﴿ وما ينزلوا من خير فلن يكفروه  
والله عليم بالمتقين ﴾

لن يجيب عن بابها فاصد ، ولم ينصر عليه ( تاجر )<sup>(١)</sup> ، ولم يستوحش منه مصاحب ،  
ولم ينل له طالب .

(١) هكذا في س ، وربما استوحشها التفسير من الآية ( اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم )  
فيكون المعنى — والله أعلم — من آثر افة على كل شيء فقد ربحت تجارتكم وما خسرت .

قوله جل ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِقَ مِنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا يُولَدُ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

لا في الحال لم يدل ولا في المال عنهم خلف . في طبعهم خيروا ، وفي آجلهم في قطع وعجز ، وبلاء وخسر ، وعذاب ونكر :

تَبَدَّلَتْ وَتَبَدَّلْنَا وَاحْضِرْهُ لَنْ ابْنِي حَوْضًا لَسَلَى فَلَمْ يَجِدْ

قوله جل ذكره: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

ما وجدوا ميراث ما ينلوا لغير الله إلا حسرات متتابعة ، وما حصلوا من حساباتهم إلا على عجز مترادفة ، وذلك جزاء من أهرض وتولى

قوله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَفُوا بَلَاءًا مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُو نَكُمْ جِبَالًا ، وَدُّوْا مَا عَقَبْتُمْ ، قَدْ بَدَأَ الْبِقَضَاءِ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَا يُخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

الركون إلى الضد — بعد تبين للشاق — إغارة على الحال بما لا يبلغه كيد العدو ، فأشار الحق — سبحانه — على المسلمين بالتحرز عن الاعتراض ، وإظهار البراءة عن كل غير ، ودوام التخلوص للحق — سبحانه — بالقلب والسر . وأخير أن مضادات القوم للرسول

صلى الله عليه وسلم أسلية غير طارئة عليهم ، وكيف لا ؟ وهو صلوات الله عليه على الإقبال  
وم على الإعراض . ومضى يجتمع الليل والنهار ١٩

قوله جل ذكره : ﴿لَا تَمْنُنْ بِوِلْدَانِكُمْ لَكُمْ بِهِمْ مُبَاهَاةٌ ۚ إِنَّكُمْ بِنِعْمَةِ رَبِّكُمْ كَارُونَ﴾<sup>(١)</sup>  
وتؤمنون بالكتاب كله ، وإذا  
لقوكم قالوا : آمنا ، وإذا خلوا  
عصوا عليكم الأنامل من الغيظ \*

أنتم بقضية كرمكم تصفون — عن الكدورات — قلوبكم ؛ فتغلبكم الشفقة عليهم ،  
وهم — لعنوا — وخلفهم — يكيئون لكم ما استطاعوا ، ولفرط وحشيتهم لا تترشح منهم  
إلا قطرات غيظهم . ففرغ — بالمعنى — قلبك منهم .

﴿قل مؤمنوا بنبيكم إن الله عليم  
بذات الصدور﴾

دعهم يتفردوا بمناخلة ما بداخلهم من الغيظ ، واستريحوا بقلوبكم عما يحيل بهم ، فإن الله  
أولى بعباده ، يوصل إلى من يشاء ما يشاء .

قوله جل ذكره : ﴿إِنْ تَسْكُمُ حَسَنَةً تَكُونُ ،  
وإن تُصِيبُكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ،  
وإن تُصِيبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ  
كَيْدُهُمْ شَيْئًا ، إن الله بما يعملون  
محيط﴾

الإشارة من هذه الآية إلى المنصرفين عن طريق الإرادة ، الراجعين إلى أحوال أهل  
العادة ؛ لا يعجبهم<sup>(١)</sup> أن يكون لمريد فساد ، وإذا رأوا فترة لقاصد استراحوا إلى ذلك . وإن  
الله — بفضلِهِ ومِنَنِهِ — يُشْمُ نوره على أهل عنايته ، ويدرك الظالمين الزائمين<sup>(٢)</sup> من سبيله  
في حقوة بعلام ، لا يبالي بما يستقبلهم .

(١) أخطأ الناسخ إذ كتبها ( لا يعبهم ) والسياق والمعنى يرفضانها .

(٢) وردت ( القاهمين ) بالفتح ومعناها أخطأ من النسخ .

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ

الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِقَتَالِهِ ، وَاللَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿

أَقَامَهُ — صلى الله عليه وسلم — بقبوئه الأماكن للقتال ، فانتدب لذلك بأمره ثم أظهر في ذلك الباب مكنونات سيره ، فالمدار على قضائه وقدره ، والاعتبار بإجرائه واختياره .

قوله جلّ قدرته: ﴿وَإِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا

وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ، وَعَلَى اللَّهِ فليتوكّل

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿

يُبْرِزُ الْجَمِيعَ في صدار الاختيار ؛ كَأَنَّ الأَمْرَ إِلَيْهِمْ في فِهم وإِثباتهم ، وفضلهم وركهم ، وفي الحقيقة لا يتقلبون إلا بتصرف التبصّة ، وتقلب القدرة (١) .

قوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ

فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿

تذكّر ما سَلَفَ من الإنعام فتح لباب التلقّي في اقتضاء أمثاله في السَّنَائِفِ (٢) .

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذْ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ آلِ نَجْفٍ كُنْ

أَنْ يُعَذِّبَكُمُ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ

مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَوِّجِينَ ﴿ تَبَيَّنَ ، إِنْ

تصبروا وتتقوا يأتوكم من فورهم هذا

يُعَذِّبُكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ

الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿

كان تسكينُ الحقِّ سبحانه لقلبِ المصطفى — صلى الله عليه وسلم — بلا واسطة من الله

(١) خلاصة معنى هذه العبارة التي قد تدبوغامضة — أن التعبير القرآني ظاهره نسبة الأفعال للإنسان — وهذا من وجهة نظر الصوفي تمييز بالفرق ، والحقيقة أن كل شيء مرجعه إلى الله حيث يكون التعبير عنه بالجمع ، وقد تقدم معنى الجمع والفرق في هامش آخر .

(٢) السَّنَائِفُ = السَّجَل .



— سبحانه ، والربط على قلوب المؤمنين بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم — فلولاً بقية  
 بقيت عليهم مولودهم في حديث النصر إلى إزال الحلك ، وأنى بحديث الحلك — والأمر  
 كله بيد الحلك ١٢ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ إِلَّا بَشَرًا لِّكُمْ ،  
 وَلَتَجِدَنَّ قُلُوبَكُمْ بِهِ ، وَمَا النُّصْرُ إِلَّا  
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ ﴾ .

أجرى الله — سبحانه — سنته مع أوليائه أنه إذا ضفت نبيهم ، أو تناقصت<sup>(١)</sup>  
 إرادتهم أو أشرقت<sup>(٢)</sup> قلوبهم على بعض فترة — أرام من الألفاظ ، وفنون الكرامات  
 ما يقوى به أسباب عرفاتهم ، وتؤكد به حقائق يقينهم .

فعل هذه السنة أنزل هذا الخطاب . ثم قطع قلوبهم وأمرهم عن الأخبار بالكلية فقال :  
 « وما النصر إلا من عند الله » .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيَقَطَّعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ۝ ﴾ .  
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُشِيتُ بِأُولِيَّائِهِ عَدُوًّا ، فَالْمُؤْمِنُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ نَكْبَةٌ ، فَصَدُوهُ لَا عَاقِبَةَ لِّكَيِّهِ<sup>(٣)</sup>  
 اللَّهُ فِي الْفِتْنَةِ وَالْمَقْوِيَّةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ  
 عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبُهُمْ ، فَاتَّهِمُ الظَّالِمُونَ ۝  
 وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ إِذْ أَنزَلَ فِيهِمُ الرِّسَالَةَ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ  
 يَفْزَعُ لِمَن يُشَاءُ وَيُعَذِّبُ لِمَن يُشَاءُ  
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ .

(١) وردت ( تناقضت ) ولا يمنع أن تكون بالصاد حتى يسلم النفس مع الضعف .

(٢) وردت بالالف وهي خطأ في النسخ .

(٣) مكنا في ( م ) وهي صحيحة ولكننا لا نستبد أن تكون في الأصل ( يكت ) حيث جاء هذا

العمل في الآية الكريمة التي نحن بسعدنا .

الإله من له الأمر والنهي ، فلما لم يكن له في الإلهية نظير لم يكن له — ( صلى الله عليه وسلم )<sup>(١)</sup> — من الأمر والنهي شيء .

ويقال جرده — بما عرفه وخاطبه — عن كل غير ونصيب ودعوى ، حيث أخبر أنه ليس له من الأمر شيء ، فإذا لم يميز أن يكون لسيد الأولين والآخرين شيء من الأمر فمن نزلت رتبته عن منزلته ففي يكون له شيء من الأمر ؟

ويقال استأثر ( يستأثر عباده في حكمه<sup>(٢)</sup> ) فقال أنا الذي أنوب على من أشاء من عبادي وأعذب من أشاء ، والعواقب عليك مستورة ، وإنك — يا محمد — لا تدري سرى فيهم .

ويقال أظنه في وقت مقاماً فقال : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » رمى بقبضة من التراب فأصاب جميع الوجوه ، وقال له في وقت آخر : « ليس لك من الأمر شيء » ثم زاد في البيان فقال : « والله ما في السموات وما في الأرض » . فإذا كان ذلك ملكه ، والأمر أمره ، والحكم حكمه — فمن شاء عذبه ، ومن شاء قرّبه ، ومن شاء هداه ، ومن شاء أغواه .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا

أَضَاعًا مَضَاعَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ واتقوا النار التي أُعِدَّتْ  
للكافرين .

حرّم الربا على العباد ومنه إقراض الواحد بالثمن تستردّها ، وسأل منك القرض الواحد بسبعائه إلى مالا نهاية له ، والإشارة فيه أن الكرم لا يليق بالخلق وإنما هو صفة الحق سبحانه .  
« واتقوا النار التي أُعِدَّتْ للكافرين » : دليل الخطاب أن للؤمن لا يُعذب بها ، وإن عذب بها مدّة فلا يُخلّد فيها .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(١) أضاعها لتوضيح المعنى .

(٢) ربما كانت في الأصل مكناً ( بسرّ حكمه في عباده ) لأنه بعد قليل يقول ( لا تدري سرى فيهم ) أي أن المستأثر به هو السر ، وكذلك كلمة ( ست عباده ) مرفوعة فالأول أنه يستأثر بالحكم ، أو بالعواقب كما جاء بعد قليل .

قَرَنَ طاعة الرسول صلوات الله عليه بطاعة نفسه تشريعاً لِقَدْرِهِ ، وتخفيفاً على الأمة حيث رَدُّهُم إلى محبة شخص من أنفسهم ، فَإِنَّ الْجَنَسَ إِلَى الْجَنَسِ أَسْكُنُ .

قوله جل ذكره: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ

أُعِدَّتِ الْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يَنْقُرُونَ

في السراء والضراء والكافين

الغيظ والعافين عن الناس والله

يحب المحسنين \*

معناه سارعوا إلى عمل يوجب لكم المغفرة ، ففتحت القلوب وتوهمت أن ذلك أمرٌ شديد فقال صلى الله عليه وسلم : « التمس توبة » وإتما توجب للمغفرة التوبة لأن العاصي هو الذي يحتاج إلى المغفرة .

والناس في السراعة على أقسام : فالعابدون يسارعون بقَدَمِهِم في الطاعات ، والعارِفون يسارعون بهمهم في القربات ، والعاصون يسارعون بندمهم بتجرُّع الحمرات . فَمَنْ سارع بقَدَمِهِ وجد مثوبته ، ومن سارع بهممه وجد قرينته ، ومن سارع بندمه وجد رجته .

ولما ذكر اللجنة وصفها بسعة العرض، وفيه تنبيه على طولها لأن الطول في مقابلة العرض،  
وحيث ذكر للفترة لم يذكر الطول والعرض، فقوموا قالوا: للفترة من صفات الذات وهي بمعنى  
الرحمة فليس هذا فضافته حكمه بالتجاوز عن المبدء وهو كلامه، وصفة الذات تنفرد عن  
الطول والعرض.

ومن قال : مغفرته من صفات فعله قال لكثرة الذنوب لم يصف الغفران بالنهاية ، إشارة إلى استغراقه جميع الذنوب .

قوله جل ذكره . ﴿الَّذِينَ يَنْتَقُونَ فِي السَّأَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾

لا يدخرون من الله شيئاً ، ويؤثرونه على جميع الأشياء ، ينفقون أديانهم على الطاعات ، وفنون الأوراد والاجتهاد ، وأمواهم في إفساء الخيرات وإنباه القربات بوجوه الصدقات ،

وتفويضهم في الطلب ثم دوام المراجعة ، وأرواحهم على صفاء الهبئات والوفاء على عموم الحالات ،  
وينفقون أسرارهم على المشاهدات في جميع الأوقات<sup>(١)</sup> ؛ ينتظرون إشارات المطالبات ،  
مستعدين للبدار إلى دقيق المطالبات<sup>(٢)</sup>

قوله : « والكاملين النفيظ » : يتجاوزون عن الخلق للملاحظات أيام بعين النسيبة ،  
وأقوام يحلّون على الخلق. علماً بأن ذلك بسبب جرّهم فيشهدونهم بعين التسلسل ، وآخرون  
يكظمون النفيظ تحقّقاً بأن الحق سبحانه يعلم ما يقاسون فيهن عليهم التحمل ، وآخرون فنوا  
عن أحكام البشرية فوجدوا صافي الدرجات في الدّلّ لأن نفوسهم ساقطة فانية ، وآخرون  
لم يشهدوا ذرة من الأغيار في الإنشاء والإجراء ؛ فعلوا أنّ للنفس الله ؛ فزالت خصوصياتهم  
ومنازلاتهم مع غير الله لأنهم لم أفردوه بالإبداع اقتادوا لحسكه ؛ فلم يروا معه وجهاً غير  
التسليم لحسكه ، فأكرمهم الحق سبحانه ببرّ الرضاء ، فقاموا له بشرط المواقفة .  
قوله « والعافين عن الناس » فرضاً<sup>(٣)</sup> رأوه على أنفسهم لا فضلاً منهم على الناس ،  
قال قائلهم :

رُبُّ رايِم لي بأحجار الأذى لم أجِدْ بُدّاً من العطف عليه

« والله يحب المحسنين » والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه .. هنا في معاملة الحق ،  
وأما في معاملة الخلق فالإحسان أن تدعّ جميع حقك بالكلية كم كان على من كان ، وتقبل  
(... )<sup>(٤)</sup> منه ولا تقلله في ذلك منّة .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين إذا فصلوا فاحشة أو ظلموا

أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا

لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ،

(١) سقطت الواو فأثبتناها .

(٢) أخطأ الناسخ إذ كتبها ( المطالبات ) أيضاً ، ونظراً لأن المطالبة مرتبطة بالكشف والكشف  
مرحلة متأخرة . فقد تركنا الأولى ( المطالبات ) وصوبنا الثانية ( المطالبات ) .

(٣) وردت ( فرضاً ) والصواب بالقاء فهكنا يرشدنا السياق ، والشاهد الشرعي بهذه .

(٤) مثلية .

ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون \*  
 أولئك جزاؤم مغفرة من ربهم  
 وجنت تجري من تحتها الأنهار  
 خالدين فيها ونعيم أجر العاملين \*

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام « قُلْ لِلظُّلَمَةِ حَقٌّ لَا يَذْكُرُونِي فَأَنِّي أُوجِبْتُ أَنْ  
 أَذْكُرَ مَنْ ذَكَرَنِي ، وَذِكْرِي لِلظُّلَمَةِ بِالْعَنَةِ » . وقال للظُّلَمَةِ هذه الأمة :

« أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله » ثم قال في آخر الآية : « ومن ينفر الذنوب إلا الله » .  
 ويقال فاحشة كل أحد على حسب حاله ومقامه ، وكذلك ظلمهم . وإن خُطِرَ المخالفات  
 ببال الأكابر كيف فعلها من الأغيار ، قال قائمهم :

أنت عبي وليس من حق عبي غضُّ أجفائها على الأعداء<sup>(١)</sup>  
 فليس الجرم على البساط كالذنب على الباب .

ويقال فعلوا فاحشة بركونهم إلى أفعالهم ، أو ظلموا أنفسهم بملاحقة أحوالهم ، فاستغفروا  
 لذنوبهم بالتبصر عن حركاتهم وسكناتهم علماً منهم بأنه لا وسيلة إليه إلا به ، فخلصهم  
 من ظلمات نفوسهم . وإن رؤية الأحوال والأفعال لظلمت عند ظهور الحقائق ، ومن ظهره  
 الله بنور العناية صاته عن التورط في المغاليط البشرية<sup>(٢)</sup> .

« أولئك جزاؤم مغفرة من ربهم » برؤم إلى شهود الرزوية ، وما سبق لهم من الحسنى  
 في سابق القسمة .

« وجنت تجري من تحتها الأنهار » مؤجلاً من الفرديس ، ومُعجلاً في روح المباحث  
 وتعام الأنس .

قوله جل ذكره : « قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا

(١) البيت لأن الروى يجانب صديقه أبا القاسم التوزي الشطرنجي .

(٢) القسري في هذه الفترة متأثر بتعاليم أهل الملامة للنيسابورية الذين يملكون حرباً لا هوادة فيها  
 على كل دعوى للفلس حتى لينعزلون ستر حياتهم الباطنية بفعل ما يوجب ملامة الناس ، وكل ذلك في سبيل  
 كسر النفس وعدم استعمار العبد لأي فضل منه :

في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة  
المكذبين « هذا بيان للناس وهدى  
وموعظة للمتقين »

يعنى اعتبروا بمن سلف ، وانظروا كيف فعلنا بمن وآلى وكيف انتقمنا من عادى ،  
وقوله تعالى « هذا بيان للناس » : بيان لقوم من حيث أدلة القول ، ولآخرين من حيث  
مكاشفات القلوب ، ولآخرين من حيث تمجيد الحق في الأسرار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ  
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

يعنى إذا قلتم بالله ( ووصلتم<sup>(١)</sup> ) بالله فلا ينبغي أن تخافوا من غير الله ، ولا تهنوا  
ولا تضعفوا فإن النصر من عند الله ، والغالب الله ، وما سوى الله فليس منهم ذرة  
لا منهم صينة .

قوله : « إن كنتم مؤمنين » أى ينبغي للمؤمن ألا تظله مهابة من غير الله .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ يَنْسَكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ  
قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ  
النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ  
الظَّالِمِينَ ﴾

إن نالكم فينا مشقة فالذين تقدموكم لقوا مثل ما تقيتم ، ومثوا بمثل ما به متئيتم ، فمن صبر  
منهم ظفر ، ومن ضجر من حذر ما لقي خسر ، والأيام توب والحالات ذول ، ولا يخفى  
على الحق شيء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَبِمَحَقِّ  
الْكَافِرِينَ ﴾ .

---

(١) لا نستبعد أنها ( وصلتم ) من صال يصول ، ويدعم ذلك حرف الجر بعده ، وكذلك السياق .

اختبارات النيب سبك<sup>(١)</sup> لعبد فباختلاف الأطوار يخلصه من للشائب فيصير كالذهب  
الخالص لا خَبَثَ فيه ، كذلك يصفو عن الملل فيخلص لله .

« ويحق الكافرين » في أودية التفرقة . ( وأما الزيد فيذهب جهنم<sup>(٢)</sup> ) .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتِخَذُوا الْجِنَّةَ وَلِمَ يَعْلَمِ  
اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ  
الصَّابِرِينَ ﴾

من ظن أنه يصل إلى محل عظيم من دون مقاساة الشدائد ألقته أمانيه في مهواة الملاك ،  
وإن من عرف قدر مطلوبه سهل عليه بذل مجهوده : ( ..... ) وهو بلباته على من يظن  
يخلص المنار<sup>(٣)</sup> وقال قائلهم :

إذا شام الفنى برق للمانى فأهونُ فائتِ طيبُ الرقاد

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ  
أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ  
تَنْظُرُونَ ﴾

طوارق الفنى بعد الصبر على احتمال للشاق ولكن :

إذا المسكبت دعوعٌ في خُدودٍ تبين من بكى<sup>(٤)</sup> من تباكى

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا عِدُّ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ  
قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ  
اِهْلِكْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ

(١) وودت ( شيك ) ويرجع أنها ( سبك ) فالسباق يدغم ذلك .

(٢) ترجح أن هذه الآية موضوعة هنا خطأ وأن مكانها عقب ( لا خبث فيه ) ليناسك الفنى .

(٣) هكذا في ( م ) والمصحح أنه : .

وما جاد دهر بلباته على من يظن بخلص المنار

وهو لأن نوازل ملاعبة له مع مسلم بن الوليد .

(٤) جاءت في الشطر ( تبين من بكى ) وهي خطأ في النسخ .

على حقيقه فَلَئِنْ يَضُرَّ اللهُ شَيْئًا  
وسيجزى الله الشاكرين ﴿١﴾

إن الرسل موقوفون حيناً ومقيّوناً ، ويخبرون عما عرفتوا بقدر ما عرفوا ؛ فإذا أيدوا  
بأنوار البصائر أطلعوا على مكنونات السرائر بلطائف التلويح بقدر ما أعطوا من الإشراف  
يوغاثف البلوغ .

« أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم » لما تَوَقَّعَ للمصطفى - صلى الله عليه وسلم -  
سقطت البصائر إلا بصورة الصديق رضى الله عنه فَأَمَدَّهُ اللهُ بقوة السكينة ، وأفرغ عليه قوة  
التولى قتال . « من كان يعبده محمداً فإن محمداً قد مات » فصل السُّكُلُ مقهورين تحت سلطان  
قائه لِمَا انبسط عليهم من نور حالته ، كالشمس بطلوعها تندرج في شعاعها أنوار السكواكب  
فيستتر فيها مقادير مطارح شعاع كل نجم .

وإنما قال : « أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ » لأنه صلى الله عليه وسلم مات . وقيل أيضاً لأنه قال :  
« ما زالت أكلة خيبر تماودني فهذا أوان قطعت أبيري » <sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ وما كُنتَ تَنفَعِرُ ﴾ أن تموت  
إلا بإذن الله كنايةً عن جَلَاءِ مَنْ يَرُدُّ  
نواب الدنيا ثوبه منها وَمَنْ يَرُدُّ  
نواب الآخرة ثوبه منها وسنجزى <sup>(٢)</sup>  
الشاكرين ﴿٣﴾ .

الأنفاس محصورة ؛ لازيادة فيها ، ولا نقصان منها .

« ومن يرد ثواب الدنيا ثوبه منها » : للصالحين العاقبة وللآخرين النعمة .

« ومن يرد ثواب الآخرة ثوبه منها » : وثواب الآخرة أوله النفران ثم الجنان ثم الرضوان .

---

(١) وفي البخاري بلفظ « ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير فهذا أوان وجدت انقطاع  
أبيري من ذلك ألم » قال القرطبي : « وهذا قاله في مرض موته » .  
(٢) أخطأ الناسخ إذ أضاف ( وسيجزى الله ) وقد للتيس عليها ختام الآية السابعة .



« وسيجزي الله الشاكرين » : وجزاه الشكر الشكر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَجْمٍ فَتَنَّا مَعَهُ رَبُّوْنَ  
كَثِيْرٌ ۚ فَآ وَهِنُوْا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي  
سَبِيْلِ اللّٰهِ وَمَا ضَعُفُوْا وَمَا اسْتَكَانُوْا  
وَاللّٰهُ يَحِبُّ الصّٰبِرِيْنَ ۝۱۰۰ ﴾

إن الذين درجوا على الوفاء ، وعلّموا بحق الصفاء ، ولم يرجعوا عن الطريق ، وطالبوا  
نفوسهم بالتحقيق ، وأخذوا عليها بالتضييق والتدقيق — وجدوا حجة الحق سبحانه ميراث  
صبرهم ، وكان الخلف عنهم الحق عند نهاية أمرهم ، فإ<sup>(١)</sup> زاعوا عن شرط الجهد ، ولا زاعوا  
في حفظ العهد ، وصلّوا تسلياً ، وخرجوا عن الدنيا وكان كل منهم للمهد مقبلاً مستندباً ، وعلى  
شرط الخدمة والوداد مستقبلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ نَالُوا رَبَّنَا  
أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ،  
وَلَبِثْتَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ  
الْكَافِرِيْنَ ۝۱۰۱ ﴾

تحققوا بمحقق المعنى فخرسوا<sup>(٢)</sup> عن إظهار الدهوى ، ثم نطقوا بلسان الاستنفار ،  
ووقفوا في موقف الاستحياء ، كما قيل :

يَتَجَنَّبُ الْأَثَامَ ثُمَّ يَخْفَا فَكَيْتُمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ

قوله جل ذكره : ﴿ فَآ تَنَامُ اللّٰهُ ثَوَابِ الدُّنْيَا ۝۱۰۲ ﴾

وأقل ذلك القناعة ثم الرضا ثم العيش معه ثم الأُس في الجلوس بين يديه ثم كال الفرح  
بملاقاته ، ثم استقلال السر بوجوده .

(١) أخطأ الناسخ إذ نفعها ( فلما زاعوا ) وهنا يخالف المعنى المراد ، والصحيح ( فإ )

(٢) وردت بالماء والوواب أن تكون بالماء ، فالمعنى يتطلب ذلك وهو به .

﴿وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ ، والله يحب  
المحسنين ﴿١﴾ .

يعنى دخولهم الجنة وهم محروون عنها ، غير داخلين فى أسرها .  
ويقال ثواب الدنيا والآخرة الغيبة عن البارين برؤية خالفتها<sup>(١)</sup> .

ولما قال « ثواب الدنيا » قال فى الآخرة « وحسن ثواب الآخرة » فوجب أن يكون  
لثواب الآخرة مزية على ثواب الدنيا حيث خصه بوصف الحسن ، وتلك المزية دوامها وتماها  
وتمازها ، وأنها لا يشوبها ما ينافيها ، ويوقع آفة فيها .

قوله جل ذكره : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا اللَّهَ  
كَفَرُوا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا  
خسرين ﴾ بل الله مولاكم وهو خير  
الناصرين ﴿٢﴾ .

يعنى إن طاعتم الأعداء جردكم إلى أحوالهم<sup>(٢)</sup> ، فالتوكم فى ظلماتهم ، بل الله مولاكم :  
تنصركم ومعينكم وسيدكم ومصلح أموركم ، « وهو خير الناصرين » : لأنه يبينكم على أنفسكم  
ليكنيكم شرها ، ومن سواه يزيد فى بلائكم إذا نصروكم لأنهم يمينون أنفسكم عليكم .  
« وهو خير الناصرين » لأن من سواه يمين عليك بنصرته ليالك ، وهو يجازيك على  
استنصارك به<sup>٣</sup> .

ويقال كل من استنصرت به احتجت إلى أن تعطيه شيئاً من كرائمك ثم قد  
ينصرك وقد لا ينصرك ، فإذا استنصرتَه — سبحانه — يعطيك كل لطيفة ، ولا يرضى  
بالأنا ينصرك .

قوله جل ذكره : ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) الغيبة لى المصطلح المرفوع من مقوماتها ألا يحس البعد بمراد من تذكر ثواب أو تذكر  
فى عتاب ، وعلى حسب الغيبة عن الخلق يكون ( حضور ) البعد بالحق .  
(٢) وردت ( أحوالهم ) وهذا خطأ لى النسخ .

الربِّ بما أشركوا بالله ما لم ينزل  
به سلطاناً وأوامر الناس ويس  
منوى الظالمين ❦

إنَّ الله سبحانه خصَّ نبيَّنا — صلى الله عليه وسلم — بإلقاءِ الربِّ منه في قلوب  
أعدائه ، قال عليه السلام : « نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ » . فكذلك أجرى هذه السُّنة مع أوليائه ؛  
يطرح الريبة منهم في القلوب ، فلا يكاد يكون عقى إلا ومنه — على المبطلين وأصحاب  
الدموى والتمويه — هبةٌ في القلوب وقهرٌ .

قوله جل ذكره : ❦ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ  
تَخَصَّصْتُمْ بِهِ إِذْ يَقُولُ مَا كُنْتُمْ  
تَتَنَازَعُونَ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِهِ  
مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ❦

( إنَّه سبحانه يجازيك على استنصارك به ، ويقال كل من استنصرت به احتجت إلى أن  
عليه شيئاً من كرائمك ثم قد ينصرك وقد لا ينصرك ، فإذا استنصرت — سبحانه —  
يعطيك كل لطيفة ، ولا يرضى بالآل ينصرك ) . (١)

الإشارة من هذه الآية إلى أن الحق سبحانه أظام أوليائه بحق حقه ، وأقدمهم عن تحصيل  
حظوظهم ، وأظام سبحانه بكفائتهم بكل وجه ، فمن لازم طريق الاستقامة ، ولم يزغ عن حده  
ولم يزغ في عهده ، فإنه سبحانه يصدق وعده له بمجمل الكفاية ودوامها ، ومن ضلَّ عن  
الاستقامة — ولو خطوة — عثر في مشيته ، واضطربت عليه — بمقدار جرِّمه — حاله  
وكفائيته ، فمن زاد زيد له ، ومن نقص نقص له .

قوله جل ذكره : ❦ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ

---

(١) ما بين القوسين سبق ورودُه عند تفسير « وهو خير الناصرين » في ختام الآية قبل السابقة ؛  
ولا ندري هل أظامها التفسير هنا لتفسير « ولقد صدق الله وعده » أم أن النسخ قد وقع في التكرار  
سهواً أثناء الكتابة ؟

يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم  
ليبتليكم ولقد عفا عنكم ، والله  
ذو فضل على المؤمنين ﴿

قيمة كل أحد إرادته ؛ فمن كانت همته الدنيا فقيته خسية حقيرة كالدنيا ،  
ومن كانت همته الآخرة فشريف خطره ، ومن كانت همته ربانية فهو سيد وقته .

ويقال من صفا عن إرادته وصل إليه ، ومن وصل إليه أقبل — بلطفه — عليه ،  
وأزله بمحل الخصوصية لديه .

قوله : « ثم صرفكم عنهم » : الإشارة منه أنه صرف قوماً عنه فشتلهم بنفوسهم عنه ،  
وآخرون صرفهم عن كل غير فأفردهم له ؛ فلزاهدون صرفهم عن الدنيا ، والمابدون  
صرفهم عن اتباع الهوى ، والمريدون صرفهم عن الملى ، والموحدون صرفهم عما هو  
غير وسوى .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنِ عَلَى أَحَدٍ

وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ  
عَمَّا يَنْهَوْنَ لَكُمْ لَكُمْ خُذُوا عَلَى مَا فَاخَذَكُمْ  
وَلَا مَا صَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ  
• ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ  
أَمْنٌ نَاعَسًا يَنْشَوْنَ ظِلًّا مِنْكُمْ ،  
وَمَا ظِلُّهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَنْظُرُونَ  
بِاللَّهِ غَيْرِ الْحَقِّ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ  
هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ إِنَّ  
الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ؛ يَحْضُرُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ  
مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا  
مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ، قُلْ

لو كنتم في بيوتكم لبردَّ الدين  
 كُتِبَ عليهم القتلُ إلى مضاجعهم  
 وليصلَّ الله ما في صدوركم ،  
 وليُصحَّ ما في قلوبكم ، والله عليم  
 بذات الصدور .

قوله : « إذ تصمدون » الإشارة من هذه الآية لأقوام تقع لهم فترة ، ودواعي الحق سبحانه — من أنفسهم ، ومن جميع الأقطار حتى كأنَّ الأحجارَ من الشوارع والأبن من الجدران — تناديه : لا تقبل يا عبد الله ! وهو مُعيرٌ في لَبِّهِ ، مقيمٌ على غيِّهِ ، جاحدٌ لما يعلم أنه هو الحقُّ والأولى من حاله ، فإذا قضى وطره واستوفى بهته ، فلا محالة يمسك من إرسال عنائه ، ويقف عن ركضه في ميدانه ، فلا يحصل إلا على أنفاس متعاعدة ، وحشرات متواترة ؛ فأورثه الحقُّ — سبحانه — وحشةً على وحشة . حتى إذا طال في التعثر مقامه تداركه الحقُّ — سبحانه — بجيمل لطفه ، وأقبل عليه بحسن عطفه ، وأقنعه من ضيق أسره ، ونقله إلى سعة عفوه وفضله ، وكثيرٌ من هؤلاء يصلون إلى محلِّ الأكابر ثم ينفون بالله لله ( ..... )<sup>(١)</sup> ويقومون بالله لله بلا انتظار قريب ولا ملاحظة ترحيب .

قال تعالى : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نملأً يشقى طائفةً منكم وطائفةً قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية » : فأهل التحقيق والتوحيد يصلون بعد فتراتهم<sup>(٢)</sup> إلى القول بِتَرْكِ أنفسهم ، وغسل أيديهم منهم ، ورفع قلوبهم عنهم فيمشون بالله لله ، بلا ملاحظة طمع وطلبة ، بل على عقيدة اليأس عن كل شيء . عليه أكدوا العهد : وبدُّوا الحظ<sup>(٣)</sup> ، وتركوا كل نصيب وحظ ، وهذه صفة من أنزل عليه الأمانة .

فأما الطائفة التي أهمتهم أنفسهم — فبقوا في وحشة نفوسهم ، ومن عاجل عقوبتهم سوء

(١) مشتبهة .

(٢) وودت ( فطرائيم ) الطاء والأصوب أن تكون بالياء لأن الفترة وقت مناساة ومماناة فهي تلازم مع ( وتخرج حشراتهم ) .

(٣) الحظ هنا معناه الملاحظة ، ملاحظة النفس أو ملاحظة الموضع .

عقيدتهم في الطريقة بعد إيمانهم بها ، قال تعالى : « وَقَلْبُ أَقْدَنَّهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَلَامٌ يُؤْمِنُوا بِهِ  
أُولَئِكَ » .

والإشارة في قوله تعالى : « هل لنا من الأمر من شيء » لخلوة أنهم يتحذرون في أمرهم  
فلا إقبال لهم على الصواب بالحقيقة ، ولا إعراض بالكلية ، يحلون فقرتهم على سوء اختيارهم ،  
ويضيفون صفوة - لو كانت لقلوبهم - إلى اجتهدهم ، ويسمون رؤسهم في الحالين ، فلا يبصرون  
تقدير الحق سبحانه . قال تعالى :

« قُلْ إِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا : فَمَنْ عَرَفَ أَنَّ الْمُنَى اللَّهُ اسْلَخَ عَنْ اخْتِيَارِهِ وَأَحْوَالِهِ  
كَاسْلَاخِ الشَّعْرِ مِنَ الْعَجِينِ ، وَسَلَّمَ أُمُورَهُ إِلَى اللَّهِ بِالْكَلِيَّةِ . وَأَمَارَةٌ مَنْ يَحَقِّقُ بِذَلِكَ أَنْ  
يَسْتَرْجِعَ مِنْ كَدِّ تَدْبِيرِهِ ، وَيَعِيشَ فِي سَعَةِ شُهُودِ تَقْدِيرِهِ .

وقوله : « يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك » : لم يُخْلِصُوا في عقائدهم ، وأضربوا خلاف  
ما أظهروا ، وأخلطوا غير ما ستروا ، وأحالوا الكائنات على أسباب توهموها .

قال تعالى : « قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يَبُونِ كَيْفَ يُبْرَأُكُمْ لِيَرْزُقَكُمْ الَّذِينَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ إِلَى مُضْلَجِهِمْ » :  
أخبر أن التقدير لا يُرَاحَمُ <sup>(١)</sup> ، والقدر لا يُكَابَرُ ، وأن الكائنات محتومة ، وأن الله  
غالب على أمره .

وقوله : « وليبلى الله ما في صدوركم » : فأما أهل الحقائق فإنه تعالى ينتزع من قلوبهم  
كل آفة وحجة ، ويستخلص أمرارهم بالإقبال والزلقة ، فتصبح قلوبهم خالصة من الشوائب ،  
صافية عن الملائق ، منفردة للحق ، مجردة عن الخلق ، مُحرَّرة عن الخطأ والنفس ، ظاهرة  
عليها آثار الإقبال ، غالباً عليها حسن التوكل ، بادية فيها أنوار التجلي .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْنَفْيِ

الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ

بِمَعْصِيَةٍ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ

عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ »

---

(١) وردت بالماء والصواب أن تكون بالماء .

الإشارة من هذه الآية إلى أحوال من سَقِيتْ إرادتهم ، وضَعَّتْ نِيَّاتهم ، وقادَمَ الهوى ، وملَكَتْهم الفَترَة .

فَأَبْلَهُمْ نَضْحُ النَّاصِحِينَ ، ودعوة للى ، ووساوس الشياطين فركنوا إلى النبية ، وآثروا الهوى على التقي فبقوا عنه ، ولم يتهنؤا بما آثروه عليه .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

كَفَرُوا وَكَانُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا

فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا خُزْيًى ، لَوْ كَانُوا

عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْزَلَ اللَّهُ

ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُجِبِّي

وَيُخَيِّتُ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْلَمُونَ بَصِيرٌ ۝

مَنْ تَعَوَّدَ أَنْ يَتَلَهَّى عَلَى مَاضِيهِ وَمَسَالِفِهِ ، أَوْ يَتَدَبَّرَ فِي مُسْتَقْبَلِهِ وَأَنَفِهِ ، فَأَقْلُ عَقوبة لَهُ ضَيْقُ قَلْبِهِ فِي ضَرْفَةِ الْمَهْموم ، وامتداح نعت الحياة<sup>(١)</sup> عن قلبه لتفكته وقائه ليت كذا ولعل كذا ، وثمرَة الفكرة في ليت ولعل — الوحشة والحسرة وضيق القلب والتفرقة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمٌ

لَتَغْفِرَ اللَّهُ مِنْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ خَيْرٌ

مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ

لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ۝

بذل الروح في الله خير من الحياة بغير الله ، والرجوع إلى الله خير لمن عرف الله من البقاء مع غير الله ، وما يؤثره العبد على الله فخير مبارك ، إِنَّ شِئْتَ : والدنيا ، وَإِنْ شِئْتَ : والعقبى .

قوله ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ۝ ﴾ : إذا كان للصير إلى الله طالب المسير

(١) حياة القلب عمارته بالله وقد وردت في مطلع الإشارة التالية ، ولا يستبعد أنها ( الحياة ) فهي مقبولة أيضاً .

إلى الله : وإنَّ سَفَرَهُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا نَحْطُ رَحَالَنَا لِنُقَاسَتِهَا أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ !  
 قوله جل ذكره . ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ  
 فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ  
 حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ،  
 وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ  
 فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
 الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

جرَّده عن أو صاف البشرية ، وأفرده بما ألبسه من نمت الربوبية ، وأخبر أن ما يلوح  
 إليه فن أنوار التولى ، لا من آثار الوفاق والتبرى ، ولولا أنه استخلصه بما ألبسه وإلا متى  
 كان بذلك الصفة ١٩ ؟

ويقال إن من خصائص رحته — سبحانه — عليه أن قَوَاهُ حَتَّى صَحْبِهِمْ ، وصبر  
 على تبليغ الرسالة إليهم ، وعلى ما كان يقاسيه من اختلافهم — مع سلطان ما كان مستغفراً له  
 ولجميع أوقاته من امتيلاء الحق عليه ، فلولا قوة إلهية استأثره الحق بها وإلا متى أطلق صحبتهم ١٩ ؟  
 ألا ترى إلى موسى عليه السلام لما كان قريب العهد بسباع كلامه كيف لم يصبر على  
 مخاطبة أخيه فأخذ برأس أخيه يجره إليه ؟

ويقال لولا أنه صلى الله عليه وسلم شاهدتم عموماً فيما كان يجري عليهم من أحكام  
 التصريف ، وتحقق أن منشأها الله — لما أطلق صحبتهم .

قوله تعالى : « وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » : لَوْ سَقَيْتَهُمْ حَرِيفَ  
 شراب التوحيد غير ممزوج بما فيه لم حظ لتفرقوا عنك ، هائمين على وجوههم ، غير  
 مطيعين للوقوف لحظة ، « فَاعْفُ عَنْهُمْ » فيما يكون تقصيراً منهم في حثك وتوقيرك ،  
 وما حثرت عليه من تفریطهم في خدمتنا وطاعتنا — فانتصيب لهم شفعاً إلينا .

ويقال « فَاعْفُ عَنْهُمْ » فاعف — أنت — عنهم فإن حثك حكماً ، فانت لا تغفو  
 إلا وقد عفونا . ثم رده عن هذه الصفة بما أثبتته في مقام العبودية ، وقته إلى وصف التفرقة



قال : ثم قُبِفَ في محل التذلل مبهلاً إلينا في استغفارهم . وكنا سنُثَنِّه — سبحانه — مع أنبيائه عليهم السلام وأوليائه ، يردُّهم من جمع إلى فرقي ومن فرقي إلى جمع ، فقوله : « فاعف عنهم » جمع ، وقوله : « واستغفر لهم » فرق .

ويقال « فاعف عنهم » ونجاوز عنهم في حقوقك ، ولا تكفِّر بذلك ما لم تستغفر لم إكالا للكرم ، ولهذا كان يقول : « اللهم اهد قوى قلوبهم لا يملكون » .

ويقال ما يُقَصِّرُون في حقِّكَ تَصَلِّقْ به حَقَّان : حقك وحقى ، فإذا عفوت أنت فلا يكفي هذا القدر بل إن لم تتجاوز عنهم في حق كانوا مستوجبين للمقوبة ، فمن أوصى خصمه لا يتجبر حاله ما لم يغفر الله له فيما ترك من أمره .

وقوله « واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » أى أثبت لهم محلاً ، فإنَّ المغفرة عنه في صدار انطجة لا يرى لنفسه مقام الكرامة ، فإذا شاورتهم أزلت عنهم انكسارهم ، وطبقت لهم قلوبهم .

ويقال تجسَّسوا في أحوالهم : فَمِنْ مُقَصِّرٍ في حقِّه أمرٌ بالمغو عنه ، ومن مرتكب لذنوبه أمرٌ بالاستغفار له ، ومن مطلع غير مقصر أمرٌ بمشاورته .

ثم قال : « فإذا عزمت فتوكل على الله » أى لا تنكسر على رأى مخلوق وكل الأمور إلى ، فإننا لا نخليك عن تصرف القصة بحال .

وحقيقة التوكل شهود التقدير ، واستراحة القلوب عن كد التدبير .

« إن الله يحب للمتوكلين » يذيقهم برِّكَ الكفاية ليزول عنهم كل لُفٍّ <sup>(١)</sup> ونَصَبٍ ، وإنه يعامل كلًّا بما يستوجبه ، وقومٌ يفتهم — عند توكلهم — بطلانه ، وآخرون يكفهم — عند توكلهم — بطلانه ، وقوم يرضهم في عموم أحوالهم حتى يكتفون بهائه ، ويقفون معه به له — على تلويثات <sup>(٢)</sup> قدره وقضائه .

(١) سقطت ( لا ) من النسخ .

(٢) وردت ( لُب ) بالفتح والمواوَب أن تكون ( لُب ) بالفتح ، وربما كانت في الأصل ( تَب )

(٣) اللفظة رديئة الخط ، ويحتمل أنها ( تَلْبِيتات ) ، وتلويث الأحوال مصحوب — حسب الاصطلاح

المصوب — يتعلب الأحوال ، ولهذا قالنى يتعلب كلا القطين .

قوله جلّ ذكره : ﴿ إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَمَا غَالِبَ لَكُمْ ،  
وإن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرُّكُمْ  
مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

المؤمنون نصرته لم بالتوفيق للأشباح ثم بالتحقيق للأرواح .

ويقال ينصركم الله بتأييد الظواهر وتسدّد<sup>(١)</sup> السرائر .

ويقال للنصرة إما تكون على العدو ، وأعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك .  
والنصرة على النفس بأن تهزم دواعي مُنتهاها بواصم رحمته حتى تَفْقُضَ جنود الشهوات بهجوم  
وفود المنازلات فتبقى الولاية لله خالصةً من شبهات الدواعي التي هي أوصاف البشرية ،  
وشهوات النفوس وأمانيتها ، التي هي آثار الحجة وموانع القربة .

﴿ إِنْ يَخْذُلْكُمْ ﴾ الخذلان التخلية مع المعاصي ، فَمَنْ نَصَرَهُ قبض حل يديه عن تمايل  
المكروه ، ومن خَذَلَهُ ألقى حبله على غلظه ، وَوَكَّلَهُ إلى سوء اختياره ، فيفترق عليه الحال  
في أودية الشهوات ، فرة يُشْرِقُ غير مُحْتَشِمٍ ، وتارة يُغْرِبُ غير مُحْتَرِمٍ ، ألا ومن سببه الحق  
فلا آخذ بيده ، ومن أسلمه<sup>(٢)</sup> فلا يجرّ له .

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ : في وجدان الأمان عند صدق الابتهاال ، وإسبال  
نوب<sup>(٣)</sup> الغو على هنة الجُرْم عند خلوص الالتجاء ، بالتبري من المنة والحول .

ويقال لما كان حديث النصره قال : « فلا غالب لكم » ، ولما كان حديث الخذلان  
لم يقل « فلا ناصر لكم » بل قال بالتلويح والرمز : « فمن ذا الذي ينصركم من بعده » :  
وفي هذا لطيفة في مراعاة دقائق أحكام الخطاب .

(١) من السداد .

(٢) أى أسلمه إلى نفسه :

(٣) وودعت ( نواب ) ، والملائم للإسبال : ( نوب ) وذلك آثرناهما .

قوله جل ذكره: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلُ مِنْ يَتْلُو وَيَقُولُ  
يَأْتِ بِمَا غُلِّقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تَوَفَّى  
كُلُّهُمْ فَتْرَهُ مَا كَتَبَتْ وَهُمْ  
لَا يَتْلَمُونَ﴾

ترجمه (۱) أحوال الأنبياء عن الله تعالى بنطليانات ، فمن حملناه من الرسالة إلى عبادنا يوصلها  
إلى مستحقها واجبا ، ولا يمتنع بشأن جبر له من دون أمرنا ، ولا يمنع نصيب أحد أمرنا  
بإيصاله إليه ، بمقدار ينطوي عليه . ألا نرى كيف قال : « اذهب فواره » لأبي طالب  
لما قال له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : مات عمك (۲) الضال . وكيف قبل الوحش قاتل  
حزرة لما أسلم ؟

ويقال ما كان لنبي من الأنبياء صلوات الله عليهم أن يضع أسرارنا في غير أهلها ،  
بل يُنزلون كل أحد عند ما يستوجب ، وفي الآخر « أَمَرْنَا أَنْ تُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ »

قوله جل ذكره: ﴿أَتَتَنَزَّلُ رِضْوَانُ اللَّهِ كُنْ بَأْ  
بَسْطُ مِنْ اللَّهِ وَمَا وَاهِ جَهَنَّمَ وَيَسْ  
المصير \* هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ،  
وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَسْلُونَ﴾

لا يستوى من رضى عنه في آزاله ومن سخط عليه فخذله في أحواله ، وجهله منكلا  
على أعماله ، ناسبا لشهود أفضاله ، واتباع الرضوان بمقارفة ما زجر عنه ، ومماقة ما أمر به ،  
فمن هجره من المزجور ، وتجهله في اعتناق الأمور فقد اتبع الرضوان ، واستوجب الجنان .

(۱) أعطى الناس فكتبتها ( زح ) بالماء :

(۲) « اذهب فضله وكفته وواره ففراقه له ورجه » هكذا أخرجه ابن سعد وابن حبان عن علي رضي الله عنه :

وفي السيرة الحلبية : إن هذا الحديث أخرجه أيضا أبو داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة  
عن علي قال : لما مات أبو طالب أخبرت النبي (ص) بموته فبكى وقال :  
« اذهب فضله وكفته وواره ففراقه له ورجه » .

وانظر أيضا « أسنى المطالب في نجات أبي طالب » لفرعي دحلان ط طهران سنة ۱۳۸۷ ( ص ۴۴ ) .

« هم درجات عند الله » : أى هم أصحاب درجات فى حكم الله ، فمن سديد مقرب ، ومن شقي مبعد .

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَثَّ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسْكَهَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

أجزل لديهم العارفة ، وأحسن إليهم النعم حيث أرسل إليهم مثل المصطفى سيد الورى صلوات الله عليه وعلى آله ، وعرفهم دينهم ، وأوضح لهم براهينهم ، وكان لهم بكل وجه فلا نية شكرها ، ولا حق وقروا ، ولا بما أوشدهم استبصروا ، ولا من ضلالتهم أقصروا .. هذا وصف أعمدائه الذين جحدوا واستكبروا . وأما للمؤمنون فتقبلوا اللية فى الاختيار ، وقابلوا الأمر بالسع والطاعة من كنه الاقتدار ، فسمدوا فى الدنيا والمقبي ، واستوجبوا من الله الكرامة والزلى .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مَصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

عادة الخلق لسان ما منهم من انططأ والمعيان ، والرجوع إلى الله بالهمة فيما يتصل بهم من المحن والخسران ، وفنون المكارة والافتتان ، وإن من تعاظم ( ١ ) الإجماع لتحقيق بالآينس حلول الانتقام .

قوله جل ذكره : ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن

الله وليكم المؤمنين • وليكم الذين  
 ناقضوا وقيل لم تملأوا قلوبكم  
 في سبيل الله أو اذعنوا قالوا : لو نعلم  
 قتالاً لا نبغتناكم ، هم فكفر  
 يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون  
 يا فراعهم ما ليس في قلوبهم ، والله  
 أعلم بما يكتمون ﴿

هوّن على المؤمنين وأصحاب البصائر ما لقوا من عظيم الفتنة يوم أحد ، بأن قال إن ذلك  
 أجمع كان بإذن الله ، وإنّ بلاه يصيب بإذن الله لمن العسل أكل ، ومن كل نعيم أشهى .  
 ثم أخبر أن الذين لم يكن لهم في الصعبة خصوص كيف تملأوا وكيف تسكسوا :  
 وكنا للكلول إذا أراد قطعة ملّ الوصال وقال كلن وكانا

قوله تعالى : « يقولون يا فراعهم ما ليس في قلوبهم » فلا جرّم (سقوا السكّل ودسّوا له  
 فيه الخنظل) <sup>(١)</sup> ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين .

قوله جل ذكره : ﴿ الذين قالوا للإخوانهم ونفسوا  
 لو أطاعونا ما قتلوا قلّ فادعوا عن  
 أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾

الذين ركنوا إلى ما سؤلّ لم فوسهم من إشار الهوى ، ثم اعترضوا على من يصرف  
 أحكام القضاء وقالوا لو تخرّجنا عن البروز لقتل لم يسقطوا عن درجة السلامة . . ككذومة  
 تلك الظنون ، ولذا هيبة عن شهود التحقيق تلك التلويح .

---

(١) هكذا يمكن أن تقرأ هذه الباردة لوبي الضلال فيها المعلوم ، أما لو بنينا الفهمول فإن الجزء الثاني  
 منها يكون (ودس لهم فيه الخنظل) . فالفاعل في الحالة الأولى يكون ضميراً يعود على المنافقين ، ونائب  
 الفاعل في الحالة الثانية يكون المولى عز وجل وما جاء في النسخة (س) يرجع الثانية ، وإن كنا  
 نميل للأولى .

قُلْ لَمْ — يا محمد — استمدوا لأنفسكم الحياة ، وادفوا عنها هجوم الوفاة !

ومنى تقدمون على ذلك ؟ أهيات هيات !

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَمْوَاتًا بَلْ أَعْيَاهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ

مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا يَحُفُّ عَلَيْهِمْ

وَلَهُمْ يُجْزَوْنَ ﴾

الحياة بذكر الحق بعد ما تتلف النفوس في رضاء الحق أتم من البقاء بنعمة الخلق مع

الحجة من الحق .

ويقال إن الذي وارثه الحى الذى لم يزل فليس يميت — وإن قُتِلَ :

وإن كانت العبدان الموت أنشأت قتل أرى في الله — لاشك — أفضل

قوله : « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » : من علم أن أحبائه ينتظرونه

وم في الرقة والنعمة لا يئس بعيش دون التناهب والإلزام بهم والنزول عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ

وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَفْضَحُ أُجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

علية استبشارهم وموجبه فضل من الله ونعمة منه ، أى لولا فضله ونعمته بهم وإلا متى

استبشروا ؟ فليس استبشارهم بالنعمة إنما استبشارهم بأنهم عياده وأنه مولاهم<sup>(١)</sup> ، ولولا فضله

ونعمته عليهم لما كانت لهم هذه الحالة .

---

(١) يقول الفخار — شيخ القشيري ومهره — ليس أشرف من اليهودية ، ولا اسم أتم للؤمن من الاسم له باليهودية ، وقد وصف بها الرسول (س) في أشرف أوقاته في الدنيا ، قال تعالى « فأوحى إلى عبده ما أوحى » .

لا تدعى إلا بيا عبدا فاته أشرف اسمائى (الرسالة ص ١٠٠)

قوله جل ذكره : ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَِّ وَالرَّسُولِ مِنْ

بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ الَّذِينَ أَحْسَنُوا

مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴿١﴾

للاستجابة مزية وفضيلة على الإجابة من حيث الإشارة لا من مقتضى العربية<sup>(١)</sup> وهو أنه يستجيب طوعاً لا كرهاً ، فهم استجابوا لله من غير انطواء على تحمل مشقة بل بإشارة القلب وعبة الفؤاد واختيار الروح واستحلاء<sup>(٢)</sup> تحمل الحكم . فلاستجابة لحق بوجوده ، والاستجابة للرسول — عليه السلام — بالتخلق بما شرع من حدوده .

استجابة الحق بالتحقق بالصفاء في حق الربوبية ، واستجابة الرسول عليه السلام بالوفاء في إقامة العبودية .

« من بعد ما أصابهم القرح » : في ابتداء مصابهم قبل ظهور أنوار التجلي على قلوبهم ، وابتسام الحقائق في أسرارهم .

« الَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ » : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ... » وهو للشاهدة والتفتى . ... « فإن لم تكن تراه فإنه يراك »<sup>(٣)</sup> — وهو المراقبة في حال المجاهدة .

« أَجْرَ عَظِيمٍ » لأهل البداية مؤجلاً ، ولأهل النهاية مُجِلاً .

قوله جل ذكره : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ

قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿٢﴾

لم يلتبس على ظواهرهم شيء من أحوال الدنيا إلا اقتضت لهم — في أسرارهم — طوابع من الكشوفات ، فازدادوا يقيناً على يقين .

---

(١) أى على مقتضى صيغ الاشتقاق في اللغة .

(٢) في من ( استحلاء ) والصواب أن تكون بالماء .

(٣) « أعبد الله كأنك تراه ... » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي الْفَرْدَاءِ ، وَحَسَنَ السَّيوطِيُّ مِنْهُ ، وَضَمَّهُ النَّوَوِيُّ . قَالَ الْخَافِضُ الرَّاقِي : رَجُلٌ نَحَاتَ فِيهِ انْطِطَاعٌ « أَعْبَدَ اللَّهَ كَأَنَّهُ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » ، وَحَسْبُ تَعْلُكَ فِي اللَّوْقِ ، وَاتَّقِ دَهْوَةَ الْمَظْهَرِ « وَلِىَ الْخَلِيقَةِ مِنْ رَيْدِ بْنِ أَوْفَمٍ .

ومن أمارات اليقين استقلالُ القلوب بالله عند اطماع النفي من الخلق في نوم  
الإنجاد والإمارة .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ مِنْكُمْ وَافْعَلُوا بِهِمْ سِوَاهُ ، وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَهُ ﴾  
والله ذو فضلٍ عظيم ﴿

كنا سنة الحق — سبحانه — مع مَنْ صدَّق في التجاهه إليه أن يهد مقيله في ظل كفايته ؛  
فلا البلاد يحسه ، ولا العناء يعيبه ، ولا النصب <sup>(١)</sup> يُظله .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُونُ ﴾  
أوليائه فلا يخافونهم ، وخافون إن  
كنتم مؤمنين ﴿

الإشارة في تسلط دواهي الشيطان على تقرب الأولياء صدق فرارهم إلى الله ، كالصبي الذي  
يخوف بشيء يفرغ الصبيان ، فإذا خاف لم يبتدر إلى غير أمه ، فإذا أتى إليها آوَتْه إلى نفسها ،  
وضمته إلى تحوها ، وألصقت يده خدها .

كذلك العبد إذا صدق في إقباله إلى الله ، ورجوعه إليه عن مخالفته ، آواه إلى كنف  
قربه ، وتداركه بحسن لطفه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِفُونَ فِي الْكُفْرِ لِمُحَمَّدٍ لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا ، يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطْلًا فَمَنْ حِطْلًا فِي الْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

زاد في قوة قلبه بما جدد له من تأكيد العهد ، بأنه لا يُشْمِتُ به عدوًّا ، ولا يُوَصِّلُ  
إليه من قبيلهم سوءًا .

(١) في من (النصب) والصواب (النصب) قالوا يطلب ذلك .  
(٢) هنا أشد النسخ — سواً — لفظة (الله) لاختصاصها .



قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ

لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ۝

إِنْ أَصْرُوا فَا أَصْرُوا إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِنْ أَصْرُوا فَا أَصْرُوا إِلَّا عَلَى خُسْرَانِهِمْ :

فَأَنْحَنُ عَذْبُنَا يَبْعَثُ دِيَارَهُمْ وَلَا نَحْنُ سَاقِنَا إِلَيْهِمْ نَوَازِعُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَا بُعِثَ

لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نَحْنُ لِمَنْ لِيَزِدَادُوا

إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ ۝

من تعلم للسكر بهم ، والبالغة في عقوبتهم آثما نمدبهم وهم لا يشعرون ، نستدرجهم من

حيث لا يعلمون ؛ نمل لهم فيظنون ذلك إنصافاً ، ولا يحسبونه انتقاماً ، فإذا برزت لهم كوامنُ

التقدير عند مفارقتها علموا أنهم لقي خسراً ، وقد اتضح لكل ذى بصيرة أن ما يكون

سبب العصيان وموجب النسيان غير محدود من جهة الإنعام .

قوله جل ذكره : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى

مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ

الطَّيِّبِ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ

عَلَى الْغَيْبِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ بِمَنْ

رُسُلُهُ مَنْ يَشَاءُ ، فَأَمِنُوا بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَتَكُونُوا

أَجْرُ عَظِيمٍ ۝

جمعهم اليوم من حيث الأشخاص والمباني ، ولكنه فرقهم في الحقائق والمآل ؛ فبين

طبيعة سجيته ، ومن خبيثة طيفته . وهم وإن كانوا مشائب<sup>(١)</sup> ففي بصيرة الخواص هم ممتازون<sup>(٢)</sup> .

(١) مشائب = أخطأ .

(٢) ممتازون هنا مرتبطة بالمثل ( يميز ) الذي في الآية الكريمة أى إنهم مطهرون عندنا ؛ تميز  
طبيعتهم مهابة كانوا أخطأ .

« وما كان الله ليعلمكم على الغيب » : فإن أسرار الغيب لا تظهر للمتلوئين بأدناس البشرية ، وإن الحق سبحانه مستأثر بعلم ما جلّ وقلّ ، فيختص من يشاء من أنبيائه بحرفة بعض أسرارِهِ :

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُلُونَ بِمَا أَنْتَاهُمْ

الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌّ لهم ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يوم القيامة ، وفقه ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير ﴾

من آثر شيئاً على الله لم يبارك له فيه ؛ فلا يدوم له — في الدنيا — بذلك استمتاع ، ولا لقوة عليه — في الآخرة — عنه دفاع .

والبخل — على لسان العلماء — منع الواجب ، وعلى مقتضى الإشارة إتياء شوه ولو ذرة من اللال أو نفساً من الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ

الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بنير حق ، وبقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾

هنا المطلب لو كان بين المخلوقين لكان شكوى . والشكوى إلى الأولياء من الأعداء سنة الأجباب .

ويقال علم أن في المؤمنين من يشتاب الناس ، وذلك قبيح من قائلهم ، فأظهر قُبْحاً فوق ذلك ليتصاغر قبيح قول المؤمنين بالإضافة إلى قبيح قول الكفار ، فكأنه قال : لئن قبحت قائلهم في الاغتياب فأقبح من قولهم قول الكفار حيث قالوا في وصفنا ما لا يليق بتمسنا .

وفيه أيضاً إشارة إلى انتهاء إلى الخلق ، والنجاح من انقضاء ، فإن الله — سبحانه — لم يسلمهم ما أولاهم مع قبيح ما ارتكبوه من التقصير في حقوقه .

قوله : « سكتنب ما قلوا » : هذه الكلمة من موجبات الخجلة لأهل التقصير بأدق إشارة ؛ يعنى أنهم وإن نسوا أحوالهم وأقوالهم فإننا نشر لهم ما كتبنا عليهم قال قائلمهم :

مَصْنُوعٌ عِنْدِي لِلْعَنَابِ طَوِينُهَا      سَتُنَشِّرُ يَوْمًا وَالْعَنَابُ يَطُولُ  
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَجِيعَ اللَّهُ يَبْنَسَا      فَإِنْ نَلْتَقِ يَوْمًا فَسَوْفَ أَقُولُ

قوله : « ذك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد » هذا لو كان من مخلوق مع مخلوق/الأشبه المنوم مما عمله به ، فكأنه — سبحانه — يقول : « عبيد : هذا الذى تلقاه — اليوم — من العقوبة لأن الذنب لك ، ولولم فعله لما عذبتك » .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلنَّبَاِ

أَلَا تَوْنِ لِرَسُولِي حَتَّى يَأْتِيَنَا بَقْرَانِ  
تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ  
قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْقُرْآنِ قُلْتُمْ ، قَلَمْ  
تَقْلَمُوا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ — سبحانه — فيما تطولوا به من ترك الإيمان ، فقالوا : لقد أمرنا ألا نصديق أحداً إلا لو أتانا بقربان يتقرب به إلى السماء ، وتنزل نار من السماء ، فتأخذ القربان عياناً ببصر ، فقال تعالى : قُلْ لَمْ يَنْ مِنْ قَدَمَتِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَتَوَكَّمُ بِمَا اقْرَحْتُمْ عَلَى مِنَ الْقُرْبَانِ ، ثُمَّ لَمْ تَوْنُوا ، فَلَوْ أَجَبْتُمْ إِلَيْهِ لَنْ تَوْنُوا بِي أَيْضاً ؛ فَإِنْ مَنْ أَقْصَتَهُ السَّوَابِقُ — فَلَوْ خَاطَبْتَهُ الشَّمْسُ بِلِسَانِ فَصِيحٍ ، أَوْ سَجَدَتْ لَهُ الْجِبَالُ فَرَأَاهَا بِلَحْظٍ صَحِيحٍ — لَمْ يَلِجْ الْعَرَفَانِ فِي قَلْبِهِ ، وَمَا أَزْدَادَ إِلَّا شَكًّا عَلَى شَكِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ  
قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ  
وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿

أى عادة الكفار تكذيب الرسل : وعلى هذا النحو درج سَلَفُهُمْ ، وبهديهم اقتدى حَلَفُهُمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ

أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ

عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ،

وما الحياة الدنيا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿

أى كَأْسُ الْمَوْتِ توضع على كَفِّ كُلِّ حَيٍّ فَمِنْ تَحْلَاهَا طَبِيبَةٌ فَفَسَّهَ أَوْزَنَتْهُ سَكْرُ الْوَجْدِ ،

ومن تَجَرَّعَهَا على وجه التعبس ، وقع في وَهْدَةِ الرَّذِّ ، وَوَسِمَ بِكَى الْقَدِّ ، ثم يوم القيامة :

فَمَن أُجِيرَ مِنَ النَّارِ وَصَلَ إِلَى الرَّاحَةِ الْكُبْرَى ، ومن صُلِيَ بِالسَّيْرِ وَقَعَ فِي الْمَهْجَةِ الْكُبْرَى .

« وما الحياة الدنيا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ » : لأن ما هُوَ آتٍ قَرِيبٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَتَنَبَّؤُنَّ فِي أُمُومِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ

وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِمَّنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى

كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ

مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿

كفاهم أكثر أسباب الضرر بما أخبرهم عن حلولها بهم قبل الهجوم ، وعرفهم أن خير

الأمرين لهم إظهار الصبر واختيار السكون تحت مجارى الأقدار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ لَتُنْبِئُنَّهُ النَّاسَ

وَلَا تَكْفُرُونَهُ فَنَبِئُوهُ وَرَأَاهُ ظُهُورُ

وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ

مَا يَشْتَرُونَ ﴿

أخبر أنهم أبرموا عهدهم أن لا يزولوا<sup>(١)</sup> عن وفاته ، ولكم تقصروا أسباب الأدم  
بما صاروا إليه من الكفران ، ثم تبين أن ما اعتاضوا من ذهب الدين من أعراض يسيرة  
لم يُبارك لهم فيه .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا  
وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ،  
فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

إن من باشر رؤية انطلق قلبه ، ولا يحطهم ريسه فلا تظن أن عقوبتهم مؤخره إلى يوم  
القيامة ، بل ليسوا من العذاب — في الحال — بمفازة ، وأي عذاب أشد من الرد إلى انطلق  
والحجاب عن الحق ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَفِي مَثَلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفِي  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

الإشارة من هذه الآية هاهنا إلى غناه — سبحانه — عما في الكون ، وكيف يحتاج  
إليهم ؟ ! ولكنهم لا يبهنون عنه خلقاً ، ولا عليه بدكراً .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي  
الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا  
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾

الآيات التي تعرف الحق سبحانه وتعالى بها إلى الموام هي التي في الأقطار من المير  
والآثار ، والآيات التي تعرف بها إلى الخواص فالتى في أنفسهم . قال سبحانه : « سترهم

---

(١) وردت (ان لا يزولا) ورجح أنها في الأصل (ان لا يزولوا) لأن هذه مناسبة للراد من  
الآية ، ومن سياق المعنى ، ولو كان حرف الجر (على) بعدها فبينا (لا يزولوا) .

أَكْبَنَا فِي الْأَفَلَقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ، فَالْآيَاتُ الظَّاهِرَةُ تُوْجِبُ عِلْمَ الْيَقِيْنِ ، وَالْآيَاتُ الْبَاطِنَةُ تُوْجِبُ عَيْنَ الْيَقِيْنِ .

والإشارة من اختلاف الليل والنهار إلى اختلاف ليالي العباد ؛ فليالي أهل الوصلة قصيرة ، وليالي أهل الفراق طويلة ؛ فهذا يقول :

شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لمن ولا سرار  
ويقول :

صباحك سكر والمساء خمار فتمت وأيام السرور قصار  
والثاني يقول :

ليالي أقر الظاعنين ( . . . . ) شَكَّوْتَ وَلَيْلُ الْمَاشِقِينَ طَوِيلُ  
وثالث ليس له خبر عن طول الليل ولا عن قصره فهو رِثَا غَلَبَ عَلَيْهِ يقول :  
لَسْتُ أَدْرِي أَمَّا لَيْلٍ أَمْ لَا ؟ كَيْفَ يَدْرِي بِذَاكَ مَنْ يَنْقَلِي ؟  
و تَفَرَّغْتُ لِاسْتِطَالَةِ لَيْلِي وَرَعَيْتُ النُّجُومَ كُنْتُ مُعْلًا

قوله تعالى : « أُولَى الْأَلْبَابِ » : أُولَى الْأَلْبَابِ هُمُ الَّذِينَ صَحَّتْ حَقُوقُهُمْ مِنْ سُكْرِ الْغِلَّةِ .  
وأما « مَنْ كَانَ كَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ نَظَرُهُ بِالْحَقِّ » ؛ فَإِذَا نَظَرَ مِنَ الْحَقِّ إِلَى الْحَقِّ اسْتَقَامَ نَظَرُهُ ،  
وَإِذَا نَظَرَ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ انْتَكَسَتْ نَسَمَتُهُ ، وَاقْتَلَبَتْ أَفْكَارُهُ مُورَدَةً لِشَبْهَةِ .

قوله تعالى : « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا . . . » الْآيَةُ :

استغرق الذِّكْرُ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِمْ ؛ فَإِنْ قَامُوا فَبَذَكَرَهُ ، وَإِنْ قَعَدُوا أَوْ نَامُوا أَوْ سَجَدُوا  
فَجَلَّةَ أَحْوَالِهِمْ مُسْتَهْلِكَةً فِي حَقَائِقِ الذِّكْرِ ، فَيَقُومُونَ بِحَقِّ ذِكْرِهِ وَيَقْعُدُونَ عَنْ إِخْلَافِ أَمْرِهِ ،  
وَيَقُومُونَ بِصِفَاءِ الْأَحْوَالِ وَيَقْعُدُونَ عَنْ مَلَاخِظِهَا وَالِدَعْوَى فِيهَا <sup>(١)</sup> .

وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا عَلَى بَسَاطَةِ الْخِدْمَةِ ثُمَّ يَقْعُدُونَ عَلَى بَسَاطَةِ الْقُرْبَةِ .

وَمَنْ لَمْ يَسْلَمْ فِي بَدَايَةِ قِيَامِهِ عَنِ التَّقْصِيرِ لَمْ يَسْلَمْ لَهُ قُعُودٌ فِي نِهَائِهِ بِوصفِ الْحُضُورِ .

---

(١) العشرى منها مستفيد من رأى استاذہ الإمام ابن فورک فی « قِيَامًا وَقُعُودًا » فی الآیة الکَرِیمَةِ  
( الرِّسَالَةُ ص ١١١ ) .

والذكر طريق الحق - سبحانه - لما سلك المريدون طريقاً أصح وأوضح من طريق  
الذكر ، وإن لم يكن فيه سوى قوله : « أنا جليس من ذكرى » لكان ذلك كافياً .

والأكرن على أقسام ، وذلك لتباين أحوالهم : فذكر يوجب قبض القلب لا يذكره  
من نقصي سلفه ، أو قُبُح حصل منه ، فيمنعه خجله عن ذكره ، فذلك ذكر قبض .

وذكر يوجب بسط القلب لا يجده من قنات الذكر ثم من قريب الحق إناء بمجيسل  
إقباله عليه .

وذاكر هو محو في شهود مذكوره ؛ فالذكر يجري على لسانه عادة ، وقلبه مُصْغَلٌ  
فبإبدا له .

وذاكر هو محل الإجلال يألف من ذكره ويستغفر وصفه<sup>(١)</sup> ، فكأنه لتصاغر عنه  
لا يريد أن يكون له في الدنيا والآخرة (إناء)<sup>(٢)</sup> ولا بقاء ، ولا كون ولا بهاء ، قال قائمهم :

ما إن ذكرتك إلا مَّ يلمنى قلى وروحى وسرى هند ذكر اكسا  
حتى كأن رقيباً منك عتف بى إياك ويحك والتذكر لياكسا

والذكر عنوان الولاية ، وبيان الوصلة ، وتحقيق الإرادة ، وعلامة صحة البداية ، ودلالة  
صفاء النهاية ، فليس وراء الذكر شيء ، وجميع انخصال المعودة راجعة إلى الذكر ، ومُنْشَأَةٌ  
من الذكر .

قوله جل ذكره : ﴿ ويتفكرون في خلق السموات  
والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً ﴾

التفكير نعمة كل طالب ، وثمرة الوصال بشرط العلم ، فإذا سلم للذكر عن الشوايب

(١) هنا النوع من الذكر يلتق بتعاليم أهل الملازمة النيسابورية الذين لا ينظرون لأى عمل إلا من  
حيث رؤية التصغير فيه .

(٢) ربما كانت (فناء) وإن كل المعنى يتقبل كليهما .

ورد صاحبه على مناهل التحقيق ، وإذا حصل الشهود والحضور مما صاحبه من الفكر إلى حدود الذكر ، فالذكر سرمد<sup>(١)</sup> .

ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقته وثباتها لطلابها فيزدادون بالفكرة زهداً فيها .

وفكر العاقلين في جيل الثواب فيزدادون نشاطاً عليه ورغبة فيه .

وفكر العارفين في الآلاء والنعم فيزدادون محبة الحق سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ سُبْحَانَكَ قَبِيْلاً عَلِيّاً أَلْبَسَ النَّارَ ﴾

التسبيح يشهد إلى سبوح الأسرار في بحر التعظيم .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا نَدْعُكَ مِنَ النَّارِ قَدْ

أَخْرَجْتَنَا وَمَا لَنَا مِنَ أَنْصَارٍ ﴾

مَنْ ابْتَلَيْتَ فِي الْأَجْلِ بِالْمَرْقَةِ قَدْ أَخْرَجْتَهُ ، وَمَنْ ابْتَلَيْتَ بِالْفَرْقَةِ فِي الْعَاجِلِ قَدْ أَشْقَيْتَهُ ،

وَمَنْ أَوْلَيْتَ يُمْنُ الْوَصْلَةِ قَدْ آوَيْتَهُ وَأَذِنْتَهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا إِنَّمَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ

أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ

لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَكُفِّرْ عَنْ سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا

مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾

يعني أجبنا المأمي ولكن أنت المأسي ، فلا تَكِلْنَا إلينا ، ولا ترفع ظلم عنايتك عنا .

والإيمان النحول في توجببات الأمان ، وإنما يؤمن بالحق من أمته الحق ، فأما

الحق المبد — الذي هو إجلاته — يوجب لإيمان المبد بالحق الذي هو تصديقه ومعرفته .

---

(١) [ سأل أبو عبد الرحمن السلمي الشيخ الحافظ . آذرك أم أم الفكر ؟

فقال الحافظ : ما الذي يقع لك منه ؟

فأجاب السلمي : عندي الذكر أم من الفكر لأن الحق سبحانه يوصف بالذكر ولا يوصف بالفكر

وبإوصاف به الحق سبحانه أم بما اختص به الحق فاستصحت الحافظ [ الرسالة ص ١١١ .

وتجد ذكرنا هذه الرواية هنا : أولاً لتوضيح الفرق بين الذكر والفكر وثانياً لبرر قول التشيعي :  
﴿ الذكر سرمد ﴾ أي مستدام .



« وتوفنا مع الأبرار » : وهم المخلصون بمحافق التوحيد ، القائمون لله بشرايط  
التفريد ، الواقفون مع الله بخصائص التجريد .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رَسُولِكَ  
وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ  
لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

سَقِّقْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ (١) مِنْ إِكَالِ النَّسِيِّ (.....) (٢) وَغُفْرَانِ  
كُلِّ مَلْسَبِقٍ مَنَا مِنْ مُتَابَعَتِ الْهَوَى .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ  
مَعْلَمَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى  
بِضَمِّكَ مِنْ بَعْضِ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا  
وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْضُوا  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ  
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا  
مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ  
الثَّوَابِ ﴾

كيف لا يستجيب لهم وهو الذي لَقَّيَهُمُ الْعَمَاءُ ، وهو الذي ضمن لهم الإجابة ، وهذه  
جميل الثواب على العلاء زائد على ما يمدحون لأجل الحوائج .

« فالذين هاجروا » : يعني البليار والمزار ، وجميع المخالفين والمواقين من الأعيال .  
« وأخرجوا من ديارهم » : إلى مفارقة معلمهم من مأواقاتهم .  
« وأودعوا في سبيل » : عُيِّدُوا بِالْفَقْرِ وَالْمَلَامِ ، وفتنوا بفنون المحن والآلام .

(١) يقصد الرسل عليهم السلام .

(٢) مشيئة .

« وَتَاتُوا وَقْتِيْلُوا » : ذاقوا من اختلاف الأطوار الحلو والمر .  
 « لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سِتْرَانِ » : يعنى لنطيطيهم فوق آملهم وأكثر ، مما استوجبوه  
 بأعمالهم وأحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا يَفْرُكَ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي  
 الْبِلَادِ . مَنَافِعُ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ  
 وَيَسُ الْبِلَادِ ﴾

لا تتداخلتك نعمة بأن لم عندنا قدرًا وقية إنما هي أيام قليل وأضراس معدومة ،  
 ثم بعدها حشرات متردفة ، وأحزان متضاهة .

قوله جل ذكره : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا  
 لِنَفْسِهِمْ مِنْ لَدُنْ اللَّهِ إِلَّا نَارًا خَالِدِينَ فِيهَا  
 نَزَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ  
 خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ﴾

الذين وبمنام بذل الفرقة بشت حالتهم ، والذين زفوا قديمًا لأجلنا فنعمت الحلة  
 والزالة ؛ وصلوا إلى التواب المقيم ، وبقوا في الوصة والنعيم ، وما عند الله مما أذخرنا لم  
 خير مما آملوه باختيارهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن  
 يَؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ  
 إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ  
 اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ  
 عِنْدَ رَبِّهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ  
 الْحِسَابِ ﴾

يريد من ساعدتهم القسمة بالحسنى فهم مع أولياء الله نعمة كما كانوا معهم قسمة .  
 قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا

وَرَأَيْتُهَا ، وَاقْوَا اللَّهَ لِمَلِكُمْ  
تُفْلِحُونَ ﴿١﴾

الصبر فيما تفرد به العبد ، والمصابرة مع العدو .

والرباط نوع من الصبر ولكن على وجه مخصوص .

ويقال أول الصبر التصبر ، ثم الصبر ثم المصابرة ثم الاضطبار وهو نهاية<sup>(١)</sup> .

ويقال اصبروا على الطاعات وعن المخالفات ، وتصابروا في ترك الهوى والشهوات ، وقطع المنى والملاطات ، ورابطوا بالاستقامة في الصلابة في عوم الأوقات والحالات .

ويقال اصبروا بنفوسكم وصابروا بقلوبكم ، ورابطوا بأسراركم .

ويقال اصبروا على ملاحظة الثواب ، وصابروا على ابتغاء القربة ، ورابطوا في عمل الهدوء والزلفى — على شهود الجمال والبركة .

والصبر مُرٌّ مذاقه إذا كان العبد يتحسّاه على الغيبة ، وهو لذيذ طعمه إذا شربه على الشهود والرؤية .

« واقْوَا اللَّهَ لِمَلِكُمْ تَفْلِحُونَ » : الْفَلَاحُ الظَّفَرُ بِالْيُغِيَةِ ، وَهَمَّتُهُمُ الْيَوْمَ الظَّفَرُ  
بنفوسهم ، فمذ ذلک یتَمُّ خلاصهم ، وإذا ظفروا بنفوسهم ذبحوها بسيف المجاهدة ،  
وصلبوها على عیدان المسکابدة ، وبعد فناءهم عنها یحصل بقاؤهم بالله .

---

(١) يمكن أن يجد الغارنى في صليح القشبرى حول مادة (ص ب ر) انه — وهنا شأنه دائماً —  
يحاول أن يؤسس المصطلح الصوفى على دعائم لغوية تعتمد على الفروق الحقيقية بين صيغ الاشتقاق المختلفة  
من المادة الواحدة ، فصيغة المفاعلة فيها المشاركة ، وصيغة التثنية فيها تكلف يلائم البناية . . . وهكذا .

## السورة التي يذكر فيها النساء

بسم الله الرحمن الرحيم.

اختلفوا في الاسم من ماذا اشتق؟ فمنهم من قال إنه مشتق من السموة وهو الملوء. ومنهم من قال إنه مشتق من السمة وهي الكيكة .

وكلاما في الإشارة : فَنَ قال إنه مشتق من السمو فهو اسمٌ مَنْ ذَكَرَهُ سَمَتْ رَتْبُهُ ، وَمَنْ عَرَفَهُ سَمَتْ حَالُهُ ، وَمَنْ صَحِبَهُ سَمَتْ هِمَّتُهُ ؛ فسمو الرتبة يوجب وفور الثوابات واليكنار ، وسمو الحالة يوجب ظهور الأنوار في الأسرار ، وسمو الهمة يوجب التحرر من رِقِّ الأغيار .

ومن قال أصله من السمة فهو اسمٌ مَنْ قَصَدَهُ وَصِمَ بِسِمَةِ الْعِبَادَةِ<sup>(١)</sup> ، ومن ضجبه وَصِمَ بِسِمَةِ الْإِرَادَةِ ، ومن أحبه وَصِمَ بِسِمَةِ الْخُلُوصِ ، ومن عرفه وَصِمَ بِسِمَةِ الْاِخْتِصَاصِ . فسيمَةُ الْعِبَادَةِ توجب هبة النار أن ترى صاحبها بشرها ، وصمة الإرادة توجب حشة الجنان أن قطع في استرقاق صاحبها - مع شرف لخطرها ، وصمة الخلوص توجب سقوط العُجْبِ من استحقاق القرية للماء والطينة على الجملة<sup>(٢)</sup> ، وصمة الاختصاص توجب امتناعه الحكم عند استيلاء سلطان الحقيقة .

ويقال اسمٌ مَنْ واصلها مما عنده ( عن ) الأوهام قَدَرُهُ ( سبحانه )<sup>(٣)</sup> . ومن فاضله وَصِمَ بِكَيِّْ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ .

(١) هنا حدث اضطراب من التباس فاعطى في النقل وقد وثبتنا الكلام في النصف الأول من الفقرة حسب الترتيب الوارد في النصف الثاني منها والذي يبدأ « فسمو للعبادة توجب .... الخ » . ذلك الترتيب الذي يتبنى مع للذهب اللام للتشريح في كل مستطاته .

(٢) يقصد تشريف الانسان على جهة المخرقات ، فالانسان وحده - دون سائر الكائنات - هو الذي يحوّل ببادل الذكر والهيبة مع الحق جل شأنه .

(٣) وضحا ( عن ) و ( سبحانه ) ليعتق أليس ، وما غير موجودين في النص ( يقول التشريح في رسالته : ما يصوره وملك فاقته بخلاف ذلك ) .

وعلى هذه الجملة يدل اسمه .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ ﴾ .

الإنسان اسم جنس ، والاشتقاق فيه غير قوى . وقيل معى الإنسان إنساناً لظهوره <sup>(١)</sup> . فولى هذه الإشارة : يلمن ظهورهم عن كتم المدم بحكم تكليف ، ثم خصصت من شئت منكم بشرفي ، وحرمت من شئت منكم هدايتي وترفي ، وقتلتكم إلى ماشئت بل أوصلتكم إلى ماشئت بحكم تصرفي .

ويقال لم أظهير من المدم أمثالكم ، ولم أظهير على أحد ما أظهرت عليكم من أحوالكم .  
ويقال سميت إنساناً لتسايفك ، فإن لسينتي فلاشي <sup>(٢)</sup> أخس منك ، وإن نسبت ذكرى فلا أحد أحسن <sup>(٣)</sup> منك .

ويقال من لسي خلق فلا غاية لهنته ، ومن لسي أخلق فلا نهاية لهو حاته

ويقال يقول للذنبين : لامن ألبيت عهدى ، ورفضت ودى ، وتجاوزت حدى حان لك أن ترجع إلى بابى ، لتستحق لطفى ولإيجابى . ويقول للمافرين ، لامن لبيت فينا حفظك ، وصئت عن غيرنا لحفظك وللفظك — لقد عظم علينا حفظك ، ووجب لدينا نصرته <sup>(٤)</sup> ، وجبل عندنا قدره . .

(١) حتى يقابل (الجن) لاختلافه . وربما كان قصد التقدير إلى ذلك .

(٢) وودت (أخس) بالصاد ، وربما قيلها على أساس أن الله يعاتب عبده : إن نسيتي فانت وهم ذلك (أخس السكائن بمعنى) .

(٣) وودت (أحسن) بالصاد وربما كانت أحسن .

(٤) وجب واستوجب والإيجاب عند التقدير ترد معنى الاستحقاق ، وعليها أن تأمل الدقة في استعمال (لهبنا) ولم يهل (علينا) فلا وجوب على الله — بخلاف المعلقة .

وقال يامن أأست<sup>(١)</sup> بنسيم قرني، واستروحت إلى شهود وجبي، واعتزرت بجلال قدرى — فأت أبل عبادى عندى .

قوله : « اتقوا ربكم » : التقوى جماع الطاعات ، وأوله ترك الشر وأخذه اتقاء كل غير ، وأول الأفعال لك نفسك ، ومن اتقى نفسه وقف مع الله بلا مقام ولا شهود حال ، و ( وقف ) لله . . لا شهود حظ في الدنيا والعقبى .

قوله : « الذى خلقكم من نفس واحدة » : وهو آدم عليه السلام ، وإذا كنا مخلوقين منه وهو مخلوق باليد فنحن أيضا كنذك ، لما ظهرت مزية آدم عليه السلام به على جميع المخلوقين والمخلوقات فكذلك وصفنا ، قال تعالى : « أولئك هم خير البرية » .

ولفظ « النفس » الصوم والصوم يوجب الاستغراق .

قوله : « وخلق منها زوجها » : حكم الحق — سبحانه — بما كنهه الخلق مع الخلق لبقاء النسل ، ولرد المثل إلى المثل فربط الشكل بالشكل .

قوله . « وبث منها رجالا كثيرا ونساء » : تعرف إلى الغلاء على كمال القدرة بما ألح من براهين الربوبية ودلالات الحكمة ؛ حيث خلق جميع هذا الخلق من نسل شخص واحد ، على اختلاف هيتهم ، وتفاوت صورهم ، وتباين أخلاقهم ، وإن اثنين منهم لا يتشابهان ، فلذلك وجه في الصورة والخلق ، والهمة والحالة ، فسبحان من لا حد لقدوراته ولا غاية لمعلوماته . ثم قال : « واتقوا الله » تكرر الأمر بالتقوى يدل على تأكيد حكمة .

وقوله : « تسامون به والأرحام » : أى اتقوا الأرحام أن تقطعوا ، فمن قطع الرحم قطع ، ومن وصلها وصل .

« إن الله كان عليكم رقيبا » : مطلعا شهيدا ، يد عليك أنفاسك ، ويرى حواسك ، وهو متوكل خطراتك ، ومنشئ حركاتك وسكناتك . ومن علم أنه رقيب عليه فبالحرى أن يستحي منه .

---

(١) لاحظ كيف يربط القشيري بين الناس ( والأنسر ) بعد أن ربطها ( بالأنسر ) فدار الكلام كله على لفظة ( الناس ) التى وردت في الآية الكريمة .

قوله جل ذكره : ﴿وَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدِلُوا

اَتْلُفِيهِ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُم

إِلَىٰ أَمْوَالِهِمْ إِنَّكُمْ إِنَّمَا كُنْتُمْ حَوِيًّا كَبِيرًا﴾

مَنْ أَقِيمَ بِمَعْلَى الرِّعَايَةِ لِمَا عَلَى وَعِيَّتِهِ فَخَصَّهُ رَبُّهُ ، فَإِنَّهُ — سبحانه — يَنْتَقِمُ لِعِبَادِهِ مَا لَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ . قَوْلِي الْيَتِيمَ إِنَّ أَنْصَفَ وَأَحْسَنَ لِحَقِّهِ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى فَخَصَّهُ اللَّهُ .

قوله جل ذكره : ﴿وَلِإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقِيمُوا فِي الْيَتَامَىٰ

فَانكحُوا مَا طَلَبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

مَثْرًى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ

أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا •

وَاتُوا النِّسَاءَ صِدْقًا بِنِكَاحٍ نَجِيحَةٍ﴾

أَبَاحَ اللَّهُ لِلرِّجَالِ الْأَحْرَارِ التَّزْوِجَ بِأَرْبَعٍ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَوْجَبَ الْعَدْلَ بَيْنَهُنَّ ، فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَرَاعِيَ الْوَاجِبَ فَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَقُومُ بِحَقِّ هَذَا الْوَاجِبِ آثَرَ هَذَا الْمُبَاحِ ، وَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَقْصُرُ فِي الْوَاجِبِ فَلَا يَنْمُرُضُ لِهَذَا الْمُبَاحِ ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ مَشْتَوِلٌ عَنْهُ .

قوله جل ذكره : ﴿فَإِنْ طَلَبْتَ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا

فَاكْلُوا مِنْهَا مَرَّةً يَوْمًا﴾

دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ طَعَامَ الْفَتَيَانِ<sup>(١)</sup> وَالْأَسْخِيَاءَ مَرِيءٌ لَأَنَّهُمْ لَا يُطْعَمُونَ إِلَّا عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ ، وَطَعَامُ الْبِخْلَاءِ رَدِيءٌ<sup>(٢)</sup> لَأَنَّهُمْ يَرُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَإِنَّمَا يُطْعَمُونَ عَنْ تَكَلُّفٍ لَا عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ . قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طَعَامُ السَّخِيِّ دَوَاءٌ وَطَعَامُ الْبَخِيلِ دَاءٌ » .

(١) الْفَتَيَانُ جَمْعُ فَيٍّ . وَالتَّفَتُّؤُةُ أَسْلُ مِنْ أَسْوَلِ الصُّوفِيَةِ عِمَادَةُ الْإِشَارِ وَالْبِزْلِ وَالصَّفْحِ وَالْبَعُوِّ ، وَالْأَنْفَةِ عَمَّا فِي الْكُونَيْنِ إِلَى هَرِ ذَلِكَ مِنْ عَاسَنِ السُّلُوكِ الَّتِي يَبْقَى لِنَفْسِ أَنْ تَرْتَابِعَهَا ، وَأَنْ تَتَحَلَّى بِهَا حَتَّى يَنْبَغِيَ الْبَيْدُ لِمَا هُوَ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ ، وَأَنْ يَكُونَ إِجَارُهُ قَدْ وَبَّضَهُ قَدْ وَرَوْحُهُ قَدْ ، لِأَنَّ مِنْ يَوْمٍ بِاتِّزَامِ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِمَخْلُوقٍ لَا يَشِينُ بِإِضَافَتِهِ إِلَى الْخَلْقِ .

(٢) مُشَقَّةٌ وَلَكِنَّهَا أَغْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَى (رَدِيءٍ) وَتَدْرِيضُهَا مَعَ التَّحْفِظِ وَالْمَقِيَّةِ بِتَجَلُّهَا .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَلَّ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ، وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

السُّفَهَاءُ من يفتقر عن الحق ، ويشتهك عن الرب .

والسُّفَهَاءُ من البهال والأولاد من تؤثر حظوظهم على حقوق الله تعالى .

قوله : « التي جعل الله لكم قِيَامًا » : حفظ التجمل في الحال أجدي عليكم من التعرض للتبذل والسؤال ، والكسدية والاحتيايل . وإنما يكون البذل خيراً من الإمساك عند تحوُّر القلب والنقّة بالصبر . فأما على نية الكسدية وأن تعجل نفسك وعيالك كلاً على الناس فَحِفْظُكَ ما جعله الله كفايةً لنفسك أولى ، ثم الجود بفاضل كفايتك .

قوله : « وارضقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قَوْلًا مَعْرُوفًا » : إذا كان ذات يدك يتسع لكفاية يومهم وَيُفَضَّلُ<sup>(١)</sup> فلا تدخره عما تدعو إليه حاجتهم معلومك خشية فقر في الغد ، فإن ضاقت يدك عن الإففاق فلا يتيسر<sup>(٢)</sup> لسانك بالتيسر من القتال .

ويقال إذا دمتك قسك إلى الإففاق في الباطل فأت أسفه السفاء فلا تطيع نفسك .

قوله جل ذكره : ﴿وَابْتَغُوا الْيُسْرَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا

النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا

فادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَأْكُلُوهَا

إِسْرَافًا وَيَذَارًا أَنْ يَكْبُرُوا ، وَمَنْ

كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعِيفْ وَمَنْ كَانَ

فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ إِذَا دَفَعْتُمْ

إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَتَّخِبُوا عَلَيْكُمْ

بِاللَّهِ حَسِبًا﴾

(١) يفضل وفاضل هنا بمعنى يزيد وزيادة .

(٢) لاحظ اللامعة في تيسير التيسير بين (ضاقت يدك) و (ويطع لسانك)



إنّاس الرشد العفة والحيّة ، والسخاء والصيابة ، ومحبة الشيوخ ، والحرص على مشاهدة  
 عليهم ، وأداء العبادات على قضيّة الأمر .

ويقال الرّشيد من أهدى إلى إلهه ، وعلمنا تسخّل له ( حاجة ) من حوائج لا يتسكّل  
 على حوكمه وقوّته ، وتسييره واختياره .

قوله جلّ ذكره : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان

والأقربون وللنساء نصيب مما ترك

الوالدان والأقربون مما قلّ منه

أو كُنْزٌ نصيباً مفروضاً ﴾

حكم الميراث لا يختلف بالفضل والمنقبة ، ولا يتفاوت بالمعيب والنقص والذنب ؛  
 فلو مات رجلٌ وخلف ابنيّن تساوى في الاستحقاق وإن كان أحدهما برّاً تقيّاً والآخر فاجراً  
 عَصياً ، فلا تلقى زيادة لتقواه ، ولا قنجر بخس لفجوره ، وللمعيب فيه أن الميراث ابتداء  
 عطية من قبل الله ، فيتساوى فيه البر والفاجر . كذلك حكم الإيمان ابتداء عطية للمسلمين :  
 قال الله تعالى : « ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » ، ثم قال : « فمنهم ظالم  
 لنفسه ومنهم ... » الآية .

قوله جلّ ذكره : ﴿ وإذا حضرَ القِسْمةُ أولو القربى

واليتامى والمساكين فلورثوهم منه

وقولوا لهم قولاً معروضاً ﴾

يريد إذا حضر قسمة الميراث ذوو السهمان<sup>(١)</sup> والمستحقون ، وحضر من لا نصيب لهم  
 في الميراث من المساكين فلا يحرمهم من ذلك . فإن كان المستحق مؤثراً عليه ، فَعِدْوم وعداً  
 جيلاً وقولوا : « إذا بلغ الصبي قلنا له حتى يعطيك شيئاً » وهذا معنى قوله : « وقولوا لهم  
 قولاً معروضاً » . وفي هذا إشارة لطيفة للذين إذا حضروا لمرسته غداً ، والحق سبحانه  
 ينفر البطيئين ويعطيهم ثواب أعمالهم ، فمن كان منكم من قراء المسلمين لا يحرمهم الفئران

(١) السهمان ع سهم .

إن شاء الله بعد ما كانوا من أهل الإيمان ، وكذلك يوم القسمة لم تكن حاضراً ، ولا لك استحقاق سابق فيفضله ما أهلك لمعرفته مع علمه بما يحصل منك في مستأف أحوالك من ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾

خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم

فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ﴿

بَيِّنَ في هذه الآية أن الذي ينبغي للسلم أن يدخره لعباله <sup>(١)</sup> التقوى والصلاح لا المال ؛ لأنه

لم يقل فليجمعوا المال وليكثروا لم العطار وليخلفوا الأثاث بل قال : « فليتقوا الله »

فاته بتولى الصالحين

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى

ظُلُمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بطونهم ناراً

وسيصلون صغيراً ﴿

إنما تولى الحق سبحانه خصمية اليتيم ، لأنه لا أحد لليتيم غيره ، وكل من وكل أمره إليه فتبرأ من حوله وقوته فالحق سبحانه ينتقم له بما لا ينتقم لنفسه <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ يَوْمَ يَكْفِيكَ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ فَذَكَرْ مَثَل

حَقِّ الْأُنثَيْنِ إِذَا نَكَحْنُ نِسَاءً فَوْقَ

اِثْنَتَيْنِ فَلَمَّا نَكَحْنُ ثَلَاثًا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ

وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُخْوَتِهِ لِكُلِّ

وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مَا تَرَكَ إِنْ كَانَ

لَهُ وَلَدٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتُهُ

أَبَوَاهُ فَلَهُمَا الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ

فَلَهُ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي

بِهَا أَوْ دِينَ ﴿

(١) وردت (البارة) وهي خطأ في النسخ .

(٢) هذه إشارة موجبة إلى الأولياء ، فهم لا استد لهم من جباه أو سلطان أو مخلوق فإذا تعرضوا للآذى تولى الله عنهم خصومة للآذى .

الوصية هاهنا بمعنى الأمر ، فإنه سبحانه جل الميراث بين الورثة متحنّاً بوجهين :

١- الفرض ٢ - التصيب ، والتصيب أقوى من الفرض لأنّ الصبّة قد تستغرق جميع المال أما أكثر الفروض فلا يزيد على الثلثين ، ثم إن القصة تبدأ بأصحاب الفروض وهم أضعف استحقاقاً ، ثم العصبّة وهم أقوى استحقاقاً . قال صلى الله عليه وسلم :

« مَا أَبَقْتُ الْفَرَائِضَ فَلَاؤُنِّي عَصْبَةً ذَكَرَ »<sup>(١)</sup> كذلك أبدأ سنّه ، كما في قوله تعالى :

« ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا » أعطاهم الكتاب بلفظ الميراث ثم قدّم الظالم على السابق ، وهو أضعف استحقاقاً إظهاراً للكرم مع الظالم لأنه مُنْكَرُ الْقَلْبِ ولا يحتمل وقته طول المدافعة .

وقوله « لَذَكَرَ مِثْلَ الْاِثْنَيْنِ » . لو كان الأمر بالقياس لكانت الأنثى بالتفضيل أوّلى لضعفها ، ولسجّزها عن الحراك ، ولكنّ حُكْمَهُ - سبحانه - غير معلّ<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ أَتَأْكُمُ وَيُنَازِلُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْسًا فَرِيضَةً مِنْ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَلِيظًا حَكِيمًا ﴾

الأنباء ينضمونكم بالخدمة ، والآباء بالرحمة ، والآباء في حال ضعفك في بداية عرك ، والأنباء في حال ضعفك في نهاية عرك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لهنَّ وَلَدٌ ، وَإِنْ كَانَ لهنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِنَّ يُوصِينَ بِهِ أَوْ ذَيْنَّ ، وَلهنَّ الرِّبْعُ

(١) صحيح البخاري ٨ - ٢٦٩ « أُلْهِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَأَمَّا قَوْلُهُ لَأَوَّلُكُمْ وَجَلَّ ذَكَرَ »  
(٢) تحتاج هذه العبارة إلى بعض توضيح . وربما كان أفضل تحديد لما ما يذكره ذو النون المصري :  
« علة كل شيء منه ، ولا علة لمنه » ثم ما يوضحه أبو نصر السراج في القسح حيث يقول : « معنى هذا القول - واقعاً - أنه لو لم يكن شيء مصنوع كائن ، لأنه لم يكن فكل شيء ، وليس في صنع المصانع لمصنوعاته علة ، وقال بعضهم :  
بأنه تعالى من السقا م وإلى كنت على (الصح ٢٤٠)

بِمَا تَزَكُّمُ إِنَّ لَكُمْ لَكُم وَلَدٌ ،  
 فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلْيَنْتَبِهُ  
 بِمَا تَزَكُّمُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا  
 أَوْ دِينَ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَاةً  
 أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ  
 وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّشُ فَإِنْ كَانُوا  
 أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ  
 مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دِينَ  
 غَيْرِ مُضَارٍّ ، وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ  
 عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿

الإشارة في ثبوت الميراث للأقربين من الورثة بالنسب؛ والسبب أن الميت إذا مات تحلَّ  
 القريبُ أحزانه فوضَّ اللهُ الوارثَ على ما يقاسيه ويخافه من التوجُّعِ مالَ الموروثِ ..  
 وكذا سُنَّتهُ - سبحانه - التَّعْوِضُ على مِثَالَةِ الْأَذَى - جِوَادَمَنَهُ لَا وَجُوبًا عَلَيْهِ (١) -  
 كَاتُوهُمْ قَوْمٌ . وَكُلُّ مَنْ كَانَ أَقْرَبَ نَسَبًا أَوْ أَقْوَى سَبَبًا مِنَ الْمَيِّتِ كَانَ أَكْثَرَ اسْتِحْقَاقًا  
 لِمِيرَاثِهِ ، وَفِي مَنَاهِ الْأَشْيَاءِ :

وما يات مطوياً على أريحية ( . . . )

(... ) عقب النوى \* موت الفسى ظل مغرماً (٧)

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

(١) يلج القسري دائماً في نفي كل وجوب على الله ، كما لاحظنا ذلك في مواضع شتى بينما لا يمنع المترقة من  
 وجوب للتوبة للظالم - عليه ، ووجوب التقوية للماضي - عليه .  
 (٢) توجد في البيت كلمات فارسية ( انك شاد شوه دو صلاه ادن ) =  
 أصبح حينئذ مسروراً بالصلاة . ومعنى للبيت غير واضح .

تحتها الأنهارُ خالدين فيها وذلك  
الغورُ العظيمُ ﴿١٠﴾

حدوده : أوامره ونواهيه ، وما تصبُّد به عباده .

وأصل العبودية حفظ الحدود ، وصون اليهود ، ومن حفظ حده لم يُصبه مكروه ولا آفة ،  
وأصل كلُّ بلاء مجاوزة الحدود .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَعَصِرْ اللَّهَ وِرْسُولَهُ وَيَتَّقِ  
حُدُودَهُ يَدْخُلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ  
عَذَابٌ مُبِينٌ ﴾

ولما هما عقوبتان: مسجلة ومؤجلة ، ويقرن بهما جميعاً الذلُّ ، فتراجع الخلق على إذلال  
للعاصي يمثل الذل الذي يلحقهم بالركاب المصيبة لم يقدموا<sup>(١)</sup> عليها : لذلك قال فانلمهم :  
من يأت<sup>(٢)</sup> ميلاً<sup>(٣)</sup> بذنب أصبح وعليه مدلته ، قتل ومن أصبح مُبرأً بغير ظلٍّ  
وعليه مهابته

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ  
فَاتَّبَعْنَهَا عَلَيْهِنَّ أُولَئِكَ مِنْكُمْ  
فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ  
حَتَّى يَتَوَكَّلَ الْإِذْنُ أَوْ يَجْلِسَ اللَّهُ  
لَهُمْ سَبِيلًا ﴾

إنما اعتبر في ثبوت الفاحشة — التي هي الزنا — زيادة الشهود لإسبالات سخر الكرم

(١) وردت ( لم يقدموا ) وللائم لهم أن شكروا ( لم يقدموا ) مما يرجع أن الناس قد أخطأ .

(٢) وردت ( من مات ) والسياق يقتضي ( يأت ) ، ( وأصبح ) ، وظل . . .

(٣) وردت ( مسلاً ) ومع خطأ من الناسخ .

على إبرام العباد ، فإنَّ إقامة الشهود — على الوجه الذى فى الشرع لإثبات تلك الحالة — كالمستعذر<sup>(١)</sup> .

وفى قوله — على الله عليه وسلم — لما قال له : يا رسول الله — صلوات الله عليك — إنى زينت فطهرتى . فقال : لعلك قبّلت .. ثم قال فى بعض المرات : « استنكوه »<sup>(٢)</sup> .  
فى هذا أقوى دليل لما ذكرت من إسبالة السر على الأعمال القبيحة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَكْثَمَا هُنَا فَإِنْ تَلَاَوْاْ وَصَلَحُواْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ نَبِيًّا رَّحِيمًا ﴾

الأمر بمنون العقوبات لم على فعل ذلك أبلغ<sup>(٣)</sup> شئ فى الردع والمنع منه بالرغم ، لعل العبد يحنو ذلك فلا يستحق التذيب الأعظم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّا التَّوْبَةَ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْلَمُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَرْجِعُونَ مِنْ قُرْبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾<sup>(٤)</sup> .

لأستغفار مع الإصرار<sup>(٥)</sup> ، فإنَّ التوبة مع غير إقلاع<sup>(٦)</sup> عنه الكذابين .

وقوله : « السوء بجهالة » : يعنى حمل الجهل .

(١) يدل هذا الرأى — فى نظرنا — أولاً على فهم صائب لما وراء الحدود العرعية من مرام بيّدة ، ويدل ثانياً على سعة صدر الموفية فى الصفح عن أرباب الخطايا ، وستر مصابب الخلاقي ، ولقد أحسن الحسن البصرى حين قال : النصيحة على الملأ فضيحة .

(٢) وفى صحيح البخارى ج ٨ ص ٢٩٨ من ابن عباس : لما أتى ماهر بن مالك النبي ( ص ) قال له لعلك قبّلت أو غمزت أو نظرت ... الخ قال نعم فتند ذلك أمر رجى ( ومعنى استنكوه : أى ابجثوا فى فقه من نكبة الخرف فيما يكون محلاً ) .

(٣) ووددت ( يظن ) وهى خطأ فى النسخ

(٤) أخطأ الناسخ فى كتابة الآية لجماعت ( من قرية ) ، ( السوء بجهالة ) .

(٥) أخطأ الناسخ فكتبتها ( الأسرار ) بالسين والهمزة يرفقها .

وذنب كل أحدٍ يليق بحاله ، فانطواص ذنوبهم حساباتهم أنهم بطاعتهم يستوجبون محلاً  
وكرامة ، وهذا وَهْنٌ في المكاة ؛ إذ لا وسيلة إليه إلا به .

قوله « ثم يتوبون من قريب » : على لسان أهل العلم : قبل الموت ، وعلى لسان الماملة :  
قبل أن تتعود النفس ذلك فيصير لها عادة ، قال قائلهم :

قلتُ للنفسِ إن أردتِ رجوعاً فارجى قبل أن يسدَّ الطريقُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وليست التوبة للذين يعملون

السيئات حتى إذا حضر أحدهمُ

لموت قال إني نُبْتُ الآث

ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك

أُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۝

يعنى إذا كُشِفَ الغطاء وصارت المعارف ضرورية<sup>(١)</sup> أُغْلِقَ بابُ التوبة ؛ فإن من شرط  
التسكيف أن يكون الإيمان غيبياً . ثم إن في هذه الطريقة إذا عُرِفَ بالخطيئة لا يشم بعده  
حقبة الصدق . قال داوود — عليه السلام — في آخر بكائه لما قال الله تعالى لِمَ تَبْكِي  
يا داوود ، وقد غفرت لك وأرضيت خصلك<sup>(٢)</sup> وقيلت توبتك ؟

قال : إلهي ، الوقت الذي كان في رُدِّيَ إلى

فقال : هيهات يا داوود ، ذاك وُدٌّ قد مضى ۱۱

وفي معناه أنشدوا :

فُخِّلَ سبيلَ البينِ بِمدكِ البكا فليس لأليمِ الصفاء رجوعُ

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِدُ لَكُمْ

(١) المعرفة الضرورية — عند التفشي — هي التي تنال في الانتهاء أما في الابتداء فهي معرفة كسبية  
والأول تشبه الشمس والثانية تشبه السراج ، فلذا طلعت الشمس انبسط شعاعها على السراج  
( الرسالة ص ١٤٩ )<sup>\*</sup>

(٢) وردت ( خصلك ) ولكن الإرضاء حساباً نل من قصة داود كان لحصه ، لذلك رجحنا أن تكون  
( خصلك ) فأرضاء الحصم ملائم لقبول التوبة والفران

أَنْ تَرَوْا النَّسْلَ كَرِهًا وَلَا تَتَّبِعُوا  
لَتَنْهَبُوا بَعْضَ مَا آتَيْنَاهُمْ إِلَّا  
أَنْ يَأْتِيَنَا بِخَاشِعَةٍ مُبَيِّنَةٍ ،  
وَعَلَّيْهِمْ مِنَ الْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ  
فَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ  
فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝

التليسُ على المستضعفين ، والتدليسُ على أهل السلامة والوداعة من المسلمين — غيرُ  
محمودين عند الله . فمن تناقض ذلك انتم الله منه ، ولم يبارك له فبا يختزل من أموال الناس  
بالباطل والاحتيال . ومن استعصر خصمه في الله فأهون ما يماقيه الله به أن يحرمة الوصول  
إلى ما يأمل من محبوبه .

وقوله : « وعاشروهم بالمعروف » : أى بتعاليم الدين والتأديب بأخلاق المسلمين وحُسن  
الصحبة على كراهة النفس ، وأن تحتمل أذاهم ولا تحملين كلف خدمتك ، وتتناهى عن  
مواضع خجلتهن .

قوله : « فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا . . . » كل ما كان على نفسك أشق  
كانت عاقبته أهناً وأمرأ .

واعلم أن الحق سبحانه لم يُطْلِعْ أحداً على غيبه ، فأكثر ما يفاه الإنسان قد تكون  
الظهرة فيه أتم . وقد حكم الله — سبحانه — بأن مخالفة النفس توصل صاحبها إلى أعلى  
للنازل ، وبكس ذلك مواقتها ، كما أن مخالفة القلوب توجب عى البصيرة ، وبكس ذلك  
مواقعتها .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ  
زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَرًا ،  
فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ  
بِهَتَانَا وَإِنَّمَا مِيتَا \* وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ



وقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ  
وَأَخَذَنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٠﴾

يطلبهم حسن العهد ونسب الكرم في البشارة ، فيقول لا يجمع الفرقة واسترداد المال عليها ، فإن ذلك ترك الكرم ؛ فإن خولت واحدة مالا كثيرا ثم جفوتها بالفراق فما آتيتها يسور في جنب ما أذقتها من الفراق .

قوله : « وكيف تأخضونه . . . » : يعنى أن للصحة السالفة حرمة أكيدة ، قفوا عند مراعاة النمام ، وأوفوا بموجب الميثاق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ ﴾  
تَنْ النساء إلا ما قد سَلَفَ ، إنه  
كان فاحشة ومقتا وساء سيلا .

تشير الآية إلى حفظ النمام ، والوقوف على حد الاحترام ، فإن السجبة تتداخلها الأنفة من أن ينكح فراشه غيره ، فهى الأبناء عن تخطى حقوق الآباء في استغراش منكوحة الأب .

قوله جل ذكره : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ  
وَأُخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ،  
وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ،  
وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأُخْوَاتُكُمُ  
مِنَ الرَّضَاعَةِ ، وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ  
وَوَبَنَاتُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ  
نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بَيْنَهُنَّ ، فَإِنْ  
لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ  
عَلَيْكُمْ ، وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ  
مِنْ أَصْلَابِكُمْ ، وَأَنْ تَحْبِمُوا بَيْنَ

الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٧﴾

تَكَلَّفَ اقْتِرَاعَ اللَّامَانِ الَّتِي لِأَجْلِهَا جُعِلَ هَذَا التَّحْرِيمُ عَالًا مِنَ الْأَمْرِ ؛ لِأَنَّ التَّهَرَّعَ  
غَيْرُ مُلْغٍ <sup>(١)</sup> ، بَلِ الْحَقُّ تَعَالَى حَرَّمَ مَا شَاءَ عَلَى مَنْ شَاءَ ، وَكَفَيْكَ الْإِبَاحَةَ ، وَلَا عِلَّةَ  
لِلشَّرَائِعِ بِحَالٍ ، وَلَوْ كَانَتِ الْمُحَرَّمَاتُ مِنْ هَؤُلَاءِ مُحَلَّلَاتٍ [مَحْرَمَاتٍ] <sup>(٢)</sup> لَكُنْ ذَلِكَ سَائِقًا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَأُحِلَّ

لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَنْفُسُوا

بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ

أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

فِي تَرَاضِيَةٍ بِهِ مِنْ بَيْدِ الْفَرِيضَةِ ،

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٨﴾ .

إذا حافظت الحدود ، وراعى اليهود ، وحصل التراضى بين النساء بحكم الشرع فلا يكون  
فيه للخلق خصية ، ولا من الحق سبحانه منه تيممة فذلك مباحٌ طلقٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ

يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ

مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ نَفْيَاتِكُمْ

الْمُؤْمِنَاتِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ

بِمَعْصِكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ

أَهْلِيكُمْ ، وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مَنِخَذَاتٍ

(١) نَحْنُ أَنْ هَذِهِ النُّظَرَةُ الَّتِي يَأْخُذُ بِهَا الْقَشِيرِيُّ أُمُورَ التَّنْزِيهِ قَابِلَةٌ لِلنَّقَاشَةِ .

(٢) هَذِهِ كَلِمَةٌ زَائِدَةٌ لَمْ يَلِدْهَا النَّاسُ إِلَى زِيَادَتِهَا ، وَرَبَّمَا كَانَتْ فِي الْأَسْلِ : « وَالْمُحَلَّلَاتُ مَحْرَمَاتٌ » وَحَدَّثَ سَقُوطُ

أَخْذَانِ فَإِذَا أُخْصِنَ فَإِنْ أُتْبِنَ  
بِخَاشِعَةٍ فَصَلِّينَ نَصَفَ مَا عَلَى  
الْمَحْصَنَاتِ مِنَ الْمَقَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ  
الْمَتَّ مَتَكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرَ لَكُمْ  
وَأَقْبَهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ .

الرخص جعلت للمستضعفين ، فأما الأقوياء فأمرهم الجِدَّة ، والأخذ بالاحتياط والتضييق ؛  
إذ لا شغل لهم سوى القيام بحق الحق ، فإن كان أمر الظاهر يشغلهم عن مراعاة القلب فلاخذ  
في الأمور الظاهرة بالسهولة والأخف أولى من الاستقصاء فيما يمنع من مراعاة السر ، لأنه ترك  
بعض الأمور لما هو الآثم والأجل ، فنزلت درجته عن الأخذ بالأوثق والأحوط فباح له  
الانحدار إلى وصف الترخص<sup>(١)</sup> .

ثم قال في آخر الآية : « وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرَ لَكُمْ » : يعني على مفاصلة ما فيه الشدة ، وفي  
هذا نوع احتشال للمبديد حيث لم يقل اصبروا بل قال : « وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرَ لَكُمْ » .

قوله جل ذكره : ﴿ يَرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ  
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

لما عرف النبي — صلى الله عليه وسلم — وأمنته أخبار من مضى من الأمم ، وما علموا ،  
وما عاملهم به انتظروا ما الذي يفعل بهم ؛ فلأن فيهم أيضاً من ارتكب مالا يجوز ، فقالوا : ليت  
شيئنا بأى نوع يعاملنا ... أبا نخسف أو بالمسخ أو بالعذاب أو بماذا ؟  
فقال تعالى : « وَيَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » نرّفكم ما الذي عملنا بهم .

---

(١) القاعدة « أن الله يحب أن تؤتى رخصه » كما تؤتى عزائمه « ولكن التشيرى يرى بالنسبة لأرباب  
الأحوال أن ( الرخصة في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال ، وهؤلاء الطائفة ) ( = الصوفية )  
ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه ، ولهذا قيل إذا انحط الفقير من درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة  
فقد فسخ قدم مع الله تعالى ، وتدنّى صهده فيها ويته سبحانه » ( الرسالة ص ١٩٩ .

« وينوب عليكم ، أما أنتم فأتوب عليكم ، أما من تقدم فلقد دمرت عليهم .  
 ويقال « يريد الله ليبيّن لكم » : أى يكشفكم بأسراره فيظهر لكم ماخفى على غيركم .  
 ويقال يريد الله ليبيّن لكم انفرادَه — سبحانه — بالإيجاد والإبداع ، وأنه ليس  
 لأحد شئ . »

« ويهدىكم سنن الذين من قبلكم » طريقة الأنبياء والأولياء وهو التفويض والرضاء ،  
 والاستسلام للحكم والقضاء .

وقيل « وينوب عليكم » أى يتقبّل توبتكم بعد ما خلق توبتكم ، ثم يُنْيِبُكُمْ على ما خلق  
 لكم من توبتكم <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاللّٰهُ يَرِيدُ أَنْ يُنِيبَكُمْ عَلَيْهِ ، وَيَهْدِيَكُمْ  
 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ أَنْ تَحْمِلُوا  
 مِثْلًا عَظِيمًا ﴾ يريد الله أن يخفف  
 عنكم وحلّ الإنسان ضعيفاً .

عزل بهذا الحديث حديث الأولين والآخرين .

ومن أراد الله توبته فلا يُسَمِّتْ به عدوّاً ، ولا يناله في الفارين سوء .

« ويريد الذين يتبعون الشهوات . . . » : إرادتهم منكوسة ، وهى عند إرادة الحق  
 — سبحانه — ضائعة مردودة .

« ويريد الله أن يخفف عنكم » : يعنى هل الأوزار بمواترة الأوزاد إلى قلوبكم ، ويقال  
 يريد الله أن يخفف عنكم مقاساة المجاهدات بما يلج لقلوبكم من أنوار المشاهدات .

ويقال يريد الله أن يخفف عنكم أمتاب الخدمة بمجلاوة الطاعات .

ويقال يخفف عنكم كلف الأمانة بحملها عنكم .

(١) واضح من هذا الكلام أن الفضل كله لله ، هو الذى يخلق توبة العبد وهو الذى يليه على توبته ،  
 وقد ربطنا بين هذا وبين ما ذكره القشيري عند ( لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ) التى جاء ذكرها  
 فيها سبق ( من هذا الكتاب ص ٢١٦ )

وقال يخفف عنكم أتعاب الطلب بروح الوصول .

« وخلق الإنسان ضيقاً » : وصف بهذا فقرهم وضرتهم ، و ( . . . ) <sup>(١)</sup> بها عذرهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ

بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً

عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝ وَمَنْ يَفْعَلْ

ذَلِكَ عَدُوًّا فَإِنَّهُ ظِلٌّ لِمَا خُفِيَ مِنْهُ

نَارًا ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝

كل فقرة كانت لغیر الله فهي أكل مال بالباطل .

وقال التبع إذا كان على غفلة ، والبذل إذا لم يكن بمشهد الحقيقة <sup>(٢)</sup> ، فكل ذلك

باطل ، « ولا تقتلوا أنفسكم » : معنى يارتكاب الذنوب ، ويقال تعريضها لمساخطه سبحانه .

وقال ينظركم إليها وملاحظتكم إياها .

وقال يستحسنكم شيئاً منها بإيثارها دون رضا الحق .

ومن يفعل ذلك عدوًّا وظلًّا فإنه لا ينجي من عقوبة شديدة ، وهو أن نيكها إلى

صاحبها ، ونلق حبلها على غاريها .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَحْتَسِبُوا كِبَارَ مَا تُتَّبَعُونَ عَنْهُ

نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ

مُدْخَلَ كَرِيمًا ۝

الكبار — على لسان اللهم — ها هنا الشرك بالله ، وعلى بيان الإشارة أيضاً الشرك

(١) مثلية .

(٢) والبذل إذا لم يكن بمشهد الحقيقة ، أى لو كان ما قبله وأنت تعبد نفسك دون أن تعبد الحق ، فهو عمل ضائع ، لأنه جيلد متعبد قدراً لنفسك .

اتلّفني . ومن جملة ذلك ملاحظة الخلق ، واستحلاء قبولهم ، والتودد إليهم ، والإغماض على حق الله بسببهم <sup>(١)</sup> .

ويقال إذا سلم العهد فاحصل من مجاوزة <sup>(٢)</sup> الحد فهو بعيد عن التكفير .  
ويقال أكبر الكبائر إثباتك نفسك فإذا شاهدت نفيها <sup>(٣)</sup> تخلّصت <sup>(٤)</sup> من أسر المحن . « وندخلكم » في أموركم « مدخلا كريماً » إدخالاً حسناً لا ترون منكم دخولكم ولا خروجكم وإنما ترون المصروف لكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ۝ ﴾

على بعضي ، فرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، وأسألو الله من فضله ،  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ۝

لسان للعامة أن الأمر بالنمى لا بالتقى ، ولسان التوحيد أن الأمر بالتحكم والقضاء لا بالإرادة واللى . ويقال اسلكوا سبيل من تقدمكم في قيامكم بحق الله ، ولا تنعرضوا للنيل ما خصوا به من فضل الله . قوموا بحق مولاكم ولا قوموا بخباية هواكم واختيار مناكم .  
ويقال لا تمنوا <sup>(٥)</sup> مقام السادة دون أن تسلكوا سبيلهم ، وتلازموا سيرهم ، وتعملوا عملهم .. فإن ذلك جورٌ من الظن .

ويقال كن طالب حقوقه لا طالب نصيبك على أي وجه شئت : دنيا وآخرة ( وإلا ) <sup>(٦)</sup> أشركت في توحيدك من حيث لم تشع .

(١) ربما يشترك كثير من الباحثين في هذا الرأي مع التشيخي ولكنه عند أهل اللامعة عنصر أساسي وخطير في تعاملهم ، حيث يزيد إلى درجة استعجاب سخط الناس ولومهم لعبد .

(٢) وردت ( بالراء ) وهي خطأ في النسخ ، ويكون للمنى إن-اقه ينفر مجاوزة الحد على شرط سلامة العهد وعدم الشرك .

(٣) وردت ( قلها ) وهي خطأ في النسخ .

(٤) وردت بالناء المربوطة لا المفتوحة وهي خطأ في النسخ .

(٥) وردت بإلهاء لا بإلهم والصحيح أنها بالهم ويتأيد ذلك بقوله بعد قليل ( لا تمنن مقامات الرجال ) .

(٦) إضافة من يستعين للمنى ، إذ واضح أنها سقطت من النسخ .

ويقال لا تَهْمَنَّ مقامات الرجال فإن لكل مقام أهلاً عند الله، وهم مسودون؛ فإلم بمت واحد منهم لا يورث مكانه غيره، قال تعالى: «جعلكم خلائف» والخليفة من يخلف من تقدمه، فإذا تَمَنَّيْتَ مقام ولى من الأولياء فكأنك استعجلت وفاته؛ على الجملة تمنيت أو على التفصيل، وذلك غير مُسَلَّم.

ويقال خودك تحت جريان حكمه — على ما سبق به اختياره — أَعْطَى لك من تعرضك لوجود منك، إذ قد يكون خُفَكَ في مُنْذِكَ.

ويقال مَنْ لَمْ يُوَدَّبْ ظاهرهُ بنون للعاملات، ولم يَهْدَبْ باطنه بوجوه<sup>(١)</sup> للنازلات فلا ينبغي أن يتصدى لنيل المواصلات، وهيات هيات متى يكون ذلك!

«واسألو الله من فضله»: الفرق<sup>(٢)</sup> بين التقى وبين السؤال من فضله من وجوه: يكون التقى لشيء مع غفلتك عن ربك؛ فتتمنى بقلبك وجود ذلك الشيء من غير توقعه من الله، فإذا سألت الله فلا محالة تذكره، والآخر أن السائل لا يرى استحقاق نفسه فيُحِبُّهُ صِدْقُ الإرادة على التلقئ والتضرع، والتمنى يخلو عن هذه الجملة.

والآخر أن الله نهي عن تمنى ما فضل الله به غيره إذ معناه أن يسلب صاحبك ما أعطاه ويعطيك إياه، وأباح السؤال من فضله بأن يعطيك مثل ما أعطى صاحبك.

ويقال لا تمنى المعطاء وسل الله أن يعطيك من فضله الرضا بفقره المعطاء وذلك أتم من المعطاء، فإن التحرر من رِقِّ الأشياء أتم من تملكها.

قوله جل ذكره: ﴿وَلِكُلٍّ جَلْنَا مَوَالِيًّا مِمَّا تَرَكَ

الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ هَعَدْتُ

أَيَّامَكُمْ فَأَتَوْهمْ نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝﴾.

جعل المأخوذة في ابتداء الإسلام نظيرة النسب في ثبوت لليراث بها فَنَحَّخَ حكم لليراث

(١) وردت (بوجوده) والصواب أن المال زائدة لبتلام المني مع (خون) كذلك فإن (بوجوده) للنازلات) غير مستقيمة.

(٢) لاحظ كيف تترى بحوث القشيري التي من هذا القبيل علوم الله والبلاغة.

وعنى حكم الاحرام ، فإذا كانت للمعاينة بين الناس بهذه اللثابة فما غلثك بالمعاينة مع الله ؟ .  
قال الله تعالى : « رجالٌ صدَقُوا ما عاهدوا الله عليه » وأنشأوا :

إنَّ الألى ماتوا على دين الهوى وجدوا النيةَ مهلاً معسولاً

قوله جل ذكره : ﴿ الرجال قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ

بعضهم على بعضٍ ، وبما أَفْقَرُوا مِنْ  
أَمْوَالِهِمْ ، فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ  
لِغَيْبِ مَا حَفِظَ اللَّهُ ، وَاللَّاتِي تَخَافُونَ  
نُشُوزَهُنَّ فُضِّلُوهُنَّ وَاهْبَرُوهُنَّ فِي  
الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ  
فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
عَلِيماً كَبِيرًا ۝

خمس<sup>(١)</sup> الرجال بالقوة فزيد بالمثل عليهم ؛ فالمثل على حسب القوة . والعبرة بالقلوب  
والهم لا بالنفوس والجثث .

قوله : « واللاتي يخافون لنشوزهن فضلوهن واهبروهن في المضاجع واضربوهن » : أى  
أرقتوا في تهديهن بالتدريج والرفق ، وإن صلح الأمر بالوعظ فلا تستعمل العصا بالضرب ،  
فالآية تتضمن آداب العشرة .

ثم قال : « فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا » : يعنى إن وكفت في الحال عن سوء  
العشرة (.....)<sup>(٢)</sup> ورجعت إلى الطاعة فلا تنتقم منها عما سلف ، ولا تمنع من  
قبول عندها والتأني عليها .

يقال : « لَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا » بمجاوزتك من مقدار ما تستوجب<sup>(٣)</sup> من قمتك .

(١) جاءت ( حشر ) أى أعطى الناس فقتل تنطه الحاء إلى الضاد .

(٢) من ثلاث كلمات زائدة وضع الناس علامة مميزة لفتيه على ضرورة حفظها لتكرارها بدون داع .

(٣) أى تستحق المرأة .



قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَخْتَضِمُوا شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْشُرُوا  
حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحُكْمًا مِنْ أَهْلِهَا  
إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ،  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝ ﴾ .

يقال لك عليها الطاعة بالبدن ، فأما المحبة والميل إليك بالقلب فذلك إلى الله ،  
فلا تكلفها مالا يوزقك الله منها ، فإن القلوب بقدره الله ، يُحِبُّ إِلَيْهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَيُبْغِضُ  
إِلَيْهَا مَنْ يَشَاءُ .

ويقال : فإن أظنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً « أى لا تنسَ وفاءها فى الماضى بنادر <sup>(١)</sup>  
جناها يبدو فى الحال فربما يعود الأمر إلى الجليل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا  
وَالَّذِينَ إِحْسَانًا وَفِى الْقُرْبَى  
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ  
ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ  
بِالْجُنُبِ وَأَيْنَ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُكُمْ . إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ  
كَانَ مُخْتَلًا خُورًا ۝ الَّذِينَ يَخْلَوْنَ  
وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ  
مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا  
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝ ﴾

قوله « واعبدوا الله » : العبودية مائة الأمر ومفارقة الزجر <sup>(٢)</sup> .

« ولا تشركوا » الشريك مجيئه اعتقاد مبدود سواء ، وخفيته : ملاحظة موجود سواء ،

---

(١) لا نسجد أنها ربما كانت فى الأصل (ببادر) ولحقى يعجل (نادر) و (بادر) فكلما يدل على قدر  
من الخفاء لا يستحق الاهتمام ويستوجب العفر .  
(٢) أى طاعة ما أمرك به وترك ما نهاك عنه .

والتوحيد أن تعرف أن الحادثات كلها حاصلة بالله ، فأمة به ، فهو مجربها ومنشئها ومبقيها ،  
وليس لأحد قوة ولا شظية ولا سيطرة ولا شئ من الإيجاد والإبداع .

ودقائق الزمان وخفايا اللغات وكوامن الإعجاب والعمل على رؤية الخلق ، واستحلاء  
مدسهم والقبول تحت ردمهم وذمهم — كل ذلك من الشبرك أغلق .

قوله : « وبالوالدين » الإحسان إلى الوالدين على وجه التبرج إلى محبة فإنك أمرت  
أولاً بمحبتهم لأنها من جنسك ومنهما تربيتك ، ومنها تصل إلى استحقاق زيادتك وتتحقق  
بمعرفتك . وإذا صلحت للصبية والعشرة مع ذوى القربى والفقراء والسالكين واليتامى  
ومن في طبقتهم — رُقيت عن ذلك إلى استيجاب محبته — سبحانه .

قوله : « والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب . . . الآية » من جيرانك  
( . . . ) (١) فلا تؤذها بعصيانك ، ودارع حقها بما تؤلى عليهما من إحسانك .

فإذا كان جلد دارك مستوجباً للإحسان إليه ومراعاة حقه فجار نفسك — وهو قلبك —  
أولى بالأفضلية ولا تغفل عنه ، ولا تُمكن طول الخواطر الرديئة به .

وإذا كان جلد نفسك هذا حقه فجار قلبك — وهو روحك — أولى أن نحاي على  
حقها ، ولا تُمكن لما يخالفها من مساكنتها ومجاورتها . وجلد روحك — وهو سِرُّك —  
أولى أن ترحى حقه ، فلا تُمكنه من النبية عن أوطان الشهود على دوام الساعات .

قوله : « وهو مصمك أينما كنتم » الإشارة منه غير ملتزمة على قلوب ذوى التحقيق .

قوله : « الذين يبخلون . . . الآية » : البخل على لسان العلم منع الواجب ، وعلى بيان  
الإشارة ترك الإيثار في زمان الاضطراب . وأمر الناس بالبخل منهاء متعمم عن مطالبات  
الحقائق في معرض الشفقة عليهم بموجب الشرع ، وبيان هذا أن يقع بلسانك الانسلاخ عن  
الملاطحة وحذف فضولات الحالة فمن نصحه بأن يقول : « ربما لا تقوى على هذا ، ولأن تكون  
مع معلومك الحلال أولى بأن تصير مكدياً ، وربما تخرج إلى سؤال الناس وأن تكون كلاً على

المسلمين — ويرَوِي له في هذا الباب الأخبار والآثار أمثال هذا . . . . . « قولا بِهٖ <sup>(١)</sup> المستكن في قلبه لأعانه بهمه فيما يسئح لقلبه <sup>(٢)</sup> بكل أن يمنع عنه ما (يجب أن) يقول في معرض النصيح . ومن كانت هذه صفته أحركه عاجل المقت حيث أطفأ شرر إرادة ذلك المستصحب بما هو عند نفسه أنه نصيحة وشفقة في الشرع .

وقوله : « ويكتسبون ما آتاهم الله من فضله » : إن كان الله أخانهم من طلب الغفيلة بما خولم وآتاهم كنوا ذلك طمعاً في الزيادة على غير وجه الإذن .  
ويقال يكتسبون ما آتاهم الله من فضله إذا سألهم مريد شيئاً عندهم فيه نجاته ، وضنوا عليه بإرشاده .

ويقال يخل الأغنياء بمنع النعمة ، ويخل الفقراء بمنع الهمة .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قوينا ﴾

أدخل هؤلاء أيضاً تحت قوله : « إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً » فقوتهم في العاجل أنهم ليسوا من جملة تحمييه ، وكفى بذلك عنة .

والمختال الذي ينظر إلى نفسه والمرأى الذي ينظر إلى أبناء جنسه ، وكلاهما مَسُومان بالشرك الخفي والله لا يحب للمشركين . والفخور من الإبل كالمصرأة من الغنم وهو الذي سُدَّتْ أخلاقه ليجتمع فيها الدر <sup>(٣)</sup> فيتوهم للشترى أن جميع ذلك مصاد لها وليس كذلك ، فكذلك الذي يرى من نفسه حالاً ورتبة وهو في ذلك مدع وهو الفخور ، والله لا يحب ، وكذلك المرأى الذي ينفق ماله رياء الناس .

(١) حاول بفهم أن يصححها في الماش فطن أن سوابها ( تبحه ) والصحيح أنها ( بئله ) .

(٢) يستعمل الشترى النمل ( يستح ) لدلالة على ما ورد القلب من خواطر قد تصبح هواجس ففسده نحو الملائق والملائق ، وقد تكون إلهاماً من قبل الحق سبحانه فتهديه السبل .

(٣) الدر = ابن التمر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَأُنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ  
اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً ﴾

ليس في إيمانهم بالله عليهم مشقة ، بل لو آمنوا فوصلوا إلى عزِّ الدُّنيا والآخرة ، ولا يحصل لهم  
على الإعراض عنه إلا لاقَّة الوفاء والحكمة .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَقْلِبُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ  
حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ  
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

لا ينقص من ثوابهم شيئاً بل يبتدئهم — من غير استحقاقهم — بفضلهم ، ويضاعف  
أجورهم على أعمالهم ؛ فأما الظلم فحالٌ تقديره في وصفه لأن الخلق خلقه ، والملك ملكه .  
والظلم من يعتدى حداً رُبِمَ له — وهو في وصفه محالٌ لِمَزَّةٍ في جلال قدره .

قوله جل ذكره : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ  
بشيدٍ وَّجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ۚ  
يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَفَوْا  
الرَّسُولَ لَوْ نُصَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ  
وَلَا يَكْنُتُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾

إذا كان الرسول — صلى الله عليه وسلم — الشهيد على أمته ، وهو الشفيع لهم ، فإنما  
يشهد بما يُبَيِّنُ للشفاعة موضعها .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾ الآية : يحصلون على ندمهم ثم لا ينفعهم ،  
ويعضون على أناملهم ثم لا يسكن عنهم جزعهم ، فيتقنون بخيار النُّل ، وينقلبون إلى أوطان  
الحزن <sup>(١)</sup> والضر .

(١) وودت ( الحسن ) والسين زيادة من التاسخ والصواب ( الحزن ) .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُوا الصَّلَاةَ  
وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ  
سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً  
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا  
غَفُورًا ۝﴾

التهى عن موجب السكر من الشراب لا من الصلاة ، أى لا تصادفكم الصلاة وأنتم  
بصفة السكر ، أى امتنعوا عن شرب ما يسكر فإنكم إن شربتم سكرتم ، ثم إذا صادفكم  
الصلاة على تلك الحالة لا تقبل منكم صلاتكم .  
والسكر ذهاب العقل والاستثمار ، ولا تصح منه للنجاة مع الحق .  
المصلى يناجى ربه ، فكل ما أوجب للقلب القهول عن الله فهو ملحق بهذا من حيث  
الإشارة ؛ ولأجل هذه الجملة حصل ، والسكر على أقسام :  
فسكر من الحر وسكر من الغلة لاستيلاء حب الدنيا .

وأصعب السكر سكر من نفسك فهو الذى يلقى فى الفرقه عنه ، فإن من سكر من الحر  
قصاراه الحرقه — إن لم يفر له . ومن سكر من نفسه غلب الفرقه — فى الوقت — عن الحقيقة .  
فأما السكر الذى يشير إليه القوم <sup>(١)</sup> فصاحبه محفوظ عليه وقت حتى يصلى والأمر  
مخفف عليه : ( فإذا خرج من الصلاة هجم عليه غالبه فاختطفه عنه ومن لم يكن محفوظاً ) <sup>(٢)</sup>  
عليه أحكم الشرع ( فتشوب بمحض ) <sup>(٣)</sup> .

(١) أى السكر عند الموفية .

(٢) هنا الذى بين قوسين مشترك فى هامش الصفحة وحتاه فى موضعه من النص .

(٣) ( فتشوب بمحض ) وضمتا هاتين اللفظيتين هنا مستقيدين من أقوال التشيرى فى مواضع مناظرة =

وقوله تعالى : « ولا جُنُباً إلا عابري سبيل . . . الآية » : أذن للمضطر أن يترخص في عبور المسجد وهو على وصف الجنابة ، فإذا عرج زائداً على قدر الضرورة فمُعَاتَبٌ غيرٌ معذور ، وكذلك فيما يحصل من معاذير الوقت في القيام بشرائط الوقت فرفوعة عن صاحبه المطالبة به .

ثم إنه — سبحانه — بفضل جمل التيمم بدلاً من الطهارة بالماء عند حوزِ الماء كنكث النزولُ إلى ساحات الفرقِ عن ارتقاء ذرة<sup>(١)</sup> الجمع — يَقْدَرُ ما يحصل من الضعف — بذلك لأهل الحقائق .

ثم إن التيمم — الذي هو بذلك الماء — أهم وجوداً من الماء ، وأقل استعمالاً من الأصل ، فإن كل من كان أقرب كانت المطالبات عليه أصعب .

ثم في الظاهر أمرنا باستعمال التراب وفي الباطن باستثمار الخضوع واستدامة الذبول<sup>(٢)</sup> . وردَّ التيمم إلى التقليل ، وراعى فيه صيانةً لرأسك من التراب ولقدّمك ؛ فإنَّ العزَّ بالؤمن — ومولاه باستحقاق الجلال — أوّل من النذل لما هو مفلس فيه من الحال ، وثان كان إفلاسه عن أعماله يوجب له التذللُ فرفأته بجلال سيده يوجب كل تعزُّزٍ وتجمل .

قوله جل ذكره ﴿ ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من

الكتاب يشعرون الضلالة ويريدون

أن تضلّوا السبيل \* والله أعلم

بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى

بالله نصيراً \* من الذين هادوا

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ

وَقَوْلُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ

غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْغَ بِالْسِتِّمِ

== في مصنفاته الأخرى ، وذلك نظراً لانهايم الكلمتين هنا لرداءة خط الناسخ ( انظر حديث التشريع من السكر في الرسالة ص ٤١ ) .

(١) ترجع أنها في الأصل ( ذروة الجمع ) وأن الواو قد سقطت من الناسخ .

(٢) لأن فيه تذكيراً للانسان بأسفه .

وَلَطَمْنَا فِي الْفُؤَادِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا  
سَيْفُنَا وَالطَّنَّا وَاسْتَعَّ وَانظُرْنَا  
لَكُنْ خَيْرًا لَمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ  
لَقَنَمَهُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ  
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾

ومكروا مكراً ولم يشعروا بوجه مكروهم أن أعطوا الكتاب ثم حرموا بركت الفهم  
حتى حرموا وأصروا .

قوله : « من الذين هاجبوا . . . » الآية : تركوا حشمة الرسول — صلى الله عليه وسلم —  
ورفعوا حرمة ، فموجبوا بالشك في أمره ، ولذلك لم يترك أحد حشمته (محشم) <sup>(١)</sup> إلا حيل  
بينه وبين نيل بركت محبته وزوائد خدمته . ولو أنهم عاجلوا في نفى ما داخلهم من الحسد  
وقابلوا حاله بالتبجيل والإعظام لوجدوا بركت متابعته ، فأسيّدوا به في الدارين ، وكيف  
لم يكونوا كذلك وقد أقصتهم السوابق فأقصتهم القسمة عن بساط الخدمة ؟ وإن من قصت  
به الأقدار لم ينهض به الاحتيال .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ آمَنُوا  
بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلُ  
أَنْ نَطْغِيَنَّ وَجوهًا قَدَّرْنَا عَلَى  
أُدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَهْلَ  
الْسَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

صرف القلوب عن الإرادة إلى أحوال أهل العادة حتى كانت دواحيه يتوفر في رفض  
الدنيا فساد لا يصبر عن جميعها <sup>(٢)</sup> ومنها .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ

(١) ترجيح أن هذه الكلمة زائدة من الناسخ ، أو ربما كان الأصل ( حشمةٌ مُحَشَّمَةٌ ) .

(٢) وودت ( جميعها ) وهي خطأ في النسخ .

ما دون ذلك لئن يشاء ، ومن  
يشرك بالله فقد اقرى إثمًا عظيمًا ﴿

العوام طولبوا بترك الشرك الجليّ ، والخواص طولبوا بترك الشرك الخفيّ ، فمن توسّل  
إليه بصله ويظنه منه ، أو توهم أن أحكامه — سبحانه — مملولة بمركاته وسكناته ، أو راعى  
خلقاً أو لاحظ نفساً فوطئه الشرك عند أهل الحقائق<sup>(١)</sup> .

والله لا يفر أن يُشرك به وكنك من توهم أن مخالفته حصلت من غير تقديره فهو  
ملتحق بهم .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ  
بِأَنَّ اللَّهَ يَرْكُيْ مِنْ يَشَاءُ وَلَا يُلَظْهَرُونَ  
فَنِيلاً ﴾ انظر كيف يفترون على  
الله الكذب ، وكفى به إثمًا  
مُبينًا ﴿

من ركن إلى تزكية الناس له ، واستحلى قبول الخواص له — فضلاً عن العوام — فهو  
من زكى نفسه ، ورؤية النفس أعظم حجاب ، ومن توهم أنه يسكّفه يزكى نفسه : بأوراده  
أو اجتتهاد ، بمركاته أو سكناته — فهو في غطاء جهله .

قوله : ﴿ انظر كيف يفترون ﴾ الآية : الإشارة إلى من أطلق لسان الدعوى من  
غير تحقيق ، والمفتري — في قائله في هذا الأمر — لا ينطق بشيء إلا أجبه الأذان  
وازجرت له القلوب ، فإذا سكّت عاد إلى قلب خراب .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا  
مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ  
وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
هؤُلاءِ أهدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) يقول ذكر الأتصاري شارح الرسالة : ( من كانت أماله لله تعالى وشاهدتها طاعة له تعالى فهو  
في التفرقة ومن شاهدتها جارية عليه فضلاً من الله فقد شاهدتها بالله فهو في الجمع ) ( هامش ٣٩ ) .



سيلا \* أولئك الذين كَفَّمَهُ اللهُ ،  
وَمَنْ يَلْمِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ  
نَصيراً ﴿١﴾

طاغوتُ كُلِّ أَحَدٍ نَفْسُهُ وَهَوَاهُ وَجِبْتُهُ و (.....) <sup>(١)</sup> مفصوده من الأغيار ، فن  
لاحظ شخصاً أو طالع سبباً أو مرجح على حيلة أو أطاع هوى ، فذلك جبنه و طاغوته . وأصحاب  
الجبب و الطاغوت يستوجبون الأمن ؛ وهو الطرد عن بساط العبودية ، والحجاب عن  
شهود الزبوية .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ لَمْ يَلْبِسْ مِنَ اللَّذِكِ فِدَاً  
لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ قَبْراً \* أَمْ  
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ  
مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً  
عظيماً \* فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ \* وَمِنْهُمْ  
مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُنِيَ بِهِمْ سَبِيحاً ﴿٢﴾

مَنْ جُبِلَ عَلَى الشُّعْ لَا يَزْدَادُ بِسْمَةِ يَدِهِ إِلَّا تَأْسَافاً عَلَى رَاحَةِ يَنَالِهَا اخْتَلَقَ ، كَانَ مَنْ شَرِبَ  
قَطْرَةً مَاءٍ قَدْ تَحَسَّى بِلِ رَشَفٍ مِنْ مَاءِ حَيَاتِهِ !

قوله : « أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ . . . » : بل ينكرون تفصيل الحق سبحانه لأوليائه  
بما يشاء حسداً من عند أنفسهم فلا يقابلونهم بالإجلال ، وَبِسُنَّةِ اللهِ سبحانه مع أوليائه مضت  
بالتعزير والتوقيف لم . ودأب الكافرين جرى بالارتباب في التسددة ؛ فهم من آمن بهم ،  
ومنهم من رد ذلك وجحد ، وكفى بقربة الله منتقماً عنهم .

قوله : « وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عظيماً » : لَلَّذِكِ العظيم معرفة للَّذِكِ ، ويقال هو لَلَّذِكِ  
على النفس .

ويقال الإشراف على أسرار المملكة حتى لا ينفق عليه شيء .  
ويقال الإطلاع على أسرار الخلق .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلِمًا تَنْصِبَتْ جُلُودُهم  
بِئْسَ لَهُم جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَتُوقَرُوا  
الْعَذَابُ \* إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا  
حَكِيمًا ﴾

الإشارة منه إلى الجاحدين لآيات الأولياء ؛ يُصمِّمهم بوصف الصغار ويبقيهم في وحشة  
الإنكار<sup>(١)</sup> ؛ كَلِمًا لآح لقلوبهم شيء من هذه القصة<sup>(٢)</sup> جرَّهم إنكارهم إلى ترك الإيمان بها  
والإضرار بأهلها على وجه الاستبعاد ، فهم مؤبدة عقوبتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا  
أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلْلٌ  
ظَلِيلًا ﴾

هم اليوم في ظل الرعاية ، وغداً في ظل الحماية والكفاية ، بل هم في الدنيا والمقبي  
في ظل العناية .

والناس في هذه الدنيا متفاوتون : فمنهم من هو في ظل رحمته ، ومنهم من هو  
في ظل رعايته ، ومنهم من هو في ظل كرامته ، ومنهم من هو في ظل عنايته ، ومنهم من  
هو في ظل قربته .

---

(١) وردت (الأنكار) بإفاد والصواب — حسب المعنى والسياق — وكما جاء بعد قليل في (وجرم  
إنكارهم) أن تكون (الإنكار) .  
(٢) يقصد من (القصة) : التصوف وأهله .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا  
الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ  
بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ ﴾  
إِنَّ اللَّهَ نِعْمَا سَيِّطُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ  
كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿

ردُّ الأمانات إلى أهلها تسليم أموال<sup>(١)</sup> الخلق لم يعد إشرافك عليها بحيث  
لا تفسد عليهم .

ويقال لله — سبحانه وتعالى — أماناتٌ وضَعَهَا عِنْدَكَ ؛ فردُّ الأمانة إلى أهلها  
تسليمها إلى الله — سبحانه — سَلَامَةٌ مِنْ خِيَانَتِكَ فِيهَا ؛ فطليانة في أمانة القلب ادعائك  
فيها ، وانطليانة في أمانة السرِّ ملاحظتك لإيها .

وَالْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ تَسْوِيَةُ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ فِي الْعَطَاوِ الْبَنِيَّةِ ، وَأَلَّا تَحْمِلَكَ خِثَامُهُ  
حَقْدٍ عَلَى انْتِقَامٍ لِنَفْسِي .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ  
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ  
فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى  
اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ  
تَأْوِيلًا ۚ ﴾

قَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — تَفْخِيمًا لثَأْنِهِ وَرَفْعًا لِقَدْرِهِ .  
وَأَمَّا أُولُو الْأَمْرِ — فَعَلَى لِسَانِ الْعَلَمِ — السُّلْطَانُ ، وَعَلَى بَيَانِ لِلْعُرْفَةِ الْعَارِفُ ذُو الْأَمْرِ  
عَلَى اللَّسْتَأْنَفِ ، وَالشَّيْخُ أُولُو الْأَمْرِ عَلَى الْمُرِيدِ ، وَإِمَامُ كُلِّ طَائِفَةٍ ذُو الْأَمْرِ عَلَيْهِمْ .

(١) وردت (أحوال) والمصواب أنها (أموال) لأن الأحوال لا تكون دافعاً لناس عندك بل أموالهم

وقال الولي أولى بالمريد (من المريد) <sup>(١)</sup> للمريد .

قوله : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ » على لسان العلم — إلى الكتاب والسنة ، وعلى بيان التوحيد فَرُدُّوا ذَلِكَ وَكَلِّمْهُ إِلَى اللَّهِ سبحانه ، وإذا اختلف المظان في قلب المؤمن فَإِنْ كَانَ لَهُ اجْتِهَادُ الْعُلَمَاءِ تَأَمَّلْ مَا يَسْنَعُ ظَاهِرُهُ بِإِشَارَةِ فَهْمِهِ ، ومن كان صاحب قلب وَكَلِّمْ ذَلِكَ إِلَى الْحَقِّ — سبحانه — وراعى ما خوطب به في سرائره ، وألقى — بلا واسطة <sup>(٢)</sup> — في قلبه .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قِبَلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا كَلِمَ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْفَ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ .

أظهروا الإخلاص ، وناقضوا في السر ، فضضحهم — سبحانه — على لسان جبريل عليه السلام بقوله : « يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا كَلِمَ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ » أى يرفضوه . فمن حاد عن طريقه ورجع إلى غير أستاذه استوجب الحرمان والدم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنُزِّلَ إِلَيْكُمْ وَلِيَ الرُّسُولِ رَأْيُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوقًا ﴾ .

كل شيء سوى كلمة الحق فهو خفيف على المنافقين ، فأما التوحيد فلا يسم كلته إلا مخلص ، وأهل الفترة في الله وأصحاب النفرة لا يسمعون ما هو الحق ؛ لأن خلاف الهوى يَشْقَى عَلَى غَيْرِ الصَّادِقِينَ . وكما أن ناظر الخلق <sup>(٣)</sup> لا يقوى على مقابلة الشمس فكذلك

(١) هذا استدراك موجود في هامش الصفحة أئتناه في موضع من النص .

(٢) تأمل جيدا ( بلا واسطة ) فهذا وصف هام للمعرفة عند الصوفية ، يميزها ويكشف جوهرها .

(٣) أى البين .

الناقون لم يطبقوا الثبات له — صلى الله عليه وسلم — فذلك كان صودهم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ ﴾ بما

قدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءَهُمْ بِمُخْلِفُونَ

بِاللهِ إِنَّ أَرْضَنَا إِلَّا إِسْخَانًا وَتَوَفِيقًا ۖ .

تَصْرُحُ غير المخلص عند هجوم الضرر<sup>(١)</sup> لأصل له ، فلا ينبغي أن يكون به اعتبار لأن بقاءه إلى زوال الهمة ، والمصيبة العظمى ترك المبالاة ( بما يحصل من التعمير )<sup>(٢)</sup> .

ويقال من المصيبة أن يحثك وقتك فيها لا يجدي عليك<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ

فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ وَعِظُهُمْ وَقُلٌّ لَّهُمْ فِي

أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۖ .

أَبْطَلُ لم لسان الوعظ يقتضي الشفقة عليهم ، ولكن انقيض بقلبك عن المبالاة بهم والسكون إليهم ، واعلم<sup>(٤)</sup> أن من لا نكون نحن له لا ينفي عنه أن تنيه<sup>(٥)</sup> شيئاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ عَاجِلًا

أَخْلَعُوا وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ

فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ

لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۖ .

مَا أَمَرْنَا الرِّسَالَ إِلَّا بِدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَيْنَا .

(١) وردت ( الضرورة ) والصواب ( الضر ) فالمن يقتضي ذلك ويؤيد أن الخطأ في النسخ .

(٢) ما بين توسين تسكتة وجنابها ضرورية لتوضيح الحق فاستغفنا بما جاء في موقف مشابه في الرسالة من ٣٤ حيث يقول ( وترك المبالاة بما يحصل منك من التعمير خروج عن الدين ) .

(٣) من أقوالهم في الوقت : الوقت مبرد يسقطك ولا يحثك ، والوقت سيف فكا أن السيف طالع فحوت بما يحضيه الحق ويجمري غالب .

(٤) وردت ( ما علم ) وهي خطأ في النسخ ، وربما كانت ( فاعلم ) في الأصل واشبهت على الناسخ .

(٥) ( أن تنيه ) المصدر المؤول من ان والتمل ( أى هوئك له ) يقع فاعلا لفعل ( ينفي ) .

وقوله : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك ، لو جيلوك ذريمتهم لوصلوا إلينا ، ويقال  
لو لازموا التذلل والافتقار وركبوا مطية الاستغفار لأنخوا بقوة المبار .

قوله جل ذكره : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

فيا شجر بينهم ثم لا يجدوا في  
أنفسهم حرجاً مما قضيت ،  
ويسلموا تسليماً ﴾ .

سنة الطريق — إلى نفسه — على الكافة إلا بعد الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ،  
فمن لم يمش تحت رايته فليس له من الله نص .

ثم جل من شرط الإيمان زوال المراضات بالكلية بقلبك .

قوله : « ثم لا يجسوا . . . » : فلا بد لك من ( . . . )<sup>(١)</sup> تلك المهالك بوجه ضاحك ،  
كما قال بعضهم :

وحبيب إن لم يكن منصفاً كنت منصفاً اتحسنى له الأمر وأسقيه ما صفا  
إن يقل لي إشفق اخترت رضا لا تكلفاً .

قوله جل ذكره : ﴿ ولو أننا كتبنا عليهم أن يؤمنوا بأنفسكم

أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه

إلا قليل منهم ، ولو أنهم فعلوا

ما يوعدون به لكان أخيراً لهم وأشد

تبييناً ﴾ وإذا لا يبينهم من كذبنا خبراً

عظيماً ﴾ ولقد ينام صراعاً مستقيماً

أخبر عن سقم إخلاصهم وقوة إغلاصهم ، ثم أخبر الله بسله بتقصيرهم .

خلام عن كثير من الامتحنات ثم قال ولو أنهم جنحوا إلى الخلد ، وشدوا نطاق الطاعة

(١) هنا كلمة ناعمة ربما كانت ( مواجبة ) أو ( مقابلة ) تلك المهالك بوجه ضاحك .

لكن ذلك خيراً لم من إصرارهم على كفرهم واستكبارهم . ولو أنهم فعلوا ذلك لآتيناهم من عندنا ثواباً عظيماً ، ولأرشدناهم صراطاً مستقيماً ولأوليناهم عطاءً مقبلاً .

والأمر — على بيان الإشارة — يرجع إلى مخالفة المعوى وذبح النفوس بمنها عن المأوفات ، وانخروج من حيل ( تقبيل النفس )<sup>(١)</sup> ، ومفارقة أوطان ( إرادة )<sup>(٢)</sup> الدنيا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ

مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ

وَحَسَنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ

مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً ۝

جعل طاعة المصطفى — صلى الله عليه وسلم — مفتاح الوصول إلى مقامات النبيين والصديقين والشهداء على الوجه الذي يصح للأمة وكفى له عليه السلام بذلك شرفاً .

ثم قال : « ذاك الفضل من الله » : جرد عليهم عملهم عن كل علة واستحقاق وسبب ؛ فإن ملاحهم وأصابعهم صرف فضله وإبتداه كرمه .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ

فَاتَّقُوا ثِيَابَكُمْ أَوْ اتَّقُوا جِيعًا ۝

وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِبَيْطَانٍ فَإِنْ أَخَابَكُمْ

مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ

مَعَهُمْ شَهِيدًا ۝ وَلَكِنْ أَخَابَكُمْ فَضْلُ

مِنْ اللَّهِ يَقُولُ كَانَ لَمْ تَكُنْ

بَيْنَكُمْ وَيَسْأَلُ مَوَدَّةً يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ

فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝

(١) وضع التماسخ ( تقبيل النفس ) في مكان خاطيء بهم المعنى إذ ومنها قبل ( على بيان الإشارة ) والعباد أن تكون في مكانها الذي اخترناه حتى يستقيم السياق .

(٢) وودت ( أراد ) بدون مرز للألف وبدون تاء مربوطة فاخرنا ( إرادة ) لئلا منها السياق .

الفرار إلى الله من صفات القاصدين ، والفرار مع الله من صفات الواصلين ؛ فلا يجد الترار مع الله إلا من صدق في الفرار إلى الله . والفرار من كل غير شأن كل مؤحد .  
قوله تعالى : « وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِبَيْطَانٍ ... » الآية : أى لم تستقر عقائدهم على وصف واحد ، فكانوا مرتبطين بالخطوط ؛ فإذا رأوا مكروهاً بطلت للسليين شكرها وقالوا : الحمد لله الذى حفظنا من متابعتهم فكان يصيبنا ما أصابهم ، وإن كانت لكم نعمة وخير سكنوا إليكم ، وتغنوا أن لو كانوا معكم ، خسروا في الدنيا والآخرة : فهم لا كافر قبيح ولا مؤمن مخلص .

قوله : « كَانَ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ » : يعنى طرحوا حشة الحياة فلم يراعوا حرمتكم .  
قوله جل ذكره : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ، وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

مَنْ لَمْ يَقْتُلْ نَفْسَهُ فِي نَفْسِهِ لَا يَصِحُّ جِهَادُهُ بِنَفْسِهِ ؛ فَأُولَئِكَ (إخراج خطر الروح) <sup>(١)</sup> من القلب ثم تسليم النفس للقتل .  
وقوله « فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » يعنى بقاؤنا بعده خير له من حياته بنفسه لنفسه ، قال قائلهم :

أَلَسْتُ لِي عِوَضًا مَنِ ؟ كَفَى شَرًّا فَا وَرَاءَهُ لِي قَصْدٌ وَمَطْلُوبٌ  
قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾

(١) هكذا في النسخة (ص) وربما كان المقصود أنك لا تستطيع أن تبدل نفسك إلا إذا قويت على قهرها والتهوين من خطرهما .



أى شيء يمنعكم عن القتال في سبيل الله؟ وما الذى لا يرعبكم في بذل الهبة<sup>(١)</sup> لله؟ وماذا عليكم لو بذلتم أرواحكم في الله والله؟ أتخافون أن تضربوا على الله؟ أم لا تعلمون أنكم تحشرون إلى الله؟ فلم لا تكثفون ببقائه بعد فناءكم في الله؟

قوله جل ذكره: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾

المخلصون لله لا يؤثرون شيئاً على الله، ولا يضنون بشيء عن الله، فهم أبدأ على أنفسهم لأجل الله، والذين كفروا على العكس من أحوال المؤمنين. ثم قوام وشجعهم بقوله: «قاتلوا أولياء الشيطان» أى لا تضربوا لم غفاة، فإني متوليكم وكافكم على أعدائكم.

قوله جل ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَبِلْ كُفْرُوكُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾

أخرجوا أيديكم عن أموركم، وركلوا إلى عبودكم.

وقال اقصروها عن أخذ الحرام والتصرف فيه.

وقال امتنعوا عن الشهوات.

ويقال «كفوا أيديكم» إلا عن رفقها إلى الله في السؤال بوصف الابتهاال.

(١) وردت (الهبة) بالهاء وهنا خطأ في النسخ وصوابها (الهبة) للملاءمتها لسياق.

فلما كتب عليهم القتال استنفلوا أمره ، واستمعوا لطفه . والعبودية في ترك الاستقلال ، ونفي الاستعجال ، والتباعد عن التبرم والاستقلال .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ ۖ

خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۖ ۞

مَتَكِّكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ قَالَ : « قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ » ، فلم يمتدحها شيئاً لك ثم لو تصدقت منها يشق حرقه لتخلصت من النار ، وحظيت بالجنة ، وهذا غاية الكرم .

واستقلال الكثير من نفسك — لأجل حبيبك — أقوى أمارات محبتك .

ويقال لما زهدتم في الدنيا قللها في أعينهم ليهون ( عليها )<sup>(١)</sup> تركها .

ويقال قل مَتَاعُ الدُّنْيَا يَجْعَلُهَا قَلِيلًا ، والذي هو نصيبك منها أقل من القليل ، فحق يناقشك لأجلها ( ما تخيل )<sup>(٢)</sup> ، لو سلم عهدك من التبديل ؟

وإذا كانت قيمة الدنيا قليلة فأخس من انخسيس مَنْ رَضِيَ بِالطَّيْسِ بَدَلًا عَنْ النَّفِيسِ .

وقد اختلف المؤمن من الكون بالتدرج . فقال أولاً : « قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ » ( فأحفظهم )<sup>(٣)</sup> من الدنيا بالعقب ، ثم سلمهم عن الكونين بقوله : « وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى » .

قوله جل ذكره : ﴿ أَيُنَا نَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ۖ

وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بَرَجٍ مُّشِيدَةٍ ، وَإِنْ

نُصِيبَهُمْ حَسَّةٌ بَقُولُوا هَٰذَا مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُصِيبَهُمْ سِنَةٌ يَقُولُوا

هَٰذَا مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

فَمَا لِقَوْمٍ لَا يَكْلَفُونَ

بِقَعْمِهِمْ حَذِيثًا ۖ ۞

(١) الضمير في ( عليها ) يعود على أيهم ، وربما كانت في الأصل ( عليهم ) فيعود الضمير على الزهاد .

(٢) ترجيح أنها في الأصل ( التعليل ) إشارة إلى قوله ( من ) حلالها حساب وحرامها عقاب .

(٣) ترجيح أنها في الأصل ( فأحفظهم ) من الدنيا بالعقب ثم سلمهم . . . فهذا أقرب إلى مراحل تدرج الفناء الصوفي .

للوت فرح المؤمن ، فاطيرٌ عن قُرْبِهِ إِشَارَةٌ لَهُ ، لِأَنَّهُ سَبَبُ يَوْصَلُهُ إِلَى الْحَقِّ ، وَمَنْ أَحَبَّ قِتَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ قِتَاءَهُ .

ويقال إذا كان للوت لا بد منه فالاستسلام لحكمه طوعاً خيرٌ من أن يحمل كرها .

ثم أخبر أنهم — لَضَعْفِ بَصَائِرِهِمْ وَمَرَضِ عَقَائِدِهِمْ — إِذَا أَصَابَتْهُمْ حَسَنَةٌ فَرَحُوا بِهَا ، وَأُظْهِرُوا الشُّكْرَ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُمْ سَيِّئَةٌ لَمْ يَتَذَمُّوا إِلَى اللَّهِ فَجَرَى فِيهِمُ الْعَرَقُ الْمَجْهُوسُ<sup>(١)</sup> فَأَضَافُوهُ<sup>(٢)</sup> إِلَى الْخَلْقِ ، فَرَدُّ عَلَيْهِمْ وَقَالَ : قُلْ لَمْ يَأْمُرْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ خَلْقًا وَإِدَاعًا ، وَإِنَّمَا اخْتِرَاعًا ، وَتَقْدِيرًا وَتَسْوِيرًا .

قوله جل ذكره : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَيُنَّ إِلَهُهُ ﴾  
وما أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَيُنَّ نَفْسَكَ  
وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ  
شَهِيدًا ﴿

ما أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَيُنَّ إِلَهُهُ فَضْلًا ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَيُنَّ نَفْسَكَ كِبًا وَكَلَامًا مِنْ اللَّهِ  
سُبْحَانَهُ خَلْقًا<sup>(٣)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾  
وَمَنْ تَوَلَّى فَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ  
حَفِظًا ﴿

هذه الآية تشير إلى التَّجَمُّعِ حَالِ الرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ سُبْحَانَهُ طَاعَتُهُ طَاعَتُنَا ، فَمَنْ تَقَرَّبَ مِنْهُ تَقَرَّبَ مِنَّا ، وَمَقْبُولُهُ مَقْبُولُنَا ، وَمَرْدُودُهُ مَرْدُودُنَا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُمْ يَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ ﴾

(١) لعل التشبیه یقصد بذلك إلى أنهم بلسانهم حيثما لير الله يتركون ، ويأولون عن التوحيد .

(٢) أخطأ الناسخ نقلها ( ماذا قوله ) فهو بنها ما يلائم السياق .

(٣) هذا تلخيص دقيق لرأى التشبیهی فیما یصیب المباد .

عندك بيت طاعة منهم غير الذي  
 تقول، والله يكتب ما يبستون،  
 فأعرض عنهم، وتوكل على الله،  
 وكفى بالله وكيلاً ﴿١﴾

يعني إذا حضروك<sup>(١)</sup> استسلوا في مشاهدتك، فإذا خرجوا انقطع عنهم نور إقبالك،  
 فاضوا إلى ظلمات، كما قالوا :

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذى الضى عاد إلى نكسه

قوله جل ذكره: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ  
 عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا  
 كَثِيرًا﴾ \* وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن  
 أو الخوفِ أذاهموا به ولو رُدُّوه  
 إلى الرسولِ وإلى أولى الأمرِ منهم  
 لعليه الذين يستنبطونه منهم،  
 ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته  
 لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾

تدبرُ إشارة الماعى بنوص الأفكار، واستخراجُ جواهر الماعى بدقائق الاستنباط .

قوله : « وإذا جاءهم أمر . . . » : لما كانوا غافلين عن الحق لم يكن لهم من ينقل إليه  
 أسرارهم فأظهروا السرَّ بعضهم لبعض . فأما المؤمنون فعلموا أسرارهم مولايم، وما يسنع لهم  
 خاطبهم فيه فلم يحتاجوا إلى إذاعة السرِّ لخلق؛ فسامعُ نبوهم الله، وعلمُ خطابهم الله .  
 قوله تعالى : « ولو رُدُّوه إلى الرسولِ وإلى أولى الأمرِ منهم . . . » أى لو بُتُوا<sup>(٢)</sup>

(١) أخطأ الناسخ فتعلها (حزوك) فصوبناها بما يلائم السياق .  
 (٢) كتبها الناسخ (تبرأ) فصوبناها بما يلائم السياق : (بثوا أسرارهم) .

أسرارهم عند من هو ( . . . )<sup>(١)</sup> ومن هو من أهل القصد لأزاولوا عنهم الإشكال ، وأمدوم بنور الهداية والإرشاد<sup>(٢)</sup> .

« ولولا فضل الله » مع أوليائه لماوا في كل وادٍ من التفرقة كأشكالهم في الوقت .

قوله جل ذكره : ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا تُكَلَّفُ

إِلَّا فُضْلَكَ وَحَرْضَ الْمُؤْمِنِينَ ،

عسى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بِأَسَاقِينِ

كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسَاقٍ وَأَشَدُّ

تَسْكِينًا ۝

اِسْتَعْمِمْ مَنَا بِتَسْلِيمِ السُّكُلِ مِنْكَ إِلَى أَمْرِنَا ؛ فَإِنَّكَ — كَمَا لَا يِقَارُنُكَ أَحَدٌ فِي رَبِّتِكَ

لَعَلَّكَ عَلَى الْكُلِّ — فَتَحْنُ لَا نَكْلَفُ غَيْرَكَ بِمَثَلِ مَا تَكْلَفُ ، وَلَا تُحْمَلُ غَيْرَكَ مَا نَحْمَلُ

لَا تُرَادُّكَ عَنْ أَشْكَالِكَ فِي التَّدْوَةِ<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ مِنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ

نَصِيبٌ مِنْهَا ، وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً

سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كَيْفَلٌ مِنْهَا ، وَكَانَ

اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَاقِقًا ۝

الشفيع يخلص المشفوع له خاله . ويستوجب الشفيع — من الله سبحانه على شفاعته —

عظيم الرتبة ، ومن سعى في أمرنا بالفساد تحمّل الوزر واحتجب الامم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّا حُيِّئْتُمْ نَحْيَةً فَبَيِّنُوا بِأَحْسَنِ

(١) مشبهة ، وما بعدها قد يكفي عنها .

(٢) في هذا المضمون بحث الشيعي في إحدى رسائله على ألا يغني المرید بذات نفسه إلا لأواب الطريقة من الشيوع ؛ إذ يبيح بالمرید أن ينسب إلى مذهب غير هذه الطريقة . فبيح أهلها — في مسائلهم — أظهر من جميع كل أحد ، وقواعد مذاهم أقوى من قواعد كل مذهب ، والذي للناس حيب فهو لهم ظهور فهم من أهل الوصال ، والناس أهل استدلال الرسالة ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٣) لا نستلبد أيضاً أنها في الأصل ( التدوة ) فتلائم التكميل والتحمل ؛ والمضى يتجلى ( التدوة )

( والتدوة ) .

منها أوردوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿١﴾

تعلم لم حُسْنُ العِشْرَةِ وأَدَابُ الصَّحْبَةِ . وإن من حَمَلَكَ فَضلاً صار ذلك — في ذمتك — له قرصاً ، فأما زِدْتَ عَلَى فِعْله وإِلَّا فلا تنقص عن مثله .

قوله جل ذكره : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ لِرَبِّ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ

مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٢﴾

هذا الخطاب يتضمن نفياً وإثباتاً ؛ فالنفي يعود إلى الأغيار ويستحيل لغيره ما تفاه ، والإثبات له بالإلهية ويستحيل له النفي فيما أثبتته .

قوله جل ذكره : ﴿فَأَنَّ لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ

أَرَاهُمْ كَيْدَهُمْ رِيحاً كَسَبُوا أَنْزِلُوكُمْ

أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ، وَمَنْ

يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٣﴾

(.....) (١) العهد فيهم أنهم أعدائي ، لا ينالون مني في الدنيا والعقبى رضائي ، وإنكم

لا تنفون بهمكم من أفته بقسمي (٢) فإن للدار على القسم دون (.....) (٣) .

قوله جل ذكره : ﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفِرُونَ كَمَا كَفَرُوا

فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ

أَوْلِيَاءَ حَتَّى يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخَنُومٌ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ

وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا

وَلَا نَصِيرًا \* إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ

(١) مثلية .

(٢) أي ما قسمته له في سابق الأزوال لا قدرة لخلق على تغييره .

(٣) سقطت كلمة من الناسخ ربما كانت ( الاحتيال ) وربما كانت ( الهيم ) فكلاماً يفيد أنه لا منجاة للإنسان بسفه وحده بل المنار على نفسه .

إلى قوم ينكم وينهم ميثاق  
أوجلوكم حصرت صدورهم أن  
يقاتلوك أو يقاتلوا قومهم ولو شاء  
الله لسلطهم عليكم فلقاتلوك فإن  
اعتزلوك فلم يقاتلوك وألقوا إليكم  
السلم فما جعل الله لكم عليهم  
سبيلاً

الإشارة إلى أرباب التخليط والأحوال السقيمة يتمنون أن يكون الصديقون منهم ،  
وهيات أن يكون لناهم تحقيق 1 وما دام المخالفون لكم غير موافقين فبأنوهم وخالفيهم  
ولا تطابقوهم بحال ، ولا تماثروهم ، ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً ؛ وموافقك  
في قصدك خير لك من مخالف على الكره تماثره .

قوله : « إلا الذين يصلون إلى قوم . . . » الإشارة من هذه الآية أن عند الاعتذار  
أذن في معاشرته في الظاهر <sup>(١)</sup> وفقاً بالمستضعفين .

« فإن اعتزلوك . . » الإشارة منه أنه إذا عاشركم من ليس من أهل القصة مرجح  
في أوطان نصيبهم فلا تدعوهم إلى طريقتكم وسلّموا لهم أحوالهم . فإن أمكنكم أن تلاحظوهم  
بعين الرحمة بحيث تؤثر فيهم همتكم <sup>(٢)</sup> وإلا فسلّموا لهم أحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿ ستجدون آخرين يريدون أن  
يأمنواكم ويأمنوا قومهم كلها ردّوا  
إلى الفتنة أركبوا فيها فإن لم  
يمنزلوكم ويُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكُنُوا  
أَيْدِيَهُمْ قُدُورُهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ

(١) أي أن الصيغة والمعاشره ينبغي ألا يعزل أمرهما إلى حد المساكنة . لأن محبة الحق أوّل من كل  
خير . . . وهذا مبدأ نادى به القشيري ويطبقه على نفسه إلى عبته الأليم .  
(٢) وردت ( همتهم ) وهي خطأ من الناسخ لأن للمنى يتطلب ( همتكم )

تَقْتُلُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ  
عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١﴾

إن من ولم الجمع بين الضدين خاب شيعه ، ولم يرتفع عزمه ، فكلا لا يكون شخص واحد  
منافقاً ومسلماً لا يكون شخص واحد مريداً للحق ومقياً على أحكام أهل العادة . فإن الإرادة  
والعادة ضدان<sup>(١)</sup> ، والواجب مبياتة الأضداد ، ومجانبة الأجانب .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا

إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ

إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ

مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ

قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ

مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ

تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢﴾

خَفَّ أَمْرُ الْخَطَا عَلَى فَاعِلِهِ حَتَّى حَسَلَ مَوْحِبَ قَتْلِ الْخَطَا عَلَى الْعَاقِلَةِ ؛ فَالْخَوَاصُ عَاقِلَةُ

الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْأَمَّةِ ، وَأَهْلُ الْمَرْفَعَةِ عَاقِلَةُ الْمُرِيدِينَ ، وَالشُّيُوخُ عَاقِلَةُ الْفُقَرَاءِ ؛ فَسَيَلِمُ أَنْ

يُحْلِلُوا أَثْقَالَ الْمُسْتَضْعِفِينَ فِيهَا يَنْوِيهِمْ .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا مُتَعَدًّا فَنَجَازُهُ

جَهَنَّمُ خَالِئًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ

وَكَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٣﴾

كَأَيُّ حُرْمٍ قَتْلُ غَيْرِكَ عَلَيْكَ بِحُرْمِ قَتْلِ نَفْسِكَ عَلَيْكَ ، وَمَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ سَعَى فِي دَرَمٍ

نَفْسِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَنْصَحْ مَرِيداً بِحَسَنِ وَعَظِهِ وَلَمْ يُعَيِّنْ يَهْمَتَهُ فَقَدْ سَعَى فِي دَمِهِ ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ بِجَاهِهِ

(١) الناس — عند التشيخي — لما أهل العادة أو أهل الإرادة .



وخلق<sup>(١)</sup> بأن تكون له عقوبة الأذية بالأمتنع بما ضربه على المريد من أحواله : ولقد قال — سبحانه — : يادود إذا رأيت لى طالباً فكُنْ له (خادماً)<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾<sup>(٣)</sup> إِذَا صَرَبْتُمْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا

لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا

تَبْغُضُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ

اللَّهِ مَقَامٌ كَثِيرٌ ، كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّنْ

قَبْلُ قَوْمٍ أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْكُفْرَ ، فَتَبَيَّنُوا إِن

اللَّهُ كَانَ يَمْلِكُ الْخَيْبَ بِمَا تَصْلُونَ خَيْرًا ۝

عاشيروا الناس على ما يظهرون من أحوالهم ، ولا تتفرسوا فيهم بالطلان ؛ فإن متولى الأسرار الله<sup>(٤)</sup> . هذا إذا كان غرض فاسد يحملكم عليه من أحكام النفس ، فأما من كان ظفرو بالله ولم يستتر عليه شيء فليحفظ ميراثه فيها كوشف به ، ولا يظهر لصاحبه ما أراد الله فيه .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ كُفُلًا

اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى

الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ

الْحُسْنَ ، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ

عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝

(١) وردت ( وحقيقة بأن ) وصوابها وحقيق ياد ولكننا آثرنا ( وخلق بأن ) حتى يتبع الابس .

(٢) مشبهة هنا ولكنها واضحة في موضع سبق ( انظر تفسير آية وأنبتها نباتاً حسناً ص ٢٣٧ )

(٣) سقطت ( آمنوا ) من الناسخ فأثبتناها .

(٤) تدل هذه النظرة على ساحة الصوفية واتساع مدورهم ، فالأصل عندم أن كل الناس طيبون ، ويجب أن تحسن الظن بهم جميعاً ، ويتعبد ظواهرهم تاركين أسرارهم للولى سبحانه .

منه وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ  
غَفُورًا رَحِيمًا .

الحق سبحانه جمع جميع أوليائه في أفضاله لكنه غَايَرَ بينهم في الدرجات ، فَمِنْ غَنِيٍّ  
ومن عَدِيٍّ هو أَهْنَى منه <sup>(١)</sup> ، ومن كَبِيرٍ ومن هو أَكْبَرُ منه ، هذه الكواكب دُرِّيَّة ولكن  
التَمَرُّ فوقها ، وإذا طلعت الشمسُ بهرت الجميع بنورها !

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي  
أَنْفُسِهِمْ خَالُوا فِيهِمْ كَيْفَ كُنْتُمْ ظَالِمًا كُنَّا  
مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ ظَالِمًا أَلَمْ  
تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا  
فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَمَا أُنْتُ  
مَصْبِرًا .

الإشارة منه إلى من أدركه الأجل وهو في أَسْرِ نَفْسِهِ وفي رِقِّ شَهْوَاتِهِ — ليس له حذر  
حيث لم يهاجر إلى ظِلِّ قُرْبَتِهِ ليتَخَلَّصَ مِنْ هَوَى نَفْسِهِ <sup>(٢)</sup> إذ لا حجابَ بَيْنَكَ وبين هذا  
الحديث إلا هَوَاكَ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ  
وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ  
سَبِيلًا ۝ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ  
لَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا .

الإشارة منه إلى الذين مَلَكَتْهُمْ المَافِي فَأَفْنَتْهُمْ عَنْهُمْ ، فَبَقُوا مُصْرَفِينَ لَهُ ، لا لم حَوْلٍ  
ولا قُوَّة ، يبدو عليهم مَا يُجَرِّبُهُ — سبحانه — عليهم ، فهم يجد عود نفوسهم بحق الحق محوِّ  
عَنْهُمْ ، فلا يَهْتَدُونَ إلى غيرِهِ سَبِيلًا ، ولا يَتَنَفَّسُونَ لغيرِهِ نَفْسًا .

(١) واضح أن القشيري يقصد الغنى في الأحوال لا الغنى في الأموال فليس لهذه كبير تبة .

(٢) وردت هكذا ( هو انفسه ) فصولنا ما .

ويقال على موجب ظاهر الآية إن الذين أقصدهم الأعذار عن الاختيار فسي أن ينفصل الحق<sup>١</sup> — صحبانه — عليهم بالغو .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً ، وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوُتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾

مَنْ هَاجَرَ فِي اللَّهِ عَاسَى اللَّهِ ، وَصَحَّ قَصْدُهُ إِلَى اللَّهِ وَجَدَ فَسْحَةً فِي عَفْوَةِ السَّكْرَمِ ، وَمَقِيلًا فِي ذَرَى الْقَبُولِ ، وَحَيَاةً وَسَمَةً فِي كَنْفِ الْقَرَبِ .

وللهاجر — في الحقيقة — من هجر نفسه وهواه ، ولا يصح ذلك إلا بانسلاخه عن جميع براداته ، وَمَنْ قَصَدَهُ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْأَجَلُ قَبْلَ وَصُولِهِ فَلَا يَتَزَلُّ إِلَّا بِسَاحِلَتِ وَصَلِهِ ، وَلَا يَكُونُ مَحْطٌ رُوحُهُ إِلَّا أَوْطَانُ قَرَبِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنَّ خِفَافًا أَنْ يُفَتِّسَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ۝﴾

الْقَصْرُ فِي الصَّلَاةِ سُنَّةٌ فِي السَّفَرِ ، وَكَانَ فِي ابْتِدَاءِ الشَّرْعِ عِنْدَ الْخَوْفِ<sup>(١)</sup> ، فَأَقْرَبَ ذَلِكَ مَعَ زَوَالِ الْخَوْفِ رَفَقًا بِالْبَيَادِ ، فَلَمَّا دَخَلَ النُّزُوحَ الْقَصْرُ لِأَجْلِ السَّفَرِ عَوَّضُوا بِإِبَاحَةِ التَّفَلُّ فِي السَّفَرِ عَلَى الرَّاحَةِ أَيْنًا تَوَجَّهَتْ بِهِ دَابَّتُهُ مِنْ غَيْرِ اسْتِقْبَالٍ ، فَكَذَلِكَ الْمَاضِي ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْإِذْنَ

(١) لَأَنَّ فِي مَبْدَأِ الْإِسْلَامِ بَدَأَ الْهَجْرَةَ كَانَتْ غَالِبَ أَسْفَارِهِمْ مَخُوفَةً ، بَلْ مَا كَانُوا يَنْهَضُونَ إِلَّا إِلَى غُرُوبِ طَلَمٍ ، أَوْ فِي سَرِيَةِ تَغَابَةِ ، وَسَاقِ الْأَحْيَاءِ حَرْبٍ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ . . . وَيُرَى أَنَّ عَمْرَ أَنْ هُنَاكَ فَرَقًا بَيْنَ صَلَاةِ السَّفَرِ وَصَلَاةِ الْخَوْفِ ، وَهُوَ يَحْتَجُّ عَلَى قَصْرِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ وَبَرَاهِ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ .  
(تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٤٦) لا ين كثير .

في المناجاة مستديمٌ في كل وقت ؛ فإنْ أُرِدْتَ السُّخُولَ فمُنِ شُتْ ، وإنْ أُرِدْتَ التَّبَاعِدَ مَتْرَحَماً  
فَلَمْ مَاشَتْ ، وهذا غايةُ الكرمِ ، وحفظُ سُنَّةِ الوفاءِ ، وتحقيقُ معنى الولاءِ .

قوله جلَّ ذكْرُه : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقِمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ  
فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا  
أَسْلِحَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا  
مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى  
لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا  
حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَهُمْ ، وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لَوْ تَغْلِبُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِنَتَكُمْ  
فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ،  
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى  
مِنْ نَجَارٍ أَوْ كُنتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا  
أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ  
أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾

ندل هذه الآية على أن الصلاة لا ترتفع عن العبد مادام فيه نفسٌ من الاختيار لا في الغلوف  
ولا في الأمن ، ولا عند غلبات أحكام الشرع إذا كنت بوصف التفرقة ، ولا عند استيلاء  
سلطان الحقيقة إذا كنت بعين الجلم .

قوله جلَّ ذكْرُه : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَلَا تُكْرُوا اللَّهَ قِيَاماً  
وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ  
فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ  
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾

الوظائف الظاهرة مؤقته <sup>(١)</sup> ، وحضور القلب بالذكر مسرمد غير منقطع ؛ أمّا بالرسوم

(١) أي حسب ميقات .

فوقاً دون وقت، وأما بالقلوب فأياكم والنية عن الحقيقة لحظة كيفاً اختلفت بكم الأحوال ..  
الذكرُ كيفاً كنتم وكما كنتم، وأما الصلاة فإذا اطمأنتم .

قوله جل ذكره : « ولا تهتؤا في ابتغاء القوم . إن  
تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما  
تألمون وترجون من الله ما لا يرجون  
وكان الله عليماً حكيماً » :

قوموا بالله وليكن<sup>(١)</sup> استنادكم في جهادكم إلى الله .  
« إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون » : القومُ شاركوكم في إحساس الألم ، ولكن خالفكم  
في شهود القلب ، وأنتم تشهدون مالا يشهدون ، وتجهدون لقلوبكم ما لا يجهدون ، فلا ينبغي  
أن تستأخروا عنهم في الجهد والجهد .

قوله جل ذكره : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ﴾  
لتحكم بين الناس بما أراك الله  
ولا تكن للظالمين خصيماً •  
واستغفر<sup>(٢)</sup> الله إن الله كان غفوراً  
رحيماً •

لم يأمر<sup>(٣)</sup>ك بالحكم بينهم على عني ولكن بما أراك الله<sup>(٤)</sup> أى كاشفك به من أنوار  
البصيرة حتى وقتت عليه بتعريفنا إليك وتسد بنا لك ، وكذلك من يحكم بالحق من أمك .  
قوله : « ولا تكن للظالمين خصيماً » : أى لا تناضل عن أرباب المخطوط ولكن مع

(١) أخطأ الناسخ إذ كتبها (ولا يكن) .

(٢) أخطأ الناسخ إذ كتبها واستغفروا .

(٣) وردت (لم يأمركم) والصواب (لم يأمرك) لأن الخطاب كله موجه إلى الرسول (س) .

(٤) يحتاج من ذهب من علماء الأصول بهذه الآية على أنه صلى الله عليه وسلم كان له أن يحكم بالإجتihad ،  
وفيا زواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد عن رجلين من الأنصار اختصما إلى الرسول (س)  
في مواريت بينهما قد درست وليس عندهما بيعة . . . يقضى الحديث على النص التالي .

« إني إنما أفتى بينكما برأى فيما لم يزل عليّ فيه » .

أبناء الحق ، ومن جنح إلى الهوى خان فيها أودع نفسه من التقوى ، ومن رَكَنَ إلى أنواع نوزاع للى خان فيها طولب به من الحياة لاطلاع للولى<sup>(١)</sup> .

« واستنفر الله » لأمتك ، فإننا قد كفيْنَاكَ حديثك بقولنا : لينفر لك الله ما تقدم من ذنبك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَنِيًّا ﴾ \* يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مُهِمٌّ إِذْ يَبْيُتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَصْلَوْنَ حَكِيمًا \* .

هم المؤثرون حظوظهم على حقوقه ، والراضون بالترجيح في أوطان هوام دون النقلة إلى منازل الرضا ، إن الله لا يحب أهل الخيانة فيعلم — لا جرم — ولا يكرمهم .

قوله : « يستخفون من الناس » الغالب على قلوبهم رؤية الظن ولا يشعرون أن الحق مُطْلَعٌ على قلوبهم أولئك الذين وَسَمَّ اللَّهُ قلوبهم بوسم الفقرة .

قوله جل ذكره : ﴿ هَآأَنَّمْ هَآؤَآءُ جَادَلْتُمْ فِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ .

أى تدفع عنهم — بحرمتك — لأنك فيهم ، فكيف حالم يوم القيامة إذ زالت عنهم بركاتكم أيها المؤمنون ؟

(٢) ( يقال إن سبب نزول هذه الآية أن رجلا سكا أن طعمة بن أبيرق سرق درعه ، فلما رأى السارق ذلك أتى الدرع في بيت رجل برى ، وقال لنفر من عشيرته إن ضيبت الدرع في بيت فلان ، فانطلقوا إلى البني (س) ليلا فقالوا : يا نبي الله إن صاحبنا برى . وإن صاحب الدرع فلان وقد أحطنا بذلك عنا فاعذر صاحبنا على ردوس الناس وجادل عنه ، فإنه إن لم يصمه الله بك يهلك . فقام رسول الله (س) فبراه وعذره على ردوس الناس ، فأُزِلَ الله هذه الآية ) وقد حرصنا على إثبات سبب نزولها لأن ما بعدها من الآية مرتبط بهذه الواقعة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْيًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ  
يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

« ثم » : حرف يدل على التراخي ؛ أي يرجون<sup>(١)</sup> عهدهم في البطالات والمخالفات ثم في آخر  
أعمارهم يستغفرون الله .

وقوله « يجد الله » : الوجود غاية الحديث<sup>(٢)</sup> ، والمعنى لا يطلب غير القرآن ، ولكن  
الله — سبحانه — يوصله إلى النهاية بفضل — إذا شاء ، فسنته تحقيق ما فوق الأموال لمن رجاه .

قوله جل ذكره . ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِيْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ  
عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا  
حَكِيمًا ﴾ .

الحق غيبي عن طاعة المطيعين ، وزلة<sup>(٣)</sup> العاصين ، فمن أطاع غفله حصل ، ومن عصى  
غفله أخذ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِيمًا ثُمَّ يَرْمِ  
بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَلَّ بِهِنَاتٍ وَإِيْمًا  
مُتَيْنًا ﴾ .

من نسب إلى برىء ما هو صفته من المخاى عكس الله عليه الحال ، وألبس ذلك البرىء  
ثوب محاسن رايه ، ونسب ذيل الفو على مساره ، وقَلَبَ الحال على التمدى بما يفضحه  
بين أشكاله ، في عامة أحواله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ  
لَفُتِنْتَ بِهِ لَبِئْسَ مَا يَكُونُ لَكَ يَوْمَ تَصُورُ ﴾ .

(١) وودت ( يرجون ) بالراء والمصواب بالزاي

(٢) ( التواجد بداية الوجود نهاية الوجد واسطة ، وسمت الأستاذ أبا على الاتفاق يقول :

التواجد يوجد استيئاب البعد ، والوجد يوجب استراق البعد ، والوجود يوجب استهلاك البعد فهو كن  
تهد البحر ثم ركب البحر ثم غرق في البحر ) الرسالة ص ٣٧ .

(٣) وودت ( ذلة ) بقال والمصواب أن تكون بالزاي لأن المناسب لسباق لفظ ضد الطاعة .

لَهُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ  
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصْرِوْنَكَ  
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ  
وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١﴾ .

الفضلُ إحسانٌ غيرُ مستحقٍّ<sup>(١)</sup> ، والإشارةُ ههنا — من الفضل — إلى عصمتِهِ إياه ، فخلقُ  
— سبحانه — عَصَمَهُ تَحْصِيصًا لَهُ بِتِلْكَ الْعَصْمَةِ ، وَكَأَيْ عَصَمَهُ عَنْ تَرْكِ حَقِّهِ — سبحانه —  
عَصَمَهُ بِأَنْ كَفَّ عَنْهُ كَيْدَ خَلْقِهِ قَال : « وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ .. الْآيَةُ .

كَلَّا ، لَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ سَبِيلٌ إِلَى إِضْلَالِكَ فَأَنْتَ فِي قَبْضَةِ الْعِزَّةِ ، وَمَا يُضِلُّونَ  
إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ، وَمَا يَصْرِوْنَكَ شَيْءٌ ، إِذَا الْمَحْفُوظُ مَنَاحِرُوسٌ عَنْ كُلِّ غَيْرٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ  
قَدْ اخْتَصَّكَ بِإِنْزَالِ الْكِتَابِ ، وَاسْتَخْلَصَكَ بِوُجُوهِ الْإِخْتِصَاصِ وَالْإِيجَابِ ، وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن  
تَعْلَمُ ، وَلَمْ يَمْنِ عَلَيْكَ شَيْءٌ يُمَثِّلُ مَا مَنَّ بِهِ عَلَى مَنْ خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ . وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ عِلْمَهُ  
— صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ — بِاللَّهِ بِجَلَالِهِ ، وَعِلْمَهُ بِعِبُودِيَّةِ نَفْسِهِ ، وَمَقْدَارِ حَالِهِ فِي اسْتِحْقَاقِ  
عِزِّهِ وَجَالِهِ .

وَيَقَالُ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ مِنْ آدَابِ الْخِدْمَةِ إِذْ لَمْ تَكُن مُلْتَبِسًا بِعِلْمِكَ مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ .  
وَيَقَالُ أَغْنَاكَ عَنْ تَعْلِيمِ الْأَغْيَارِ حَتَّى لَا يَكُونَ لِأَحَدٍ نُورٌ إِلَّا مُقْتَبَسًا مِنْ نُورِكَ ، وَمَنْ  
لَمْ يَمْسُ نَحْتِ رَأْيِكَ لَا يَصِلُ إِلَى جَمِيعِ بَرٍّ نَا ، وَلَا يَحِطُّ بِقَرِينَا وَوَصَلْنَا .

« وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » : فِي الْآيَادِ أَنْتَ كُنْتَ — لَنَا بِشَرَفِ الْعِزِّ وَكُرَمِ  
الرِّيَاسَةِ فِي الْأَزَالِ — مَعْلُومًا . وَيَقَالُ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ مِنْ عُلُوقِ رُتَبَتِكَ عَلَى السَّكَافَةِ .

وَيَقَالُ « عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ » أَنَّ أَحَدًا لَا يَقْدَرُ قَدْرُنَا إِلَّا بِمَقْدَارِ مَوَافَقَتِهِ لِأَمْرِنَا  
قَوْلُهُ جَلْ ذَكَرَهُ : ﴿ لَا تَسْتَوِ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ﴾

(١) لأن الفضل معناه الزيادة ، فربما يرى القارئ إلى أنه غير مستحق بسبب ذلك ؛ لأنه يفوق المستحق



إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ  
أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ  
ذَلِكَ اجْتَنَبَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ  
نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

أفضل الأعمال ما كانت بركاته تمتد إلى غيره ؛ ففضيلة الصدقة يتمد نفعا إلى من تصل إليه ، والفتوة أن يكون سعيك لغيرك ، ففي الظاهر : « شرُّ الناس من أَكَلَّ وَحْدَهُ » وكلُّ أصناف الإحسان ينطبق عليها لفظ الصدقة .

قال صلى الله عليه وسلم في قِصْرِ الصلاة في السفر : « هذه صدقة تصدقها الله عليكم فأقبلوا صدقته » (١)

والصدقة على أقسام : صدقتك على نفسك ، وصدقتك على غيرك ، فأما صدقتك ( على نفسك ) فعملها على أداء حقوقه تعالى ، ومنعها عن مخالفة أمره ، وقصرُ يدها عن أذية الخلق ، وصونُ خواطرها وعقائدها عن السوء . وأما صدقتك ( ٢ ) على الغير فصدقةُ المال وصدقةُ بالقلب وصدقةُ بالبدن .

فصدقةُ المال بإففاق النعمة ، وصدقةُ البدن بالقيام بالخدمة ، وصدقةُ بالقلب بحسن النية وتوكيد المهمة .

والصدقة على القراء ظاهرة لا إشكالَ فيها ، أما الصدقة على الأغنياء فتكون بأن نجود عليهم بهم ، فنقطع رجاءك عنهم فلا تطمع فيهم .

وأما للعروف : فكلُّ حَسَنٍ في الشرع فهو معروف ، ومن ذلك إنجاء المسلمين وإسعادهم فيما لهم فيه قربة إلى الله ، وزلفي عنده ، وإعلاء النواصي بالطاعة .

(١) هكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث ابن جريج عن عبد الرحمن بن عبيد الله بن أبي عمار . وقال الترمذي هنا حديث حسن صحيح . وقال علي بن المديني هنا حديث حسن صحيح من حديث عمر بن الخطاب ، ولا يحفظ إلا من هذا الوجه ورجاله معروفون .

(٢) ما بين القوسين استدراك في الهامشي وضناه في موضعه من التمس حسب العلامة البزرة .

ومن تصدق بنفسه على طاعة ربه ، وتصدق بقلبه على الرضا بحكمه ، ولم يخرج بالاستقام  
 نفسه ، وحث الناس على ما فيه نجاتهم بالمهداية إلى ربه ، وأصلح بين الناس بصدقه في حاله  
 . فإن لسانه أبلغ في الوعظ من لسان نطقه ، فهو الصديق في وقته . ومن لم يؤدّب  
 نفسه لم يتأدّب به غيره ، وكذلك من لم يهذب حاله لم يهذب به غيره .

« ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله » غير سائل به مالا أو حائز لنفسه به حالاً فمن قريب  
 يبلغ رتبة الإمامة في طريق الله ، وهذا هو الأجر الموعود في هذه الآية <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ

مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ  
 لِلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ  
 وَكَانَ مَصِيرًا ﴾

خواطر الحق سفراؤه تعالى إلى العبد ، فمن خالف إشارات ما طولب به من طريق  
 الباطن استوجب عقوبات القلوب ، ومنها أن يعمى عن إبطار رشده . وكما أن مخالف الإجماع  
 عن الدين خارج فمخالف ما عرف من الحقيقة بعد ما تبين له الطريق — ساقط .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ أَلَّهِ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ

مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ  
 بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا \* إِنْ  
 يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ  
 يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا \* لَعَنَهُ  
 اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا  
 مَفْرُوسًا \* وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ  
 وَلَأَمْرَهُمْ فَلَيُبَسِّتَنَّ أَذَانَهُ أَنْ يَسْمَعَ  
 وَلاَ أَمْرَهُمْ فَلَيَخْتَرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ،

(١) نلاحظ في هذه الفقرة أن التشبیه يوجه — بطريق غير مباشر — لومه إلى بعض الوعاظ المخترفين  
 الذين ظهروا في عصره وقبل عصره .

وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ  
اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مِّبِينًا ﴿١٠﴾

قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَشْفَعُ أَنْ يَشْرَكَ بِهِ» : إثبات الغير في توم ذرة من الإبداع عين الشريك ، فلا ليعفو فيه مساع . وما دون الشرك فليعفو فيه مساع ، ومن توسل إليه سبحانه بما تؤم من نفسه فقد أشرك من حيث لم يعلم . كلاً ، بل هو الله الواحد .  
قوله : « إِنْ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا » : أوقموا على الجمادات تسميات<sup>(١)</sup> ، وانخرطوا في سلك التوم ، وركنوا إلى مغاليط الحسيان ، فقلوا عن الحقيقة .

« وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا لَّعَنَهُ اللَّهُ » ، أى ما يدعون إلا إبليس الذى أبده الحق عن رحمته ، وأسحقه<sup>(٢)</sup> يبعده ، وما إبليس إلا مُقَلَّبٌ في القبضة على ما يريدته المنشئ ، ولو كان به ذرة من الإثبات لكان به شريكاً في الإلهية . كلاً ، إنما يجرى الحق سبحانه — على الخلق أحوالاً ، ويخلق<sup>(٣)</sup> عقيب وسأوسه للخلق ضلالاً ، فهو الهادى والمضل ، وهو — سبحانه — المَصْرِفُ للكل ، فيخلق ( . . . )<sup>(٤)</sup> في ظوهم عقيب وسأوسه إليهم طول الآمال ، ويحسن في أعينهم قبيح الأعمال ، ثم لا يجعل لأمانهم تحقيقاً ، ولا يعقب لما أسألوه تصديقاً ، فهو تعالى مُوجِد تلك الآثار جلة ، ويضيفها إلى الشيطان مرة ، وإلى الكافر مرة ، وهذا معنى قوله : « ولأضلنهم ولأمنينهم » . . . الآية ومعنى قوله تعالى « يعدم ويمنيهم »

قوله جل ذكره : ﴿ يَـعْـمَـدُـمُ وَيَـمْنِيـهـمُ وَمَا يَـعْـبَـدُـمُ الشَّيْطَانُ  
إِلَّا غُرُورًا ﴾ أولئك مأوام جهنم  
ولا يبعدون عنها محيصاً ﴿

(١) واضح من كلام القشيري أنه يفهم الإنان على أنها الأوثان ، وهكذا عن عائشة . وروى عن بعض الصحابة أنها الملائكة إشارة إلى قوله تعالى في موضع آخر ( وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناناً ) . وعن الحسن : الإنان كل شيء ميت ليس فيه روح .  
(٢) في الفسخ س ( استحقه ) وهي خطأ في الفسخ .  
(٣) يؤكد القشيري نسبة خلق كل شيء لله ، وتجريد الشيطان من كل سلطان .  
(٤) مشتبهة .

الذين قسم لهم الضلالة في الحال حكم عليهم بالعقوبة في الآل<sup>(١)</sup>، ولولا أنه أظهر ما أظهر بقدرته وإلا مضى كانت شظية من الضلالة والهداية لأربابها ١٤ والوقوف على صدق التوحيد عزيز، وأرباب التوحيد قليل.

قوله جل ذكره: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

سَنُخْلِفُهُمْ جَنَّاتٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدَاءُ وَعْدَ اللَّهِ  
حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾

الذين أسعدناهم حكماً وقولاً، أنجدهناهم حين أوجدناهم كرماً وطولاً، ثم إننا نحقق لهم  
للوعود من الثواب، بما نُكْرِمُهُم به من حسن المآب.

قوله جل ذكره: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ وَلَا يَنْهَى عَنْكُمْ

الْكُتَابَ مَنْ يَمْلِكُ سِوَاهُ يُهْزَأُ بِهِ  
وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا  
وَلَا نَصِيرًا \* وَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ  
الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَهُوَ  
مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ  
وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾

مَنْ ذَرَعَ الْخُظْلَ لَمْ يَجْتِنِ الْوَرْدَ وَالسَّيْهَرُ<sup>(٢)</sup>، وَمَنْ شَرِبَ السَّمَّ الزُّعَافُ لَمْ يَجِدْ طِمَّ الْعَسَلِ،  
كَذَلِكَ مَنْ ضَيَّعَ حَقَّ الْخِدْمَةِ لَمْ يَسْتَمِكِنْ عَلَى بَاسِطِ الْقَرِيَةِ، وَمَنْ وَسِمَ بِالشَّقْوَةِ لَمْ يَرْزُقْ  
الصَّفْوَةَ، وَمَنْ فَتَنَهُ الْقَضِيَّةُ<sup>(٣)</sup> فَلَا نَاصِرَ لَهُ مِنَ الْبَرِيَّةِ.

قوله: «وَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ الصَّالِحَاتِ...» الآية. مَنْ تَهَيَّأَ فِي خِدْمَتِنَا لَمْ يَبْقَ عَنْ قَبِيلِ

(١) وودت (الآل) وموابها (الآل).

(٢) السهر - الياسمين وقيل الفرجس (لسان العرب ج ٢٠ ص ٤٣٦) ط بيروت.

(٣) القضية مقصود بها القضاء. قضاء الله.

نعمتنا ، بل من أغنيائه<sup>(١)</sup> في طلبنا أكرمناه بوجودنا ، بل من جرّعناه كأسَ اشتياقنا أنلناه أنسَ لقائنا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۚ وَفِي مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَظِيمًا ۝ ﴾

لا أحد أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله ؛ يعنى أفرد قصده إلى الله ، وأخلص عقده لله عما سوى الله ، ثم استسلم في عموم أحواله لله بالله ، ولم يدخّر شيئاً عن الله ؛ لا من ماله ولا من جسده ، ولا من روحه ولا من جلّده ، ولا من أهله ولا من ولده ، وكذلك كان حال إبراهيم عليه السلام .

وقوله « وهو محسن » : الإحسان — بشهادة الشرع — أن تعبد الله كأنك تراه ، ولا بد للعبد من بقية<sup>(٢)</sup> من عين الفرق حتى يصح قيامه بمحقوقه . — سبحانه — لأنه إذا حصل ( مستوفى )<sup>(٣)</sup> بالحقيقة لم يصح إسلامه ولا إحسانه ، وهذا أتباع إبراهيم عليه السلام الحنيف الذى لم يبق منه شيء على « صف الدوام » .

وقوله « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » : جرد الحديث عن كل سعي وكيد وطلب وجهه حيث قال : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » ، فسلم أن الخلقة لبسة يلبسها الحق لا صفة يكتسبها العبد .

(١) ربما كانت ( عتيبة ) بالعين أى من احتل النساء في سيلنا لتلازم ( جرّعناه كأس ) أما ( أغنيائه ) بالعين فيكون معناها أوجدنا فيه النقاء عما سوانا .

(٢) أى لا بد أن يرد إلى الفرق الثانى حتى يستطيع أن يقوم بالفرائض الواجبة عليه في أوقاتها .

(٣) هكذا جاءت في النسخة من وربما كانت في الأصل ( ماس ) بالحقيقة ، فحين ترفع عن مفسد التشبهي في هذا المحصور أن البدليين أن يحافظ على الشريعة مهما كانت الظروف ، وأى ماس بالشرية بدعوى الاسلام أو الفناء — فردود ، وهو آية تقس في صدق صاحبه .

ويقال التحليل المحتاج<sup>(١)</sup> بالسكينة إلى الحق في كل نفس ليس له شيء منه بل هو بالله لله في جميع أنفاسه وأحواله ، اشتقاقاً من الخلَّة ( التي هي التخصّصة وهي الحاجة )<sup>(٢)</sup> .

ويقال إنه من الخلَّة التي هي المحبة ، والخلَّة أن تباشير المحبة جميع أجزائه ، وتتخلل سيره حتى لا يكون فيه مسامخ للغير .

فلما صفاه الله — سبحانه — ( عليه السلام ) عنه ، وأخلّاه منه نصبة للقيام بحقه بعد امتحانه<sup>(٣)</sup> من كل شيء ليس الله سبحانه .

ثم قال : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً . . . »<sup>(٤)</sup> : لا يلي الحاج إلا الله ، وهذه إشارة إلى جمع الجمع<sup>(٥)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَىٰ النِّسَاءِ الْأُولَىٰ لَا تَزَوَّجْنَ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ وَلِلْمُتَضَعِّفِينَ مِنَ الْوُلَدَانِ وَأَن تَقُومُوا قِيَتَانِي بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۝ ١٠٠ ۝ ١٠١ ۝ ١٠٢ ۝ ١٠٣ ۝ ١٠٤ ۝ ١٠٥ ۝ ١٠٦ ۝ ١٠٧ ۝ ١٠٨ ۝ ١٠٩ ۝ ١١٠ ۝ ١١١ ۝ ١١٢ ۝ ١١٣ ۝ ١١٤ ۝ ١١٥ ۝ ١١٦ ۝ ١١٧ ۝ ١١٨ ۝ ١١٩ ۝ ١٢٠ ۝ ١٢١ ۝ ١٢٢ ۝ ١٢٣ ۝ ١٢٤ ۝ ١٢٥ ۝ ١٢٦ ۝ ١٢٧ ۝ ١٢٨ ۝ ١٢٩ ۝ ١٣٠ ۝ ١٣١ ۝ ١٣٢ ۝ ١٣٣ ۝ ١٣٤ ۝ ١٣٥ ۝ ١٣٦ ۝ ١٣٧ ۝ ١٣٨ ۝ ١٣٩ ۝ ١٤٠ ۝ ١٤١ ۝ ١٤٢ ۝ ١٤٣ ۝ ١٤٤ ۝ ١٤٥ ۝ ١٤٦ ۝ ١٤٧ ۝ ١٤٨ ۝ ١٤٩ ۝ ١٥٠ ۝ ١٥١ ۝ ١٥٢ ۝ ١٥٣ ۝ ١٥٤ ۝ ١٥٥ ۝ ١٥٦ ۝ ١٥٧ ۝ ١٥٨ ۝ ١٥٩ ۝ ١٦٠ ۝ ١٦١ ۝ ١٦٢ ۝ ١٦٣ ۝ ١٦٤ ۝ ١٦٥ ۝ ١٦٦ ۝ ١٦٧ ۝ ١٦٨ ۝ ١٦٩ ۝ ١٧٠ ۝ ١٧١ ۝ ١٧٢ ۝ ١٧٣ ۝ ١٧٤ ۝ ١٧٥ ۝ ١٧٦ ۝ ١٧٧ ۝ ١٧٨ ۝ ١٧٩ ۝ ١٨٠ ۝ ١٨١ ۝ ١٨٢ ۝ ١٨٣ ۝ ١٨٤ ۝ ١٨٥ ۝ ١٨٦ ۝ ١٨٧ ۝ ١٨٨ ۝ ١٨٩ ۝ ١٩٠ ۝ ١٩١ ۝ ١٩٢ ۝ ١٩٣ ۝ ١٩٤ ۝ ١٩٥ ۝ ١٩٦ ۝ ١٩٧ ۝ ١٩٨ ۝ ١٩٩ ۝ ٢٠٠ ۝ ٢٠١ ۝ ٢٠٢ ۝ ٢٠٣ ۝ ٢٠٤ ۝ ٢٠٥ ۝ ٢٠٦ ۝ ٢٠٧ ۝ ٢٠٨ ۝ ٢٠٩ ۝ ٢١٠ ۝ ٢١١ ۝ ٢١٢ ۝ ٢١٣ ۝ ٢١٤ ۝ ٢١٥ ۝ ٢١٦ ۝ ٢١٧ ۝ ٢١٨ ۝ ٢١٩ ۝ ٢٢٠ ۝ ٢٢١ ۝ ٢٢٢ ۝ ٢٢٣ ۝ ٢٢٤ ۝ ٢٢٥ ۝ ٢٢٦ ۝ ٢٢٧ ۝ ٢٢٨ ۝ ٢٢٩ ۝ ٢٣٠ ۝ ٢٣١ ۝ ٢٣٢ ۝ ٢٣٣ ۝ ٢٣٤ ۝ ٢٣٥ ۝ ٢٣٦ ۝ ٢٣٧ ۝ ٢٣٨ ۝ ٢٣٩ ۝ ٢٤٠ ۝ ٢٤١ ۝ ٢٤٢ ۝ ٢٤٣ ۝ ٢٤٤ ۝ ٢٤٥ ۝ ٢٤٦ ۝ ٢٤٧ ۝ ٢٤٨ ۝ ٢٤٩ ۝ ٢٥٠ ۝ ٢٥١ ۝ ٢٥٢ ۝ ٢٥٣ ۝ ٢٥٤ ۝ ٢٥٥ ۝ ٢٥٦ ۝ ٢٥٧ ۝ ٢٥٨ ۝ ٢٥٩ ۝ ٢٦٠ ۝ ٢٦١ ۝ ٢٦٢ ۝ ٢٦٣ ۝ ٢٦٤ ۝ ٢٦٥ ۝ ٢٦٦ ۝ ٢٦٧ ۝ ٢٦٨ ۝ ٢٦٩ ۝ ٢٧٠ ۝ ٢٧١ ۝ ٢٧٢ ۝ ٢٧٣ ۝ ٢٧٤ ۝ ٢٧٥ ۝ ٢٧٦ ۝ ٢٧٧ ۝ ٢٧٨ ۝ ٢٧٩ ۝ ٢٨٠ ۝ ٢٨١ ۝ ٢٨٢ ۝ ٢٨٣ ۝ ٢٨٤ ۝ ٢٨٥ ۝ ٢٨٦ ۝ ٢٨٧ ۝ ٢٨٨ ۝ ٢٨٩ ۝ ٢٩٠ ۝ ٢٩١ ۝ ٢٩٢ ۝ ٢٩٣ ۝ ٢٩٤ ۝ ٢٩٥ ۝ ٢٩٦ ۝ ٢٩٧ ۝ ٢٩٨ ۝ ٢٩٩ ۝ ٣٠٠ ۝ ٣٠١ ۝ ٣٠٢ ۝ ٣٠٣ ۝ ٣٠٤ ۝ ٣٠٥ ۝ ٣٠٦ ۝ ٣٠٧ ۝ ٣٠٨ ۝ ٣٠٩ ۝ ٣١٠ ۝ ٣١١ ۝ ٣١٢ ۝ ٣١٣ ۝ ٣١٤ ۝ ٣١٥ ۝ ٣١٦ ۝ ٣١٧ ۝ ٣١٨ ۝ ٣١٩ ۝ ٣٢٠ ۝ ٣٢١ ۝ ٣٢٢ ۝ ٣٢٣ ۝ ٣٢٤ ۝ ٣٢٥ ۝ ٣٢٦ ۝ ٣٢٧ ۝ ٣٢٨ ۝ ٣٢٩ ۝ ٣٣٠ ۝ ٣٣١ ۝ ٣٣٢ ۝ ٣٣٣ ۝ ٣٣٤ ۝ ٣٣٥ ۝ ٣٣٦ ۝ ٣٣٧ ۝ ٣٣٨ ۝ ٣٣٩ ۝ ٣٤٠ ۝ ٣٤١ ۝ ٣٤٢ ۝ ٣٤٣ ۝ ٣٤٤ ۝ ٣٤٥ ۝ ٣٤٦ ۝ ٣٤٧ ۝ ٣٤٨ ۝ ٣٤٩ ۝ ٣٥٠ ۝ ٣٥١ ۝ ٣٥٢ ۝ ٣٥٣ ۝ ٣٥٤ ۝ ٣٥٥ ۝ ٣٥٦ ۝ ٣٥٧ ۝ ٣٥٨ ۝ ٣٥٩ ۝ ٣٦٠ ۝ ٣٦١ ۝ ٣٦٢ ۝ ٣٦٣ ۝ ٣٦٤ ۝ ٣٦٥ ۝ ٣٦٦ ۝ ٣٦٧ ۝ ٣٦٨ ۝ ٣٦٩ ۝ ٣٧٠ ۝ ٣٧١ ۝ ٣٧٢ ۝ ٣٧٣ ۝ ٣٧٤ ۝ ٣٧٥ ۝ ٣٧٦ ۝ ٣٧٧ ۝ ٣٧٨ ۝ ٣٧٩ ۝ ٣٨٠ ۝ ٣٨١ ۝ ٣٨٢ ۝ ٣٨٣ ۝ ٣٨٤ ۝ ٣٨٥ ۝ ٣٨٦ ۝ ٣٨٧ ۝ ٣٨٨ ۝ ٣٨٩ ۝ ٣٩٠ ۝ ٣٩١ ۝ ٣٩٢ ۝ ٣٩٣ ۝ ٣٩٤ ۝ ٣٩٥ ۝ ٣٩٦ ۝ ٣٩٧ ۝ ٣٩٨ ۝ ٣٩٩ ۝ ٤٠٠ ۝ ٤٠١ ۝ ٤٠٢ ۝ ٤٠٣ ۝ ٤٠٤ ۝ ٤٠٥ ۝ ٤٠٦ ۝ ٤٠٧ ۝ ٤٠٨ ۝ ٤٠٩ ۝ ٤١٠ ۝ ٤١١ ۝ ٤١٢ ۝ ٤١٣ ۝ ٤١٤ ۝ ٤١٥ ۝ ٤١٦ ۝ ٤١٧ ۝ ٤١٨ ۝ ٤١٩ ۝ ٤٢٠ ۝ ٤٢١ ۝ ٤٢٢ ۝ ٤٢٣ ۝ ٤٢٤ ۝ ٤٢٥ ۝ ٤٢٦ ۝ ٤٢٧ ۝ ٤٢٨ ۝ ٤٢٩ ۝ ٤٣٠ ۝ ٤٣١ ۝ ٤٣٢ ۝ ٤٣٣ ۝ ٤٣٤ ۝ ٤٣٥ ۝ ٤٣٦ ۝ ٤٣٧ ۝ ٤٣٨ ۝ ٤٣٩ ۝ ٤٤٠ ۝ ٤٤١ ۝ ٤٤٢ ۝ ٤٤٣ ۝ ٤٤٤ ۝ ٤٤٥ ۝ ٤٤٦ ۝ ٤٤٧ ۝ ٤٤٨ ۝ ٤٤٩ ۝ ٤٥٠ ۝ ٤٥١ ۝ ٤٥٢ ۝ ٤٥٣ ۝ ٤٥٤ ۝ ٤٥٥ ۝ ٤٥٦ ۝ ٤٥٧ ۝ ٤٥٨ ۝ ٤٥٩ ۝ ٤٦٠ ۝ ٤٦١ ۝ ٤٦٢ ۝ ٤٦٣ ۝ ٤٦٤ ۝ ٤٦٥ ۝ ٤٦٦ ۝ ٤٦٧ ۝ ٤٦٨ ۝ ٤٦٩ ۝ ٤٧٠ ۝ ٤٧١ ۝ ٤٧٢ ۝ ٤٧٣ ۝ ٤٧٤ ۝ ٤٧٥ ۝ ٤٧٦ ۝ ٤٧٧ ۝ ٤٧٨ ۝ ٤٧٩ ۝ ٤٨٠ ۝ ٤٨١ ۝ ٤٨٢ ۝ ٤٨٣ ۝ ٤٨٤ ۝ ٤٨٥ ۝ ٤٨٦ ۝ ٤٨٧ ۝ ٤٨٨ ۝ ٤٨٩ ۝ ٤٩٠ ۝ ٤٩١ ۝ ٤٩٢ ۝ ٤٩٣ ۝ ٤٩٤ ۝ ٤٩٥ ۝ ٤٩٦ ۝ ٤٩٧ ۝ ٤٩٨ ۝ ٤٩٩ ۝ ٥٠٠ ۝ ٥٠١ ۝ ٥٠٢ ۝ ٥٠٣ ۝ ٥٠٤ ۝ ٥٠٥ ۝ ٥٠٦ ۝ ٥٠٧ ۝ ٥٠٨ ۝ ٥٠٩ ۝ ٥١٠ ۝ ٥١١ ۝ ٥١٢ ۝ ٥١٣ ۝ ٥١٤ ۝ ٥١٥ ۝ ٥١٦ ۝ ٥١٧ ۝ ٥١٨ ۝ ٥١٩ ۝ ٥٢٠ ۝ ٥٢١ ۝ ٥٢٢ ۝ ٥٢٣ ۝ ٥٢٤ ۝ ٥٢٥ ۝ ٥٢٦ ۝ ٥٢٧ ۝ ٥٢٨ ۝ ٥٢٩ ۝ ٥٣٠ ۝ ٥٣١ ۝ ٥٣٢ ۝ ٥٣٣ ۝ ٥٣٤ ۝ ٥٣٥ ۝ ٥٣٦ ۝ ٥٣٧ ۝ ٥٣٨ ۝ ٥٣٩ ۝ ٥٤٠ ۝ ٥٤١ ۝ ٥٤٢ ۝ ٥٤٣ ۝ ٥٤٤ ۝ ٥٤٥ ۝ ٥٤٦ ۝ ٥٤٧ ۝ ٥٤٨ ۝ ٥٤٩ ۝ ٥٥٠ ۝ ٥٥١ ۝ ٥٥٢ ۝ ٥٥٣ ۝ ٥٥٤ ۝ ٥٥٥ ۝ ٥٥٦ ۝ ٥٥٧ ۝ ٥٥٨ ۝ ٥٥٩ ۝ ٥٦٠ ۝ ٥٦١ ۝ ٥٦٢ ۝ ٥٦٣ ۝ ٥٦٤ ۝ ٥٦٥ ۝ ٥٦٦ ۝ ٥٦٧ ۝ ٥٦٨ ۝ ٥٦٩ ۝ ٥٧٠ ۝ ٥٧١ ۝ ٥٧٢ ۝ ٥٧٣ ۝ ٥٧٤ ۝ ٥٧٥ ۝ ٥٧٦ ۝ ٥٧٧ ۝ ٥٧٨ ۝ ٥٧٩ ۝ ٥٨٠ ۝ ٥٨١ ۝ ٥٨٢ ۝ ٥٨٣ ۝ ٥٨٤ ۝ ٥٨٥ ۝ ٥٨٦ ۝ ٥٨٧ ۝ ٥٨٨ ۝ ٥٨٩ ۝ ٥٩٠ ۝ ٥٩١ ۝ ٥٩٢ ۝ ٥٩٣ ۝ ٥٩٤ ۝ ٥٩٥ ۝ ٥٩٦ ۝ ٥٩٧ ۝ ٥٩٨ ۝ ٥٩٩ ۝ ٦٠٠ ۝ ٦٠١ ۝ ٦٠٢ ۝ ٦٠٣ ۝ ٦٠٤ ۝ ٦٠٥ ۝ ٦٠٦ ۝ ٦٠٧ ۝ ٦٠٨ ۝ ٦٠٩ ۝ ٦١٠ ۝ ٦١١ ۝ ٦١٢ ۝ ٦١٣ ۝ ٦١٤ ۝ ٦١٥ ۝ ٦١٦ ۝ ٦١٧ ۝ ٦١٨ ۝ ٦١٩ ۝ ٦٢٠ ۝ ٦٢١ ۝ ٦٢٢ ۝ ٦٢٣ ۝ ٦٢٤ ۝ ٦٢٥ ۝ ٦٢٦ ۝ ٦٢٧ ۝ ٦٢٨ ۝ ٦٢٩ ۝ ٦٣٠ ۝ ٦٣١ ۝ ٦٣٢ ۝ ٦٣٣ ۝ ٦٣٤ ۝ ٦٣٥ ۝ ٦٣٦ ۝ ٦٣٧ ۝ ٦٣٨ ۝ ٦٣٩ ۝ ٦٤٠ ۝ ٦٤١ ۝ ٦٤٢ ۝ ٦٤٣ ۝ ٦٤٤ ۝ ٦٤٥ ۝ ٦٤٦ ۝ ٦٤٧ ۝ ٦٤٨ ۝ ٦٤٩ ۝ ٦٥٠ ۝ ٦٥١ ۝ ٦٥٢ ۝ ٦٥٣ ۝ ٦٥٤ ۝ ٦٥٥ ۝ ٦٥٦ ۝ ٦٥٧ ۝ ٦٥٨ ۝ ٦٥٩ ۝ ٦٦٠ ۝ ٦٦١ ۝ ٦٦٢ ۝ ٦٦٣ ۝ ٦٦٤ ۝ ٦٦٥ ۝ ٦٦٦ ۝ ٦٦٧ ۝ ٦٦٨ ۝ ٦٦٩ ۝ ٦٧٠ ۝ ٦٧١ ۝ ٦٧٢ ۝ ٦٧٣ ۝ ٦٧٤ ۝ ٦٧٥ ۝ ٦٧٦ ۝ ٦٧٧ ۝ ٦٧٨ ۝ ٦٧٩ ۝ ٦٨٠ ۝ ٦٨١ ۝ ٦٨٢ ۝ ٦٨٣ ۝ ٦٨٤ ۝ ٦٨٥ ۝ ٦٨٦ ۝ ٦٨٧ ۝ ٦٨٨ ۝ ٦٨٩ ۝ ٦٩٠ ۝ ٦٩١ ۝ ٦٩٢ ۝ ٦٩٣ ۝ ٦٩٤ ۝ ٦٩٥ ۝ ٦٩٦ ۝ ٦٩٧ ۝ ٦٩٨ ۝ ٦٩٩ ۝ ٧٠٠ ۝ ٧٠١ ۝ ٧٠٢ ۝ ٧٠٣ ۝ ٧٠٤ ۝ ٧٠٥ ۝ ٧٠٦ ۝ ٧٠٧ ۝ ٧٠٨ ۝ ٧٠٩ ۝ ٧١٠ ۝ ٧١١ ۝ ٧١٢ ۝ ٧١٣ ۝ ٧١٤ ۝ ٧١٥ ۝ ٧١٦ ۝ ٧١٧ ۝ ٧١٨ ۝ ٧١٩ ۝ ٧٢٠ ۝ ٧٢١ ۝ ٧٢٢ ۝ ٧٢٣ ۝ ٧٢٤ ۝ ٧٢٥ ۝ ٧٢٦ ۝ ٧٢٧ ۝ ٧٢٨ ۝ ٧٢٩ ۝ ٧٣٠ ۝ ٧٣١ ۝ ٧٣٢ ۝ ٧٣٣ ۝ ٧٣٤ ۝ ٧٣٥ ۝ ٧٣٦ ۝ ٧٣٧ ۝ ٧٣٨ ۝ ٧٣٩ ۝ ٧٤٠ ۝ ٧٤١ ۝ ٧٤٢ ۝ ٧٤٣ ۝ ٧٤٤ ۝ ٧٤٥ ۝ ٧٤٦ ۝ ٧٤٧ ۝ ٧٤٨ ۝ ٧٤٩ ۝ ٧٥٠ ۝ ٧٥١ ۝ ٧٥٢ ۝ ٧٥٣ ۝ ٧٥٤ ۝ ٧٥٥ ۝ ٧٥٦ ۝ ٧٥٧ ۝ ٧٥٨ ۝ ٧٥٩ ۝ ٧٦٠ ۝ ٧٦١ ۝ ٧٦٢ ۝ ٧٦٣ ۝ ٧٦٤ ۝ ٧٦٥ ۝ ٧٦٦ ۝ ٧٦٧ ۝ ٧٦٨ ۝ ٧٦٩ ۝ ٧٧٠ ۝ ٧٧١ ۝ ٧٧٢ ۝ ٧٧٣ ۝ ٧٧٤ ۝ ٧٧٥ ۝ ٧٧٦ ۝ ٧٧٧ ۝ ٧٧٨ ۝ ٧٧٩ ۝ ٧٨٠ ۝ ٧٨١ ۝ ٧٨٢ ۝ ٧٨٣ ۝ ٧٨٤ ۝ ٧٨٥ ۝ ٧٨٦ ۝ ٧٨٧ ۝ ٧٨٨ ۝ ٧٨٩ ۝ ٧٩٠ ۝ ٧٩١ ۝ ٧٩٢ ۝ ٧٩٣ ۝ ٧٩٤ ۝ ٧٩٥ ۝ ٧٩٦ ۝ ٧٩٧ ۝ ٧٩٨ ۝ ٧٩٩ ۝ ٨٠٠ ۝ ٨٠١ ۝ ٨٠٢ ۝ ٨٠٣ ۝ ٨٠٤ ۝ ٨٠٥ ۝ ٨٠٦ ۝ ٨٠٧ ۝ ٨٠٨ ۝ ٨٠٩ ۝ ٨١٠ ۝ ٨١١ ۝ ٨١٢ ۝ ٨١٣ ۝ ٨١٤ ۝ ٨١٥ ۝ ٨١٦ ۝ ٨١٧ ۝ ٨١٨ ۝ ٨١٩ ۝ ٨٢٠ ۝ ٨٢١ ۝ ٨٢٢ ۝ ٨٢٣ ۝ ٨٢٤ ۝ ٨٢٥ ۝ ٨٢٦ ۝ ٨٢٧ ۝ ٨٢٨ ۝ ٨٢٩ ۝ ٨٣٠ ۝ ٨٣١ ۝ ٨٣٢ ۝ ٨٣٣ ۝ ٨٣٤ ۝ ٨٣٥ ۝ ٨٣٦ ۝ ٨٣٧ ۝ ٨٣٨ ۝ ٨٣٩ ۝ ٨٤٠ ۝ ٨٤١ ۝ ٨٤٢ ۝ ٨٤٣ ۝ ٨٤٤ ۝ ٨٤٥ ۝ ٨٤٦ ۝ ٨٤٧ ۝ ٨٤٨ ۝ ٨٤٩ ۝ ٨٥٠ ۝ ٨٥١ ۝ ٨٥٢ ۝ ٨٥٣ ۝ ٨٥٤ ۝ ٨٥٥ ۝ ٨٥٦ ۝ ٨٥٧ ۝ ٨٥٨ ۝ ٨٥٩ ۝ ٨٦٠ ۝ ٨٦١ ۝ ٨٦٢ ۝ ٨٦٣ ۝ ٨٦٤ ۝ ٨٦٥ ۝ ٨٦٦ ۝ ٨٦٧ ۝ ٨٦٨ ۝ ٨٦٩ ۝ ٨٧٠ ۝ ٨٧١ ۝ ٨٧٢ ۝ ٨٧٣ ۝ ٨٧٤ ۝ ٨٧٥ ۝ ٨٧٦ ۝ ٨٧٧ ۝ ٨٧٨ ۝ ٨٧٩ ۝ ٨٨٠ ۝ ٨٨١ ۝ ٨٨٢ ۝ ٨٨٣ ۝ ٨٨٤ ۝ ٨٨٥ ۝ ٨٨٦ ۝ ٨٨٧ ۝ ٨٨٨ ۝ ٨٨٩ ۝ ٨٩٠ ۝ ٨٩١ ۝ ٨٩٢ ۝ ٨٩٣ ۝ ٨٩٤ ۝ ٨٩٥ ۝ ٨٩٦ ۝ ٨٩٧ ۝ ٨٩٨ ۝ ٨٩٩ ۝ ٩٠٠ ۝ ٩٠١ ۝ ٩٠٢ ۝ ٩٠٣ ۝ ٩٠٤ ۝ ٩٠٥ ۝ ٩٠٦ ۝ ٩٠٧ ۝ ٩٠٨ ۝ ٩٠٩ ۝ ٩١٠ ۝ ٩١١ ۝ ٩١٢ ۝ ٩١٣ ۝ ٩١٤ ۝ ٩١٥ ۝ ٩١٦ ۝ ٩١٧ ۝ ٩١٨ ۝ ٩١٩ ۝ ٩٢٠ ۝ ٩٢١ ۝ ٩٢٢ ۝ ٩٢٣ ۝ ٩٢٤ ۝ ٩٢٥ ۝ ٩٢٦ ۝ ٩٢٧ ۝ ٩٢٨ ۝ ٩٢٩ ۝ ٩٣٠ ۝ ٩٣١ ۝ ٩٣٢ ۝ ٩٣٣ ۝ ٩٣٤ ۝ ٩٣٥ ۝ ٩٣٦ ۝ ٩٣٧ ۝ ٩٣٨ ۝ ٩٣٩ ۝ ٩٤٠ ۝ ٩٤١ ۝ ٩٤٢ ۝ ٩٤٣ ۝ ٩٤٤ ۝ ٩٤٥ ۝ ٩٤٦ ۝ ٩٤٧ ۝ ٩٤٨ ۝ ٩٤٩ ۝ ٩٥٠ ۝ ٩٥١ ۝ ٩٥٢ ۝ ٩٥٣ ۝ ٩٥٤ ۝ ٩٥٥ ۝ ٩٥٦ ۝ ٩٥٧ ۝ ٩٥٨ ۝ ٩٥٩ ۝ ٩٦٠ ۝ ٩٦١ ۝ ٩٦٢ ۝ ٩٦٣ ۝ ٩٦٤ ۝ ٩٦٥ ۝ ٩٦٦ ۝ ٩٦٧ ۝ ٩٦٨ ۝ ٩٦٩ ۝ ٩٧٠ ۝ ٩٧١ ۝ ٩٧٢ ۝ ٩٧٣ ۝ ٩٧٤ ۝ ٩٧٥ ۝ ٩٧٦ ۝ ٩٧٧ ۝ ٩٧٨ ۝ ٩٧٩ ۝ ٩٨٠ ۝ ٩٨١ ۝ ٩٨٢ ۝ ٩٨٣ ۝ ٩٨٤ ۝ ٩٨٥ ۝ ٩٨٦ ۝ ٩٨٧ ۝ ٩٨٨ ۝ ٩٨٩ ۝ ٩٩٠ ۝ ٩٩١ ۝ ٩٩٢ ۝ ٩٩٣ ۝ ٩٩٤ ۝ ٩٩٥ ۝ ٩٩٦ ۝ ٩٩٧ ۝ ٩٩٨ ۝ ٩٩٩ ۝ ١٠٠٠ ۝ ١٠٠١ ۝ ١٠٠٢ ۝ ١٠٠٣ ۝ ١٠٠٤ ۝ ١٠٠٥ ۝ ١٠٠٦ ۝ ١٠٠٧ ۝ ١٠٠٨ ۝ ١٠٠٩ ۝ ١٠١٠ ۝ ١٠١١ ۝ ١٠١٢ ۝ ١٠١٣ ۝ ١٠١٤ ۝ ١٠١٥ ۝ ١٠١٦ ۝ ١٠١٧ ۝ ١٠١٨ ۝ ١٠١٩ ۝ ١٠٢٠ ۝ ١٠٢١ ۝ ١٠٢٢ ۝ ١٠٢٣ ۝ ١٠٢٤ ۝ ١٠٢٥ ۝ ١٠٢٦ ۝ ١٠٢٧ ۝ ١٠٢٨ ۝ ١٠٢٩ ۝ ١٠٣٠ ۝ ١٠٣١ ۝ ١٠٣٢ ۝ ١٠٣٣ ۝ ١٠٣٤ ۝ ١٠٣٥ ۝ ١٠٣٦ ۝ ١٠٣٧ ۝ ١٠٣٨ ۝ ١٠٣٩ ۝ ١٠٤٠ ۝ ١٠٤١ ۝ ١٠٤٢ ۝ ١٠٤٣ ۝ ١٠٤٤ ۝ ١٠٤٥ ۝ ١٠٤٦ ۝ ١٠٤٧ ۝ ١٠٤٨ ۝ ١٠٤٩ ۝ ١٠٥٠ ۝ ١٠٥١ ۝ ١٠٥٢ ۝ ١٠٥٣ ۝ ١٠٥٤ ۝ ١٠٥٥ ۝ ١٠٥٦ ۝ ١٠٥٧ ۝ ١٠٥٨ ۝ ١٠٥٩ ۝ ١٠٦٠ ۝ ١٠٦١ ۝ ١٠٦٢ ۝ ١٠٦٣ ۝ ١٠٦٤ ۝ ١٠٦٥ ۝ ١٠٦٦ ۝ ١٠٦٧ ۝ ١٠٦٨ ۝ ١٠٦٩ ۝ ١٠٧٠ ۝ ١٠٧١ ۝ ١٠٧٢ ۝ ١٠٧٣ ۝ ١٠٧٤ ۝ ١٠٧٥ ۝ ١٠٧٦ ۝ ١٠٧٧ ۝ ١٠٧٨ ۝ ١٠٧٩ ۝ ١٠٨٠ ۝ ١٠٨١ ۝ ١٠٨٢ ۝ ١٠٨٣ ۝ ١٠٨٤ ۝ ١٠٨٥ ۝ ١٠٨٦ ۝ ١٠٨٧ ۝ ١٠٨٨ ۝ ١٠٨٩ ۝ ١٠٩٠ ۝ ١٠٩١ ۝ ١٠٩٢ ۝ ١٠٩٣ ۝ ١٠٩٤ ۝ ١٠٩٥ ۝ ١٠٩٦ ۝ ١٠٩٧ ۝ ١٠٩٨ ۝ ١٠٩٩ ۝ ١١٠٠ ۝ ١١٠١ ۝ ١١٠٢ ۝ ١١٠٣ ۝ ١١٠٤ ۝ ١١٠٥ ۝ ١١٠٦ ۝ ١١٠٧ ۝ ١١٠٨ ۝ ١١٠٩ ۝ ١١١٠ ۝ ١١١١ ۝ ١١١٢ ۝ ١١١٣ ۝ ١١١٤ ۝ ١١١٥ ۝ ١١١٦ ۝ ١١١٧ ۝ ١١١٨ ۝ ١١١٩ ۝ ١١٢٠ ۝ ١١٢١ ۝ ١١٢٢ ۝ ١١٢٣ ۝ ١١٢٤ ۝ ١١٢٥ ۝ ١١٢٦ ۝ ١١٢٧ ۝ ١١٢٨ ۝ ١١٢٩ ۝ ١١٣٠ ۝ ١١٣١ ۝ ١١٣٢ ۝ ١١٣٣ ۝ ١١٣٤ ۝ ١١٣٥ ۝ ١١٣٦ ۝ ١١٣٧ ۝ ١١٣٨ ۝ ١١٣٩ ۝ ١١٤٠ ۝ ١١٤١ ۝ ١١٤٢ ۝ ١١٤٣ ۝ ١١٤٤ ۝ ١١٤٥ ۝ ١١٤٦ ۝ ١١٤٧ ۝ ١١٤٨ ۝ ١١٤٩ ۝ ١١٥٠ ۝ ١١٥١ ۝ ١١٥٢ ۝ ١١٥٣ ۝ ١١٥٤ ۝ ١١٥٥ ۝ ١١٥٦ ۝ ١١٥٧ ۝ ١١٥٨ ۝ ١١٥٩ ۝ ١١٦٠ ۝ ١١٦١ ۝ ١١٦٢ ۝ ١١٦٣ ۝ ١١٦٤ ۝ ١١٦٥ ۝ ١١٦٦ ۝ ١١٦٧ ۝ ١١٦٨ ۝ ١١٦٩ ۝ ١١٧٠ ۝ ١١٧١ ۝ ١١٧٢ ۝ ١١٧٣ ۝ ١١٧٤ ۝ ١١٧٥ ۝ ١١٧٦ ۝ ١١٧٧ ۝ ١١٧٨ ۝ ١١٧٩ ۝ ١١٨٠ ۝ ١١٨١ ۝ ١١٨٢ ۝ ١١٨٣ ۝ ١١٨٤ ۝ ١١٨٥ ۝ ١١٨٦ ۝ ١١٨٧ ۝ ١١٨٨ ۝ ١١٨٩ ۝ ١١٩٠ ۝ ١١٩١ ۝ ١١٩٢ ۝ ١١٩٣ ۝ ١١٩٤ ۝ ١١٩٥ ۝ ١١٩٦ ۝ ١١٩٧ ۝ ١١٩٨ ۝ ١١٩٩ ۝ ١٢٠٠ ۝ ١٢٠١ ۝ ١٢٠٢ ۝ ١٢٠٣ ۝ ١٢٠٤ ۝ ١٢٠٥ ۝ ١٢٠٦ ۝ ١٢٠٧ ۝ ١٢٠٨ ۝ ١٢٠٩ ۝ ١٢١٠ ۝ ١٢١١ ۝ ١٢١٢ ۝ ١٢١٣ ۝ ١٢١٤ ۝ ١٢١٥ ۝ ١٢١٦ ۝ ١٢١٧ ۝ ١٢١٨ ۝ ١٢١٩ ۝ ١٢٢٠ ۝ ١٢٢١ ۝ ١٢٢٢ ۝ ١٢٢٣ ۝ ١٢٢٤ ۝ ١٢٢٥ ۝ ١٢٢٦ ۝ ١٢٢٧ ۝ ١٢٢٨ ۝ ١٢٢٩ ۝ ١٢٣٠ ۝ ١٢٣١ ۝ ١٢٣٢ ۝ ١٢٣٣ ۝ ١٢٣٤ ۝ ١٢٣٥ ۝ ١٢٣٦ ۝ ١٢٣٧ ۝ ١

قوله جل ذكره: ﴿وَإِنْ أَمْرُهُ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا  
أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ  
يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ، وَالصُّلْحُ  
خَيْرٌ ، وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ،  
وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا إِنَّ اللَّهَ كَانُ  
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝﴾

محببة الخلق بعضهم مع بعض إنْ تفرقت عن حديث الحق فإنها تعرض للوحشة والملامة ،  
ومجازاة النفرة والسامة . فمنْ أعرض عن الله بقلبه أعرض الخلق عن مراعاة حقه ، وخرج  
السكافة عليه باستصغار أمره واستحغار قدره . ومنْ رجع إلى الله بقلبه ، استوى له  
— في الجملة والتفصيل — أمره ، واتسع<sup>(١)</sup> لاحتياله ما يستقبل من سوء خلق الخلق صدره  
فهو يسحب<sup>(٢)</sup> ذيل المغر على هتات جميعهم ، ويؤثر الصلح بترك نصيبه وتسليم نصيبهم  
قال الله تعالى : « والصلح خير » .

واتضاك في نفسك عن منافرة منْ يخاصمك أجدى عليك ، وأخرى لك منْ تناولك  
على خصمك باغياً للانتقام ، وشهود مآلك في مزية المقام . وأكثر المناقذين في أمر  
هذه الهنة .

قوله تعالى : « وأحضرت الأنفس الشح ... » : وشح النفس قيام المبد بحظه .

فلا محالة منْ حجب عن شهود الحق رد إلى شهود النفس .

قوله تعالى : « وإن تحسنوا » : يعني يكن ذلك خيراً لكم . والإحسان أن تعبد الله  
كأنك تراه .

« وتبتوا » : يعني عن رؤيتكم مقام أنفسكم ، وشهود قدركم ، يعني وأن تروا ربكم ،  
وتفتوا برؤيته عن رؤية قدركم .

(١) وردت ( والتسع ) وهي خطأ في النسخ

(٢) وردت ( ويستحب ) وهي خطأ في النسخ .

« إن الله كان بما تعملون خبيراً » : يعنى إذا فتنتم عنكم وعن علمكم ، فكفى بالله عليماً بعد فتنائكم ، وكفى به موجلاً عقب امتحانكم<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَنْ تُطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ

النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ، فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ

الْمِيلِ فَتَنَرُوهَا كُلَّ مِثْقَالٍ وَإِنْ

تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

غَفُوراً رَحِيماً ﴾

يعنى أنكم إذا (...) (٣) فى أموركم انكمس الحال عليكم ، وانكمس صلاح ذات بينكم فساداً لكم ، فإذا قمتم بالله فى أموركم استوى العيش لكم ، وصفا عن الكدر وقتكم .

ويقال من حكم الله بنقصان عقله فى حالة (٤) فلا تقتربون أن تبيعروا قصائهم بكفائتكم .

قوله تعالى « فلا تميلوا كل الميل » : يعنى لا تزيغوا عن نهج الأمر . تنفوا حباً وتقمتم ، وأنفوا فيما أمرتم .

وقوله : « فتدروها كالمعلقة » يعنى أنكم إذا منعتموهن عن صحبة أغياركم ثم قطعتم عنهن ما هو حظوظهن منكم أضررتم بهن من الوجهين ؛ لا منكم نصيب ، ولا إلى غيركم سبيل ، وإن هذا الحيف عظيم . والإشارة (٥) من هذا أنه إذا انسد عليك طريق حظوظك فتتح — سبحانه — عليك شهود حقه ، ووجود لطفه ؛ فإن من كان فى الله تعلقه فالحق — سبحانه — خلقه ، وإن تصلحوا ما بينكم وبين أخلق ، وتثقوا فيما بينكم وبين الحق فإن الله غفور لميوبيكم ، رحيم بالعفو عن ذنوبكم .

(١) وودت ( امتحانكم ) وهى خطأ فى النسخ فلا امتحاء يرادف الفناء .

(٢) وودت ( وان ) وهى خطأ فى النسخ .

(٣) مشبهة ، وزجج أنها كلمة تساوى فى المعنى ( قم بأنفسكم ) تعاليل ما جاء بعد ( فإذا قمتم بالله ) .

(٤) يشير القشبرى بذلك إلى النساء .

(٥) أسلوب القشبرى فى هذه الإشارة فى حجة منا إلى وهى وتيفظ ، فالخطوط هبى ، والحقوق الحق ، والشهود للحق والوجود يكون اللطف . واللفرة — بمعنى التفتية — تكون اللب ، والعفو — الإزالة — يكون الذنب ؛ واليب قديمى مطلق ولكن القب يزول .



قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَنْفَرُوا مِنْ اللَّهِ نُحْلًا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ۝ ﴾ .

الصحة التي لا بد منها محبة القلب مع دوام افتقار إلى الله ؛ إذ الحق لا بد منه . فأما الأغيار فلا حاجة لبعضهم إلى بعض إلا من حيث الظاهر ، وذلك في غنون أصحاب النفرة ، فأما أهل التحقيق فلا تجرية لهم أن حاجة الخلق بجملتها إلى الله سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ، وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝ ﴾ .

كَلَّمَ السَّكَّانَةَ بِالرَّجُوعِ إِلَيْهِ ، وَبِجَانِبَةِ مَنْ يَسُوهُ ، وَالْوُقُوفِ عَلَى أَمْرِهِ ، وَلَكِنْ فَرِيقًا دُفِّقَ وَفَرِيقًا خُدِّلَ . ثُمَّ عَرَّفَ أَهْلَ التَّحْقِيقِ أَنَّهُ غَفِيٌّ عَنْ طَاعَةِ كُلِّ وَثِيٍّ ، وَبَرِيءٌ عَنْ (١) زَلَّةٍ (٢) كُلِّ غَوِيٍّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ ﴾ .

قَطَعَ الْأَسْرَارَ عَنِ التَّعَلُّقِ بِالْأَغْيَارِ بِأَنْ عَرَّفَهُمْ ائْتِرَادَهُ بِمَلِكِ مَا فِي الزَّاتِ وَالْأَرْضِ ، ثُمَّ أَطْعَمَهُمْ فِي حَسَنِ تَوَلَّيْهِ ، وَقِيَامِهِ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ بِجَمِيلِ الْإِطْفِ وَحَسَنِ الْكِفَايَةِ بِقَوْلِهِ : « وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا » بِصَلْحِ بَلَاكِ حَالِكٍ وَلَا يَحْتَزِلُ مَالِكٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ يَسْأَلْكُمْ أَهْلُ النَّاسِ عَنْ بَأْسِ الْآخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ۝ ﴾ .

(١) قبل (عن) واو زائدة لحذفها

(٢) وردت ( ذلة ) بفتح الهمزة والصواب أن تكون هنا بالزاي .

من يستحق عنه في آزاله فلا حاجة له إليه في آباله . ويقال لا يحتاج إلى أحد والعبد لا يستحق عنه في نفس .

ويقال لانهاية التقديرات فإن لم يكن عمرو قزيداً ، وإن لم يكن عبدٌ فبيد ، والذى لا يهلك عنه ولا خلف فهو الواحد الأحد .

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ شَهِيدًا بِمَا صَيَّرَ ﴾ .

لما علقوا قلوبهم بالمال من الدنيا ذكرهم حديث الآخرة ، فقال « فبئس الله ثواب الدنيا والآخرة » ترميماً لم أن فوقهم من هذه الخبيثة<sup>(١)</sup> ما هو أعلى منها من نعيم الآخرة ، فلما سمعت إلى الآخرة قصودهم قطعهم عن كل مرسوم<sup>(٢)</sup> ومخلوق بقوله : « والله خير وأبقى »<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا . فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوَّا أَوْ نَسُوا فإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ .

(١) يقصد الدنيا بهذا الوصف

(٢) الرسم - كما يقول أبو نصر السراج في ليله - هو ما رسم به ظاهر المخلوق برسم العلم ورسم الخلق فينتهي بإظهار سلطان الحق عليه .

مثل الجنيد عن رجل غاب اسمه وذهب وصفه واحتجى رسمه فقال : ثم عند مشاهدته قيام الحق له بنفسه لنفسه في ملكه ، فيكون ذلك متى قوله احتجى رسومه يعني حله وفعله للضاد إليه ينظره إلى قيام الله له في قيامه (الفتح ص ٤٧٧) .  
(٣) آية ٧٣ سورة طه

القسط العدل ، والقيام بالله العدل بإيفاء حقوقه من نفسه ، واستيفاء حقوقه من كل من هو لك عليه أمر ، وإلى تحصيل ذلك الحق سبيل إما أمر معروف أو زجر عن مكروه أو وعظ بنصح أو إرشاد إلى شرع أو هداية إلى حق .

ومن بقی لله عليه حق لم يباشر خلاصة التحقيق سره لله .

وأصل الدين <sup>(١)</sup> إظهار حق الحق على حق الخلق ، فمن أثر على الله — سبحانه أحداً إما بالآ أو أمراً أو قلداً أو قريباً أو نبيهاً ، أو أدخر عنه نصيباً فهو يعزل عن القيام بالقسط .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ،

وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

بُعِيدًا ۝

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ حَيْثُ الْبُرْهَانِ آمِنُوا مِنْ حَيْثُ الْبَيَانِ إِلَى أَنْ تَوَفَّيْتُمْ مِنْ حَيْثُ الْكُفِّ وَالْبَيَانِ .

ويقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تصديقاً آمِنُوا تحقيقاً بأن نجاتكم بفضل لا بإيمانكم .

ويقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا في الحال آمِنُوا باستدامة الإيمان إلى المآل <sup>(٢)</sup>

ويقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وراه كل وصل وفصل <sup>(٣)</sup> ووجد وقد .

(١) بهذا نستطيع أن نجد صلة رحم بين لفظي (الدين) و (الدين) إذ يكون لكل منها ارتباط على نحو ما — بالحق وصاحب الحق .

(٢) وردت (المآل) وهي خطأ في النسخ ، فالنصوص بالحال : الدنيا ، والمآل : العقب

(٣) الوصل منناه لحوق الغائب . وقال يحيى بن معاذ : « من لم يجر عنبه عن النظر إلى ما تحت العرش لم يصل إلى ما فوق العرش » . يعني لم يطلع ما فاته من مراقبة الذي خلق العرش . وقال الشبلي : من زعم أنه وأصل طيس له لحمل .

والوصل قوت الذي المرجو من المحبوب .

قال بعضهم شرح الاتصال بمزوج بترح الاتصال (الصح ص ٤٣٣)



إِنَّ اللَّهَ جَلِيلٌ لِلنَّافِثِينَ وَالْكَافِرِينَ  
فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝

من اعتمد بمخلوق فقد التجأ إلى غير مجهر ، واستند إلى غير كنه ، وسقط في مواء  
من الغلط بعيد قرها ، شديد مكرها . أبيضون المرء عند الحق أصابه ذل التكوين ؟ متى  
يكون له عز على التحقيق ؟ ومن لا عز له يلزمه فكيف يكون له عز يتعدى إلى غيره ؟

ويقال لا ندري أى حالتهم أقبح : طلب العزوم في ذل القهر وأسر القبضة أم حساب  
ذلك وتوهمه من غير الله ؟

ويقال مَنْ طَلَبَ الشَّيْءَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ الْإِخْلَاقِ <sup>(١)</sup> غَايَةُ جَهَنَّمَ ، وَمَنْ رَامَ الْغَنَى <sup>(٢)</sup> فِي  
مَوَاطِنِ الْفَاقَةِ الْإِمْلَاقِ قَصَارَى كُذُّهُ .

ويقال لو هُدُوا بوجدان المرء لما صُرِفَتْ قُصُودُهُمْ إِلَى مَنْ لَيْسَ بِيَدِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَمْرِ .  
قوله : « فَإِنَّ الْمَرْءَ لِلَّهِ جَمِيعًا » المرء على قسمين : عز قديم فهو لله وصفاً ، وعز حادث  
يختص به سبحانه من بشاء فهو له — تعالى — ملكاً ومنه لطفاً <sup>(٣)</sup> .

قوله « وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ ..... » الآية : لا تجلوهوا أبواب الوحشة فإن  
ظلمات أنفسهم تمتد إلى قلوبكم عند استنساخكم ما يردون من أغناسهم ، فن كان بوصف ما  
متنقها شارك حاضره فيه ، فجليس من هو في أنس مستأنس <sup>(٤)</sup> ، وجليس من هو في ظلمة  
مستوحش .

ويقال هجران أعداء الحق فرض ، ومخالفة الأصدقاء ومفارقتهم دين ، والركون إلى  
أصحاب الغفلة قرع باب الفرقه

(١) وردت ( الأخلاف ) وهي خطأ في النسخ إذ المقصود الحية والإخلاق .

(٢) أخطأ الناسخ كتبها بالألف هكذا : ( للثنا ) .

(٣) يسأل التفسير في كتابه « التعبير في التذكير » تحت اسم « المرء » : فإن قيل كيف الجمع  
بين قوله تعالى : « مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْوَرْدَ فَلَهُ الْوَرْدُ جَمِيعًا » وقوله تعالى « وَرَدَ الْوَرْدَ وَلِرَسُولِهِ » وللؤميتين  
ثم يجيب : لا تنال بينهما فإن المرء الذي يرسل الوارد هو الذي تنال ملكاً وعلفاً ، وهو — سبحانه  
وتعالى — له وصفاً ، فإذا المرء لله تعالى .

(٤) أخطأ الناسخ إذ كتبها ( مستأنف ) ولا معنى لها هنا والصواب ( مستأنس ) لتقابل ( مستوحش )

قوله : « إنكم إذن مثلهم » : أوضح برهان على سريرة ( . . . )<sup>(١)</sup> محبة من يقارنه<sup>(٢)</sup> وعشرة من يخادنه ؛ فالشكل مقيد بشكله ، والفرع منشئ عن أصله .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُم : فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَخْشَكُمْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾

لما عدّموا الإخلاص في الحقيقة ، وما ذقوا فيها استشعروا من العقيدة ، امتازوا<sup>(٣)</sup> عن المسلمين في الحكم ، وباينوا الكافرين في الاسم ، وواجب على أهل الحق التحرر عنهم والتحفظ منهم ، ثم ضمن لهم — سبحانه — جميل الكفاية بقوله : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً »<sup>(٤)</sup> وهذا على الصوم ؛ فإن وبال كيدهم إليهم مصروف ، وجزاء مكروهم عليهم موقوف ، والحق — من قبل الحق سبحانه — منصور أهلُه ، والباطل — بنصر الحق سبحانه — مجتث أصله .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ الْمُنَافِقِينَ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآهُمْ مِنَ النَّاسِ

(١) متعينة ولابد أنها كفة بمعنى ( المرء ) أو ( الشخص ) . . . ونحوهما

(٢) يقارنه هنا معناها أن يكون له قرين .

(٣) امتازوا هنا معناها اختلفوا بعلامات مخصوصة

(٤) قال على رضى الله عنه لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً يوم القيامة حين يحكم الله بينهم ، فلا يكون للكافرين سبيل إلى حجة . ويرى غيره أن الله لن يجعل للكافرين على للمؤمنين سبيلاً في الدنيا فلن يستطيعوا عليهم نصراً بالكلية ، ولكن قد يحصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس ولكن الماتية للمتنين في الدنيا والآخرة . ( ابن كثير ص ٦٧ )

ولا يذكرون الله إلا قليلاً \*  
مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ  
ولا إلى هَؤُلَاءِ مَن يُصَلِّىْ اللَّهُ فَلَئَن  
تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا \*

خداع المنافقين : إظهار الوفاق في الطريقة واستثمار الشرك في العقيدة .

وخداع الحق لإيهم : ما توهموه من انخلاص ، وحكموا به لأنفسهم من استحقاق الاختصاص ،  
فإذا كُشِفَ الغطاء أيقنوا أن الذي ظنُّوه شراباً كان شراباً ، قال تعالى : « وبدا لهم من الله  
ما لم يكونوا يحسبون »<sup>(١)</sup> .

وقوله : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا . . . » الآية : علامة النفاق وجود النشاط عند  
شهود الخلق ، وفنور المزم عند فوات رؤية الخلق .

وقوله : « مذبحين بين ذلك . . . » الآية : أخس الخلق من يدع<sup>(٢)</sup> صدار اليهودية ،  
ولم يجد سبيلاً إلى حقيقة الحرية<sup>(٣)</sup> ، فلاله من المزعشلية ، ولا في الغفلة عيشة هنية .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْشَوْا  
الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
أُرِيدُونَ أَن يُبْغِلُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ  
سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾

(١) آية : ٤٧ سورة الزمر .

(٢) وردت ( تدع ) والصواب ( يدع ) لأن الكلام ليس خطاباً ، ومعناها ترك .

(٣) حقيقة الحرية إشارة إلى نهاية التحقق باليهودية لله تعالى ، وهو ألا يملك شيء من المكونات  
وفيها ، فتكون حراً إذا كنت لله عبداً ، كما قال بشر الحافي لسي السقطي رحبها الله فبها حتى عنه أنه قال :  
إن الله تعالى خلقك حراً فكن كما خلقك ، لا تترأض أهك في الحضر ، ولا وقتك في السفر ، اعمل لله ،  
ودع الناس حتك .

وقال الجنيد : آخر مقام المعارف الحرية .

وقال بعضهم : لا يكون العبد حراً حقاً ويكون لما سوى الله مسترقاً ( البص من ٤٥٠ ) .

كَرَّرَ<sup>(١)</sup> عليهم الوعد ، وأكد بمباينة الأعداء عليهم الأمر ، إبلاغاً في الإنذار ، وتنظيفاً في الزجر ، وإلزاماً للحجة ( . . . )<sup>(٢)</sup> موضع العنود .

قوله : « أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطاناً مينا » : توعدهم على موالاتهم للكفار بما لم يتوعدوا على غيره من المخالفات ، لما فيه من إثارة الفير على اللعبود ، وإثارة النير على المحبوب من أعظم الكبار في أحكام الوداد . فإذا شغل من قلبه محلاً — كان للمؤمنين — بالأغيار استوجب ذلك العقوبة فكيف إذا شغل محلاً من قلبه — هو الحق — بالنير ؟ !  
والعقوبة التي توعدهم بها أن يكلمهم وما اختاروه من موالات الكفار ، ويش البذل !  
كذلك من بقي ( عن )<sup>(٣)</sup> الحق تركه مع الخلق ، فيتضاعف عليه البلاء البقاء من الحق والبقاء مع الخلق ، وكلاماً شديداً من العقوبة .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً » .

دلَّت الآية على أن المنافق ليس بمؤمن لأن الإيمان ما يوجب الأمان ، فالؤمن يتخلص بإيمانه من النار ، فما يكون سبب وقوعه في الدرك الأسفل من النار لا يكون إيماناً ، ويقال هذا تحقيق قوله : « والله خير للكارين » أي مكروه فوق كل مكرب . لما أظهر للنفاق ما هو مكر مع المؤمنين كانت عقوبتهم أشد من عقوبة من جاهر<sup>(٤)</sup> بكفره .

ويقال قلهم<sup>(٥)</sup> في آجلهم<sup>(٦)</sup> إلى أشد ما هم عليه في عاجلهم ، لما في الظاهر : « من كان

(١) تعرف من مذهب التشيعي أنه لا يحيل إلى القول بالتركيب في القرآن الكريم ، ولعل أبسط نتائج هذا المذهب أنه لا يرى في البسطة التي تأتي في مستهل كل سورة بلفظها — أي شيء من التكرار ، بل هي عنده متجددة بما يتلوهما والسورة ، لأجل هذا تنوعت هنا كلمة : « كرر » وتعدد الأسباب القوية التي أرجع إليها التكرار .  
(٢) مشبهة .

(٣) وردت ( من ) ولكن المعنى يفرض قطعاً ويؤيد ( عن ) خصوصاً وقد جاءت ( عن ) في البشارة التالية التي هي بمثابة تلييه لجزء الأول من الكلام .

(٤) وردت ( جاهد ) بالهال والصواب أن تكون ( جاهر ) بإزاء فالمن يفتنى ذلك .

(٥) وردت هكذا ( منهم ) بتظنة محذوفة فوق الحرف الأول ثم ثلاث تخط فوق اللام وربما أراد الناسخ أن يحذف التظنة الثالثة فأخطأ وحذف التظنة التي فوق التون .

(٦) وردت ( آجلهم ) والصواب ( آجلهم ) .



بِحَالِهِ لَقِيَ اللَّهَ بِهَا ، فَلَمَّا نَقِيَ — الْيَوْمَ — فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ الْحَجَرِ <sup>(١)</sup> فَكَفَكَكَ يَنْقَلُونَ إِلَى الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ . وَالدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ الْحَجَرِ — الْيَوْمَ — لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالْإِيمَانِ وَلَيْسَ لَمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَهَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْأَكْبَرُ .

وَيَقَالُ اسْتَجِيبُوا الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ لِأَنَّهُمْ صَحَبُوا الْيَوْمَ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ لَا عَلَى طَرِيقَةِ الْحَرَمَةِ . وَيَقَالُ اسْتَجِيبُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَسَاءُوا الْأَدَبَ فِي حَالِ حَضُورِهِمْ بِالسُّنَنِ ، وَسُوءِ الْأَدَبِ يُوجِبُ الطَّرْدَ .

قوله جل ذكره **وَالَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَبُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ اللَّهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** .

لَمْ يَشْتَرِ كُلَّ هَذِهِ الشَّرَاطِ فِي رُجُوعِ أَحَدٍ عَنْ جُرْمِهِ مَا اشْتَرَطَ فِي رُجُوعِ لِلْمُؤْمِنِينَ عَنْ نَفَاقِهِمْ لَصُورَةِ حُلُمٍ فِي كُفْرِهِمْ . وَيَمْدُ نَحْصِلُهُمْ هَذِهِ الشَّرُوطُ قَالَ لَمْ : « فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ » وَلَمْ يَقُلْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ أَيْضًا إِلَى قَصْدِ رَتْبِهِمْ وَإِنْ تَدَارَكُوا بِإِخْلَاصِهِمْ مَا سَبَقَ مِنْ أَقْبَمِهِمْ ، وَفِي مَعْنَاهُ أَتَشَدُّوا :

وَالْعَلَمُ مَبْسُوطٌ وَلَكِنَّا شَتَّانَ بَيْنَ الْعَمْرِ وَالشُّكْرِ

وَيَقَالُ إِنْ حُرِفَ (مَعَ) لِلْمَصَاحِبَةِ ، فَإِذَا كَانُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَجِيبُوا مَا يَسْتَوْجِبُ جَمَاعَةَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَالْثَوْبَةُ هُنَا أَيْ رُجِعُوا عَنْ نَفَاقِهِمْ ، وَأَصْلَحُوا — بِصِدْقِهِمْ فِي إِيْمَانِهِمْ ، وَاعْتَصَبُوا بِاللَّهِ بِالتَّبَرُّؤِ مِنْ حَوْلِهِمْ وَقَوْنِهِمْ ، وَشَهِدُوا لِلْمِنَّةِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَدَاهُمْ ، وَعَنْ نَفَاقِهِمْ نَجَّاهُمْ . قوله : « وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ اللَّهُ » : وَنَجَّاهُمْ بِفَضْلِ دِينِهِمْ لَا بِإِيْمَانِهِمْ فِي الْحَالِ ، وَرُجُوعِهِمْ عَنْ نَفَاقِهِمْ فِيمَا مَضَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَحْوَالِ .

وَيَقَالُ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ اللَّهُ وَفُو دَوَامِ الْإِسْتِمَاتَةِ بِاللَّهِ فِي أَنْ يَتَّبِعَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَيَصْصِمُ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ النِّفَاقِ .

(١) رَجَعَ أَنَّهُ ( الْحَجَرِ ) بِإِلَاءٍ وَيُتَأَيَّدُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ فِيمَا بَعْدَ ( لَيْسَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ) .

وقال تابوا عن النفاق، وأصلحوا بالإخلاص في الاعتقاد، واعتصموا بالله باستدعاء التوفيق وأخلصوا دينهم لله في أن نجاتهم بفضل الله ولطفه لا بإتباتهم بهذه الأشياء — في التحقيق .

قوله جل ذكره: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝ ﴾ .

هذه الآية من الآيات التي توجب حسن الرجاء وقوة الأمل، لأنه جل من أمارات الأمان من العقوبات شيتين اثنتين: الشكر والإيمان، وهما خصلتان يسيرتان خفيفتان؛ فإن الشكر طاعة، والإيمان حالة، ولقد هوّن السبيل على العبد حين<sup>(١)</sup> رضى منه بقائه وحالته. والشكر لا يصح إلا من المؤمنين فأما الكافر فلا يصح منه الشكر؛ لأن الشكر طاعة والطاعة لا تصح من غير المؤمن .

وقوله: ﴿ وَأَمَنْتُمْ ﴾ يعنى في المال؛ فكأنه بين أن النجاة إنما تكون لمن كانت عاقبته على الإيمان، فمضى الآية لا يذهبكم الله عذاب التخليد<sup>(٢)</sup> إن شكرتم في الحال وأمنتم في المال . ويقال إن شكرتم وأمنتم صدقتم بأن نجاتكم بالله لا بشركم وبإيمانكم .

ويقال الشكر شهود النعمة من الله والإيمان رؤية الله في النعمة، فكأنه قال: إن شاهدتم النعمة من الله فلا يقطعنكم شهودها عن شهود المنعم

وقوله: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ أى والله شاكر عليم، ومعنى كونه شاكرًا أنه مَدَحٌ للعبد ومشهدٌ عليه فيما يفعله لأن حقيقة الشكر وحده التناء على المحسن بذكر إحسانه؛ فالعبد يشكر الله أى يثني عليه بذكر إحسانه إليه الذى هو نعمته عليه، والرب يشكر للعبد أن يثني عليه بذكر إحسانه الذى هو طاعته له، فإن الله يثني عليه بما يفعله من الطاعة مع علمه بأن له ذنوبًا كثيرة .

ويقال يشكركم — وإن علم أنه سيرجع في المستقبل إلى قبائح أعماله .

(١) وردت ( من ) ورجع أنها في الأصل ( حين )

(٢) وردت ( التخليد ) ورجع أنها ( التطييد ) فهو وصف عذاب جهنم .

ويقال يشكره لأنه يعلم ضعفه ، ويقال يشكره لأنه يعلم أنه لا يصح وقصده مخالفة ربه  
ولكنه يذنب لاستيلاء أحوال البشرية عليه من شهوات غالبة .

ويقال يشكره لأن العبد يعلم في حالة ذنوبه أن له رباً يفر له .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا يَجِبُ اللَّهُ الْجَهْرُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾

قول للظلم في ظالمة — على وجه الإنزله — ليس بسوء في الحقيقة ، لكنه يصح وقوع لفظة السوء عليه قوله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها »<sup>(١)</sup> والجزاء ليس سيئة .

ويقال مَنْ عَلِمَ أن مولاه يسمع استجيا من النطق بكثير مما تدعو نفسه إليه .

ويقال الجهر بالسوء هو ما تسمعه نفسك منك فيما تحدث في نفسك من مساواة الخلق ؛ فإن الخواص يحاسبون على ما يتحدثون في أنفسهم<sup>(٢)</sup> بما (يبد) لا يطالب به كثير من العوام فيما يسمع منهم الناس .

قوله : « إِلَّا مَنْ ظَلَمَ » : قيل ولا من ظلم . وقيل معناه ولكن مَنْ ظلمَ فله أن يذكر ظالمة بالسوء<sup>(٣)</sup> .

ويقال من لم يؤثر مدح الحق على القسح في الخلق فهو للشبون في الحال .

ويقال من طالع الخلق بعين الإضافة إلى الحق بأنهم عبيد الله لم ينسط فيهم لسان العوم ؛

(١) الآية ٤٠ سورة الشورى .

(٢) من ذلك ما يحكيه القشيري في كتابه « التعبير في التذكير » عن الشبلي حيث يقول : « قال بعضهم كنت مع الشبلي — رحمه الله — ففتح له بمخبر حسن فرب يكلم ميت فقال لي : كلف هذا الكلب بهذا المتدبل . وحدث إليه فقال لي قلت ما أمرتك به ؟ فقلت : لا . فلم يقل لي شيئاً فقلت له : ما سبب ذلك الذي أمرتني به ؟ فقال : عندما مروت به استغفرت واستقيمت ، فتوديت في سرى : ألسنا نحن خلقناه ؟ فأمرتك بذلك كفارة لما خطر لي » .

(٣) ربما كانت هذه اللفظة (يبد) زائدة ، أو سقطت (لا) قبلها فيكون معنى (لا يبد) لا يحجب ولا يتبرع (٤) من ابن عباس : إن الله لا يحب أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً فإنه قد أوحى له . وعن الحسن البصري يكنى أن يقول للظلم « اللهم أعني عليه واستخرج حق منه » وفي رواية عنه أنه قد أوحى له أن يدعو على من ظلمه من غير أن يمتدئ عليه .

يقول الرجل لصاحبه : « أنا أحتمل من ( . . . ) »<sup>(١)</sup> خدمتك حرمة لك مالا أحتمله من ولى ، فإذا كان مثل هذا ممهوراً بين الخلق فالعبد بمرعاة هذا الأدب — بينه وبين مولاه — أولى .

ويقال لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من العوام ، ولا يحب ذلك بخطوره<sup>(٢)</sup> من الخواص .

ويقال الجهر بالسوء من القول من العوام أن يقول في صفة الله ما لم يرْذُبه الإذن والتوفيق . والجهر بالسوء من القول في صفة الخلق أن يقول ما ورد الشرع بالمنع منه ، ويقول في صفة الحق ما لا يتصف به فإنك تكون فيه كاذباً ، وفي صفة الخلق عن الخواص ما اتصفوا به من النقصان — وإن كنت فيه صادقاً .

قوله « وكان الله حميماً علياً » : حميماً لأقوالكم ، علياً بعبوبكم ، يعنى لا تقولوا للأغيار ما تظنون أنكم بمثابةهم .

ويقال حميماً لأقوالكم علياً ببراءة ساحة من قَوْلَيْكُمْ عليه ، فيكون فيه تهديد للقاتل — لبرئى الساحة — بما يتقَوَّل عليه .

ويقال حميماً : أيها الظالم ، علياً : أيها المظلوم ؛ تهديد لهؤلاء وتبشير لهؤلاء .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَبَدُّوا خيراً أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوهُ ﴾

عن سوء ظن الله كان عفواً قديراً

« إن تبدوا خيراً » تخلفاً بأدب الشريعة ، وتخفوه تحقّقاً بأحكام الحقيقة .

« أو تعفوا عن سوء » أخذنا من الله ما نديكم إليه من محاسن الخلق .

« فإن الله كان عفواً قديراً » لميوبكم « قديراً » على تحصيل محبوبيكم وتحقيق مطلوبيكم .

ويقال إن تبدوا خيراً لنكونوا للناس قدوة فيما تُسُون وما تعينون غيركم على ما يهْدُون به من سلوك سُنتكم ، وإن تخفوه اكتفاه بلمه ، وصيانة لنفوسكم عن آفات النصنع ، وثقة

(١) مثبته .

(٢) أى ( بأن يخطر عليهم خاطر ) فتوبة العوام على التلق والتول وهتوة الخواص على ( الحاضر )

بأن<sup>(١)</sup> من تصلون<sup>(٢)</sup> له يرى ذلك ويصله منكم ، وإن تفنوا عن سوء أئ تذكروا ما تدعوكم إليه فروسكم<sup>(٣)</sup> فله يجازيكم بعفوه على ما فعلون ، وهو قادر على أن يتتليكم بما ابتلى به الظالم ، فيكون تحذيراً لهم من أن يغفلوا عن شهود البئة ، وتبليها على أن يستعينوا أن يسلبوا العصاة ، وأن يتخذوا حق يقوا في الفتنة والحنة .

ويقال إن تبدوا خيراً فتحسنوا إلى الناس ، أو تحفوه بأن تدعوا لهم في السر ، أو تفنوا عن سوء إن تخلصتم .

ويقال من أحسن إليك فأبد معه خيراً جبراً ، ومن كفاك شره فأخلص بالولاء والدعاء له سراً ، ومن أساء إليك فأعف عنه كراماً وفضلاً ؛ فنجذ من الله عفوه عنك عما ارتكبت ، فإن ذنوبك أكثر ، وهو قادر على أن يعطيك من الفضل والإنعام ما لا تصل إليه بالانتصاف من خصمك ، وما نجده بالانتقام<sup>(٤)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾  
ويريد أن يفرقوا بين الله ورسوله  
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر  
ببعض ويريدون أن يخفوا  
بين ذلك سبيلاً \* أولئك هم  
الكافرون حقاً وأعدنا للكافرين  
عذاباً مهيناً

همس عنهم أنهم أضلوا إلى قبيح كفرهم ما عد من ذم فعلهم ، ثم بين أنه

(١) أخطأ الناسخ فكتب ( لب )

(٢) مستدركة في الهامش ( تصلون ) لأنها في المتن ( تصلون ) وأصاب ما جاء في الهامش

(٣) إشارة التقدير هنا في حجة منا إلى تدبر ، فهو يبدأ أولاً بالنفس ، ثم ينتقل إلى الناس ، ذلك لأنه حسب ما نعرف منه يعتبر مراعاة مع نفسك هو المبدأ الأول الذي ينبغي أن تسلك فيه أهواءك وأطماعك ودعواتك ، هي أسمى أعنائك ، ثم تأتي من بعد ذلك علاقتك خارج نفسك أي مع الناس .

(٤) واضح من هنا مقدار ما جنت به الصوفية من رحابة الصدر ولين الجانب وساحة الطبع .

ضعاف<sup>(١)</sup> من عقابهم ما كان جزاء جرمهم ، لِيَتَّعِلَمَ أَنَّهُ لَأَهْلُ الْفَسَادِ بِالْمُرَادِ .  
قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا  
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ  
أُجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

لما آمنوا بجميع الرسل ، وصَدَّقُوا في جميع ما أُمِرُوا به استوجبوا القبول وحسن الجزاء .  
وتقاصر الإيمان عن بعض الأعيان كقصاصه عن بعض الأزمان ، فبما أنه لا يقبل إيمان من  
لم يستغرق إيمانه جميع ( . . . )<sup>(٢)</sup> إلى آخر ما به — كذلك لا يقبل إيمان من لم يستغرق  
إيمانه جميع ( من )<sup>(٣)</sup> أَمَرَ بالإيمان به ، إذ جعل ذلك شرط تحقيقه وكيله . فلإشارة في هذا أن  
من لم يخرج عن عهدة الإلزام بالكيفية فليس له من حقيقة الوصل شظية ، قال صلى الله عليه  
وسلم : « الحج عرفة »<sup>(٤)</sup> فن قطع للساق — وإن كان من فجع عميق — ثم بقي عن عرفات  
بأذن بقية لم يدرك الحج .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الْمَسْكَاتُ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ ذَرَمٌ »<sup>(٥)</sup>  
قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ  
عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا  
مُوسَىٰ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا

(١) وردت ( أضعاف ) وهي خطأ من النسخ ، ولا بد أن تكون ( الضعاف ) لأن جزاء الكافرين  
عذاب مهين وهو الأقل الذي يؤى الوصول بالذل الأخرى .

(٢) مثلية .

(٣) ترجيح أنها في الأصل ( ما ) أمر بالإيمان به متعاً ليس ، ويمكن أن تقبل ( من ) فهي أنها  
مرتبطة بالرسل .

(٤) « الحج عرفه من جاء قبل طلوع الفجر من ليلة فقد أدرك الحج أيام من ثلاثة فمن تسجل في يومين  
فلا إثم عليه و من تأخر فلا إثم عليه ( الامام أحمد في مسنده وأبو عدي في الكامل والحاكم في مستدرکه  
والبيهقي في السنن ) ٢/٣٥٨ منتخب كثر الدليل .

(٥) « المسكات عبد ما بقي عليه من كتابته شيء » .

مفتاح كنوز السنة (مادة التلق) للذكتور ا . فسنك ط لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلاميه ، ومراجعہ  
سنن أبي داود كتاب ٢٨ باب ١ وسنن ابن ماجه كتاب ١٩ باب ٣ وموطأ مالك كتاب ٣٩ ومسنن أحمد

٢ ص ١٧٨ ، ١٨٤ .

الله جبراً فَأَخَذَهُمُ الصَّاعِقَةُ  
يُظْلِمُهُمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْمِجْلَ مِنْ بَدَنِهِ  
مَا جَاءَهُمُ الْيَكِينُ فَضَعُونا عَنْ ذَلِكَ  
وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٩٧﴾

اشتملت الآية على جنسين من قبيح ما فعلوه : أحدهما سؤالهم الرؤية والثاني عبادة المجل بعد ما ظهرت لهم الآيات الباهرة .

فأما سؤالهم الرؤية فقدموا عليه لأنهم اقترحوا عليه ذلك بعد ما قطع عنهم بإقامة المعجزات ، ثم طلبوا الرؤية لا على وجه التعليم ، أو على موجب التصديق به ، أو على ما يحلهم عليه شدة الاشتياق ، وكل ذلك سوء أدب .

الإشارة فيه أيضاً أن مَنْ يكتفى بأن يكون المجل مبدؤه — متى — يعلم له أن يكون الحق مشهوده ؟

ويقال القوم لم يثبتوا العرفان أسرارهم فلذلك عكفوا بقولهم <sup>(١)</sup> على ما يليق بهم من محدود جوړوا أن يكون مبدؤهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾

حجة ظاهرة ، بل تفرداً صانته من التثليل والتعطيل .

والسلطان المبين التحصيل والتنزيه المانع من التعطيل والنشيه .

ويقال السلطان المبين القوة بسماح الخطاب من غير واسطة .

(١) هنا كلام له أهمية قصوى في تحديد مدى تقدير التشبهي بقيمة العقل .

فنحن نعرف من مذهبه في المعرفة أن العقل يؤول عليه فقط في البداية ، يقول في رسالته من ١٩٧ ( نجح البداية بتصبح اعتقاد بين البد وبين الله تعالى صاف عن الظنون والشبه خال من الغلال والبدع صادر عن البراهين والحجج ) ولكن العقل يبدؤ في جذر بمواساة الصعود إلى ما هو أعلى من ذلك لأنه يصاب بأفات ( التجوز والتجبر والتوم والتصد ) ويخطئ في العقل من الملكات الأخرى وهي القلب والروح والسر وعين السر أو سر السر أن تواصل التصود نحو القدر العليا . فما أشبه الذين يريدون تطبيق الوسائل العقلية على الربوبية بمن عبدوا المجل ! وعكفوا بقولهم على المحدود !

ويقال السلطان المين لهذه الأمة غداً ، وهو بقاؤهم في حال لغائهم — قال صلى الله عليه وسلم : « لا تضامون في رؤيته » <sup>(١)</sup> — في خير الرؤية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

ما زادهم في الظاهر آية إلا زادوا في قلوبهم جحداً ونكراً ، فلم تنفعهم زيادة نصيب الإعلام ، لما لم تنفتح لشهودها بصر قلوبهم ، قال تعالى : « وما تنقى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَيْسَيرَ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

منه لا ارتكابهم هذه المنهى ، ولا تصافهم بهذه المخازى ، أحطتاهم منازل الهوان ، وأنزلناهم من العقوبة فنون الألوان .

ويقال لِقَقَمَهُمْ شَوْمُ المخالفات حالة بعد حالة ، لأن من عقوبت الملعن انغلغلان لغيرها من ارتكاب المنهى ، فَيَنْقُضُهُمُ الميثاق ، ثم لم يتوبوا ، جرَّم إلى كفرهم بالآيات ، ثم لشؤم كفرهم خذلوا حتى قتلوا أنبياءهم — عليهم السلام — بغير حق ، ثم لشؤم ذلك تجلسروا حتى ادَّعُوا شدة التفهم ، وقالوا : قلوبنا أوعية العلوم ، فردَّ الله عليهم وقال : « بل طبع الله عليها بكفرهم » فَجَبَّهَهُمْ عن محلِّ المرطان ، فسهبوا في ضلالتهم .

(١) « ... إنسج سترون وېنګ کا تړون هذا القمر »

البخارى كتاب ٩ باب ١٥ و ٣٦ و كتاب ٦٥ سورة ٤ مفتاح كنوز السنة ص ٥٧

(٢) آية ١٠١ سورة يونس



قوله جل ذكره : ﴿ وَكَفَرِمَ وَقُولِمَ عَلَى مَرْيَمَ بَهَانَا

عَظِيماً ﴾ وقولهم إنا قتلنا المسيحَ

عيسى ابن مريم رسولَ الله وما قتلوه

وما صليُّوه ولكن شبهَ لم وإنَّ

الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه

ما لهم به من علمٍ إلا اتِّبَاعَ

الظنِّ وما قتلوه يقيناً ﴾ بل رُفِهُ الله

إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴿

بجائزة الحدِّ ضلالٌ ، كما أن النقصانَ والتقصيرَ عن الحقِّ ضلالٌ ، قومٌ <sup>(١)</sup> تقولوا

على مريم ورموها بالزنا ، وآخرون جاوزوا الحدَّ في تعظيمها فقالوا : إنها ابنُ الله ، وكلا

الطائفتين وقعا في الضلال .

ويقال مريم — رضى الله عنها — كانت وليَّةَ الله ، فَشَقِيَ بها فرقتان : أهل الإفراط

وأهل التفريط . وكذلك كان أولياؤه — سبحانه — فَنَسَكِرْتُمْ بِشَقِي بِفِرْكَ إِحْتِرَامِهِمْ ،

والذين يمتدحون فيهم مالا ينجوبونه يَشَقُّونَ بِالزَّيَادَةِ فِي إِعْظَامِهِمْ ، وعلى هذه الجملة درج

الأكثر من الأكابر .

قوله تعالى : ﴿ وَقُولِمَ إنا قتلنا المسيحَ عيسى ابن مريمَ رسولَ الله وما قتلوه ... يقيناً بل

رُفِهُ الله .

قوله تعالى : ﴿ وما صليُّوه ولكن شبهَ لم ... عزيزاً حكيماً ﴾ قبل أوقع الله شبهَ <sup>(٢)</sup>

على السامع به فقتلَ وصليبَ مكانه ، وقد قيل : مَنْ حَفَرَ بَئِراً لِأَخِيهِ وَقَعَ فِيهَا <sup>(٣)</sup>

(١) أخطأ الناسخ فكتبها ( قوموا ) .

(٢) وردت ( شبه ) بإثاء المربوطة والصواب ( شبه )

(٣) اختار ابن جرير أن شبه عيسى ألقى على جميع أصحابه ، وكانوا اثني عشر رجلاً ( ذكر أسماءهم )  
ومنهم ليودس زكريا يوطا . ويقول ابن اسحق ( نثلاً عن رواية نصرانية ) أن ليودس مقابل ثلاثين درهماً  
هو الذي دل الأعداء على عيسى بأن قُتِلَ ساعة دخولهم مأخذوه فصليَّوه . انتهت الرواية .

تطبيق : هذه الرواية التي اعتمد عليها ابن اسحق تنفق مع ما جاء في الأنجيل الأربعة وليودس معنا هو  
يهوذا الاسخريوطي .

وقيل إن عيسى عليه السلام قال: مَنْ رَضِيَ بَأَن يُلْقَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فَيُقْتَلَ دُونَ فِئَةِ الْجَنَّةِ ،  
فَرَضَى بِهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ <sup>(١)</sup> ، فيقال لِمَا صَبَرَ عَلَى مَقَاوِدِ التَّلَفِّ لَمْ يَصِدْمَ مِنْ اللَّهِ الْخَلْفَ <sup>(٢)</sup> ،  
قال الله تعالى : « إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عِلًّا » <sup>(٣)</sup> .

ويقال لِمَا صَحَّتْ صِحَّةُ الرَّجُلِ مَعَ عِيسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — بِنَفْسِهِ صِحَّةَ بَرُوحِهِ ، فَلَمَّا  
رُفِعَ عِيسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — إِلَى مَحَلِّ الزَّلْفَةِ ، رَفَعَ رُوحَ هَذَا الَّذِي فَدَاهُ بِنَفْسِهِ  
إِلَى مَحَلِّ الْقَرْبَةِ <sup>(٤)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا ﴾

به قبل موته ، ويوم القيامة يكون

عليهم شهيدا ﴿

لما حكم بأن لا أمانَ لهم في وقت اليأس لم ينفعهم الإيمان في تلك الحالة ، فقلَّ أن العبرة  
بأمان الحق لا بإيمان العبد .

قال جل ذكره : ﴿ قَبِضْهُمْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَفًا ﴾

عليهم طيِّبَاتٍ أَحَلَّتْ لَهُمْ وَبَسَدَتْ لَهُمْ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا \* وَأَخَذَهُمُ

الرَّبُّ وَقَدْ شُؤُوا عَنْهُ وَأَكْثَرَهُمْ أَمْوَالٌ

النَّاسِ بِالْبَاطِلِ يَعْتَدِنَا فَكَافِرِينَ

منهم عذاباً ألياً ﴿

(١) عن ابن اسحق عن رجل كان نصرانياً وأسلم أنه ذكر له أن عيسى حين جاءه من الله إلى رافقه  
قال يا مسير الحواريين : أياكم يجب أن يكون رفيق في الجنة حتى يشبه القوم في صورتي فيقتلوه في مكان  
فقال أهدم واسم سرجس . أنا يا روح الله . قال : فاجلس لي اجلس لي جلس فيه ، ورفع عيسى ( هم )  
فدخلوا على سرجس وصلبوه .

وفي رواية لسعيد بن جبيرة عن ابن عباس اتفاق كبير مع ذلك دون ذكر اسم ( سرجس ) .

(٢) أخطأ الناسخ إذ قلبها ( الحق ) بإتفاف .

(٣) آية ٣٠ سورة الكهف .

(٤) في تمييز القشيري ذكره ، في حالة عيسى قال ( رفع ) دون أن يحدد كيفية الرفع ، أيا الجسد أم بالروح  
أم بهما معاً ، وفي حالة الثاني قال ( رفع روحه ) ، ونظم — من حيث المصطلح — أن الزلة أقوى من القرينة .

يقال ارتكاب المحظورات يوجب تحريم للبآحات .  
 قُنْ رَكِبَ عَظُورًا بَظَاهِرِهِ حُرْمٌ <sup>(١)</sup> ما كان يجده من الأحوال للباحة ، والألطف الحاصلة  
 في سرائره .

قوله جل ذكره : \* لَكِنَّ الرَّاخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ  
 وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ  
 وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ، وَالْمُقِيمِينَ  
 الصَّلَاةَ ، وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالْمُؤْمِنُونَ  
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ  
 أَجْرًا عَظِيمًا \*

الراسخ في العلم هو ألا يكون في الدليل مُقْلَدًا ، كما لا يكون في الحكم مُقْلَدًا ، بل يضع  
 النظر موضعه إلى أن ينتهي إلى حد لا يكون للشك في عقله مساح .

ويقال الراسخ في العلم من يرتقى عن حد تأمل البرهان <sup>(٢)</sup> ويصل إلى حقائق البيان .

ويقال الراسخ في العلم أن يكون بعلمه ما لا حتى يفيد عمله علم ما خفي على غيره ، ففي الغلج :  
 « من عمل بما علمه ودره الله علم ما لم يعلم » <sup>(٣)</sup> .

وخص « المقيمِينَ الصلاة » في الإعراب فَصَّصَ اللفظ بإضمار أعنى على المسح لما للصلاة  
 من التخصيص من بين العبادات لأنها تالية الإيمان في أكثر المواضع في القرآن ، ولأن الله

(١) أغلج الناسخ حين كتبها ( جرم ) بالجيم والصواب أن تكون بالخاء لا ارتباطها بتحريم الباحات  
 فيما سبق .

(٢) أى يبنى ألا يتكف الانسان على الغل وحده بل عليه أن يرتقى من هذا الحد .

(٣) راجع الحامش الذى يتناول هذه القضية من هذا الكتاب (

(٢) أو رده أبو نعيم في حلية الأولياء عن أنس بن مالك .

ويرى أبو نصر السراج أن هذا العلم الموروث هو علم الاشارة ، فيكشف الله سبحانه لتلوياً صفاته العاني  
 المخلوقة ، والطاقات والأسرار الخفية وغرائب العلوم وطرائف الحكم في معاني القرآن ... إلخ من ١٤٧  
 (كتاب المستنبطات) .

— سبحانه — أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (بها) <sup>(١)</sup> ليلة المراج بنجر واسطة جبريل عليه السلام ... وغير هذا من الوجوه .

قوله تعالى « أَجْرًا عَظِيمًا » : الأجر العظيم هو الذي يزيد على قدر الاستحقاق بالعمل .

قال جل ذكره : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا

إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا

إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ

وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا

دَاوُدَ زُيْنًا ۚ

إفراد النبي صلى الله عليه وسلم من الأنبياء بالإيمان لإفرادهم بالتخصيص والفضيلة ؛ فأفرد نوحاً على ما استحقه من المقام وأفرد رسولنا عليه السلام على ما استحقه هو ، فأشركا في الأفراد لكنهما تباينا في الفضيلة على حسب المقام ، ففرد واحد من بين أشكاله بنجر فضائل ، وفرد آخر من بين أضرابه <sup>(٢)</sup> بألف فضيلة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ

وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ

مُوسَى تَكْلِيمًا ۚ

سنة الله في أوليائه سر قوم ، وشهر قوم ، وبذلك جرت سنة أيضاً في الأنبياء عليهم السلام — أظهر أسماء قوم وأجل تفصيل آخرين . والإيمان واجب بجميع الأنبياء جملة وتفصيلاً ، كما أن الاحترام واجب لجميع الأولياء جملة وتفصيلاً ، وكذلك أحوال العباد سر عليهم بعضاً وأظهر لهم بعضها ، فما أظهرها لم — طالبهم بالإخلاص فيها ، وما سترها

(١) إضافة وضعتها ليتأكد الحق .

(٢) وردت (أغرايه) بالحاء وهي خطأ في السسخ والمصواب (أضرابه) أي (أشكاله) التي سبقت ، والفترة كلها غير واضحة ، وقد أتبناها كما هي .

عليهم — فلا تَغَارُ<sup>(١)</sup> على قلوبهم من ملاحظة أحوالهم تأهيلاً لهم للاختصاص بمقتضى  
أفردم بمانيها .

« وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا » : إخبار من تخصصه إياه باستماع كلامه بلا واسطة .

قوله جل ذكره : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾

وَقَدْ انْطَلَقَ عِنْدَ مُقَادِيرِهِمْ ؛ وَبَيَّنَّ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ فَتَفَرَّدُوا عَلَيْهِمْ إِلَى اجْتِنَابِ  
ثَوَابِهِمْ ، وَاجْتِنَابِ مَا فِيهِ اسْتِحْقَاقُ عَذَابِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْخَلْقِ سَبِيلٌ إِلَى رَاحَةٍ يَطْلُبُونَهَا  
وَلَا إِلَى آفَةٍ يَجْتَنِبُونَهَا إِذَا فِي الْحَالِ أَوْ فِي الْمَالِ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْتَ لَا يَكُونَ لِنَاسٍ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ

الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

أَنَّهُ يَكُونُ لِمَنْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ؟ وَلَكِنَّ اللَّهَ خَاطِبُهُمْ عَلَى حَسَبِ عَقُولِهِمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ

بِعِلْمِهِ وَاللَّامِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى

بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾

سَلَامَ اللَّهِ مِنْ تَكْذِيبِ انْطِلَاقِ إِيَّاهُ بِمَا ذَكَرَهُ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ بِصِدْقِهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ : « وَكَفَى

بِاللَّهِ شَهِيدًا » .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا \* إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ

لِيُغَيِّرَهُمْ . وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقًا \*

إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ،

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾

---

(١) من أُنِيَ مَرِيَّةً قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : إِنْ أَقْبَضَ وَإِنْ بَارَ وَإِنْ أَمِنَ بِغَارٍ وَطِيعَةٍ أَوْ تَمَالَى أَنْ  
يَأْتِيَ الْبَيْتَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَمَالَى عَلَيْهِ ، الرِّسَالَةُ ص ١٢٦ وَقَالَ الْفَتْحِيُّ : إِذَا وَصَفَ الْحَقَّ بِسَبْعَانِ بِالْبَرَةِ  
فَعَنَاهُ أَنَّهُ لَا يَرْضَى بِمُشَارَكَةِ الْغَيْرِ مِنْهُ فِيهَا هُوَ حَقٌّ لَهُ مِنْ طَاعَةِ عِبْدِهِ . ( الرِّسَالَةُ نَسَبُ الصَّفْحَةِ ) .

جلل صدم المؤمنين (من) <sup>(١)</sup> اتباع الحق نظير كفرهم بالله ، والله تعالى عظم حقوق أوليائه كتنظيم حق نفسه ، ثم قال : « إن الذين كفروا وظلموا » جل ظلمهم سبل كفرهم ، فعلق استحقاق العقوبة المؤبدة عليها جميعاً . والظلم — وإن لم يكن كالكفر في استحقاق وعيد الأبد — فليشؤم الظلم لا يبعد أن ينفذه الله حتى يوافق ربه على الكفر .

قوله جل ذكره ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

« يا أهل الكتاب » : أخبر أنه سبحانه غنى عنهم ، فإن آمنوا فخطوط أنفسهم اكتسبوها وإن كفروا <sup>(٢)</sup> فبلاياهم لأنفسهم اجتلبوها . والحق — تعالى — مزره الوصف عن (الجل) <sup>(٣)</sup> لوافق أحده ، والنقص لخلاف أحد .

قوله : « وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض » يعني إن خرجوا عن استعمال المبودية — فلا ، لم يخرجوا عن حقيقة كونهم عبيده — خلقاً ، قال تعالى : « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً » <sup>(٤)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَذَّبْتُمْ أَفْعَالًا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحَ بَنِيهِ

(١) ربما كانت (من) فهكذا في الآية الكريمة .

(٢) في النسخة (وإن لم تكفروا) ولكنها مصححة باستدراك في الهامش (وإن كفروا) وهو الأصوب .

(٣) نرى أن الناسخ قد أخطأ في نقل هذه الكلمة قال من طاعة للتشبيح في مثل هذا السياق أن يذكر أن طاعة المطيع ليست زبنا لحق ؛ ومصية المأمي ليست شيناً له ، لأجل هذا يرجح أن العبارة هنا تستقيم لو كانت ( والحق تعالى مزره الوصف عن السكال لوافق أحد وعن النقص لخلاف أحد ) .

(٤) آية ٩٣ سورة مريم .

فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً  
 إِنَّهُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ  
 سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِي  
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ  
 وَكِيلًا .

عُلُوُّهُمْ فِي دِينِهِمْ جَرُّهُمْ عَلَى مَقْضَى حِسَابِهِمْ ؛ حَيْثُ وَصَفُوا - بِمِثَابَةِ الْخَلْقِ -  
 مَبُودَمَ ، ثُمَّ مَنَاقِضَتِهِمْ ؛ حَيْثُ قَالُوا الْوَاحِدَ ثَلَاثَةً وَالثَّلَاثَةَ وَاحِدًا<sup>(١)</sup> ، وَالْمَادَى فِي الْبَاطِلِ لَا يَزِيدُ  
 غَيْرَ الْبَاطِلِ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَنْ يَسْتَنْفِكَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ  
 عَقِيدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ  
 وَمَنْ يَسْتَنْفِكَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرُ  
 تَسْتَحْشِرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ  
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ  
 أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴿

كَيْفَ يَسْتَنْفِكَ عَنْ عِبُودِيَّتِهِ وَبِالْعُبُودِيَّةِ شَرُّهُ ، وَكَيْفَ يَسْتَكْبِرُ عَنِ التَّنْذِيلِ  
 وَفِي اسْتِكْبَارِهِ تَكَلُّهُ ، وَلِهَذَا الشَّانُ نَطَقَ الْمَسِيحُ أَوَّلَ مَا نَطَقَ يَقُولُهُ : إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ، وَنَجْمِلُ الْعَبِيدِ  
 فِي التَّنْذِيلِ لِقَادَةِ ، هَذَا مَعْلُومٌ لَا تَسْخُطُ رِيَّةُ<sup>(٢)</sup> .

وقوله : « وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ » لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْمَسِيحِ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا خَاطَبَهُمْ  
 عَلَى حَسَبِ مَقَائِدِهِمْ ، وَالْقَوْمُ اعْتَقَدُوا تَفْضِيلَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى بَنِي آدَمَ .

(١) الثَّلَاثَةُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَقْصُودًا مِنْهَا : اللَّهُ وَالْمَسِيحُ وَمَرْيَمُ ، وَإِمَّا - كَمَا وَرَدَ فِي الْأَنْجِيلِ - الْأَبُ  
 وَالابْنُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ ، وَسَاءَ انْتَصَرَفَتْ إِلَى هَؤُلَاءِ أَمْ إِلَى أَوَّلِكَ فَإِنَّهُ شَرَكُ تَوَلَّى الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ  
 تَقْلِيدَهُ فِي مَوَاضِعَ شَقِ .  
 (٢) وَوَدَّتْ ( رِيَّةً ) وَلَا نَحْسِبُ أَنَّ لَهَا مَعْنَى هُنَا . وَتَوَجَّعَ أَنَّهَا فِي الْأَصْلِ ( رِيَّةً ) أَيْ هَذَا مَعْلُومٌ  
 لَا شَكَّ فِيهِ .

قوله جل ذكره : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكَفَرُوا

فَيَسْتَنْبِهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُم

مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾

العذاب الأليم ألا يصلوا إليه <sup>(١)</sup> أبدًا بعدما عرفوا جلالة ، فإذا صارت معارفهم ضرورية <sup>(٢)</sup>  
فإنهم يعرفون أنهم عنه بقوا <sup>(٣)</sup> ، فحسراتهم حينئذ على ما فاتهم أشد عقوبة لهم .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

البرهان ما لاج في سرائرهم من شواهد الحق .

قوله جل ذكره : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُم نُورًا مِّبْنًا﴾

وهو خطابه الذي في تأملهم معانيه حصول استبصارهم .

قوله جل ذكره : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ واعتصموا به

فسيدخلهم في رحمة منه وفضل

« سيدخلهم في رحمته » : والسين للاستقبال أى يحفظ عليهم إيمانهم في المال <sup>(٤)</sup> عند

التوفى ، كما أكرمهم بالعرفان والإيمان في الحال .

قوله جل ذكره : ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

---

(١) أى يقطع بينهم وبين رؤيته سبحانه ، وفى هنا يقول ذو النون ( خوف النار إذا قيس إلى  
خوف اللطم عن المحبوب كقطرة الماء تغلف في أعظم المحيطات .

ويقول بعضهم : إلهي إذا شئت أن تعذبى فألقى في النار ولا تعذبى يذل الحجاب .

(٢) قلنا من قبل في هامش سابق - نقلا عن مذهب النشورى : إن المعرفة في البداية كسبية

وفى الانتهاء ضرورية ، ومن الكلام هنا أنهم يعمرون من أعظم الأشياء متعة بد ما لاحت لهم بعض  
المعارف . . وذلك غاية في التعذيب .

(٣) عنه بقوا ( لبقاء عن الله سبحانه أشد أنواع العذاب .

(٤) سقطت ( بالله ) من الناسخ فأثبتناها في موضعها .

(٥) وردت ( المال ) ويلزم وضع المدحلى الآف لتسكون ( المال ) وقد تكرر هذا في مواضع

كثيرة فيما سبق .



هذه الهداية هي إكرامهم بأن عرفوا أن هذه الهداية من الله لم فضل لا لأنهم استوجبوها بطلبهم وجهدهم ، ولا بنمبهم وكدهم<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ

إِنْ أَمْرٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ

فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ

فَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ ، وَإِنْ كَانُوا

إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ

حَظِّ الْأُنثَيْنِ ، يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ

تَفْضِلُوا وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴾

قطع الخصومة بينهم في قسمة<sup>(٢)</sup> لليراث فيما أظهر لهم من النص على الحكم ، فإن للمال محبة إلى الإنسان ، وجبكت النفوس على الشئ ؛ فلو لم ينص على مقادير الاستحقاق ( لقابطة الاشياء )<sup>(٣)</sup> في الاجتهاد ، فكان يؤدي ذلك إلى التجاذب والتواشب ؛ فحسم تلك الجلة بما نص على المقادير في اليراث قطعاً لخصام . ولتوريثه للنسوان — وإن لم يوجد منهن الذب عن العشرة — دلالة على النظر لضعفهن . وفي تفضيل الذكور عليهن لما عليهم من تحلو<sup>(٤)</sup> المؤن وكذا السى في تحصيل المال ، والقيام عليهن .

(١) يهدف التشيى دائماً إلى أن يعود بكل شيء إلى فضل الله ، وأن يشعر العبد دائماً بأن عمله ليس وحده كافيًا لنجاة . فإذا طالع العبد نفسه في شيء ما في ذلك وبال عليه .

(٢) وردت ( بالصاد ) والمواب أن تكون بالسين ، وربما كانت ( قسمة ) في الأصل .

(٣) هكذا في القسمة ( س ) وزجج أنها في الأصل ( لقابطة الاشياء ) في الاجتهاد أى ان النص على الموازاة ازال كل اشتباه ينجم عن الاجتهاد .

(٤) وردت ( يحمل ) وزجج أنها في الأصل : ( حل ) قبلها جار .

( حاشية ) لم يشرع التشيى لمق ( الكلاله ) ولقد كنا نود لو أوضح الرأى فيها ، خصوصاً وأن موضوعها منهم ، وتسمى هذه الآية الأخيرة من سورة النساء بآية الصيف ، قال الإمام أحد : حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك بن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلاله فقال : « يكلك آية الصيف » فقال لأن أكون سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها أحب إلى من أن يكون لي حر النعم .

## السورة التي تذكر فيها المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

تَمَلَّحْ اسمَ اللهِ يُوجِبُ الهَيْبَةَ ، (والهَيْبَةُ) <sup>(١)</sup> تتضمنُ الفناءَ والغبيةَ ، وسماعُ الرحمنِ الرحيمِ  
يرجِبُ الحضورَ والأوبةَ ، والحضورُ يتضمنُ البقاءَ والقريةَ .

فإنَّ اسمَهُ « بسمِ الله » أحدثُ في كشفِ جلالِهِ ، ومنَّ اسمُهُ « الرحمنِ الرحيمِ » عَيْشَهُ  
يَلْمُظِرُ أَفْضَالَهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾

« يا » حرفُ نداءٍ ، و « أي » اسمُ منادى ، « ها » تنبيهٌ ، و « الذين آمنوا » صلةٌ  
للمنادى . ناداهم قبل أن يدام ، وسمَّاهم قبل أن يراهم ، وأَهْلَهُمْ في آزالِهِ لِمَا أَوْصَلَهُمْ إِلَيْهِ  
في آيادِهِ .

شَرَّفَهُمْ بقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » ، وكَلَّفَهُمْ بقوله « أَوْفُوا » ، وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ التَّكْلِيفَ  
يوجبُ المشقةَ قَدَّمَ التشريفَ بالثناءٍ على التَّكْلِيفِ الموجِبِ لَعَنَاءٍ .

ويقالُ الإيمانُ صنفانُ : أحدهما يَشِيرُ إلى عينِ الجودِ ، والثاني إلى بذلِ المجهودِ .  
قَبْلُذُلُ المجهودِ خِدْمَتُكَ ، وعَيْنُ الجودِ قِسْمَتُهُ ؛ فَيَخْدُمُكَ عَنَاءُ الأشْيَاعِ ، وَيَقْسِمُهُ  
ضِيَاءُ الأرواحِ .

وحقيقةُ الإيمانِ تحققُ القلبَ بما أخبرَ من النيبِ .

ويقالُ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » : يَا مَنْ دَخَلُوا في إيمانِي ، ما وَصَلْتُمْ إلى أمانِي إلا بِسابقِ إحسانِي .

ويقالُ يَا مَنْ فَتَحْتُ بِصِدْقِهِمْ لشهودِ حقِّي حتى لا يكونوا كمن أَعْرَضْتُ عَنْهُمْ مِنْ خُلُقِي .

---

== وذكر الإمام أحمد بإسناد آخر أكثر صحة مما سبق .

ومن الأقوال التي ذُكرت عن الكَلالةِ أنها مأخوذة من الإكْثالِ الذي يحيطُ بالراس من جوانبه  
ولهذا فسرها أكثرُ العلماءِ بمن يموتُ وليس له ولدٌ ، ومن الناس من يقولُ الكَلالةُ من لا ولدَ له كما دلَّتْ  
عليه الآيةُ ( إنْ أَمَرْتُ هَكَذَا لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ) .

(١) استغناءً لأن السياقَ يستدعيها ، إذ يرجحُ أنها سقطت في النسخِ .

قوله جل ذكره : ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾

كُلُّ مُكَلَّفٍ مُطَالَبٌ بأوفائه بقضائه ، والحمد ما أئزمتك بسابق إيجابه ، ثم وَقَفَتْ — بعدما أظهرت عند خطاب — بجوابه <sup>(١)</sup> ، فأنيرم العقد بمصول الخطاب ، والقبول بالجواب .  
ويدخل في ذلك — بل يلتحق به — ما عَقَدَ القلبُ معه مِرًّا سِرًّا ؛ من خلوص له  
أخبره ، أو شيء تبينه ، أو معنى كوشف به أو طوبى به فقيهه .  
وقال الوفاء بالمهد بصفاء القصد ، ولا يكون ذلك إلا بالتبرئ من اللئنة ، والتحقق  
بتولى الحق — سبحانه — بطلائف اللئنة <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿أَحِلَّتْ لَكُم بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَى

عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾

تحليل بعض الحيوانات وإلحقتها من غير جُرْمٍ سَبَقَ منها ، وتحريم بعضها وللنع من ذبحها  
من غير طاعة حصلت منها — دليل على الأمانة .  
وحرم الصيد على للحُرْمِ خصوصاً لأنَّ للحُرْمِ متجردٌ من نصيب فسه بقضائه إليه ،  
فالائق بصفاته كُفَّ الأذى عن كل حيوان .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ مَا يَرِيدُ﴾

لا حَجَرَ عليه في أفعاله ، فيخص من يشاء بالتعص ، ويفرد من يشاء بالوحي ؛ فهو مُعْضَى  
الأمور في آفاده على حسب ما أراد وأخير وقضى في آزاله .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شِمَارَ اللَّهِ﴾

الشمار معالم الدين ، وتنظيم ذلك وإجلاله خلاصة الدين ، ولا يكون ذلك إلا بالاستسلام  
عند هجوم التقدير ، والترام الأمر بمجمل الاعتناق ، وإخلال الشمار (يكون) بالإخلال بالأوامر .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ

وَلَا الْقُلَادَ﴾

(١) يشير التثنية إلى قوله تعالى يوم القدر : «ألمست بربكم؟ قلوا بلى» .

(٢) يفرق التثنية بين اللئنة للمبد وللئنة للحق .

تنظيم المسكن الذي عظمه الله ، وإكرامُ الزمان الذي أكرمه الله . وتشريف الإعلام على ما أمر به الله — هو المطلوب من العبيد أماً ، والمحبوب منه حلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَنْتَوْنَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرَضَوَانَا ﴾

وبالحري لمن يقصد البيت ألا يخالف رب البيت .

والابتناء الفضل والرضوان بتوقُّ موجبات السخط ، وبجانبه الصيَان .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا حُطِّمَ فَاصْطَلُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدَّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾

وإذا خرجتم عن أمر حقوقنا فارجعوا إلى استجلاب حظوظكم ، فأما ما دمنتم تحت قهر بطشنا فلا نصيب لكم منكم ، وإنكم لنا .

قوله « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ . . . » أى لا يجعلكم بنصُّ قَوْمٍ لأنهم صدَّكم عن المسجد الحرام على ألا تجاوزوا حدَّ الإذن في الانتقام ، أى كونوا قائلين بنا ، متجردين من كل نصيب وحظٍّ لكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ .

البرُّ فعلٌ ما أمرت به ، والتقوى تركٌ ما زُجرت عنه .

ويقال البرُّ إينار حقه — سبحانه ، والتقوى تركُ حُظِّك .

ويقال البرُّ موافقة الشرع ، والتقوى مخالفة النفس .

ويقال للمعاونة على البرِّ بِحُسْنِ النصيحة وجيل الإشارة للؤمنين ، وللمعاونة على التقوى

بالتبضُّ على أيدي الخطائين بما يقتضيه الحال من جيل الوعظ ، وبلغ الزجر ، وعام المنع على ما يقتضيه شرط العلم .

والمعاونة على الإثم والدَّوَانِ بأن تعمل شيئاً عما يقتدى بك لا يرضاه الدِّين ، فيكون قولك الذي فعله ويقتدى بك ( فيه ) سُنَّةٌ تظهرها و( عليك ) نبوٌ وزرّها . وكذلك المعاونة

على البر والتقوى أى الاتصاف بجميل الخصال على الوجه الذى يُقْتَدَى بك فيه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

المقوية ما تنقب الجرم بما يسوء صاحبه . وأشد المقوية حجب العُصَابِ عن شهود العُصَابِ ؛ فإنَّ تَجْرِيعَ كاساتِ البلاء بشهود السُّبُلَى أحمى من المسل والشهد .

قوله جل ذكره : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالْمُتَّمِّ وَلَحْمُ الْخُزْزِيرِ ﴾ .

وأكل الميتة أن تناول من عَرَضَ أخيك على وجه النية<sup>(١)</sup> ، وليس ذلك بما فيه رخصةٌ بحالٍ لا بالأضطرارٍ ولا بالاختيارٍ ، وغير هذا من النَّبَيْتَةِ مباحٌ فى حالِ الضرورة .

ويقال كما أنَّ فى الحيوان ما يكون المزكى منه مباحاً والميتة منه حراماً فكذلك من ذبح نفسه بسكاكين المجاهدات وطهرَّ نفسه — بمُيَاسٍ قربه ؛ لحلال صحبته . ومن ماتت نفسه فى ظلمة غفلته حتى لا إحساس له بالأمور الدينية فخيئته نفسه ، محظورُ قُربِهِ ، حرام معاشرته ، غيرُ مباركةٍ صحبته .

وإنَّ السلف سموا الدنيا خنزيرة ، ورأوا أنَّ ما يُلْهِمى قُربَهُ ، ويُغْنِي للعبود ركونه ، ويحصل على المصيان جنوحه — فهو مُحَرَّمٌ على القلوب ؛ فى طريقة التوم حبُّ الدنيا حرامٌ على القلوب ، وإن كان إمساكُ بعضها حلالاً على الأبدان والنفوس .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا أُحِلَّ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ ﴾ .

كما أنَّ للذبوح على غير اسمه ليس بطيبٍ قَبْلَ بَذْلِ رُوحِهِ فيه وَجَدَ رُوحَهُ منه ، ومن تهاشته كلاب الدنيا ، وقتله غالب الأطباع ، وأسْرَتْهُ مطالبُ الأغراض والأعراض — حرامٌ ماله على أهل الحقائق فى منجبه التمزز ، فكلَّ شَيْءٍ الظرف والتقدير .

وأما المنخنقة فالإشارة منه إلى اقصى ارتباك فى جبال المنى والغرائب ، وأخفه خناقٌ

(١) يشير القشيري بذكره إلى قوله تعالى : « أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ... » .

الطبع ، وخففته سلاسل (الحرس) <sup>(١)</sup> لحرام على السالكين سلوك خطهم ، وعظوم المريدن متابة منهم .

وأما الموقوفة بالإشارة منها إلى قوس جُبلت على طلب الطائس حتى استملكها كلها فهي التي ذهبت بلا عرض حصل منها ، وأمثال ذلك حرام على أهل هذه القصة .

والإشارة من المتردية إلى من هلك في أودية التفرقة ، وعى عن استبصار رشد الحقيقة ؛ فهو يجم في مفاوز الظنون ، وينهك في متاعلات المني .

والإشارة من النطيجة إلى من صارَعَ الأمثال ، وقارع الأشكال ، وناطح كلاب الدنيا فخطوه بكلب حرصهم ، وهزموه بزيادة تسكيبهم ، وكذلك الإشارة من :

قوله جل ذكره : ﴿ وما أكل السبع إلا ما ذكَّيْتُمْ ﴾ .

وأكلة السبع ما ولدت فيه كلاب الدنيا ، فإن الدنيا جيفة ، وأكلة الجيف الكلاب ويستقى منه الزكي وهو ما تحرر من متاع الدنيا لله ؛ لأن زاد المؤمنين من الدنيا : ما كان لله فهو محمود ، وما كان للنفس فهو مذموم .

قوله جل ذكره : ﴿ وما ذُبحَ على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ .

فهو ما أُرصد لنهر الله ، ومقصود كل حريمي — بموجب شرعه — معبوده من حيث هواه قال الله تعالى . « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » يعني اتخذ هواه إلهه .

« وأن تستقسموا بالأزلام » ، الإشارة منه إلى كل معاملة ومُصاحبة يُنبت على استجلاب المخطوط الدنيوية — لا على وجه الإذن — إذ القار ذلك مناه . وقُلَّت المعاملات المجرّدة عن هذه الصفة فيما نحن فيه من الوقت .

قوله جل ذكره : ﴿ ذلِكُمْ فَسُقْ ﴾

أى إيثار هذه الأشياء اسلاخ عن الدين .

---

(١) وردت (الحرس) وهي خطأ في النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ اليوم يَلْسُ الذين كفروا من

دينكم فلا تخشونهم واخشون ﴾

أى بعدما أزعجهم عن قلوبكم آثار الحسبان ، وتحقق بأن للتفرد بالإبداع نحن ، فلا تلاحظوا سوى ، ولا يطلن قلوبكم إشفاق من غيرى .

ويقال إذا كانت البصائر متحققة بأن النفع والضرر ، والخير والشر لا تحصل شظية منها إلا بقدر الحق — سبحانه ، فمن الحال أن تنطوى — من مخلوق — على رغب أو رهيب .

قوله جل ذكره : ﴿ اليوم أكلت لكم دينكم ﴾

إكمال الدين — وقد أضافه إلى نفسه — صوته العقيدة عن النقصان ؛ وهو أنه لما أزعج هوب المتفرقين لطلب توحده أكلها بأنوار تأييده وتسديده ، حتى وضعوا النظر مؤثمة من غير تقصير ، وحتى وصلوا إلى كمال العرفان من غير قصور .

ويقال إكمال الدين تحقيق القبول في المال ، كما أن ابتداء الدين توفيق الحصول في الحال ؛ فلو لا توفيقه لم يكن للدين حصول ، ولو لا تحقيقه لم يكن للدين قبول .

ويقال إكمال الدين أنه لم يبق شيء يعلو الحق — سبحانه — من أوصافه وقد علمك .

ويقال إكمال الدين أن ما تقاصر عنه عقلك من تعيين صفاته — على التفصيل — أكرمك بأن عرفك ذلك من جهة الإخبار .

وإنما أراد بذلك « اليوم » وقت نزول الآية . وتبييد الوقت في الخطاب بقوله « اليوم » لا يعود إلى عين إكمال الدين ، ولكن إلى تعريفنا ذلك الوقت .

والدين موهوب ومطلوب ؛ فالمطلوب ما أمكن تحصيله ، والموهوب ما سبق منه حصوله .

قوله جل ذكره : ﴿ وأتممت عليكم نعمتى ﴾

النعمة — على الحقيقة — ما لا يقطعك عن المنعم بل يوصلك إليه ، والنعمة المذكورة

ها هنا نعمة الدين ، وإتمامها وتمام المال ، واقتران الفئران وحصوله . فإكمال الدين تحقيق المعرفة ، وإتمام النعمة تحصيل المغفرة . وهذا خطاب لجامعة المسلمين ، ولا شك في مغفرة جميع المؤمنين ، وإنما الشك يمتري في الآحاد والأفراد هل يبقى على الإيمان ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَرُشِدَ لَكُمْ الْإِسْلَامُ دِينًا ﴾

وذلك لما قَسَمَ لِلْخَلْقِ أَدْيَانَهُمْ ؛ فخصَّ قومًا باليهودية ، وقومًا بالنصرانية ، إلى غير ذلك من التَّخْلِيعِ وَاللِّكْلِ ، وأفرد المسلمين بالتوحيد والفئران .  
وقدَّمَ قومَ الْإِكْمَالِ على الْإِتِمَامِ ، فقالوا : الْإِتِمَامُ يَقْبَلُ الزَّيَادَةَ ، فَذَلِكَ وَصَفَ بِهِ النِّعْمَةَ لَتَبُولِ النَّيْمِ فَزَيَادَةُ ، وَلَا رَيْبَ بَعْدَ الْكَمَالِ فَذَلِكَ وَصَفَ بِهِ الدِّينَ .

ويقال لا فرق بين الدين والنعمة المذكورة ها هنا ، وإنما ذُكِرَ بلفظين على جهة التأكيد ، ثم أضافه إلى نفسه فقال : « نسق » وإلى العبد فقال : « دينكم » . فوجهُ إضافته إلى العبد من حيث الاكتساب ، ووجه إضافته إلى نفسه من حيث الخلق . فالدين من الله عطاء ، ومن العبد عناء<sup>(١)</sup> ، وحقيقة الإسلام الإخلاص والافتقار والخضوع لحرمان الحكم بلا نزاع في السر .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ

لِإِيْمَانِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

الإشارة من هذه الآية أنه لو وقع لسالك فترة ، أو لمريد في السلوك وقفة ، ثم تنبه لعظيم واقعه فبادر إلى جميع الرُّجْعَةِ باستثمار التحسُّر على ما جرى تدارك كُنْهَةِ الرَّحْمَةِ ، ونظر الله — سبحانه — إليه بقبول الرحمة .

والإشارة من قوله « غير متجانف لإيمانه » أي غير مَرَّجٍ على الفترة ، ولا مستسلمٍ لثَغْفَةِ الإصرار ، ويحتمل أن يكون معناه من نزل عن مطالبات الحقائق إلى رُخْصِ العلم لضعفٍ وَجَدَهُ في الحال فربما تجري منه مُساهلةٌ إذا لم يَضْغَ عَقْدُ الْإِرَادَةِ .

(١) هذه العبارة تساوى في المعنى لما سبق ذكره ان « الدين موهوب ومطلوب » وللصعود بالبناء أن الدين معاناة وممارسة من جانب العبد .



قوله جل ذكره : ﴿ يَا لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَحْمَتِنَا هَذِهِ السَّاعَةُ لَفُتِنًا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا وَيَسْتَكْبِرُونَ عَنْ أَمْرِنَا وَلَخَالٍ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَحْمَتِنَا هَذِهِ السَّاعَةُ لَفُتِنًا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا وَيَسْتَكْبِرُونَ عَنْ أَمْرِنَا وَلَخَالٍ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَحْمَتِنَا هَذِهِ السَّاعَةُ لَفُتِنًا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا وَيَسْتَكْبِرُونَ عَنْ أَمْرِنَا ﴾

أَحِلُّ لَكُمْ الْعُطَيَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُغْلَبُونَ بِهَا عَلَى كَيْفٍ أَفْهَمَكُمْ ، فَكُلُوا مِمَّا أَسْكَنَ عَلَيْكُمْ ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾

لما علموا أن الحسن من أفضالهم ما ورد به الأمر وحصل فيه الإذن تعرفوا ذلك من تفصيل الشرع ، قال : « يَا لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِرَحْمَتِنَا هَذِهِ السَّاعَةُ لَفُتِنًا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا وَيَسْتَكْبِرُونَ عَنْ أَمْرِنَا »

« قل أحل لكم العطيات » وهو الحلال الذي تحصل من تناوله طيبة القلوب فإن أكل الحرام يوجب قسوة القلب ، والوحشة مقرونة بقسوة القلب ، وضياء القلوب وطيب الأوقات متصل بصون المخلوق عن تناول الحرام والشبهات .

وقوله : « وما علمتم من الجوارح مكلبين » : ولما كان الكلب المعلم ترك خطئه ، وأمسك ما اصطاده على صاحبه حلت فريسته ، وجاز اقتناؤه ، واستغرق في ذلك حكم خسامته فكذلك من كانت أعماله وأحواله لله — سبحانه — مخصصة ، ولا يشوبها حظ فجعل رتبته وتعلق حالته .

ويقال حسن الأدب يليق الأخصة برتبة الأكابر ، وسوء الأدب يرد الأعرزة إلى حالة الأصاغر .

ثم قال : « وادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ » : بين أن الأكل — على النلفة — غير مرضي عنه ( في التوبة )<sup>(١)</sup>

« واتقوا الله إن الله سريع الحساب » بحيث لا يشغله شأن عن شأن ، وسريع الحساب — اليوم — مع الأحباب والأولياء ، فهم لا يُسأخون في ( الخطوة )<sup>(٢)</sup> ولا في اللحظة ، معجل حسابهم ، مضاعف — في الوقت — ثوابهم وعقابهم .

(١) وضمت ( في التوبة خطأ ) بعد سريع الحساب وقد أثبتتها في موضعها الصحيح .

(٢) وما كانت في الأصل ( الحُكْمَةُ ) بالراء ، فالأكابر يحاسبون على أدق خاطر بخاطر على قلوبهم .

قوله جل ذكره ﴿اليَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ  
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ  
وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ  
الدُّمُونِاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ  
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا  
آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ  
مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَخَدِّينَ أَخْدَانٍ ؕ  
وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ  
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠﴾

ليس الطَّيِّبُ ما تستطيبه النفوس، ولكن الطيب ما يوجد فيه رضا الحق — سبحانه —  
فتوجد عند ذلك راحة القلوب .

« وطمع الذين أوتوا الكتاب حل لكم » : القدر الذي بيننا وبينهم من الواقع في إثبات  
الربوبية لم يمر من أثر في القربة فقال الله تعالى : « ولتجدن أقرهم مودة للذين آمنوا الذين  
قالوا إنا نصارى » (١)

وكذلك الأمر في المحصنات من نسائهم . وأحل الطعام والذبيحة بيننا وبينهم من الوجوه  
فيحل لنا أكل ذبائحهم ، ويجوز لنا أن نطعمهم من ذبائحنا ، ولكن التزوج بنسائهم يجوز لنا ،  
ولا يجوز تزوجهم بنسائنا لأن الإسلام يعلو ولا يعلى .

ثم قال « محصنين غير مسافحين » يعنى إنهم وإن كانوا كفاراً فلا تحب محبتهم بنبر  
نكاح نظماً (٢) لأمر السفاح ، وتنبيهاً على وجوب مراعاة الأمر من الحق . وكذلك  
« ولا متخذي أخدان » لأنه إذا لم يميز تعلق قلبك بالمؤمنين على وجه المخادعة فتى يسلم ذلك  
مع الكفار الذين هم الأعداء ؟

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ

(١) آية ٨٧ سورة المائدة .

(٢) نظماً هنا معناها تهويلاً واستبشاحاً .

فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إلى المرافق  
وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم  
إلى الكعبين ﴿٤٠﴾

وكأن في الشريعة لا تصح الصلاة بغير الطهور فلا تصح — في الحقيقة — بغير طهور .  
وكأن أن الظاهر طهارة فلا سرائر أيضاً طهارة ، وطهارة الأيدان بماء السقاء أى للطر ، وطهارة  
التلوذ بماء الندم والتخليل ، ثم بماء الحياه والوجل .

وكما يجب غسل الوجه عند القيام إلى الصلاة يجب — في بيان الإشارة — صيانة الوجه  
عن التبذل للأشكال عن طلب خصائص الأعراض .

وكما يجب غسل اليدين في اليدين في الطهارة يجب قصرها عن الحرام والشبهة .

وكما يجب مسح الرأس يجب صونه عن التواضع والتلطف لكل أحد .

وكما يجب غسل الرجلين في الطهارة يجب صونهما في الطهارة الباطنة عن التنقل فيما لا يجوز

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَطَهِّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ

مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ

مِنْكُمْ مِنَ الْمَاءِ فَلْيُغْسِلِ الْيَدَيْنِ

مِنْكُمْ مَاءً فَتَغَسَّوْا بِهِ يَدَايَكُمْ

فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴿٤٠﴾

كما يقتضى غسل جميع البدن في الطهارة كذلك في الطهارة الباطنة ما يوجب الاستقصاء ؛  
وذلك عندما تقع المرید فقرة فيقوم بتجديد عقد ، وما كيد عهد ، والالتزام عزامة ، وتسليم  
وقت ، واستدامة ندامة ، واستشعار حجل .

وكأن أنه إذا لم يجد المتطهر الماء ففرضه التيمم فكذلك إذا لم يجد المرید من يفيض عليه  
صوب همة ، ويضله ببركات إشارته ، ويعينه بما يشوب به من زيادة حاله — اشتغل  
بما تيسر له من اقتفاء آثارهم ، والاستراحة إلى ما يجد من صالف سيرهم ، وما ورد  
من حكاياتهم

وكان فرض التيمم على التطهر والتنعمان فكذلك المطالبات على إصفاة هذه الحالة تكون أخف لأنه وقت الفترة وزمان الضعف .

قوله جل ذكره : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾  
وتلوح من هذه الجملة الإشارة إلى أنه إذا بقي المريد عن أحكام الإرادة فليحطط رجليه بساحات العبادة ، فإذا عديم المطامع في سرائره فليستدبر الوطائف على ظاهره ، وإذا لم يتحقق بأحكام الحقيقة فليتخلق بأداب الشريعة ، وإن لم يتخرج عن تركه الفضيلة فلا يدنس تصرفه بالحرام والشبهة .

قوله جل ذكره : ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾

أي يطهر ظواهركم من الزلة بعصمته ، ويطهر قلوبكم عن الغفلة برحمته .  
ويقال يطهر سرائركم عن ملاحظة الأشكال ، ويطهر ظواهركم عن الوقوع في شباك الأشغال .  
ويقال يطهر عقائدكم من أن تتوهوا تدنس المقادير بالأعلال .

قوله جل ذكره : ﴿ وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾

إتمام النعمة على قوم بنجاحة نفوسهم ، وعلى آخرين بنجاحهم من نفوسهم ، وشتان بين قوم وقوم .

ويقال إتمام النعمة في وفاء العاقبة ؛ فإذا خرج من الدنيا على وصف العرفان والإيمان فقد تمت سعادته ، وصفت نعمته .

ويقال إتمام النعمة في شهود المنعم ؛ فإن وجود النعمة لكل أحد ولكن إتمامها في شهود المنعم .

قوله جل ذكره : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه

الذي واثمكم به ﴾

الإشارة منه إلى التعريف السابق لولاء ما علمت أنه من هو .

ويقال أمرهم بتذكّر ما سبق لهم من القيسر وهم في كنفهم العدم ، فلا للأغيار عنهم خير ،

ولا لم عين ولا أثر ، ولا وقع عليهم بصيرة ، وقد (سُحِبَ) <sup>(١)</sup> بالإيمان ، وحكم لهم بالنفزان قبل حصول المصيان ، ثم لما أظهرهم وأحياهم عرفهم التوحيد قبل أن كُتِبَ لهم الحدود ، وعرض عليهم بعد ذلك الأمانة وحذَّروهم الخطيئة ، فقابلوا قوله بالتصديق ، ووعَدُوا من أنفسهم الوفاء بشرط التحقيق ، فأمدَّهم بحسن التوفيق ، وثبَّتَهم على الطريق ، ثم شكرهم حيث أخبر عنهم بقوله جل ذكره : « إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا » .

ثم قال : « وَاتَّقُوا اللَّهَ » : يعني في قرض ما أبرمتم من العقود ، والرجوع عما قدمتم من السوء ، « إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ بِنَاتِ الصُّدُورِ » لا يخفى عليه من خبطات قلوبكم ونيات صدوركم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾

لا بُعُوثُكُمْ حصولُ نصيبٍ لكم في شيء عن الوفاء لنا ، والقيام بما يتوجب عليكم من حقنا .

ويقال من لم ينسَ عنه واعد رغبته ، ولم ينج عنه نواحي شهواته ومطالبه لم يَمُتْ لله بحق ولم يَفِ واجباته بشرط .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقْوِمٍ عَلَى  
أَلَّا تُدْلُوا أَعْدَاؤُكُمْ هُوَ أَقْرَبُ فَتُخْرَى  
وَإِقْرَأُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

أى لا تجعلكم ضغائن صدوركم على الحلول ببنيات الحيف فإن مرتع الظلم ورفد ، ومواضع الزنح مهلكة .

ثم صرَّح بالأمر بالعدل فقال : « أَعْدُوا » ولا تكون حقيقة العدل إلا ( بالعدل ) <sup>(٢)</sup> عن كل حظٍ ونصيب .

(١) رجع أنها في الأصل ( وَكُتِبَ لَهُمْ ) غُوس في الاصطلاح تتلقى بالأول وهذا يخفى مع السياق .

(٢) وودت ( بالعدل ) والمواو أن تكون ( بالعدل ) كما هو واضح .

والعدلُ أقربُ إلى التَّوَّابِ ، وأَجَلُزُ أقربُ من الرَّحْمَنِ ، وَيُوقِعُ عن قَرِيبٍ  
في عَظِيمِ الْبَلَاءِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾  
والمَغْفِرَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِقَدْ نَبِ ، فَوْصَلُهُم بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، ثُمَّ وَعَدَهُمُ الْمَغْفِرَةَ لِيُعْلَمَ أَنَّ  
العَبْدَ تَكُونُ لَهُ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ ذُنُوبٌ تَحْتَاجُ إِلَى غُفْرَانِهَا ، بِخِلَافِ مَا تَوَقَّعُ مَنْ قَالَ  
إِنَّ الْمَاضِيَ تَحْتِيطُ الطَّلَاعَاتِ .

وَيَقَالُ بَيِّنُ أَنَّ الْعَبْدَ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى عَقُوبَةٍ وَغُفْرَانِهِ ،  
وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَلَكَ ، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَعَذَّبَ الْبَرِيءُ ، وَيَجِبُ أَنْ يُثِيبَ  
الْمُحْسِنِينَ <sup>(١)</sup> .

وَيَقَالُ لَوْ كَانَ ثَوَابُ الْمُحْسِنِينَ وَاجِبًا ، وَعَقُوبَةُ الْبَرِيءِ غَيْرَ حَسَنَةٍ لَكَانَ التَّجَاوُزُ عَنْهُ  
وَاجِبًا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ حَيْثُنَا فَضْلٌ يَنْبَغُ بِهِ عَلَيْهِمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ .

لَهُمْ عَقُوبَتَانِ : مُجْلَّةٌ وَهِيَ الْفِرَاقُ ، وَمُؤَلَّجَةٌ وَهِيَ الْإِحْتِرَاقُ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ قَوْمٌ لَا يَسْأَلُونَكُمْ عَن أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا  
اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

يَذْكُرُهُمْ مَاسَلَفٌ لَهُمْ مِنْ نِعْمِ الدَّفْعِ <sup>(٢)</sup> وَهُوَ مَا قَصَرَ عَنْهُمْ أَيْدِي الْأَعْدَاءِ ، وَذَلِكَ مِنْ أَمَارَاتِ

---

(١) يَشِيرُ الْقَشِيرِيُّ بِذَلِكَ إِلَى أَقْوَالِ الْمُرَّةِ بِوَجوبِ إِثَابَةِ الْمُطِيعِ وَمَقَابِلَةِ الْعَامِي — عَلَى اللَّهِ . فَلَا وَجُوبَ —  
فِي نَظَرِهِ — عَلَى اللَّهِ ، وَإِنَّمَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ فَضْلٌ ، وَلَا قِيَمَةٌ لِمِثْلِ الْعَبْدِ بِجَانِبِ هَذَا الْفَضْلِ .

(٢) يَمِيزُ الْقَشِيرِيُّ بَيْنَ نَمَتَيْنِ : نَمَةٍ دَفْعٍ وَنَمَةٍ تَقَرُّ .

العناية . ولقد بالغ في الإحسان إليك مَنْ كان يُظهر لك الغيبَ من غير التماسٍ أو سبقٍ شفاعةٍ فيك ، أو رجاءٍ تفرغ من المستأنف<sup>(١)</sup> منك ، أو حصول ربحٍ في الحال عليك ، أو وجود حق في المستأنف لك .

ثم قال : « وعلى الله فليترك كل المؤمنون » يعني كما أحسنت إليكم في السالف من غير استحقاق فانتظروا جيل إحساني في (الغابر)<sup>(٢)</sup> من غير (استيجاب)<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نبياً وقال الله إنى معكم ﴾ .

يذكرهم حَسَنَ أفضاله معهم ، وقبح ( فعلهم )<sup>(٤)</sup> في مقابلة إحسانه بنفسهم مهمل . وعرف المؤمنين — تحذيراً لهم — ألا يقلوا منزلتهم فيستوجبوا مثل ما استوجبوه من عقوبتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ ولئن أقيم الصلاة وآتيت الزكاة وآمنتم برسلي وعزّرتهم ﴾ .

أي إن قم بحقي لأوصلن إليكم حظوظكم ، ولئن أطلّمت أمرى في العاجل لأعجلن قدركم في الآجل .

وإقامة الصلاة أن تشهد مَنْ تعبد ، ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « افعل الله كائنك زاه » .

ويقال إقامة الصلاة شرطها أن تقبل على مَنْ تناجيه بأن تستقبل التطرّ الذي الكعبة فيه . وأما إيتاء الزكاة فحَقُّه أن تكسب المال من وجهه ، وتصرفه في حقه ، ولا تمنع الحق

(١) أي ما يمكن أن تقدمه من طاعات في المستقبل ، فافقه على عنه .

(٢) نرجع أنها (الحاضر) حتى ينجم السياق فإن (الغابر) و (السالف) يعني (الماضي) .

(٣) يعني استحقاق .

(٤) وودت (فعلهم) بهم ذائبة من التناسخ .

الواجب فيه عن أهله ، ولا تؤخر الإتياء عن وقته ، ولا تُخرج القدير إلى طلبه فإنَّ الواجب عليك أن تصل ذلك إلى مستحقه .

وتنزيه<sup>(١)</sup> الرسل الإيمان بهم على وجه الإجلال ، واعتناق أمرهم بنام الجدد والاستقلال ، وإتيانهم عليك في جميع الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَقْرَضَ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ .

الأغنياء ينفقون أموالهم في سبيل الله ، والقراء يبذلون مهجته وأرواحهم في طلب الله ، (فأولئك)<sup>(٢)</sup> من مائتي درهم يُعْرِجُونَ حَسَنَةً ، وهؤلاء لا يسخرون من أمره نفساً ولا ذرة .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا يَكْفُرُ عَنْكُمْ سِئَاتِكُمْ وَلَاَدْخَلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

التسكير هو السر والتغطية ، وإنه يستر الذنوب حتى عن (العامى)<sup>(٣)</sup> فيسبحو من ديوانه ، وينسي الحفلة سوائف عصيانه . وينفي عن قلبه تذكر ما أسلفه ، ولا يوقفه في العرصة على ما قدم من ذنبه ، ثم بعد ذلك يسخره الجنة فضله كما قال : « ولأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار » ، كما قيل :

ولما رضوا بالغو من فى زلة حتى ألبوا كفه وازدادوا

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

سواء السبيل

فَمَنْ جَعَلَ هَذِهِ الْأَيَادِي بَعْدَ اتِّصَاحِهَا قَدْ عَدَلَ عَنْ تَجَرُّ أَهْلِ الْوَفَاءِ ، وحاد عن سَنَنِ أصحاب الولاء .

قوله جل ذكره : ﴿ فَبِمَا قَضَيْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾

جعل جزاء المصبيان الغفلان للزيادة في المصيان .

---

(١) وردت (وترجم) والصحيح (وتنزيه) والورد في لغة الرد ومساها هنا وردد منهم أهواءهم ونصرفهم .

(٢) وردت (فهؤلاء) وقد جعلناها أولئك إشارة إلى البعيد لتمييز كل فريق .

(٣) وردت (العامى) بالميم والصواب يدونها فكأننا يتطلب السياق .



قوله جل ذكره : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ

عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾

وتحريفهم الكلم عن مواضعه نوع عصيان منهم ، وإنما حَرَفُوا لتساوة قلوبهم . وقسوة القلب عقوبة لهم مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تعالى على ما تقضوه من المهود ، وهضم المهد أعظمُ وَزْرٍ يَلُمُ به العبد ، والعقوبة عليه أشد عقوبة يُعَاقَبُ بها العبد ، وقسوة القلب عدم التوجع مما يُمْتَحَنُ به من الصدِّ ، وعن قريبٍ يُمْتَحَنُ بمحنة الرد بعد الصدِّ<sup>(١)</sup> ، وذلك غاية القراق ، ونهاية البعد . ويقال قسوة القلب أولاً فَقَدْ الصفة ثم استيلاء الشهوة ثم جريان المغفرة ثم استحكام القسوة ، فإن لم يتفق إقلاص عن هذه الجملية فهو تمام الشقوة .

ومن تعريف الكلم — على بيان الإشارة — حَمَلُ الكلم على وجوه من التأويل مما تسول لصاحبه نفسه ، ولا تشهد له دلائل العلم ولا أصله<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَتَوَّأ حَفَلًا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ ﴾

أَوَّلُ آفَاتِهِمْ لِسِيَّاهُمْ ، وما عصوا ربهم إلا بعد ما نبوا ، فالنسيان أول المصيان ، والنسيان حاصل من الخفلان .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ

إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾

الخيانة أمرها شديد وهي من الكبار أبعد ، وعليهم أشد وأصعب . ومن تعود اتباع الشهوات ، وأُثْرِبَ في قلبه حُبُّ الخيانة فلا يزال يمشي بذلك الخُلُقَ إلى آخر عمره ، اللهم إلا أن يهود الحق — سبحانه — عليه بمجمل العلف .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ ﴾

قد يكون موجب العفو حقارة قدر المغفوع عنه إذ ليس كل أحدٍ أهلاً للعقاب . وللصفح

(١) من هنا تعلم أن (الرد) عند القسري أقرب وأشد وقفاً من (العبد) ،

(٢) هنا أصل من أصول التأويل المقبول في نظر القسري ، وهو في الوقت نفسه . يوضح صفة في التعبير الإشاري .

على العفو مزية وهي أن في العفو رفع الجناح ، وفي الصنح إخراج ذكر الإثارة من التلب ،  
فن تجاوز عن الجاني ، ولم يلاحظه — بعد التجاوز — بعين الاستحقاق والازدراء  
فهو صاحب الصنح .

والإحسان تعميم — للجمهور — بإسداء الفضل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا  
مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ  
فَأَغْرَيْنَا فِيهِمُ الْعَادَةَ وَالْبُغْضَاءَ إِلَى  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يَنْبِئُهُمُ اللَّهُ  
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

الإشارة في هذه الآية أن النصارى أثبت لهم الاسم بدعواهم فقال : « قالوا إنا نصارى »  
وسموا نصارى لتناصرهم ، وبدعواهم حرقوا وبدلوا ، وأما المسلمون فقال : « هو سمّاكم  
للمسلمين » (١) .

كما قال : « ورضيت لكم الإسلام ديناً » (٢) فلا جرم ألا يسوا بالنصارى . ولما سمّاكم  
الحق بالإسلام ورضى لهم به ضأنهم عن التبديل فقصّبوا .

ولما استمكن منهم الفتيان أبدلوا بالعداوة فيما بينهم ، وفساد ذات البين ؛ فأرباب  
الفقعة لألفة بينهم . وأهل الوفاء لامباينة لبعضهم من بعض ، قال صلى الله عليه وسلم :  
« المؤمنون كنفس واحدة » (٣) ، وقال تعالى في صفة أهل الجنة : « إخواناً على سرر  
متقابلين » (٤) .

(١) آية ٧٨ سورة الحج ،

(٢) آية ٢ سورة المائدة .

(٣) في رواية الإمام مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم .

المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله ، وإن اشتكى منه اشتكى كله . . . » صحيح

مسلم ج ٤ ص ٢٧١ .

(٤) آية ٤٤ سورة الصافات .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا  
يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ  
مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾

وصف الرسول — صلى الله عليه وسلم — بإظهار بعض ما أخفوه ، وذلك علامة على صدقه ؛  
إذ لو لا صدقه لما عرّف ذلك ، ووصفه بالعفو عن كثير من أفعالهم ، وذلك من أمارات خلقه ؛  
إذ لو لا خلقه لما فعل ذلك ؛ فأظهر ما أبداه دليل عليه ، والعفو عما أخفى برهانه عليه .

قوله جل ذكره : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ  
مبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ  
رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ  
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

أنوار التوحيد ظاهرة لكنها لا تقنى عند فقد البصيرة ، فن استخلصه بتقديم العناية  
أخرجه من ظلمات التفرقة إلى ساحات الجمع فامتحن عن سرّه شواهد الأعيان ، وذلك نمت  
كل من وقف على الحجة المثلى .

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ  
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ  
اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ  
ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ مِن فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ،  
وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَمَا يَنْهَى بَيْنَهُمَا بِخَلْقِهِ مَا يَشَاءُ ، وَاللَّهُ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

مَنْ أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الطَّوَامِثِ مَتَى يَنَارِقُهُ نَقْصُ الْخَلْقَةِ ؟  
وَمَنْ لَاحَتْ عَلَيْهِ شَوَاهِدُ التَّنْغِيرِ أَتَى يَلِيقُ بِهِ نَمَتْ الرِّيْوِيَّةُ ؟

ولو قَطَعَ البقاء عن جميع ما أوجد فأى قصي يعود إلى الصمد ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَنَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نِعْمَ أَبْنَاءَ

اللَّهِ وَأَحْبَبُوهُ قُلْ لِمَ يَذَّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ

بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَفِرُّ الْإِن

شَاءَ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ، وَاللَّهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ

الْمَصِيرُ ﴿

البنوة<sup>(١)</sup> تقتضى المجانسة ، والحقُّ عنها مُنَزَّهٌ ، والمحبةُ بين المتجانسين تقتضى الاحتفاظ والمواصلة ، والحق سبحانه عن ذلك مُقَدَّسٌ .

فردَّ الله — سبحانه — عليهم فقال تعالى : « بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ » .

والخلق لا يصلح أن يكون بعضاً لقديم ؛ فالقديم لا بعض له لأن الأحدثية حقه ، فإذا لم

يكن له عدد لم يميز أن يكون له ولد . وإذا لم يميز له ولد لم يميز — على الوجه الذى اعتقدوه — بينهم وبينه محبة .

ويقال فى الآية بشارته لأهل المحبة بالأمان من العذاب والعقوبة به لأنه قال : « قُلْ لِمَ يَذَّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ » .

وقال بَيِّن فى هذه الآية أن قصارى الخلق إمّا عذاب وإمّا غفران ولا سبيل إلى شيء وراء ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا

يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرْآنٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ

تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ،

قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿

(١) وردت ( للبنوة ) وهى خطأ فى النسخ لأن الإشارة تالفة إلى ما جاء فى الآية :

« نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ »

يقال في : كل زمان تقع فقرة في سبيل الله ثم تتجدد الحال ، ويتم الطريق بإبداء السالكين من كتم المكنم ، ولقد كان زمان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أكثر الأزمنة بركة ، فأجبا بظهوره ما اندرس من السيل ، وأضاء بنوره ما انطمس من الدليل ، وبذلك من عليهم ، وذكرهم عظيم نعمته فيهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا

نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ

أَنْبِيَاءَ ﴾

كان الأمر لبني إسرائيل - على لسان نبيهم - بأن يذكروا نعمة الله عليهم ، وكان الأمر لهذه الأمة <sup>(١)</sup> - يخاطب الله لا على لسان مخلوق - بأن يذكروه فقال : « فاذكروني أذكركم » <sup>(٢)</sup> وشتان بين من أمره بذكره - سبحانه - وبين من أمره بذكر نعمته ! ثم جعل جزاء من ثوابه الذي هو فضله ، وجعل جزاء هذه الأمة خطابه الذي هو قوله تعالى : « فاذكروني أذكركم » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا ﴾

لَلَّيْكَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ مَنْ هَبَدَ لَلَّيْكَ الْحَقِيقِ .

ويقال الملكُ مَنْ مَلَكَ هَؤُلَاءِ ، والصيد من هو في رِقٍّ شهواته .

ويقال « جعلكم ملوكا » : لم يخرجكم إلى أمثالكُم ، ولم يحجبكم عن نفسه بأشغالكم ، وسَوَّلَ إِلَيْهِ سَبِيلَكُمْ في عموم أحوالكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَتَاكُمْ مَلَأْمُ يَوْمٍ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾

لئن أتى بني إسرائيل بمقتضى جوده فقد أغنى عن الإتياء هذه الأمة فاستقلوا بوجوده ، والاستقلال بوجوده أتم من الاستثناء بمقتضى جوده .

(١) قصد أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(٢) آية ١٥٢ سورة البقرة .

قوله جل ذكره : ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة  
التي كتب الله لكم ﴾

من الفرق بين هذه الأمة وبين بني إسرائيل أنه أباح لهم دخول الأرض المقدسة على الخصوص  
قال : « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم » ثم إنهم لم يدخلوها إلا بعد مدة ،  
وبعد جهد وشدة ، وقال في شأن هذه الأمة « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض  
يرثها عبادي الصالحون » (١) فأولئك كتب لهم دخول الأرض كتابة تكليف ثم قصروا ،  
وهذه الأمة كتب لهم جميع الأرض على جهة التشریف ، ثم وصلوا إلى ما كتب لهم وما قصروا .  
وقال : « ادخلوا الأرض المقدسة . . . » وقال لهذه الأمة : « هو الذي جعل لكم  
الأرض ذلولا فمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » (٢) هؤلاء ذلّل لهم وسّّل عليهم ،  
وأولئك صعب عليهم الوصول إلى ما أمرهم فيه أنزل الله عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا ترتعوا على أدباركم فتنقلبوا

خاسرين ﴾

الارتداد على قسمين : عن الشريعة وإقامة العبودية وذلك يوجب عقوبة النفوس بالقتل ،  
وعن الإرادة وذلك يوجب الشقوة — التي هي الفراق — على القلوب .

قوله جل ذكره : ﴿ قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين  
وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها  
فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴾

لاحظوا الأغيار بين الحسين فتهموا أن شيئاً من المحدثان ، وداخلتهم هواجس الرعب  
فأصروا على ترك الأمر . ومن طالع الأغيار بأنوار البصائر شاهدم في أسر التقدير قوالب  
متعرة عن إمكان الإيجاد ، ولم يقع على قلبه ظل التوهم .

قوله جل ذكره : ﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم

(١) آية ١٠٥ سورة الأنبياء .

(٢) آية ١٥ سورة الملك .

اللهُ عليهما ادخلوا عليهم الباب

فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَآنَسِكُمْ غَالِبُونَ ﴿١﴾

أنهم الله (عليهما) <sup>(١)</sup> بأنوار العرفان فلم يحتشبا من المخلوقين ، وعلمنا أن من رجع إليه بنعت الاستكفاء تداركته عواجل الكفاية ثم قال :

(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)

أى من شأن المؤمنين أن يتوكلوا ، وينبى للمؤمن أن يتوكل .

ويحتمل أن يقال التوكل من شرط الإيمان . وظاهر التوكل الذى لولم المؤمنين العلم بأن قضاءه لا راد له ، وحقائق التوكل ولطائفه التى لخواص المؤمنين شهود الحادثات بالله . ومن الله ، فإن من فقد ذلك اتقى عنه اسم الإيمان .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْعُلْهَا أَبَدًا

مَادَامُوا فِيهَا ﴿٢﴾

مَنْ أَقْصَتْهُ سَوَابِقُ التَّقْدِيرِ لَمْ يَزِدْهُ تَوَاتُرُ (الظلة) <sup>(٢)</sup> إِلَّا نَفُورًا وَجُحُودًا .

قوله جل ذكره . ﴿ فَادْعِبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا

قَاعِدُونَ ﴿٣﴾

تركوا آداب الخطيب فصرحوا ببيان الجحد ولم يحتشوا من مجاهرة الرد .

قوله جل ذكره ﴿ قَالَ رَبُّ إِي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي

فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٤﴾

لما ادعى أنه يملك نفسه عرف عجزه عن سلكه لنفسه حيث أخذ رأس أخيه يجره إليه .

ويقال . لا أملك إلا نفسى أى لا أدخرها عن البذل فى أمرى . لا أملك إلا أخى فإنه لا يؤثر نفسه عن الذى أكله من قبيك .

(١) (عليهما) زيادة أضافتهما ليتضح المعنى .

(٢) وردت (الظلة) والمعنى يرفضها ويتطلب (الظلة) التى وردت فى الآيات السابقة .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ فَإِنهَا نُحْرِمُكُمْ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً

يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ ، فَلَا تَأْسَ عَلَى

الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

مجاهدة الرد تمجّل العقوبة ؛ فإن من ما كرّر الحقيقة أبدت الحقيقة له من مكان التقدير ما يُلجّئُهُ إلى التعلّوُّح في أوطن الدُّلّ .

ويقال حيرهم في منازلهم حتى عوا عن القصد ؛ فصاروا يبيتون حيث يصبحون ، بمد طول النصب وإدامة السير ، وكذلك من حيرهُ الله في منازل القلب يتقلب ليلاً ونهاراً في مطارح البظنون ثم لا يحصل إلا على مناهل الخيرة ، فيحطون بحيث يرحلون عنها ، فلا وجه للرأى الصائب يلوح لهم ، ولا خلاص من بعدهم للتجويز يساعدهم ، والذي التجأ إلى شهود المصيبة استراح عن قلة فكره ، ووقع في رُوح الاستبصار بعد أتعاب التروم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْخَلْقِ إِذْ

قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ

يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ .

كانت الدنيا بمنزلة غير هاتفي أيديهما فحسد أحدهما صاحبه ، فلم يصبر حتى أسرع في شيء 'بإتلافه' ، وحين لم يقبل قربانه اشتد حسده على صاحبه ، ورأى ذلك منه فهدّده بالقتل . فأجابه بنطق التوحيد .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

يعني إِنَّمَا يُتَقَبَّلُ الْقُرْبَانُ مِنْ<sup>(١)</sup> طالع في القربان مساعدة القدرة ، وألقى توهم كونه باستحقاقه واستيجابه .

قوله جل ذكره : ﴿ لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا

ببأسط يدى إليك لأقتلك إني

أخفى الله رب العالمين ﴾ .

(١) وردت (من) وهي خطأ في النسخ .



لئن بدأتني بالإثارة<sup>(١)</sup> لم أقابلك كأوصاف أهل الجبل بل أكلُ أمرى إلى من بيده  
مقاليد الأمور .

قوله جل ذكره : ﴿إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك  
فتكونَ من أصحاب النار وذلك  
جزاء الظالمين﴾ .

تحقق بأن العقوبة لا حجةَ به على ما يسلفه من الذنب فرَضِيَ بانتقام الله دون  
انتقامه لنفسه .

وقوله : « أن تبوء بإثمي وإثمك » الذي تستوجه بسبب قتلك إياي ، فأضانه إلى نفسه ،  
وإذا رأى للظالم ما يحلُّ بالظالم من ألم البلاء يهون عليه ما يقاسيه ويطيّب قلبه .

قوله جل ذكره : ﴿فطوّعتْ له نفسه قتلَ أخيه فقتله  
فأصبح من الظالمين﴾ .

لا تستولى هواجس النفوس على صاحبها إلا بعد استتار مواضع الحق ، فإذا تواتل  
الزنايم الرديئة ، واستحكمت التصوّدُ الفاسدة من المبد صارت دواعي الحق خفيةً مغمورةً .  
والنفسُ لا تدعو إلا ( إلى )<sup>(٢)</sup> اتباع الشهوات ومتابعة المعصية<sup>(٣)</sup> ، وهي مجبولةٌ  
على الأخلاق المحجوسية . فمن تابع الشهوات لا يلبث أن ينزل بساحات الندم ثم لا ينفضه ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿فبث الله غراباً يبحث في الأرض  
ليرييه كيف يوارى سوءة أخيه قال  
يا ويلتنا أمحرت أن أكونَ مثلَ هذا  
الغراب فأواري سوءة أخى فأصبح  
من النادمين﴾ .

١ . وردت ( الإشارة ) واللائم أن تكون ( الإثارة ) .

٢ . سقطت ( إل ) من الناسخ والمثني يستأزهما .

٣ . وردت ( المعصية ) ولا معنى لها هنا وإنما اللائم ( للمصبة ) .

إرادة الحق — سبحانه — وصولُ الخلقِ إلى لطيف الاحتياط في أسباب التمشي ، فإذا أشكل عليهم وجهٌ من لطائف الحيلة سبَّب الله شيئاً يعرفُهُم ذلك به .

قوله جل ذكره ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ لَئِنْ كُنْتُمْ إِلاَّ كَاذِبِينَ ﴾ [النمل: ١٧] .

هذا قريب مما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« من سنَّ حسنةً فله أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سنَّ سيئةً فمليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة <sup>(١)</sup> » .

قوله جل ذكره : « إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْمُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ عِزٌّ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ »

السعي في الفساد على ضريحين : بالظاهر وعقوبته معلومة في مسائل الفقه بلسان العلم ، وفي الباطن وعقوبته واردة على الأسرار ، وذلك بقطع ما كان متصلاً من واردات الحق ، وكسوف شمس العرفان ، والستر بعد الكشف ، والحجاب بعد البسط . والحجاب استعمار

---

(١) في رواية مسلم عن جرير بن عبد الله : ( . . من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فله عذاب من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئاً ) - ٤٢٠ ص ٢٠٥٩ طبع الحلبي .

الوحشة بعد الأنس ، وتبديل توالي التوفيق بصنوف الخذلان ، والنفي على بساط العباد<sup>(١)</sup> .  
والإخراج إلى متابعة النفوس ، وذلك - والله - خزي عظيم وعذاب أليم .

قوله جل ذكره : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا

عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

من أطلع عن معاصيه ، وأرتدع عن ارتكاب مساويه ، قبل أن يهتك عنه ستر السداد  
لا تقام عليه - في الظاهر - حدود الشريعة لاشتباها على الإمام ، ولا يؤاخذ الحق سبحانه  
بقضايا إجرامه أخفًا بظاهر ما ثبت من حاله ماله في استيجاب السداد ، فإذا بدا للإمام<sup>(٢)</sup>  
جرمه أقبح عليه الحد ، وإن تقم بنقلب التقوى .

وكذلك إذا سقط العبد عن عين الله لم يصل بعده إلى ما كان عليه من معارضة تقرب  
الحق - سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا

إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ

لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾

ابتغاء الوسيلة التبري عن الحلول والقوة ، والتحقق بشهود الطول والمدة .

ويقال ابتغاء الوسيلة هو التقريب إليه بما سبق لك من إحسانه .

ويقال الوسيلة ما سبق لك من العناية القديمة .

ويقال الوسيلة اختياره لك بالجليل .

ويقال الوسيلة خصوص (التقدي)<sup>(٣)</sup> عن الشك .

ويقال ابتغاء الوسيلة استدانة الصدق في الولاء إلى آخر العمر .

ويقال ابتغاء الوسيلة تجريد الأعمال عن الرياء ، وتجريد الأحوال عن الأعجاب ، وتخليص  
النفس عن الحظوظ .

---

(١) أي الإخراج من نطاق الآوادة إلى نطاق العبادات .

(٢) وردت (للايمان) وهي خطأ في النسخ إذ الإمام هو الذي يقم الحد .

(٣) وردت (المقد) وربما كانت (القل) فهو الذي يصاب بأفة الشك ، وكلاما مقبول في المس .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ  
جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِمَنْ عَذَابِ  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَمْ  
عَذَابُ أَلِيمٍ ۝

اليوم — يقبل من الأجناب مقال ذرة ، وغداً — لا يقبل من الأعداء ملء الأرض  
ذهباً ، كذا يكون الأمر .  
ويقال إفراط العدو في التقرب موجب للفت ، وتستر الولي (١) في التودد لإحكام  
لأسباب الحب .

قوله جل ذكره : ﴿ يَرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنْ النَّارِ وَمَامَ  
بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَمْ عَذَابُ مُقِيمٍ ۝

كما أن الأعداء لا غيص لهم من النار كذلك للمؤمنون من التوفيق كلما أرادوا إقلاعا  
عن التهلك أدرهم — من نجاة الخذلان — ما يركسهم في وحدة العناء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّرَّاقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا  
جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ، نَكَالًا مِنْ اللَّهِ ،  
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝

لو أن ولياً من الأولياء سرق نصيباً من جرة ، ووجد فيه استحقاق القطع ، أقيم عليه  
الحكم كما يقام على المتهتك ، ولا يسقط الحدُّ لصلاحه . والإشارة فيه أن أمر الملك مقابلاً  
بالنظام ، بل كل من كان أعلى رتبةً فخطرُه أتم وأخفى ، والمطالبة عليه أشدَّ (٢) . فلا يستحقن  
أحدُ الإلزام بركةً ونحسونه هيناً وهو عند الله عظيم .

قوله جل ذكره : ﴿ قَمِنَ تَابٌ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ

(١) وردت ( المولى والصواب أن تكون ( الولي ) ضد ( العدو ) حسبما نعرف من أسلوب الشعري  
(٢) لأن أصحاب الرتبة الكبيرة بهم اقتداء ، فليهم وذرم ووزر من تهم .

فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنْ أَلَّهَ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

من استوفى أحكام التوبة فتذكر ما ضيعه ، ونعم على ما صنع ، وأصلح من أمره  
ما أفسده — أقبل الله عليه بفضل فغفرو<sup>(١)</sup> ، وعاد إليه باللطف فجزره .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ  
لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

بَيِّنَ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَلَّةٍ ، وَلَا يَرْحَمُ مَنْ يَرْحَمُ بِعَلَّةٍ ، وَإِنَّمَا يَتَصَرَّفُ فِي عِبْدِهِ  
بِحَقِّ مُلْكِهِ ، وَأَنَّ الْحُكْمَ حُكْمُهُ ، وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ  
يَسَارِعُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا  
آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ  
الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ  
لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِهِمْ فُتُونًا لِلْكَلِمَةِ  
مِنْ بَعْدِ مُوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنَّا أَتَيْنَهُمْ  
هَذَا فَخَنُونُهُ وَإِنْ لَمْ تُثَبِّتْهُمْ فَاخْنُوتُوا ،  
وَمَنْ يَرْدِ اللَّهُ فَنَنْتَه فَلَئِنْ تَمَلَّكَ لَهُ  
مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ﴾

مَنْ أَقْصَاهُ الْحَقُّ عَنْ مَحَلِّ التَّقَرُّبِ ، وَأَوْخَى لَهُ عَنَانَ الْإِمْهَالِ وَكَلَّهُ إِلَى مَكْرِهِ ، وَلَيْسَ  
عَلَيْهِ حَالُهُ وَسِيرُهُ ، فَهُوَ يَهْمُكَ فِي أَوْدِيَةِ حِسَابَاتِهِ ، وَإِنَّمَا يَسَى فِي أَمْرِ نَفْسِهِ فَيَعْمَلُ بِمَا يَعُودُ  
إِلَيْهِ وَإِلَى وَبَالِهِ ، فَأَمَرَ نَبِيَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِتَرْكِ الْمُبَالَاةِ بِأَمْنَانِهِمْ ، وَقَلَّةِ الْإِهْتِمَامِ  
بِأَحْوَالِهِمْ ، وَعَرَفَهُ أَنَّهُمْ يَعْزِلُونَ عَنْ رَحْمَتِهِ ، وَإِنْ مَنْ رَدَّتْهُ الْقَسَمَةُ الْأَزَلِيَّةُ لَا تَنْفَعُهُ الْأَعْلَالُ

(١) هفزه أى خطاه وستر خطاياہ .

في الاستقبال ، فقال : « ومن يرد الله فتنه فلن تمك له من الله شيئا » يعنى إن أهله الله للحرمان ، وقيدته بشاك الخذلان فشفاعة الأغيار فيه غير مقبولة ، ولطائف القبول إليه غير موصولة .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم ﴾

أولئك الذين لم تمنح مليتهم بما السعادة فحبسوا على نجاسة الشريك فإن عدم الطهارة الأصلية لا يتحقق بفنون للمعاملات .

ويقال : « من يرد الله فتنه » : مَنْ أُرسل عليه غافة الهوى ، وسلط عليه نوازع اللبى ، وأذله ( ... )<sup>(١)</sup> القضاء ، فليس يلحق عليه غير الشقاء .

قوله جل ذكره : ﴿ لم في الدنيا خزي ولم في الآخرة عذاب عظيم ﴾

وَرَدُّوا من الموان إلى الموان ، ووَعِدُوا بالفراق ، وَرُدُّوا إلى الاحتراق ، فلا تدرى أى حالهم أقرب من استيعاب النل ؟ بدايتهم في الرد أم نهايتهم في الشريك والوجد ؟

قوله جل ذكره : ﴿ سمعون للكتب أكلون للشعث

فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض

عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك

شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم

بالتوسط إن الله يحب للمتوسطين ﴾

يعنى إنهم طرحوا حشمة الدين ، وقعدوا بالمخلوط الخسيسة واكتفوا ( بالأعراض )<sup>(٢)</sup>

( النفرة )<sup>(٣)</sup> ، فإذا تحاكموا إليك فأحلهم من حلك على ما يستحق أمثالهم من ( الأزال )<sup>(٤)</sup> ،

(١) مثلية .

(٢) الأعراض جمع عرض وربما كانت في الأصل ( الأعراس ) جمع عرس ، وكلاما مقبول .

(٣) للنفرة ( أى القليلة الهيئة ولا تستبدأها ( الفلة ) أى الخسيسة وعند ذلك تكون الكلمة التالية رقم (٤) الأزال جمع نزل ، وليس بمسبوق أن تكون الأزال أى الإحلال فيكون اليباق ( فأحلمهم من حلك على ما يستحق أمثالهم من الإحلال = الأزال . من قولهم نطقت بالسكان أى نطقت به ) . وربما كان المقصود بالأزال ما سبق لم من القصة .

وَأَنْتَ مُخْبِرٌ فِيهَا نَزِيدٌ ، فَسَوَاءٌ أَقْبَلْتَ عَلَيْهِمْ فَحَسَبْتَ أَوْ أَعْرَضْتَ فَفَرَدَدْتَ فَلَا خِيَارَ لَكَ .  
 قوله : « إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ » : الإِصْطَافُ الْوُقُوفُ عَلَى حَدٍّ الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ  
 (حَتَفٍ) <sup>(١)</sup> إِلَى الْخَطِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَيْفَ يُحْكِمُ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ مَا بَدَأَهُمْ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ أُولَئِكَ يَرْجِعُونَ ﴾  
 فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
 وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿

يَعْنِي أَنَّهُمْ ظَنُّوا الْإِجْمَاعَ ، وَأَصْرُوا عَلَى النَّاسِ ، وَتَوَدُّوا الْإِعْرَاضَ عَنِ الْإِيمَانِ ،  
 فَتَنَى تَوَثُّرُ فِيهِمْ دَعْوَتَكَ ، وَقَدْ سُدَّتْ مَسَامِعُهُمْ عَنِ الْقَبُولِ ، وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ  
 سَابِقُ الْحُكْمِ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ  
 يُحْكِمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَلَّذِينَ  
 هَادُوا وَالرَّابِثُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا  
 اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا  
 عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴿

يُخْبِرُ أَنَّهُ اسْتُحْفِظَ بَنِي إِسْرَائِيلَ التَّوْرَةَ فَرَفَّوْهَا ، فَلَا ذَكَلَ إِلَيْهِمْ حِفْظُهَا ضِعْفُهَا .  
 وَأَمَّا هَذِهِ الْأُمَّةُ فَخَصَّصَهُمُ بِالْقُرْآنِ ، وَتَوَلَّى — سِبْحَانَهُ — حِفْظَهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : « إِنَّا نَحْنُ  
 أَنْزَلْنَاهُ الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » <sup>(٢)</sup> فَلَا جَرَمَ لَوْ غَيَّرَ وَاحِدٌ حَرَكَةً أَوْ سَكُونًا مِنَ الْقُرْآنِ لَنَادَى  
 الصَّيَّانَ بِتَخْطِئَتِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَخَشَوْا اللَّهَ ﴾  
 إِنْ الْخَلْقَ تَجَرَّى عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْقُدْرَةِ وَأَقْسَامُ التَّصْرِيفِ ؛ فَطَلَشِيَّةٌ مِنْهُمْ فَرَعٌ مِنَ الْحَالِ ،  
 فَإِنْ مِنْ لَيْسَ لَهُ شَغْلِيَّةٌ مِنَ الْإِيجَادِ فَأَتَى تَصَحُّهُ مِنْهُ غَلَشِيَّةٌ ؟

(١) حَتَفٌ — مِيلٌ وَلَيْسَ بِمُسْتَعْدٍ أَنْ تَكُونَ فِي الْأَصْلِ (حَيْفٌ) إِلَى الْخَطِّ وَكَلَامًا مَقْبُولٌ .

(٢) آيَةُ ٩ سُورَةِ الْحَجَرِ

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

لَا تَأْخُذُوا عَلَىٰ جَعَدِ<sup>(١)</sup> أُولِيَائِي وَالزَّكُونَ إِلَىٰ مَا فِيهِ رِضَاءُ أَعْدَائِي عِوَضًا بِسِيرَةٍ فَنَقِبُوا بِذَلِكَ عَنِّي ، وَلَا يُبَارِكُ لَكُمْ فِيهَا تَأْخُذُونَ مِنَ الْعِوَضِ .

« وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ . . . » فَمَنْ أَخَذَ بِغَيْرِهِ حَكْمًا ، وَلَمْ يَجِدْ — تَحْتَ جَرِيَانِ حَكْمِهِ — رِضَىٰ وَاسْتِسْلَامًا<sup>(٢)</sup> فِي شِرْكِهِ خَاسِرًا قَلِيلًا ، وَكَفَىٰ قَارَنَ سِرِّهِ . وَهَيْهَاتَ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ سَوَاءٍ !

قوله جل ذكره : ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فَبِأَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَاللسَّنَ بِاللسنِ وَالْجُرُوحَ رِصَاصًا ، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

بَيِّنَ أَنْ اعْتِبَارَ الْمَدَائِلِ كَلْفَنَ حَتَّىٰ فِي شَرِّهِمْ ، وَلَمَّا جَنَحُوا إِلَىٰ التَّضْيِيعِ اسْتَوْجَبُوا الْمَلَامَ . « فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ » ، يَعْنِي فَمَنْ أَتَىٰ تَرْكُ مَالِهِ بِاعْتِنَاقِ الْعُيُوفِ لَمْ يَحْصِرْ عَلَيْنَا بِاسْتِجَابِ الشُّكْرِ ، وَمَنْ أُنِيَ إِلَّا تَمَادِيًا فِي إِجَابَةِ دَوَاعِي الْهَوَىٰ فَهَمَّ الَّذِينَ وَضَعُوا الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ؛ أَوْ اسْتَبَدَّلُوا بِلِزُومِ الْحَقَائِقِ مُتَابَعَةَ الْحَفَظِ ، وَبِإِثَارِ الْفِتْنَةِ مُوَافَقَةَ الْبَشَرِيَّةِ<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾

(١) وَرَدَتْ ( جَعَدَ ) الْمَاءُ وَاللَّامُ أَنْ تَكُونَ ( جَعَدَ ) فَهَكَذَا تَفْسِيرُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَكَذَلِكَ السِّيَاقُ ؛ إِنَّ رِضَاءَ الْأَعْدَاءِ بِقَائِلِهِ جَعَدَ الْأُولِيَاءِ .

(٢) وَرَدَتْ ( وَاسْتِسْلَامًا ) وَالْمَوَابِ ( اسْتِسْلَامًا ) أَيْ أَىِ اعْتِبَادًا وَطَاعَةً .

(٣) لِأَنَّ مِنْ عَنَاصِرِ الْفِتْنَةِ — عِنْدَ الصُّوفِيَةِ — الْبُذُلَ وَالْإِثَارَ وَالتَّضْيِيعَ



وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ  
وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ  
وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٠﴾

يعنى أتيناهم بميسى ابن مريم ، وخصصناه بالإنجيل ، وفى الإنجيل تصديق لما تقدمه ،  
وتحقيق لما أوجب الله وأزمه ، فلا الذين قضوا حقه ، ولا الإنجيل عرفوا فرضه ، ولا الرسول  
حفظوا أمره ؛ ففسقوا وضلوا ، وظلموا وزلوا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَنَبْحِثَنَّ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ  
فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ  
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

قال الله تعالى فى هذه السورة <sup>(١)</sup> : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »  
وقال فى موضع آخر « ... فأولئك هم الظالمون » وقال فى هذه الآية « ... فأولئك هم الفاسقون »  
أما فى الأول فقال : « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً . . . فأولئك هم الكافرون » لأن من لم  
يحكم بما أنزل الله فهو جاحد والجاحد كافر .

وفى الثانى قال : « وكتبنا عليهم أن النفس بالنفس . . . . . فأولئك هم الظالمون »  
لأن من جاوز حد القصاص واعتبار المائلة ، وتمدى على خصه فهو ظالم لأنه ظلم بعضهم  
على بعض .

وأما هاهنا فقال : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله . . . . . فأولئك هم الفاسقون »  
أراد به مصيبة دون الكفر والجحد <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ  
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ  
وَمُهِمِّنَا عَلَيْهِ ﴾

---

(١) وردت فى هذه ( الآية ) والصواب أن تكون ( السورة ) لأن القسرى أنى نظرة شاملة على آية  
واحدة ذات نهايات شتى فى السورة كلها .  
(٢) وهذه هى التزلة بين الكفر والإيمان — كما يسميها بعض علماء الكلام .

قدّم تعريفه — صلى الله عليه وسلم — قصص الأولين على تكليفه باتباع ما أنزل الله عليه للإبلاغ سبيل من تقدمه فيستوجب ما استوجبوه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ،  
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ عِوَاهِكُمْ مِنَ  
الْحَقِّ لِكُلِّ جَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً  
وَمِنْهَا جَا ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ  
أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ  
فِي آتَانَاكُمْ ﴾

لا تملكك مودة قريب أو حميم ، واعتنق ملازمة أمر الله — تبارك وتعالى — بترك  
كل نصيب لك .

ثم قال : « لكل جعلنا شريعة ومنهاجاً » بمعنى طريقة وسنة ؛ أى أفردنا كل واحد  
منكم — معاشير الأنبياء — بطريقة ، ( وأما<sup>(١)</sup> ) أنت فلا يدانيك في طريقتك أحد ،  
وأنت للقدم على الكافة ، وللفضل على الجملة ، ولو شاء الله لنسوى مراتبكم ، ولكن  
ظاهر بينكم ابتلاء ، وفضل بعضكم على بعض امتحاناً .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ  
مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ  
تَخْتَلِفُونَ ﴾

مسارعة كل أحد على ما يليق بوقته ؛ فالعابدون تقدمهم من حيث الأوراد ،  
والعارفون همته من حيث المواجد<sup>(٢)</sup> .

ويقال استباق الزاهدين يرفض الدنيا ، واستباق العابدين بقطع الهوى ، واستباق  
العارفين بنى للقى ، واستباق الموحدين بترك الورى ، وبيان الدنيا والمقوى .

(١) وودت ( ولا ) وهى خطأ فى النسخ  
(٢) وقع النسخ فى تكرار عبارة ( والعارفون .. ) غلطهما

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ  
 اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْضَرْهُمْ  
 أَنْ يَفْتَنُوكَ مِنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ  
 اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

فَمَ بِاللَّهِ فِيمَا تَحْكُم بَيْنَهُمْ ، وَأَقِمْ حَقَّوَهُ فِيمَا تُؤَخَّرُ وَقَدِّمُ ، وَلَا تَلَاظِظُ الْأَغْيَارَ فِيمَا  
 (تُؤَخَّرُ) (١) أَوْ تُؤَخَّرُ ، فَإِنَّ الْكُلَّ مَحْوٍ فِي التَّحْقِيقِ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمَ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ  
 أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ، وَإِنَّ  
 كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾

يعنى (عظهم) (٢) بلسان العلم فَإِنَّ أَبْوًا قَبُولًا فَشَاهِدَهُمْ بِعَيْنِ الْحُكْمِ . ويقال : أَشَدُّ  
 عَلَيْهِمْ بِاعْتِنَاقِ لَوَازِمِ التَّكْلِيفِ ، فَإِنَّ أَعْرَضُوا فَمِنْهُمْ بَيْنَ التَّصْرِيفِ ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ  
 — سبحانه — بِشَرَطِ التَّكْلِيفِ يَلْزِمُهُمْ ؛ وَبِحُكْمِ التَّصْرِيفِ يُؤَخَّرُهُمْ وَيَقْدِمُهُمْ ، فَالْتَّكْلِيفُ  
 فِيمَا أَوْجِبَ ، وَالتَّصْرِيفُ فِيمَا أَوْجَدَ ، وَالْمَبَرَّةُ بِالْإِبْجَادِ وَالْإِجَابِ .

قوله جل ذكره : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ  
 أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ  
 يُوقِنُونَ ﴾

أَيُعِيدُونَ فِي ظِلَّةِ الْحِجَابِ وَوَحْشَةِ الْإِلْتِبَاسِ بَعْدَ مَا سَطَعَ فَجْرُ الْعِرْفَانِ ، وَطَلَعَتْ شَمْسُ  
 التَّحْقِيقِ ، وَانْهَكَتْ أَسْتَارُ الرِّيبِ ؟

وَيَقَالُ أَيْطَلِبُونَ مِنْكَ أَنْ تُجِيبَ عَنِ الْحَبَّةِ الْمِثْلَى ، وَقَدْ انْضَحَتْ لَكَ الْبَرَاهِينُ  
 وَتَجَلَّى الْيَقِينُ ؟

وَيَقَالُ أَيْطَلِمُونَ فِي اسْتِقَارِ الْحَقَائِقِ فِي السَّرَائِرِ وَقَدْ تَجَلَّتْ شَمْسُ الْيَقِينِ ؟

(١) وودت (تؤخر) بالسين وهي خطأ في النسخ  
 (٢) وودت (عظهم) بزيادة ميم وهي خطأ في النسخ .

وقال آتسبون أن (....) <sup>(١)</sup> ظلة الشك لها سلطان ، وقد مَتَّحَ نهارُ الحقائق <sup>(٢)</sup> :  
... كلاً ، فإن ذلك محال .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ  
وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
وَمَن يَتَوَلَّمْ مِنْكُم فَأِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ  
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

لا تَجْنَحُوا إِلَى الْمَوَالَةِ مَعَ أَعْدَائِهِ — سَبْعَانِهِ — إِيْشَارًا لِلْكَوْنِ إِلَى الْخَطِّ ، أَوْ احْتِشَامًا  
مِنَ الْقِيَامِ لِلْحَقِّ ، أَوْ رُكُونًا إِلَى قَرَابَةِ نَسَبٍ ، أَوْ اسْتِحْقَاقًا لِمُودَةِ حِمِيمٍ ، أَوْ تَهَبُّبًا مِنْ اسْتِحْشَاشِ  
صَدِيقٍ . بَلْ صَبَّحُوا عَقُودَكُمْ عَلَى التَّيْرِئِ مِنْهُمْ بِكُلِّ وَجْهِ فَهَمَّ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَالضَّدِيَّةُ  
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ قَائِمَةٌ إِلَى الدِّينِ <sup>(٣)</sup> . « وَمَن يَتَوَلَّمْ مِنْكُم » التَّحَقُّقُ بِهِمْ ، وَانْخِرَاطُ فِي سَبِيلِهِمْ ،  
وَعَهْدٌ فِي جِلَّتِهِمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ  
يَلْعَنُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ  
تَصِيْبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ  
بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا  
عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾  
وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَاءُ الَّذِينَ  
أَقْسَوْا بِاللَّهِ جَهَنَّمَ إِيْمَانَهُمْ لَكُمْ كَعَمَلِكُمْ  
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَاصْبِرُوا خُلَافَينَ ﴾

(١) مشبهة

(٢) متروك النهار اصطلاح سوفى تحدث التشيرى عنه فى مواضع أخرى من هذا الكتاب ضمن الفوائى  
والفوائى والطوائى .

(٣) قائمة إلى الدين أى راجية إلى اختلاف دينهم عنكم ، وربما سقطت من الناسخ كلمة يوم قبل (الدين)  
فيكون المعنى : إِنْ الْمَوَالَةِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ قَائِمَةٌ دَائِمَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

يعني إن الذين سمعت ضمايرهم ، وضمت في التحقيق بصائرهم تسبق إلى قلوبهم مداواة<sup>(١)</sup>  
الأعداء خوفاً من معادتهم ، وطمعاً في المأمول من محبتهم ، ولو استيقنوا أنهم في أسر العجز  
وذلل الإهراس ، ونفى الطرد لأملوا الموعود من كفاية الحق ، والمهتود من جيل رعايته ،  
ولكنهم حجبوا عن محل التوحيد ، فغفروا في أودية الحسبان والظنون ، وعن قريب يأتيكم  
الفرج - أيها المؤمنون ، ورتدقون الفتح بحسن الإقبال ، والظفر بالمنول لسابق الاختيار ،  
فيشرون الندم ، ويقاسون الألم ، وأنتم ( تهلون )<sup>(٢)</sup> رهوسكم بعد الإطراق ، وتصفو لكم  
مشارب الإكرام ، وتضئ بزواهر القرب مشارق القلوب . حينئذ يقول الذين آمنوا هؤلاء  
الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئلا يأتونا بأبصارهم ما تلقوه بالنبى في أسرارهم ، ويصلون من  
موعودهم إلى ما يوفى ويرجو على مقصودهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ .

جعل صفة من لا يرتد عن الدين أن الله يحبه ويحب الله ، وفي ذلك إشارة عظمة للمؤمنين  
لأنه يجب أن يعلم أن من كان غير مرتد فإن الله يحبه . وفيه إشارة دقيقة فإن من كان مؤمناً  
يجب أن يكون لله محباً ، فإذا لم تكن له محبة فاططر بصحة إيمانه . وفي الآية دليل على جواز  
محبة المبد لله وجواز محبة الله للمبد .

ومحبة الحق للمبد لا تخرج عن وجوه : إما أن تكون بمعنى الرحمة عليه أو بمعنى اللطف  
والإحسان إليه ، والمدح والثناء عليه .

أو يقال إنها بمعنى إرادته لتقريبه وتخصيص محله .

وكما أن رحمته إرادته لإنعامه فمحبة إرادته لإكرامه ، والفرق بين المحبة والرحمة على هذا  
القول أن المحبة إرادة إنعام مخصوص ، والرحمة إرادة كل نعمة فتكون المحبة أخص من الرحمة ،

(١) وردت ( هراوة ) ، وإلرجوع للكتب التفسير ساعدتنا على اختيار ( مداواة ) ( انظر  
تفسير وجدى ) .

(٢) وردت ( تهلون ) وللاطم أن تكون ( تهلون ) رهوسكم بعد الإطراق .

واللفظان يوردان إلى معنى واحد فإن إرادة الله تعالى واحدة وبها يريد سائر مراداته ، وتختلف أسماء الإرادة باختلاف أوصاف المتعلق .

وأما محبة العبد لله — سبحانه — فهي حالة لطيفة يجدها في قلبه ، وتحمل تلك الحالة على إظهار<sup>(١)</sup> موافقة أمره ، وترك حظوظ نفسه ، وإظهار حقوقه — سبحانه — بكل وجه .  
وتحصل العبرة عن تلك الحالة على قدر ما تكون صفة العبد في الوقت الذي يبرر عنه ؛ فيقال المحبة ارتياح القلب لوجود المحبوب ، ويقال المحبة ذهاب ألحجب<sup>٢</sup> بالكلية في ذكر المحبوب ، ويقال المحبة خلوص الحب لمحبوبه بكل وجه ، والمحبة بلاه كل كريم ، والمحبة نتيجة المحبة فمن كانت همة أعلى فحبته أسمى بل أوفى بل أعلى

ويقال المحبة سُكْرٌ لا صحوَّ فيه ودَهْشٌ في لقاء المحبوب يوجب التعلُّل عن التيز ، ويقال المحبة بلاه لا يَرُجَّى شفاؤه ، وسقام لا يعرف دواؤه . ويقال المحبة غريمٌ يلازمك لا يبرح ، وورقيبٌ من المحبوب يستوفى له منك دقائق الحقوق في دوام الأحوال ، ويقال المحبة قضية توجب المحبة ؛ فحبة الحق أوجبت محبة العبد<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ يَجْمَعُهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ

فَلِكُفُلٍ فَضَّلُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ

وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾

لولا أنه يجمعهم لما أحبوه ، ولولا أنه أخبر عن المحبة فأنى تكون للطينة ذكرُ المحبة ؟ ثم بين الله تعالى صفة المحبين فقال « أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ » . يبنون السَّجَّجَ في المحبوب من غير كراهة ، ويبنون الأرواح في الذَّبِّ عن المحبوب من غير ادخار شظية من اليسور .

(١) وردت خطأ ( إيسار ) بالين

(٢) كلام القشيري في المحبة هنا لا يكاد يختلف كثيراً عن كلامه عنها في ( الرسالة )

ثم قال تعالى في صفتهم : « يجاهدون في سبيل الله » أى يجاهدون بنفوسهم من حيث استدامة الطاعة ، ويجاهدون بتلويمهم بقطع المني والمطالبات ، ويجاهدون بأرواحهم بمخافة العلاقات ، ويجاهدون بأسرارهم بالاستقامة على الشهود في دوام الأوقات .

ثم قال : « لا يخافون لومة لائم » أى لا يلاحظون نُصَحَ حِمٍ ، ولا يركنون إلى استقلال حكم ، ولا يمنحون إلى حظ ونصيب ، ولا يزيغون عن سَنَنِ الوفاء بحال .

ثم بين — سبحانه — أن جميع ذلك إليه لا منهم فقال : « وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسعٌ عليم » منفصلٌ عليهم بمن يخصُّ بذلك من عباده .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾

الولى أى الناصر ، ولا موالاة بين المؤمنين وبين أعداء الحق — سبحانه — فأعداء الحق هم أعداء الدين .

و « إِنَّمَا » حرفٌ يقتضى أن ما عداه بخلافه ، وأعدى عدوك نفسك — كافى الظبر — ومن عادى نفسه لم يخرج بالخاصة عنها مع الخلق والممارسة فيها مع الحق <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَسُؤِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

الغائزون على حظوظهم الذين هم خصم للحق على أنفسهم لا خصم لأنفسهم على مولاىهم ، والغلبة بالحق والبرهان دون اليد .

ويقال من قام لله بصديق انحسرت عنه كلُّ مَبْطِل . ويقال إذا طلعت أنوار الحق أدبر ليل أهل الباطل .

---

(١) أى إن من غاصم نفسه لم تتم بينه وبين الناس ولا بينه وبين الحق خصوصاً من أجل نفسه فقد انتفت حظوظها بالسلبية وأسماها لربه بلا معاوضة .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبَآتَيْنِ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُم وَالْكَافِرِ أُولِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

نَبِّهَهُمْ عَلَى وَجوب التحيز عنهم والتحيز منهم ، فَإِنْ خَالَفَ فِي الْعَقِيدَةِ لَا يَكُونُ مُوَافِقًا فِي الْحَقِيقَةِ .

وَيُقَالُ أَمَرَّمُ بَأَن يَلَاظِمُ بَيْنَ الْأَسْتِمْرَارِ كَمَا لَاحَظُوا دِينَ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ الْأَسْتِمْرَارِ .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوءًا وَلَعِبَآةً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾

الْأَذَانُ دُعَاةٌ إِلَى مَحَلِّ النُّجُوى ، فَتَنْتَقِى بَعْلُو الْمَحَلِّ فَسَاعِ الْأَذَانِ يُوْجِبُ لَهُ رُوحُ الْقَلْبِ وَاسْتِرَاحَةُ الرُّوحِ ، وَمَنْ كَانَ مُجْجَبًا عَنْ حَقِيقَةِ الْحَالِ لَاحَظَ ذَلِكَ بَيْنَ اللَّعِبِ وَأَدْرَكَ بِسَمْعِ الْأَسْمَاءِ ، وَذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ : فَالْغَيْرَ بَيْنَ عِبَادِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ .

قوله جل ذكره : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِبُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾

مَا لَنَا عِنْدَكُمْ عَيْبٌ إِلَّا أَنْتُمْ تَحْقُقْنَا أَنْتُمْ عَوْرٌ فِي اللَّهِ ، (وَأَنَّ الْكَاتِبَاتِ حَاصِلَةٌ بِاللَّهِ وَلَا تَنْقِى أَنْتُمْ سَوَى اللَّهِ فِي اللَّهِ) <sup>(١)</sup> ، وَهَذَا — وَاللَّهُ — عَيْبٌ زَائِلٌ ، وَهَقْصٌ لَيْسَ لَهُ — فِي التَّحْقِيقِ — حَاصِلٌ .

قوله جل ذكره : ﴿قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً

(١) مَا بَيْنَ التَّوْسِيعِ وَاجْتِنَاءِ فِي الْمَامِشِ أُنْجِنَاءِ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ النَّصِّ حَسْبِ الْعَلَامَةِ الْمُبِينَةِ .



عند الله من نعمته الله وغضيب عليه  
وجعل منهم الفرقة والاختلاف وعبد  
الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل  
عن سواء السبيل ﴿

يعنى أخس من المذكورين قدرًا ، وأقل منهم خطراً من سقط عن عين الله فأذله ، وأبعده  
عن نعمت التخصيص فأضله ، ومنه عن وصف التقريب وأبعده ، وحجبه عن شهود  
الحقيقة وطرده .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا  
بالكفر وهم قد خرجوا به والله  
أعلم بما كانوا يكتمون ﴾

أظهروا الصدق ، وفى التحقيق نافقوا ، وانفضحوا من حيث أوهوا ولبسوا ؛ فلاح لهم  
بقيت مستورة ، ولا أسرارهم كانت عند الله مكتوبة <sup>(١)</sup> ، وهذا نعت كل مبطل . وعند  
أرباب الحقائق أحوالهم ظاهرة فى أنوار فراصتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وترى كثيراً منهم يسارعون  
فى الإنم والمذوان وأكليم السحت لبئس  
ما كانوا يعملون ﴾

تملكتهم الأطماع فاسهوتهم فى مناهات العناء ، وذلك نعت كل ( طالع ) <sup>(٢)</sup> فى غير  
مطعم ؛ ذل حضر ، وصغار مستول .

قوله جل ذكره : ﴿ لولا ينهم الربايون والأخبار من  
قولهم الإنم وأكليم السحت لبئس  
ما كانوا يعملون ﴾

(١) وردت ( مكتوبة ) والمروا أن تكون مكتوبة لتلائم مستورة التى سبقت .

(٢) ربما كانت ( طالع ) فى غير مطعم وربما كانت ( ضالع )

الرَّبَّانِيُّ مِنْ كَانَ اللَّهُ وَبِاللَّهِ ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ لِنُفْرِ اللَّهِ .

وَيَقَالُ الرَّبَّانِيُّ الَّذِي ارْتَقَى مِنَ الْمُدُودِ .

وَالرَّبَّانِيُّ مَنْ تَوَقَّى الْآفَاتِ ثُمَّ تَوَقَّى إِلَى السَّاحَاتِ ، ثُمَّ تَلَقَّى مَا كُشِفَ بِهِ مِنْ زَوَائِدِ الْقَرَبَاتِ ، فَخَلَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَصَفَا عَنْ وَصْفِهِ ، وَقَامَ لِرَبِّهِ وَبِرَبِّهِ .

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الرَّبَّانِيَّينَ تَالِيْنَ لِلْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَوَّلُو الدِّينِ ، فَهُمْ خَلْفُهُ يَهْوُونَ انْخِلَاقَ بِمِلَّةِ أَحْوَالِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَهْوُونَهَا بِأَقْوَالِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا أَشَارُوا إِلَى اللَّهِ حَقَّقَ اللَّهُ مَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَتَحَقَّقَ مَا عُلِّقُوا بِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَفْلُوءَةٌ خَلَّتْ

أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا ، بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُغْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيزِيدَنَّ

كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ

رَبِّكَ ظَنَافِيرًا وَكَفْرًا ، وَالْقَيْنَا بَيْنَهُم

الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

كُلًّا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْلَقَهَا اللَّهُ

وَيَسْمَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، وَاللَّهُ

لَا يَحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

صَغُرَ سُوءُ قَالَةِ الْمُوحِدِينَ — فِي اخْتِيَابِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ بَعْدَ مَا كَانُوا بِالتَّوْحِيدِ قَائِلِينَ

وَبِالشَّهَادَةِ نَاطِقِينَ — بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا قَالَهُ الْكُفَّارُ مِنْ سُوءِ الْقَوْلِ فِي اللَّهِ ، يَعْنِي أَنَّهُمْ وَإِنْ

أَسَادُوا قَوْلًا فَلَقَدْ كَانَ أَسْوَأَ قَوْلًا مِنْهُمْ مَنْ نَسَبْنَا إِلَى مَا نَحْنُ عَنْهُ مُنْكَرٌ ، وَأَطْلَقَ فِي وَصْفِنَا

مَا نَحْنُ عَنْهُ مُقَدَّسٌ .

ثُمَّ إِنْ الْحَقُّ — سَبَّحَانَهُ قَالَ : ﴿ خَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ فَلَا رَيْحَ الصِّدْقِ يَشْمُونَ ،

وَلَا نَفْسًا مِنَ الْحَقِّ يَجِدُونَ .

ثم أتى على نفسه قتال : « بل يدهاء مبسوطان »<sup>(١)</sup> أى بل قدرته بالغة ومشيتته نافذة ، ونعمته سابقة وإرادته ماضية .

ويقال : « بل يدهاء مبسوطان » أى يرفع ويضع ، وينفع ويدفع ، ولا يخلو أحدٌ عن نعم النفع وإن خلا عن نعم الدفع .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاكُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾

إنما وعدم الغفران بشرط التقوى . ودليل الخطاب يقتضى أنه لا ينظر لمن لم يتق منهم . وقال لطالعي هذه الأمة : « ثم أوردنا الكتاب القدين اصطفتينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه »<sup>(٢)</sup> ثم قال في آخر الآية : « جنات عدن يدخلونها » أى أهل التقوى لأنه هو أهل المغفرة ، فإن تركم التقوى فهو أهل لأن ينظر ويقال لو أنهم راعوا أمرنا أصلحنا لهم أمرهم ، ولكنهم وقفوا وقفوا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْفَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾

أى لو سلكوا سبيل الطاعة لوسعنا عليهم أسباب المعيشة وسهلنا لهم الحال حتى إن ضربوا يميني ما لقوا غير اليمين ، وإن ذهبوا بيسرة ما وجدوا إلا اليسر .

قوله جل ذكره : ﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

المقتصد الرافق على حد الأمر ؛ لا يُقَصَّرُ فيُقَصِّص ، ولا يجاوزُ فيزيد .

(١) لاحظ كيف يؤول التشيرى ( اليد ) ليمد عنها كل دلالة حسية ويجعلها من الأوصاف الالهية .

(٢) آية ٣٢ سورة فاطر

ويقال المنتصد الذي تساوى في هِمَّتِهِ القَدْرُ والوجودُ في الحادثات .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾

لا تَنكُمُ شَيْئًا مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مُلَاحَظَةً لِنَفْيِهِ ، إذ لا غير — في التحقيق — إلا رسوم موضوعة ، وأحكام القنطرة عليها جارية .

ويقال بَيِّنْ للكافة أنك سَيِّدُ ولد آدم ، وأن آدم دون لوانك .  
ويقال بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْتَى غَفَرُ لِمَعَاذِ وَلَا أَيْلَى ، وأردُّ مِنَ الْمُطِيعِينَ مَنْ شِئْتُ وَلَا أَيْلَى .<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ وَاللَّهُ يَمُصُّكَ مِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

يحفظ ظاهره من أن يَمُصَّكَ أَذَاهُ ، فلا يتسلط بعد هذا عليك عدو ، أو يصون سريره عنهم حتى لا يقع عليه احتشامٌ منهم .

ويقال يَمُصُّكَ مِنَ النَّاسِ حتى لا تنفرك في بحر التوهم ؛ بل تشاهدهم كأنهم ؛ وجوداً بين طرفي القَدَمِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

---

(١) يتضح من هذه الإشارة شيئان : أولهما مدى اتساع مدور الصوفية للتساع ونظرهم المتخاطبة إلى سعة الرحمة الإلهية مما يطعن المعصاة ويمس على التوبة ، وثانيهما مدى مخالفة الشريعة للمعزة في مسأله وجوب التوبة أو العقوبة على الله سبحانه ، فلا وجوب — عنده — على الله بمخلافهم .

أى ليس انتماشكم ولا نظام مثلشكم ، ولا قَدْرُكم فى الدنيا والْعَقْبى ، ولا مقبداركم  
ولا منزلكم فى حال من حالاتكم إلا بمراعاة الأمر والنهى ، والمحافظة على أحكام الشرع .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا  
وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ  
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

بَيِّنَ أَنَّهُمْ — وَإِنْ نَجَسَتْ أَحْوَالُهُمْ — فَبِعِدْمَا تَجْمُعِهِمْ أَصُولُ التَّوْحِيدِ فَلَهُمُ الْأَمَانُ مِنَ  
الْوَعِيدِ ، وَالْفَوْزُ بِالزَّيْدِ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كَلَّمَا جَاءَهُمْ  
رَسُولٌ بِمَا لَا يَهْوَىٰ أُفْسُهُمْ فَوَرِقُوا  
كَفْدَبُوا وَفَرِقُوا يُقَتِّلُونَ \* وَحَسِبُوا  
أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ  
اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ  
مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بِمَا يَصْلُونَ ﴾

داروا مع الهوى فوقعوا فى البلاء . ومن أمارات الشقاء الإصرار على مناجاة الهوى ،  
وحسبوا ألا تكون فتنة ، فعموا وصموا . واغترخوا بطول الإهمال فأنصروا على قبيح الأعمال ،  
فلما أخذتهم مجاعة الانتقام لم يفهمهم الندم ، وبرَّح بهم الألم .

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ  
ابْنُ مَرْيَمَ وَغَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ  
اعْبُدُوا اللَّهَ عِزِّي وَرَبِّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ  
بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ  
النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾

سَقِمَتْ بِصَائِرِهِمِ وَالتَّبَسُّتْ عَلَيْهِمُ أَمَارَاتُ الْخُدُوثِ ، فَخَلَطُوا فِي عَقَائِدِهِمْ اسْتِحْقَاقَ أَوْصَافِ الْقِدَمِ بِنِعْوَتِ الْخُدُوثِ !

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ، وَإِنْ لَمْ يَدْنُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَكَبُشْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ \* أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُوهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

بلغ الخلفان بهم حداً أن كانوا الضروية فحكوا الواحد بأنه ثلاثة ، ولا ينفى فساد هذا على مجنون . . فكيف على عاقل ؟ !

قوله : « أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُوهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » لم يُلَفِّقْ بَابُ التَّوْبَةِ عَلَيْهِمْ — مع قبيح أقوالهم ، وفساد عقائدهم — تضييقاً<sup>(١)</sup> لأمال المؤمنين بخصائص رحمته .

قوله جل ذكره : ﴿ مَا لِلنَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُوَّهُ صِدْقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الْعَطَمَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

مَنْ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَرْحَامُ ، وَتَنَاقَبَتِ الْآثَارُ لِلتَّمَاقِبَةِ أَنَّى يَلِيقُ بِوَصْفِ الْإِلَهِيَّةِ ؟  
ثُمَّ مَنْ مَسَّتْ الْحَاجَةُ حَتَّى اتَّصَفَ بِالْأَكْلِ وَأَصَابَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى أَنْ يَخْلُصَ مِنْ بَقَايَا الْعَطَامِ فَأَنَّى يَلِيقُ بِهِ اسْتِجَابُ الْعِبَادَةِ وَالتَّسْمِيَةُ بِالْإِلَهِيَّةِ ؟

انظر — يا محمد — كيف تزيد في إيضاح الحجة وكيف تلبس عليهم سلوكُ الحجة ؟

(١) تضييقاً أى جعلها مضاعفة .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ شَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ ﴾ .

تعلیقُ القلوب — بدونِ الرَب — فی استدفاع الشر واستجلاب الخير بحقیق الوقت فیما لا یُجَدِّی ، وإذهابُ الشر فیما لا یُنْفِی ؛ إذ المتفردُ بالإيجاد بری عن الأنداد .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ الْحَبِيلِ ۝ ﴾

التعمقُ فی الباطل قطعُ لآمال الرجوع ؛ فكلما كان بُعدُ المسافة مِن الحقِّ أتمَّ كان اليأسُ من الرجعة أوجبَ ، ومتَّسعُ الضلالة شرٌّ من مبتدئها ؛ لأنَّ المبتدع يبي والمُتَّبِع يُمِّمُ البناء ، ومن به كمالُ الشرُّ شرٌّ من منه ابتداء الشر .

قوله جل ذكره : ﴿ لَمَّا اتَّخَذْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ ﴾ .

أمرُ الأنبياء — عليهم السلام — حتى ذكروا الكفار بالسوء ، وأمَّا الأولياء فخصَّهم بذكر نفسه فقال : « هو الذي يصلي عليكم » <sup>(١)</sup> ؛ فلمنة الكفار بلسان الأنبياء ، وذكروا للؤمنين بالجميل بلسان الحقِّ — سبحانه ، ولو كان ذلك ذكراً بالسوء لكان فيه استحقاقُ فضيلةٍ ، فكيف وهو ذكرٌ بالجميل ؟! وقد قال قائمهم :

ثَن سَادَى أَنْ تَلْقَى بِسَادَةٍ قَدْ سَرَى أَيْ خَطَرَتْ بِبَالِيسَا

قوله جل ذكره : ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ عَنْ مَنكَرٍ

(١) آية ٤٢ سورة الأحزاب .

قَالُوا (١) لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ .

الرضا بمخالفة أمر الحبيب موافقة المخالف ، ولا أنفة بـد تميز الخلاف . والسكوت عن جهله تعامل به كرم ، والإغضاء عما يقال في محبوبك دناءة .

قوله جل ذكره : ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الدِّينَ

كَفَرُوا لَيْسَ بِأَقْدَمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ

أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَذَابِ

خَالِدُونَ .

شر خصال النام مطابقة بن يضاد الصديق ، فإذا كان سخط الله في موالاة أعدائه ، فرحمته — سبحانه في معاداة أعدائه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ

وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ

وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ .

صرح بأن موافق من ناولك (٢) آثر التبعاد عنك ؛ إذ لو كانت ينسكا شهرة غير منقطعة لأخلصت (٣) في موالاه ، وأخلص في مصافاتك .

قوله جل ذكره : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ

آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ

أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا

إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ

وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ .

بين أن صفة العداوة وإن كانت تجمعهم فعداوة بعضهم تزيد على بعض ، ويقل

(١) سقطت (ضلوه) من الناسخ فأنبتناها .

(٢) وردت (ناولك) وربما كانت في الأصل (ناولك) والتبست على الناسخ فظنها لا ما .

(٣) أخطأ الناسخ فكتبها (أخلصت) .



ما النصرارى من الترهيب أثر فيهم (بالمقاربة) <sup>(١)</sup> من أهل الحق ؛ فاتهم وإن لم يفتنعوا بهم من حيث الخلاص فقد ذكرتم الله سبحانه — بمقاربة أهل الاختصاص .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ

تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ

مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا

فَاكْتِنًا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾

هذه صفة من نظر إليه الحق نظر القبول ، فإذا قرعَتْ نَفْسُهُمْ دعوة الحق ابتست البصيرة في قلوبهم ، فسكنوا إلى المسبوع لما وجدوا من التحقيق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا

مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا

مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾

وأى عذر لنا في التبرج في أوطان الارتباب ، وقد تجلَّتْ لقلوبنا المحجج ؟ ثم ما نؤمله من حسنِ الماقبة . متى بدونه يمكن أن نطلبه ؟

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَنَّا نَبُغِ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ نَجْمِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ

جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾

لَسَا صَدَقَتْ آمَلُمُ قَابِلُهَا بالتحقيق ، سَنَّهُ مِنْهُ — سبحانه — ألا ينبغي راجيه ، ولا يرد مؤمله <sup>(٢)</sup> ، وإنما علقَ التواب على قول القلب الذى هو شهادة عن شهوده ، فأما النظر المنفرد عن البصيرة فلا تواب عليه ولا إيجاب <sup>(٣)</sup> .

---

(١) وردت (بالقدرة) والعبوب أن تسكون (المقاربة) فقد وردت كذلك فيها بعد إشارة إلى ما في الآية (أفريقهم مودة . . . ١٠٠ . . . وربما تجلَّتْ : لتأثرت) على أساس مقارنة النصرارى باليهود .

(٢) وردت (مؤله) وهو خطأ في النسخ .

(٣) لاحظ هنا قبة الإعجاز المنطوق بالتياسر إلى الإيمان اللهي ؛ منزهة ذلك في التصالح الديني .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
 أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾  
 (هذا) أثر الإعراض عن الأعداء في مقابلة أثر الإقبال على الأولياء معجلاً وموجلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا  
 طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَعِدُوا  
 إِنَّا اللَّهُ لَا يَجِبُ الْمُتَسِدِينَ ﴾

من أمارات السعادة الوقوف على حد الأمر ؛ إن أباح الحق شيئاً قبله ، وقابله  
 بالخشوع ، وإن خطر شيئاً وقف ولم يتعرض للجحود .

وما أباحه من الطيبات الاسترواح إلى نسب القرب في أوطان الخلوة ، وتحريم ذلك : إن  
 استبدل تلك الخلقة بالخلقة دون العزلة ؛ والعشرة دون الخلوة ، وذلك هو المدوان العظيم  
 والغسران اللين .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا  
 طَيِّبًا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ  
 مُؤْمِنُونَ ﴾

الحلال الثاني بأن يأكل العبد ما يأكل على شهوده — سبحانه — فإن نزلت الخلقة  
 عن هذا قتل ذكره — سبحانه — فإن الأكل على الغفلة حرام في شريعة الإرادة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفِغْرِ فِي آيَاتِكُمْ  
 وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْآيَانَ  
 فَكَفَلْتُمْهُ إِطْلَمَ عَشْرَةَ مَسَاكِينَ  
 مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ  
 أَوْ كِسْفًا أَوْ تَحْرِيرَ رَقِيَّةٍ ، فَمَنْ  
 لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ  
 كَفَّارَةُ آيَاتِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ  
 وَحَافُوا

آيَاتِكُمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾

الإشارة منه إلى وقتٍ يَنْتَلِبُ على قَلْبِكَ التَّنَطُّشُ إلى شيء من إقباله أو وصاله ،  
فَتَقْفِيْمٌ عليه بجماله أو جلاله أَنْ يَرْزُقَكَ شَغِيَّةً من إقباله ، فَكَذَلِكَ في شريعة الرضا  
نوعٌ من اليقين ، فيضو عنك راحةً عليك لضعف حالك . والأوَّلُ التَّوْبَانُ والْحَمْدُ بِمَحْسَنِ  
الرِّضَا نَحْتُ مَا يُجْرِي عَلَيْكَ من أحكامه في الرِّدِّ وَالصَّدِّ ، وَأَنْ تُوَزَّرَ اسْتِغْفَارُكَ في أدائه  
حقوقه على إكرامك بِمَحْسَنِ تَقَرُّبِهِ وإقباله ، كما قال قائلهم :

أُرِيدُ وَصَالَهُ وَيُرِيدُ هَجْرِي فَأَتْرُكُ مَا أُرِيدُ لِمَا يُرِيدُ

وَمِنْ الْقَوَى فِي الْيَقِينِ — عِنْدَهُم — مَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِمْ فِي حَالِ غَلَبَاتِ الْوَجْدِ مِنْ  
تَحْيِيدِ الْمَهْدِ وَتَأْكِيدِ الْعَقْدِ ، فيقول :

وَحَقِّكَ مَا نَظَرْتُ إِلَى سِوَاكَ ، وَلَا قُلْتُ بِغَيْرِكَ . . . وَلَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِكَ ،  
وَأَمْثَالُ هَذَا . . .

وَكُلُّهُ في حَكْمِ التَّوْحِيدِ لِقَوَى ، وَعَنْ شُهُودِ عَهْدِ الْأَعْدِيَةِ سَهُوً . . . وَمَنْ أَنْتَ  
فِي الرِّفْقَةِ حَتَّى تَقْدِمَ نَفْسَكَ ؟ وَأَيْنَ فِي الدَّارِ دَيْلٌ حَتَّى تَقُولَ بِتَرْكِهِ أَوْ تَتَحَقَّقَ بِوَصْلِهِ  
أَوْ هَجْرِهِ ؟ كَلَّا . . . بَلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ <sup>(١)</sup> .

وَكَمَا أَنَّ الْكُفْرَانَ الشَّرْعِيَّ إِنَّمَا عِثْقٌ أَوْ إِطَامٌ وَإِنَّمَا كِسُوءُهُ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ  
أَيَّامٍ : فَكُفَّرْتَ بِهِمُ — عَلَى مَوْجِبِ الْإِشَارَةِ — إِنَّمَا يَنْبُلُ الرُّوحَ بِحَكْمِ الْوَجْدِ ، أَوْ يَنْبُلُ الْقَلْبَ  
بَصِحَّةِ الْقَصْدِ ، أَوْ يَنْبُلُ النَّفْسَ بِدَوَامِ الْجَهْدِ ، فَإِنْ عَجَزْتَ فَمَسَاكُ وَصِيَامٍ عَنْ  
الْمُنَاهِي وَالزَّوْجَرِ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ

(١) وشبهه بذلك قول الشَّيْخِ حِينَ سَأَلَ عَنْ التَّوْحِيدِ ( مِنْ أَجَابَ عَنْ التَّوْحِيدِ بِالْعِبَارَةِ هُوَ مُلْعَدٌ ،  
وَمِنْ أَشَارَ إِلَيْهِ هُوَ تَوْنٌ ، وَمِنْ أَوْحَا إِلَيْهِ هُوَ تَابُوتٌ ، وَمِنْ نَطَقَ فِيهِ هُوَ ظَالِمٌ . . . وَكُلُّ مَا يَبْزَحُوهُ  
بَأَوْهَامِهِمْ وَأَدْرَكْتُمُوهُ بِتَوَلُّسِهِمْ فِي آتَمِ مَخَانِيهِمْ هُوَ مَصْرُوفٌ مُرَدُّودٌ إِلَيْكُمْ ، مُحَدَّثٌ مَعْنُوعٌ مُتَشَكِّكٌ »  
الرسالة ص ١٤٩ .

والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل  
الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴿١﴾

الحر ما خضر العقل ، والحر حرام .

والإشارة فيه أنه يزيد نفاد العقل بما يوجب عليه من الالتباس .

ومن شرب من خمر الغلة فسكره أصعب ؛ فشرب الغلة يوجب البعد عن الحقيقة .  
وكأن من سكر من خمر الدنيا ممنوع عن الصلاة فمن سكر من خمر الغلة فهو محبوب

عن المواصلة .

وكأن من شرب من خمر الدنيا وجب عليه الحد فكذلك من شرب شراب الغلة  
فعليه الحد إذ يضرب بسيطا الخوف .

وكأن السكران لا يقام عليه الحد ما لم ينفق فالغافل لا ينصح فيه الوعظ ما لم ينته .  
وكأن مفتاح الكبار شراب الحر ( فالغلة )<sup>(١)</sup> أصل كل زلة ، وسبب كل ذلة وبده  
كل بُعد وحجة عن الله تعالى .

ويقال لم يحرم عليه الشراب في الدنيا إلا وأباح له شراب القلوب ؛ فشرب الكبار  
محذور ( وشراب الاستئناس مبذول ، وعلى حسب المواجد حظى القوم بالشراب )<sup>(٢)</sup> ، وحيثما  
كان الشراب كان السكر ، وفي مناه أشدوا :

فما مل ساقها وما مل شارب عتار لحاظ كانه يسكر اليا  
فصحوك من لظى هو الوصل كله وسركك من لظى يبيع لك الشرا

وحرّم المسرف في الشرع ، وفي شريعة الحب القوم مقهورون ؛ فمن حيث الإشارة أبدانهم  
مطروحة في شوارع التقدير ، يفلوها كل طائر سبيل من الصادرين من عين المقادير ، وأرواحهم  
مستباحة بحكم القهر ، عليها خرجت القرعة من ( . . . )<sup>(٣)</sup> الحكم ، قال تعالى « فنام  
فكان من المسحطين »<sup>(٤)</sup> .

(١) أضفنا ( الغلة ) وليست موجودة في النص لينصح المنى .

(٢) ما بين القوسين متبوع في الهامش تقتناه إلى موضعه حسب الكلمات .

(٣) مشبهة . (٤) آية ١٤١ سورة الصافات .

قوله جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ  
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَرِّ وَالْيَمْرِ  
وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ  
فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ۝﴾ .

طال بُعْدُكُمْ عن الحقيقة فقاموا الهوان في ملاحق التربة ، وصاروا سخرة للشيطان ، فبقوا  
الصلاة التي هي محل النجوى وكال الراحة ، وَفَسَدَتْ ذاتُ بَيْنِهِمْ بما تولد من  
الشحناء والبغضاء .

قوله جل ذكره: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ  
وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَوْنَا إِنَّمَا عَلَى  
رُسُلِنَا الْبَلَاغُ لِلْبَينِ ۝﴾ .

كلما كان العبد أعرف بربه كان أخوف من ربه ، وإنما يتقى الخفر عن العبد عند تحقيق  
للموعِد بقوله : « أولئك لهم الأمن »<sup>(١)</sup> وذلك عند دخول الجنة . وحقيقة الخفر نهوض القلب  
بدوام الاستغاة مع مجارى الأنفاس .

قوله جل ذكره: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا  
مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ  
اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ  
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾

من حافظ على الأمر والنهى فليس للعبة يتناولها من الخطر ما يضائق فيها ، وإنما للقعود  
من العبد التأدب بصحبة طهر يقسمحاته ، فإذا اتقى الشرك تعرّف ، ثم اتقى الحرام فإذا تصرّف ،  
ثم اتقى الشحّ فأثر وما أسرف .

(١) آية ٨٢ - سورة الأنعام .

وقوله «ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا...» يعنى اتقوا للنعم<sup>(١)</sup> وأحسنوا للخلق... وهذا للمعصوم. ثم اتقوا شهود الخلق؛ فأحسن الشهود الحق، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه— وهذا مختص.

والله يحب المحسنين أعمالاً والمحسنين (آمالاً)<sup>(٢)</sup> والمحسنين أحوالاً.

قوله جل ذكره: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْلَوَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ

من الصيد قتاله أيديكم ورميكم ليعلم

الله من يخافه بالنيب فمن اعتدى

بعد ذلك فله عذاب أليم \*

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ

وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّلاً

فجزاءه مثل ما قتل من النعم يحكم به

ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذَا بِالنَّاصِيَةِ

أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ

ذَكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ

عفا الله عما سلفَ وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمِ

اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ \*

أباح الصيد لمن كان حلالاً<sup>(٣)</sup>، وحرّم الصيد على المحرم الذي قصده زيارة البيت . والإشارة فيه أن من قصد بيتنا فينبغي أن يكون الصيد منه في الأمان ، لا يتأذى منه حيوان بحال ، لذا قالوا: البرّ من لا يؤذى الذر ولا يضرّ الشر .

ويقال الإشارة في هذا أن من قصدها فعليه نَبَذُ الأطاعِ جلة ، ولا ينبغي أن تكون له مطالبة بحال في الأحوال .

(١) أى منع الإحسان .

(٢) ترجع أنها في الأصل (أموال) .

(٣) الحلال = الخارج من الإحرام (التجدي : مادة حل) .

وكأنَّ الصيدَ على المُحرَّم حرامٌ إلى أن يتحلل فكذلك الطلب والطعم والاختيار -  
على الواجد - حرامٌ ما دام مُحَرَّمًا بقلبه .

ويقال المارِفُ صيدُ الحلق ، ولا يكون للصيد صيد .

وإذا قَتَلَ المُحرَّمُ الصيدَ فعليه الكفَّارة ، وإذا لاحظ المارِفُ الأغيارَ ، أو طمع أو رغب  
في شيء أو اختار لَزِمَتَهُ الكفَّارة ، ولكن لا يُكْتَفَى منه بمزاء المثل ، ولا بأضماف أمثال  
ما تصرف فيه أو طمع ، ولكن كفَّارته نجرده - على الحقيقة - عن كل غير ، قليل أو كثير ،  
صغير أو كبير .

قوله جل ذكره : ﴿ أَجِلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ  
مَتَاعًا لَكُمْ وَالسِّيَارَةِ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ  
صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ  
الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

حُكْمُ الْبَحْرِ خِلَافُ حُكْمِ الْبَرِّ . وإذا غرق العبدُ في بحار الحقائق سَقَطَ حُكْمُهُ ، فصيد  
البحر مباح له لأنه إذا غرق صار محوًّا ، فأإليه ليس به ولا منه إذ هو محوٌّ ، واللهُ  
غالبٌ على أمره .

قوله جل ذكره : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتَامَى الْحَرَامَ قِيَامًا  
لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ  
وَالْقِلَاعَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ  
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ  
اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

حَكْمُ اللَّهِ سِبْغَانَهُ - بأن يكون يَتُهُ - اليومَ ملجأً يلوذ به كل مؤمِّل ، ويستقيم  
ببركات زيارته كلُّ مائلٍ عن نهج الاستقامة ، ويستنجح بابتهاله هناك كلُّ ذي أَرْبٍ .

والبيتُ حَجَرٌ والعبدُ مَدْرٌ ، والحلقُ سِبْغَانَهُ ربطٌ للحرِّ بالحجر ليُثِمَّ أنه الذي لم يَزَلْ  
لا سبيلَ إليه للحدثان والنهر .

قوله جل ذكره : ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفورٌ رحيمٌ﴾

شديد العقاب للأعداء ، غفور رحيم للأولياء .

ويقال شديد العقاب للخواص بتعجيل الحجاب إن زاغوا عن الشهود لحظة ، غفور رحيم للعوام إن رجعوا إليه بتوبة وحسرة .

قوله جل ذكره : ﴿ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تُبدون وما تكتُمون﴾ قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الأبصار لعلكم تفلحون﴾

للتفرغُ بالإلهية الله . والرسولُ — وإن جل قدره — فليس عليه إلا البلاغ وهو أيضاً (بتفسيره) <sup>(١)</sup> .

قوله : ﴿قل لا يستوى الخبيث والطيب﴾ : الخبيث ما اكتسبه النافل عن الله تعالى في حالة اكتسابه ، والطيب ما اكتسبه على شهود الحق .

ويقال الخبيث ما لم يخرج منه حق الله تعالى ، والطيب ما أخرج منه حقه — سبحانه .  
ويقال الخبيث ما ادخرته لنفسك ، والطيب ما قدمته لأمره .

قوله جل ذكره : ﴿يأيا الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفورٌ حلِيمٌ﴾

---

(١) لا تسبعد ايضاً انها ربما كانت في الأصل ( بتفسيره ) ، وكلاما مقبول في السياق .



إذا أسبل عليكم ستر اللفظ فلا تعرضوا لعلم أخفى عنكم ، فيتنص ( بالتبج ... )<sup>(١)</sup>  
- عليكم - فيتنصكم .

ويقال لا تعرضوا للوقوف على محل الأكابر - حيث لا تستوجبون ذلك - ففسوءكم  
تقاصر رتبكم .

ويقال إذا بدا من الإعراض علم فاطلبوا له عندكم وجهاً من ( التنال )<sup>(٢)</sup> ولا تطلبوا  
أسرار الباري ، واركنوا إلى روح المني في استدفاع ما ( ظلكم )<sup>(٣)</sup> ولا تبشئوا عن سر  
ذلك ، وراعوا الأمر مجلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ قد سألنا قوم من قبلكم ثم أصبحوا  
بها كافرين ﴾

يعنى توهم قوم أنهم محردون عن التأثير فيما يصادفهم من جملة التدبير ، وذلك منهم ظن ،  
كما يقول بعضهم :

تبين يوم البين أن اعتزامة على الصبر من إحدى الظنون الكاذبة  
قوله جل ذكره : ﴿ ما جل الله من بحيرة ولا سابية  
ولا وصيلة ولا حايه ولكن الذين  
كفروا يفترون على الله الكذب  
وأكثروا لا يفتلون ﴾

هذه أحكام ابتدعوها ، فردتهم الحق - سبحانه - عن الابتداع ، وأمرهم بحسن  
الاتباع ، وأخبر أن ما صدر من عبادتهم لا يعد من جملة عباداتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله ﴾

---

(١) بقية الكلمة مشبهة ولكنها أقرب ما تكون إلى ( التنجس ) وهي مقبولة هكذا في السياق ؛  
أى لا يجهلوا التنجس ومحاولة معرفة الأسرار ينص عليكم عيشكم .  
(٢) هكذا في النسخ وترجع أنها في الأصل ( التأويل ) وإن كانت ببينة في الرسم .  
(٣) أى ما عشيكم من سحر الإعراض .

وإلى الرسول قالوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا  
عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم  
لا يملكون شيئاً ولا يهتدون ﴿١﴾

إذا هتفت بهم دواعي الحق بالجَنُوحِ إلى وصف الصديقِ صَدِّيقٍ عن الإجابة ما مرونا عليه  
من سهولة (التقليد) <sup>(١)</sup> ، وإن أسلافهم الذين واقفوم لم يكونوا إلا في ضلال .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ  
لَا يَصْرُكُمْ مِنْ ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ  
إِلَى اللَّهِ مَرْجِعَكُمْ جَمِيعًا فُتِنْتُكُمْ بِمَا  
كُنْتُمْ تَصِلُونَ﴾

يكفي الفقير أن يمشى وقد جُبرَ بعضُ (كسره) <sup>(٢)</sup> ، فأما إذا ادعى التقدم أو الطمع  
في إجمادٍ من سواءِ فعالٍ من (الحديث) <sup>(٣)</sup> والظن .

ويقال من يفرغ إلى غيره يتشغل عن نفسه ، ومن اشتغل بنفسه لم يفرغ إلى غيره .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا  
حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ  
اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ  
غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ  
فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ نَحْبِسُونَهُمَا  
مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقِيمَا بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ  
لَا تَشْتَرِي بِهِ نَمْنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى  
وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَنِينَ

(١) وودت (التقليد) والصواب (تقليد) آباؤهم واسلافهم كما في الآية .

(٢) وودت (كسره) بالهاء والصواب : جبر (كسره) بالين .

(٣) ربما كانت في الأصل (الحديث) لتمي مع الظن .

الآمين \* فَإِنْ عُرِّ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا  
 إِثْمًا فَأَخْرَجَ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنْ  
 الْقَدِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَٰئِكَ  
 فَيَشْهَدُ اللَّهُ لَشَهَادَتِنَا أَحَقُّ مِنْ  
 شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ  
 الظَّالِمِينَ \* ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا  
 بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ  
 يُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ  
 وَاسْمِعُوا ، وَأَقِمْ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
 الْفَاسِقِينَ ﴿٤٠﴾

حكم هذه الآية كل ثابتاً في الشرع ونسخ ، وفي بيان التفسير تفصيله .

والنسخ هو الإزالة ، وذلك جائز في العبادات .

ومعنى النسخ يوجد في سلوك المريدين ؛ فهم في الابتداء فَرَضُهُم القيام بالظواهر من حيث المجاهدات ، فإذا لاح لهم من أحوال القلوب شيء آلت أحوالهم إلى مراعاة القلوب فنسقط عنهم أوزار الظاهر ، فهو كالنسخ من حيث الصورة .

قال تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ (١) . واتصافهم بمراعاة التلويح أنهم بتأديبهم بأحكام المعاملات (٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ  
 مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ  
 أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾

يكشفهم بنعت الجلال فتستحسن فهمهم وعلومهم حتى ينطقوا بالبراهة عن التحنيط

(١) آية ١٠٦ سورة البقرة .

(٢) أى أن مراعاة الحقيقة تم بمراعاة الصريفة .

ويقولون : « لا علم لنا » ، وهكذا تكون الحالة غداً : مَنْ قال لشيء ، أو مَالَ لشيء مما يكون  
 شيئاً بمخلوق فمعد ظهوره . وابل للتمركز تتلشى الجملة ، فاللائكة يقولون : « ما عبدناك  
 حق عبادتك » والأنبياء يقولون : « لا علم لنا » .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ  
 نَصَقِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتُكَ  
 بِرُوحِ الْقُدُسِ تَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ  
 وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
 وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ  
 الطِّينِ كَيْفَةَ طَيْرٍ بِإِذْنِي فتنفخ فيها  
 فتكون طيراً بِإِذْنِي وَنُزِرِي  
 الْمَاءَ الْكَافِرَ وَالْأَرْضَ بِإِذْنِي وَإِذْ نُخْرِجُ  
 الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ  
 عَنْكَ إِذْ جَعَلْتَهُم بِالْبَيْنَاتِ فَقَالَ  
 الْكَافِرُونَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا  
 إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾

النَّزْدُ كَرُ بوجوه النعم يستخرج خلاصة الحب والهبة في المذكور (١) ، وكل وقتٍ للأحباب  
 بعضى يصير لهم حديثاً يتل من بدهم : إما عليهم وإما عنهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ  
 آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدُوا  
 بِأَنفُسِهِمْ ﴾

---

(١) أعلى درجات الفكر أن يفهم القادر في المذكور وفيها ينتقل البدن من مرتبة ذكر النعم  
 إلى ذكر المنعم . فكان التشهير يقصد بإشارته إلى أن تذكير عيسى واهمه بالنعم التي وردت في الآية سمته  
 لها على الارتقاء ، من مرحلة النظر إلى النعم إلى مرحلة النظر إلى صاحبها سبحانه وتعالى ، وحببه والهبة فيه .

وإنما خُصِّمَ بالوحي إليهم إلهاماً وإكراماً لا نبساط ضياء عيسى عليهم<sup>(١)</sup> ، وفي الأثر :  
« هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشَقُّ بِهِمْ جَلِيسٌ » .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا

مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* فَالْوَارِدُ أَنَّ نَاسَكَ

مِنْهَا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُكُمْ وَنَعْلَمُ أَنَّ

قَدْ سَدَقْنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنْ

الشَّاهِدِينَ ﴿

طلبوا للمائدة لتسكن قلوبهم بما يشاهدونه من عظيم الآيات وعجيب المعجزة ، فعُدُّوا  
وأحيوا إليها ؛ إذ كان مرادهم حصول اليقين وزيادة البصيرة .

ويقال كلُّ يُطلب سؤله على حسب ضرورته وحالته ، ففهم من كان سكونه في مائدة من  
الطعام يجدها ، ومنهم من يكون سكونه في ( فائدة )<sup>(٢)</sup> من اللوادر يردها ، وعزيز منهم من  
يجد الفناء<sup>(٣)</sup> من يرهان يتأمله ، أو يبان دليل يطلبه .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ

عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً

لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ، وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا

وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿

شَتَّانَ بَيْنَ أُمَّةٍ طَلَبَ لَمْ نَبْهَمُ سَكُوناً فَأُنْزِلَ الْمَائِدَةُ عَلَيْهِمْ ، وَبَيْنَ أُمَّةٍ يَدَأَمُ - سَبْحَانَهُ -

(١) وهذا يطابق فكرة التشبُّه في الولاية وكيف أنها ملصقة بالمعجزة ، فإيظهر على الولي من كرامة هو بركة التي تأتي الولي من أمته وعصره .

(٢) ربما كانت ( مائدة ) ليم التنازل بين المائتين الحسية والمنوية .

(٣) ربما كانت ( الفناء ) أي يجد الاستغناء من كل يرهان ودليل ، وتصح ( الفناء ) بالفناء على معنى أن فناءه في الله لا يحوجه إلى يرهان أو دليل . .

بأنزال السكينة عليهم ، من غير سؤال أحد ، قال الله تعالى : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم »<sup>(١)</sup>

وقال فى صفتهم « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً »<sup>(٢)</sup>

وفرق بين من زيادة إيمانه بآياته التى تتلى عليهم وبين من يكون سكونهم إلى كرامات وعطايا تُبَاحُ لهم .

قوله جل ذكره : ﴿ قال الله إني مُنزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحدًا من العالمين ﴾

أجابه إلى سؤاله لم . ، ولكن توعدهم<sup>(٣)</sup> بأليم العقاب لو خالفوا بعده ليعلم السالكون أن المراد إذا حصل ، وأن الكرامة إذا تحققت — فانخطر أشدُّ والحال من الآفة أقرب ، وكلما كانت الرتبة أعلى كانت الآفة أخفى ، وعن الأكابر إذا حلت جلّت .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأهلبي من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك . إنك أنت علام الغيوب ﴾

للمراد من هذا السؤال إظهار براعة ساحته عما نسب إليه من الادعاء إلى القول بالانشيث ، فهذا ليس خطاب تنيف بل هو سؤال تشريف .

(١) آية ٤ سورة الفتح .

(٢) آية ٢ سورة الأنفال .

(٣) وودت ( يوعدم ) .

ثم إن عيسى — عليه السلام — حفظ أدب الخطاب فلم يَرْكُ نَفْسَهُ ، بل بدأ بالثناء على الحق — سبحانه — فقال : تَزِيماً لَكَ ! إني أنزهك عما لا يليق بوصفك .

ثم قال : « ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق » أي إني إن كنت خصوصاً من رُقِيبِكَ بالرسالة — وشروط النبوة العصمة — فكيف يجوز أن أفعل ما لا يجوز لي ؟

ثم إني « إن كنتُ قلتهُ قد علمته » . كان وثاقاً بأن الحق — سبحانه — عليهم بزماته من تلك القالة .

« تعلم ما في نفسي » : أي علمك محيطٌ بكل معلوم .

« ولا أعلم ما في نفسك » أي لا أطلع على غيبك إلا بقدر ما تُعرِّفني بإعلامك . « إنك أنت علام الغيوب » ألقى لا يخرج معلوم عن علمك ، ولا مقدور عن حُكْمِكَ .

قوله جل ذكره : ﴿ مَا قُلْتُ لَمْ إِلَّا مَا أُمِرْتُ بِهِ أَنْ

أَعْبُدُوا أَفْعُرِّقُ بَيْنَكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ

شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي

كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿

مادعوهم إلا لآلئادتك ، وما أمرتهم إلا بنوحيدك وتقديسك ، وما دمت حياً فيهم

كنت ( . . . )<sup>(١)</sup> على هذه الجملة ، فلما فارقتهم كان تصرفهم في قبضتك على

مقتضى مشيقتك ، فأنت أعلم بما كانوا عليه من وَضْعٍ وفاتهم وخلافهم ، ولِعَمَتِي

اقتصادهم<sup>(٢)</sup> وإسرافهم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ

فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿

(١) مثلية .

(٢) الاقتصاد هنا معناها الاعتدال .

يَبَيِّنُ أَنَّ حَكْمَ الْمَوْلَى فِي عِيْدِهِ نَافِدٌ بِحَكْمِ إِطْلَاقِ مُلْكِهِ ، قَالُوا إِنِّي تَعْدِيهِمْ بِحَسَنِ مِنْكَ تَعْدِيهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ لِأَهْلِ عِيْدِكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ أَيْ الْمَغْفِرُ لَهُمْ بِمَغْفِرَتِكَ لَهُمْ .

وَيُقَالُ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الَّذِي لَا يَضُرُّكَ كُفْرُهُمْ .

وَيُقَالُ « الْعَزِيزُ » الْقَادِرُ عَلَى الْإِتِمَامِ مِنْهُمْ فَالْمَعْنَى (عند) <sup>(١)</sup> الْقُدْرَةُ بِمَعْنَى الْكِبَرِ ، وَعِنْدَ الْعِجْزِ أَمْلُوهُ الثَّلْثُ .

وَيُقَالُ إِنِّي تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَعَزُّ مِنْ أَنْ (تَتَجَمَّلَ) <sup>(٢)</sup> بِطَاعَةِ مُطِيعِهِ أَوْ تَقْتَنَصَ <sup>(٣)</sup> بِزُلَّةٍ عَاصٍ . وَقَوْلُهُ « الْحَكِيمُ » رَدُّ عَلَى مَنْ قَالَ : غَفَرَانِ الشَّرْكَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ فِي الْحِكْمَةِ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ

صَدَقَهُمْ لَمْ يَجْنَأْ يُجْرَى مِنْ نَحْوِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾

مَنْ تَجَمَّلَ مِيرَاثَ صَدَقَةٍ فِي دُنْيَاهُ مِنْ قَبُولِهِ حَصَلَ لَهُ مِنَ النَّاسِ ، أَوْ رِيسَةٍ عَقَدَتْ لَهُ ، أَوْ شَيْءٍ وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ جَاهٍ <sup>(٤)</sup> أَوْ مَالٍ . فَلَا شَيْءَ لَهُ فِي آجَلِهِ مِنْ صَوَابِ صَدَقَةٍ ، لِأَنَّ الْحَقَّ — سُبْحَانَهُ — نَصَّ بِأَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْفَعُ فِيهِ الصَّادِقِينَ صَدَقَهُمْ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ

النَّوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

وَرَضَاهُ الْحَقُّ — سُبْحَانَهُ — لِإِثْبَاتِ تَحَلُّلِهِمْ ، وَتَنَاوُذِهِ عَلَيْهِمْ وَمَدْحِهِ لَهُمْ ، وَتَخْصِيصِهِمْ

بِأَفْضَالِهِ وَفَتْوَنِ نَوَالِهِ . وَرَضَاؤُهُمُ عَنِ الْحَقِّ — سُبْحَانَهُ — فِي الْآخِرَةِ وَصَوْلُهُمْ إِلَى مَنَامٍ ؛ فَهُوَ النَّوْزُ الْعَظِيمُ وَالنَّبْعَةُ الْكُبْرَى .

(١) وَوَدَّتْ (عَنْ) وَهِيَ خَطَأٌ فِي النُّسخِ .

(٢) وَوَدَّتْ (تَتَجَمَّلُ) وَهِيَ خَطَأٌ فِي النُّسخِ .

(٣) وَوَدَّتْ (تَقْتَنَصُ) بِالضَّادِ وَهِيَ خَطَأٌ فِي النُّسخِ .

(٤) وَوَدَّتْ (جَاهَهُ) وَهِيَ خَطَأٌ فِي النُّسخِ .



قوله جل ذكره : ﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا فِيهِنَّ ﴾

تَمْدَحَ الْحَقُّ — سبحانه — بقدرته القديمة الشاملة لجميع المقدورات ، الصالحة لإيجاد المصنوعات ، ولم يتجمل بإضافة غير إلى نفسه من اسم أو أثر ، أو عين أو طلل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

من الإيجاد والإسعاد ، والصد والرد ، والدفع والنفع ، والقمع والمنع .

### السورة التي تذكر فيها الأنعام

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

باسمه استنارت القلوب واستقلت ، وباسمه زالت الكروب واضمحلت ، وبرحمته عرفت الأرواح وارتاحت ، وبـ ( . . . ) <sup>(١)</sup> انحنست العقول فطاحت .

ويقال باسم الله نال كل مؤمل مأمله ، وبرحمته الله وجد كل واجد وصوله .

قوله جل ذكره : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ ﴾

بدأ الله — سبحانه — بالثناء على نفسه ، فحمد نفسه بثناء الأزل وأخير هن سنانه

العبدى ، وعلائه الأحدى فقال : « الحمد لله » .

وقوله عز وجل : « الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ » : « فإذى » إشارة و « خلق

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ » عبارة . استقلت الأسرار بسباع « الذى » لتحقيقه بوجوده ، ودوامها

لشهوده ، واحتاجت القلوب عند سماع « الذى » إلى سماع الصلة لأن « الذى » من الأسماء

الموصولة بكون القلوب تحت ستر الغيب فقال : « خلق السماوات والأرض »

---

(١) مشبهة .

قوله جل ذكره ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ ثم الذين كفروا

يرجمهم يَعْدِلُونَ ﴿

خَلَقَ ظِلْمَةَ اللَّيْلِ وَضِيَاءَ النَّهَارِ ، وَوَحْشَةَ الْكَفْرِ وَالشِّرْكَ ، وَنُورَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْتِصَارِ .  
وَيُقَالُ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ نَصِيبَ قَوْمٍ لَا يُجْرِمُ سَلَفَ ، وَالنُّورَ نَصِيبَ قَوْمٍ لَا لَاسْتِحْقَاقَ  
سَبْقَ ، وَلَكِنَّهُ حُكْمٌ بِهِ جَرَى قَضَاؤُهُ .

وَيُقَالُ جَعَلَ ظُلُمَاتِ الْمُصِيبَانِ حَقَّ قَوْمٍ ، وَنُورَ الْإِيمَانِ زَهَّةَ قَوْمٍ .

قوله جل ذكره : ﴿هو الذي خلقكم من طينٍ ثم قضى

أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ

تَمْتَرُونَ ﴿

أَثْبَتَ الْأَصْلَ مِنَ الطِّينِ وَأَوْدَعَهَا عِيَائِبَ (السِّرِّ) <sup>(١)</sup> ، وَأَظْهَرَ عَلَيْهَا مَا لَمْ يَظْهَرْ عَلَى مَخْلُوقٍ ،  
فَالْعَبْرَةُ بِالْوَصْلِ لَا بِالْأَصْلِ ؛ فَالْوَصْلُ قُرْبَةٌ وَالْأَصْلُ رُبَّةٌ ، الْأَصْلُ مِنْ حَيْثُ النُّطْقَةُ وَالْقَطْرَةُ ،  
وَالْوَصْلُ مِنْ حَيْثُ الْقُرْبَةُ وَالنُّصْرَةُ .

قوله « ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى » : جَعَلَ لِلْإِمْتِحَانِ أَجَلًا ، ثُمَّ جَعَلَ لِلْإِمْتِحَانِ  
أَجَلًا ، فَأَجَلُ الْإِمْتِحَانِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَجَلُ الْإِمْتِحَانِ فِي الْعُقْبَى .

وَيُقَالُ ضَرَبَ لِلطَّلَبِ أَجَلًا وَهُوَ وَقْتُ الْمَهَلَةِ ، ثُمَّ عَقِبَهُ بِأَجَلٍ بَعْدَهُ وَهُوَ وَقْتُ الْوَصْلَةِ ؛ فَالْمَهَلَةُ  
لَهَا مَدًى وَمُنْتَهَى ، وَالْوَصْلَةُ بِلَا مَدًى وَلَا مُنْتَهَى ؛ فَوْقَتْ الْوُجُودَ لَهُ ابْتِدَاءٌ وَهُوَ حِينَ تَطْلُعُ  
شَمْسُ التَّوْحِيدِ ثُمَّ يَسْرِعُ <sup>(٢)</sup> فَلَا غُرُوبَ لَهَا بَعْدَ الطُّلُوعِ .

قوله جل ذكره : ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض

يعلم سرُّكم وجهرٌ بما تكفون﴾ .

---

(١) إما أن تكون ( السر ) جمع سيرة أو تكون ( السر ) مصدر سار يسير ، ولا نسليم .  
إنها في الأصل ( السر ) فالسر - كما يقول صاحب اللغ - هو خفاء بين الدم والوجود ( اللغ ص ٤٣٠ )  
(٢) وفي ذلك يقول الشيلي :

سرمد وفق فيك وهو سرمد واقتننى حق فصرحت مجرداً

( اللغ ص ٤٤٢ )

وهو الذى هو مبيدٌ مَنْ فى السماء ، مقصودٌ مَنْ فى الأرض ، وهو الموجود قبل كل سماء  
وفضاء ، وظلام وضياء ، وشمس وقر ، وعين وأثر ، وغيره وغير .

قوله جل ذكره : ﴿وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا  
كانوا عنها معرضين ﴾ .

أى لا يزيدكم كشفًا ولطفًا إلا قابله جحدًا وكفرًا ، ولا يؤريهم إقبالًا إلا قابله  
بإعراض ، ولا يلتاقم بسطًا إلا ( . . . )<sup>(١)</sup> باقباض .

قوله جل ذكره : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ  
فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

لأنهم أصرُّوا على الانطلاقِ مستكبرين ، وعن قريب يقاسون وبالاً أمرم ، ويدوقون  
غيبٌ جحديهم .

قوله جل ذكره : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ  
قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ  
يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا إِلَهُ عَلَيْهِمْ  
تَبَارَاً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ  
تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا  
مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ .

يعنى مَنْ تَفَدَّاهُمْ كانوا أشدَّ تمكناً فى إيماننا ، وأكثر نصيباً - فى الظاهر - من  
أقوالنا ؛ سهلنا لهم أسباب اللماش ، ووسَّعنا عليهم أبواب الانتماش ، فحين وَطَّنُوا على كواذب  
المنى قلوبهم ، وأدركوا من الدنيا محبوبيهم ومطلوبهم فنحننا عليهم من مكامن التقدير ، وأبرزنا  
لهم من غوامض الأمور ما فزعوا عليه من الندم ، وذاقوا دونه طعم الألم . ثم أنشأنا من بعدهم  
قرناً آخرين ، وأورثناهم مساكنهم ، وأسكناهم أمانهم ، فلما اغترطوا - فى النى - عن

(١) مثلية .

سلكهم ، الحنظام في الإهلاك بهم ، سُنَّةٌ منا في الانتقام قضيناها على أعدائنا ، وعادةٌ في الإكرام أجريناها لأوليائنا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ فَتٍّ لَفُتِنُوا بِهِمْ وَلَئِنْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ فَتٍّ لَفُتِنُوا بِهِمْ وَلَئِنْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ فَتٍّ لَفُتِنُوا بِهِمْ ﴾ .  
فلسوه بأيديهم فقال الذين كفروا :  
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ .

يُخَيِّرُ عَنْ كُلِّ مَقَرٍّ فِي إِدَاءِ مَا يَرِيدُهُ بَعْدَ مَا قَضَىٰ لَمْ الضَّلَالِ ، فلو أشهدهم كُلُّ دَلِيلٍ ، وَأَوْضَحَ لَمْ كُلِّ سَبِيلٍ مَا أَزْدَادُوا إِلَّا تَمَادِيًّا فِي الضَّلَالِ وَالنَّفَرَةِ ، وَانْهَاجًا فِي الْجَبَلِ وَالْقَفْرِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَكَ لَفُتِنَا الْأَمْرَ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ .

بَيِّنَ أَنَّ الْيَعْبِرَةَ بِالتَّسْمَةِ دُونَ الْاِعْتِبَارِ بِالْجِلْبَةِ ، وَمَا يَفْنَى السَّرَاجُ عِنْدَ مَنْ فَقَدَ الْبَصَرَ ؟  
كَذَلِكَ مَا تَفْنَى الْحَبِجُّ عِنْدَ مَنْ عَدِمَ عَنَاءَ الْأَوَّلِ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ .

مَنْ لَمْ يُقَدِّسْ بِيَرِّهِ لَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ بِرِجَالِكُمُ فَقَالُوا لَا يَنْصُرُونَ الْإِنْسَانَ وَلَقَدْ أَمَرْنَا الْمَلَائِكَةَ بِتَلْوِينِهِمْ وَلَقَدْ مَكَرُوا وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا رِجَالٌ بَدَّلْنَاهُمْ أَجْنَادًا لَّيْسَ بَالْإِنْسَانِ الْغَافِلِينَ ﴾ .

أَيَّ سَبَقَكَ — يَا مُحَمَّد — مَنْ كَذَّبَ بِهِ كَمَا كَذَّبْتَ ، فَخَقَّ لَمْ نَصْرُنَا ، فَانْتَقَمْنَا مِنْ نَؤُودِهِمْ ، فَضَادَ إِلَيْهِمْ وَبَالَ كَيْدِهِمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

قُلْ دُخُوا فِي الْأَرْضِ ، وَسِيحُوا فِي سِيرِكُمْ فِيهَا مِنَ الْعُلُولِ وَالرَّضْرِ ، ثُمَّ انظُرُوا هَلْ أَفَلَّتْ مِنْ حُكْمِنَا أَحَدٌ ، وَهَلْ وَجَدَ مِنْ دُونِ أَمْرِنَا مُلْتَحِدًا (١) ؟ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لَّيْنِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

قُلْ اللَّهُ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ

لِيَجْزِيَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ

فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿

سَلِّمُ هَلْ فِي الدَّارِ دِيلَر ؟ وَهَلْ لِلْكَوْنِ — فِي التَّحْقِيقِ — عِنْدَ الْحَقِّ مَقْدَار ؟ فَإِنْ قَبِلُوا  
عَنْ جَوَابِي يَشْفِي ، فَقُلْ : اللَّهُ فِي الرِّبَوِيَّةِ يَكْفِي .

قوله : « كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ » : أَخْبَرَ وَحَكَّمَ وَأَرَادَ عَلَى حَسَبِ مَا عَلِمَ ، فَمَنْ تَعَلَّقَ  
بِنَجَاتِهِ عَلَيْهِ سَبَقَ بِمَرْجَاتِهِ حُكْمَهُ ، وَمَنْ عَلَيْهِ فِي آزَالِهِ أَنَّهُ يَشْفَى فَبَقْدَرِ شِفَائِهِ فِي الْبَلَاءِ بَقِيَ .

قوله جل ذكره . ﴿ وَهُوَ مَا سَكَنَ فِي الْإِبِلِ وَالنَّهَارِ

وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿

الْحَادِثَاتِ اللَّهُ مِلْكًا ، وَبِاللَّهِ ظُهُورًا ، وَمِنْ اللَّهِ بَدَأَ ، وَإِلَى اللَّهِ رَجُوعًا . وَهُوَ « السَّمِيعُ ،

لَا يَبِينُ الْمُشْتَاكِينَ ، « الْعَلِيمُ » بِحَيْنِ الْوَاجِدِينَ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذُوا لَنَا ظَاهِرًا

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿

أَبَدًا مَا أَكْرَمَنِي بِجَمِيلٍ وَلَا يَنْهَ أَتَوَلَّى غَيْرَهُ ؟ وَبَعْدَ مَا وَقَعَ عَلَى ضِيَا عَيْنَانِي أَنْظَرُ فِي الدَّارَيْنِ

إِلَى أَحَدٍ ؟ إِنَّ هَذَا مُحَالٌ فِي الظَّنِّ وَالْتَفَتِيرِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴿

لَهُ نَعْتُ الْكَرِّمِ فَلِذَلِكَ يُطْعِمُ ، وَلَهُ حَقُّ الْقَدِيمِ فَلِذَلِكَ لَا يُطْعَمُ

(١) المتعدد = الملجأ لأن اللاتجى يطأ إليه (المتجدد) .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

أى إِنِّي بَعِزِّى مُتَحَقِّقٌ ، وَمِنْ عَذَابِ رَبِّى مُتَشَقِّقٌ ، وَبِتَابِعَةِ أَمْرِى مُتَحَلِّقٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِعَهُ

وَذَلِكَ الْفَوْزُ لِلْبَينِ ﴾

مَنْ أَحْدَثَكَ سَابِقُ عَنَانَيْهِ صَرَفَ عَنْهُ لِأَحَقِّ عَقُوبَتِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَعْثًا فَلَكَاشِفٍ لَهُ

إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُعْصِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

إِنَّهُ مَنْ يَنْجِيكَ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَمَنْ يُلْقِيكَ فِي الْعَنَاءِ . وَإِذَا لَلْتَفَرَّدَ بِالْإِبْلَاحِ وَاحِدًا فَلَا غِيَارَ  
كُلُّهُمْ أَضَالَهُ ؛ وَإِنْ الْإِبْجَادُ لَا يَصْلُحُ مِنَ الْأَضَالِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِثَادِهِ وَهُوَ

الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾

عَلَّتْ رُبُّيَّةُ الْأَحْدِيَةِ صِفَةَ الْبَشَرِيَّةِ ، فَهَذَا لَمْ يَزَلْ وَهَذَا لَمْ يَكُنْ فَصْلٌ (١) . وَمَتَى يَكُونُ

بَقَاءُ لِلْحَدِثَانِ مَعَ وَضُوحِ سُلْطَانِ التَّوْحِيدِ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِّى اللَّهُ

شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَى هَذَا

الْقُرْآنُ لِأَنْتَرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ

لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى

قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ

وَإِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

(١) وَبِتَبْيِيرِ آخِرِ هَذَا وَاجِبِ الوجودِ وَهَذَا مُمْكِنِ الوجودِ — كَمَا يَقُولُ أَهْلُ اللَّفْظَةِ .

غَلَبَتْ شَهَادَةُ الْحَقِّ — سُبْحَانَهُ — كُلُّ شَهَادَةٍ ، فَمِنْ إِذَا أَقْبَلُوا بِشَهَدُونَ فَلَا نَحْبُطُ بِحَقَائِقِ الشَّيْءِ عُلُومُهُمْ ، وَالْحَقُّ — سُبْحَانَهُ — هُوَ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى السَّكَافَةِ وَمَنْ سَيُوجَدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ

كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنْفُسَهُمْ فَمِنْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

أَحَاطَ عَلَيْهِمْ بِصَدَقِ الْمَصْطَفَى — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي نُبُوَّتِهِ ، وَلَكِنْ أَدْرَكْتَهُمُ الشَّقَاوَةُ الْأَرْضِيَّةَ فَقَدَتْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ الْإِقْرَارِ بِهِ ، فَجَحَدُوهُ جَهْرًا ، وَعَلَمُوا صِدْقَهُ سِرًّا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

شَوْمُ الْخُدْلَانِ بَلُغَ بِالنَّكَايَةِ فِيهِمْ مَا جَرَّمُوا إِلَى الْإِصْرَارِ عَلَى الْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ،

ثُمَّ لَمْ يَسْتَحْيُوا مِنْ إِطْلَاعِهِ ، وَلَمْ يَحْشَوْا مِنْ عَذَابِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ قَوْلَ الَّذِينَ

أَشْرَكُوا أَيْنَ شَرَكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ

تَزْعُمُونَ ﴾

يَجْمَعُهُمْ لِيَوْمِ الْحُشْرِ وَالنَّشْرِ ، لَكِنَّهُ يَفْرِقُهُمْ فِي الْحُكْمِ وَالْأَمْرِ ، فَالْبِثْ بِجَمْعِهِمْ وَلَكِنْ

الْحُكْمَ يَفْرِقُهُمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا : وَاقِفُوا

رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ <sup>(١)</sup>

هَذَا الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُمْ غَايَةَ التَّرَدُّدِ ، حَيْثُ جَحَدُوا مَا كَذَّبُوا فِيهِ وَأَقْسَمُوا عَلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَ

لَهُمْ بِاللَّهِ عِلْمٌ لَتَحَقَّقُوا بِأَنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَوْلَائِهِمْ وَعُقُوبَتِهِمْ ، لَكِنْ

الْجَهْلُ الْعَالِبُ عَلَيْهِمْ اسْتَنْطَقَهُمْ بِمَا فِيهِ فُضَاءُحُهُمْ .

(١) 'أَخْطَأَ النَّاسُخَ فَكَتَبَهَا (مُتَرَقِّينَ) بِالْقَافِ .

قوله جل ذكره : ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم  
وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ﴾ .

هذه كلمة تعجب ، يعنى إن قصتهم منها ما هو على التعجب لأمثالكم .

قوله جل ذكره : ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا  
على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفى  
آذانهم وقراً ﴾ .

بَيِّنَ أن السمع — فى الحقيقة — سمعُ القبول ، وذلك عن عين اليقين يصدر ، فأما سَمْعُ  
الظاهر فلا عبرة به .

ويقال من ابتلاه الحق بقلب مطبق ، ووضع فوق بصيرته غطاء التليس لم يرْده ذلك  
إلا فقرة على فقرة .

قوله جل ذكره : ﴿ وإن يروا آية لا يؤمنوا بها  
حتى إذا جئوك من بعدكم يحادثوك يقول  
الذين كفروا إن هذا إلا أساطير  
الاولين ﴾ .

يعنى من أقصته القصة الأزلية لم تنعش الحيلة الأبدية (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ ومن يهتوّن عنه ويأتوّن وإن يهلكون  
إلا أنفسهم (و) ﴾ (٢) ما يشعرون ﴾ .

فى هذه الآية إشارة صلبة (لن) (٣) يدعو إلى الحق جهراً ثم لا يأتى بذلك سرّاً .

ويقال خالفت أحوالهم قضايا أقوالهم ، وجرى إجرامهم مجرى من ألقوا حبالهم على  
غارهم ، وكذلك من أبعدته عن التهمة لم يقره فعله .

---

(١) تساوى هذه العبارة فى المعنى ما يأتى بعد قليل ( وكذلك من أبعدته عن التهمة لم يقره فعله ) .

(٢) سقطت الواو من الناسخ فأثبتنا ما .

(٣) وودت ( لم ) وهى خطأ فى النسخ .



قوله جل ذكره: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُقْفَوْنَ عَلَى النَّارِ فَقَالُوا  
يَا بُنْتَانُ ارْدُدْ وَلَا نُكَلِّبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا  
وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

يعني حين ينجز للعبد ما وعده له من القربة يشغل من شاء بنوع من العلة حتى لا يطلع أحد  
على محل الأسرار .

قوله جل ذكره: ﴿يَرْجُلٌ يَدَاهُ مِثْلُ بِرْدٍ مَا كَانُوا يَحْفَرُونَ مِنْ قَبْلِ  
وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ  
لَكَاذِبُونَ﴾ وقالوا إن هي إلا حياتنا  
الدنيا وما نحن بمبعوثين .

غداً يوم تنهتك الأسرار ، وتظهر الأسرار — فكم من يُجَلَّلُ بثوب تقواه ، ويحكم له  
معارفه بأنهزاهد في دنياه ، راغب في عقباه ، محب لمولاه ، مُفَارِقٌ لهواه ، فَيُكَشِّفُ الْأَسْرَارَ عَنْ  
خِلَافِ مَا فُهِمَوه ، وَيُضْهِجُ عَنْدهم بغير ما ظنوه .

وكم من منهتك سر بما أظهر عليه ا غن السكل أنه خليج النذار هيئ الأعلال ، مشوش  
الأسرار ، فظهر لنوى البصائر جوهره ، وبدت عن خفايا الستر حقيقته (١) .

ثم قال : « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » أخير عما علم أنه لا يكون أنه لو كان كيف  
كان يكون ؛ فقال لو رُدُّ أهل التقوى إلى دنياهم لعادوا إلى جحدم وإنكارهم ، وكذلك  
لو رُدُّ أهل الصفاء والوفاء إلى دنياهم لعادوا إلى أحسن أعمالهم :

قوله جل ذكره: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُقْفَوْنَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ  
أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ؟ قَالُوا : بَلَىٰ وَرَبِّنَا

---

(١) لاحظ كيف ان التشيرى متأثر إلى حد كبير بحاليم الملامية ، فأهل الملامية يقومون بأعمال  
تستوجب ملامة الناس سراً لأسرارهم وسوينا لأحوالهم قصباً إلى عارية دعوى النفس ، والاكتفاء بسم  
الحق بأحوالهم وحفائهم .

قال : فتوقوا العذاب بما كنتم  
تَكْفُرُونَ .

ياحسرة عليهم من موقف الانجيل ، وحمل مقاساة الوكيل ، وتذكر قصير العمل !  
فهم واقفون على أقدام الحسرة ، يقرعون أسنان الندم حين لاדם ينضمهم ، ولا شكوى  
تسمع منهم ، ولا رحمة تنزل عليهم .

وحين يقول لهم : أليس هذا بالحق ؟ يُقِرُّون كارهين ، ويصرخون بالنبرى عن كل غير  
قوله جل ذكره : ﴿ قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى

إذا جاءتهم الساعة بغتة ظالما ياحسرنا

على ما فرطنا فيها ، وهم يحملون أوزارهم

على ظهورهم ألا ساء ما يزرون \*

وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار

الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ؟

قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون

فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين

بآيات الله يجهلون ﴿

خسران وأى خسران ! لم يخسروا مالا ، ولا مقاماً ولا حالاً ، ولكن كما قيل :

لعمرى لئن أنزفتُ دمي فإنه لفرقة من أفنتُ في ذكره عمرى

للصيبة لم والحسرة على غيرم ، ومن لم يعرف جلال قدره متى تأسف على ما يفوته من

حديثه وأمره ؟ !

وقوله : « وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو » : ما كان للنفس فيه حظ ونصيب اليوم فهو

من الدنيا ، وما كان من الدنيا فإنه — لا محالة — يلهيك عن مولاك ، وما يشتك عن الحق

دكونه فغير مبلوك قرينه .

قوله : « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن

الظالمين بآيات الله يجهلون » : هذه تنزيه لرسول — صلى الله عليه وسلم

وتسليه . أى قد نعلم ما قالوا فيك وهم إنما قالوا ذلك بسببنا ولأجلنا . ولقد كُنتَ عَظِيمَ الجاه  
فيهم قبل أن أوقنا عليك هذا الرّم ؛ وكانوا يسمونك محمداً الأمين ، فإن أصابكَ ما يصيبك  
فَلَا جُلَّ حديثنا ، وغير ضائع لك هذا عندنا ، وحالكَ فينا كما قيل :

أشاعوا لنا في الحى أشنع قصّة . وكانوا لنا سناً فصاروا لنا حرباً

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَاصْبِرُوا

عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْخُوا حَتَّى أَتَاكُمْ

نَصْرُنَا وَلَا مُهْدِلٌ لِّكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ

جاءك من نَّبَأِ الْمُرْسَلِينَ ﴾

يعنى إنَّ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَنَا صَبِرَ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنْ حَدِيثِنَا ، فَلَا خَسِرْتَ فِيْنَا صَفَقَتَهُ ،  
وَلَا خَفِيتَ عَلَيْنَا حَالَتَهُ ، وَمَا قَابَلَ حُكْمَنَا مِنْ عَرَفْنَا إِلَّا بِالْبُحْجِ ، وَمَا حَلَّوْا مَا لَقُوا فِيْنَا  
إِلَّا عَلَى الْحَقِّ :

إنَّ الألى ماتوا على دين الهوى وجدوا المنية مهلاً ممولاً

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ

اسْنَطَطَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ

أَوْ سُلَالًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ،

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ

فَلَا تَسْكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾

لفرط شفقتهم — صلى الله عليه وسلم — استغنى في التماس الرحمة من الله لهم ، وحل على  
قلبه العزیز بسبب ما علم من سوء أحوالهم ما أثر فيه من فتون الأحران . ففرقه عنهم مُبِمَعُون  
عن التقريب ، منكوبون بسالف القسمة .

ولو أراد الحق — سبحانه — تلفت عنهم ، ولو شاء أن يهديهم لكان لهم مقيل في  
الصدور ، ومثوى على النشاط ، ولكن مَنْ كَبَسَتْهُ الْعِزَّةُ لَمْ تَنْبُشْ الْحِيلَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى

يُبَشِّرُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

من فقد الاستماع في سرائره عديم توفيق الإتياع بظاهرة ، والاختيار السابق في معلومه  
— سبحانه — غالب .

قوله جل ذكره : ﴿ وَظَلُّوا لَوْلَا يُزِيلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ

قُلْ إِنْ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً

وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

استزادوا من المعجزات وقد حصل من ذلك ما يذبح المنر ، ولم يعلموا أن الله المانع لهم  
فلولا ما ( . . . )<sup>(١)</sup> من بصائرهم لما تواهوا من عدم دلائلهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلْمٍ

يُطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ

مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾

يعني تساوت المخلوقات ، وتماثلت المصنوعات في الحاجة إلى المُشْييء : في حال الإبداع  
ثم في حال البقاء ، وكذلك جميع الصفات النفسية والنعوت الدائية توقفت عن الإيجاد  
والاختيار ، فامتنع من عين وأثر ، ورسم وطلل . . . إلا وهو على وحدانيته شاهداً ،  
وحلي كون أنه مخلوق . . . دليل ظاهر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ

وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ، مَنْ يَشَأُ اللَّهُ

يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأُ يُجْهِدْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴾

الذين فاتتهم العناية الأزلية سدَّ الحرمان أسمعهم ، وقسَّى الغدلان أبصارهم .

(١) مشتبهة وربما كانت ( سد ) فهي في الخط إلى ذلك أقرب .

والإرادة لا تُعارض ، وللشبهة لا نزاع<sup>(١)</sup> ، والحق — سبحانه — في جميع الأحوال غالب .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَرَأَيْكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ

الله أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ ، أَغَيْرَ اللَّهِ

تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • بَلْ

إِلَهِهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ

إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَيَنْزِلُ مَا تُنْشِرُونَ •

إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ، وَنَايَبُكُمْ أَمْرٌ فَيَنْزِلُ رُومُونَ كَشَفَهُ ؟ وَمَنْ الَّذِي تَدْعُونَ لَطْفَهُ ؟

أَعْلَوْقًا شَرْقِيًّا أَمْ شَخْصًا غَرْبِيًّا ؟ أَمْ مَلَكًا سَمَآوِيًّا أَمْ عَبْدًا أَرْضِيًّا ؟

ثم قال : « بَلْ إِلَهُ تَدْعُونَ » : أَيُّ إِنْكُمْ — إِنْ تَدْعُوهُمْ بِنُفُوسِكُمْ أَوْ فِكْرِكُمْ طَوِيلًا

بِقُلُوبِكُمْ — لَنْ تَجِدُوا مِنْ دُونِهِ أَحَدًا ، وَلَا عَنْ حُكْمِهِ مُتَّحِدًا ، فَتَعُودُونَ إِلَيْهِ فِي

اِسْتِكْشَافِ الضَّرِّ ، وَاسْتِطْلَافِ الْغَيْرِ وَالْآخِرِ ، كَمَا قِيلَ :

وَيَرْجِعُنِي إِلَيْكَ — وَإِنْ تَنَامَتْ حِيلِي عَنْكَ — مَعْرِفَةُ الرِّجَالِ

وَقَدْ تَرَكْنَاكَ الْهِنَى تَرِيدُ فَمَسَى إِنْ خَبَّرْتَهُ أَنْ تَعْبُدَا

فَإِذَا جَرَّبْتَ السُّكْلَ ، وَذُقْتَ الْخُلُقَ وَاللَّزْ ، أَفَضَى بِكَ الضُّرُّ إِلَى بَابِهِ ، فَإِذَا

رَجِمْتَ بِنَمَتِ الْإِنْكَسَارِ ، وَشَوَّاهِ الْقَتْلِ وَالْاضْطِرَارِ ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ : إِنْ شَاءَ أَتَانَحَ

الْبُشْرِ وَأَزَالَ السُّرَّ ، وَإِنْ شَاءَ ضَاعَفَ الضَّرَّ وَعَوَّضَ الْأَجْرَ ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ الْحَالَ عَلَى

مَا ( قَبْلُ )<sup>(٢)</sup> السُّؤَالِ وَالْإِبْتِهَالِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ

فَاتَّخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ

يَتَضَرَّعُونَ •

(١) وودت ( ترام ) بلفاء وهي خطأ في النسخ

(٢) وودت ( قبل ) وهي خطأ في النسخ .

يخبر عن سالف سنته في أبداء الأمم وما أوجب لمن أطاعه منهم من النعم والكرم ،  
وما أحلَّ بمن خالفه من الألم وفنون النقم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسًا فَفَصَحُوا ﴾  
ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم  
الشيطان ما كانوا يعملون \* فلما  
نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَفَتَحْنَا عَلَيْهِم  
أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا  
بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ  
مَبْلُؤُونَ ﴿

يعنى أنهم لما أَظْلَمُوا البلاء ، ففرحوا بجعل التضرع وحسن الابتال والتلق  
لكشفنا عنهم المحن ، ولأفناهم المُن ، ولكن صدّهم الغلّالان عن القبي فأصروا على  
تمردهم ، فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وتضاعفت أسباب شقوتهم .

قوله تعالى : « فلما نسا ما ذكروا به » يخبر عن خفيّ مكرهم ، وكيف أنه  
استدرجهم ، ثم أذاقهم وِإَالَ أصرهم فقال : لما طالت عن الحضرة غيبتهم ، ولم تنجح  
مواظبتنا فيهم سَهَّلْنَا لهم أسباب العوافي وصببنا عليهم عزالي (١) النعم ، وفتحنا لهم أبواب  
الرفاهية ، فلما استمكن الرجاء من قلوبهم أخذناهم بغتة وعذبناهم فجأة ، وأذاقناهم حسرة  
فإذا هم من الراحة قانطون ، ولما خامر قلوبهم — من أسباب الوحشة عن الاستراحة بدوام  
للناجاة — آيسون .

قوله جل ذكره : ﴿ فَفَقَطَّ دَابِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾  
والحمد لله رب العالمين ﴿

فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى لم يبقَ منهم عين ولا أثر ، ولم يردّ حديث منهم أو خير ،

(١) البرال : يقال أزلت السماء عزاليها إشارة إلى شدة وقع العزل

والله — سبحانه وتعالى — بنعت العزيز واستحقاق الجلال لا عن تقديم له استباحش ،  
ولا بوجودهم استرواح أو استبشار<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ مِمَّكُمْ  
وَأَبْصَلَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ شَيْئًا لَّهُ  
غَيْرُ اللَّهِ بِأَنْتُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ  
نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِقُونَ ﴾

عرفهم محل عجزهم ، وحقيقة حاجتهم إلى القدرة القديمة لنوام قفرهم .  
وحذرهم فقال : إِنْ لَمْ يُدِّمْ عَلَيْهِمْ نِعْمَةَ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، وَلَمْ يُوجِبْ لَهُمْ مَا أَلْبَسَهُمْ  
من العوائق — بكل وجهٍ في كل لحظة — فن الذي يهب ما سلبه ، أو يضع ما منعه ، أو يعيد  
ما فناه ، أو يردُّ ما أبداه ؟ كلا . . . بل هو الله تعالى .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ  
بِقَنَّةٍ أَوْ جَهْرَةٍ هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ  
الظَّالِمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

يقول إِنْ عَجَلَ مَوْعِدُهُ لَكُمْ مِنَ الْعِقَابِ أَفْتَرُونَ أَنْ غَيْرَ الْمَسْجُوبِ يُبْتَلَى ؟ أَوْ أَنْ  
الْمُسْتَجِقَّ لَهُ يَجِدُ مِنْ دُونِهِ مَهْرَبًا وَمَنْجَى ؟ إِنْ هَذَا مُحَالٌ مِنَ الظَّنِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا تُرْمَلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ  
وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ  
فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \*  
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَسْمِئُ الْعَذَابُ  
بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

(١) فالملق — سبحانه — لا يلحقه ذن ببطاعة الطبع ولا شين بصحة العاصي .

(٢) أخطأ الناسخ فسكتها ( الظالمين )

يعنى ليس أمرنا لهم إلا بالتزام ما فيه نجاتهم ، ثم بحميل الوعد لهم ، ومفارقة ما فيه هلاكهم ، ثم بألیم العقوبة فى الآجل ما يحصل من خلافهم .

فَمَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ آمَنَزْ نَالَهُ الْوَعْدُ ، وَمَنْ كَفَرَ وَجَحَدَ عَطِشْنَا عَلَيْهِ الْأَمْرَ ، وَأَدْخَلْنَا عَلَيْهِ الشَّرَّ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَى خَزَائِنُ اللَّهِ ،

وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ ، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ

إِنِّى مَلَكٌ إِنِّى أَنْبِئُكُمْ إِلَّا مَا يُوْحَى

إِلَى قُلْ هَلْ يَسْتَوِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ

أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾

يعنى قل لهم إني لا أتخطئ خطئى ، ولا أتمدئ حدئى ، ولا أنبئ من ذات نفسى شيئاً ،

وإنما يقال لى أبلفت ؟ وأقول : أجل ، أو صلت .

ثم قال : « قل هل يستوى الأعمى والبصير » : هل يتشاكل الضوء والظلام ؟ وهل

يتأثر البصير والتوحيد ؟ كلا . . . لا يكون ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُبَشِّرُوا

إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ

وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

الإنذار لإعلام بمواضع الخوف ، وإنما خص المتألمين بالإنذار كما خص للتقين بإضافة

الهدى إليهم حيث قال : « هدى للتقين » لأن الاتباع بالنعوى ، والإنذار اختص بهم .

ويقال : الخوف هاهنا العلم ، وإنما يخاف من علم ، فأما القلوب التى هى تحت غطاء الجهل

فلا تبشرها طوارق الخوف .

قوله : « من دونه من ولي ولا شفيع » يعنى كما أنه لا ناصر لهم من الأغيار فلا مضمد لهم

من أفعالهم ، ولا مستند من أحوالهم ، ولا ( يؤمنون )<sup>(١)</sup> شيئاً سوى صرف العناية

وخصائص الرحمة .

(١) الصواب أن تكون ( يأمنون ) لأن ما بعدها منصوب ، ولو كانت يؤمنون لكان ما بعدها

مجروراً ، والسياق يعنى اختيار ( يأمنون ) .



قوله جل ذكره : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم

بالبغاة والعشي يريدون وجهه

ما عليك من حسابهم من شيء

وما من حسابك عليهم من شيء

فتطردم فتكون من الظالمين ﴾

هذه وصية له — صلى الله عليه وسلم — في باب الفقراء والمستضعفين ، وذلك لما قصرُوا  
لسان المارضة عن استدفاع ما كانوا يصدده من أمر إخلاء الرسول — صلوات الله عليه  
وسلامه — مجلسه منهم ، وسكنوا متضرعين بقلوبهم بين يدي الله أرادَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ أَوْ حَسُنَ  
الإنهال فتولى — سبحانه — خصيمتهم .

وقال : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالبغاة والعشي يريدون وجهه » : لا تنظر  
يا محمد إلى خرقهم على ظاهرهم وانظر إلى حرقهم في سرائرهم <sup>(١)</sup>

ويقال كانوا مستودين بحالتهم فشهرهم بأن أظهر قصتهم ، ولولا أنه — سبحانه —  
قال « يريدون وجهه » فشهد لهم بالإرادة وإلا فن يتجسس أن يقول إن شخصاً مخلوقاً يريد  
الحق سبحانه ؟

ويقال إذا كانت الإرادة لا تتعلق — في التحقيق — إلا بالحدوث ، وحقيقة الصمدية  
متقدسة عن الانصاف بالحدثان ، فمن المعلوم أن هذه الإرادة ليست بمعنى اللبنة ، ولا كاشتقاق  
أهل اللغة لها <sup>(٢)</sup> .

فيقال تكلم الناس في الإرادة : وأكفر تحقيقها أنها احتياج يحصل في القلوب يسلب

---

(١) واضح من كلام التشيخي انصاف هذا التفر بصفت كثيرة تدنو بهم من أهل التصوف ، وهكذا  
نجد أن السهروردي في مقدمة « عوارفه » يوضح أن سبب زول هذه الآفة في أهل المشقة الذين كانوا  
يلزمون صفة مسجد للنبوة وليس لهم شغل سوى العبادة وتلاوة القرآن وكان أحدهم إذا ركع نبس يديه  
عائلة أن ينبو عورته لثرق ثوبه . . . الخ (عوارف المعارف ص ٤٧) .

(٢) يقول التشيخي في هذا المقام في « رسالته » : المراد — على موجب الاشتقاق — من له إرادة  
كالكالم من له علم ، لأنه من الأسماء المشتقة ، ولكن المراد — في عرف هذه الطائفة — من لا إرادة له ،  
فإن لم يصير من إرادته لا يكون مريداً (الرسالة ص ١٠١)

القرار من المبدئى يصل إلى الله ؛ فصاحب الإرادة لا يبدأ<sup>(١)</sup> إلا ولا نهائاً ، ولا يجد من دون وصوله إليه — سبحانه — سكوتاً ولا قراراً ، كما قال قائمهم :

ثم قطعتُ القبلَ في مَهْمَةٍ لا أسداً أخشى ولا ذيباً  
يفلبي شوق فأطوى السرى ولم يركُ ذو الشوق مغلوباً

ويقال تقيَّدت دعوتهم بالفسادة والعشوائية لأنهما من الأعمال الظاهرة ، والأعمال الظاهرة مؤقتة ، ودامت إرادتهم فاستغرقت جميع أوقاتهم لأنهما من الأحوال الباطنة ، والأحوال الباطنة مرسومة غير مؤقتة ، فقال : « يدعون ربهم بالفسادة والعشوائية » ثم قال : « يريدون وجهه » أى يريدون وجهه فى موضع الحال<sup>(٢)</sup> .

ويقال أصبحوا ولا سؤال لهم من دنياهم ، ولا مطالبة من عقابهم ، ولا هم سوى حديث مولاهم ، فلما تجردوا لله تمحضت عناية الحق لهم ، فتولَّى حديثهم وقال : ولا تطردم — يا محمد — ثم قال : ما عليك من حسابهم من شيء ؛ فالفقير خفيف الظهر لا يكون منه على أحد كثير مثونة ؛ قال تعالى : « ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء » . لا تطالب بحسابهم ولا يطالبون بحسابك ، بل كل يتولى الحق — سبحانه — حساباً ؛ فإن كان أمره خيراً فهو ملاقيه ، وإن كان شراً فهو مقاسيه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾

أنا المفاضل فليشكروا ، وأنا المفضول فليصبروا .

ويقال سبيل للفضول على لسان المحبة الشكر ، ولا يتقاصر شكره عن شكر الفاضل ، قال قائمهم فى مناه :

أنا فى منك سبيل لى فسبى أليس جرى بفيك اسمى ؟ فحسبى

(١) وردت ( ولا يهتدى ) والصواب أن تكتب ( ولا يهتأ ) منها ليس .

(٢) أى لأن الجهة الفعلية ( يريدون وجهه ) تحرب حالا

وقال آخر :

وإنَّ فُرَادَا يَمُتُهُ — لَكَ شَاكِرٌ وَإِنَّ دَسًّا أُجْرِيَتْهُ — لَكَ حَامِدٌ  
قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ  
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾

أحله محل الأَكابر والسَّادة ، فإن السلام من شأن الجاني إلا في صفة الأَكابر ، فإن الجاني  
أو الآتي ينكت لمية المآثي حتى يتعدى ذلك المقصود بالسؤال ، فنجد ذلك يجيب الآتي .  
ويقال إذا قاسوا تصبَّ الحصى فأزلَّ عنهم المشقة بأن قُلْ : « سلام عليكم » .  
ويقال السلام هو السلامة أي فَقُلْ لهم سلام عليكم ؛ سَلِّمْتُمْ في الحال عن الفرقة وفي السَّال  
عن الفرقة <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾  
إِنَّ وَكَلَّ بِكَ مِنْ كِتَابٍ عَلَيْكَ أَرْزَلَهُ قَدْ تَوَلَّى بِنَفْسِهِ لَكَ كِتَابَةَ الرَّحْمَةِ .  
ويقال كتب بمعنى حَكَمَ ، وإنه ما حكم إلا بما علم .  
ويقال كتابته لك أَرْزَلَهُ ، وكتابه عليك وقتية ، والوقتية لا تبطل الأَرْزَلَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ  
ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

يعني مَنْ تَعاطى شيئاً من أَعْمَالِ الْجَهْلِالِ ثُمَّ سَوَّفَ فِي الرَّجُوعِ وَالْأَوْبَةَ قَابِلُهُنَّ ، يعني مَنْ  
تَعاطى شيئاً بِجَسَنِ الْإِهْمَالِ وَجَمِيلِ الْأَفْضَالِ ، فَإِذَا عَلَا بِنُوبَةِ وَحْشَةٍ أَقْبَلْنَا عَلَيْهِ بِسُكُلٍ  
لَطْفٍ وَقَبُولٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِتُنْذِرَ  
سَيِّئُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

---

(١) أي سلمت في الدنيا من عذاب تأبه وهجره ، وسلمت في الآخرة من عذاب جهنم ذات الحريق .

نزِيلُ الْإِشْكَالِ ، وَتُقْصَحُ<sup>(١)</sup> طَرِيقُ الاسْتِدْلَالِ ، وَتُطْلَعُ شَمْسُ التَّوْحِيدِ ، وَتَعِدُ أَهْلَهُ  
بِحَسَنِ التَّائِيدِ ، وَلَسِمَ قُلُوبَ الْأَعْدَاءِ يَوْمَ الْخِذْلَانِ ، وَنَذِيقَهُمْ شَوْمَ الْحَرَمَانِ لِثَلَاثِ بَقِيٍّ لِأَحَدٍ  
عَنْزُرُ ، وَلَا فِي الطَّرِيقِ إِشْكَالُ .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ إِنِّي نُبَيِّتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ  
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ  
أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ  
الْمُهْتَدِينَ﴾ .

يعنى صرّح بالاعتراف بمجمل ما خصصناك به من وجوه العصمة والنعمة ، وأخبرهم أنك  
في كنف الإيواء متقلّب ، وفي قبضة (الصون) مصرف ؛ فلا للهوى عليك سلطان ، ولا لك  
من محل التحقيق تباعد أو عن الحضور غيبة .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ  
بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ  
الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ  
الْفَاصِلِينَ﴾ .

قُلْ إِنَّ اللَّهَ — سبحانه — لم ينادني في قطر الطلب والنباس التحير ، وأغناني عن  
(كذب) الاستدلال ، وروّحني بشموس الحقيقة . ولئن بقيتم في ظلمة الالتباس فليس لي  
قدرة على إزالة ما مُنِيتُمْ به من التحير ، ونفي ما امْتَحَنْتُمْ به من الجهالة والتردد .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ  
لَقَضِيَ الْأَمْرُ يُبَيِّنُ وَيُنْكِمُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِالظَّالِمِينَ﴾ . وعنده مفاتيح الغيب

(١) من الانصاح وهو الإيالة والايضاح .

(٢) ووددت (قد) والقصود عناء الاستدلال وكده — حسباً نرف من أسارب القفيري في منزل  
هنا الموضع .

لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر  
والبحر وما تسقط من ورقه إلا يعلمها  
ولا حية في ظلمات الأرض ولا رطب  
ولا يابس إلا في كتاب مبين . ﴿

لو قدرت على إبداء ما طلبتم من إقامة البراهين لأجبتكم إلى كل ما اقترحتم على —  
شقة عليكم ، لكن للتفرّد بالحكم لا يعارض فيها يريد .

« وعنده مفاتيح الغيب » : للفتح ما به يرتفع الخلق ، والذي يحصل مقصود كل أحد ،  
وهو قدرة الحق — سبحانه ؛ فإن التأثير لها في الإيجاد ، وللوصف بقدره الإيجاد هو الله :  
وقال أراد بهذا شمول علمه ، أي هو للتفرّد بالإحاطة بكل معلوم ، وقطعاً لا يسأل عن  
شيء ، ولا يخفى عليه شيء .

وقال عندك مفاتيح<sup>(١)</sup> الغيب وعنده مفاتيح الغيب فإن آمنت بغيره مد الشمس  
على فيك .

قوله جل ذكره ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم  
ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه  
ليُقضى أجلٌ مُّسمى ثم إليه مرجعكم  
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ .

إنه يتوفى الأنفس في حال النوم وفي حال الوفاة ، وكما أنه لا يعاقبك بالليل فإنه لا ينبئك  
— إذا توفاك — على ما جرحت بالنهار مع علمه بأفلاك ، قبله في ألا يبدئك غداً  
— إذا توفاك — على ما علمه من قبيل أحوالك .

قوله جل ذكره : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسلُ

(١) نسبة المفاتيح إلى الإنسان — إن صح — أن التشيرى قالها — يمكن تأويلها على أنها جمع مفتاح مصدر  
مبى بمعنى الفتح والفتوح وما من فضل الله ، ولكنهما بالنسبة إلى المفاتيح الإلهية كنسبة ضوء الصباح  
إلى ضوء الشمس ، لذا ظهر شعاع الشمس من ضوء الصباح . . . هكذا تنهم من السياق — والله أعلم .

عليكم حَفَظَةٌ حتى إذا جاء أحدكم  
الموت توفته رؤسناوهم لا يقرطون ﴿١﴾.

فوق عباده بالتهر والرفة ، وفوقهم بالقدرة على أن يعذبهم من فوقهم بإزال العقوبة  
عليهم والسخلة .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ، أَلَا  
لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ .

وَرُدُّهم إِلَى نفسه . وما غابوا عن القبضة .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُ تَضَرَّعًا وَخُضْيَةً لَأَنْ  
أَتَجَانِبَ مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَ مِنَ  
الشَّاكِرِينَ ﴾ .

تذكير النعمة بوجوب الزيادة في المحبة ، فإنه إذا عرف بجيلا أسداه تمكن من  
قلبه الحب .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ  
كَرِيمٍ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾

للتفرّد بالقدرة على إيجادكم الله ، والذي هو ( الْخَلْق ) (١) عما يفوتكم الله ، والذي  
حكم بنجائكم الله ، والذي يأخذ بأيديكم كلما عثرتم الله .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ  
عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ  
تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا ﴾

إذا أراد الله هلاك قوم أمر البلاد حتى يحيط بهم مرادقه كما يحيط بالكفار غداً إذا

---

(١) وردت ( الحق ) بالالف وهي خطأ في النسخ .

أدركهم العقوبة ، وخرج بعضهم على بعض ؛ حتى يتبرأ التابع من المتبوع ، والمتبوع من التابع .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَذِقْ بِقَسَمٍ بِأَمْسٍ بَعْضٌ ،  
انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ  
يَتَّقُونَ ﴾

لا علم أردأ للإنسان من طعم الإنسان : إن شئت من الولاية والمحبة ، وإن شئت في العداوة والبغضة ؛ فننمي بالبقعة مع أشكاله تنعص عليه عيشه في الدنيا ، ومن منى بمحبة أمثاله تكدر عليه حاله مع المولى ، ومن صانه عن الخلق فهو المحفوظ (المعاني) (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ  
قُلْ لستُ عليكم بوكيل \* كُلُّ  
نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

يعنى قل لم إنا على تبليغ الرسالة ، فأما تحقيق الوصلة بالوجود والحال فمن خصائص القدرة وأحكام المشيئة الأزلية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ  
فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى  
يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾

لا تواقهم في الحالة ، ولا ترد عليهم ببسط القالة . دَرَمُ ووحشهم برسوخ الإعراض عنهم ، والبعد عن الإصغاء إلى تهاويشهم بحسن الاقتباس .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ  
بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

---

(١) المخطوط ( المعاني ) أى عقوبة صمائيته ، وربما كانت في الأصل ( المَعْنَى ) بالقاء المفتوحة أى الموعود عن كل أذى وعة .

أَيُّ إِنِّ بَدَرَ مِنْكَ تَغَافُلُ فَتَدَارِكُنَّه بِحَسَنِ التَّذَكُّرِ وَجِيلِ التَّشْبِيهِ ، فَلْيَجْتَهِدْ أَلَا (تزل<sup>(١)</sup>)  
فِي تِلْكَ النُّقْطَةِ قَدَمُكَ ثَانِيَةً لِثَلَا تَقَاسَى أَلَيْمَ الْعُقُوبَةِ مِنَّا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ  
مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ  
يَتَّقُونَ ﴾

أَيُّ مِنْ كَانَ نَقَى<sup>(٢)</sup> (التوب) عن ارتكاب الإجماع يُعْزَلْ يَوْمَ نَشْرُهُ عَنْ سُلَاقَةِ  
تِلْكَ الْأَلَامِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَفُوا دِينَهُمْ لَعِبًا  
وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ  
أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ  
لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ،  
وَإِنْ تَعَدَّلْ سَكُلٌ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ  
مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُتْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا  
لَمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ  
بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾

أَيُّ رَكَلَهُمْ وَمَا اخْتَارُوهُ فَأَيْنَا أَعْتَدْنَا لَهُمْ ( مِنْ خَفَى الْمَكْرَ مَا إِذَا أَحْلَلْنَاهُ بِهِمْ كَسَرْنَا  
عَلَيْهِمْ )<sup>(٣)</sup> تُخَارِبُ الْيَوْمَ وَالنَّيْلُظَةَ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أُنَادِعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
مَا لَا يَنْفَعُنَا . وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى  
أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي

(١) وردت ( نذل ) بالفتح والصواب أن تكون بالزاي ( تزل ) أي تقع فيها هو اللام في السياق .

(٢) وردت ( التوب ) والصواب أن تكون ( التوب ) فهو الذي يوصف بالتقاء .

(٣) ما بين التوسين موجود في هامش الورقة ابتداء في موضعه حسب العلامة المبينة .



استهوت الشياطينُ في الأرض ،  
 حيرانَ ، له أصحابٌ يدعونهُ إلى  
 الهدى اثنتاً \* قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ  
 هو الهدى ، وأمرنا لنسلمَ  
 لربِّ العالمين ﴿

أى كان الكفار يدعون المسلمين إلى الرجوع عن الدين والعود إلى الشرك ، فقال  
 . لم الله : قل لم — يا محمد — : أَتُؤْمِرُ الضَّالَّ عَلَى الْهُدَى بِمَدِّ طُلُوعِ شَمْسِ الْبِرْهَانِ ؟  
 وَتَدْعُ الطَّرِيقَةَ لِلثَّلَى بِمَدِّ ظُهُورِ الْبَيَانِ ؟ وَتَتْرِكُ عِقْوَةَ الْجَنَّةِ وَقَدْ نَزَلْنَاهَا ؟ وَتَطْلُبُ  
 الْجَحِيمَ مَتَوًى بِمَدِّ مَا كُفِينَاهَا ؟ إِنَّ هَذَا بَعِيدٌ مِنَ الْمَقُولِ ، مُحَالٌ مِنَ الظَّنُونِ .  
 وكيف يساعد أتباعُ الشيطانِ مَنْ وَجَدَ الْخِلَاصَ مِنْ صَحْبَتِهِمْ ، وَأَبْصَرَ الْغَىَّ  
 مِنْ صَفَتِهِمْ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَنْ أَقْبِرُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي  
 إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

أى أمرنا بملزمة محل المناجاة لأن اللسان إن تروى نجوى السلطان متى ينطق  
 (بمكالمة) <sup>(١)</sup> الْأَخْسَرُ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
 بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ  
 الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ الصُّورُ  
 عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ  
 الْغَبِيرُ ﴾ .

يعنى أنه لا يترضى على قدرته — سبحانه — حدوث مقصود ، ولا يتقاصر حكمه عن  
 تصرف موجود .

(١) وردت (مكالمة) والأوقع بالنسبة للسان أن تكون (مكالمة) .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝﴾ .

الأصل مَنَّهُمْ في الجود ، والنَّسْلُ متصِفٌ بالتوحيد ، والحقُّ — سبحانه — ينزل ما يريد .

قوله جل ذكره : ﴿وَكُنْتَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ يَمْشِي فِي السَّمَوَاتِ الْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمَوْقِينَ ۝﴾ .

لاحظه بسابق العناية ، ثم كاشفه بإلحاح العناية فأراه من دلالات توحيده ما لم يبق في (فضاء) <sup>(١)</sup> سرُّه شظية من غبار الغيب ، فلما صح من غيم التجوز <sup>(٢)</sup> سما سرُّه فقال بنى الأغيار جملة ، وتبرأ عن الجميع ولم يفلتر منها تهمة .

قوله جل ذكره : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَارِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝ فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝﴾

(١) وبما كانت (فضاء) بالقاء فالبار والقيم صلتان بالقاء

(٢) المقصود من ذلك ما أصاب إبراهيم من اضطراب ، وهذا لفظ ذكية من الشعرى حيث أراد وصف النمل بالتجوز لاختصار دائرته في نطاق الحبس ، وعدم استطاعته تجاوز هذا النطاق لأنه معنيد عليه .

يعنى أخطأت به (سجوف)<sup>(١)</sup> الطلب ، ولم يتجل له بعد صباح الوجود ، فطلع نجم العقول  
فشاهد الحق بسره بنور البرهان ، فقال : هذا ربى ثم يزيد فى ضيائه فطلع له قر العلم فطالعه  
بشرط البيان ، « فقال هذا ربى » .

ثم (أسفر)<sup>(٢)</sup> الصبح وتمتع النهار فطلعت شموس (العرفان)<sup>(٣)</sup> من برج شرفها فلم يبقَ  
للطلب مكان ، ولا للتجويز حكم ، ولا للنسبة قرار فقال : « يا قوم إني برى مما تشركون »  
إذ ليس بعد البيان ريب ، ولا عقيب الظهور ستر .

ويقال قوله — عند شهود الكواكب والشمس والقمر — « هذا ربى » إنه كان يلاحظ  
الآثار والأغيار بالله ، ثم كان يرى الأشياء لله ومن الله ، ثم طالع الأغيار محواً فى الله .

قوله جل ذكره : ﴿ إني وجهى لوجهى للذى فطرَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

أفردت قصدى لله ، (وطهرت)<sup>(٤)</sup> عقدى عن غير الله ، وحفظت عهدى فى الله لله ،  
وخلصت وجدى بالله ، فإنى لله بالله ، بل (محو)<sup>(٥)</sup> فى الله والله الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وحاجته قومه قال أمتحجونى فى الله  
وقد هدّان ولا أخاف ما تشركون  
به إلا أن يشاء ربى شيئاً ومِسَع ربى  
كلّ شئ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ .

يعنى قال لهم أترؤمون سترَ الشمسِ بإسبال أكمامكم عليها أو تريدون أن تتجروا ذبولكم  
وأن تُسدّلوا سجوفكم على ضياء النهار وقد تعالى سلطانه وتوالى بيانه ؟

(١) سجوف جمع سكيّف وسجف وهو الستر ، وأرض الليل سجوفه أى ظلمته .

(٢) وردت ( أسفر ) والصواب أن تكون ( أسفر ) المصحح .

(٣) لاحظ كيف طبق القسرى نظريته فى المعرفة على ندرج إبراهيم ( عم ) فى الوصول إلى حقيقة  
الأكوهمية من عقبة ونورها البرهان إلى قلبية ونورها البيان إلى كشفية ونورها العرطن ،

(٤) وردت ( طهرت ) بالهاء والصواب أن تكون بالطاء

(٥) وردت ( مهور ) بالهاء والصواب أن تكون بالحاء .

قوله جل ذكره : ﴿ وكيف <sup>(١)</sup> أخاف ما أشركتم ولا تخافون

أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به

عليكم سلطاناً فأى الفريقين أحقُّ

بالأمن إن كنتم تعلمون ﴾

بمعنى وأى خوف يقع على قلبى ظله ولم أَلَمْ بِشِرْكٍ ولم أُنَجِّح قطُّ إلى جحده ؟ وأنتم ما شحتم راحة التوحيد فى طول عمركم ، ولا ذقم طم الإيمان فى سالف دهركم ثم بسوء ظنكم نجاسرتم وما ادعونهم ، وخسرتم وما بالهم . فأينما أولى أن يُعلن بسرّه ما هو بصدده من سوء مكرّه وعاقبة أمره ؟

قوله جلّت قدرته : ﴿ الذين آمنوا ولم يَلْبِسُوا إيمانهم

بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾

أى الذين أشاروا إلى الله ثم لم يرجعوا إلى غير الله ؛ فإن من قال « الله » ثم رجع بالتفضيل — عند حاجاته أو مطالباته أو شيء من حالاته إلى غير الله خِصَصَهُ — فى الدنيا والمقبي — الله .

والقلم — فى التحقيق — وضع الشيء فى غير موضعه ، وأصعبه حساب أن من الحدثنان ما لم يكن وكان ؛ فإنّ المنشئ الله ، والمُجرى الله ، ولا إله إلا الله ، وسقط ما سوى الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفعُ

درجات مَنْ نشاء إنَّ ربك حكيم عليهم ﴾

أشار إلى ترقّيه من شهود آياته إلى إثبات ذاته ، وذلك ترتيب أهل السلوك فى وصولهم إلى الله ، فالتحقّق بالآيات التى هى أمّاله ومراعاة ذلك وهى الأولى ؛ ثم إثبات صفاته وهى الثانية ؛ ثم التحقّق بوجوده وذاته وهو غاية الوصول ، فبرسومه يعرف العبد نعمته ، وينعوته يعرف ثبوته <sup>(٢)</sup> .

(١) أخطأ الناسخ إذ كتبها ( فكيف )

(٢) للقشبرى كتابان ( ترتيب السلوك ) و ( المقامات الثلاث ) لم تصل بيد أيدينا إليها . أولهما توجد منه مخطوطة بالفاتيكان والثانى استماره بعضهم من مكتبة جامعة القاهرة ولم يردّه ، فهل يمكن أن نحس أن هذه الفقرة خلاصة مفتضية لوجبة نظره فى ترتيب مقامات السلوك وعددها .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ  
وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ  
وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ  
نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَذَكَرْنَا وَيْحَ  
وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ  
\* وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا  
وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ \* وَمِنْ  
آبَائِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَإِخْوَانَهُمْ وَاجْتَنِبْنَا  
وَهُدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* ذَلِكَ  
هُدَى اللَّهِ يُهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ  
عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ  
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

ذَكَرَ عَظِيمُ الْمِنَّةِ عَلَى كَافَّةِهِمْ — صلوات الله عليهم ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَوْلَا تَخَصُّصُهُ إِيَّاهُمْ  
بِالتَّعْرِيفِ ، وَتَفْضِيلِهِ لَهُمْ عَلَى سِوَاهُمْ بِغَايَةِ التَّشْرِيفِ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ اسْتِجَابٌ وَلَا اسْتِحْقَاقٌ .  
ثُمَّ قَالَ : « ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ . . . . . يَعْمَلُونَ » يَعْنِي لَوْ لَا حَظُّوْا غَيْرَآ ، أَوْ شَهِدُوا  
— مِنْ دُونِنَا — شَيْئًا ، أَوْ نَسَبُوا شُظْيَةً مِنَ الْخِدْيَانِ — إِلَى غَيْرِ قَدَرَتِنَا — فِي الظُّهُورِ لِثَلَاثِي  
مَا أَسْلَفُوهُ مِنْ عَرَفَاتِهِمْ وَإِحْسَانِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ — سُبْحَانَهُ — لَا يَنْفِرُ الشِّرْكَ بِجَمَالٍ ، وَإِنْ كَانَ  
(يَنْفِرُ) <sup>(١)</sup> مَا دُونَهُ لِيَنْ أَرَادَ .

قوله جل ذكره : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا  
هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُؤْذِيَنَّ  
بِكَاْفِرِينَ ﴾

(١) وَرَدَّتْ ( يَنْفِرُ ) وَالْمَوَاقِبُ ( يَنْفِرُ ) طَبَقًا لِلآيَةِ ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْفِرُ أَنْ يَشْرَكَ بِهِ . . . الْخ ) .

يعنى إنَّ أعرض قومك — يا محمد — فليس كلُّ من ( . . . . ) <sup>(١)</sup> على الجحود  
أظهر ناهم ، بل كثير من عبادنا نَزَّهنا — عن الجحود — قلوبهم ، وَغَيَّبْنَا بِمَاءِ السَّعَادَةِ طِينَهُمْ  
وهم لا يَحِيدُونَ عن التَّوْحِيدِ لحظةً ، ولا يَزِينُونَ عن التَّحْصِيلِ شَيْئاً .

قوله جل ذكره : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِئْسَ الْكَلِمَآءُ

اِقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَهَّرَ اللَّهُ عن الجحد أسرارهم ، وَرَفَعَ عَلَى السَّكَافَةِ أَقْدَارَهُمْ ، فَاغْتَفَبِ  
— يا محمد — هدام ، فَإِنَّ مَنْ سَلَكَ الْجَادَّةَ آمِينَ من العناء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا

مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّ مِنْ شَيْءٍ قُلْ

مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ

مُوسَى نُورًا وَهَدًى لِلنَّاسِ لِيُبَيِّنَ لَهُ

الْأَلْهَامَ وَتُذَكِّرَ بِهِ الْبَاطِلَ كَثِيرًا

وَعَلَّمَهُمْ مَا لَمْ تَلْمَوْا أَنَّهُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ

قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾

مَنْ تَوَّعَّمُ أَنْ الْعُلُومَ <sup>(٢)</sup> تَحِيطُ بِجَلَالِهِ فَالْإِحْاطَةُ غَيْرُ سَائِفَةٍ فِي نَفْسِهِ ، كَمَا أَنَّ الْإِدْرَاكَ غَيْرُ  
جَائِزٍ فِي وَصْفِهِ ، وَكَأَنَّ الْإِشْرَافَ مُعَالٍ عَلَى ذَاتِهِ .

نعم قال : « قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا » أَيْ سَلَّمَ عَنْ الْأَحْوَالِ ،  
وَخَاطَبَهُمْ فِي مَعَانِي أَحْكَامِ الرُّسُومِ وَالْأَطْلَالِ ، فَإِنَّ بَقَا فِي ظِلَّةِ ( الْحَمِيرَةِ ) <sup>(٣)</sup> قُلْ : اللَّهُ تَعَالَى ،  
ثُمَّ ذَرْهُمْ . يعنى سَرَّحَ بِالْإِخْبَارِ عَنِ التَّوْحِيدِ ، وَلَا يَهْوُلُكَ عَادِيهِمْ فِي الْبَاطِلِ ، فَإِنَّ تَوْبِيهَاتِ  
الْبَاطِلِ لَا تَأْثِيرَ لَهَا فِي الْحَقَائِقِ .

(١) مثلية .

(٢) يقصد بها علوم المتل .

(٣) وردت ( الجيرة ) والحفظ في النقط .

قوله جل ذكره: ﴿ وهذا كتاب أنزلناه ، مباركٌ

مصدقٌ الذي بين يديه ولتُنذِرَ أُمُّ

القرى وَمَنْ حَوَّلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ عَلَى صَلَاتِهِمْ

يَحَافِظُونَ ﴿

كتابُ الأحبابِ عزيزُ انْطَرِ جليلُ الأثرِ ، فيه سُلوةٌ<sup>(١)</sup> عند غلبات الوجد ، ومن بقى

من الوصول تذللُ الرسول ، وقيل :

وَكُنْتُكَ حَوْلِي لَا تَفَارِقْ مُضْجِي وَفِيهَا شِفَاءٌ لِقَدْى أَنَا كَاتِمٌ

كَأَنِّي مَلْحُوظٌ مِنَ الْجِنِّ فَظَرَّةٌ وَمِنْ حَوَالِي الرُّقَى وَالْتِمَامُ

قوله جل ذكره: ﴿ وَمَنْ أَعْلَمُ مَنْ افترى على الله كَذِبًا

أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ

وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ

اللُّوتِ وَلِللَّامِكَةِ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ

أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى

اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ

تَسْكِبُونَ ﴿

يعنى إن الذين يَنْزِلُونَ منزلة المُحدِّثين ، ولم تلق إلى أسرارهم خصائصُ الخطاب -

فالخلقُ - سبحانه عنهم برىء . وللتَّيْبِ بِمَا لَمْ يَنْتَلِ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُور ، وفي مناه أُنْشِدُوا .

إذا اشتبكت دموع في خلود نبيِّن مَنْ يَكِي عَنْ تَبَاكِي

(١) وودت (سُلوة) بالصاد وهي خطأ في النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ  
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ  
ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ  
زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ  
بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ  
تَزْعُمُونَ ﴾

دَخَلْتَ الدُّنْيَا بِمُخْرَقَةٍ ، وَخَرَجْتَ مِنْهَا بِمُخْرَقَةٍ ، أَلَا تَوَلَّىٰ تِلْكَ الْخُرْقَةُ أَيْضًا (١) ،  
وما دخلت إلا بوصف التجرد ، ولا خرجت إلا بحكم التفرد . ثم الأثقال والأوزار ، والأحبال  
والأوصار لا يأتى عليها حصر ولا مقدار ؛ فلا مالكم أغنى عنكم ولا حالكم يرغى منكم ،  
ولا لكم شفع يخطبنا فيكم ؛ فقد تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ، وَتَفَرَّقَ وَصْلُكُمْ ، وَتَبَدَّدَ شَمْلُكُمْ ،  
وتلاشى ظنكم ، وخانكم — فى التحقيق — وسعكم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَلْبِ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ  
الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ اللَّيْلِ مِنَ  
النَّهَارِ ﴾

موجد ما فى العالم من الأعيان والآثار والرسوم والألحلال يَكْلُطُ العدم على ما يريد من  
مصنوعاته ، ويحكم بالبقاء لما يريد من مخلوقاته ، فلا لحكمه رد ، ولا لحقه جحد .

قوله جل ذكره : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَارِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا  
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ  
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

وكما فَلَقَ صَبِيحَ الْكَوْنِ فَأَشْرَقَتْ الْأَنْوَارُ كَذَلِكَ فَلَقَ صَبِيحَ الْقُلُوبِ فَاسْتَنَارَتْ بِهِ  
الْأَسْرَادُ ، وكما جعل الليل سَكَنًا لِنَسْكَنِ فِيهِ النُّفُوسُ مِنْ كَدِّ التَّصَرُّفِ عَنْ أَسْبَابِ اللَّعَاشِ



كَذَلِكَ جَمَلُ اللَّيْلِ سَكَنًا لِلأَحْبَابِ يَسْكُنُونَ فِيهِ إِلَى رَوْحٍ لِلنَّجَاةِ إِذَا هَدَأَتِ الْعَيُونَ  
مِنَ الْأَغْيَارِ .

وجمل الشمس والقمر يجريان بحسبان<sup>(١)</sup> معلوم على حد معلوم ، فالشمس بوصفها مذ  
خُلِقَتْ لم تنقص ولم تزد ، والقمر لا يبقى لیسلة واحدة على حالة واحدة فأبدأ في الزيادة  
والنقصان ، ولا يزال ينمو حتى يصير بدراً ، ثم يتناقص حتى لا يرى ، ثم يأخذ في الظهور ،  
وكذلك دأبه دائماً إلى أَنْ تَنْقُصَ عليه العادة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ لَكُمُ النُّجُومَ لَتَهْتَدُوا  
بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا  
الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

كما أن نجوم السماء يهتدى بها في الغلوات فكذلك نجوم القلوب يهتدى بها في معرفة رب  
الأرضين والسموات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ تَنْفُسًا وَاحِدَةً  
فَسَتَرُوا وَمَسْتَدَعُوا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ  
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

ذَكَرَهُمْ وَصَفَهُمْ حِينَ خَلَقَهُمْ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَكَأَنَّ لِلنَّفُوسِ وَالْأَبْشَارِ مَسْتَقَرًّا  
وَمَسْتَوْدِعًا فَلِلْأَسْرَارِ وَالضَّاهِرِ مَسْتَقَرٌّ وَمَسْتَوْدِعٌ ، فَمِنْ عِبَادٍ مُسْتَقَرُّ قَلْبِهِ أَوْطَانُ الشَّهَوَاتِ  
وَاللِّى ، وَمِنْ عِبَادٍ مُسْتَقَرُّ مَوْقِعِ الزُّهْدِ وَالتَّقَى ، وَمِنْ عِبَادٍ مُسْتَقَرُّهُ — حَيْثُ لَا مَسْكَنَ  
وَلَا مَأْوَى — وَرَأَى الْوَرَى<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا

(١) وردت ( بحسبان ) بالهم والصواب أن تكون ( بحسبان )  
(٢) أى فى حال الفناء ، يلاشى فى الوجود الذى لا تحده حدود .

منه خَصِيرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًا  
 مُتَرَاكِبًا ، وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا  
 قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ  
 وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ  
 مُتَشَابِهٍ ، انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ  
 وَيَنْبَغِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
 يُّؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

تجاملت أجزاء الأرض وتوافقت أقطارُ الكون ، وتباين النبات في اللون والطعم  
 واختلقت الأشياء ، ودلَّ كلُّ مخلوقٍ بلسان فصيح ، وبيان صريح أنه بنفسه غير مُستَقِل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ  
 وَخَرَقُوا <sup>(١)</sup> لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ  
 سُبْحَانَ تَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾

مُنَّتْ بصائرهم فاكفوا بكل منقوصٍ أن يصدروه ، وتلك عقوبة لأرباب الغفلة عن الله  
 «إلى تَجَلَّتْ» .

قوله جل ذكره : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ  
 لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ  
 كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

البديع الذي لا مثل له ، أو هو المُنشئ لا على مثال ، وكلاهما في وصفه مستحق .  
 والواحد يستحيل له الولدُ لانقضائه البعضية ، والتوحيد ينافيه .

قوله جل ذكره : ﴿ ذَلِكَ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

(١) سَمَرَقُ الْإِبْرَةِ = اختلقه ، أو من خرف التوب إذا شقه فيكون المعنى : ( اشتقوا له ) وإشارة  
 لمشركي تمتد على الخلقين .

خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ مُّعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٩﴾

تَعْرِفُ إِلَهُهُم بِآيَاتِهِ ، ثُمَّ تَعْرِفُ إِلَهُهُم بِصِفَاتِهِ ، ثُمَّ تَعْرِفُهُمْ بِخَلْقَاتِهِ ذَاتِهِ .

قوله : « لا إله إلا هو » تعريف للسادات والأكابر ، وقوله : « خالق كل شيء »  
تعريف للعوام والأصاغر .

قوله جل ذكره : ﴿ لا تتركه الأبصارُ وهو يدرك الأبصارُ

وهو اللطيف الخبير ﴾

قَدَسَ الصِّدْقُ عَنْ كُلِّ لُحُوقٍ وَدَرَكٍ ، فَاتَى بِالْإِدْرَاكِ وَلاَحِذْ لَهُ وَلاَ طَرَفَ ١٩

« وهو اللطيف » الذى لا ينفى عليه شيء ، « الخبير » الذى أحاط علمه بكل معلوم .

قوله جل ذكره : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَسَبِّحُوا

أَبْصَرَ فَلْيَنْصِبْهُ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا

وما أنا عليكم بحفيظ ﴾

أَوْضَحَ الْبَيَانَ وَالْأَحَادِيثَ ، وَأَزَاحَ الْعَمَلِ وَأَنَارَ السَّبِيلَ ، وَلَكِنْ قِيلَ :

وما انتفاع أخى الدنيا بخلقته إذا استوت عنه الأنوارُ والظلمُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أُولِي

أَلْبَاسٍ ﴾

أَوْعَى الْفِتْنَةِ فِي قُلُوبِهِمْ فَخَنَسَتْ عَلَيْهِمُ الْأَحْوَالُ : قَبْلِ شُبُهَةِ دَاخِلَتِهِمْ وَمِنْ حَيْرَةِ مَلَكَتِهِمْ .

ومن تحقيق أدركه قوم ، وتعريف توقف على آخرين .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ

عليهم حفيظًا وما أنت عليهم بوكيل ﴾

الْعَجَبُ مَنْ أَقْرَبُ بِقُصُورِ حَالِهِ عَنْ اسْتِحْقَاقِ الْمَدْحِ ببقائه عن مراده ، وكيف يصح ،

معبوده يجاوز ألا يرتفع في ملكه مراده ؟ ١٩

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

يعنى خاطبهم بلسان الحجة والتزام الدلائل ونفى الشبهة ، ولا تُكَلِّمُهُمْ على موجب نوازع النفس والعادة ، فَيُحِيلَهُمْ ذلك على ترك الإجلال لذكر الله .

وقال لا تطاعهم على قبيح ما يفعلون فيزدادوا جرأة في غيهم ، فسيكون فضلك سبباً وعلّة لزيادة كفرهم وفسقهم .

قوله جل ذكره : ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أمةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَى

رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

لِنُسْأَلَهُمْ حَقائق الأشياء حتى ظنوا القبيح جيلاً ، ولم يردوا سوء حالتهم بتبدلها ، فركنوا إلى الهوى ، ولم يميزوا بين العوافي والقبلا .

قوله جل ذكره : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ

آيَةٌ لِيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ

عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشِيرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ

لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

وعدوا من أنفسهم الإيمان لو شاهدوا البرهان ، ولم يعملوا أنهم تحت قهر الحكم ، وما ينبغي وضوح الأدلة لمن لا تساعده سوايق الرحمة ، ولو احق الحفظ بموجبات القسمة .

قوله جل ذكره : ﴿وَوَقَّلَبُ أَفْعَدْتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَأَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ

أَوَّلَ مَرَّةٍ نَدْرُكُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَمْهَوْنَ﴾

العَجَبُ مَنْ ثَبَقَ عَلَى قَلْبِهِ شُبْهَةٌ فِي مَسْأَلَةِ الْقَدَرِ<sup>(١)</sup> ، والحق — سبحانه — يقول :

---

(١) يشير التشويى بذلك إلى التدورية الذين يقولون بخلق الأفعال ، فسوا قدرية من قبيل تسمية الشيء بغيره ، ينتاسي خصومهم بالجبرية .

ويوصف التدورية بأنهم يحس هذه الأمة ، لأنه كما أن أنباغ زرادشت يمارضون خالق الخير بمبطله فإن هو علة الشر كذلك م — أى التدورية — يخرجون أعمال الإنسان السيئة من دائرة خلق الله ، فافقه ليس هو الذى يخلق المصيبة بل إرادة الإنسان المستقلة .

« وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به » ، لا بل من حقائق التقلب بقاء إشكال هذا الأمر مع وضوحه — على قلوب مَنْ هو من جملة العقلاء ، فسبحان مَنْ يُخَفِّي هذا الأمر مع وضوحه ! هذا هو قهر القادر وحكم الواحد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَّا إِلَهُمُ الْمَلَائِكَةِ وَكَلَّمَهُمُ

الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا

مَا كَانُوا يَؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يجهلون ﴿

لأن الآيات وإن تواترت ، وشموس البرهان وإن تماثلت فمن قصصته العزّة وكبريائه القسمة لم يزد ذلك إلا حيرة وضلالاً ، ولم يستنجز إلا الشكوة حالاً .

قوله جل ذكره ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا

شَيطَانًا مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُرِيحُ بَعْضُهُمْ

إِلَى بَعْضٍ يُخَوِّفُ الْقَوْلَ غُرُورًا

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فُتِنَهُمْ قَدَرَهُمْ

وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿

كلاً كان المحلُّ أعلى كانت البلايا أوفى ، وللطالبات أقوى ، فلما كانت رتبُ الأنبياء — عليهم السلام — أشرف كانت المناوأة معهم أشد وأصعب .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَنُصَبِّحَنَّ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ

وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هم مُقْتَرِفُونَ ﴿

وكلت أسماع الكفار بالغو وقلوبهم بالسوء فرسوا لأنفسهم أحسن الأنصباء<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ أَفَذَرِ اللَّهُ ابْنَتِي حَكَمًا وَهُوَ الْعَلِيمُ

(١) الأنصباء جمع نصيب وهو الحصة من الشيء (المنجد) .

أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ  
 آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ  
 مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ  
 الْمُمْتَرِينَ ﴿١﴾

قل لم أتروا أنى — بعد ظهور البيان ووضوح البرهان — أَدْرُ الْبَاقِينَ ، وَأَوْرَ التَّخْبِينَ وَأُفَارِقُ الْحَقَّ ، وَأُظْهِرُ<sup>(١)</sup> الْحَقَّ ؟ إِنَّ هَذَا عَمَلٌ مِنَ الظَّنِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ حَيْثُ مَا عِدْنَا وَعَدْنَا ﴾

لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢﴾

تَقَدَّسَتْ عَنْ التَّغْيِيرِ ذَاتُهُ ، وَتَنَزَّهَتْ عَنِ التَّبْدِيلِ صِفَاتُهُ . وَالتَّامُّ بِنَى النَّفْصَانِ . وَكُلُّ  
 تَقْصَانٍ فِي التَّحْدِثِ أَصْلُهُ ، وَأَتَى بِالنَّفْصِ — وَالْقِدْمِ وَصْفُهُ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ تَطَلَّعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾

يَضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ

إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٣﴾

أَهْلُ اللَّهِ قَلِيلُونَ عِدَدًا وَإِنْ كَانُوا كَثِيرِينَ وَزَنًا وَخَطَرًا ، وَأَمَّا الْأَعْدَاءُ فَفِيهِمْ كَثَرَةٌ .  
 فَإِنْ لَا حِفْظَ لَهُمْ — يَا مُحَمَّد — فَتَنُّوكَ ، وَإِنْ صَاحِبَتُهُمْ مَنَعُوكَ عَنِ الْحَقِّ وَقَلْبُوكَ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَصِلُ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٤﴾

تَقَامَرَتْ أَعْلَامُ الْخَلْقِ عَنْ إِدْرَاكِ غَيْبِهِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا عَرَفَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ ، وَالَّذِي لَا يَنْجِي عَلَيْهِ  
 شَيْءٌ مِنْهُ الْوَاحِدُ — سُبْحَانَهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَكَلِمَاتُ اللَّهِ ذُكْرًا لِمَا هُوَ عَلَيْهِ إِنْ ﴾

كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾

هَذَا فِي حَكْمِ التَّفْسِيرِ مَخْتَصٌ بِالذَّبِيحَةِ ، وَفِي مَعْنَى الْإِشَارَةِ مَنَعَ الْأَكْسَلَ عَلَى الْفَعْلَةِ ، فَإِنْ مِنْ

(١) رَمَّا كَانَتْ فِي الْأَصْلِ ( أَظْهَرُ ) بِالْفَاءِ ، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ فِي السِّيَاقِ .

أكل على الغفلة فأدانت تلك القوة باقية فيه خواطره إما هواجس النفس أو وسوس الشيطان .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا دُكِرَ اسْمُ

الله عليه وقد فصل لكم ما حَرَّمَ

عليكم إِلَّا مَا اضْطُرُّتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ

كثيراً لَيضِلُّونَ بأهوائهم يُبْغِرُ عِلْمُ

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿

يعنى أى شئ عليكم لو تركتم الغفلة ؟ وما الذى يضركم لو استدعتم الذكر ؟

وقد تبين لكم الفرق بين أنس الذكر ووحشة الغفلة فى الحلال والوقت ، (الآ) <sup>(١)</sup>

تعرفوا حكم الثواب والعقاب فى المال .

قوله جل ذكره : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ

الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ

بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿

ظاهر الإثم ما للأغيار عليه اطلاع ، وباطن الإثم هو سر بينك وبين الله ، لا وقوف

لخلق عليه .

ويقال باطن الإثم خفي العقائد و ( . . . ) <sup>(٢)</sup> الألفاظ .

ويقال باطن الإثم ما يحل عليك نفسك بنوع تأويل .

ويقال باطن الإثم — على لسان أهل للعرفة — الإغماض عما فك فيه حظ ، ويقال باطن

الإثم — على لسان أهل المحبة — دوام التفاضى عن مطالبات الحب ؛ وإن بناء مطالبات الحب

على التجنى والتفهر <sup>(٣)</sup> ، قال تأملهم :

(١) وردت (إلى) وهى خطأ فى النسخ .

(٢) مثلية .

(٣) وفى هذا المعنى أنشدوا .

يقى الحب على التفهر ظم

ليس يستحسن فى شرع الهوى

عبد المحبوب يوماً كسج

عاشق يطلب تأليف المحجج

إذا قلت : ما أذنبت ؟ قالت مجيبة :

حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

ويقال أسبغت عليكم النعم ظاهراً وباطناً ، ففروا الإثم ظاهراً وباطناً ، فإن من شرط الشكر ترك استهلاك النعمة فيما يكون إثمًا ومخالفة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا يَبْدُ كُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ .

ما كانت (....) <sup>(١)</sup> من الأحوال عاصياً ولربّه ناسياً فتوقيه شرط عند أصحاب (...)<sup>(٢)</sup> . ثم قال : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » فهذا يدل على أن من توفى ذلك انحدرت له خواطره ، واقطعت عنه خواطر الشيطان . وأصل كل قسوة متابعة الشهوات ، ومن تمود متابعتها فليودع صفة القلب .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَذَن مِّثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ، كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

الإيمان عند هؤلاء القوم حياة القلب بالله . وأهل الغفلة إذ لهم الذكر فقد صاروا أحياء بعد ما كانوا أمواتاً ، وأرباب الذكر لو اعترافهم نسيان فقد ماتوا بعد الحياة . والذي هو في أنوار القرب وتحت شعاع الرافق وفي روح الاستبصار لا يدانيه من هو في (أسر)<sup>(٣)</sup> الظلمات ، ولا يساويه من هو رهين الآفات .

(١) مشبهة .

(٢) مشبهة .

(٣) وردت (أسر) بالصاد وقد آثرنا (أسر) لتلائم (رهين) الآفات .



قوله جل ذكره : ﴿وَكُنَّا جَنَّاتٍ كُلَّ قَرْيَةٍ أَكْبَرُ جَعْرِمِهَا لِيَكْرُوا فِيهَا وَمَا بِمَكْرُونٍ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ .

لَبِئْسَ عَلَيْهِمْ حَقَاقُ التَّوْحِيدِ ، وَسَوَّلْتُ لَهُمْ ظَنُونَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُحَرِّمِينَ ، فَاتَّخَذُوا مِنْهُمْ أَهْلًا مِمَّنْ يَتَّبِعُونَ ، وَهُمْ فِي التَّحْقِيقِ مُخَادَعُونَ ، وَسَيَمْلِكُونَ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ عِلْمُ .

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا إِنَّا تُومِنُ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سِيبِثُ الَّذِينَ أُجْرِمُوا صَارُوا عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ لِّمَا كَانُوا يَكْرُمُونَ ۝﴾

بعد إزاحة العلة ، وبيان الحجة ، وزوال الشبهة (فالتعلُّل) <sup>(١)</sup> باستزادة البصيرة (إعلام) <sup>(٢)</sup> عن سوء الأدب ، وذلك منهم من التعدي ؛ لمساواة مَنْ جاء بالاستحقاق بِمَنْ جاء بنوعٍ من تسويلات النفس يوجب مقاساة الهوان . وملازمة الحدود ، وترك التعدي على الحق قضية التوفيق .

قوله جل ذكره: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ .

الْمُحْلُ لَا يَتَحَرَّكُ فِي بَاطِنِهِ عِرْقُ الْمَنَازَعَةِ مَعَ التَّقْدِيرِ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَقْتَضِي تَسْلِيمَ الْكُلِّ بِمَا اسْتَبْدَارَ ، وَمَنْ اسْتَقْبَلَ شَيْئًا مِنَ التَّكْلِيفِ أَوْ بَقِيَ مِنْهُ نَفْسٌ لِكِرَاهِيَةِ شَيْءٍ فَبَعْدُ غَيْرِ مُسَلِّمٍ لِحُكْمِهِ .

ويقال نورٌ في البداية هو نور العقل ، ونورٌ في الوسائط هو نور العلم ونور في النهاية هو

(١) وردت (التأجيل) والسياق يتطلب (التأجيل) فيها بقوى ويتضح .  
(٢) وردت (إفلام) ولا معنى لها ، ونرجع أنها في الأصل (إعلام) أى علامة .

نور العرفان ؛ فصاحب العقل مع البرهان ، وصاحب العلم مع البيان ، وصاحب المعرفة في حكم العيان .

ويقال مَنْ وَجَدَ أنوار الغيب ظهرت له خفايا الأمور فلا يشكل عليه شيء من ذوات الصبور عند ظهور النور ، وقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » .

ويقال أول أثر لأنوار الغيب في العبد يُدْخِلُهُ إلى قَاضٍ قَدَرِهِ ومساوئِهِ غِيَةً ، ثم يشغله عن شهود نفسه مما يلوح لقلبه من شهود ربه ، ثم غَلَبَتْ الأتوار على سِرِّهِ حتى لا يشهد السرَّ بعد ما كان يشهد ؛ كالتأطّر في قُرْصِ الشمس تُسْتَهْلِكُ أنوار بصره في شعاع الشمس كذلك تستهلك أنوار البصيرة في حقائق الشهود ، فيكون العبد صاحب الوجود دون الشهود ثم بعده خلود العبد بالكلية ، وبقاء الأحديّة بنعت السرمديّة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَنَزَّ بِرُوحٍ أَن يُبَيِّنَ لَهُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْهَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وذلك حتى لا يسعى في غير مراد الحق سبحانه<sup>(١)</sup> ، وحده البشرية ضيق القلب ، وصاحبه في أسر الحداث والأعلال ، ولا عقوبة أشد من عقوبة النقلة عن الحق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴾ .

الصراط المستقيم إقامة العبودية عند تحقق الربوبية فهو فرق مؤيّدٌ بجمع ، وجمعٌ مقيدٌ بشرع ، وإثبات للعرفان بفاية الوضع ، ونبو عن المخالفات بفاية الجهد ، والتحقق بأنَّ للبحرَى

---

(١) تبدو في هذه العبارة رائحة الخبيرة . . . نعم ، ولكنها جبرية الحب ، للإرادة والمريد والمراد كلها تدور في فلك الحب ، وهذا فرق بين النزعتين الكلامية البعثة والصوفية ، عند تصديهما لهذا الموضوع .

واحدٌ لاشريك له ، ثم تركُ الاعتقاد ونفى الاستناد ، لاعلى (حركته) <sup>(١)</sup> يستند ، ولا إلى سكناته يستند ، (بل) <sup>(٢)</sup> ينتظر مايفتح به التقدير ، فإن زاع صاحبُ الاستقامة لحظةً ، والتفت ينةً أو يسرةً سقط مقطوعاً لا ينتش .

قوله جل ذكره : ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ .

دار السلام أى دار السلامة ، ومن كان في رِقٍّ شئ من (الأغراض) <sup>(٣)</sup> والمخلوقات لم يجد السلامة ، وإنما يجد السلامة منْ يحرر عن رِقِّ السُّكُونَاتِ ، والآية تشير إلى أن القوم في الجنة لكنهم ليسوا في أسر الجنة ، بل يحرروا من رِقِّ كل مَكُون .

ويقال مَنْ لم يُسَلِّمْ — اليوم — على نفسه وروحه وكلِّ ماله من كل كريمة وعظيمة تسليماً وداعاً لاجد — غداً — ذلك الفضل ، فمن أراد أن يُسَلِّمَ عليه ربه — غداً — فَلْيُسَلِّمْ على (السكون) <sup>(٤)</sup> بحملته ، وأولاً على نفسه وروحه .

ويقال دار السلام غداً لمن سَلِمَ — اليوم — لسانه عن الفيبة ، وجَنَانِه عن الغيبة ، وأبشاره وظواهره من الزُّلَّة ، وأسراره وضائره من الغفلة ، وعقله من البدعة ، ومعاملته من الحرام والشبهة ، وأعماله من الرياء وللصانعة ، وأحواله من الإعجاب .

ويقال شرفُ قَدَرِ تلك الدار لكونها في محل الكرامة ، واختصاصها بعقيدة الزُّلَّة ، وإلا فالأقطار كلها ديار ، ولكن قيمة الدار بالجوار ، قال قائمهم :

إِنِّي لأحمد داراً في جوارِكُم طوبى لمن أضحى لدارك جاراً  
يا ليت جارك يعطيني من داره شيئاً إذناً لأعطيه بشبر داراً <sup>(٥)</sup>

ويقال : وإن كانت الدار منزهة عن قبول الجوار ، وليس القرب منه بندا في الأقطار ، فالطلاق هذا اللفظ لقلوب الأعباب مؤنسٌ ؛ بل لو جاز القرب في وصفه من حيث المسافة لم يكن لهذا

(١) وردت (حركته) والصواب أن تكون (حركته) لتتلاءم مع (سكناته) .

(٢) أضفت ( بل ) ليتضح البقي وهي غير موجودة في النسخ .

(٣) (الأغراض) جمع غرض ، وليس مستبعد أن تكون (الأغراض) بالعين جمع غرض ، وكلاماً مقول .

(٤) وردت (السكون) وهي خطأ من الناسخ .

(٥) البيت الثاني مكسور ولكننا حرصنا على إتيانه كما جاء في النسخة .

كبير أثر ، وإنما حياة القلوب بهذا ، لأن حقيقته مقدسة عن هذه الصفات ؛ فهو لأجل قلوب  
الأحباب يُطلق هذا وقع العلماء في كد التأويل ، وهذا هو أمانة الحب ، قال قائلمهم :

أنا من أجلك حُلْتُ الأذى الذى لا أستطيع

قوله جل ذكره : ﴿ وهو وليهم بما كانوا يعملون ﴾<sup>(١)</sup> .

هذا شرف قدر تلك المنازل حيث قال : « وهو وليهم » لأنه إذا كان — سبحانه —

هو وليهم فإنَّ المنازل بأسرها طابت كيفما كانت ، قال قائلمهم :

أهوى هواها لمن قد كان ساكنها وليس في الدار لى ثم ولا وطر

هو وليهم في دنياهم ، ووليهم في عقباهم ، هو وليهم في أولاهم وفي أخراهم \* وليهم الذى

استولى حديثه على قلوبهم ، فلم يدخ فيها لغيره نصيباً ولا يسوى \* وليهم الذى هو أوثق بهم

منهم \* وليهم الذى آثرهم على أضراهم وأشكلم قآثره في جميع أحوالهم \* وليهم الذى

تطلب رضاهم ، وليهم الذى لم ( يكلمهم )<sup>(٢)</sup> إلى هوام ، ولا إلى دنياهم ، ولا إلى عقباهم .

وليهم الذى بأفضاله يلاطفهم ، وبجباله يجلاله يكشفهم .

وليهم الذى اختطفهم عن كل حظ ونصيب ، وحال بينهم وبين كل حبيب وقريب ،

فحرمهم عن كل موصوف ومطلوب ومحبوب ، وليهم الذى هو مؤنس أسرارهم .

مشاهده معتكف أبصارهم ، وحضرته مرثع أرواحهم .

وليهم الذى ليس لهم سواه ، وليهم الذى لا يشهدون إلا إياه ، ولا يحدون إلا إياه ، لافى

بدايتهم يقصدون غيره ، ولا فى نهايتهم يحدون غيره ، ولا فى وسائلهم يشهدون غيره<sup>(٣)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن

قد استكثرتم من الإنس وقال

أوليائهم من الإنس ربنا استمتع

(١) وقع التناسخ في ثلاثة أخطاء كتابية ونقلية في هذه الآية إذ كتبها (فهو وليهم اليوم بما كانوا يكسبون) إذ التبت عليه مع آية أخرى .

(٢) وردت ( يكلمهم ) بزيادة ميم وهي خطأ في النسخ .

(٣) لاحظ هنا هذا الترتيب : قصود ثم شهود ثم وجود .

بعضنا ببعضٍ وبلغنا أجلنا الذى  
أُجِلْتُ لنا ، قال : النار مثواكم  
خالدٍ فيها إلا ما شاء الله إن ربك  
حكيمٌ عليهم

يعتبرون فلا يسمع ، ويحتجون بما لا ينفع ، ولقد كانوا من قبل لو أتوا بأقل منه قُبِلَ  
منهم ، لكن سبقت القسمة فحقت لهم الشقوة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَفَىكَ نُورِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا  
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

يعنى تجميع بين الأشكال ، فالأولياء مجموعون يستمتع بعضهم ببعض ، والأعداء مجموعون  
يضر بعضهم من بعض .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْإِنسِ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ  
مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمُ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ  
لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى  
أَنفُسِنَا وَغَرَّبَتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا  
عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾

عرفهم أنه أراح لهم اليلل من حيث التزام الحجة ، لكنه حكم لهم بالشقوة في الأزل ،  
( فَلَيْسَ ) <sup>(١)</sup> عليهم المحبة .

قوله جل ذكره : ﴿ ذَلِكُمْ أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى  
يُظَلِّمُ أَهْلَهَا غَافِلُونَ ﴾

متى يصح في وصفه توهم الظلم والمُلْكُ مُلْكُهُ وَاتَّخَذَ خَلْقَهُ ؟  
ومتى يقيح منه تصرف في شخص بما أراد ، والعبد عبده والحكم حكمه ؟

(١) وردت ( فليس ) وهي خطأ من الناسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ عَمَلُوا وَمارَبِكْ

بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

المحسن في رُوحِ الثواب متَّعَمٌ ، والمذنب في نُوحِ العذاب متَّالِمٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ

يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ

كَأَنَّمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾

« الغني » يشير إلى كشفه ، « ذو الرحمة » يشير إلى لطفه .

أخبرهم بقوله « الغني » عن جلاله ، ويقول : « ذو الرحمة » عن أفضاله ؛ فجلاله يكاشفهم

فِيُفَتِّهِمْ ، وبأفضاله يلاطفهم فيحييهم .

ويقال سماع غناء يوجب محوهم ، وسماع رحمة يوجب صحوهم ، فهم في سماع هذه الآية

مترددون بين بقاء وبين فناء ، وبين إكرام وبين اصطلام ، وبين تقريب وبين تذبذب ،

وبين اجتياح وبين ارتياح .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ مَا تَعْبُدُونَ لَاتِ وَمَا أَنْتُمْ

بِعَاصِرِينَ ﴾

الإشارة من هذه الآية إلى قِصَرِ الأمل ، وَمَنْ قَصُرَ أَمَلُهُ حَسُنَ عَمَلُهُ ، وكل ما هو آتٍ

قريبٌ أَجَلُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ

إِنِّي عَامِلٌ فُسُوفَ تَعْمَلُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ

عَاقِبَةُ أَمَارٍ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

هذا غاية الجزر لأنه تهديد وإن كان في صيغة الأمر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَجَعَلُوا اللَّهَ مَخَازٍ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ

نَسِيًّا قَالُوا هَذَا اللَّهُ يَزْعُمُهُمْ وَهَذَا

لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصلُ

إلى الله وما كان لله فهو بصيل إلى  
شركائهم ساء ما يحكون \*

لَا يَتَوَّأ قَاعِدَةٌ أَمْرٌ عَلَى مَوْجِبِ الْهَوَى صَارَتْ فِرْعُونَهُمْ لَاقَةً بِأَصُولِهِمْ ؛ فَهُوَ كَمَا قِيلَ .  
إِذَا كَانَ الْقَضَاءُ إِلَى ابْنِ آوَى فَتَوَيْلُ الشُّهُودِ إِلَى الْقُرُودِ

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَانَتْ زَيْنَ لَكثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ  
قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ لِيَرُدُّوهُمْ  
وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ  
مَا ضَلُّوا عَنْهُ فَمَنْ يَفْتَرُونَ ﴾

وسوست إليهم شياطينهم بالباطل فقبلت نفوسهم ذلك ؛ إِذْ الْأَشْكَالُ يَنْتَصِرُونَ ،  
فَالنَّفْسُ لَا تَدْعُو إِلَّا إِلَى الْأَجْنِيَّةِ ، لَأَنَّهُا مُدَّعِيَةٌ تَتَوَهَّمُ أَنَّ مِنْهَا شَيْئًا ، وَأَصْلُ كُلِّ شَرِكٍ  
الدَّعْوَى ، وَالشَّيْطَانُ لَا يُوسِسُ إِلَّا بِالْبَاطِلِ وَالْكَفْرِ ، فَهُمْ أَعْوَانٌ يَنْتَصِرُونَ .  
ثم قال : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا ضَلُّوا » صَرَّحَ أَنَّ الْمُرَادَ عَلَى الْمَشِينَةِ ، وَالْإِعْتِبَارُ  
( بِسَائِقِ ) <sup>(١)</sup> الْقَضِيَّةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أُنْعَامٌ وَهِيَ حَرْثٌ حِجْرٌ  
لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ  
وَأُنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ، وَأُنْعَامٌ  
لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ  
عَلَيْهِ سَيِّجُزِهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ \*  
وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ  
خَالِصَةٌ لَّهُ كُورًا وَمُعَرِّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا  
وَلَئِنْ يَكُنْ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ،  
سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

---

(١) وودت ( بسائقي ) وهي تخطأ من التاسخ إِذْ الْمُقْصُودُ بِمَا سَبَقَ مِنَ الْقَضَاءِ .

أخبر عن أشياء ابتدعوها على ما أرادوا ، وأمور شرعوها على الوجه الذي اعتادوا ، ثم أضافوا ذلك إلى الحق بغير دليل ، وشرعوها بلا حجة من إذن رسول ، والاشارة فيه أن من (نجا نهم) (١) في زيادة شيء في الدين ، أو هضمان شيء من شرع المسلمين فضاير لهم في البطلان ، ينخرط في سلكهم في الطغيان .

قوله جل ذكره : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَغِيًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

فسدت عليهم طريقة الثقة بالله فحملتهم خشية الفقر على قتل الأولاد ، ولذلك قال أهل التحقيق : من أمارات اليقين وحققته كثرة العيال على بساط التوكل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾

يعنى كما أنشأ في الظاهر جناتٍ وبساتين كذلك أنشأ في السر جناتٍ وبساتين ، وزهرة التلويب أثم من جنات الظاهر ؛ فأزهار القلوب موفقة ، وشعوس الأسرار مشرقة ، وأثمار المعارف زاخرة .

ويقال كما تتشابه التلويب كذلك تتماثل الأحوال ، وكما يختلف طومها ودوامها مع تشاكلها من وجه ، فكذلك الأحوال مختلفة القضايا ، وإن اشتركت في كونها أحوالاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾

(١) وودعه (نجا نهم) وهي خطأ من الناسخ .



حَقُّ الْوَاجِبِ يَوْمَ الْحَصَادِ إِقَانَةُ الشُّكْرِ ، فَأَمَّا إِخْرَاجُ الْبَعْضِ فَبَيَانُهُ عَلَى لِسَانِ الْعِلْمِ <sup>(١)</sup> ،  
وَشَهَادَةُ الْمَنِيِّ فِي عَيْنِ النِّعَةِ أَثَمٌ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى وَجُودِ النِّعَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

المُسْرِفِينَ ﴾

الإسراف — على لسان العلم — مجاوزة الحد .

وعلى بيان الإشارة فالإسرافُ كُلُّ مَا أَنْفَقْتَهُ فِي حَظِّ نَفْسِكَ — ولو كانت محسنة ،  
وما أنفقت في سبيله — سبحانه — فلبس بالإسراف ، ولو أربى على الآلاف .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ سَحْوَةٌ وَفَرْشًا ﴾

يعني تسخير الحيوانات للإنسان آية مزية في الفضيلة على المخلوقات . وكما سخر الأعيان  
للإنسان كذلك سخر الأزمان في تصرف الخلدان لغواص الإنسان <sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره . ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَبْغُوا

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ • ثمانية أزواج من الضأن

اثنين ومن للعر اثنين . . . . . ﴾

إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

الرزق لا يتخصص بالمأكولات بل هو شائع في جميع ما يحصل به الانتفاع .

وينقسم الرزق إلى رزق الظواهر ورزق السرائر ، ذلك وجود النعم وهذا شهود الكرم  
بل الحمد في وجود القديم .

والقلب رزق وهو التحقيق من حيث العرفان ، والروح رزق وهو المحبة بصدق التحرر

عن الأكوان ، والسر رزق وهو الشهود الذي يكون للعبد وهو قرين العيان .

(١) أى إخراج حنق على حسب المروءة في الركعة .

(٢) يشير بذلك إلى ما يحدث على أذى الأولياء من كرامات .

قوله « ثمانية أزواج من الضأن اثنين » الإشارة من ذكر الضأن أن يتأثب العبد باستدامة السكون وال التزام بحسن الخلق ، فإن الضانية مستسلة لمن يلى عليها ، فلا يصباحها تؤذى<sup>(١)</sup> ولا ( ب . . . وها )<sup>(٢)</sup> ، يعنى كذلك سبيل من وطئ ، هذا البساط .

وكذلك « فى الإبل آيات » منها اقتيادها لمن جرّ زمامها ، واستناختها حينئذ تنأخ بلا نزاع ولا اختيار . ومنها ركوبها عند الحبل ، ومنها صبرها على مقاساة العطش ، وضوبها فى السير .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لَا آيِدُ فِى أَوْحِى إِلَىٰ حُرِّمًا عَلَىٰ طَائِفَةٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْقَلُ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمِ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

بين أن الشارع الله ، وللانع عن انطلق هو الله ، وما كان من غير الله فضائع باطل عند الله . بين أنه إذا جام الاضطرار زال حكم الاختيار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَيْعِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

(١) فى هذه الإشارة الدقيقة نلح أن القشبرى يدعو إلى إجازة الكتاب وعدم البوح بالأسرار ، وعلى ذلك كبار الشيوخ . يقول الشبل . على أثر حنة الحلاج « كنت وابن منصور شيئا واحداً ولكنه أظهر وأنا كتمت » .

(٢) مشبهة ، وربما كانت ( بدموها ) ، وعندئذ قد تكون العبارة فلا يصباحها تؤذى ولا يدموها .

بَيَّنَ أَنَّ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ضَيَعُوهُ ، إِذْ لَمَّا لَمْ يَمَاقِبْهُمْ عَلَيْهِ لَمْ يَشْهَدُوا تَكْرَهُهُ الْعَظِيمَ فَبِمَا ابْتَدَعُوهُ  
مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِمْ — فَأَهْمَلُوهُ وَلَمْ يَحَافِظُوا عَلَيْهِ ، فَاسْتَوْجَبُوا عَظِيمَ الْوِزْرِ وَالْأَلِيمَ الْمَجْرُ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رُبُّكُمْ خُورُجَةٌ

وَاسِعَةٌ وَلَا يُدْرِكُهَا بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ

الْمُجْرِمِينَ ﴿

الإشارة منه ببيان تخصيص الأولياء بالرحمة ، وتخصيص الأعداء بالظرد واللينة . والصورة  
الإنسانية جامعة ( لهم )<sup>(١)</sup> ولكن الفسدة الأزلية فاصلة بينهم .

قوله جل ذكره ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ

مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا

مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ، قُلْ هَلْ

عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ؟ إِنْ

تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

تَخْرُصُونَ ﴿

كَذَبْتَ قَائِلُهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ تَصْدُرْ عَنْ تَصَدِيقٍ ، فَدُمُّوا عَلَى جِهَاتِهِمْ وَإِنْ كَلْتِ ( . . . )<sup>(٢)</sup>

فِي التَّحْقِيقِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ

لَهْدَاكُمْ أَجْمِينَ ﴿

صَرَخَ بِأَنْ إِرَادَتُهُ — سَبْحَانَهُ — لَا تَقْصُرُ عَنْ مَرَادٍ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ اعْتِرَاضٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ هَلْمْ شَهِدَآكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ

أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا ،

(١) وردت ( له ) والصواب أن تكون ( لهم ) لتشمل الأولياء والأعداء .

(٢) مثلية .

فلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ، ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ  
الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٠﴾

أشار إلى أَنَّ مَنْ تَجَرَّدَ عَنْ بَرَهَانٍ يُصَرِّحُهُ وَبَيَانٍ (يُوضِّحُهُ) <sup>(١)</sup> فَغَيْرُ مَقْبُولٍ مِنْ فَاعِلِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ تَمَالَوْا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ  
أَلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ  
إِحْسَانًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ  
إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ،  
وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا  
وَمَا بَطَّنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي  
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وصَاكُمْ بِهِ  
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ \* ولا تقربوا مال  
اليتيم إلا بالقي إلى أحسن حتى يبلغ  
أشدّه وأوفوا الكيل والميزان  
بالقيسط لا تكلّف أنفساً إلا وسعها  
وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى  
وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به  
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ \* وَأَنَّ هَذَا  
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا  
السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكَ  
وصّاكم به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾

(١) وردت ( يوضّحه ) والصواب أن تكون بالماء ليقوى المعنى والموسيقى اللفظية وترجع أن الناسخ  
اشبه عليه شكل الماء فظنها عيناً

هذه أشياء عشرة تضمنتها هذه الآية أولها الشرك فإنه رأس المحرمات ، والذي لا يقبل معه شيء من الطاعات ، وينقسم ذلك إلى شرك جلي وشرك خفي ؛ فالجلي عبادة الأصنام ، والغني ملاحظة الأنعام ، وبين استحقاق الإعظام .

والثاني من هذه الخصال ترك المقوق ، وتوقير الوالدين بحفظ ما يجب من أكيدات الحقوق .

وبعد ذلك قتل الأولاد خشية الإملاق ، وإراقة دماهم بغير استحقاق .

ثم ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وما بدأ وما استتر ، ويدخل في ذلك جميع أقسام الآثام .

ثم قتل النفس بغير الحق ؛ وذلك إما يكون لقصد شقة الخلق .

ثم مجانبة مال اليتيم والنظر إليه بين التكريم .

ثم بذل الإنصاف في المعاملات والتوفى من جميع التبعات<sup>(١)</sup>

ثم الصق في القول والمعل في الفعل .

ثم متابعة السبيل بما تشير إليه لوائح الدليل .

فمن قابل هذه الأوامر بحسبيل الاعتناق سعد في داره وحظى بظائم منزلته .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا

عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَفَضَّلًا لِّكُلِّ

شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّاهُمْ بَلَقَاءَ

رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾

يؤمن عليهم مشقة مقاسة التكليف بما ذكر من التعريف بأن الذين كانوا قبلنا كانوا

في الضعف والعجز مثلنا ، ثم صبروا فظفروا ، وأخلصوا فخلصوا .

(١) أى الاجترار بما فيه شبهة .

قوله جل ذكره: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾

﴿تأنبئهم﴾، واثقوا لعلكم ترحمون﴾

إزال الكتاب عليهم تحقيق الإيجاب ، وإذا بقي العبد عن سماع الخطاب تسلي براءة الكتاب ، ومن لم يجد في قراءة القرآن كمال العيش والألم فلائه يقرأ زمناً لا محققاً<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره: ﴿أن تقولوا إنما أنزل الكتاب﴾

على طائفتين من قبلنا وإن كننا

عن دراسهم لعافلين \* أو تقولوا

لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا

أهدى منهم فقد جاءكم بينة من

ربكم وهدى ورحمة﴾

أزاح كل علة ، وأبدى كل وصلة ، فلم يبق لك تملا ، ولا في آثار الالتجاء إلى العذر موضعاً .

قوله جل ذكره: ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله﴾

وصدق عنها سنجزي الذين

يصدفون عن آياتنا سوء العذاب

بما كانوا يصدفون﴾

عقوبة كل جرّم مؤجلة ، وعقوبة التكذيب مججلة ، وهي ما يوجب نقاهم في أسر الشك حتى لا يستقر قلبهم على شيء .

قوله جل ذكره: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾

أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات

ربك يوم يأتي بعض آيات ربك

---

(١) يمكن أن يصلح هذا الرأي لتحديد موقف القشيري من قضية « السماع » ومدى تأثير القرآن والشعر في الوجدان الصوفي . انظر قضية يوسف بن الحسين الرازي (الرسالة ص ١٧١) .

لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت  
من قبلُ أو كَسَبَتْ في إيمانها خيراً  
قُلْ انتظروا إِنَّا مُنتظرون ﴿٢٠﴾

أخبر أنه بعدما (أزاح) <sup>(١)</sup> لم الملل اقترحوا ما ليس لهم ، و (اغتروا) <sup>(٢)</sup> بطول السلامة لهم ، ثم بين أنه إذا أمضى عقوبة عبدٍ حكماً فلا مراضٍ لتقديره ، ولا مناقضٍ لتدبيره .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أُنْشِئُوا لِلَّهِ ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

اتفقوا بأبدانهم وافترقوا بقلوبهم ، (فكانوا) <sup>(٣)</sup> مجتمعين جهرًا بجهري ، منفوقين — في التحقيق — سرًّا بيسر .

قوله : « لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ » . لا نجملك وإياهم ، يعني شئتُك شئتُ الحقائق ، وشقيهم شقُّ الباطل ، و (لا اجتماع) <sup>(٤)</sup> للضدين .

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾  
هذه الحسنات للظاهر ، وأما حسنات القلوب فللواحد مائة إلى أضعاف مضاعفة .

ويقال الحسنات من فضله تعالى تصدُر ، وبلطفه تحصل ، فهو يُجْزِي ، ثم يَقْبَلُ ، وبني ، ثم يجازي ويعطي .

ويقال إحسانه — الذي هو التوفيق — يوجب إحسانك الذي هو الوفاق ، وإحسانه — الذي هو خلق الطاعة — يوجب لك نعمت الإحسان الذي هو الطاعة ، فالعناء منك فعلُهُ والجزاء لك فضله <sup>(٥)</sup> .

(١) وردت (ذم) و (ذبح) الله ولزاحتها كلاماً مقبولاً ولكننا آثرنا أراح لأنه استعملها في هذا السياق قبل قليل .

(٢) وردت (اعتروا) بالعين والصواب (اغتروا) بالعين .

(٣) وردت (فكانوا) فأكتفيناها .

(٤) وردت و (لا اجتماع) والمعنى يرفضها ويقبل و (لا اجتماع) .

(٥) تبر هذه الفقرة عن موقف التشبُّه بالنسبة لفضية وجوب المغفرة والعقوبة على الله بالنسبة للطبيع والانس ، فيبينها قول المعتزلة بهذا الوجوب ، رفض التشبُّه كل وجوب على الله ، ويسود بالأمر كله إلى الفضل الإلهي .

ويقال إحسان النفوس تَوْفِيَّةٌ انطدئة ، وإحسان القلوب حفظ الحرمة ، وإحسان الأرواح مراعاة آداب الحشمة .

ويقال إحسان الظاهر يوجب إحسانه في السرائر ، فالذى منك مجاهدتك ، والذى إليك مشاهدتك .

ويقال إحسان الزاهدين ترك الدنيا ، وإحسان المرئيين رفض الهوى ، وإحسان العارفين قطع المني ، وإحسان الموحدين التخلّي عن الدنيا والمضي ، والاكتفاء بوجود المولى .

ويقال إحسان المبتدئين الصدق في الطلب ، وإحسان أصحاب النهاية حفظ الأدب ، فشرطُ الطلب ألا يبقى ميسورٌ إلا بذلّته ، وشرطُ الأدب ألا تسمو لك همةٌ إلى شيء إلا قطعته وتركته .

ويقال للزهاد والعبّاد ، وأصحاب الأوراد وأرباب الاجتهاد جزاءٌ محصورٌ معدود ، ولأهل المواجيد لقاء غير مقطوع ولا ممنوع .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبْتَةِ فَلَا يُجْزَى

إِلَّا مِثْلَهَا وَمَا لَا يَطْلُون ﴾

يعني ('يُكَلِّ')<sup>(١)</sup> عليه بالكيل الذي يكيل ، ويوقَفُ حيث يرضى لنفسه بأن يكون له موقفاً .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

وَمَا كُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

أرشده إلى الطريق الصحيح . ولا يكون الإرشاد إليه إلا بانسداد الطرق أجمع إلى ماسواه . وَمَنْ وَجَّهَ سَبِيلًا إلى مخلوق عرج في أو طان الحسبان لأن الأعيار ليس لها من الإبداع شظية ، ومن سلك إلى مخلوق سبيلاً وأبرم فيهم تأميراً أو قدّم عليهم تمويلاً ، فقد استشعر تسويلاً ، وجرحَ تضليلًا .

---

(١) وردت (يُقال) وهي خطأ في النسخ .



و « الصراط المستقيم » ألا ترى من دونه مثبّتاً للفرقة ولا سنة .

و « الدين القيم » مالا تمثيل فيه ولا تعطيل ، ولا نقي للفرق الذي يشير إلى العبودية ، ولا رد للجمع الذي هو شهود الربوبية (١) .

والخفيف المائل إلى الحق ، الزائح عن الباطل ، الحائل عن ضد الحقيقة .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي

وعما لي لله رب العالمين ﴾ لا شريك

له وبذلك أُمرتُ وأنا أولُ

المسلمين ﴿

مَنْ كُوشِفَ بِحَقَائِقِ التَّوْحِيدِ شَهِدَ أَنَّ الْقَائِمَ عَلَيْهِ وَالْمَجْرَى عَلَيْهِ وَالْمَسْكُ لَهُ وَالْمُنْقَلَّ إِلَيْهِ مِنْ وَصْفٍ إِلَى وَصْفٍ ، وَ ( ... ) (٢) عَلَيْهِ فَنُونَ الْحَدَثَانِ — وَاحِدٌ لَا يَشَارِكُهُ قِسْمٌ ، وَمَاجِدٌ لَا يَضْلَعُهُ نَدِيمٌ .

وَيَقَالُ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ بِاللَّهِ عَلِمَ أَنَّهُ اللَّهُ ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ اللَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ نَصِيبٌ لغيرِ اللَّهِ ، فَهُوَ مُسْلِمٌ لِحُكْمِ اللَّهِ ، لَا مُعْتَرِضٌ عَلَى تَقْدِيرِ اللَّهِ ، وَلَا مُعَارِضٌ لِاخْتِيَارِ اللَّهِ ، وَلَا مُعْرِضٌ عَنْ اعْتِنَاقِ أَمْرِ اللَّهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ

كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ

إِلَّا عَلَيْهِمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى

ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿

---

(١) من اقوال التشيعي التي توضح مقصوده هنا : ما يكون كسباً لهدم من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق ، وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان فهو جمع ، فمن أعبد الحق — سبحانه — أفضاله من طاعته وغالفاته فهو عبد بوصف التفرقة ، ومن أعبد الحق — سبحانه — ما يوليه من أفضال نفسه — سبحانه — فهو عبد يشاهد الجمع ، فإثبات الحق من باب التفرقة ، وإثبات الحق من نعت الجمع ، ولا بد لهدم من الجمع والفرق ، فإن من لا تفرقة له لا عبودية له ، ومن لا جمع له لا معرفة له (الرسالة ص ٣٨) .

(٢) مثبته وهي قرينة من (المجرى) .

كيف أوثر عليه بذلك وإلى لا أجد عن حكمة حولا ، وكيف أقول بنير أو ضد  
أو شريك ؟ أو أقول بدونه معبود أو مقصود ؟ وإن لا حظت بمنة ما شاهدت إلا ملكة ،  
وإن طالمت يسرة ما عاينت إلا ملكة ! بل إنى إن نظرت بمنة شهدت بمنته ، وإن نظرت  
يسرة وجلت نهوى يسره (١) !

قوله جل ذكره : ﴿ وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض  
ورفع بعضكم فوق بعض درجات  
ليبلوكم فى آتاكم إن ربك سريع  
العقاب وإنه لنفور رحيم ﴾

صير التوبة إليكم ، وقصر حكم عصركم عليكم ، فأنتم المقصودون اليوم دون من هو  
سواكم . ثم إنه جعلكم أصنافا ، وخلقكم أخيارا (٢) ، فمن مسخر له ، مرفه ، مروح ، يتعب  
لأجله كثير . ومن معي ، وذى مشقة أدير عليه رأسه . وجاء البلاد ليخبركم فيها آتاكم ،  
ويعنحكم فيها أعطاكم . إن حبايه لكم لا يحق ، وحكمه فيكم سابق . والله أعلم .

## السورة التى يذكر فيها الأعراف

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الباء مكسورة فى نفسها وعملها الخفض لأنها من الحروف الجارة للأسماء ، وهى صيغة  
القائمة فى الخط ، ونقطها التى تتميز به عن غيرها واحد وهو نهاية الفلة ، ثم موضع هذه  
النقطة أسفل الحرف ، فهى تشير إلى التواضع والخضوع بكل وجه .

والسين « من بسم الله » حرف ما كن فى الإشارة من الباء ألا تدر — فى الخضوع  
والتذلل ، والجهد والتوسل — ميسورا ، ثم تسكن منتظرا للتنقير ، فإن من القبول بفضل

(١) وردت ( بمنته ويسره ) بناء مربوطة والصواب أن تكونا ( الجين والبير ) مضافتين  
بته — سبحانه .

(٢) يقال لم إخوة أخيار : أى إن أهم واحدة والآباء شئ فهم يحتفون ( النجد )

فذلك المأمول، وإن رَدَّ بحكمِ فله الحكم، فتوافق تقديره بالموافقة في الرضا به، إذا المية تشير إلى منته إن شاء، ثم إلى موافقتك لتقديره بالرضا به إن لم يكن.

ويقال الباء تشير إلى بيان قلوب أهل الحقائق بلطائف المكشفات بما يختصهم الحق — سبحانه — بذلك من دون الخلق، فهم على بيانٍ عما يخفى على الخلق، فالغيب لم كشف، والخبر لم عيان، وما قلنس علم فلم وجود.

والسين تشير إلى سرور قلوبهم عند تقريبات البسط بما (...) (١) فيه من وجوه المراعاة وصنوف لطائف النجاة، فهم في جنات النعيم، وعيش بسطٍ وتكريم، ودوام رُوحٍ مقيم.

وللم تشير إلى محبة الحق — سبحانه — لم بدعاً فإنها هي للوجبة لها بهم، إذ عنها صدر كل حب فيمحبه لم أحبوه، وبقصده إليهم طلبوه، وإرادته لم أرادوه. ويقال نزهة أسرار الموحدين في الإناخة بقوة بسم الله، فمن حل تلك الساحة رتغ في حدائق القدس، واستروح إلى لسيم الأنس. ويقال بسم الله موقف القراء بقلوبهم؛ فللاغنياء موقفهم عرفات، وللقراء موقفهم المكشفات والمشاهدات.

ويقال قالة « بسم الله » ربيع الأحياب؛ أزهارها لطائف الوصلة، ونورُها زوائد القربة. قوله جل ذكره: ﴿ المص ﴾.

هذه الحروف من المتشابه في التران على طريقة قوم من السلف، والحق — سبحانه — مستأثر بعلمها دون خلقه. وعلى طريقة قومٍ فلها معاني تُعرف، وفيها إشارات إلى أشياء توصف: فالألف تشير إلى ألغة الأرواح العطرة أصابت الشكليات مع بعض الأرواح العطرة، فهي — في التحقيق — في ذلك للمعنى كالم المتحدة؛ فنه تقع الألفنة بين المتشاككين، ولأجل اتحاد المقصود يتفق المتأصدون.

ويقال أَلِف التلب حديته فلم يمتشم من بدل روحه.

ويقال الألف مخرجٌ مَنْ قَصَدَهُ عن كلِّ غَيْرٍ فلم يتصل بشيء ، وحين استغنى عن كل شيء اتصل به كل شيء على جهة الاحتياج إليه .

ويقال صورة اللام كصورة الألف ولكن لما اتصلت بالحروف تعاقبتها الحركات كسائر الحروف ؛ فرة أصبحت مفتوحة ، ومرة ( مسكوة )<sup>(١)</sup> ، ومرة مرفوعة ، وأما الألف التي هي بعيدة عن الاتصال بالعلاقات ( فباقية على وصف التجرد عن تعاقب الحركات عليها فهي على سكونها الأصلي )<sup>(٢)</sup> .

وأما الصاد فتشير إلى صديق أحوال المشتاقين في القصد ، وصدق أحوال العارفين في الوجد ، وتشير إلى صدق قلوب المريدين وأرباب الطلب ، إذ العطش نمت كلُّ قاصد ، كما أن الدهشة وصف كل واحد .

ويقال الصاد تبدى محبةً للصدور وهو بلاء الأحياب .

ويقال الصاد تطالبك بالصدق في الود ، وأمرة الصدق في الود بلوغ النهاية والكمال ، حتى لا يزيد بالبر ، ولا ينقص بالمنع .

قوله جل ذكره : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِمَّنْ لْتَتَذَكَّرَ بِهِ وَذِكْرُنَا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

كتاب الأحياب تحفة الوقت ، وشفاء لفساسة ألم البعد ، وهو لداء الضنى مُرَبِّل ، ولشفاء الشك مُعَبِّل ، وقال تعالى : « فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِمَّنْ » ولم يقل : في قلبك ؛ فإن قلبه — عليه السلام — في محل الشهود ، ولذلك قال : ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون<sup>(٣)</sup> وكذلك قال موسى عليه السلام : « رَبِّ اشرح لي صدري »<sup>(٤)</sup> . وقال للصوفي صلوات الله

(١) وودت ( مسكوة ) بقوذا التود وهي خطأ في النسخ .

(٢) ما بين القوسين موجود في المأثور ابتداءً في موضعه من المتن حسب العلامة الميزية .

(٣) آية ٩٧ سورة الحجر .

(٤) آية ٢٥ سورة طه .

عليه : « ألم نشرح لك صدرك »<sup>(١)</sup> . فإن القلب في محل الشهود ، وهو أبداً بدوام أنس القرب ، قال جلي الله عليه وسلم : « تمام عيني ولا ينال قلبي »<sup>(٢)</sup> وقال : « أسألك لذة النظر »<sup>(٣)</sup> وصاحب الجنة لا يكون له حرج .

قوله جل ذكره : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ ﴾ .

استنسخوا المطالبات التقدير ، قِفُوا حينها وقفتم ، وتحققوا بما عرقتم ، وطالعوا بما كوشعتم ، ولا تلاحظوا غيراً ، ولا تركنوا إلى علة ، ولا تظنوا أن لكم من دونه وسيلة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ نَائِمُونَ ﴾ . فإكان دعوام إذ جاءهم بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ .

يعنى كم من قرية ركنوا إلى الغفلة ، واغترتوا بطول المهلة ، باتوا في (خَفَضِ)<sup>(١)</sup> الدعة وأصبحوا وقد صادقتهم البلياء بقنة ، وأحركتهم القضية فجأة ، فلا بلاد كُشِف عنهم ، ولادعاء مُعْجِ لهم ، ولا فرار نَقَمهم ، ولا صريح أُنْقَضهم . فما زالوا يفرعون إلى الانهال ، ويصبحون : الويل ! ويدعون إلى كشف الضر ، وييكون من مس السوء ! بادوا وكأنه لا عين ولا أثر ، ولا لأحد منهم (خير)<sup>(٢)</sup> . تلك سنة الله في الذين خَلَوْا من الكافرين ، وعادته في الماضين من الماردن .

(١) آية ١ سورة الشرح .

(٢) في رواية سيد بن منصور في سننه عن ابن سعد بن الحسن مرسل : ( تمام عيني ولا ينال قلبي ) ص ١٢٠ الجامع الصغير .

(٣) وردت سنن وعاء طويل رواه النسائي في سننه والحاكم في مستدركه عن عمار بن ياسر - مكنا . . . وأسألك لذة النظر الى وجهك ) .

(٤) وردت ( حُض ) بالهاء والصواب أن تكون ( خُض ) بالعين ( بالهاء ) .

(٥) وردت ( خير ) بالياء والصواب أن تكون ( خير ) بالياء .

قوله جل ذكره : ﴿ فلنسالن الذين أرسل إليهم ولنسالن

للمرسلين ﴾

﴿ فلنسالن الذين أرسل إليهم ﴾ : سؤال تعنيف وتوبيخ .

﴿ ولنسالن للمرسلين ﴾ : سؤال تشريف وتقريب .

﴿ فلنسالن الذين أرسل إليهم ﴾ عن القبول فيتقنمون بذل الخجل .

﴿ ولنسالن للمرسلين ﴾ عن البلاغ فيتكلمون ببيان الهيبة ، فالكل بسمه العبودية والتوقير ، والحق بنمت الكبرياء والتقدير .

قوله جل ذكره : ﴿ فلنقمن عليهم عيلم وما كننا

غائبين ﴾

فلنخبرنهم يوم الفصل ما هم عليه اليوم ، ونوقفهم على ما أسلفوه ، وقيمهم في مقام الصغار وحل الخزي ، وسيلفون أنه لم يغب عن علمنا صغير ولا كبير .

ويقال أجرى الحق — سبحانه — سنته بنخوف المبادله مرة كما خوفهم بمقوبته تارة ؛ فقال تعالى : ﴿ واتقوا يوماً ﴾ <sup>(١)</sup> يعني العذاب الواقع في ذلك اليوم ، وقال في موضع آخر : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ <sup>(٢)</sup> وهذا أبلغ في التخويف ، وقال ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ <sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت

موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ ومن

خفت موازينه فأولئك الذين

خسرُوا أنفسهم بما كانوا بآياتنا

يظلمون ﴾

يَرِنُ أعمالهم بميزان الإخلاص ، وأحوالهم بميزان الصدق . فمن كانت أعمالهم بالرياء

(١) آية ٤٨ سورة البقرة

(٢) آية ٢٨ سورة آل عمران

(٣) آية ١٤ سورة الطلق

مصحوبة لم يقبل أعمالكم ، ومن كانت أحوالكم بالاعجاب مشوية لم يرفع أحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد مكناكم في الأرض وجعلناكم

فيها معاشين قليلاً ما تشكرون ﴾

سئلنا عليكم أسباب للعيشه ، ويسرنا لكم أحوال التصرف ، ثم أراد منكم أن تتخذوا

إليه سبيلاً ، ولم يمتنع عليه مراد .

« قليلاً ما تشكرون » لاستعمالكم - في الغلات - أبدانكم ، وإلحاقكم

- بالإسراف - أحوالكم ، واستنرافكم - في المخطوط - أوقاتكم . فلا نعمة الفراغ

شكرتم ، ولا من من العقوبة شكرتم . . . خسرتم وما شئتم !

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا

لللائكة اسجدوا لآدم فسجدوا

إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾

ثَبَّتْنَاكُمْ عَلَى النَّمْتِ الَّذِي أَرَدْنَاكُمْ ، وَأَقْنَاكُمْ فِي الشُّوَاهِدِ الَّتِي اخْتَرْنَا لَكُمْ ، فَبَيْنَ قَبِيحِ

صُورَتِهِ خَلْقًا وَمِنْ مَلِيحٍ ، وَمِنْ سَقِيمِ حَالَتِهِ خَلْقًا<sup>(١)</sup> ، وَمِنْ صَحِيحٍ . ثُمَّ إِنَّا نَعْرِفُكُمْ سَابِقَ

أَبَادِنَا إِلَى أَيْبِكُمْ ، ثُمَّ لَاحِقَ خِلَافِهِ بِمَا بَقِيَ عِرْقُكُمْ مِنْهُ فَبَيْنَكُمْ ، ثُمَّ مَا عَلَّمْنَاهُ ( مِنْ مَكَانٍ

يُحْسَدُكُمْ )<sup>(٢)</sup> وَيُضَادِيكُمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ

وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾

أَيُّ لَوْلَا قَهْرُ الرَّبُّوبِيَّةِ جَرَى عَلَيْكَ وَإِلَّا فَمَا مُوجِبُ امْتِنَاعِكَ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ لَوْ كُنْتَ

تَعْلَمُ أَمْرِي ؟ فَيَتَحَقَّقُ الْمَوْجِدُونَ أَنَّ مُوجِبَ امْتِنَاعِهِ عَنِ السُّجُودِ الْخِلَافُ لِلْحَاصِلِ ، وَلَوْ سَاعِدَهُ

التَّوْفِيقُ لَمْ يَرْجِعْ يَدَهُ مِنَ السُّجُودِ .

(١) ضَبَطْنَا خَلْقًا وَخَلَقْنَا حَسْبَ حِطْلِهِ السَّيَاقِ

(٢) هَكَذَا فِي مِ ي وَنَزَّجَ أَنَّ النَّاسِخَ قَدْ اِخْطَأَ فِي النُّقْلِ ؛ فَابْنُ قُسَيْبٍ لَا يَقُولُهُ ، وَبِمَا كَانَتْ

مِ الْأَصْلَ ( ثُمَّ مَا عَلَّمْنَاهُ بِمَنْ كَانَ يُحْسَدُكُمْ وَيُضَادِيكُمْ ) وَلِلْقَصُودِ إِبْلِيسَ كَمَا فِي الْآيَةِ

قال : « أنا خير منه » ادعى الخيرية ، وكان الواجب عليه — لولا الشقوة — أن يُؤثِرَ التذللَ على التكبر ، لاسيما والخطاب الوارد عليه من الحق .

ثم إنه وإن سلكَ طريق القياس فلا وجه له مع النفس لأنه يحطّ ، فلم يزدْه قياسه إلا في استحقاق نفيه إذ ادعى الخيرية بجوهره<sup>(١)</sup> ، ولم يعلم أن الخيرية بحكمه سبحانه — وقسمته .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ .

فارق بساطة القربة ؛ فإنَّ التكبرَ والترفعَ على البساط ترك للأدب ، وترك الأدب يوجب الطرد .

وقال مَنْ رأى لنفسه محلاً أو قيمة فهو متكبر ، والمتكبر بعيد عن الحق سبحانه ، ورؤية اللقَامِ قَدْحٌ في الربوبية إذ لا قَدَرٌ لغيره تعالى ، فمن ادعى لنفسه محلاً فقد نازع الربوبية .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ أُبْعَثُونَ ﴾ .  
قال إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ .

أجاب دعاءه في الحال ولكن كان ذلك مكرّاً به لأنه مكّنه من مخالفة أمره إلى يوم القيامة ، فلم يزدْه بذلك التمسك إلا شقوة . ليعلم الكافّة أنه ليس كل إجابة للدعاء نعمة ولطفاً بل قد تكون بلاء ومكرّاً .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ قِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْدَمَنَّ لَهُم مِّمَّا يَخْتُلِفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .  
قَالَ قِيمَا أُغْوِيَنِي لَأَقْدَمَنَّ لَهُم مِّمَّا يَخْتُلِفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ .

بَآخِرَ الْحَقِيقَةِ بِالْخِلَافِ بعدما أظهر من نفسه غاية الخلوص في العبودية ، فَعَلِمَ أن جميع ما كان منه في ( سالف )<sup>(٢)</sup> حاله لم يصدر عن الإخلاص والصديق .

(١) حيث اهتم النار خيراً من الطين .

(٢) وردت ( سالف ) والصواب أن تكون ( سالف ) أي سابق ههنا قبل عصيانه .



قوله جل ذكره : ﴿لَمْ يَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ  
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ  
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ .

أخبر أنه يأخذ عليهم جوائزهم ، ويتسلط عليهم من جميع جهاتهم ، ولم يعلم أن الحق سبحانه قادر على حفظهم عنه ، فإن ما يكيد بهم من القسوة حصل ، وبالمشقة يوجد ، ولو كان الأمر به أو إليه لكان أولى الخلق بأن يؤثروا فيه كدته نفسه ، وحيث لم ينفعه جهده في سالف أحواله لم يضرهم كيده بما توقعهم به من سوء أفعاله .

قوله جل ذكره : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَعَنَّا أَنَّ اللَّهَ غَوِيٌّ حَزِينٌ﴾ .  
قوله جل ذكره : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَعَنَّا أَنَّ اللَّهَ غَوِيٌّ حَزِينٌ﴾ .

أخرجه من درجته ، ومن حالته ورتبته ، ونقله إلى ما استوجبه من طرده ولعنته ، ثم تخليده أبداً في عقوبته ، ولا يذيقه ذرة من برِّ رحمته ، فأصبح وهو مقدّم على الجملة ، وأسمى وهو أبعد الزمرة ، وهذه آثار قهر العزة . فأى كيد يسع هذه القصة ثم لا ينتنت ١٩ .

قوله جل ذكره : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَعَنَّا أَنَّ اللَّهَ غَوِيٌّ حَزِينٌ﴾ .  
فكلا من حيث شئنا ولا تقرّبا  
هذه الشجرة فنكونا من الظالمين .

لما أسكن آدم الجنة خلق معه سبب الفتنة ، وهو ما أكرمه به من الزوجة . وأى قصي يكون في الجنة لو لم يخلق فيها تلك الشجرة التي هي شجرة المحنة لولا ما أخفى من مير القصة ٢٠ .  
قوله جل ذكره : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ .

نسبته ما حصل منهما إلى الشيطان من أمارات العنابة ، كانت الخطيئة منهما لكنه تعالى قال : «فوسوس لها الشيطان» .

ويقال التقى آدمُ إبليسَ بعد ذلك فقال له : يَا شَقِي ! وسوستَ إلىَّ وفعلتُ ١ ، فقال  
إبليسُ لآدم . يَا آدَمُ أَهَبْ أَتَى كُنْتُ إبْلِسَكَ قَمَنْ كَانَ إبْلِيسَى ٢١ .

قوله جل ذكره : ﴿ لِيُبْدِيَ لَهَا مَا وُورَى عَنْهَا مِنْ سِوَاهُمَا ﴾ .

وفى ذلك دلالة على عناية زائدة حيث قال : « لِيُبْدِيَ لَهَا » فلم يطلع على سواهما غيرها .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقالَ ما نَهاكُمَا رِيسُكُمَا عن هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ .

ثابت أنفسهما إلى أن يكونا مَلَكَينَ — لا لأن رتبة الملائكة كانت أعلى من رتبة آدم عليه السلام — ولكن لقطع الشهوات وللفى عنهما .

ويقال لما طبعاً في الخلود وقفاً في الخلود ، ووقفاً في البلاء والخوف ؛ وأصلُ كلِّ محنة الطمعُ .

ويقال إذا كان الطمع في الجنة — وهى دار الخلود — أَوْجَبَ كُلَّ تلك المحن فالطمع في الدنيا — التى هى دار الفناء — متى سلم صاحبه من ذلك ؟ ويقال إن يكونا إنما ركننا إلى الخلود فلا نصيب أنفسهما ، ولكن لأجل البقاء مع الله تعالى ، وهذا أولى لأنه يوجب تنزيه حمل النبوة . وقيل ساءلت الوصال قصيرة وأليم الفراق طويلة ، فما لبثنا في دار الوصلة إلا بمصا من النهار ؛ دَخَلْنَا ضُحوةَ النهار وخرَجْنَا نِصْفَ النهار ١ ويقال إن الفراق عينٌ نصيب أهل الوصلة ، وفى مناه قال قائلهم :

إِنْ تَكُنْ عَيْنٌ أَصَابَتْكَ فَا إِلَّا لَأَنَّ الْعَيْنَ تَصِيبُ الْحَسَنَاتِ

ويقال حين تمت لها أسباب الوصلة ، ووطئنا نفوسهما على دوام القربة بدأ الفراق من مكانه فأباد من شملها ( ما ) ١ انتظم ، كما قيل :

( ١ ) وردت ( فانظم ) والمواب ( ما انتظم )

حين تم الهوى وقلنا سرورنا وحسيناً من الفراق أمناً  
بَعَثَ الْبَيْنُ رُسُلَهُ فِي خَفَاءٍ فَأَبَادُوا مِنْ شَمْلِنَا مَا جَعَلْنَا

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَاتَمَهُمَا إِيَّيْ لِكَأَنَّ النَّاصِحِينَ ﴾

فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴿

(حُسْنُ ظَنٍّ آدَمَ — عَلَيْهِ السَّلَام — حَلَّهَ عَلَى سَكُونِ قَلْبِهِ إِلَى بَيْنِ الْعَدُوِّ لِأَنَّهُ لَمْ يَخْطُرْ  
بِبَالِهِ أَنْ يَكْذِبَ فِي بَيْنِهِ بِاللَّهِ ، ثُمَّ لَمَّا بَانَ لَهُ أَنَّهُ دَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ تَابَ إِلَى اللَّهِ بِصِدْقِ النَّسَمِ ،  
وَأَعْتَرَفَ بِأَنَّهُ أَسَاءَ وَأَجْرَمَ ، فَعَلِمَ — سَبْحَانَهُ — صِدْقَهُ فِيمَا نَدِمَ ، فَتَدَارَكَهُ بِجَبِيلِ  
الْعَفْوِ وَالْكَرَمِ) <sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهَا

سَوَاءُهُمَا ﴾

لم يحصل استيفاء من الأكل والاستمتاع به للنفس حتى ظهرت تباشير العقاب ، وتنقص  
الحال ، وكذا صفة مَنْ أَثَرُ عَلَى الْحَقِّ — سَبْحَانَهُ — شَيْئاً يَبْقِيهِ عَنْهُ ، فَلَا يَكُونُ لَهُ بِمَا آثَرَ  
استمتاع . وَكَذَلِكَ عَنْ إِيْخَرٍ عَنْ اللَّهِ — سَبْحَانَهُ — نَفْسُهُ أَوْ مَالُهُ أَوْ شَيْئاً يَوْجِيهِ مِنَ الْوُجُوهِ  
— لَا يَبَارِكُ اللَّهُ فِيهِ ، قَالَ تَعَالَى فِي صِفَةِ الْأَعْدَاءِ : « خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ » .

وَيَقَالُ لَمَّا بَدَتْ سَوَاءُهَا اخْتِلَافِي السَّتْرِ ، وَطَلَقَتْهُمَا بِخَصْفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ فَبِعَدَمِهَا  
كَانَتْ كَسَوَاهُمَا حَلَّلَ الْجَنَّةَ ظُلًّا يَسْتَتِرَانِ بِوَرَقِ الْجَنَّةِ ، كَمَا قِيلَ :

لَهُ دَرُؤُهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ بِكَرُوا      مِثْلَ لِلُّوكِ ، وَرَاحُوا كَالْمَسَاكِينِ  
وَأَتَشَبَّهُوا : لَا تَجْبُوا لِمَذَلَّتِي فَأَنَا الَّذِي      عَمِثَ الزَّمَانِ بِمَجْهِي فَأَذَلَّتِي

ثم إن آدم عليه السلام لم يساعده الإمكان في الاستتار بالورق إذ كانت الأشجار تجمع كلهما  
تتطاول وتأبى أن يأخذ آدم — عليه السلام — شيئاً من أوراقها . وقبل ذلك كان لا يلاحظ  
الجنة فكان يقيه على الكون بأسره ولكنه صار كما يقال :

وكانت — على الأليم — نفسى عزيزة      فلما رأت صبرى على الذلِّ ذلت

(١) ما بين القوسين موجود في الهامش أقتبناه في موضعه من المتن .

ولما أخرج آدم من الجنة وأُسكن الأرض كُلف العمل والسعى والزرع والغرس، وكان لا يتجدد له حال إلا يتجدد بكاؤه، وجبريل — عليه السلام — يأتيه ويقول: «أهنا الذي قيل لك: «إن لك ألا تجموع فيها ولا تملأ»؟  
فلم تعرف قدره. «فَدُنِقْ جزايا خِلَافِكَ» فكان يسكن عن الجزع. ويقال بل الحكم بالجنوع كما قيل:

وجاشت إلى النفس أول مرة    وزيدت على مكروهاها فاستقرت  
قوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا مِنَ النَّارِ لُحْمًا وَأَلْفَاقًا كَتَمَ الْفَخْرَاءَ﴾  
وناداهما ربهما ألم أنهنكما عن تلكما  
الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما  
عدو مبين ﴿

كانت لا تصل يده إلى الأوراق حين أراد قطافها ليخصفها على نفسه، فلم تصل يده إلى تلك الشجرة — التي هي شجرة الهنة — لكن ذلك عناية بشأنه، ولكن وصلت يده إلى شجرة الهنة، تنمة للبلاء والفتنة، ولو لم تصل يده إلى شجرة السدر — إبطاً في القهر — لكما خالف الأمر، ولما حصل ما حصل.

«وناداهما ربهما ألم أنهنكما عن تلكما الشجرة»: فكان ما دأخلهما من الخجل أشد من كل عقوبة؛ لأنهما لو كانا في الغيبة عند سماع النداء فإن الحضور يوجب الهيبة، فلما ناداهما بالعتاب حل بهما من الخجل ما حل، وفي معناه أنشوا:

واخجلنا من وقوف وسط دأرهم    إذ قال لي مغضبا: من أنت يا رجل؟  
قوله جل ذكره: ﴿فَلَا رِيَاءَ ظَلَمْنَا أَفْسَأْنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

اعترفوا بالظلم جهراً، وعرفوا الحكم في ذلك سراً؛ فقولها: «ربنا ظَلَمْنَا أفسأنا» اعتراف بالظلم من حيث الشريعة، وعرفان بأن المدار على الحكم من حيث الحقيقة، فمن لم يعترف بظلم المطلق طوى الشريعة<sup>(١)</sup>، ومن لم يعرف جريان حكم الحق فقد جحد الحقيقة،

(١) حتى يكون الشر ملبساً للإنسان كسب.

فَلَا أَقْرَأَ بِالْعِلْمِ قَالَا : « وَإِنْ لَمْ تَنْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » نَفَقَا عَلَى عَيْنِ التَّوْحِيدِ حَيْثُ لَمْ يَقُولَا بظُلْمَانَا خَيْرُنَا ، بَلْ قَالَا : قَعَلْنَا فَإِنْ لَمْ تَنْفِرْ لَنَا خَسِرْنَا ، فَيَتَرَكُ غَفْرَانِكَ مُخْصِرًا لَا يَرْكَبُ ظُلْمَانَا .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ اهْبِطُوا ، وَلَكِنَّهُ اهْبِطَ إِبْلِيسَ مِنْ رَتْبِهِ فَوْقَ فِي اللَّعْنَةِ ، وَاهْبِطَ آدَمُ عَنْ بَقْعَتِهِ فَتَدَارَكَهُ الرَّحْمَةُ .

وَيَقَالُ لَمْ يُخْرِجْ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ رَتْبَةِ الْفَضِيلَةِ وَإِنْ أُخْرِجَ عَنْ دَارِ الْكِرَامَةِ ، فَلَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « نِمِ اجْتَبَاهُ رَبِّي » وَأَمَّا إِبْلِيسُ — لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ — فَإِنَّهُ أُخْرِجَ مِنَ الْحَالَةِ وَالرَّتْبَةِ ، فَلَمْ يَنْتَمِشْ قَطُّ عَنْ تِلْكَ السَّقْفَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾

« وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ » هَذَا عَالَمٌ « وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ » : أَرَادَ بِهِ إِبْلِيسَ عَلَى الْخُصُوصِ .  
قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾

أَخْبَرَ أَنَّهُ يَسْتَقْبِلُهُمُ اخْتِلَافُ الْأَحْوَالِ فِي الدُّنْيَا ، وَيَتَعَاقَبُ عَلَيْهِمْ تَفَاوُتُ الْأَطْوَارِ ، فَمِنْ عُسْرٍ وَمِنْ يُسْرٍ ، وَمِنْ خَيْرٍ وَمِنْ شَرٍّ ، وَمِنْ حَيَاةٍ وَمِنْ مَوْتٍ ، وَمِنْ ظَلَمٍ وَمِنْ قَوْتٍ ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾

سَتَرْنَاكُمْ عَنِ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ ، وَيَسَّرْنَا لَكُمْ مَا تَدْفَعُونَ بِهِ صُنُوفَ الْمَضَارِّ عَنْكُمْ بِمَا مَسَكَّنَّا لَكُمْ مِنْ وَجْهِ النَّافِعِ .

ثم قال : « ولباسُ التقوى ذلك خير » فإنَّ اللباسَ الظاهرَ بقى آفاتِ الدنيا ، ولباسُ التقوى يصون عن الآفات التي توجب سخط المولى ، ولباسُ التقوى يجمع أجزاء العبد وأعضائه . وللبسُ لباسُ من التقوى وهو بذل الجهد والروح والقلب ، لباس من التقوى وهو صدق القصد ببنى الطمع . والروح لباس من التقوى وهو ترك الملاقاة وحذف المواقف . والسرُّ لباسُ من التقوى وهو نفي للساكنات والتصاقل من الملاحظات .

ويقال تقوى العباد ترك الحرام ، وتقوى العارفين نفي مساكنة الأنام . ويقال للعوام التقوى ، وللخواص لباس التقوى عن شهود التقوى .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَتَّبِعْكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾

من أصنى إلى وساوس نفسه بأشباع الهوى وجد الشك بين وسواس الشيطان وهاجس النفس ، ويتناصر الوسواس والهاجس وتصير خواطر القلب وزواجر العلم مضورة مقهورة — فمن قريب تشمل تلك الهواجس والوساوس صاحبها ، وينخرط في سلك موافقة الهوى فيسقط في مهواة الزلة ، فإذا لم يحصل تدارك بوشيك التوبة صارت الحالة قسوة في القلب ، وإذا قسا القلب فارقت الحياة وتم له البلاء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ يَرْأَىٰ أَنَّهُ يَرَاهُمْ لَا يَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَمَلْنَا الشَّيَاطِينَ أُولِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

لا يحصل للمبد احتراس من رؤية الشيطان إياه وهو عنه غائب إلا برؤية العبد لخلق — سبحانه — بقلبه ، فيستغيث إليه من كيده ، فيدخله — سبحانه — في كنف عنايته فيجد الخلاص من مكر الشيطان .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا ضَلُّوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ، قُلْ إِنَّ اللَّهَ

لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله

﴿ مَا لَا تَطُور ﴾

استروحوا في التعلل إلى سلوكهم نبيج أسلافهم ، فاستسكروا بحبل واحد فزلت بهم أقدام الغرور ، وقصوا في وحدة المحنة .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾

القِسط العدل ، ويقع ذلك في حق الله تعالى ، وفي حق الخلق ، وفي حق نفسك ؛ فالعدل في حق الله الوقوف على حد الأمر من غير تقصير في المأمور به أو إقدام على للنهي عنه ، ثم ألا تدسخر عنه شيئاً مما خولك ، ثم لا تؤثر عليه شيئاً فيما أحل لك . وأما العدل مع الخلق — فعل لسان العلم — يذل الإنصاف ، وعلى موجب الفطنة ترك الانتصاف . وأما العدل في حق نفسك فإدخال التقى عليها ، وسد أبواب الراحة بكل وجه عليها ، والتهوض بخلافها على عوم الأحوال في كل نفس .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾

الإشارة منه إلى إستدامة (شهوده في كل حالة ، وألا تنساه لحظة في كل ما تأتيه وتذره وتقسمه) <sup>(١)</sup> وتؤخره .

قوله جل ذكره : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ فريقياً هدى

وفريقياً حق عليهم الضلالة إنهم

انخدعوا للشياطين أوليه من دون

الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴿

من كانت قيسته — سبحانه — له بالسعادة كانت فطرته على السعادة ، وكانت حالته

بنمت السعادة ، ومن كانت حالته بنمت السعادة كانت عاقبته إلى السعادة ، ومن كانت القسمة

له بالعكس فالحالاة بالزند ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان بحالة لقي الله بها » .

(١) ما بين التوسين موجود في المائتين أئنتاه في موضعه من النص .

وجملة العلم بالقضاء والقدر أن يتحقق أنه علم ما يكون أنه كيف يكون ، وأراد أن يكون كما علم . وما علم ألا يكون — مما جاز أن يكون أراد أنه لا يكون — أخبر أنه لا يكون . وهو على وجه الذي أخبر ، وقضى على العبد وقدر أجرى عليه ما سبق به الحكم ، وعلى ما قضى عليه حصل العبد على ذلك الوصف ..

قوله جل ذكره: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ

كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

على لسان العلم : يجب سترُ العورة في الصلاة ، وعلى موجب الإشارة : زينة العبد بحضور الحضرة ، ولزوم السَّنة ، واستدامة شهود الحقيقة .

ويقال زينة نفوس العابدين آثار السجود ، وزينة قلوب العارفين أنوار الوجود ؛ فالعابد على الباب بنعت المعبودية ، والعارف على البساط بحكم الحرية . وشتان بين عبدٍ وعبدٍ !

قوله جل ذكره: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

الإسراف ما تناولته لك ولو بقدر محسنة .

ويقال الإسراف هو التعمد من حدِّ الاضطراب فيما يتضمن نصيباً لك أو حفظاً بأي وجهٍ كان .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ

لِيبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ

لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً

يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

الإشارة منها إلى زينة السرائر ؛ فزينة العابدين آثار التوفيق ، وزينة الواجدين أنوار التحقيق ، وزينة القاصدين ترك العادة ، وزينة العابدين حسن العبادة .



ويقال زينة النفوس صدار الخدمة ، وزينة القلوب حفظ الحرمه ، وزينة الأرواح الإطراق  
للحضرة باستدامة الهيبة والحشمة .

ويقال زينة اللسان الذكر وزينة القلب الشكر .

ويقال زينة الظاهر السجود وزينة الباطن الشهود .

ويقال زينة النفوس حسن للعلامة من حيث المجاهدات ، وزينة القلوب دوام للواصله من  
حيث للشاهدات .

ومعنى قوله : « قل من حرم زينة الله التي . . . » يعنى إن الله لم يمنع هذه الزينة ممن  
تعرض لوجدهاها ، فمن تصدى لطلبها فهى مباحة له من غير تأخير قصود .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾

أرزاق النفوس يحكم أفضاله سبحانه ، وأرزاق القلوب بموجب إقباله تعالى .

ويقال أرزاق للريدين إلهام ذكر الله ، وأرزاق العارفين الإكرام بنسيان ما سوى الله .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

منها وما بطنَ والإثمَ والبغىَ بغير

الحقِّ وَأَن تَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ

به سلطاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ

مَالاً تَطْلُونَ ﴾

ما ظهر منها الزُّلَّةُ ، وما بطن منها الغفلة .

ويقال ما ظهر منها كان بنسيان الشرية ، وما بطن بإشارة الحقيقة .

ويقال لقويم ترك الرخص يكون علة ، والأولى بهم والأفضل لم الأخذ به . وقوم

لو ركنوا إلى الرخص لقامت عليهم القيامة .

ويقال فاحشة الخواص تتبع ما لأنفسهم فيه نصيب ولو بذرة أو سئة .

ويقال فاحشة الأحياء العبير على المحبوب<sup>(١)</sup>

---

(١) لأنهم عندئذ يستطيرون المجر بيئاً من رضا عبودهم عز وجل . ( الرسالة ص ١٦٢ )

ويقال فاحشةُ الأجلِ أن تبقى حياً وقد منيت بالفراق ، قال تأملهم :  
لا عيشَ بعد فراقهم هذا هو الخطبُ الأجلُ

ويقال فاحشةُ قومٍ أن يلاحظوا غيراً بين الاستحقاق ، قال تأملهم :  
يا قُرَّةَ العينِ سلْ عيني هل اكتحلت بمنظرِ حسنٍ مذ غبت عن عيني ؟  
ويقال فاحشةُ قومٍ أن تبقى لم قطرةٌ من الدمع ولم يسكبوها للفرقة ، أو يبقى لم نفسٌ  
لم يَتَنَفَّسُوا به في حسرة ، وفي مناه أُنشدوا :  
لئن بقيتُ في العينِ مني دمةٌ فإني إذًا في الماشقين دخیلُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾

لكلِّ قومٍ مدةٌ مضروبةٌ ، فإذا تناهت تلك المدة زالت تلك الحاقة ، فلنعمتهِ  
المُتَرَتِّينِ مُدَّةٌ ، فإذا زالت فليس بعدها إلا الشَّدةُ ، ولحنَّةِ المستضعفينِ مُدَّةٌ فإذا انقضت  
تلك المدة زالت تلك الشَّمة .

ويقال إذا سقط قرصُ الشمس زال سلطانُ النهار فلا يزداد بعده إلا تراكم الظلمة ،  
فإذا ارتحلت عساكرُ الظلام بطالعِ الفجر فبعد ذلك لا تبقى فيه قنهار تهمة .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ  
مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمُ آيَاتِي فَمَنِ  
اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

إذا أتاكم الرُّسلُ فلا تركنوا إلى مجوزاتِ الظنون ، واحملوا الأمرَ على الجِدِّ فإننا  
— مع استغنائنا عن الأعيار ، وتقدُّسنا عن المنافع والمضار — نطالبُ بالقليل والكثير ،  
ونحاسبُ على التقير والتقصير .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا

عَنْهَا أُولَئِكَ أَمْصَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴾

مَنْ قَائِلٌ رُبُوبِنَا بِالْجَدِّ ، وَحَكْمَنَا بِالْوَدِّ ، وَلَقِيَ الْمَوَانَ ، وَقَلَى الْأَلَامَ وَالْأَحْزَانَ ،  
ثُمَّ الْعَجْزُ يُلْجِئُهُ إِلَى الْخُنُوعِ ، وَلَكِنْ بَعْدَ الْأَنْفَعِ وَلَا يَسْمَعُ <sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ قَدْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ

كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنْالِمُ

نَصِيهِمُ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا

جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَهُمْ أَمْرًا

مَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟

قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ، وَشَهِدُوا عَلَى

أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبِينَ ﴾

يَصِيبُهُمُ مِنَ الْكِتَابِ مَا سَبَقَ لَهُمْ بِهِ الْحُكْمُ ، فَتَنْجَرِي بِسَعَادَتِهِ الْحُكْمُ وَقَعَ عَلَيْهِ رَقْمُ

السَّعَادَةِ ، وَمِنْ سَبَقَ بِشَقَاوَتِهِ الْحُكْمُ حَقٌّ عَلَيْهِ عِلْمُ الشَّقَاوَةِ .

وَيُقَالُ مِنْ سَبَقَتْ لَهُ قِسْمَةُ السَّعَادَةِ فَلَوْ وَقَعَ فِي قَعْرِ الْأَقْلَى تَدَارَكَهُ الْعَنَاءُ وَأُخْرِجَتْهُ

الرَّحْمَةُ ، وَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ قِسْمَةُ الشَّقَاوَةِ . . فَلَوْ نَزَلَ الْفَرَادِيسُ تَدَارَكَهُ السَّخَطَةُ

وَأُخْرِجَتْهُ اللَّعْنَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالُوا اسْمِعُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ

قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ

كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَفَنَتْ أُخْتَهَا

حَتَّى إِذَا آذَرُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ

(١) توضح هذه البارة في ضوء ما سجد بعد قليل هكذا : ( ولكن بعد الا ينظم بكاء ولا يسمع لهم طغاة ) .

أُخْرَامَ لِأَوْلَامَ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا  
 فَأَجَبَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ، قَالَ  
 لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ •  
 وَقَالَتْ أُولَامُ لِأَخْرَامَ فَاكُنْ لَكُمْ  
 عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَنُفِقُوا الْعَذَابَ  
 بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٠﴾

آثار إعراض الحق عنهم أوردت لهم وحشة الوقت ؛ تبرم بعضهم ببعض ، وضاق  
 كل واحد منهم عن كل شيء حتى عن نفسه ، ففدوا بعضهم على بعض ، وتبرأ بعضهم من  
 بعض ، وكذلك صفة المطرودين .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا  
 وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ  
 السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ  
 الْجُلُوفُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي  
 الْمُجْرِمِينَ • لَمْ يَنْجِ مِنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ ﴿١١﴾

فلا دعاؤهم يُسْمَعُ ، ولا بكائهم يُنْفَعُ ، ولا بلاؤهم يَكْشِفُ ، ولا عناؤهم يُرْفَعُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ  
 نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾

كما أحاطت العقوبات بهم في الدنيا فتدنس بالنفقة بآطهم ، وتلوث بالزلة ظاهريهم (١) ،  
 فكذلك أحاطت العقوبات بجوانبهم ؛ فمن فوقهم عذاب ومن تحتهم عذاب ، وكذلك من  
 جوانبهم في القلب من ضيق العيش واستيلاء الوحشة ما يفي ويزيد على الكل .

---

(١) نذكر أن القسري منذ قليل أوضح أن ( ما ظهر من الفواش هي الزلة وما بطن منها هي النفقة )

قوله جل ذكره: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ  
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

رضنا عن ظاهريهم وباطنيهم كلفة العمل فيسرنا عليهم الطاعات بحسن التوفيق ، وخففنا  
عنهم العبادات بتقليل التكليف .

قوله جل ذكره: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ،  
فَجَمْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ﴾

طهرنا قلوبهم من كل غش ، واستخلصنا أسرارهم عن كل آفة . وطهر قلوب المارقين  
من كل حظ وعلاقة ، كما طهر قلوب الزاهدين عن كل رغبة ومثبة ، وطهر قلوب المابدين  
عن كل تهمة وشبهة ، وطهر قلوب المحبين عن محبة كل مخلوق وعن غل الصدر — كل واحد  
على قدر رتبته .

ويقال لما خَلَقَ الجنة وَكَلَّ ترتيبها إلى رضوان ، والعرش ولى حفظه إلى الجملة (١) ،  
والكمة سلم مفتاحها إلى بنى شعبة ، وأما تطهير صدور المؤمنين فتولاه بنفسه .  
وقال : « ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ » .

ويقال إذا كان نزع النل من الصدور من رقبته فلا محل للغرم الذي لزمهم بسبب المضموم  
حيث كان منه سبحانه وجه أدائه .

قوله جل ذكره: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا  
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ  
لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ دُبْنَا بِالْحَقِّ﴾

في قولهم اعتراف منهم وإقرار بأنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من جزيل تلك العطيات،

---

(١) هل المقصود بها جهة اللائكة إشارة إلى قوله تعالى : « وللائكة من حول العرش يسبحون  
بمحمديهم ... » ؟

وعظيم تلك الرتب والمقامات يجهدهم واستحقاق فعلهم ، وإنما ذلك أجمع ابتداء فضل منه ولطف .

قوله جل ذكره : ﴿ وَتُودُوا أَنْ تُلَكِمَ الْجَنَّةَ أَوْ رُتِبْتُمْهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

تسكين لغويهم ، وتطبيب لهم ، وإلا فإذا رأوا تلك الدرجات علموا أن أعمالهم المشوبة بالتقصير لم توجب لهم كل تلك الدرجات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ

أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا

فَقُلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟

قَالُوا : نَعَمْ ، فَأَذْنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ \* الَّذِينَ

يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا

عُوجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾

اعترف أهل النار بحقيقة الدين ، وأقرّوا بسوء ما عملوا ، ولكن حين لم ينفعهم إقرار بحال من الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَتِمَّا حِجَابٌ ﴾ .

ذلك الحجاب الذى بينهما حصل من الحجاب السابق ؛ لما حُجِبُوا فى الابتداء (١) فى سابق القصة عما خُصَّ به المؤمنون من القربة واللفة حُجِبُوا فى الانتهاء عما خُصَّ به السعداء من المغفرة والرحمة .

ويقال حجاب وأى حجاب ؛ لا يرفع بحيلة ولا تنفع معه وسيلة .

حجاب سبق به الحكم قبل الطاعة والجُرم .

---

(١) وردت فى (الابتداء) والصواب أن سابق القصة فى (الابتداء) قبل الطاعة والجُرم — كما سأتى بعد قليل ، وكما نعرف من مذهب القشبرى فى هذا الخصوص .

قوله جل ذكره: ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم﴾

هؤلاء الأشراف خصوا بأنوار البصائر اليوم فأشرفوا على مقادير الخلق بأسرارهم ،  
ويشرفون غداً على مقامات الكل وطبقت الجميع بأبصارهم .

ويقال يعرفونهم غداً بسيماهم التي وجدهم عليها في دنياهم ؛ فأقوامٌ موسومون بأنوار  
القرب ، وآخرون موسومون<sup>(١)</sup> بأنوار الرد والحجب .

قوله جل ذكره : ﴿ ونادوا أصحاب الجنة أن سلامٌ

عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾

سَلِّمُوا اليومَ عن النكرة والجحود ، وأكرموا بالعرفان والتوحيد .

وسلِّمُوا غداً من فنون الوعيد ، وسَعدُوا بلطائف المزيد . وتحققوا أنهم بلغوا من الرتب  
ما لم يَسْمُ إليه طَرَفُ تأمليهم ، ولم يُحِطْ بتحصيله كُنْهَ عقولهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا صُرفَتْ أَبصارُهم نلقاهُ

أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع

القوم الظالمين ﴾ .

إنما يصرف أبصارهم اليومَ تقديرًا عليهم عظيمِ المِنَّةِ التي بها نجاهم ، فيزيدون في

الاستغفارة وصدق الانبئال ، فتكمل بهم المارقة<sup>(٢)</sup> بإدانة ملاحظهم به من الإيذاء والحفظ .

قوله جل ذكره : ﴿ ونادى أصحابُ الأعرافِ رجالاً

يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم

جَعَلُكُمْ وما كنتم تستكبرون •

أهؤلاء الذين أقسم لا ينالهم الله

برحمة ، ادخلوا الجنة لا خوفٌ عليكم

ولا أنتم تحزنون ﴾

(١) قال أحمد بن عطاء : ( الوسم يظهر على القبولين والمطرودين ) اللع ص ٤٢٧ .

(٢) المارقة هي الفضل والمروء والمِنَّة .

ذلك ما يرون عليهم من غبار الرد وأمارات البعد، وهي مما لا يخفى على ذى عينين، فيقولون لهم : هل يُغني عنكم ما كنتم إليه من أباطيلكم ، وسكنتم إليه من فاسد ظنونكم ، وباطل تأويلكم ؟ فشاهدوا — اليوم — تخصص الحق لمن ظنتم أنهم ضعاؤكم ، وانظروا هل يغني عنكم الذين زعمتم أنهم أولياؤكم وشركاؤكم ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَنادى أصحاب النار أصحاب الجنة

أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ الذين آمنوا ديتهم لهواً ولعباً وغمّتهم الحياة الدنيا فاليوم ننسأ كما نسأ لقاء يومهم هنا وما كانوا بآياتنا يمجّدون ﴿

دلّت الآية على أن من أواخر ما يبق على الإنسان الأكل والشرب ، فإنهم في تلك العقوبات الشديدة يقع عليهم الجوع والعطش حتى يتضرعون كلّ ذلك التضرع ، فيطلبون شربة ماء أو لقمة طعام وهم في غاية الآلام ، والمادة — اليوم — أن من كان في ألم شديد لا يأكل ولا يشرب ، وهذا شديد .

ثم أبصر كيف لا يسقيهم قطرة — مع استغاثته عن تعذيبهم ، وقدرته على أن يعطيهم ما يريدون ! ولكنه قهر الربوبية وعزّ الأحدىة ، وأنه فقال لما يريد . فكالم يرزقهم — اليوم — من عرفاته خرة ، لا يسقيهم غداً في تلك الأحوال قطرة ، وفي مناه أنشدوا : وَأَقْسَنُ لَا يَسْقِينَا — الدهر — قطرة ولو فُجِّرَتْ من أرضهن بحسور

ويقال إنما يطلبون الماء ليكوا به بعدما نفلت دموعهم ، وفي هذا المعنى قيل :

يَا نازحاً زَرَفَتْ دُمْعِي قَطِيعَتَهُ هَبْ لِي مِنَ الصَّعْرِ مَا أَبْكِي عَلَيْكَ بِهِ .  
وفي هذا المعنى أنشدوا .

جرف البكاء دموع عينك فاستمر عينا لغيرك دمعها ممدار



مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَلَيْهِ نَبِيٌّ بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِبَكَاءِ نَعَارٍ ؟

قوله جل ذكره: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لُحُوءًا وَلِمْبًا

وغيرهم الحياة الدنيا فاليوم تنقسم

كَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا

بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ \*

كما تركوا أمره وضيعوه تركهم في العقوبة ، ولا (...) (١) فما يشكون ، فتأني عليهم

الأحقاب، فلا كشف عذاب، ولا برد شراب، ولا حسن جواب، ولا إكرام بخطاب

ذلك جزاء لمن لم يعرف قَدْرَ الوصلة في أوقات المهمة .

قوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَا بِكِتَابٍ فَصْلَانًا عَلَىٰ عِلْمٍ﴾

هَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

أَنزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ الْكِتَابِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِم مِّنَ الْخُطَابِ مَا لَوْ قَابَلُوهُ بِالتَّصْدِيقِ وَمُصَاحِبُوهُ

بالتحقيق لوجدوا الشفاء من محنة البعاد ، ونالوا الضياء بقرب الوداد ، ووصلوا في الدنيا والعقي

إلى جميل المراد، ولكنه - سبحانه - أُنِي القسمة في نصيبهم إلا الشقوة .

قوله جل ذكره : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم ﴾

يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ

قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ

فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَاعَةٍ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ لَا

فَنَعْمَلْ خَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ

قَدْ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ وَخَلَّ عَنْهُمْ

ما كانوا يفترون \*

إذا كُشِفَ جلالُ الغيب ، وانتفت عن قلوبهم أغشيةُ الرّيب ، فلا بكاء لهم ينقم ،

ولا دعاء منهم يُسَمِّمُ ، ولا شكري عنهم تُرَقِّمُ ، ولا بلوى من دونهم تُقَطِّمُ

(١) مشقة .

قوله جل ذكره : ﴿إِنْ رَبُّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى  
عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ  
حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ  
مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ  
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

تعرف إلى الخلق بآياته المظاهرة الدالة على قدرته وحى أفضاله ، وتعرف إلى الخواص منهم  
بآياته الدالة على نصرته التي هي أفضاله وإقباله ، وظهر لأسرار خواص الخواص بنوعته  
الدانية<sup>(١)</sup> التي هي جماله وجلاله ، فشتان بين قوم وقوم !

ثم كما يدخل في الظاهر الليل على النهار والنهار على الليل فكذلك يدخل القبض على البسط  
والبسط على القبض . ومنه الإشارة إلى ليل القلوب ونهار القلوب : فَمِنْ عَبْدٍ أَحْوَالُهُ أَجْمَعُ  
قَبْضٌ ، وَمِنْ عَبْدٍ أَحْوَالُهُ أَجْمَعُ بَسْطٌ ، ومن عبد يكون مرة بعين القبض ومرة بعين البسط  
كما أن بعض أقطار العالم فيها نهار بلا ليل ، وفي بعضها ليل بلا نهار ، وفي بعضها ليل يدخل على  
نهار ونهار يدخل على ليل .

« أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ » : فنه الخبير والشر ، والنفع والضر ، فإن له الخلق والأمر .

« تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » هذه الكلمة مجمع الدعاء لاشتغالها على إفادة معنى قَدِيمِهِ ودوام  
ثبوتِهِ من حيث يُقَالُ بِرُكْنِ الطَّيْرِ عَلَى اللَّاهِ .

وأفادت معنى جلالة الذي هو استحقاقه لموت المرء لأنه قد تبارك أى تعظم . وأشارت  
إلى إسداد التَّوَكُّلِ وإتاحة الإحسان من حيث إن البركة هي الزيادة فهي مجمع التناهي والمدح  
للحق سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً

(١) لاحظ حرم التشبهي الشديد حين يقرر أن أقصى حالات المشاهدة لا تكون مشاهدة  
أقوات — فقد جلت الصدية أن يستغرق من شهود ذاتها عبد ، إنما هي مشاهدة نوت الذات :  
الجمال والجلال .

إنه لا يجب للعندين \* ولا تفسدوا  
في الأرض بعد إصلاحها وادعوه  
خوفاً وطمأناً ﴿

الأمر بالدعاء إذن — في التسلّي — لأرباب المحنة ، فإنهم إلى أن يصابوا إلى كشف المحنة ووجود  
للامول استروحوا إلى روح للنجاة في حال الدعاء ؛ والدعاء نزهة لأرباب الخواج ، وراحة  
لأصحاب المطالبات ، وممجل من الأنس بما ( . . . )<sup>(١)</sup> إلى القلب عاجل التفرّيب .  
وما أخلص عبداً في دعائه إلا روح — سبحانه — في الوقت قلبه .

ويقال علمهم آداب الدعاء حيث قال : « تضرعوا وخفية » وهذا أحب الدعاء ؛ أن يدعوا  
بوصف الافتقار والانكسار ونشر الاضطراب . ومن غاية ما تقرر لديك نست كرمه بك أنه  
جعل إمساكك من دعائه — التي لا بد منه — اعتدائه منك .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها  
وادعوه خوفاً وطمأناً ﴾

من الإفساد بعد الإصلاح إحمال النفس عن المجاهدات بمخلع عنارها حتى تتبع هواها  
بعدما كَبِحتْ لجأها مدة عن العدو في ميدان الخلاف ، ومن ذلك إرسال القلب في أودية المني  
بعد إمساكه على أوصاف الإرادة ، ومن ذلك الرجوع إلى الحظوظ بعد القيام بالحقوق ،  
ومن ذلك استعمار حجة المخلوق بعد تأكيد المقدمه بالآتيه سواء ، ومن ذلك الجنوح إلى  
تتبع الرخص في طريق الطلب بعد حل النفس على ملازمة الأولى والأشقى ، ومن ذلك  
الانحطاط بحفظ إلى طلب مقام منه أو إكرام ، بعد القيام معه بترك كل نصيب

وفي الجملة : الرجوع من الأعلى إلى الأدنى إفساد في الأرض بعد الإصلاح .

قوله جل ذكره : ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾

يقال المحسنين عملاً والمحسنين أملاً ، فالأول المابدون والثاني الماصون<sup>(٢)</sup>  
ويقال الحسن من كان حاضراً بقلبه غير لاه عن ربه ولا ناسياً لحقه .

ويقال الحسن القائم بما يلزم من الحقوق .

(١) مشتبه (٢) تأمل كيف يفسح الصوفية صدورهم ويحتنون أبواب الأمل أمام العاصاة

ويقال المحسن الذي لم يخرج (....) <sup>(١)</sup> عن إحسانه بقدر الإمكان ولو بشر كلمة .

قوله جل ذكره : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بُشْرِى  
بين يدي رحمته ﴾

تبشير القرب تتقدم فينادى نسيه إلى مشام الأسرار ، وكذلك آثار الإعراض تتقدم  
فتوجد ظلمة القبض في الباطن ، فظل الوحشة يتقدمها ، ونسيم الوصلة بعدها ، وفي قريب  
منه قال قائلهم :

ولقد تَشَمَّتُ القضاَ حاجتي فإذا له من راحتيك نسيم

قوله جل ذكره : ﴿ حتى إذا أقلتَ سحاباً ثقالاً  
سَقَّاهُ ليلًا مَيِّتًا فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ  
فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّرَاتِ كَذَلِكَ  
نُخْرِجُ لِلْوَقْتُ لِمَلِكُمْ تَذَكُّرُونَ ﴾

الإشارة منه أنه يحصل بالمهجور ما يتأذى به الصدر ويُبْرَحُ به الوجد ويتحل به الجسم ،  
بل يُبْعِلُ كله البعد ، فيأتيه القرب فيعود عود وصاله بعد الذبول طرياً ، ويصير دارس حاله  
عقيب السقوط نهياً ، كما قال بعضهم :

كُنَّا كُنْ أَلَيْسَ أَكْفَاهُ وَقُرْبُ النَّعْشِ مِنْ الْأَحَدِ  
لِجَالَتِ الرُّوحُ فِي جَسَمِهِ وَرَدَّهِ الْوَصْلُ إِلَى الْمَوْلَدِ

قوله جل ذكره : ﴿ والبلد الطيبُ يُخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ  
رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا تَنَكُّدًا  
كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يَشْكُرُونَ ﴾

إذا زكا الأصلُ نما الفرع ، وإن خبث الجوهر لم يَطْبُ ما تحلّل منه ، وإن طاب العنصر

---

(١) مثلية .

فالمجزء بما كى أصله ، والأُسيرة تدل على السرية ، فمن صفا باطن قلبه ذكاً ظاهراً فله ،  
ومن كان بالعكس غاله بالصد .

قوله جل ذكره : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ

يَا قَوْمِ اصْبِرُوا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ  
غَيْرُهُ ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ

يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿

بَلَّغَ الرِّسَالَةَ فَلَمْ يَنْجَعْ فِيهِمْ مَا أَظْهَرَ مِنَ الْآلَاءِ ، لِأَنَّ عَزَومَ الْقِسْمَةِ لَا يَنْفَعُهُ مَجْهُدُ الْحِيلَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ

فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ

بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿

قوله « ليس بي ضلالة » : لسوا نوحاً — عليه السلام — إلى الضلالة ، فتولى إجابته  
بنفسه فقال « يا قوم ليس بي ضلالة » ، ونبينا — صلى الله عليه وسلم — نُسِبَ إِلَيْهِ فَتَوَلَّى  
الْحَقُّ — سبحانه — الرَّدَّ عَنْهُ فَقَالَ : « مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى » (١) فَتَشَنَّ بَيْنَ مَنْ  
دَافَعَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَبَيْنَ مَنْ دَافَعَ عَنْهُ وَنَفَى عَنْهُ رَبُّهُ (٢) !

قوله جل ذكره : ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ

وَأُحِبُّ مَنْ اللَّهُ مَا لَا تَمْلُونُ ﴿

إِنِّي أَعْلَمُ أَنِّي وَإِنْ بَالَتْ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ فَتَنَ سَبَقَتْ لَهُ الْقِسْمَةُ بِالشَّقَاوَةِ لَا يَنْفَعُهُ نَصْحِي ،  
وَلَا يُؤْتِرُّ فِيهِ قَوْلِي ، فَتَنَ أَقْطَعْتُهُ الْقِسْمَةُ لَمْ تَمْتَحِ النَّصِيحَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿أَوْحَيْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ

(١) آية ٢ سورة النجم .

(٢) من عادة التشيرى أن يلتبس نوحاً من المغارنة بين المصطفى صلوات الله عليه وبين سائر الأنبياء ،  
عليهم السلام ليظهر علو مقامه ورفعة مرتبته بينهم .

على رجلٍ منكم لينذركم ولتنتقوا  
ولعلكم ترحمون ﴿

عجبوا من كون شخص رسول الله ، ولم يتعجبوا من كون الصنم شريكاً لله ، هذا فرطُ  
الجهالة وغاية الضلالة !

قوله جل ذكره : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَاتَّبِعُوهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ  
فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا  
بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا حَمِينَ ﴾

تسربلوا بلبس الكذب لما ذاقوا طعم العقوبة ، فلم يسمدوا بما حلوه ولم يصلوا  
إلى ما أمَلَوْه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ  
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ عِندَهُ  
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ قال الملائكة الذين كفروا  
من قومه إنا لنراك في سفاهةٍ  
وإنا لنظنك من السكاذين ﴿ قال  
يا قوم ليس بي سفاهةٌ ولكني رسولٌ  
من ربِّ العالمين ﴿ أبلغكم رسالاتِ  
ربي وأنا لكم ناصحٌ أمين ﴿  
أوعيتكم أن جاءكم ذكر من ربكم  
على رجلٍ منكم لينذركم ﴾

أخبر أنهم سلكوا طريق أسلافهم وإخوانهم ، فوقعوا في هديتهم ، وسُوا بِمِثْلِ حَالِهِمْ .  
فلا خيرَ فيمن آثر هواه على رضا الله ، ولا ريبَ من قدَّم هواه على حق الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِهِ  
قَوْمِ نُوحٍ ﴾

جعل الله الخلق بعضهم خلقاً عن بعض، فلا يفتني فوجاً منهم من جنس إلا أظم فوجاً منهم من ذلك الجنس . فأهل النفة إذا اترضوا خلف عنهم قوم، وأهل الوصلة إذا درجوا خلف عنهم قوم، ولا ينبغي للعبد أن يسو طرّف<sup>(١)</sup> تأمله إلى محل الأكبر فإن ذلك المقام مشغول بأهله، فإلم تنه نوبة أولئك لا تنهى النوبة إلى هؤلاء .

قوله جل ذكره : ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾  
 كما زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخلق زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخلق، وكما أوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما يعود إلى المباني أوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع إلى الماني .

قوله جل ذكره : ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾  
 الثناء علم، والآلاء خاص، فذلك تتضمن ترويح الظواهر، وهذه تتضمن التلويح في السرائر، تلك بالترويح بوجود المبار، وهذه بالتلويح بشهود الأسرار .

قوله جل ذكره : ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُسَبِّحَ اللَّهَ وَنُذِّرَ مَا كَانَ يَسِيبُ آبَاؤَنَا فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾  
 طاحوا في أودية التفرقة فلم يجدوا قراراً في ساحل التوحيد، فشق عليهم الإعراض عن الأغيار، وفي معناه قال قائمهم :

أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعم  
 ويقال شخص لا يخرج من غش التفرقة، وشخص لا يجيد لحظة عن سنن التوحيد  
 [ فهو لا يبعد إلا واحداً، وكلا لا يبعد إلا واحداً لا يشهد إلا واحداً، قال قائمهم :  
 لا يهتدي قلبي إلى غيركم لأنه سد عليه الطريق

قوله جل ذكره : ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رُسُكُمْ

(١) وردت ( طرقي ) بالالف وهي خطأ في النسخ .

رَجَسُ وَغَضِبُ أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءِ  
 سَمِعْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا  
 مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مُكَمِّمٌ  
 الْمُتَنَبِّطِينَ ﴿١﴾

إذا أراد الله هوانَ عبدٍ مَلَاحَ في مفايزات التفرقة ؛ وإنَّ من علامات غضبه وإعراضه  
 ردَّ العبد إلى شهود الأغيار ، وتفريقه إياه في بحار الظنون ، إذ لا تحصيل للأغيار  
 في معنى الإثبات .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاتَّبِعْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا  
 دَائِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا لَوْ مَا كَانُوا  
 مُؤْمِنِينَ ﴾

لارتبة فوق رتبة النبوة ، ولا درجة أعلى من درجة الرسالة .  
 وأخير — سبحانه — أنه نَجَّى هودًا برحمته ، وكذلك نَجَّى الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِهِ ،  
 لِيُكَلِّمَ أَنَّ النجاة لا تكون باستحقاق العمل ، وإنما تكون بابتداء فضل من الله ورحمته ؛  
 فانجأنا مَنْ نَجَّاهُ إِلَّا بِفَضْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِلَى مُودَ أَخَاهُم صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ  
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ  
 قَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ  
 نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَمَنْ ذَرَاهَا تَأْكُلْ  
 فِي أَرْضِ الْقَوْمِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ  
 فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾

غافر الحق — سبحانه — بين الرسل من حيث الشرائع ، وجمع بينهم في التوحيد ؛  
 فالشرائع <sup>(١)</sup> [ التي هي العبادات مختلفة ، ولكن الكل مأمورون بالتوحيد على وجه واحد .

(١) كل هذه المساحة فيها بين التوسمين موجودة في الهامش بخط دقيق جداً .



ثم أخبر عن إضفاء سُنَّتِهِ تعالى بإرسال الرسل عليهم السلام ، وإمهال أممهم ريثما ينظرون في معجزات الرسل .

ثم أخبر عما دَرَجُوا عليه في مقابلتهم الرسل بالكذب تسليّة للصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله — فيما كان يقاسى من بلاه قومه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ يَدَيْهِ عَلَيْهِ زَيْبٌ أَمْ كُمْ فِي الْأَرْضِ تَنْخَنُونَ مِنْ سَهْوِهَا فَصُورًا وَتَنْحَنُونَ الْجِبَالَ تُيُوتُوا فَادْكُرُوا آيَاتَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

أزاح عنهم في بسط الدلالة ، ووسع عليهم حالتهم بتسكينهم من المطايا على ما دعت إليه حالتهم .. فلا الدليل تأملوه ، ولا السبيل لازنوه ، ولا النعمة عرفوا قدرها ، ولا المنية قدّموا شكرها ، فصادفهم من البلاء ما أحرك أشكلكم .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْفِتُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ قَالَ

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنُمْ بِهِ كَارِفُونَ ﴾ ففروا الناقة وعتوا آمن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين ﴾ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ فتولّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربّي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾

أجرى الله - سبحانه - سُنَّتَهُ ألا يَنْصَحَ بأفضاله ، وجبل صنعه وإقباله - في الغالب من عباده - إلا مَنْ يَسُوْهُ إِلَيْهِ طَرَفُهُ بِالْإِجْلَالِ ، وألَّا يُوَضِّحَ لَهُ قَدْرَهُ بَيْنَ الْأَضْرَابِ وَالْأَشْكَالِ ؛ فَأَنْصَارُ كُلِّ نَبِيٍّ إِنَّمَا هُمْ ضَمَاءٌ وَقْتُهُ ، وَيَلَا حَظَّهُمْ أَهْلُ الْغَلَّةِ بَيْنَ الْاِحْتِقَارِ ، وَلَكِنْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَنْهَبُ إِلَيْهِ الْأَوْهَامُ ، وَلَا كَمَا يَتَقَدَّرُ فِيهِمُ الْأَنَامُ ، بَلِ الْجَوَاهِرُ مُسْتَوْرَةٌ فِي مَعَادِنِهَا ، وَقِيَمَةُ التَّحَالُلِ بِمَا كُنِيَهَا ، قَالَ قَاتِلِمُ :

وما ضُرَّ نَصْلَ السِّيفِ إِخْلَاقُ غَدَمِهِ إِذَا كَانَ عَضْبًا حَيْثُ وَجْهَهُ وَتَرَاهُ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَمِ مَنْ أَشْمَتَ أَهْبَرَ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا يَرُدُّ » (١)

قوله تعالى : « وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّاصِحِينَ » الحيلة تدعو إلى وَفَاقِ الْهَوَى ؛ فَتَسْتَقِلُّ النَّفْسُ قَوْلَ النَّاصِحِينَ ، فَيُخْرِجُونَ عَلَيْهِمْ وَكَأَنَّ النَّاصِحِينَ هُمُ الْمَائِبُونَ ، قَالَ قَاتِلِمُ :

وَكَمْ سَفَّتْ فِي آثَارِكُمِنْ نَصِيحَةٍ وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الْبُفْضَةُ الْمُنْتَصَحُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَطَوَّأْتُ لَكُمُ الْيَتَامَىٰ إِذَا قَالُوا لَكُمْ أَنُؤْتُونَ الْفَاحِشَةَ ۚ

مَاسِيَّتُكُمْ يَهْمُ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ •  
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ  
حُونَ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ •  
وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا  
أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسُ  
يَتَطَهَّرُونَ • فَاتَّخِذْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا أَمْرًا تَهُ  
كَانَتْ مِنَ الْفَافِرِينَ • وَأَمَطَرْنَا عَلَيْهِمْ  
مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الْمُجْرِمِينَ ﴿

(١) في رواية الترمذي ( كم من أشمت أهر ذي طمرن لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء ابن مالك ) . الجامع الصغير ص ٢٣٧

أبلىح الحق — سبحانه — في الشرع ما أزرع به العنبر ، فمن تخطَّ هذا الأمر وجرى على مقتضى الهوى استقبل هوانه ، واستوجب إذلاله ، واستجلب — باختياره — صفه .

قوله جل ذكره : ﴿ وإلى مدين أحاهم شعبياً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم فآفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تغفروا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾

خست هم قوم شعيب قنعوا بالتطفيف في المكيال والميزان عند معاملتهم ، ثم إن الحق — سبحانه — لم يسألهم في ذلك ليُعلم أن الأقدار ليست من حيث الأخطار .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا تقعدوا بكل مراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً ﴾

من الماصي ما لا يكون لازماً لصاحبه وحده بل يكون متعدياً عنه إلى غيره . ثم يقدِّر الأثر في التعمدي يحصل الضرر للبئدي<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة للفسدين ﴾  
وإن كل طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا

(١) مثلاً يحدث في حالة البدعة ، فصاحب البدعة يحمل وزر ابتداعه ووزر من اقتدى به ( انظر رأى المشركي في كتاب التعبير تحت « البديع » ) وهنا قد تكون ( المبتدي ) أي البادئ بالابتداع وقد تكون ( المتعدي ) ويقصد بها من اقتدى به ، فكلاماً يناله الضرر هذا جزء انشاعه وذلك لا ابتداعه .

طُصِّروا حتى يحكم الله بيننا وهو  
خير الحاكمين ﴿

مَنْ عَلَيْهِمْ بكَثِيرُ الْمَدَدِ لَأَنْ يَنْتَصِرَ وَتَتَمَلَّوْنَ عَمَى الْأُمُورِ وَيَحْصِلُ لِلرَّادِ .  
ويقال كما أن كل أمرٍ بالأعوان والأنصار ( خيراً أو شراً ، فلا نعمة فوق اتفاق الأنصار  
في الخير ، ولا حنة فوق اتفاق الأعوان )<sup>(١)</sup> في الشر .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالِ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ  
لَتُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَمُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا  
قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾

كما أن ( أهل )<sup>(٢)</sup> الخير لا يميلون إلا إلى أشكلم فأهل الشر لا ينصرون إلا من رأوا  
بأنه يساعدهم على ما هم عليه من أحوالهم ، والأوحد في بابه مَنْ بَايَنَ نَجَاحَ أَضْرَابِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَما يَكُونُ لَنَا أَنْ نَمُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ  
يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ  
عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، رَبُّنَا افْتَضَحَ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْهَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ  
الْفَاتِحِينَ ﴾

فطُفُوا عَنْ حِمَّةِ عَزَائِمِهِمْ حَيْثُ قَالُوا : « قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ » ،  
ثم أَقْرَأُوا بِالشُّكْرِ حَيْثُ قَالُوا : « بَعْدَ إِذْ تَبَيَّنَا أَنَّ اللَّهَ مِنْهَا » ، ثم تَبَرَّأُوا مِنْ حَوْلِهِمْ وَقَوْمِهِمْ حَيْثُ  
قَالُوا : « وَما يَكُونُ لَنَا أَنْ نَمُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا » ، يَتَى إِنْ يُبْلِسْنَا لِبَاسَ الْخُفْلَانِ  
تُرْدُ إِلَى الصُّفْرِ وَالْمَوَانِ .

ثم اشتاقوا إلى جيل التوكل فقالوا : « عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا » أَيْ بِهِ وَتَقْنًا ، وَمِنْهُ الْخَيْرُ آمَنَّا .

(١) ما بين القوسين موجود في المأثور أئبته في موضعه من المتن .

(٢) وضنا ( أهل ) ليتضح المعنى وهي غير موجودة في المتن .

ثم فوضوا أمورهم إلى الله فقالوا : « دينا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » فنداركهم الحق — سبحانه — عند ذلك بجيمل العصمة وحسن الكفاية (١)

قوله جل ذكره : ﴿ وقال الملأ الذين كفروا من قومه

لئن اتبعتم شعباً لئنكم إذا

ظالمون \* فأخذتهم الرجفة

فأصبحوا في دارهم جاثين ﴾

تواصوا فيما بينهم بتكذيب نبيهم ، وأشار بعضهم باستشعار وقوع الفتنة بمناجسته ، وكانوا غفلين في حكمهم ، مبطلين في ظنهم ، فعلم أن كل نصيحة لا يجب قبولها ، وكل إشارة (٢) لا يحسن اتباعها .

قوله تعالى : « الذين كذبوا شعباً كان لم يفتروا فيها » كانت لم غلبتهم في وقتهم ، ولكن لما اندرست أيمانهم سقط صيبتهم ، و (خذ) (٣) ذكرهم ، واقشع سحب من توهم أن منهم شيئاً .

قوله جل ذكره : ﴿ الذين كذبوا شعباً كانوا م

الظالمين ﴾

الحق غالب في كل أمر ، والباطل زاهق بكل وصف ، وإذا كانت البرة نصت من هو أزل الوجود ، وكان الجلال حق من هو لليك فأى أثر للكثرة مع القدرة ؟ وأى خطر للعلل مع الأزل ؟ ولقد أشهدوا في قريب من هذا :

استقبلني وصيغه مسالول وقال لي واحداً منقول

قوله جل ذكره : ﴿ فتوأتى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم

(١) لاحظ من هذه الفترة ترتيب السلوك : صحة العزم ثم الفكر ثم التبرى عن الحول والقدرة ثم التوكل ثم التفويض .

(٢) إشارة هنا معناها مشورة أى نصيحة .

(٣) وردت (خر) براء ، وقد هو بنها (مجد) ذكرهم وليس بمسجد أن تكون (خل) ذكرهم لحدود الذكر وخوله معنى متقارب .

رسالاتي ونصحت لكم فكيف  
آمى<sup>(١)</sup> على قوم كافرين ❦

يَبَيِّنُ أَنَّهُ رَاعَى حُدَّ الْأَمْرِ ؛ فَإِذَا خَرَجَ مِنْ عَهْدَةِ التَّكْلِيفِ فِي التَّبْلِيغِ فَمَا عَلَيْهِ مِنْ إِقْرَارِهِمْ  
أَوْ إِنْكَارِهِمْ ، مِنْ تَوْحِيدِهِمْ أَوْ جُحُودِهِمْ ؛ إِنْ أَحْسَنُوا فَلِإِثْرَاتِ الْجَمِيلِ لَهُمْ ، وَإِنْ أَسَاءُوا  
فَالضَّرَرُ بِالتَّأَلُّمِ عَائِدٌ عَلَيْهِمْ ، وَمَا لِكَ الْأَعْيَانِ أَوْلَى بِهَا مِنَ الْأَغْيَارِ ، فَالْخَلْقُ خَلَقَهُ وَالْمَلِكُ  
مُلْكُهُ ؛ إِنْ شَاءَ هَدَاهُمْ ، وَإِنْ شَاءَ أَغْوَاهُمْ . فَلَا تَأْسَفْ عَلَى نَفْسٍ وَقَعَتْ ، وَلَا أَتْرُكْ مِنْ  
كَوْنٍ وَوُجُودٍ<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره : ❦وما أرسلنا في قريةٍ من نبيٍّ  
إلاَّ آخذينَّ أهلها بالبأساء والضَّراءِ  
لعلَّهم يَضُرَّعون ❦ ثُمَّ بَدَّلْنَا  
مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا  
وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءُنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ  
فَأَخَذْنَاهُمْ بِقَتَّةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ❦

حَرَّكَهُمْ بِالْبَلَاءِ الْأَهْوَنِ نَحْذِيرًا مِنَ الْبَلَاءِ الْأَصْعَبِ ، فَإِذَا تَعَادَا فِي غِيهِمْ ،  
وَلَمْ يَنْتَبَهُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ مَدَّ عَلَيْهِمْ ظِلَالُ الْاِسْتِدْرَاجِ ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ أَسْبَابُ التَّفَرُّقَةِ مَكْرًا  
بِهِمْ فِي الْحَالِ ، فَإِذَا وَطَّنُوا — عَلَى مَسَاعِدَةِ الدُّنْيَا — قُلُوبَهُمْ ، وَرَكَنُوا إِلَى مَا سَوَّلَتْ  
لَهُمْ مِنْ امْتِنَادِهَا ، أَيْزَلَهُمْ مِنْ مَكَانِ التَّقْدِيرِ مَا تَنَفَّصَ عَلَيْهِمْ طَيْبُ الْحَيَاةِ ، وَانْفَقَ بِقَتَّةٍ  
عُنُقُ السَّرُورِ ، وَشَمِرُوا بِمَا كَانُوا يَنْهَلُونَ مِنْ كَسَائِطِ الْمَتَى ، فَنَبَذُوا نَهْلَهُمْ بِسَدْفَةِ  
الْوَحْشَةِ ، وَتَكَدَّرَ صَافِي مَشْرِعِهِمْ بِيَدِ النُّوَابِثِ ، كَمَا سَبَقَتْ بِهِ الْقِسْمَةُ .

قوله جل ذكره : ❦ولو أنَّ أهلَ القرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا

(١) اخطأ الناسخ إذ كتبها (عى) بالعين .

(٢) ربما كان (وورجيد) قالووجد يقابل القصد ، ولكن حيث هو هنا لا يتحدث عن طائفة الصوفية ،  
ولما يتحدث عموماً ، قالووجد مرادف لكون .

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ ، وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ  
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* أَقَامِينَ أَهْلُ  
الْقَرْىِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا  
وَهُمْ نَاقُونَ ﴿١﴾

لو آمَنُوا بِاللَّهِ ، وَاتَّقَوْا الشَّرَّ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِأَسْبَابِ الْمَطَاءِ  
— وَلَكِنْ <sup>(١)</sup> سَبَقَ بِخِلَافِهِ الْقَضَاءُ — وَأَيُّوَابَ الرِّضَاءِ ، وَالرِّضَاءُ أَتَمُّ مِنَ الْمَطَاءِ .  
ويقال ليست العبرة بالنعمة إنما العبرة بالبركة في النعمة ، ولذا لم يُقَلَّ أضعفنا لهم النعمة  
ولكنه قال : يلو كنا لم فيها خوفا .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقَرْىِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ  
بَأْسُنَا نُنَجِّيَ وَهُمْ يُلْعِبُونَ ﴾

أكثر ما ينزل البلاء ينزل فجأةً على غفلةٍ من أهله ، ويقال من حذِرَ البيات لم يجد  
رُوحَ الرُّقَادِ .

ويقال رَبُّ لَيْلَةٍ مُفْتَتِحَةٍ بِالْفَرَحِ عَشْتَمَةٌ <sup>(٢)</sup> . ويقال رَبُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ شَمْسُهُ  
من أوج السعادة قامت ظهورته على قيام الفتنة .

قوله جل ذكره : ﴿ أَقَامِينَ أَهْلُ الْقَرْىِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ  
بَأْسُنَا نُنَجِّيَ وَهُمْ يُلْعِبُونَ ﴾

يقال من عرف علو قدره — سبحانه — خشي خفي مكره ، ومن آمن خفي مكره  
بشيءٍ عظيمٍ قدره .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُ الَّذِينَ بَرِئُوا مِنَ الْاَرْضِ

---

(١) وردت ( وإن سبق . . . ) وعند ذلك يضطرب السياق فوجدنا ان الأولى ان تكون  
( ولكن سبق . . . ) لأنهم لى الآية كذبوا . . . ثم وضنا الجلة المبوءة بالسكن بين علامتي جة  
اعتراضية ، فانظم السياق ، ورجع ان ما صنعتاه قريب من الأصل او هو الأصل .  
(٢) وردت ( بالفرح ) بالمطاء ، وهي خطأ من الناسخ فالفرح ضد الفرح .

مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْنَيْنَاهُمْ  
يَذْنُوبِينَ وَنَطِيعٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ  
لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠﴾

أَوْ لَا يَعْلَمُ الْغَفُورُونَ بِطُولِ سَفَرِنَا أَنْ لَوْ أَرَدْنَا لَجَعَلْنَا لَمْ الْإِنْتِقَامِ ، أَوْ بَلَعْنَا فِيهِمْ  
الْإِسْطِلَامَ ، ثُمَّ لَا يَنْفَعُهُمْ نَعْمَ ، وَلَا يُشْكِي عَنْهُمْ أَلَمٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ قُصُّ عَلَيْكَ مِنْ  
أَنْبَاءِهَا وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا  
بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَّبَكَ طَائِفَةٌ  
أَفْكَرَ عَلَى قُلُوبِهِ السَّكَافِرِينَ ﴾

سَلَكَوا طَرِيقًا وَاحِدًا فِي التَّرَدِّ ، وَاجْتَمَعُوا فِي خَطِّ وَاحِدٍ فِي الْجَبَدِ ، وَالتَّبَلُّدِ ؛  
فَلَا لِلْإِيمَانِ جَنَحُوا ، وَلَا عَنِ الْعَدَوَانِ رَجَعُوا ، وَكَذَلِكَ صَفَّةٌ مِنْ سَبَقَتْ بِالشَّقَاءِ قِسْمَتُهُ ،  
وَحَقَّتْ بِالْعَذَابِ عَلَيْهِ كَلِمَتُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ  
وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾

نَجِمٌ فِي النَّهْرِ طَارِقُهُمْ ، وَأَقْلَمٌ مِنْ سَمَاءِ الْوَفَاءِ شَارِقُهُمْ ، فَتَدِيمُ أَكْثَرُهُمْ رِعَايَةَ الْعَهْدِ ،  
وَحَقَّتْ مِنَ الْحَقِّ لَمْ قِسْمَةُ الرَّدِّ وَالْعَهْدِ .

وَيَقَالُ : شُكَايُنَ أَكْثَرِهِمْ إِلَى أَقْلِهِمْ ، فَلَا أَكْثَرُونَ مَنْ رَدَّتْهُمْ التَّسَمُّةُ ، وَالْأَطْلُونُ  
مَنْ قَبِلَتْهُمْ الْوَصْلَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَدَمِ مُوسَىٰ مَا آتَيْنَا  
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْفَاسِقِينَ ﴾

لَمَّا اقْرَضَتْ أَيْأُسُهُمْ ، وَتَقَاعَصَرُ عَنِ بَسَاطِ الْإِجَابَةِ إِقْدَامُهُمْ <sup>(١)</sup> بَعَثَ مُوسَىٰ نَبِيَّهُ ، وَضَمَّ

(١) وَيُجَوِّدُ أَنْ تَكُونَ (أَقْنَامُهُمْ) فَالْخَيْرِيُّ يَسْتَسَلُّ وَطَهُ لِقَدَمِهِمْ لِبَسَاطَةِ كَثِيرٍ



إليه هارون صفيه ، فتوبوا بالتكذيب والجهود ، فلك بهم ملك إخوانهم  
في التعذيب والتبديد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ  
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ \* حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلا  
أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ  
بَبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ  
بَنِي إِسْرَءِيلَ \* قَالَ إِن كُنتَ  
جِئْتَ بِآيَةٍ فَلَا تَزِلَّهَا إِن كُنتَ  
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

الرجوع إلى دُعاه فرعون إلى الله بعد سماع كلام الله بلا واسطة صعب شديد ، ولكنه  
لما وَرَدَ الأمرُ قَبْلَهُ بِحَسَنِ التَّجَوُّلِ ، فلما ترك اختيار نفسه أَيْدَهُ الْحَقُّ — سبحانه — بنور  
التأييد حتى شَهِدَ فرعونُ حَقَّاً في التَّعْدِيرِ فقال : « حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ »  
فإِذَا لم يَصِحْ لَهُ أَنْ يَقُولَ عَلَى الْخَلْقِ ؛ فَالْخَلْقُ مَحْجُوفٌ فِيهَا هُوَ الْوُجُودُ الْأَزَلِيُّ فَأَيُّ سُلْطَانٍ لِّأَثَرِ  
التَّفَرُّقَةِ فِي حَقَائِقِ الْجَمْعِ ؟

قوله : « قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَلَا تَزِلَّهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ » : من للعلوم  
أن مجرد الدعوى لاحجة فيه ، ولكن إذا ظهر برهان لم يبق غير الانقياد لها هو الحق ،  
فَمَنْ اسْتَمْسَكَ ( . . . )<sup>(١)</sup> ، وَمَنْ جَحَدَ الْحَقَائِقَ بِعَدْلُوحِ الْبَيَانِ سَقَطَ سَقُوطاً لَا يَنْتَمِشُ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَتَىٰ عَصَاءَ فِرْعَوْنَ ثُمَّ ثَبَانَ مِنْهُمْ ﴾  
إِنَّمَا أَظْهَرَ لَهُ الْمُعْجَزَةَ مِنْ عَصَاهُ لَطَوِيلَ (مقارنته)<sup>(٢)</sup> لِيُبَاهِيَ ، فَإِنَّ لِسَانَ إِلَى مَا أَلْفَهُ أَسْكَنُ  
بِقَلْبِهِ . فَلَمَّا رَأَى مَا أَظْهَرَ فِي الْمَصَا مِنْ الْإِقْتِلَابِ أَخَذَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْفِرَارِ لِحَقِّقَةِ  
بأن ذلك من قهر الحقائق ، وفي هذا إشارة إلى أَنَّ السَّكُونَ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِهِ غُرَّةٌ وَغَفْلَةٌ (إِيش)<sup>(٣)</sup>

(١) لا بد أن كلمة هنا سقطت من النسخ مثل (سلم) أو (نجا) أو محجوما .

(٢) (مقارنته) هنا معناها مصاحبة لها بدليل قوله فيها بعد (إلى ما أَلْفَهُ) .

(٣) (إِيش) هذه كلمة دارجة استعملها الكثيرون كثيراً في رسالته ومعناها (أي شيء) .

ما كان ، فإنَّ قلب العبد في قبضِ القدرة ، وهو في أسر التقلب ، وليس الطمع في الكون مسانج يحال .

قوله جل ذكره : ﴿ وَزَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ لِلنَّاطِلِينَ ﴾

المعنا — وإن كانت معه من زمن — قِيْدُهُ أخص به لأنها عضوله ، فكشفته أولاً<sup>(١)</sup> برسمهم من ربيحهم أشهد من ذاته في ذاته ما عرّف أنه أولى به منه ، فلما رأى انقلاب وصفه في يده علم أنه ليس بشيء من أمره بيده .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فرعونَ إِنِّ هَذَا سَاحِرٌ عَلِيمٌ • يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَأِذَا تَأْمُرُونَ ﴾

إذا أراد الله هوان عبده لا يزيد الحق حجة إلا ويزيد لملك السُّبُط فيه شبهة ؛ فكلما زاد موسى — عليه السلام — في إظهار المعجزات ازدادوا حيرة في التأويلات .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ • يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾

توهم الناس أنهم بالتأخير ، وتقديم التدبير ، وبذل الجهد والتشهير يُقَدِّرون شيئاً من التدبير بالتقديم أو بالتأخير ، ولم يعلموا أن القضاء غالب ، وأن الحكم سابق ، وعند حلول الحكم فلا سلطانَ لعلم والفهم ، والتسرع<sup>(٢)</sup> والحلم . كلا ، بل هو الله الواحد القهار العلام .

(١) ل هذه الإشارة تلحظ تأثر التشيرى بالكشفة ، فخلق سبعته يحل العبد أولاً بشت من نموت صفاته ثم يحل له بشت من نموت ذاته .

(٢) وودت ( للتسرع ) حيث التبت علامة التضعيف التي على السين على التناسخ ، والتسرع مقبول في السياق لأنه يعايل الحلم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ

لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ \*

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَعِنَ الْمُتْرِبِينَ \*

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ

نَكُونَ مِنَ الْخَالِفِينَ \* قَالَ أَلْقُوا

فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ

وَاسْتَرْهَبُوا وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ \*

فلما رأوا أنهم يغلبون بما يسحرون ، ولم يعلموا أن تأثير القدرة فيهم أغلب من تأثير سحرهم ،

وأنه لا يرد عنهم ما زوروه في أنفسهم من فنون مكرم فكلموا وكيد لهم ، فهو كما قيل :

ورماني بأنفسهم صائباتٍ ، وتعمده بهم فطاشا

فبينما هم في توهم أن الغلبة لهم فتبع عليهم — من مكان القدرة — جيش ، فوجدوا

أنفسهم — في فتح القدرة — مقهورين بسيف المشيئة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ

فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ \*

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \*

فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَاقْبَلُوا صَاعِقِينَ \*

وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ \* قَالُوا

أَكُنَّا بِرَبِّ الْمَالِئِينَ \* رَبُّ مُوسَى

وَهَارُونَ \*

مَوْهُوا بسحرهم أنهم غلبوا ، فأدخل الله — سبحانه — على توبيهاتهم قهر الحق

وطاشت تلك الحيلة ، وخاب منهم الأمل ، وجذب الحق — سبحانه — أسرارهم على الوهلة

فأصبحوا في صدر السداوة ، وكانوا — في التحقيق — من أهل الود . فسبحان من يبرز

المدو في نبت الولي ، ثم يقلب الكتاب ويظهر الولي في نبت المدو ، ثم يأتي الحال  
إلا حصول للقضي .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا مَسَّمَّ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ  
لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُمُوهُ  
فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا  
نُفُوفَ يَطُونُ \* لَا أَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ  
وَأَرْجُلَكُمْ <sup>(١)</sup> مِمَّنْ خِلَافُوكُمْ  
لَأَصْلِبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

خاطبهم مستقداً أنهم هم الذين كانوا <sup>(٢)</sup> ، وهم يطون أن تلك الأسرا قد خرجت من رق  
الأشكال ، وأن قلوبهم ظهرت عن تو التفرة ، وأن شمس العرفان طلعت في سماء أسرارهم ،  
فأشهدوا الحق بنظر صحيح ، ولم يبق لتخويفات النفس فيهم سلطان ، ولا شيء من الملل  
بينهم مبالغ .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾  
لما كان مصيرهم إلى الله سهل عليهم ما لقوا في مسيرهم إلى الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا  
لَمَّا جَاءَنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا  
وَتَوَقَّنا مُسْلِمِينَ ﴾

لما عملوا لله ، وأوذوا في الله ، صدقوا التصد إلى الله ، وطلبوا المعونة من قبل الله ،  
كناسة من كان لله أن يكون كله على الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ  
مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ  
وَيَذَرُكَ وَالْعُتَّةَ ، قَالَ سَنَقْتُلُ

(١) الجمل التاسع إذ كتبها (أيهم وأرجلهم) .  
(٢) نرف من عبادات القشري : « كانوا لمكهم بانوا » و « العارف كان بان » .

أبنائهم وَنَسْتَعِيْهِمْ سَلَامٌ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ  
قَاهِرُونَ ﴿١٠٠﴾

لما استزادوا من فرعون في التحكين من موسى وقومه استنكف أن يقر بمعجزه ،  
ويعترف بقصور قهرته ، فتوعد موسى وقومه بما عكس الله عليه نذيره ، وغلب عليه تقديره .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ  
وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ  
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

أحاطم على الله فإن رجوعه إليه ، فقال لهم : إن رجوعي — عند تحويري في أموري —  
إلى ربى ، فليكن رجوعكم إليه ، وتوكلكم عليه ، وتعرضوا للنعمات يسره ، فإنه حكم  
لأهل الصبر بمجيب الحق .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالُوا أَأُذِنَآ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَأْتِيَنَا مِنْ  
بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ  
يَهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ فِي الْأَرْضِ  
فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

خفى عليهم شهود الحقيقة . وغشى على أبصارهم حتى قالوا توالت علينا البلاء ؛ ففي حالك  
بلاء ، وقبلك شقاء .. فما الفضل ؟ فأجابهم موسى — عليه السلام — بما علق رجلاهم بكشف  
البلاء فقال : « عسى ربكم أن يهلك عدوكم » فوقفهم على الانتظار . ومن شهد ببصر الأسرار  
شهد تصاريف الأقدار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ  
وَقَصَصَ مِنَ الثَّرَاتِ لَهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾

شد عليهم وطأة القدرة بعدما ضاعف لديهم أسباب النعمة ، فلا الوطأة أصلحتهم شدتها  
ولا النعمة نهتهم كثرتها ، لا بل إن مسهم يسر لحظوه بين الاستحقاق وإن مسهم عسر  
حلوهم على التطير بموسى — عليه السلام — بمقتضى الاعتذار .

قوله جل ذكره: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ

وَأِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمِثْلِهِ

وَمَنْ مَعَهُ

الكفور لا يرى فضل النعم؛ فيلاحظ الإحسان بعين الاستحقاق، ثم إذا اتصل به شيء مما يكرهه فنجي وحل الأمر على ما ينبغي:

وكذا للقول إذا أراد قطيعة ملّ الوصال وقال كان وكنا

إن الكريم إذا حبّاك بوّده ستر التبيح وأظهر الإحسانا

قوله جل ذكره: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَأْسُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ

أَكْثَرُكُمْ لَا يَعْلَمُونَ

المتفرد بالإيجاد هو الواحد ولكن بصائرهم مسدودة، وعقولهم عن شهود الحقيقة مسدودة، وأفهامهم عن إدراك الحقائق مردودة

قوله جل ذكره: ﴿وَقَالُوا مَهْأَنَآ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ آيَةٍ

لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ

جاءوا بالإصرار على الاستكبار شعارهم، وعسكوا بالسندهم — في التو — أستاذهم.

قوله جل ذكره: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعُوفَانَ وَالْجَرَادَ

وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالنَّمَّ الْكَتَمَ

مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا

قَوْمًا مُّجْرِمِينَ

جَسَسَ عليهم العفوفات لما نوحوا وجلسوا فتون الخفافات، فلا إلى التكثير عادوا، ولا إلى التطهير تصدوا، وعوقبوا بصرف قلوبهم عن شهود الحقائق

(١) سقطت (من) في النسخ فأجتمعا.

وذلك أبلغ مما اتصل بطواهرهم من فنون الهلايا . . . . ونمود بالله من السقوط عن  
عين الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا

يَا مُوسَى اذْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ

لَنَنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ

لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝

لم يقولوا ادع لنا ربنا ، بل قالوا يا موسى ادع لنا ربك ، فهم ما ازدادوا بزيادة تلك  
الحزن إلا بعداً وأجنبية..

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ

مُّ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۝

أبرموا العهد ثم قصوه ، وقسموا العهد ثم رفضوه ، وكما قيل :

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذى الضى عاد إلى نكسه

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يورى في ترى رسمه

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا

يُتَضَمَّرُونَ مِثْرًا لِّلْأَرْضِ

وَمَفَارِهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ

كَلِمَةُ رَبِّكَ الْخَسْفَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ

بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا مُصِغِرِينَ

فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ۝

من صبر على مقاساة الدل في الله وضع الله على رأسه قلنسوة العراف ، فهو العزيز  
سبحانه ، لا يُشَيِّتُ بأوليائه أعداءهم ، ولا يضيع من جميل عهده جزاءهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ

فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى  
أَصْنَامِهِمْ ، قَالُوا : يَا مُوسَى اجْعَلْ  
لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُمْ  
قَوْمٌ بَهِيلُونَ \* إِنَّ هَؤُلَاءِ مُمْتَرُونَ  
تَلَمَّحَ فِيهِ وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَسْلُكُونَ ﴿

لَمْ تَخْلُصْ فِي قَوْمِهِمْ حَقَائِقُ التَّوْحِيدِ فَتَأَثَّرَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ ، حَتَّى قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ  
مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — : اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ . وَكَذَا صَفَةً لَمْ يَتَحَرَّرْ قَلْبُهُ مِنْ  
إِثْبَاتِ الْأَشْفَالِ وَالْأَعْمَالِ ، وَمِنْ لِسَانِهِ إِلَى الْأَشْكَالِ وَالْأَشْثَالِ .

وَيَقَالُ مَنْ ابْتَغَى بِالصَّنَمِ أَنْ يَكُونَ مَمْبُودَهُ مَنِ يَتَوَكَّمُ فِي وَصْفِهِ أَنْ يُخْلَصَ إِلَى  
اللَّهِ قَصُودَهُ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ  
فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

ذَكَرَ مِ افْتِرَاقَهُ — سَبَّحَانَهُ — بِإِشْأَانِهِمْ وَإِبْدَاعِهِمْ ، وَأَنَّهُ هُوَ إِلَٰهٌ مُتَفَرِّدٌ بِالْإِبْدَاعِ ،  
وَنَبِيَّهُمْ أَيْضًا عَلَى عَظِيمِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ حَقٌّ لِأَعْلَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِمْ مُقَابَلَتَهُمْ بِإِلَٰهٍ  
بِالتَّوَكُّلِ لِفَيْزِهِ وَالْمُبَادَاةِ لِمَنْ سِوَاهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَنْجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ  
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ  
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَعْيِرُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي  
ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

مَا أَزْدَادُ مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فِي تَمْدِيدِ إِسْلَامِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَتَنْبِيهِهِمْ عَلَى عَظِيمِ  
آلَاتِهِ إِلَّا أَزْدَادُوا جَهْدًا عَلَى جَهْدٍ ، وَبَدَأَ بِالْقُلُوبِ — عَنْ حُلِّ الرِّفْثَانِ — عَلَى بُعْدٍ ، وَهَذِهِ  
أَمَارَةٌ مِنْ بَلَاءِ — سَبَّحَانَهُ — فِي السَّابِقِ بِالْقَطْعِ وَالرَّدِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً



وَأَتَمَمْنَاهَا بِبَشِيرٍ قَمٍّ مِيقَاتُ رَبِّهِ  
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً

عِدَّةُ الْأَحْبَابِ عَزِيزَةٌ ، فَإِذَا حَصَلَتِ الْمَوَاعِدَةُ بَيْنَ الْأَحْبَابِ ، فَهِيَ عَذِيبَةٌ حَلُوهٌ كَيْفَا  
كَانَتْ ، وَفِي هَذَا الْمَقَامِ أَشْدُّوا :

أُطْلِنَا وَسَوِّفَ وَعِدِينَا وَلَا تَقِي

وَيَقَالُ عَلَّلَ الْحَقُّ — سُبْحَانَهُ — مُوسَى بِالْوَعْدِ الَّتِي وَعَدَهُ بِأَنْ يُسَبِّحَهُ مَرَّةً أُخْرَى  
كَلَامَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ابْتِلَاءٌ بِالإِسْمَاعِ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ ، فَلَا انْتِظَارَ وَلَا تَوْقِعَ  
وَلَا أَمَلٍ ، فَأَخَذَ سَمَاعُ الْخُطَّابِ بِمَجَامِعِ قَلْبِ مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فَمَلَقَ قَلْبَهُ بِالْمِيقَاتِ  
الْمَعْلُومِ لِيَكُونَ تَأْمِيلُهُ تَعْلِيلًا لَهُ ، ثُمَّ إِنَّ وَعْدَ الْحَقِّ لَا يَكُونُ إِلَّا صَدَقًا ، فَاطْمَأَنَّ قَلْبُ  
مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — لِلْعِيَادِ ، ثُمَّ لَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُونَ لَيْلَةً آتَى كَمَا سَلَفَ الْوَعْدُ فَزَادَ لَهُ  
عَشْرًا فِي الْمَوْعِدِ . وَالْمَطْلُ فِي الْإِنْجَازِ غَيْرُ مَحْبُوبٍ إِلَّا فِي سُنَّةِ الْأَحْبَابِ ، فَإِنَّ الْمَطْلَ عِنْدَهُمْ  
أَشْبَهُ مِنْ الْإِنْجَازِ ، وَفِي قَرِيبٍ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ أَشْدُّوا :

أَقْبَى لِمَعْرَكٍ لَا تَهْجِرُنَا وَمَتْنِيْنَا الْمُنَى ، ثُمَّ اطْلِينَا  
عِدِينَا مَوْعِدًا مَا شِئْتِ إِنَّا نَحْبُ وَإِنْ مَطَلَتْ نَوَاعِدِينَا  
فَمَا تَنْجِزِي وَعْدَكَ أَوْ فَا نَبِشْ نَوْمَلْ فَيْكَ حِينَا

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ  
اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ  
سَبِيلَ الْفَاسِقِينَ ﴾

كَانَ هَارُونَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — حَمُولًا بِحَسَنِ الْخُلُقِ ، لَمَّا كَانَ الْمَرُورُ إِلَى فِرْعَوْنَ  
اسْتَصْحَبَ مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — هَارُونَ ، فَقَالَ اللَّهُ — سُبْحَانَهُ — : « أَشْرَكَ  
فِي أَمْرِي » بَعْدَ مَا قَالَ : « أَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا » . وَلَمَّا كَانَ الْمَرُورُ إِلَى سَمَاعِ  
الْخُطَّابِ أَفْرَدَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، فَقَالَ : « اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي » وَهَذَا غَايَةُ تَحْمِيلِهِ مِنْ هَارُونَ وَنَهَايَةُ  
التَّصَبُّرِ وَالرِّضَا ، فَلَمْ يَقُلْ : لَا أَقِيمُ فِي قَوْمِكَ . وَلَمْ يَقُلْ : هَلَّا تَحْمِلُنِي مَعَ نَفْسِكَ كَمَا

استصحبني حال المرور إلى فرعون ؟ بل صبر ورضى بما لزم ، وهذه من شديديات بلاه  
الأحباب ، وفي قريب منه أنشدوا :

قال لي من أحب والبين قد حلّ وفاقًا لفرقتي وشيقي  
ما ترى في الطريق تصنع بصدى قلت : أبكي عليك طول الطريق

ثم إن موسى لما رجع من معاج الخطاب ، فرأى من قومه ما رأى من عبادة العجل  
أخذ برأس أخيه يجره إليه حتى استلطفه هارون — عليه السلام — في الخطاب ، فقال :  
« يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي » .

ويقال لو قال هارون — عليه السلام : إن لم تعوضني عما فاني من الصحة فلا تعاتبني فيما  
لم أذنب فيه بحال فرة ولا حبة .. لكان موضع هذه القالة .

ويقال الذنب كان من بني إسرائيل ، والعتاب جرى مع هارون ، وكذا الحديث  
والقصة ، فاسكن من عصى وجنى استوجب العتاب ، فالعتاب ممنوع عن الأجانب .

قوله جل ذكره : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه

ربه قال رب أرني أنظر إليك ،

قال لن تراني ولكن انظر إلى

الجبل فإن استقر مكانه فسوف

تراني ، فلما نبأ ربه للجبل جعله

دكا وخر موسى صعقا ﴿

جاء موسى بجيء المشتاقين بجيء المهيمين ، جاء موسى بلا موسى ، جاء موسى  
ولم يبق من موسى شيء لموسى . آلاف الرجال قطعوا مسافات طويلة فلم يذكروا أحد ،  
وهذا موسى خطا خطوات في القيامة يقرأ الصبيان : « ولما جاء موسى »

ويقال لما جاء موسى لميقات باسط الحق — سبحانه — سقط سماع الخطاب ،  
فلم يتالك حتى قال : « أرني أنظر إليك » ، فإن غلبت الوجد عليه استنطقه بطلب  
كمال الموصلة من الشهود ، وكذا قالوا :

وَأُبرِجُ مَا يَكُونُ الشَّقُّ يَوْمًا إِذَا دَنَتْ الْغَلِيْمُ مِنْ الْغَلِيْمِ  
 ويقال صار موسى — عليه السلام — عند سماع الخطاب بين الشكر فنطق ما نطق ،  
 والكران لا يؤخذ بقوله ، ألا ترى أنه ليس في نص الكتاب منه شائب بحرف ؟  
 ويقال أخذته حَزَّةُ السَّاعِ لَمُخْرِجِ لِسَانِهِ<sup>(١)</sup> عن طاعته جرئاً على مقتضى ما يحبه من  
 الأَرِيحَةِ وَبَسَطِ الوَصْلَةَ .

ويقال جمع موسى — عليه السلام — ككلمات كثيرة يشكلم بها في تلك الحالة ؛ فإن  
 في القصص أنه كان يتحمل في أيام الوعد كلمات الحق ، ويقول للمارفة : أنكم حاجة إلى الله ؟  
 أنكم كلام منه ؟ فإنني أريد أن أحضى إلى مناجاته .

ثم إنه لما جاء وسمع الخطاب لم يذكر — مما ذكره في نفسه ، وتحمله من قومه ، وجمعه  
 في قلبه — شيئاً ولا حرفاً ، بل نطق بما صار في الوقت غالباً على قلبه ، فقال : ربُّ :  
 أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، وفي مناه أُنشدوا :

فيا ليلَ كم من حاجةٍ لي مهية إذا جئتكم ليلي فلم أدرِ ما هيأ

ويقال أشدُّ أُنطقُ شوقاً إلى الحبيب أقرُّهم من الحبيب ؛ هذا موسى عليه السلام ، وكان  
 عريق الوصلة ، واقفاً في محل المناجاة ، محدة به سجوف التولى ، غالباً عليه بواحه الوجود ،  
 ثم في حين ذلك كان يقول : « ربُّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ » كأنه غائبٌ عن الحقيقة .  
 ولكن ما ازداد القومُ شُرباً إلا ازدادوا عطشاً ، ولا ازدادوا تِباً إلا ازدادوا شوقاً ، لأنه  
 لا سبيل إلى الوصلة إلا بالسكال ، والحقُّ — سبحانه — يصونُ أسرار أصفياه عن  
 مداخلة اللال<sup>(٢)</sup> .

ويقال نطق موسى عليه السلام بلسان الافتقار فقال : « ربُّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ » وَلَا أَقْلُ

(١) تلطيل القشيري لوقف الإنصاح الذي وقفه موسى يوضح كيف يلتبس هذا الباحث مبروا  
 لشطحات الصوفية — بطريق غير مباشر ، ويجزو ذلك تارة فكر الزمعي وتارة لوقوع العبد تحت تأثير  
 المزة الإلهية ، فيخرج اللسان عن طاعته .

(٢) وفي ذلك أنشدوا :

فيا مل سائقينا وما مل شارب عفار لحاظ كالمه يلب العبا

من نظرة — والعبد قتيل هذه القصة — فتقبل بالرّد ، وقيل له : « لن تراني » وكذا قهر الأجبب ولذا قال قائلمهم :

جَوْرُ الْمَوِيِّ أَحْسَنُ مِنْ مَعْدَلِهِ وَيَخْلُفُهُ أَنْظَرُ مِنْ يَنْفَلِهِ

ويقال لما صرّح بسؤال الرؤية ، وجهر صريحاً رَدُّ صريحاً قتيل له : « لن تراني » ، ولما قال نيئاً — صلى الله عليه وسلم — بصره في هذا الباب ، وأشار إلى السماء منتظراً الرد والجواب من حيث الرمز نزل قوله تعالى : « قد نرى قلبك وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها » (١) فردّه إلى شهود الجهات والأطلال إشارة إلى أنه أعزُّ من أن يطمح إلى شهوده — اليوم — طرف ، بل الأخطاط مصروفة موقوفة — اليوم — على الأغيار (٢) .

ويقال لما تحتّمته إلى أسنى المطالب — وهي الرؤية — قول « بلن » ، ولما رجّع إلى الخلق وقال للخضر « هل أتيتك على أن تُطعنني بما علمت وشدا » ، قال الخضر : « إنك لن تستطيع معي صبرا » (٣) فقايله بلن ، فصار الرّد موقوفاً على موسى — عليه السلام من الحق ومن الخلق ، ليكون موسى بلا موسى ، ويكون موسى صافياً عن كل نصيب لموسى من موسى ، وفي قريب منه أنشدوا :

(.....) (٤) نحن أهل منازل أبداً غراب البين فينا ينق

ويقال طلب موسى الرؤية وهو بوصف التفرقة فقال : « رب أرني أنظر إليك » فأجيب بلن لأن عين الجمع أتم من عين الفرق . فزع موسى حتى خرّ صمّاً ، والجبل صار دكّاً . ثم الروح بعد وقوع الصفة على القالب مكشفتة بما هو حقائق الأحدثية ، ويكون الحق — بعد امتحاء معالم موسى — خيراً لموسى من بقاء موسى لموسى ، فلي الحقيقة : شهود الحقائق بالحق ثم من بقاء الخلق بالخلق ، كذا قال قائلمهم :

(١) آية ١٤٤ سورة البقرة .

(٢) من هذا — وما أوحته في رسالته — نعرف أن التشبى لا يرى بجزاؤ رؤية الله بالبر في هذه الدنيا .

(٣) آية ٦٧ سورة الكهف .

(٤) هنا لفتتان مطوستان ونعرف أنها « أي أيتها ... » .

• ولوجها من وجها قرأ ولينها من عينها كل

ويقال البلاء الذي ورد على موسى بقوله : « فإن استقر مكانه فسوف ترائي » ، ولما تجلّى  
ربه للجبل جله ذكاً « أتم وأعظم منه قوله : « لن ترائي » لأن ذلك صريح في الرد ،  
وفي اليأس راحة . لكنه لما قال فسوف أطيعة فيما مني عليه طلباً لشدته موقفه جبل الجبل ذكاً ،  
وكان قادراً على إمساك الجبل ، لكنه قهر الأحابل الذي به جرت مسنتهم .

ويقال في قوله : « أنظر إلى الجبل » بلائاً شديد لموسى لأنه نفي عن رؤية مقصوده  
ومني برؤية الجبل ، ولو أذن له أن يقيض جفته فلا ينظر إلى شيء بعدما بقي عن مراده من  
رؤيته لكان الأمر أسهل عليه ، ولكنه قال له : « لن ترائي ولكن أنظر إلى الجبل » .

ثم أشد من ذلك أنه أعطى الجبل التجلّى ، فالجبل رآه وموسى لم يره ، ثم أمر موسى بالنظر  
إلى الجبل الذي قدم عليه في هذا السؤال ، وهذا — وأقو — لصعب شديد !! ولكن موسى  
لم يلتزع ، ولم يقل أنا أريد النظر إليك فأذا لم أرك لا أنظر إلى غيرك بل قال : لا أرفع  
بصري عما أمرتني بأن أنظر إليه ، وفي مناه أشدوا :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

ويقال بل الحق سبحانه أراد بقوله : « ولكن أنظر إلى الجبل » تذكيره قلب موسى  
— عليه السلام — حيث لم يترك على صريح الرد بل علله برفق كما قيل :

فترى أفي قليلاً قليلاً

ويقال لما رد موسى إلى حال الصحو وأفاق رجع إلى رأس الأمر فقال : « ثبت إليك »  
يعني إن لم تكن الرؤية هي غاية للرتبة فلا أقل من التوبة ، فقيده — تعالى — لسوئته إلى  
الرتبة العلية .

قوله جل ذكره : ﴿ ثَبَّتْ إِلَيْكَ ﴾

هذه إنانة بقوة العبودية ، وشرط الإنصاف ألا تبرح محل الخدمة وإن حيل بينك  
وبين وجود القرية ؛ لأن القرية حفظ نفسك ، والخدمة حق ربك ، وهي تم بالآ تكون  
يحفظ نفسك .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ  
 بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ  
 وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

هذا الخطاب لشدائد قلب موسى — عليه السلام — بكل هذا الرفق ، كأنه قال :  
 يا موسى ، إني منعتك عن شيء واحد وهو الرؤية ، ولكي خصصتك بكثير من الفضائل ؛  
 اصطفيتك بالرسالة ، وأكرمك بشرف الحاقة ، فشكر هذه الجملة ، وأعرف هذه النعمة ،  
 وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، ولا تتعرض لقلم الشكوى ، وفي مناه أفسدوا :

إِنْ أَعْرَضُوا فَهُمْ الَّذِينَ تَعَطَّفُوا وَإِنْ جَنَوْا فَاصْبِرْ لَمْ يَنْ أَخْلَفُوا  
 وفي قوله سبحانه : ﴿ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ إشارة لطيفة كأنه قال : لا تكن من  
 الشاكين ، أى إِنْ مِنْتُكَ مِنْ سُؤْلِكَ ، ولم أعطِكَ مطلوبَكَ فلا تشكَّيْ إذا انصرفت .  
 قوله جل ذكره : ﴿ وَكُنْتُمْ لَهُ فِي الْأَوَّلِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ  
 مُوعِدَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾

وفي الأثر : أن موسى عليه السلام كان يسمع صرير القلم ، وفي هذا نوع لطف لأنه إن  
 منع منه النظر أو منعه من النظر فقد عله بالأثر <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾  
 فيه إشارة إلى أن الأخذ يشير إلى غاية الترويب ، والمراد هاهنا صفاء الحال ، لأن قرب  
 المسكن لا يصح على الله سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾  
 فرق بين ما أمر به موسى من الأخذ وبين ما أمره أن يأمر به قومه من الأخذ ، أخذ  
 موسى عليه السلام من الحق على وجه من تحقيق الزلفة وتأكيده الوصلة ، وأخذهم أخذ قبول  
 من حيث التزام الطاعة ، وشتان ما هما !

(١) نلاحظ أن القسري كان ممعاً أشد ما يكون الإمتاع حين استل موقف شهود موسى استلاماً  
 جيلاً أوشك أن يحيط بكل جوانب هذه العظمت الحاسية في الحياة الروحية ، فاجتمعت إشارات لتكون  
 درساً في غاية الدقة والإفادة .

قوله: ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ بمعنى بِحَسَنَتِهَا، ويحتمل أن تكون الهزة للبالغة بمعنى: بأحسنها ألا تخرج على تأويل وارجع إلى الأولى<sup>(١)</sup>.

قوله جل ذكره: ﴿سَأُوبِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾  
بمعنى عليها قَبْرَةُ الْفَاقَةِ، خلوة على عروشها، ساقطة على سقوفها، مُنْهَدَّةٌ بِنِهَايَتِهَا، عليها قَتَرَةُ الْعَقَابِ.

والإشارة من دار الفاسقين إلى النفوس المتألمة للشهوات، والقلوب التي هي معادن للقي وفساد المخلوقات، فإنَّ النَّسَقَ يوجب خرابَ المَلْجِ الذي يجري فيه؛ فمن جرى على نفسه فيسُقُ خربت نفسه. وآية خراب النفوس انتفاه ما كان عليها وفيها من سكان الطاعات، فكما تتمتع المنازل عن قطعائها إذا داعت للخراب فكذلك إذا خربت النفوس بعمل للمامى فتفتق منها لوازم الطاعات ومناذرها، فيبعد ما كان العبد يتيسر عليه فعل الطاعات لو ارتكب شيئاً من المخطورات يشق عليه فعل العبادة، حتى لو خُيِّرَ بين ركعتي صلاة وبين مقاساة كثير من المشاق أكرم تحصل المشاق على العبادة.. وعلى هذا النحو ظلم القلوب وفسادها في إيجاب خراب محالها.

قوله جل ذكره: ﴿سَأُصْرَفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾  
في الأرض بنهر الحق وإن يروا  
كل آيةٍ لا يؤمنوا بها

سَأُحَرِّمُ الْمُتَكَبِّرِينَ بِرُكْلَةِ الْإِتْيَاعِ حَتَّى لَا يَقَابِلُوا الْآيَاتِ الَّتِي يُكْشِفُونَ بِهَا بِالتَّوْبِ،  
وَلَا يَسْمَعُوا مَا يُخْاطَبُونَ بِهِ بِسَمْعِ الْإِيمَانِ.  
والتكبر جحد الحق — على لسان العلم، فَمَنْ جَحَدَ حَقَائِقَ الْحَقِّ فِجْهَوْدَهُ تَكْبَرُهُ  
واعتراضه على التقدير مما يتحقق جحدوه في القلب.

(١) يوجه التشيرى هذه الإشارة نحو موضوع الرخص، فمن المعلوم أنه يرى أن من الأفضل الإلحاح للريد للرخصة، وفعل الأول عنده هو ترك الرخصة لأنها للمستعطين وأرباب الموانع والأشغال من الكافة، والريد لا حاجة له ولا شغل إلا لربه وربه.

ويقال التكبر قوم استحقاق الحق .

ويقال من رأى لنفسه قيمة في الدنيا والآخرة فهو متكبر .

ويقال مَنْ ظَنَّ أَنَّ شَيْئًا مِنْهُ أَوْ لَهُ أَوْ إِلَيْهِ — من التني والإتيان — إلا على وجه  
الاعتساب فهو متكبر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَخَذُوهُ

سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَخَذُوهُ

سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

وكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ والذين كذبوا

بآياتنا ولقاء الآخرة حُمِطَتْ أَهْمُهُمْ

هَلْ يُبْهَرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَمْسُحُونَ ﴾

تبيّن بهذا أنه لا يكفي شهود الحق حقًا وشهود الباطل باطلاً بل لا بد من شهود الحق  
من وجود التوفيق للحق ، ومنع شهود الباطل من وجود المعصية من اتباع الباطل .

ويقال إن الجاحد للحق — مع تحققه به — أقبح حالة من الجاهل به القاصر في تعريفه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ

حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ ﴾

لم يظهر قلبهم — في ابتداء أحوالهم — عن نوم الظنون ، ولم يتحققوا بخصائص القدم  
وشروط الحثوث ، ففترت أقلام فكرهم في وهاد المغاليط لما سلكوا المسير .

ويقال إن أقواماً رضوا بالبعث أن يكون مبدؤهم متى تسم أمراؤهم نسب<sup>(١)</sup> التوحيد ؟  
صيات لا لا ولا من لاحظ جبريل وميكائيل والرش أو الثرى ، أو الجن أو الورى .  
وإن من خلقه ذلك أو وجد من قبيل ما يقبل نفوت المحدثان ، أو صح في التجويز أن ترتقى  
إليه صواعد التقدير وشرائط الكيفية فغير صالح لاستحقاق الإلهية .

(١) وردت ( تسم ) وهي خطأ في النسخ .



وقال شَتَان بين أمة وأمة ! أمة خرج نبيهم عليه السلام من بينهم أربعين يوماً فبعدوا  
المَجْل ، وأمة خرج نبيهم — عليه السلام — من بينهم وأتى نيف وأربعائة سنة فن ذكر بين  
أيديهم أن الشوس والأقار أو شيئاً من الرسوم والأطلال تستحق الإلهية أحرقوه بهمهم

وقال لا فصل بين الجسم والجسد ، فكما لا يصلح أن يكون المبود جسماً لا يصلح  
أن يكون متصفاً بما في معناه ، ولا أن يكون له صوت فإن حقيقة الأصوات مُصَاكَّةُ الأجرام  
الصلبة ، والتوحيد الأزلي ينال هذه الجملة .

ويقال أجهد بقرم آمنوا بأن يكون مصنوعهم مبودهم ! ولولا قبر الربوبية وأنه تعالى  
يفعل ما يشاء — فأى عقل يُقرُّ مثل هذا التليس ؟ !

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْتَدِيهِمْ  
سَبِيلًا أَخْبَرَهُمْ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾

جبل من استحقاقه<sup>(١)</sup> نموت الإلهية صحة الخطاب وأن تكون منه الهداية ، وهذا يدل  
على استحقاق الحق بالموت<sup>(٢)</sup> بأنه متكلم في حقائق آزاله ، وأنه متفرّد بهداية العبد لا هادى  
سواه . وفيه إشارة إلى مخاطبة الحق — سبحانه — وتكليمه مع العبد ، وإن الملوكة إذا جلّت  
رتبهم استكفوا أن مخاطبوا أحداً بلسانهم حتى قال تأملهم :

وما عَجَبُ تناسى ذِكْرَ عبدٍ على المولى إذا كَثُرَ العبيدُ  
ويخالف هذا أجرى الحق — سبحانه — سنته مع عباده المؤمنين ، أما الأعداء فيقول  
لهم : « اخشوا فيها ولا تكلمون »<sup>(٣)</sup> وأما المؤمنون فقال صلى الله عليه وسلم : « ما منكم  
إلا يكلمه ربّه ليس بينه وبينه ترجمان »<sup>(٤)</sup> ، وألشعوا في معناه .

وما زدهينا الكبرياء عليهم إذا كلّمونا أن نكلّمهم مرّداً

(١) وردت (١) حقايق) وهي خطأ في النسخ .

(٢) بشر القشيري بذلك إلى ممارسة المترّة القبرين يتفون الصفات الإلهية متناً لتتبدد ، وانتفاء  
حامل وعمول .

(٣) آية ١٠٨ سورة المؤمنون .

(٤) في رواية منلم عن عنى بن حاتم قال رسول الله ( س ) :

« ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان » س ٧٠٣ = ٣ ط الحلى .

قال تعالى : « قل لو كان البحر مدائنًا لكلمات ربى لَنفَدَ البحرُ قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدائنًا » (١) .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ  
قَدْ ضَلُّوا قَالُوا إِنَّ لَنَا رَبًّا غَيْرَ  
لَنَا لَنَكُونُ مِنَ الْخَاطِرِينَ ﴾

حين تحققوا ابتغى صنمهم تَجَرَّعُوا كأساتِ الأسفِ ندمًا ، واعترفوا بأنهم خسرُوا إِنَّ لم يتداركهم من الله جيلٌ لَطْفُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ  
أَسِيفًا قَالَ بِمَا خَلَقْتُمُوهُ مِنْ بَعْدِي  
أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾

لو وجد موسى قومه بألفِ وفاقٍ لكان متنقِصَ العيشِ لِمَا مَيَّ به من حرمانِ سماعِ الخطابِ والردِّ إلى شهودِ الأخبارِ . . فكيف وقد وجد قومه قد ضلُّوا وعبدوا المعبولَ ١٩ ولا يُدرى أىُّ المهن كانت أشدَّ على موسى :

أَفَقَدَانُ سماعِ الخطابِ ؟ أو بقاؤُهُ عن سؤالِ الرؤية ؟ أو مشاهدته من افتنانِ بنى إسرائيل ، واستيلاء الشهوة على قلوبهم فى عبادةِ المعبول ؟ سبحان الله ! ما أشدَّ بلاءه على أوليائه !

قوله جل ذكره : ﴿وَأَلْقَى الْأَوْرَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ  
يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ  
اسْتَضَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي  
فَلَا تُشِيتْ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي  
مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ قال رب اغفرلى  
ولأخى وأدخِلْنَا فى رحمتك وأنت  
أرحمُ الراحمين ﴾

---

(١) آية ١٠٩ سورة الكهف .

إن موسى عليه السلام وإن كان سميع من الله فإن قومه فإنه لما شاهدتهم أثرت فيه المشاهدة بما لم يؤثر فيه السماع ، وإن عُلِمَ قطعاً أنه تأثر بالسمع إلا أن للمعينة تأثيراً آخر .  
ثم إن موسى لما أخذ برأس أخيه يجره إليه استلطفه هارون في الخطاب .  
فقال : « يا ابن أم » فذكر الأم هنا للاسترفاق والاسترحام .

وكنفك قوله : « لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي » يريد بهذا أنه قد توالى المحن على قدرتي وما أنا فيه ، ولا تزد في بلائي ، خلقتني فيهم فلم يتنصحنوني . وتلك على شديدة . ولقيت بعدك منهم ما ساءني ، ولقد علمت أنها كانت على عظمة كبيرة ، وحين رجعت أخذت في عتابي وجر رأسي وقصدت ضربتي ، وكنت أود منك تسليتي وتعزيتي . فرفقاً بي ولا تشيت بي الأعداء ، ولا تضاعف عليّ البلاد .

وعند ذلك رقى له موسى — عليه السلام ، ورجع إلى الابتهاال إلى الله والسؤال بنشر الانتفار فقال : « رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك » وفي هذا إشارة إلى وجوب الاستنفار على العبد في عموم الأحوال ، والتحقق بأن له — سبحانه — تعذيب البريء ؛ إذ الخلق كلهم ملكه ، وتصرف المالك في ملكه نافذ .

ويقال : ارتككب الذنب كان من بني إسرائيل ، والاعتذار كان من موسى وهارون عليهما السلام ، وكذا الشرط في باب خصوص العبودية .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سِينَاكُمْ ﴾  
فَصَبَّ مِنْهُمْ ذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْفَاطِرِينَ ﴿

يعني إن الذين اتخذوا العجل معبوداً سينالهم في مستقبل أحوالهم جزاء أعمالهم . والسين في قوله « سينالهم » للاستقبال ، ومن لا يضره عصيان العاصين لا يبالى بتأخير العقوبة عن الحال ، وفرق بين الإمهال والإهمال ، والحق — سبحانه — يمهل ولكنه لا يهمل ، ولا ينبغي لمن يذنب ثم لا يؤخذ في الحال أن يفتقر بالإمهال .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا ﴾

من بعدها وآمنوا إن ربك من

بعدها لنفور رحيم ﴿

وَصَفَّهُمُ بِالتَّوْبَةِ بعد عمل السيئات ثم بالإيمان بعدها ، ثم قال : « من بعدها لنفور رحيم » .  
والإيمان الذي هو بعد التوبة يحتمل آمنوا بأنه يقبل التوبة ، أو آمنوا بأن الحق سبحانه لم يُضِرَّهُ  
عصياناً ، أو آمنوا بأنهم لا ينجون بتوبتهم من دون فضل الله ، أو آمنوا أى عَدُوا ما سبق  
منهم من قُبُضِ الْمَهْدِ شِرْكَاءَ .

ويقال استداموا للإيمان فكان مواظبهم على الإيمان .

أو آمنوا بأنهم لو عادوا إلى ترك المهد وتضييع الأمر سقطوا من عين الله ، إذ ليس  
كل مرة تعلم الجرة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ

أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي لُحَّتِهَا هُدًى

ورحة للذين هم لربهم يرهبون ﴿

تشير إلى حسن إيماله — سبحانه — للعبد إذا تغير عن حد التحيز ، وغلب عليه  
ما لا يطيق رده من بواده الغيب

وإذا كانت حلة الأنبياء — عليهم السلام — أنه يغلبهم ما يظلمهم عن الاختيار  
فكيف الظن بمن دونهم <sup>(١)</sup> ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا

لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ

لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ

أَهْلَكْنَاهُمْ أَفَلَا تُعْذِرُ ؟ إِنَّ

مِّنْكُمْ لَمُنَافِقِينَ فَاصْطَلِهِمْ سَبْعِينَ

يَوْمًا فَلَمَّا أَتَاهَا فَلَمَّ عَلَيْهِمُ

الْغَمَامُ وَخَافُوا وَقَالَتْ

الْمُؤْمِنَاتُ مَنَافِقَاتٌ

(١) يستشفع التشيرى قوله إذا خرج عن حد التحيز إلى كمال صاعداً وله مندر .

شأن بين أمة وأمة ، أمة يختارهم نبيهم — عليه السلام ، وبين أمة اختارها الحق — سبحانه ، فقال : « ولقد اخترناهم على علم على الملئين »<sup>(١)</sup> .

الذين اختارهم موسى قالوا : « أَرَأَيْتَ اللَّهُ جِبرَةً حَتَّى أَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ » والذين اختارهم الحق — سبحانه — قال الله تعالى فيهم : « وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةً إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً »<sup>(٢)</sup> .

ويقال إن موسى — عليه السلام — جاهر الحق — سبحانه — بنعت التحقيق وفارق الحشمة وقال صريحاً : « إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ » ثم وَكَلَّ<sup>(٣)</sup> الحكمَ إليه فقال : « تُفْضِلُ بَهَا مَنْ تَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ تَشَاءُ » ثم عقبها ببيان التضرع فقال : « فَاعْفُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا » ، ولقد قَدَّمَ الثناء على هذا الدعاء فقال : « أَنْتَ وَلَيْسْنَا فَاعْفُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾

وفي الآخرة ﴿

نَعْقَ بِلِسَانِ التَّضَرُّعِ وَالِاتِّهَالِ حَيْثُ صَنَّى إِلَيْهِ الْحَاجَةُ ، وَأَخْلَصَ لَهُ فِي السُّؤَالِ فَقَالَ :  
« وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ » أَيُّ أَهْدَانَا إِلَيْكَ .

وفي هذه إشارة إلى تخصيص نبينا — صلى الله عليه وسلم — في التبري من الحول والقوة والرجوع إلى الحق لأن موسى — عليه السلام قال : « وَاكْتُبْ لَنَا فِي . . . » وسبنا صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَكُنْ لِي إِلَى نَفْسِي طَرَفَةٌ عَيْنٍ » وَلَا أَفْزَلُ مِنْ ذَلِكَ . وقال : « وَاكْتُبْ لِي كِفَاةَ الْوَلِيدِ » ثم زاد في ذلك حيث قال : « لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ »<sup>(٤)</sup> .

(١) آية ٣٢ سورة الفتن والقصود أمة الصل على الله عليه وسلم .

(٢) آية ٢٢ سورة القيامة

(٣) وودت ( وقل ) والصواب أن تكون ( وكل ) إليه الحكم .

(٤) قال صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفني كفاة الوليد ، ولا تكن لي إلى نفسي طرفة عين ، وجهت وجهي إليك ، وألحقت طهرى إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك » .

الهم اكفني كفاة الوليد عليها التي ( س ) ليس أصحها ، للشيخين من حديث الدرا . اللهم اعني بسمي وبصري : للزمذني ، والحاكم عن أبي هريرة « ولا تكن لي إلى نفسي طرفة عين » الحاكم من حديث أبي قال : صحيح على شرط الشيخين ، وعلمته صلى الله عليه وسلم لا يثبت الزهراء .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ ﴾

أى مِلْنَا إِلَى دِينِكَ ، وَصِرْنَا لَكَ بِالسَّكِيَّةِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتْرَكَ لَأَنْفُسِنَا هَبِيَّةً .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ عَنَّا بِي أُصِيبَ بِهِ مَنْ أَشَاءَ

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

وفى هذا لطيفة ؛ حيث لم يقل : عَنَّا بِي لَا أُخْلِي مِنْهُ أَحَدًا ، بَلْ حَلَقَهُ عَلَى الْمَشِيئَةِ .  
وفيه أيضاً إشارة ؛ أَنَّ أَفْعَالَهُ — سُبْحَانَهُ — غَيْرُ مُعَقَّطَةٍ بِأَكْسَابِ الْخَلْقِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ :  
عَنَّا بِي أُصِيبَ بِهِ الْمَصَادِقُ بَلْ قَالَ : « مِنْ أَشَاءَ » ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى جَوَازِ الْغَفْرَانِ لِمَنْ أَرَادَ  
لِأَنَّهُ قَالَ : « أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءَ » ، فَإِذَا شَاءَ أَلَّا يُصِيبَ بِهِ أَحَدًا كَانَ لَهُ ذَلِكَ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ  
حَيَثُودِيٍّ مُخْتَارًا .

ثُمَّ لَمَّا انْتَهَى إِلَى الرَّحْمَةِ قَالَ : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » لَمْ يُعَلِّقْهَا بِالْمَشِيئَةِ ؛ لِأَنَّهَا  
نَفْسُ الْمَشِيئَةِ وَلِأَنَّهَا قَدِيمَةٌ ، وَالْإِرَادَةُ لَا تَتَعَلَّقُ بِالْقَدِيمِ . فَلَمَّا كَانَ الْعَنَّا بِبِي مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ حَلَقَهُ  
بِالْمَشِيئَةِ ، مَعَكِ الرَّحْمَةُ لِأَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ الْإِثَارَةِ .

وَيَقَالُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » ، بِجَهْلِ الْأَمَلِ الصُّبْحَةِ ؛ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا  
مِنْ جِلَّةِ الْمُطِيعِينَ وَالْمَابِدِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ فَهُمْ « شَيْءٌ » <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ كُتِبْنَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾

أى سَأَرَجِبُهُمْ لَمْ ، فَيَجِبُ الثَّوَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ اللَّهِ وَلَا يَجِبُ لِأَحَدٍ شَيْءٌ عَلَى اللَّهِ إِذْ لَا يَجِبُ  
عَلَيْهِ شَيْءٌ لِعَزَمَةِ فِي ذَاتِهِ <sup>(٢)</sup> .

قوله ها هنا : « الَّذِينَ يَتَّقُونَ » أَيْ يَجْتَنِبُونَ أَنْ يَرَوْا الرَّحْمَةَ بِاسْتِحْقَاقِهِمْ ، فَإِذَا اتَّقَوْا  
هَذِهِ الظُّنُونَ ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّ أَحْكَامَهُ لَيْسَتْ مُعَقَّطَةً بِأَكْسَابِهِمْ — اسْتَوْجَبُوا الرَّحْمَةَ ،  
وَيَحْكُمُ بِهَا لَهُمْ .

(١) أَيْ ضَمِنَ (شَيْءٌ) الَّذِي فِي الْآيَةِ « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » .

(٢) أَيْ بِخِلَافِ الْمُتَرَدِّدِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْوُجُوبِ (عَلَى) اللَّهِ ، وَشَتَّى بَيْنَ الْوُجُوبِ (مِنْ) اللَّهِ  
وَالْوُجُوبِ (عَلَيْهِ) ؛ وَالْوُجُوبُ مِنْ اللَّهِ فَضْلٌ ، وَالْوُجُوبُ عَلَى اللَّهِ إِزَامٌ .

« والذين هم بآياتنا يؤمنون » أى بما يكشفهم به فى الأنظار مما يقفون عليه بوجوه الاستدلال ، وبما يلاطفهم به فى الأسرار مما يجدونه فى أنفسهم من فنون الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

أظهر شرف المصطفى — صلى الله عليه وسلم — بقوله : « النبي الأمي » أى أنه لم يكن شئ من فضائله وكال علمه وتبينه إلى تفصيل شرعه من قبل نبي ، أو من تعلمه وتكلفه ، أو من اجتهداه وتصرفه . . بل ظهر عليه كل ما ظهر من قبله — سبحانه — فقد كان هو أمياً غير قارئ للكتب ، ولا متتبع للسير .

ثم قال : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » : والمعروف هو القيام بحق الله ، والمنكر هو البقاء بوصف المخلوق وأحكام الهوى ، والتبرج في أوطان للنبي ، وما نصوره للعبد نزورات الدعوى<sup>(١)</sup> . والفصل بين الجسدين ، والميز بين القسمين — الشريعة ، فالحسن من أفعال العباد ما كان بنعت الإذن من مالك الأعيان فلهم ذلك ، والقبیح ما كان موافقاً لفتنهم<sup>(٢)</sup> والزجر فليس لهم فعل ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

الإصر الثقل ، ولا شئ أثقل من كد التدبير ، فمن ترك كد التدبير إلى روح شهود التقدير ، فقد وضع عنه كل إصر ، وكفى شغل وزد وأمر والأغلل التي كانت عليهم هي ما ابتدعوه من قبل أنفسهم باختيارهم في التزام طاعات

(١) يمتد بها دعوى النفس أنها على شئ ، وذلك زور وباطل .

(٢) وردت ( الهوى ) وهي خطأ في النسخ .

الله ما لم يُقْتَضَ عليهم ، فَوَكَّلُوا إِلَى حَوْلِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ فِيهَا ؛ فَأَمَلُوها ، وَتَقَضُوا عَهْدَهُمْ .  
وَمَنْ لَقِيَ — بخصائص الرضا — ما يجرى به المقادير ، وَشَهِدَ الْحَقُّ فِي أَجْناسِ  
الْأَحْدَاثِ — فَتَدَخَّلَ بِكُلِّ نِعْمَةٍ وَفَضْلٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَلِصْرِهِ  
وَاتَّبَعُوا النَّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا مَعَهُ  
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

اعترف لهم <sup>(١)</sup> بنصرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وإلا فالنبي صلى الله عليه وسلم  
كان الله حسيبه ، وَمَنْ كَانَ اسْتِقْلَالَهُ بِالْحَقِّ لَمْ يَقِفْ انْتِمَاشُهُ عَلَى نَصْرَةِ الْخَلْقِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ  
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ  
فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ  
الَّذِي يَدْعُو مِنْ بَاطِنِ الْكَفَّارَةِ ، وَاتَّبِعُوهُ  
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

صَرَّحَ بِمَارْقِنِيَّتِكَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَقَامِ ، وَأَفْصَحَ هَمَّا لِقِينَاكَ بِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ ، قُلْ إِنِّي إِلَى  
جَمَاعَتِكُمْ مُرْسَلٌ ، وَعَلَى كَافَتِكُمْ مُفْضَلٌ ، وَدِينِي — رَيْنُ نَظَرٍ وَاعْتِبَرٌ ، وَفَكْرٌ  
وَسَبْرٌ — مُفْضَلٌ . فَأُلْهِمِ الْقِيَّ لَا شَرِيكَ لَهُ بِنَازَعِهِ ، وَلَا شَيْءَ يُضَارِعُهُ لَهُ حَقٌّ  
التَّصَرُّفِ فِي مُلْكِهِ بِمَا يَرِيدُ مِنْ حِكْمِهِ . وَمِنْ جِلَّةِ مَا حَكَمَ وَقَضَى ، وَفَنَدَ بِهِ التَّقْدِيرَ  
وَأَمْنِي — إِرْسَالِي إِلَيْكُمْ لِنَطْلِعُوهُ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ ، وَتَحْذَرُوا مِنْ ارْتِكَابِ مَا يَرْجُوكُمْ .  
وَلِإِنَّ مِمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ أَنَّهُ قَالَ لَكُمْ : آمِنُوا بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، وَاتَّبِعُوهُ لَتُنْفِلِحُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،  
وَتَسْتَوْجِبُوا الزُّلْفَانِي وَالْحَسَنِي ، وَتَتَخَلَّصُوا مِنَ الْبُلُوْى وَالْمُهْوَى .

(١) اعترف لهم أي عرف لهم هذا السبل وأشاد به .



قوله جل ذكره : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ  
بِالْحَقِّ وَيَتَذَكَّرُونَ﴾

م الذين سبقت لهم الناية ، وصدقت فيهم الولاية فبقوا على الحق من غير  
تحريف ولا تحويل ، وأدركهم الرحمة السابقة ، فلم تنطرق إليهم مفاجأة تغير ،  
ولا خفي تبديل .

قوله جل ذكره : ﴿وَقَطَعْنَا مِنْهُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيطًا  
أُتْمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ  
قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ  
فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَانَا عَشْرَةَ عَيْنًا  
قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِيبَهُمْ  
وَوَضَّعْنَاهُمْ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ ، وَأَنزَلْنَا  
عَلَيْهِمُ الْمَنِّ وَالسَّلْوى كُلَّاءَ مِنَ  
طِيَارٍ مَّا رَزَقْنَاهُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا  
وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

فرقمهم أصنافاً ، وجعلهم في التخریب أخياراً ، ثم كفاهم ما أمهم ، وأعطاهم ما لم يكن لهم  
بد منه فيما نأبهم ؛ فظلمنا عليهم ما ظلم أذى الحر والبرد ، وأنزلنا عليهم العن والسوى  
مما نقي عنهم تصب الجوع والجهد والسى والكد ، وجفنا لهم العيون عند النزول حتى كانوا  
يشاهدونهم عياناً ، وألقينا بقلوبهم من البراهين ما أوجب لهم قوة اليقين ، ولكن ليست  
البيزة بأفضل المخلوق ولا بأعالم أئمة المدار على مشيئة الحق ، سبحانه وتعالى فيما يخص عليهم  
من فنون أحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ قِيلَ لِمَ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُّوا  
مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا  
الْبَابَ سَجْدًا تَنفِرُ لَكُمْ خَطِيبَاتٌ نَّكُمْ  
مِّنْزِيلِ الْمُحْسِنِينَ﴾

يُخبر عما ألزمهم من مراعاة الحدود ، وما حصل منهم من تقص العهود . وعما ألزمهم من التكليف ، ولتألم به من صنوف التعريف ، وإكراهه من ( شاء )<sup>(١)</sup> منهم بالتزويق والتصديق ، وإذلاله من شاء منهم بالخذلان وحرمان التحقيق ، ثم ما عاقبهم به من فنون البلاء فالتوا تعريفاً ، وأذاقهم من سوء الجزاء ، حكماً — من الله — حياً ، وقضاء جزماً .

قوله جل ذكره : ﴿ قَبِّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ

الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ <sup>(٢)</sup> بَمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾

جاء في التفسير أنهم زادوا حرفاً في الكلمة التي قيلت لهم فقالوا : حنطة بدل « حقة » فلقوا من البلاء ما لقوا تعريفاً أن الزيادة في الدين ، والابتداع في الشرع عظيم الخطر ، ومجاوزة حد الأمر شديد الضرر .

ويقال إذا كان تغيير كلمة هي عبارة عن التوبة يوجب كل ذلك العذاب — فإي الظن بتغيير ما هو خبر عن صفات للعبود ؟

ويقال إن القول أنقص من العمل بكل وجه — فإذا كان التغيير في القول يُوجب كل هذا . فكيف بالتبديل والتغيير في الفعل ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَوَسَّاهُمْ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ

حَاضِرَةً الْبَحْرَ إِذْ يَمْشُونَ فِي الْمَسْجِدِ

إِذْ تَأْتِيهِمْ رِجَّتُهُمْ يَوْمَ سُبُحَتُمْ شَرْعًا

وَيَوْمَ لَا يَسْتَسْقُونَ وَلَا تَأْتِيهِمْ كُنُفٌ

يَبْلُغُهُمْ بَمَا كَانُوا يَسْكُونُونَ ﴾

كان دينهم الأخذ بالتأويل ، وذلك رَوَّحَانُ — في التحقيق<sup>(٣)</sup> ، وإن الحقائق تأتي

(١) سقطت ( شاء ) وقد أتيتهما قياساً على ما حدث فيها بعد .

(٢) سقطت ( من السماء ) من النسخ .

(٣) تأمل مفهوم ( التأويل ) عند القسري ، وكيف يفرقه إذا كان إطلاقاً .

إلا الصديق ، وإن التمرج في أوطان المخطوط والجنوح إلى محنلات الرخص فتح لا كيد  
مواثيق الحقيقة ، ومن شاب شوب له ، ومن سقى صني له .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَسْلَهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

الحقائق — وإن كانت لازمة — فليست للمبد عند لوازم الشرع عاذرة <sup>(١)</sup> بل الوجوب يقتض شرعاً ، وإن كان التقدير غالباً بكل وجه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنحَنَّا الَّذِينَ نَهَوْا عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

إذا تعادى المبد في تهتكه ، ولم يبالي بطول الإمهال والستر لم تهبل يد التقدير عن استئصال العين ، وعو الأثر ، وسرعة الحساب ، وتمجبل المذاب الأدنى قبل هجوم الأكبر . ثم البرى في فضاء السلامة ، وتمت ظل الحفظ ، ودوام روح التخصيص ويرد عيش التريب .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ قَالُوا هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُمْ كَانُوا فِيكُمْ مَخْفُونًا كُنُوا فِيهِمْ مَخْفُونًا كَمَا كُنْتُمْ فِي الْكُفْرِ ﴾

إذا انتهت مدة الإمهال فليس بعده إلا حقيقة الاستئصال ، وإذا سقط المبد من عين الله لم يتمش بعده أبداً ، فن أسقطه حكم المالك فلا قبول له بعد الرد ، وفي مناه أنشدوا :

إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم نكده إليه بوجه آخر الدهر تقبل

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ التَّلَافِ مَنْ يَأْمُرُهُمْ سُوءَ

(١) أى لا يلغى نصره الحقيقة على حساب التهمة بحال .

العذاب ، إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ  
وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٦﴾

إذا الحقُّ — سبحانه — أمضى سَفَتَهُ بالإفْئادِ وتقديمِ التَّعْرِيفِ بما يستحقُّه كُلُّ أَحَدٍ  
على ما يحصل منه من الآثارِ إِبْدَاءً لِلْعَمَلِ — وَإِنْ جَلَّتْ <sup>(١)</sup> رُبَّتُهُ عَنْ كُلِّ عَمَلٍ — فَإِنْ يَنْتَجِعُ فِيهِمْ  
الْقَوْلُ وَإِلَّا دَمَّرَ عَلَيْهِمُ بِالْعَذَابِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَنُفِثْنَا فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ  
الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَرَرْنَاهُمْ  
بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup>

أَجْرَاهُمْ عَلَى مَا عِلْمُ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ مِنْ صَلاَحٍ وَسَدَادٍ ، وَمَعَايِمْ وَفَسَادٍ . ثُمَّ ابْتِلَاهُمْ  
بِفِتْنَةِ الْأَفْعَالِ مِنْ عَمَلِ أَزْوَاجِهِمْ ، وَمِنْ مَنِّ أَتْلَاحِهِمْ ، وَطَالِبِهِمْ بِالشُّكْرِ عَلَى مَا أُسْدَى ، وَالصَّبْرِ  
عَلَى مَا أُبْلِيَ ، لِيُظْهَرَ لِمَلَائِكَتِهِ وَانْتِلَاقِ أَجْمَعِينَ جَوَاهِرَهُمْ فِي انْتِلَافٍ وَالْوَفَاقِ ، وَالِإِخْلَاصِ  
وَالنَّفَاقِ ، فَأَمَّا الْحَسَنَاتُ فَهِيَ مَا يُشْهِدُهُمُ الْمُجَرِّي ، وَلَا يُلْهِمُهُمُ الْعَبْدِيُّ ، وَأَمَّا السَّيِّئَاتُ  
فَالْتَرَدُّ بَيْنَ الْإِنْجِيزِ وَالْتَأْخِيرِ ، وَالِإِيَابَةِ وَالتَّقْصِيرِ .

وَيُقَالُ الْحَسَنَةُ أَنْ يُشْهِدَكَ نَفْسُكَ ، وَالسَّيِّئَةُ أَنْ يُشْهِدَكَ نَفْسُكَ .

وَيُقَالُ الْحَسَنَاتُ بِنَسِيرٍ وَقَتْرٍ مِنَ الْغُلَّاتِ خَالٍ يُوَسِّمِلُ يَوْمَ عَنِ الْأَلَاتِ بَأْسَ . وَالسَّيِّئَاتُ  
الَّتِي ابْتِلَاهُمْ بِهَا غُفْلَانٌ حَاصِلٌ وَحَرَمَانٌ مُتَوَاصِلٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا  
الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا  
الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا لَنَا ﴾

اسْتَوْجِبُوا الْقَدَمَ بِقَوْلِهِ — سبحانه : « فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ » لَأَنَّهُمْ آثَرُوا الرِّعْضَ <sup>(٣)</sup>

(١) وردت ( حلت ) بالهاء وهي خطأ في النسخ .

(٢) أخطأ الناسخ إذ كتبها ( لعلهم يرجعون ) .

(٣) وردت ( الأرض ) وهي خطأ في النسخ فلعلها ( عرض ) مذكورة في الآية .

الأدنى ، وركنوا إلى عجل الدنيا ، وجعلوا نصيبهم من الآخرة للى فقالوا : « سيفر لنا » .  
ويقال من أمارات الاستمراج ارتكـلبُ الزلة ، والاغترارُ بزمان المهلة ، وحمـلُ تأخيرِ  
العقوبة على استحقاق الوصلة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ ﴾  
أخبر عن إصرارهم على الإغترار بالئى ، وإثـار متابعة الهوى .

قوله جل ذكر : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ  
أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾

استفهم فى معنى التقرير<sup>(١)</sup> ، أى أمروا ألا يصيغوا الحق إلا بنمت الجلال ، واستحقاق  
صفات الكمال ، وألا يتحاكوا عليه بما لم يأت منه خير ، ولم يشهد بصحته برهان ولا نظر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ، وَالنَّارُ الْآخِرَةُ  
خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يعنى تحقّقوا بمضمون الكتاب ثم جحدوا بعد لوح البيان وظهور البرهان . يعنى التعرضُ  
لنفضات فصله — سبحانه — خيرٌ لمن أملَّ جوده من مقاساة التنب عن بدّل —  
فى تحصيل هواء — مجهوده .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ يُسْكِنُونَ بِالْكِتَابِ  
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾

يسكون بالكتاب إيماناً ، وأقاموا الصلاة إحساناً ، فبالإيمان وجدوا الأمان ، وبالإحسان  
وجدوا الرضوان ، فالأمان مصـلٌ والرضوان مؤجل . ويقال « يسكون بالكتاب » سبب  
النـجاة ، وإقامة الصلاة تحقق المنـجاة . فالنـجاة فى المآل وللنـجاة فى الحال .

ويقال أفرد الصلاة هاهنا بالذكر عن جملة الطاعات ليعلم أنها أفضل العبادات بعد معرفة  
الذات والصفات .

(١) وردت (التقدير) بالمال ومع خطأ فى النسخ لأن المعنى يرفضها ، والاستعفاء التبريرى مصطلح بلاغى

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الصَّالِحِينَ ﴾

مَنْ أَمَلَ سَبَبَ إِضَاعَتِنَا لَمْ تَحْبِرْ لَهُ صَفَقَةً ، وَلَمْ تَحْقِيقْ <sup>(١)</sup> لَهُ فِي الرَّجَاءِ رَفَقَةً ، وَيَقَالُ مَنْ قُلُ  
(... ) <sup>(٢)</sup> إِلَى بَابِهِ قَدَمَهُ لَمْ يَتَدَرَّمْ فِي الْأَجَلِ نِصَمَهُ ، وَمَنْ رَفَعَ إِلَى سَاحَاتِ جُودِهِ حِمَمَهُ  
نَالَ فِي الْحَالِ كَرَمَهُ

وَيَقَالُ مَنْ تَوَصَّلَ إِلَيْهِ بِجُودِهِ نَالَ فِي الْفَارِينِ شُرَكَاهُ . وَمَنْ اكْتَفَى بِجُودِهِ <sup>(٣)</sup> كَانَ اللَّهُ  
عَنْهُ خَلْفَهُ :

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ نَسْتَفْتِي الْأَجَلِ فَوَقَّعْ كِتَابَهُ  
ظُلَّةً وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا  
مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ، وَادْكُرُوا مَا فِيهِ  
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

لَيْسَ مِنْ بَاقِي طَوْعًا كُنْ بَاقِي جَبْرًا ، فَإِنَّ الَّذِي يَأْتِي قَهْرًا لَا يَبْرُقُ لِحَقِّ — سُبْحَانَهُ —  
قَدْرًا ، وَفِي مَنَاهِ أَنْشَدُوا :

إِذَا كَانَ لَا يَرْضِيكَ إِلَّا شَفَاعَةٌ      فَلَآخِرٍ فِي وَدَّ يَكُونُ لَشَافِعٍ  
وَأَنْشَدُوا :

إِذَا أَنَا عَاتَيْتُ الْمُلُوكَ فَإِنَّمَا      أَخْطُ بِأَفْلَاسِي عَلَى الْمَاءِ أَحْرَمًا  
وَهَنِيهِ أَرْعَوَى بَعْدَ الْعَنَابِ      أَلَمْ يَكُنْ تَوَدُّهُ طَيْبًا ، فَصَارَ تَكَلُّفًا ؟  
وَيَقَالُ قَصَارَى مِنْ آتَى خَيْرًا أَنْ يَنْكُصَ عَلَى عَقْبِهِ طَوْعًا ، كَنَفِكَ لَمَّا قَابَلُوا الْكِتَابَ  
بِالْإِجْبَارِ مَا لَبِثُوا حَتَّى قَابَلُوهُ بِالْتَّحْرِيفِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ

(١) وَرَدَتْ ( تَحْقِيقُ ) وَهِيَ خَطَأٌ فِي النَّسْخِ لِأَنَّ الْمَعْنَى يَرْضَاهَا .

(٢) مُشْتَبِهَةٌ وَرَبَّمَا كَانَتْ ( فِي الْعَاجِلِ ) .

(٣) الْأَصُوبُ أَنْ تَكُونُ هَذِهِ ( بِوُجُودِهِ ) أَيْ مِنْ فَنَى عَنْ نَفْسِهِ وَيَعْنِي بِالْحَقِّ كَانَ الْحَقُّ عَنْهُ خَلْفَهُ .

ظهورهم ذرئتهم وأشهدهم على  
أفئسهم ألتُ برئكم؟ قالوا:  
بلى، شهدنا أن قولوا يوم القيامة  
إننا كنّا من هذا غافلين • أو قولوا  
إنما أشرك آبائنا من قبل وكُنّا  
ذرية من بعدهم أفهللنا بما فعل  
الْمُبْطِلُونَ؟ ﴿١٠﴾

أخبر بهذه الآية عن سابق عهد، وصادق وعده، وتأكيدهم عنانج<sup>(١)</sup> وده، بتعريف  
عبد، وفي معناه أنشدوا:

سُبْحًا لِّلَيْلَى وَاللَّيَالَى الَّتِي كُنَّا يَلَيْلَى نَلْتَقِي فِيهَا  
أَعْدَبَكَ بِلْ أَيْلُمُ دَهْرَى كَلَامَا يَفْدِينْ أَيْامَا عَرَفْتُكَ فِيهَا

ويقال فأجابهم بتحقيق العرفان قبل أن يقع لمخلاق عليهم بصراً، أو ظهر في قلوبهم  
لمصنوع أثر، أو كان لهم من حميم أو قريب أو صديق أو شقيق خير، وفي معناه أنشدوا:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى وَصَادَتْ قَلْبِي قَارِعًا فَنَمَكُنَّا

ويقال جمعهم في الخطاب ولكنه قرّتهم في الحال . وطائفة خاطبهم بوصف القرية  
فصرّهم في نفس ما خاطبهم، وفرقة أبقاهم في أوطان النية فأقصاهم عن نيت العرفان وحجبهم .

ويقال أقوام لا علمهم في عين ما كشفهم فأقروا بنيت التوحيد، وآخرون أبعدهم  
في نفس ما أشهدهم فأقروا عن رأس الجحود .

ويقال وتسم بالجلل قوماً فالزمهم بالإشهاد ببيان الحجة فأكرمهم بالتوحيد، وآخرين  
أشهدهم واضح الحجة (....) (٧)

(١) الساج حبل يشد في أسفل الحمار المطوية (التجديد) .

(٢) لا بد أن معنا عبارة سابقة .

ويقال بحمل التورم فتولى تعرضهم قتالوا : « بلى » من حاصل يقين ، وتَمَرَّزَ عن آخرين  
فأثبتهم في أوطان الجسد قتالوا : « بلى » من ظنر ونخين .

ويقال جمع المؤمنين في الأسماء ولكن فايز بينهم في الرتب ؛ فَعَدَبَ قلوب قوم  
إلى الإقرار بما أظلموا فيه من البَاطِل ، وأُنطق آخرين بصدق الإقرار بما أشهدهم من البيان  
وكشفهم به من الأسرار .

ويقال فرقة رَدَّم إلى الهيبة فهموا ، وفرقة لا ظفم بالقرية فاستقاموا .  
ويقال عرفت الأولياء أنه مَنْ هو فتحققوا بتخليصهم ، ولَبَّسَ على الأعداء فتوقفوا  
لمجرة عقولهم .

ويقال أسمعهم وفي نفس ما أسمعهم أحضرهم ، ثم أخذهم عنهم فيما أحضرهم ، وقام عنهم  
فأنطقهم بحكم التعريف ، وحفظ عليهم — بحسن التولى — أحكام التكليف<sup>(١)</sup> وكان  
— سبحانه — لم مُكَلَّفًا ، وعلى ما أَرَادَهُ مُعَرَّفًا ، وبما استخلصهم له مُعَرَّفًا ، وبما رَقَمَ  
إليه مُشَرَّفًا .

ويقال كشف قوماً — في حال الخطاب — بجماله فطوحهم في هيان حبه ، فاستمكنت  
مخالبهم في كوامن أسرارهم ؛ فأخافوا سمعوا — اليوم — سماعاً نهجت ( تلك الأحوال ،  
فالازعاج الذي يظهر فيهم لِتَذَكُّرِ ما سَلَفَ لهم )<sup>(٢)</sup> من المهد المتقدم<sup>(٣)</sup> .

ويقال أسمع قوماً بشاهد الروية فأحصاهم من عين الاستشهاد فأجابوا عن عين التحقيق ،  
وأسمع آخرين بشاهد الروية فحاصم من التحصيل فأجابوا بوصف الجود .

ويقال أظهر آثار العناية بسماء حين اختص بالأنوار التي رشت عليهم قوماً ، فَنَنَ  
حرمة تلك الأنوار لم يجهل أهل القوصلة ، ومن أصابته تلك الأنوار أُنْصَحَ بما خَصَّ به من  
غير مقاسة كلفة .

(١) لاحظ مدى إلحاح التشديد على التزام أحكام التكليف ما سمعت له مناسبة .

(٢) ما بين القوسين مذكور في الهامش ابتداء في مرضه من النفس حسب اللامات الميزة

(٣) من هذا وما تلاه يوضح كيف ارتبطت الولاية بالغيرة والاجتهاد والمحاسبة منذ يوم القدر  
وكذلك الشأن في العاودة .



قوله جل ذكره : ﴿ وَكَفَّكَ نَفْسُ الْآيَاتِ وَلَمْلَهُمْ  
يَرْجُونَ ﴾

إذا سُدَّتْ<sup>(١)</sup> عيونُ البصائر فما ينفع وضوحُ الحقِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ  
آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَيْهِ الشَّيْطَانُ  
فَكَلَنَ مِنَ الْغَالِينَ ﴾

الحقُّ — سبحانه — يظهر الأعداء في صدارِ الخَلْقِ ثم يردُّهم إلى سابقِ القسمة ، ويُبرِّزُ  
الأولياء بنصِّ الخَلْقِ والذُّلَّةِ ، ثم يَنْسَلِبُ عليهم مقسومات الوصلة .

ويقال أُلْقِيَ في محلِّ القربة ، ثم أُبرِزَ له من مكانٍ المكْرَمِ أعداءُ له من سابقِ التقدير ؛  
فَأَصْبَحَ وَالْكُلُّ دُونَهُ رَتْبَةً ، وَأَمْسَى وَالْكَلْبُ فَوْقَهُ — مع خُسائنه ، وفي معناه  
أَشْدُّوا :

فِينَا بِخَيْرٍ وَالَّذِي مَطْمَئِنَةٌ وَأَصْبَحَ يَوْمًا — وَالْإِمَانُ تَقَلُّبًا  
ويقال ليست المِيزَةُ بما يُلَوِّحُ في الحال ، إِنَّمَا المِيزَةُ بما يَثْبُتُ إِلَيْهِ فِي الْمَالِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾

لَوْ سَاعَدْتَهُ الْمَشِيتَةُ بِالسَّاعِدَةِ الْأَزَلِيَّةِ لَمْ تَلْحَقْهُ الشَّقَاوَةُ الْأَبَدِيَّةُ ، وَلَكِنْ مِنْ قَصْمَةِ  
الْهَوَائِقِ لَمْ تَنْسَهُ الْوَاقِقُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾

إِذَا كَانَتْ مَسَاكِنُهُ أَدَمَ لِلْجَنَّةِ وَطَمَعُهُ فِي الْخُلُودِ فِيهَا أَوْجَبَ خُرُوجَهُ عَنْهَا ، فَالْكَوْنُ  
إِلَى الدُّنْيَا — مَنَى يُوْجِبُ الْبَقَاءَ فِيهَا ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾

مُؤَاظَةُ الْهَوَى مُتَّبِعُ صَاحِبَاتِهِ مِنْ سَمَاءِ الْوَعْدِ إِلَى تَرَابِ الْقُلِّ ، وَتَلْقِيهِ فِي وَغْدَةِ الْمَوَانِ ؛  
وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ عِلْمًا فَمَنْ قَرِيبٍ يَقَاسِيهِ وَجُودًا .

---

(١) وودت ( شدت ) والتي يرفضها ويدعو أن الناسخ قد حسب ضمة السين ثلاث تنطق  
انظر ( ولولا انسداد البصائر ص ٥٨٩ من هذا المجلد ) .

قوله جل ذكره : ﴿ فَتَنَّهُ كَتَلَرُ الْكَلْبِ ﴾

من أخلاق الكلب التعرض لِمَنْ يُفَعُّهُ على جهة الابتداء ، ثم الرضاء عنه بلقمة ..  
كذلك التي ارتدت عن طريق الإراقة يصدر ضيق الصدر ، سيء الخلق ، يبدأ بالجفاء  
كُلُّ يرى ، ثم يبدأ طيائره بنبيل كَلُّ عَرَضِي خبيس .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَعْمَلْ عَلَيْهِ يَنْهَثْ أَوْ تَرَكَهْ

يَلْهَثْ فَذَكَ مَقْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ

لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

المحجوب عن الحقيقة عنده الإساءة والإحسان<sup>(١)</sup> ، فهو في الحالين : إما  
صاحب صَجَرٍ أو صاحب بَطَرٍ ؛ لا يحمل الحنة إلا على زوال البوة ، ولا يقابل<sup>(٢)</sup> النعمة إلا  
بالنسيئة ، فهو في الحالين محجوب عن الحقيقة .

ويقال الكلب نجاسته أصلية ، وخسانته كلية ، كذلك للردود في الصفة ذلة قصان  
التيبة وحرمان التسمية .

قوله جل ذكره : ﴿ سَاءَ مَثَلًا<sup>(٣)</sup> الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا

بِآيَاتِنَا وَأُفْسَسَ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾

أي صفته أدنى من نعت من يُعْلَى بالإعراض الأزلَى ، وأي نعتٍ أعلى من وصف من  
أَكْرَمَ بالقبول الأبدى ؟ وأي حيلة تنفع مع مَنْ يخلق الحيلة ؟<sup>(٤)</sup> وكيف تصيح الوسيلة إلا  
لمن منه الوسيلة ؟

(١) (سيان) زياد أخفاها ليستقيم بها والمعنى ويتقوى .

(٢) وردت (ولا يقال) ومعنى خطأ في السخ والمعنى يطلب (ولا يقال) .

(٣) أخطأ الناسخ إذ كتبها (مثلاً) .

(٤) تعرف من مذهب التشبهي أن (الحيلة) تنصرف إلى الإنسان ، وهو هنا يهروا أن الحيلة من خلق  
الحق ، وبهذا يتأكد انجماه الكلاسي نحو جبل الله خالق كل شيء حتى أكتاب التباد .



وبين هواجس النفس وسواس الشيطان ، ولم أهدن لا يُبصرون بها شواهد التوحيد  
وعلامات اليقين ، فلا ينظرون إلا من حيث الغفلة ، ولا يسمعون إلا دواهي الفتنة ،  
ولا ينصرون إلا مع من سلك وركب الشهوة .

« أولئك كالأنعام بل هم أضل » : لأن الأنعام قد رُفِعَ عنها التكليف ، وإن لم يكن  
لها وفاقُ الشرع . فليس منها أيضاً خلاف الأمر .

والأنعام لا يَبْهتها إلا الاعتلاف ، وما تدعو الحيلة من مباشرة الجنس ، فكذلك من أقيم  
بشواهد نفسه وكان من المربوعين بأحكام النفس ، وفي مثله أشدوا :

نهلك يا مغرور سهو غفلة      وليك نوم والردي لك لازم  
وسميك فيها سوف تكروه فيه      كذلك في الدنيا تمشي البهائم

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ،

وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ

سَيُجْزَوْنَ<sup>(١)</sup> مَا كَانُوا يَسْلُونُ ۝

سبحان من تُعرف إلى أولياته بنعوته وأسمائه فسرهم أنه من هو ، وبأى وصف هو ،  
وما ألوجب وصفه ، وما الجائز في نعته ، وما الممتنع في حقه وحكمه ، فتجلى لقلوبهم بما يكاشفهم  
به من أسمائه وصفاته ، فإن القول بحجوبة عن المجهوم بذواتها لما يصح إطلاقه في وصفه ،  
وإن كانت واقعة على الواجب والجائز والممتنع في ذاته ، فثقل العرفان بالجملة ، وبالشرح  
الإطلاق والبيان في الإخبار ، والقول فيها توكد به التوفيق يطلعني ، وما سكنت عنه التوفيق  
يُمتنع . ويقال من كان الغالب عليه وصف من صفاته ذكره بما يقتضيه هذا الوصف ؛  
فمن كان مكاشفاً بطلانه<sup>(٢)</sup> ، مربوط القلب بأفضاله فالثالب على ظلاله لثناء عليه بأنه الوهاب  
والبار والمُعطي وما جرى مجراه . ومن كان مجنونا عن شهود الإنعام ، مكاشفاً بنعت الرحمة

(١) أغلقت التاسع إذ زاد واو قبل ( ما كانوا ) والصواب بدونها .

(٢) وردت ( بطلانه ) بالين والصواب أن تكون ( بطلانه ) بدليل ( افضاله ) و ( الإنعام ) فيها بد  
فضلا من الأسماء والصفات الإلهية المختارة ( الوهاب والبار والمُعطي ) .

فانزى ينزل على ذكره وصفه بأنه الرحمن والرحيم والكريم وما في معناه . ومن تحت رحمته  
عن شهود وجوده ، واستهلك في حقائق وجوده فالتألب على لسانه الحق . ولذلك فأكثر  
أقوال العلماء في الإخبار عنه : « الباري » لأنهم في الترقى في شهود الفعل إلى شهود الفاعل .  
وأما أهل المعرفة فالتألب على لسانهم « الحق » لأنهم <sup>(١)</sup> « حَقَّتْهُنَّ عَنْ شُهُودِ الْآثَارِ ، مُتَحَقِّقُونَ بِحَقَائِقِ الْوُجُودِ » .

ويقال إن الله — سبحانه — وقف الخلق بأسمائه فهم يذكرونها قائلة ، وتمزج بذاته ،  
والمقول — وإن صفت — لا تهجم على حقائق الإشراف ، إذ الإدراك لا يجوز على الحق ؛  
فالمقول عند بوايه الحقائق متقنة بنقاب الخبرة عند التعرض للإحاطة ، والمعارف تأية عند  
قصد الإشراف على حقيقة اللات ، والأبصار حسيمة عند طلب الإدراك في أحوال الرؤية ،  
والحق سبحانه عزيز ، ويستحق تعوت التعالى مُتَفَرِّدٌ <sup>(٢)</sup> .

قوله « وفروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » : الإلحاد هو الميل  
عن التقصد ، وذلك على وجهين بالزيادة والتقصان ؛ فأهل التمثيل زادوا فألحدوا ، وأهل التعطيل  
تقصروا فألحدوا <sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْ خَلْقِنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ  
وَبِهِ يَحْكُمُونَ ﴾

أجرى الحق — سبحانه — سنته بالألّا يُخْلَى البسيطة من أهل لما هم النيات وبهم دوام  
الحق في الظهور ، وفي معناه قالوا :

إذا لم يكن قطبٌ فمن ذا يديرها ؟

فهذا بهم بالحق أنهم يهتدون إلى الحق ، ويدلون على الحق ، ويحركون بالحق ، ويسكنون

(١) وودعت ( إليهم ) ولا معنى لها في السياق والثواب أن تكون ( لأنهم ) ،  
(٢) يلح القشيري على هذا المعنى دائماً فيقول في تحديد الرغائ ( تارة من الدرك والوصول ، ليس بين  
الحق إلا عرفان الحقائق تمت التماثل في شهود أفعاله ، فاما الوقوف على حقيقة إنته جلت الصدية عن  
شراف عرفان عليه ) الطائفة ( م ) ص ٢٩٨ .  
(٣) ( لا تميل ولا تعطيل ) هذا أصل من أصول المذهب السكلاي عند هذا الإمام .

الحق بالحق، وهم قاثون بالحق، يصرفهم الحق بالحق أولئك هم غيث الخلق، بهم يُسقون إذا تمهلوا، ويُمطرون إذا أجدبوا، ويُجكأون إذا دهموا<sup>(١)</sup>.

قوله جل ذكره: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَسْتَجِيبْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَسْلَمُونَ﴾ وأمثل لم إن كيدى متين

الاستدراج أن يلقى في أوهامهم أنهم من أهل الوصلة، وفي الحقيقة: السابق لم من القسمة حقائق الفارقة.

— ويقال الاستدراج انتشار الصبب بالغير في الخلق، والانتواء على الشر — في السر — مع الحق.

ويقال الاستدراج ألا يزداد في المستقبل محبة إلا ازداد في الاستحقاق تقصان وتبة.

ويقال الاستدراج الرجوع من قوم صفاء الحال إلى وكوب قبيح الأعمال، ولو كان صادقاً في حاله لكان مضموماً في أعماله.

ويقال الاستدراج دعوى عريضة صدرت عن معان مريضة.

ويقال الاستدراج إغافة البر مع (... )<sup>(٢)</sup> الشكر.

قوله جل ذكره: ﴿وَأَوْ لَمْ يَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِجَّةٍ﴾ إن هو إلا نذير مبين

أولم يتأملوا بأنوار البصائر ليشهدوا أخلاق آكلو التتريب بحجة أحواله — عليه السلام — ليعلموا أن ذلك الشاهد ليس بشاهد متخلص.

ويقال إن برود<sup>(٣)</sup> التواصلة — صلوات الله عليه وعلى آله — كانت بنسب القرية

(١) هذه نظرة التشييع إلى الولاية والأولياء ومعنى القطب وأبعث.

(٢) مشتقة.

(٣) جمع مبرود.

مطرة<sup>(١)</sup>، ولكن لا يترك ذلك النشر إلا يشم العرفان، فمن فقد ذلك — فأى خبر<sup>(٢)</sup> له من حقيقة حاله — صلوات الله عليه.

قوله جل ذكره: ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾

أطلع الله — سبحانه — أقدار الآيات، وأماط عن ضيائها سحاب الشهوات، فمن استضاء بها ترقى إلى شهود القدوة.

ويقال ألاح الله تعالى — لتلعب الناظرين ببيوت الفكر — حقائق التحصيل؛ فمن لم يرجع في أوطان التقصير أنزلته مراكب السرِّ بساحل التحقيق.

قوله جل ذكره: ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ

أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾

الناس في مغالط آمالهم ناسون لو شيك آجالهم، فكم من ناسج لأكفائه، وكم من بان لأعدائه، وكم من زارع لم يحصد زرعه!

هيات! السكبش يتلف والنصاب مستعد له!

ويقال سرعة الأجل تنقص لذة الأمل.

قوله جل ذكره: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ

فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

من حرمه أنوار التحقيق فهو في ضباب الجهل، فهو يزل يميناً ويسقط شمالاً.

قوله جل ذكره: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا

قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا

لَوْعَاهَا إِلَّا هُوَ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ، يَسْأَلُونَكَ

(١) وردت ( مطرة ) بضم العين ، والسياق يتطلب ( مطرة ) لتناسب النسيم والشم والشمس

(٢) وردت ( خير ) والمقصود فأى ( خير ) أى فأى علم له من حقيقة المصطفى ( مر ) .

كَأَنَّكَ تَحْيِي فِيهَا قُلُوبًا مَا يَعْلَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ،  
وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾

السائل عن الساعة رجلان ؛ مُتَكَبِّرٌ يَتَجَبَّبُ لِفَرْطِ جَهْلِهِ ، وَعَاطِفٌ مُشْتَاتٌ يَسْتَجِلُّ لِفَرْطِ شَوْقِهِ ، وَالْمُخَضَّقُ بِوُجُودِهِ سَاكِنٌ فِي جِلْهِ ؛ فَيُنِيبُ عِنْدَهُ قِيَامَ الْقِيَامَةِ وَدَوَامَ السَّلَامَةِ .  
ويقال الحق - سبحانه - استأثر بعم الساعة ؛ فلم يُطْلِعْ عَلَى وَقْعِهَا نَبِيًّا وَلَا صَفِيًّا ،  
فَالْإِيمَانُ بِهَا غَيْبِي ، وَتَقِينُ أَهْلَ التَّوْحِيدِ صَادِقٌ <sup>(١)</sup> عَنْ شَوَائِبِ الرَّيْبِ . ثُمَّ مُعْجَلُ قِيَامَتِهِمْ  
يُوجِبُ الْإِيمَانَ بِمُوجَلِّهَا <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْسًا وَلَا ضَرًّا  
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ  
الْغَيْبَ لَاسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْغُيُوبِ ،  
وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ  
وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

أَمْرُهُ بِتَصَرُّجِ الْإِقْرَارِ بِالتَّهَرُّي عَنْ حَوْلِهِ وَمُنْتَبِهِ ، وَأَنْ قِيَامَهُ وَأَمْرَهُ وَنَظَامَهُ بِطَوْلِ رَبِّهِ  
وَمُنْتَبِهِ ؛ وَفَلَاكُ تَجَنُّسٍ عَلَى الْأَحْوَالِ ، وَتَغْتَلِفُ الْأَطْوَارِ ؛ فَمِنْ غَيْرِ <sup>(٣)</sup> بِمَسْنِيٍّ ، وَمِنْ  
بِسْرِ <sup>(٤)</sup> يَخْصِي ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ بِمَزَادٍ ، وَلَمْ يَكُنْ يَبْدُو غَيْرِي قِيَادِي لَتَشَابَهَتْ أَحْوَالِي  
فِي الْبَسْرِ ، وَلَتَشَابَهَتْ أَوْقَانِي فِي الْبَعْدِ مِنَ الْمَسْرِ .

قوله جل ذكره ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ  
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾

أَخْرَجَ النَّسَمَةَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَأَخْلَقَهُمْ مُخْتَلِفَةً ، وَهَمَّهُمْ مُتَبَايِنَةً ، كَمَا أَنَّ الشَّخْصَ مِنْ

(١) ربما كانت ( صاف ) في الأصل

(٢) القيامة المسجلة التي يشير إليها هي ( التي تقوم في اليوم غير مرة بالمعبر والنوى والفرق ) الطائفة  
(٣) ٣٥١ ، فالقصد من العبارة إذاً أن أهل المخصوص يؤمنون لإيمان يقين بالقيامة الموزعة لأنهم يسيرون  
ويؤمنون بالقيامة المسجلة ، وقد صدق التشبيهي إذ يقول في رسالته : ( فإنا لناس حبيب فلهم ظهور )  
الرسالة ص ١٩٨ .

(٤) وردت ( مصر ) . (٤) وردت ( يستر ) وقد صوبناهما ( مصر ويسر ) في ضوء ما قلنا .



نطفة واحدة وأعضاؤه وأجزاؤه مختلفة . فمن قدر على تنويع النطفة للنشأة أجزاؤها فهو القادر على تنويع أخلاق الخلق الذين أخرجهم من نفس واحدة .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ كُنْ إِلَّا إِلَهًا فَلِمًا تَتَّخِذُهَا حَبْلًا ۚ حَبْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثَمَلْتُمْ دَعَوْا اللَّهَ رَبِّهَا لَن آتَيْنَا مَا لَمْ لَنَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ ﴾

رد المثل إلى المثل ، وربط الشكك بالشك ، ليعلم المألون أن سكون الخلق مع الحق لا إلى الحق ، وكذلك أنسل الخلق من الخلق لا من الحق ، فخلق تعالى قدوس ، منه كل حظ للخلق خلقاً ، مفر من رجوع شيء إلى حقيقته حقاً

قوله جل ذكره ﴿ فَلَمَّا آتَيْنَاهَا مَا لَمْ جَلَّ لَهُ شُرَكَاءُ فِيمَا آتَاهَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ﴾  
شر الناس من ينهل إلى الله عند هجرم البلاء بخلوص الدعاء ، وشدة التضرع والبكاء ، فإذا أزيلت شكائهم ، ودُفِعت — بينيتهم — آفاته ضيع أوفاءه ، ونسي البلاء ، وقابل الرد<sup>(١)</sup> بتقصير العهد ، وأبدل العقد برفض الود ، أولئك الذين أبعدهم الله في سابق الحكم ، وخرطهم في سلك أهل الرد<sup>(٢)</sup>

قول لجل ذكره : ﴿ أَلَمْ يَشْرِكُوا مَا لَا بَخْلَاقُ شَيْئًا وَمَا يَخْلُقُونَ ۝ ﴾  
كما لا يجوز أن يكون الرب مخلوقاً لا يجوز أن يكون غير الرب خالقاً ، فمن وصف الحق بخصائص وصف الخلق فقد ألحد<sup>(٣)</sup> ، ومن نعت الخلق بما هو من خصائص حق الحق فقد جحد .  
قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَسْتَلِيمُونَ لَمْ نَعْرَظْ وَلَا نَنْهَيْهِمْ يَنْصُرُونَ ۝ ﴾

من حكم بأنه ليس في مقدور الحق شيء ( لو فعله اسم الجاهل طوعاً إلا فعله<sup>(٤)</sup> فقد

(١) ( الرد ) هو البطاء .

(٢) وردت ( الرد ) وهي خطأ في النسخ

(٣) ما بين القوسين جاء في النسخة المصورة هكذا ، وفيه غموض ربما نتأ عن خطأ في النسخ .

وصف بأنه لا يقدر على نصره قُضَاءُ أَلَى سَبَدِ الْجَداءِ ، ونعوذ بالله من الضلالة عن الرشاد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُكُمْ

سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدْمَوْتُمْ أَمْ أَمْتُمْ

صَلْتُمْ ﴾

المعبود هو القادر على هداية داعيه ، وعلم العبد بقدره معبوده موجب تربيته من حوله وقوته ، وإفراد الحق — سبحانه — بالقدره على قضاء حاجته ، وإزالة ضرورته فتتخلص من قصده الخلقى خطاه <sup>(١)</sup> ، وتقطع آماله عن غير مولاه .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ، فادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

إذا قُرِئَتْ الضرورة بالضرورة تضاعف البلاء ، وترادف السناء ؛ فالخلق إذا استعان بمخلوق مثله ازداد بعد مراده من التسخن . وكيف تشكون من هو ذو شكاية ؟ هيات ! إن ذلك خطأ من الظن ، وباطل من الحسبان .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ يَأْتِ الْيَهُودَ بِحُجَّةٍ مِنْ رَبِّهِمْ

أَيُّهَا يَهُودَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

يُبْعَثُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، أَمْ لَهُمْ آذَانٌ

يَسْمَعُونَ ﴾

بين هذه الآيات أن الأصنام التي عبدوها دونهم فيها اعتقدوا فيه صفة المدح ، ثم لم يعبد بعضهم بعضاً فكيف استجازوا عبادة ما فاقهم <sup>(٢)</sup> في النقص ؟

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كَيْفَ

يَنْصُرُونِ ﴾

(١) وودت (خطاؤه) والصواب أن تكون (خطاه)

(٢) وودت (قوتهم) والأرجح أنها ما (فاقهم) في النقص لأن الأصنام أقله قدراً من الإنسان ، حيث لا تملك يداً أو عيناً أو أذناً ، ولا تسمع ولا تفل ولا تفر ولا تنفع ، فإذا كل الإنسان مع ذلك موسوفاً بالنقص فالصنم أشد نقصاً .

صدق التوكل على الله يوجب ترك اللبلاء بغير الله ، كيف لا .. وللتفرد بالقدرة —  
على النفع والضرر ، والخير والشر — الله ؟

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ

وهو يتولى الصالحين » والذين تدعون

من دونه لا يستطيعون نصركم

وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿

مَنْ قَامَ بِحَقِّ اللَّهِ تَوَلَّى أَمْرَهُ عَلَى وَجْهِ الكِفَايَةِ ، فلا يفرجه إلى أمثاله ، ولا يَدْعُ شيئاً من أحواله إلاَّ أجراء على ما يريد به يَحْسُنُ أفضاله ، فإن لم يفعل ما يريد به جل العبد راضياً بما يفعل ، وروَّحَ الرضا على الأمر أتم من راحة العطاء على القلوب

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَدَى

لَا يَسْمَعُوا ، وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ

وَمَ لَا يُبْصِرُونَ ﴿

شاهدوه بأبصارهم لكنهم حُجِبُوا عن رؤيته ببصائر أسرارهم وقهوبهم فلمْ يُتَدَّ بِرُؤْيِهِمْ .

ويقال رؤية الأكبر ليست بشهود أشخاصهم ، لكن بما يحصل للقلوب من مكاشفات الغيب ، وذلك على مقادير الاحترام وحصول الإيمان .

قوله جل ذكره : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ

عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿

من خصائص سُنَّةِ اللَّهِ في الحكم أنه أمر نبيه — صلوات الله عليه وعلى آله — بالأخذ به ، إذ الخبير وَدَّ أَنْ الْمُؤْمِنَ أَخَذَ مِنْ اللَّهِ خُلُقاً حَسَنًا . وكلما كان الجرم أكبر كان العفو عنه أجمل وأكمل ، وعلى قَدَرِ عِظَمِ رتبة العبد في الحكم يتوقف العفو

من الأصاغر والاعظم، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الجراحات <sup>(١)</sup> التي أصابته في حرب أحد :  
« اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

قوله « وأمرُ بالرُفِّ » : أفضل العرف أن يكون أكل العطاء لأكثر أهل الجلاء ،  
وبذلك عامل الرسول - صلى الله عليه وعلى آله - الناس .

قوله : « وأعرض عن الجاهلين » : الإعراض عن الأخيار بالإقبال على من <sup>(٢)</sup>  
لم يزل ولا يزال ، وفي ذلك النجاة من الحجاب ، والتحقق بما يتقاصر عن شرحه  
الخطاب :

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ  
نَزْغٌ ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ  
عَلِيمٌ ﴾

إِنْ سَنَحَ فِي بَاطِنِكَ مِنَ الْوَسْوَاسِ أَتْرُ فاستعِذْ بِاللَّهِ يَدْرُكَكَ بِحَسَنِ التَّوْفِيقِ ، وَإِنْ  
هَجَسَ فِي صَدْرِكَ مِنَ الْخَطْلُوطِ خَاطِرٌ فَاستعِذْ بِاللَّهِ يَدْرُكَكَ بِإِزَالَةِ كُلِّ نَصِيبٍ ، وَإِنْ  
كَيْفَتْكَ فِي بَدَنِ الْجَهْدِ فَتَرَةٌ فَاستعِذْ بِاللَّهِ يَدْرُكَكَ بِإِدَامَةِ آلَامِهِ ، وَإِنْ اعْتَرَتْكَ فِي التَّرَقِّ  
إِلَى حِلِّ الْوُصُولِ وَضْعَةٌ فَاستعِذْ بِاللَّهِ يَدْرُكَكَ بِإِدَامَةِ التَّحْقِيقِ ، وَإِنْ تَقَاعَصَرَتْ عَنْكَ شَيْءٌ  
مِنْ خَصَائِصِ الْقُرْبِ - صِيَانَةٍ لَكَ عَنْ شُهُودِ الْحُلِّ - فَاستعِذْ بِاللَّهِ يُشِيتُكَ لَهُ بَدَلًا  
مِنْ لَكَ بِكَ <sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ  
طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا  
هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾

إِنَّمَا يَسُ لِلتَّقِيينَ طَيْفُ الشَّيْطَانِ فِي سَاعَاتِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ اسْتَدَامُوا

(١) وردت (الجراحات) بإلقاء زعمي خطأ في النسخ

(٢) وردت (ما لم يزل) وقد آثرنا (من لم يزل) لأن (من) هنا

(٣) تصلح هذه الفقرة وصية للمريد ، وتبين عن أسلوب التشير في الوصية من التابعين  
السوفية والأديبة .

ذكر الله بخلوبهم لما سبهم طائف الشيطان ، فإن الشيطان لا يقرب قلباً في حال شهوده الله ؛ لأنه ينخس عند ذلك . ولكن لكل صامر نبوة ، ولكل عالم هفوة ، ولكل عابدين شدة ، ولكل قاصد قرة ، ولكل سائر وقفة ، ولكل طوف حجة ، قال صلى الله عليه وسلم : « إنه ليغان على قلبي ... »<sup>(١)</sup> أخبر أنه يستريه ما يستري غيره ، وقال صلى الله عليه وسلم : « الحدة تغري خيار أمتي »<sup>(٢)</sup> ، فأخبر أن خيار الأمة — وإن جلت رتبته — لا يتخلصون من حدّ تغريهم في بعض أحوالهم ، فتخرجهم عن دوام الحلم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ خَوَّاهُمْ بِمُلْكِهِمْ فِي النَّارِ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾

إخوان الشيطان أرباب دوام الغيبة ؛ فهم في كمال الغفلة تنوم بهم المحبة ؛ فهم بلا زلة من لم يعلم ، أو ألم ولكن لم يُعير فهم خيلوه<sup>(٣)</sup> ، ومنهم من هفل واغتر ، وعلى دوام الغيبة أسر — فهم المحببون قطعاً ، والنجدة<sup>(٤)</sup> — من عمل القرب — صدأ<sup>(٥)</sup> ووداً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا ، قُلْ إِنَّمَا نَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ مِن رَّبِّي ، هَذَا بَصَائِرُ مِّنْ

(١) « إنه ليغان على قلبي فاستقر الله وأنوب إليه في اليوم مائة مرة » أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود واللساني ، وفي رواية لمسلم : « توبوا إلى ربكم فواتة إلى لأنوب إلى ربّي تبارك وتعالى في اليوم مائة مرة »  
ويقول صاحب الهمم : الذين اتقى كل ينوب منه الرسول مثله للآفة إذا تنس فيها الناظر فينسى من منوبها ثم تعود إلى حالة منوبها (الهمم ص ٤٥١) .  
(٢) قال (مر) : (أنى بئر أغضب كما يغضب البشر) الشيطان من أنى مرة وأحد ومسلم عن جابر  
(٣) من هنا يضح مدى انفساح الأمل أمام الصباة ، وكيف أن باب التوبة يفتح للأمل .  
(٤) وردت المبرودون وهي خطأ في النسخ  
(٥) وردت (صد) وهي خطأ في النسخ وقد تقدم معنى الصد والرد

رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

يَهْتَدُونَ ﴿١﴾

مَنْ شَهِدَ الْحَقَّ مَنْ حَيْثُ انْخَلَقَ سَقَطَ فِي مِهْوَاءٍ لِلْعَالِيَةِ ، فِي مَنَاحِلِ الشَّكِّ يَجُوبُ  
مَنَازِلَ الرَّبِّ ، وَلَا يَزْدَادُ إِلَّا عَمًى عَلَى عَمًى . وَمَنْ طَالَعَ الْخَلْقَ بَيْنَ تَصْرِيفِ الْقُدْرَةِ  
لِيَأْمَ تَحَقُّقَ بَأْتَمٍ لَا يَظْهَرُونَ إِلَّا فِي مَرَضِ اخْتِيَارِ الْحَقِّ لَمْ ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِنُورِ الْبَصِيرَةِ ،  
وَيَسْتَدِيمُ شُهُودَ التَّصْرِيفِ بِوَصْفِ السَّكِينَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ

وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

اسْتَمِعُوا بِسَمْعِ الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ ، وَأَنْصِتُوا ( بِسَوْنٍ ) الْخَوَاطِرَ عَنْ مَعَاضَاتِ  
الْإِعْتِرَاضِ ، وَمَطَالِبَاتِ الْاِسْتِكْشَافِ . وَمَنْ بَاشَرَ التَّحْقِيقَ سِرَّهُ لَازِمَ التَّصَدِيقِ قَلْبِيهِ .  
وَالْإِنْصَاتُ — فِي الظَّاهِرِ — مِنْ آدَابِ أَهْلِ الْبَابِ ، وَالْإِنْصَاتُ — بِالْإِسْرَافِ —  
مِنْ آدَابِ أَهْلِ الْبَسَاطَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نَعْتِ تَوَاصِي الْجَنِّ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ عِنْدَ شُهُودِ  
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « نَظَا حَضْرُوهُ فَاثْوَا أَنْصَتُوا » (١) ؛ فَإِذَا كَانَ الْحُضُورُ إِلَى  
الْوَاسِطَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْجِبُ هَذِهِ الْمُهِيبةَ فَتَزُومُ الْمُهِيبةَ وَحَفَظَ الْأَدَبَ عِنْدَ حُضُورِ الْقَلْبِ بِشُهُودِ  
الرَّبِّ أَوَّلَى وَأَحَقُّ ، قَالَ تَعَالَى : « وَخَشَمَتِ الْأَصْوَاتُ الرَّحْمَنَ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا » (٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَعِيكَ تَضَرُّعًا

وَرُخِيَّةً وَدُونَ الْجَبْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْقُدْرَةِ

وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ

الْمُتَعَالِفِينَ ﴾ (٣)

التَضَرُّعُ إِذَا كُوشِفَ الْعَبْدُ بِوَصْفِ الْجَلَالِ فِي أَوَانِ الْبَسَاطَةِ ، وَالرُّخِيَّةُ إِذَا كُوشِفَ بِنَعْتِ  
الْجَلَالِ فِي أَحْوَالِ الْمُهِيبةِ ، وَهَذَا لِلْأَكْبَارِ .

(١) آية ٢٩ سورة الاحقاف .

(٢) آية ١٠٨ سورة طه .

(٣) أصل النسخ اذ كتبها ( المتألفون )

فَأَمَّا مَنْ دُونَهُمْ فَتَنَوْعُ أحوالهم من حيث انطوف والرجاء ، والرغبة والرهبة . ومن فوق الجميع فأصحاب البقاء والفناء ، والصحو والنمو ووراءهم أرباب الحقائق مُشَبَّهُونَ في أوطان التمكن ، فلا تَلَوْنُ لهم ولا تَجَنُّسُ لقياسهم بالحق ، وامتثالهم عن شواهدهم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

عَنِ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ

يَسْجُدُونَ ۝

أثبت لهم عندية الكرامة ، وحفظ عليهم أحكام العبودية لتلايفك حال جمعهم عن نصت فرقتهم <sup>(١)</sup> ، وهذه سنة الله تعالى مع خواص عبادته ، يلقاهم بمقتضى عين الجمع ويحفظ عليهم حقائق عين التفرق لتلايفهم بآداب العبودية في أوان وجود الحقيقة <sup>(٢)</sup> .

## السورة التي تذكر فيها الأنفال

قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله إخبار عن قدرته على الإبداع والاختراع ، الرحمن الرحيم إخبار عن تصرفه بالإقناع وحسن الدفع ، فيقدره أوجد ما أوجد من مراده ، وبنصرته وحد من وحد

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ

لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۝

الأنفال هاهنا ما آل إلى المسلمين من أموال للمشركين ، وكان سؤالهم عن حكمها ، فقال

الله تعالى : قُلْ لَمْ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ مَلَائِكَةً ، ورسوله — عليه السلام — الْحُكْمُ فِيهَا بِمَا يَقْضِي بِهِ أَمْرًا وَشَرْعًا .

(١) وردت فوهم بالواو والصواب ( فرقتهم ) بالراء ، فالكلام عن الجمع والفرق .

(٢) لاحظ هنا كيف يلجج القشيري دائماً على عدم الإخلال بأي شرط من شروط العريضة منها أوّل

البعد في الفناء ، بل يعتبر حفظ الله لبعده في هذه المرحلة الخامسة علامة صدق الشد وآية خصوصيته .

قوله جل ذكره : ﴿ هَاقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ .

أى أجيئوا الأمر الله ، ولا تطيعوا ذواي منكم والحكم يعقبنى أحوالكم ، وابتنوا  
إيشار رضاه الحق على مراد النفس ، وأصلحوا ذات بينكم ، وذلك بالاسلاخ عن شح النفس ،  
ولإيشار حق الغد على مالككم من التعصب والحظ ، وتغنى القلوب عن خفايا الحسد والحقد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ :

أى فى الإجابة إلى ما يأتىكم من الإرشاد .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

أى سبيل المؤمنين ألا يخالف منهم الجملة .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّا لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ

وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِم

آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

الوجل شدة الخوف ، ومضاه ما هنا أن يخفهم الوجل من أوطان الغفلة ، ويزهيمهم من  
مساكن النبية . فإذا انفصلوا عن أودية التفرقة وطموا إلى مشاهد الذكر فالوا السكون إلى  
الله — عز وجل ، فبرزهم ما يتلى عليهم من آياته تصديقاً على تصديق ، ونحقيقاً على تحقيق .  
فإذا طالموا جلال قدره ، وأيقنوا قصورهم عن إدراكه ، توكلوا عليه فى إمدادهم بالرعاية  
فى نهايتهم ، كما استخلصهم بالعناية فى بدايتهم .

ويقال سعة الحق — سبحانه — مع أهل العرفان أن يرزقهم بين كشف جلال ولطف  
جلال ، فإذا كشفهم بجلاله وجلت قلوبهم ، ( وإذا لاطهم بجلاله سكنت قلوبهم ، قال الله  
تعالى : « وَتَلَطَّنَ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ » . ويقال وجلت قلوبهم <sup>(١)</sup> بخوف فراقه ، ثم تلمن  
وتسكن أرواحهم بروح وصاله . وذكر الفراق يُقْنِئهم وذكر الوصال يُصْبِئهم ويُعْجِبهم .

(١) ما بين القوسين مذكور فى هامش أئمتنا فى موضعه من النص حسب العلامة المبينة .



ويقال الطالبون في نُوحٍ رهبهم ، والواصلون في رُوحٍ قربهم ، والموحدون في  
 هو غيبتهم ؛ استولت عليهم الحقائق فلألم تطلع لوقتٍ مستأنفٍ فيستزعم خوف أو يبرهنهم  
 طمع ، ولا لم إحساس فتسلكهم لذة ؛ إذ لَمَّا « اُصْطَلِحُوا بِيُودِهِ مَا مَلَكَهُمْ قَبْلَهُمْ عَنْهُمْ عَمُو ،  
 والغالب عليهم سوام .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَتِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ  
 يُنْفِقُونَ ﴾ أولئك هم المؤمنون حَقًّا  
 لهم درجاتٌ عند ربهم ومغفرةٌ  
 وورزقٌ كريمٌ ﴿

لا يَرْضَوْنَ فِي أَعَالِمٍ بِإِخْلَالٍ ، ولا ينصفون بجمع مال من غير حلال ، ولا يُعْرِجُونَ فِي  
 أوطانٍ التقصير بحال ، أولئك الذين صلتهم ألا يكون للشرية عليهم نكير ، ولا لم عن  
 أحكام الحقيقة مقيل .

« فهم للؤمنون حَقًّا » أي حققوا حَقًّا وصدقوا صدقًا . ويقال حق لم ذلك حَقًّا .  
 قوله : « لَمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ » على حسب مَا أَهْلَكْتُمْ لَهُ مِنَ الرُّتَبِ ؛ فَيَسَاقِبُ رِسْتَهُ لَمْ  
 استوجبوها ، ثم بصادقٍ خِدْمَتِهِمْ — حين وفَّقهم لها — بلنوها .  
 ولم مغفرةٌ فِي الْمَالِ ، وَالسُّرِّ فِي الْحَالِ لِأَكْبَرِهِمْ ، فَاْلْمَغْفَرَةُ السِّرِّ ، وَالْحَقُّ سِجَانَهُ يَسِّرُ  
 مَنَالِبَ الْعَاصِينَ وَلَا يَضْحَكُهُمْ لَثَلَا يُجْبِئُونَ عَنْ مَأْمُولٍ أَفْضَلَهُمْ ، وَيَسِّرُ مَنَاقِبَ الْمَارِفِينَ عَلَيْهِمْ  
 لَثَلَا يُعْجِبُونَ بِأَعَالِمِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ سَرِّهِ وَسَرِّهِ ، وَشَتَّانَ مَا هُمَا !  
 وَأَمَّا الرِّزْقُ الْكَرِيمُ فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ الَّذِي يَطْلِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ الَّذِي  
 لَا يَنْقُصُ بِإِجْرَائِهِمْ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ مَا لَا يَشْغَلُهُمْ بِوُجُودِهِ عَنْ شُهُودِ الرِّزَاقِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ رِزْقُ  
 الْأَسْرَارِ بِمَا يَكُونُ اسْتِقْلَالًا بِهِ مِنَ الْمَكْشَفَاتِ .

قوله جل ذكره : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ  
 وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾

(١) وردت (لم) والباقي ينقص (لا) .

يَنْتَ — سبحانه — أن الجدالَ منهم عادةٌ وسَّحِيَّةٌ ، ففي كل شيء لم جدال واختيار ؛ فكَرُّهُوا خروجه إلى بَدْرٍ ، كما جادلوا في حديث الغنيمَةِ ، قال تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ » وما يكون من خصال المبد غير منسكرر ويكون على وجه الغنمة كان أقرب إلى الصنح عنه والتجاوز ، فأما إذا صار ذلك عادة فهو أصعب

ويقال ما لم تبشر خلاصة الإيمان القلب لا يوجد كمال التسليم وترك الاختيار ، وما دام ينحرك من العبد عرق في الاختيار فهو بعيد عن راحة الإيمان .

ولقد أجرى الله سنته مع أوليائه ، وكذلك كانت سنته مع أنبيائه ألا يفتح لهم كمال التمتع إلا بعد مفارقة مألوفات الأوطان ، والتجرد عن مساكنة مافيه <sup>(١)</sup> حظ ونصيب من كل مهبود ويقال إن في هجرة الأنبياء — عليهم السلام — عن أوطانهم أماناً لم من عادة الأعدى ، وإحياه لقلوب قوم قاصرت أقدامهم عن للسير <sup>(٢)</sup> إليهم .

وكذلك هجرة الأولياء من خواصه ؛ فيها لم خلاص من البلياء ، واستخلاص للسكندرين من البلياء .

قوله جل ذكره : ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَمَسَائِنَ كَاتِمَاتٍ يُسَاقِفُونَ إِلَى الْوُتِّ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾

وجود الحق بعد وضوح برهانه علم <sup>(٣)</sup> لاستكبار صاحبه ، وهو — في الحال — في وحشة عني ، معاقب بالصد وتنفس العيش ، يمل حياته وينسى وفاته ؛ « كأنما يساقون إلى اللوت وهم ينظرون »

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ يَدْعُوكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفِينَ أَتَاهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكِةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ

(١) وودت ( ما لم فيه ) وربما كانت ( ما لم فيه )

(٢) وودت ( المعبود ) والصحيح ( مسير ) الذين لم تتح لهم فرصة الانتقال إلى أماكن الأنبياء .

(٣) ضبطنا ( علم ) هكذا لكن تؤدي معنى ( علامة ) على الاستكبار ، فكيفما يظلم السياق .

يُحَقِّقُ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعُ حَابِرَ  
الْكَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾

التعرجُ في أوطان الكسل ، ومساكنة مألوفات الراحة من خصائص أحكام النفس .  
فهي بطبيعتها تركز في كل حالٍ نصيباً ، وتميل لذةً حظها . ولا يصل أحدٌ إلى جلال النعم  
إلا بتجرع كاسات الشدائد ، والأسلح من مهبوبات النصيب . « ويريد الله أن يُحَقِّقَ الحق  
بكلماته » أي إذا أراد الله — سبحانه — تخصيص عبدٍ بولايته فغنى على طوارق نفسه بالأقول ،  
وحكم لبعض شهودائه بالأقول ، وإلى طوابع الحقائق بإشرافها ، ولجوامع اللوائح باستحقاقها .  
قوله جل ذكره : ﴿ لِيُحَقِّقَ الْحَقُّ ﴾ وَيُطِيلَ الْبَاطِلَ  
وَلَوْ كَرِهَ الْغَافِرُونَ ﴿١٠١﴾

ليحق الحق بالتوفيق فيما يحصل بيند اليهود ، والتحقيق لما يظهر من عين الجود .  
ويقال ليُحَقِّقُ الحق بنشر أعلام الوصل ، ويُطِيلُ الباطل بقهر أقسام الهزل .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَسُجِّبَ لَكُمْ  
أَنِّي مُبْعِدٌكُمْ بَالِقِ مِّنَ اللَّاسِكَةِ  
مُؤَدِّينَ • وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى  
وَلَنُطِيقَنَّ بِقُلُوبِكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِن  
عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

الاستغاثة على حسب شهودالفاقة وعدم المنة والطلاقة ، والتحقق باضراد الحق بالقدره على  
إزالة الشككة تيسيرٌ للسئول وتحقيقٌ للأمول . فإذا صدقت الاستغاثة بتسجيل الإجابة  
حصلت الآمال وقضيت الحاجة . . . بذلك جرت سنة الكريمة .

ويقال يَسْتَرْجِمُ بالإمداد بالملك ، ثم رقام عن هذه الحالة بإشهادهم أن الإنجاز من التلك ،  
ولم يَدْرِمُ في المساكنة إلى الإمداد بالتلك فقال : « وما النصر إلا من عند الله » ثم قال :  
« إن الله عزيز » فالنجاه من البلاء حاصلة ، وفنون الإنجاز والإمداد بالطاقة متواصلة ،  
والدهوات مسموعة ، والإجابة غير ممنوعة ، وزوائد الإحسان متاحة ، ولكن الله عزيز

الطالب واجد ولكن بطلانه ، والراغب واصل ولكن إلى مباره . والسبيل سهل  
ولكن إلى وجدان لطفه ، فأما الحق فهو عزيز وراء كل وصل وفصل ، وقريب وبعد ،  
وما وصل أحد إلا إلى نصيبه ، وما بقى أحد إلا عن خطه ، وفي معناه أشدوا :

وَقُلْنَا لَنَا نَحْنُ الْأَحْيَةُ إِنَّمَا نَفْسُهُ لَمْ يَسِرْ بِلَيْلٍ وَلَا نَفْسِي  
فَلَا يَذَلْ إِلَّا مَا تَزَوَّدَ نَظَرُهُ وَلَا وَصَلَ إِلَّا بِالْجَمَالِ الَّذِي يَسِرُ

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ يَنْشِكُمُ السَّمَاءُ أَنفَةً مِّنْهُ وَيُزَلُّ  
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَا يَظُنُّكُمْ بِهِ  
وَيُذِيبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ  
وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ۝﴾

فَشَيِّمَ النَّاسُ تِلْكَ الْآيَةَ فَازَالَ عَنْ ظَوَاهِرِهِمْ<sup>(١)</sup> وَفَوَسَّهَمَ كَذَّ الْأَغْيَارِ وَالْكَلَالِ ،  
وَأَنزَلَ عَلَى قُلُوبِهِمْ رَوْحَ الْأَمْنِ ، وَأَمْطَرَتْ السَّمَاءُ فَاقْتُلُوا بِوَسْمِ لَزْمَتِهِمُ الطَّهَارَةَ الْكِبْرَى بِسَبَبِ  
الْإِحْتِلَامِ ، وَاشْتَدَّتْ الْأَرْضُ بِالْمَطَرِ فَلَمْ تَرْسِبِ الْأَقْدَامُ فِي رَمْلِهَا ، وَاتَّقَى عَنْ قُلُوبِهِمْ مَا كَانَتْ  
الشَّيَاطِينُ تَوَسُّوسَ بِهِ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ سَيُصِيبُهُمُ الْمَنَاءُ بِسُفُوكِ رَمْلِهَا وَيَلْتَغَاهُ عَنِ الْفُسْطِ ، فَلَمَّا  
( . . . )<sup>(٢)</sup> الْإِحْسَاسَ ، وَاسْتَنَكَنَ مِنْهُمُ النَّاسُ ، وَتَدَارَكْتُمْ الْكُفَايَةَ وَالنَّصْرَةَ  
اسْتَيْقَنُوا بِأَنَّ الْإِمَامَةَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ لَا يَسْكُونُهُمْ وَحَرَكَتُهُمْ ، وَأَشْهَدُهُمْ صَرْفَ التَّأْيِيدِ  
وَالْعَامِ الْكُفَايَةَ

وَكَا طَهَرَتْ ظَوَاهِرُهُمْ بِمَاءِ السَّمَاءِ طَهَرَتْ سَرَائِرُهُمْ بِمَاءِ التَّحْقِيقِ عَنْ شَهَادَةِ كُلِّ غَيْرٍ وَكُلِّ حِلَّةٍ ،  
وَصَانَ أَسْرَارَهُمْ عَنِ الْإِسْهَاءِ إِلَى الْوَسَاوِسِ ، وَرَبَطَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِشَهَادَةِ جُرَيْلِ التَّقْدِيرِ عَلَى  
حَسَبِ مَا يَجْرِي الْحَقُّ مِنْ قُنُونِ التَّنَصِيرِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيُنَبِّئُكَ بِهَ الْأَقْدَامِ ۝﴾ .

(١) وودت ( زواهرم ) والصواب أن تكون ( ظواهرم ) لتلازم مع ( قلوبهم )

(٢) مشتبه ووجها كانت ( زايدهم )

أقدم الظاهر في شأهِدِ التَّسْلَى ، وأقدمَ الرَّاثر على هِج الاستقامة بشهود  
مجارى التَّنْذِير .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي  
مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ۖ ﴾ <sup>(١)</sup> الذين آمنوا ما لقي  
في قلوب الذين كفروا الرُّعْبَ ۖ .

مَرَّ قَدْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ محتاجون إلى تعريف الحق لإمام قضائيا للتوحيد . وتثبت الملائكة  
للمؤمنين : قيل كانوا يظهرون للمسلمين في صور الرجال يخاطبونهم بالإخبار عن قلة عدد  
المشركين واستيلاء المسلمين عليهم ، ولم لا يعرفون أنهم ملائكة .

وقيل تثبتهم لإمام بأن كانوا يلقون في قلوبهم ذلك من جهة الخواطر ، ثم إن الله يخلق لهم  
فيها ذلك ، فكم يا رسول الله الحق سبحانه — وسأوس الشيطان إلى القلوب يوصل خواطر الكُفَرِ ،  
وأيدهم بإلقاء الخوف والرهبة في قلوب الكفار .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا  
مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۖ ﴾ <sup>(٢)</sup> ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا  
الله ورسوله ۖ .

وذلك بأمر الله وقرينه من جهة الوحي والكتاب ، ويكون معناه لإحاطة ضربهم ونيلهم  
على أى وجه كان كيفاً أصابوا أسافلهم وأعاليمهم . ويحمل فاضربوا فوق الأعناق ضرباً  
بوجوب حكمهم ؛ لأنه لا حياة بعد ضرب الصُّنْفِ ، ولفظ فوق يكون صلة .

« واضربوا منهم كل بنان » أى ضرباً يعجزهم عن الضرب ومقاتلة المسلمين ؛ لأنه  
لا مقاتلة تحصل بعد فوات الأطراف .

« ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا الله ورسوله » بَيَّنَّ أَنَّهُمْ فِي مَقَابِلِ حَسَبَاتِهِمْ وَأَكْذِيبَ ظَنُونِهِمْ .  
وَالنَّاسِ ، — بكل وجه — الله ؛ لانفراد جندرة الإيجاد

---

(١) أخذاً للتاسخ فكيتها (كتبه)

قوله جل ذكره : ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

يَعْمَلُ الْمَجْرِمُ<sup>(١)</sup> أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ لَمَّا نِمَّ لَا يَهْتَفُ بِأَمْرٍ يَدْعُهُ بِهِ نَزِيلُ عَنْهُ شُبْهَةً ظَنَّهُ

قوله جل ذكره : ﴿ذَلِكَ فَتَنُكُمُوهُ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ عَذَابُ النَّارِ<sup>(٢)</sup>﴾ . .

ذَلِكَ الْعَذَابُ فَتَنُكُمُوهُ — أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشُّرَكَاءَ — مُتَجَلِّينَ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْكَافِرِينَ عَذَابُهَا مُؤَلَّجٌ ، فَلَمَّا صَبَّحُوا عَقُوبَتَانِ مُحْصَلٌ بِنَقْدٍ وَمُؤَخَّرٌ بَوَعْدٍ .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا<sup>(٣)</sup> إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحًّا ، فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ • وَمَنْ يُولُوكُمْ يُوقِنُ دُورَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُنْحَرِفًا إِلَى فِتْنَةٍ قَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَفَسَّ الْمَبِيتُ •

يقول إذا لقيتم الكفار في المعركة زحاً مجتمعين فاثبتوا لقتالهم ، ولا تنهزموا فالشجاعة ثبات القلوب ، وكما قيل الشجاعة صبر على الطاعة وفي الجهاد مع العدو ، فالواجب الثبات عند الصولة — هذا في الظاهر ، وفي الباطن جهاد مع الشيطان ، والواجب فيه الوقوف عن دواعيه إلى الزَّهَّةِ ؛ فَبَيْنَ وَقَفٍ عَلَى حَدِّ الْإِمْسَاكِ عَنْ إِجَابَتِهِ ، بَلَا إِتْجَازٍ لِمَا يَدْعُوهُ بَوَسَاوِهِ فَقَدْ وَفَّى الْجِهَادَ حَقَّهُ .

وكذلك في مجاهدة النفس ، فإذا وقف العبدُ عن إجابة النَّفْسِ فيما تدعوهُ بهواجسها ،

(١) وردت (المجرم) بالحاء وهي خطأ في النسخ

(٢) أخطأ الناسخ إذ جعلها (عذاباً أليماً) .

(٣) سقطت (آمنوا) من الناسخ فأثبتناها

ولم يُطع<sup>(١)</sup> شهوته فيما تحمله النفس عليه من البلاء إلى ابتغاء حفظه وقد وفى الجهاد حقّه .

والإشارة في قوله : « إلا متحرّقاً لقتال » بإظهار بعض الرخص ليقوى على ما هو أشدّ ؛ كما كلّ مثلاً ما يُقيم ضلّيته ليقوى على السهر ، وكثرة نفسه بإظهار بعض الراحة من إزالة عطش ، أو نفي مقامه جوع أو برّد أو غيره لتلايق من مراعاة قلبه ، ولاستدامة اتصال قلبه به ، فإن ترك بعض أوراذه الظاهر لتلايق به عن الاستقامة في أحكام واردات السرائر أخذ في حقّ الجهاد يجرم .

والإشارة في قوله : « أو متحرّقاً إلى فتنة » إلى اعتضاد المرید بصحبة أقرانه فيما يساعدهونه في المجاهدة ، ويُنقّي شهود مام فيه من المسكينة من إقامته على مجاهدته . ثم باستداده من هم الشيوع ؛ فإن المرید ربيبُ همة شيعته ، فالأقوياء من الأتقياء ينفقون على خدمتهم من نعمهم ، والأتقياء من الأولياء ينفقون على مریدهم من هممهم ؛ يجهرون<sup>(٢)</sup> كسرهم ، ويتوبون منهم ، ويساعدونهم بحسن إرشادهم . ومن أهل مریداً وهو يعرف صدقه ، أو خالف شيعته وهو يعرف فضله وحقّه فقد بناء من الله بسخطه ، والله تعالى حبيبهُ في مكافأته على ما حصل من قبيح وصفه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾

الذي نفى عنهم من القتل هو إمامة الروح وإثبات الموت ، وهو من خصائص قدرته — سبحانه ، والذي يُوصفُ به انطلق من القتل هو ما ينطوئه في أنفسهم ، ويحصل ذهاب الروح عقبيه .

وفائدة الآية قطع دعاوهم في قول كل واحد على جهة التناخر قتلُ فلاناً ، فقال : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ أي لم تكن أفعالكم بما افتردتم لمجاهدتها بل المنشأ والمبدء<sup>(٣)</sup> هو الله عز وجل . وصاتهم بهذه الآية وصان نبيّه — عليه السلام — عن ملاحظة أفعالهم وأحوالهم .

(١) وردت ( لم يطع ) وهي خطأ في النسخ

(٢) وردت ( يجهرون ) والناسب لكسر ( يجهرون )

(٣) وردت ( المبدء ) بلهاء وقد جعلناها ( المبدء ) لأن الكلام متجه إلى الإنشاء والإيجاد والإبداع والخلق .

وكنك قال جل ذكره : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله

رمى ﴾

أى ما رميت بنفسك ولكنك رميت بنا ، فكان منه ( صلوات الله عليه )<sup>(١)</sup> قبضُ التراب وإرساله من يده ولكن من حيث الكسب ، وكسبه مُوجدٌ من الله بقدرته ، وكان التبليغ والإصابة من قِبَلِ الله خَلْقًا وإبداعًا ، وليس الذى أثبت ما نفى ولا نفى ما أثبت إلا هو ، والفعلُ فَعْلٌ واحدٌ ولكن التنابير في جهة الفعل لا في عينه .

قوله : « إذ رميت » فرقٌ ، وقوله : « ولكن الله رَمَى » جمع . والفرق صفة العبودية ، والجمع نعت الربوبية ، وكلُّ فرقٍ لم يكن مُضمَّنًا بجمع وكلُّ جمع لم يكن — في صفة العبد — مُؤيِّدًا بفرق فصاحبه غير سديد الوتيرة .

وإن الحق — سبحانه — يَكِلُ الأفيار إلى ظنونهم ، فينبهون في أودية الحساب ، ويتوهمون أنهم منفردون بإجراء ما منهم ، وذلك منه مكرٌ بهم .

قال الله تعالى : « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنًا »<sup>(٢)</sup> وأما أبواب التوحيد فيُشْرِدُهم مطالعُ التقدير ، ويُسْرِفُهم جريانُ الحكم ، ويُرِيهِمْ أَنْفُسَهُمْ في أسْرِ التصريف ، وتَهْرُجُ الحكم . وأما الخواص من الأولياء وأصحاب العرفان فيُجْرِي عليهم ما يُجْرِي ( ما )<sup>(٣)</sup> لهم إحساس بذلك ، مأخوذون يثبتهم بشواهد النظر والتقدير ، ويتوَلَّى حفظهم عن مخالفة الشرع .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَيْبِلِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ﴾

البلاء الاختبار<sup>(٤)</sup> ، فيختبرهم مرة<sup>(٥)</sup> بالثم ليظهر شكرهم أو كفرانهم ، ويختبرهم أخرى بالحن ليظهر صبرهم ، أو ذِكْرَهُمْ أو نسيانهم .

(١) أضحا ( صلوات الله عليه ) لينفتح اتجاه الحق .

(٢) آية ١٠٤ سورة الكهف .

(٣) سقطت ( ما ) من الناسخ والمضطرب إذ لم لا إحساس لهم بما يجري عليهم من حكم وتصريف .

(٤) وودت ( الاختبار ) بالياء وى خطأ في النسخ .

(٥) وودت ( مر ) بدون تاء مربوطة والمصواب أن تكون بها .



« البلاء الحسن » : توفيق الشكر في الشئحة ، وتحقيق الصبر في المحنة ، وكل ما يفضله الجلق فهو حسن من الحق لأن له أن يفعله . وهذه حقيقة الحسن : وهو ما للفاعل أن يفعله <sup>(١)</sup> ويقال حسن البلاء لأنه منه و ( . . . ) <sup>(٢)</sup> البلاء لأنه فيه .

ويقال البلاء الحسن أن تشهد النبيل في عين البلاء .

ويقال البلاء الحسن ما لا دعوى لصاحبه إن كان نعمة ، ولا شكوى إن كان محنة .

ويقال البلاء الحسن ما ليس فيه ضرر إن كان عسراً ، ولا بطر إن كان يسراً .

ويقال بلاء كل أحد على حسب حاله ومقامه ، فأصنافهم ولأه وأولادهم ، قال عليه السلام : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمتل فالأمتل » <sup>(٣)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

تنفيس لقوم وتهديد لقوم ؛ أصحاب الرفق يقول لهم إن الله « سميع » لأنكم « قَبْرُوح » عليهم بهذا وقتهم ، ويحمل عنهم ولأهم <sup>(١)</sup> ، وأشدوا :

إذا ما تخى الناس روحاً وراحةً تنميت أن أشكو إليك فقسماً

وقالوا :

قل لي بالسنة التنفس كيف أنت وكيف حالك ؟

وأما الأكابر فلا يؤذن لهم في التنفس ، وتكون اللطافة متوجهة عليهم بالصبر ، والوقوف تحت جريان التقدير من غير إظهار ولا شكوى ، فيقول : لو ترشح منك ما كلفت بشره توجهت عليك الملامة ، فإن لم يكن منك بيان فإنني سميت لقائك ، علم بمحالك .

(١) لاحظ الفرق بين ( وهو ما للفاعل أن يفعله ) في مسألة الحسن فقد جعل فعل الحسن حتماً وبين ( عليه أن يفعله ) عند المعثرة إذ جيلوه واجباً عليه .

(٢) متبته .

(٣) رواء الترمذي . وقال حسن صحيح ، وابن ماجه ، والحاكم من سعد بن أبي وقاص . والإمام أحمد والسنائي وابن ماجه والبخاري من حديث طهم . والطبراني من حديث قاطبة .

(٤) ربما كانت في الأصل ( بلاء م ) فذلك يناسب التنفيس والترويح والرفق .

ويقال في قوله « علم » تسلية لأرباب البلاء ؛ لأن من علم أن مقصوده يعلم حاله سهل عليه ما يقاسيه فيه ، قال — سبحانه — لنبيه صلى الله عليه وسلم : « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

موهن كيدهم : بتقوية قلوب المؤمنين بنور اليقين ، والثبات على انتظار الفضل من قبل الله ، وموهن كيدهم : بأن يأخذ الكافرين من حيث لا يشعرون ، ويظفر جند المسلمين عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ .

قال المشركون — يوم بدر — اللهم انصر أحبّ الفئتين إليك ، فاستجاب دعاهم ونصر أحبّ الفئتين إليه . وهم المسلمون ، فسألوا بألسنتهم هلاك أفيهم ، وذلك لانحرارهم في مناليط ما يُملّتون من ظنونهم ، فهم توهموا استحقاق القرية ، وكانوا في عين الفرقة وحكم الشقوة ، موسومين باستيجاب الهمة بدعائهم ، والوقوع في شقايمهم ؛ فباختيارهم متوا بيواريهم . ويقال ظنوا أنهم من أهل الرحمة فزّلوا ، فلما كُشِفَ السترُ خابوا وذّلوا ، فند ذلك علموا أنهم زاعغوا في ظنهم وضلوا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ تَقْهُوا فَبُخَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (٢) .

فيخفر لكم ما قد سَلَفَ من خلاف محمد صلى الله عليه وسلم .

« فبُخَيْرٌ لَكُمْ » ليس للراد منه المبالغة ؛ لأنه يقال هذا خير لك من هذا إذا كان الثاني ليس فيه شر ، وترك موافقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم — بكل وجه — هو شرُّ لهم ، ولسكنه أراد به في الأحوال الدنيوية ، وعلى موجب ظنهم .

(١) آية ٩٧ سورة الحجر .

(٢) أخطأ الناسخ في كتابة الآية إذ جاءت هكذا « وَإِنْ تَقْهُوا فَبُخَيْرٌ لَمْ » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَنَا ﴾ .

يعنى إن عدتُم إلى الجليل من السيرة عدنا عليكم بحسبيل المنّة ، وإن عاودتم الإقدام على الشرّ أعدنا عليكم ما أذقناكم من العسر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَنْ تُنْفِي عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا ﴾

ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين ﴿

مَنْ غَلَبَتْهُ قُدْرَةُ الْأَحَدِ لَمْ تَنْفِ عَنْهُ كَلْرَةُ الْمَدَدِ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ ﴾ .

الناس في طاعة الله على أقسام : فطبيعُ تلوفٍ عقوبته ، ومطيعُ طمعا في مثوبته ، وآخر مُحققا بعبوديته ، وآخر تشرقا بربوبيته .

وكم بين مطيع ومطيعٍ أو أنشدوا :

أحبك يا شمسَ النهارِ ويدّره وإن لامني فيك الشها والنزادُ  
وذاك لأنّ الفضلَ عنده زاهرٌ وذاك لأنّ العيشَ عنده باردُ

قال تعالى : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ » ولم يقل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وفي ذلك نوع

تخصيص ، وحزب تفضيل يُلطفُ عن العبارة ويَعُدُّ عن الإشارة <sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾

أى تسمعون دعاه إياكم ، وتسمعون ما أنزلَ عليه من دعائِ إياكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا

وَمَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ .

لا تكونوا ممن يشهد جهرًا ، ويحجب سرًّا .

---

(١) هنا من المواضع التي يشر فيها القارىء أن التشبیه يريد أن يقول شيئاً ولكنه يتركه لفظته القارىء يستشف ما وراء الظهور .  
(٢) أعطى الناسخ فسكتها (ولو تولوا) .

ويقال لا تُفِرُّوا بلسانكم ، وتصرُّوا على كفرانكم .  
ويقال مَنْ تَلَقَّى بَتْلِيمَ شَهِدَ الْخَطِيئَةَ بِتَكْذِيبِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ  
الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ ﴾ .

دواعي الحق يحسن البيان ناطقة ، وألسنة البرهان فيها ورد به التكليف صادقة ، وخواطر  
النسب بكشف ظلم الربِّ مفضحة ، وزواجر التحقيق عن متابعة التوبة لقلوب ملازمة .  
فمن ضمَّ عن إدراك ماخوطة به سره ، وعيَّ عن شهود ما كوشف به قلبه ، وخرسَ  
— عن إجابة ما أرشد إليه من حجة — فهمه وعقله قد دونَ رُبَّةَ البهائم قدره ، وفوق  
كل ( . . . )<sup>(١)</sup> من حكم الله ذلُّه وصغره .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَآتَاهُمُ  
الْوَحْيَ لَوْ كَانُوا أُمَّةً مَعْرُوفَةً ﴾ .

من آفقت سوابق التهمة لم تُدنه لواحقُ العُدَّة ، ومن عليه الله بنمت الشقوة حرمة  
ما يوجب صفوه .

ويقال لو كانوا في متناولات الرحمة لألبسهم صدار النصرة ، ولكن سبق بالحرمان  
حكمهم ، فُتخِمَ بالضلالة أمرهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ  
وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ .

أجاب واستجاب بمعنى مثل أوقد واستوقد ، وقبل للاستجابة مزية وخصوصية<sup>(٢)</sup>  
بأنها تكون طوعاً لا كرهاً ، وفرق بين من يجيب لحرف أو طمع وبين من يستجيب  
لابيوعٍ ولا على ملاحظة غرضٍ . وحق الاستجابة أن يجيب بالكلية من غير أن تُدر من  
المستطاع بقية .

(١) مشتبه .

(٢) لاحظ كيف يتخذ المذهب التشيعي في المصطلح مع القاعدة القوية : ولادة المني فيها زلزلة المني .

والمستجيب لربه محو عن كله باستيلاء الحقيقة ، والمستجيب لرسول — صلى الله عليه وسلم وعلى آله — قائم بشرسته من غير إخلال بشيء من أحكامها . وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالاستجابة له — سبحانه ، وبالإستجابة للرسول ، فالعبد المستجيب — على الحقيقة — من قام بالله سرّاً ، واتصف بالشرع جهراً ، فيُفرده الحق — سبحانه — بمخالفات الجمع ( ٥٠٠ )<sup>(١)</sup> في مشاهدة الفرق ، فلا يكون للحدثان في مشرب حقائقه تكدير ، ولا لمطالبات الشرع على أحواله نكير .

قوله جل ذكره : ﴿لِيَأْمُرَكُمْ﴾ .

إذ لمّا أُنْهَما عنهم أحياهم به .

ويقال المابدون أحياهم بطاعته بعد ما أُنْهَما عن مخالفته ، وأما المالمون فأحياهم بدلائل ربه ، بعد ما أُنْهَما عن الجبل وظلمته . وأما المؤمنون فأحياهم بنور موافقته بعد ما أُنْهَما بسيف مجاهدتهم . وأما الموحّدون فأحياهم بنور توحيده بعد ما أُنْهَما عن الإحساس بكل غير ، والملاحظة لكل حدثان .

قوله جل ذكره : ﴿واعلموا أن الله يُولِيْ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾

وَأَنَّهُ إِلَهُ الْمُتَشَرُّونَ ﴿

يصون القلوب عن قلب أربابها فيقلبها كما يشاء هو ، من بيان هداية وضلال ، وتبيين ووصال ، وحجبة وقربة ، ودين ومرة ، وأنس ووحشة .

ويقال صان قلوب العباد عن الجنوح إلى الكسل ، لجِدُوا في معاملهم ، وصان قلوب المريد من التعرّيج في أوطان الفشل فصدّقوا في منازلهم ، وصان قلوب العارفين — على حد الاستقامة — عن الميل فتحقّقوا بدوام مواصلهم .

ويقال حال بينهم وبين قلوبهم لئلا يكون لهم رجوعٌ إلّا إلى الله ، فإذا سنع لهم أمر فليس لهم إلى الأفيار سبيل ، ولا على قلوبهم تعويل . وكَم بين من يرجع عند سوانه إلى قلبه وبين من لا يتندى إلى شيء إلّا إلى ربه ! كما قيل :

(١) مثلية ، ولكن حسبنا نظم في مواضع سبق أن المقصود أن الحق (يتولى) العبد أثناء الفرق الثاني . حيث يمدد باليد المأخوذ ليؤمن بفرائض الشرع ، حتى لا يكون في محققه مقصراً في شيء من مطالبات العزيمة ، ولما ترجع أن الكلمة الناقصة هي : ( ولا يترك ) أو ما في معناها .

لا يبتدى قلبي إلى غيركم لأنه سُدَّ عليه الطريق  
ويقال العلماء هم الذين وجدوا قلوبهم ، قال تعالى : «إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ» .  
والعارفون هم الذين قدروا قلوبهم .

قوله جل ذكره : **وَإِقْرَأْ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا**  
**مِّنْكُمْ خَاصَّةً** واعلموا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
العقاب .

احذروا أن ترتكبوا زلةً توجب لكم عقوبة لا تخفى مرتكبها ، بل يعم شؤمها من  
تعامها ومن لم يتعاملها .

وغیر الجرم لا يؤخذ بجرم من أذنب ، ولكن قد ينفرد أحد بجرم فيحمل أقوام  
من المخلصين بقايل هذا الجرم ، كأن يتصبوا له إذا أخذ يحكم ذلك الجرم فيعد أن لم يكونوا  
ظالمين يصيرون ظالمين بما لو أنهم وتصيبهم لهذا الظالم ؛ فتكون فتنة لا تخفى عن كان ظالماً  
في الحال بل إنها تصيب أيضاً ظالماً في المستقبل بسبب تصيبه لهذا الظالم ومطابقته معه ،  
ورضاه به ، وهذا معنى التفسير من حيث الظاهر . فأما من جهة الإشارة : فإن العبد إذا باشر  
زلةً بنفسه عادت إلى القلب منها الفتنة وهي العقوبة للحظة ، وتصيب النفس منها العقوبة  
المؤجلة ، والقلب إذا حصلت منه فتنة الزلة — عندما بهم بما لا يجوز — صدَّتْ فتنته إلى السر  
وهي الحليّة .

والسُّدُّمُ في شأنه إذا فعل ما لا يجوز انقطعت البركات التي كانت تتمدى منه إلى متبعيه  
وتلاميذته ، وكان لهم نصيبهم من الفتنة وهم لم يعملوا ذنباً . ويقال إن الأكابر إذا سكتوا  
عن التنكير على الأصاغر عند تركهم الأذكار أصابهم فتنة ما فعلوه ، فلقد قيل إن السفينة (١)  
إذا لم يئة مأمور . فلي هنا تصيب فتنة الزلة مرتكبها ومن ترك اللهى عن المسكر  
— مثل من ترك الأمر بالمعروف — يؤخذ بجرمه . (٢)

(١) وردت ( السفينة ) وهي خطأ في النسخ .

(٢) وردت هذه العبارة حافلة بالكثير من الأخطاء التي سببت في غموض المعنى فتوهمنا حسباً انتهى  
السياق — فدون أن يكون اهتمامنا خطيراً على النص .

ويقال إن الزاهد إذا انحط إلى رخص الشرع في أخذ الزيادة من الدنيا مما فوق الكفاية — وإن كان من وجه حلال — تؤدي فتنه إلى من يخرج به من المبتدئين ، فيجعله ما أبدى من الرغبة في الدنيا ، وتركه التقليل يؤدي إلى الاتهام في أودية الغفلة والأشغال الدنيوية .  
والعابد إذا جَحَّحَ عن الأَشَقِّ وترك الأول<sup>(١)</sup> صدَّى ذلك إلى من كان ينشط في المجاهدة ؛ فيستوطنون السكل ، ثم يحلمهم الفراغ وترك المجاهدة على مناعة الشهوات فيصيرون كما قيل :  
إن الشبابَ والفراغَ والجدة مَفْصَدَةٌ للمرءِ أي مفسدة  
وهكذا يكون نصيبهم من الفتنه .

والعارف إذا رجع إلى ما فيه حطَّاه ، نظرَ إليه المريد ، فتدأخله فترة فيا هو به من صدق المنازلة ، ويكون ذلك نصيبه من فتنه العارف .  
وفي الجلة إذا غفل اليك ، وتشأغل عن سياسة رعيته تَعَطَّلَ الجندُ والرعية ، وعظمَ فيهم الغلُّ والبليَّةُ ، وفي معناه أشدوا :

رُعَاكَ ضَيَعُوا — بالجليل منهم — غُتِّيَاتٍ فَاسَتْهَا ذِلُّبُ  
« والله شديد الغلب » بتعجيله ذلك ، ومن شدة عقوبته أنه إذا أخذ عبداً ليُخَافِيَهُ لا يُسَكِّنُهُ من تلافى موجب تلك العقوبة .

قوله جل ذكره : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون  
في الأرضِ تخافون أن يَنخَظَفَكم  
الناسُ فَأَوَّاكمَ وَأَيُّكُمْ يَنْصُرُهُ ﴾

يُذَكِّرُهُم ما كانوا فيه من القَلَّةِ والقِلَّةِ وصنوف ( ... )<sup>(٢)</sup> ثم ما نقلهم إليه من الإمكان والبَسْطَةِ ، ووجوه الأمان والحيلة ، وقرَّبهم إلى إطاعة الشكر على جزيل تلك القِسَمِ ،

(١) وردت (الأولاد) وهي خطأ في النسخ ، والجنوح عن الأَشَقِّ وترك الأول تمجيداً ماؤنان  
عندما يتحدث الفتوى عن إظهار الصوفى الرخص .  
(٢) مشبهة وربما كانت (المحيط) أي تعصا المتزلة ، فإنها قرية لسباق ، وملسجة مع  
الموسيقى الفظية .

وإدامة الحمد على جميل تلك النعم ، فهدّ لهم في ظل أبوابه مقبلاً ، ولم يجعل للعدوّ إليهم  
— يميّن رعايته — سيلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ﴾

رَزَقَ الأشجاءَ والظواهرَ من طيبات الغذاء ، ورزق الأرواح والسرائر من صنوف  
الضياء . وحقيقة الشكر على هذه النعم الغنية عنها بالاستغراق في شهود المنعم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ  
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ ﴾

الغيانة الاستبطان بخلاف ما يؤملُ منك بحق التعويل ، غيانةُ الله بتضييع ما ائتمنتك  
عليه ، وذلك بمخالفة النصيح في دينه ، وخيانة الرسول بالانصاف بمخالفة ما تبدى من مشايسته .  
والغيانة في الأمانات بترك الإنصاف ، والانصاف بغير الصدق .

وغيانة كل أحد على حسب ما وضع عنده من الأمانة ، فمن اؤتمن في مالي فنصرف فيه  
بغير إذن صاحبه — خيانة ، ومن اؤتمن على الخرم فلاحظته لإيهن — خيانة . فلي هذا :  
الغيانة في الأعمال الدعوى فيها بأنها من قبلك دون التحقيق بأن منشئها الله .

والغيانة في الأحوال ملاحظتك لما دون غيبتك من شهودها باستغراقك في شهود الحق .  
إن لم يكن استهلاكك في وجود الحق . وإذا أَخْلَقَتْ رِيسَةً مِنَ السَّنَنِ أَوْ أَدَبٍ مِنْ آدَابِ  
الشَّرْعِ فَتلك خيانة الرسول صلى الله عليه وسلم .

والغيانة في الأمانات — بينك وبين الخلق — تكون بإيثار نصيب نفسك على نصيب  
للسلبيين ، بإرادة القلب فضلاً عن المماثلة بالفعل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمُ وَأَوْلَادَكُمْ فَتْنَةٌ  
وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾



أموالكم وأولادكم سبب فتنكم لأن الرء - لأجل جمع ماله ولأجل أولاده - يرتكب ما هو خلاف الأمر ، فيورثه فتنه العقوبة .

وقال النبي الاختيارُ فيختيرك بالأموال .. هل تؤثرها على حق الله ؟

والأولاد .. هل تترك لأجلهم ما فيه رضا الله ؟

فإن آثرتم حقَّه على حكم ظهرك به فضيلتكم ، وإن اتصمتم بضده هولتم بما يوجب العكس من محبوبيكم .

وقال للدالُّ فتنه إذا كان من الله يشلكم ، والأولاد فتنه إذا لأجلهم قصرتم في حق الله أو قرّطتم .

وقال للدال - ما لكفانٍ والمغانر<sup>(١)</sup> - رِثمة ، وما لتقاصرٍ والتناخير فتنه ، وفي الجلة ما يشلك عن الله فهو فتنه .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَوَلَّوْا اللَّهَ

يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ<sup>(٢)</sup> .

الفرقان ما به يفرق بين الحق والباطل من علمه وأمر وإلحاق قاهر ، فالعلماء فرقانهم بمجاوب برهانهم ، والعارفون فرقانهم موهوب<sup>(٣)</sup> عرفانهم ؛ فأولئك مع مجهود أنفسهم ، وهؤلاء بمنقضى جود ربهم .

المرطان تعرف من الله ، والتكفير<sup>(٤)</sup> تخفيف من الله ، والفرقان تشریف للعبد من الله .

---

(١) وردت ( والمغانر ) وهي خطأ من الناسخ إذ لا تؤدي المراد ، ونظن أن ( الطاف ) تسجم مع السياق ، ومع التركيب الداخلي للأسلوب .

(٢) أخطأ الناسخ إذ جعل خاتمة الآية ( والله صميع عليم ) .

(٣) وردت ( موهوم ) وهي خطأ من الناسخ ، والصواب أن تكون ( موهوب ) فهكذا يتطلب السياق .

(٤) ( التكفير ) هنا تشييد إلى ما ورد في الآية : « ويكفر عنكم سيئاتكم » .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لِيُتْلِيَنَّا أَوْ يَتُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ

وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ

خَبِيرٌ لِلْكَافِرِينَ﴾

ذكره عظيم رتبته عليه حيث خلّصه من أعدائه حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة ،  
وهوّا بقتله ، وحاولوا أن يَمْكُرُوا به في السرّ ، فأعلمه الله ذلك .

وللمكر إظهارُ الإحسان مع قصْدِ الإساءة في السرّ ، والمكر من الله الجزاء على المكر ،  
ويكون المكرُ بهم أن يُبْلَى في قلوبهم أنه حُسْنُ إليهم ثم — في التحقيق — يُعَذِّبُهُمْ ، وإذا  
شَقَلُ قوماً بالدنيا صَرَفَ هُومَهُم إليها حتى يُنَسُوا أمر الآخرة ، وذلك مكرٌ بهم ، إذ يُوطِئُونَ  
فُوسَهُمْ عليها ، فيُتَبَّعُ لهم من مآمنهم سوماً ، ويأخذهم بقتنة

ومن جملة مكره اغترارُ قومٍ بما يبرزهم من الصبب الجليل بين الناس ، وإجراء كثير  
من الطاعات عليهم ، فأسرارهم تكون بالأغيار منوطّة ، وهم عن الله غافلون ، وعند الناس أنهم  
مُكْرَمُونَ ، وفي معناه قيل :

وقد حسدوني في قرب دارى منكم وكمن قريب الدار وهو بعيد

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا

أَوْ نَشَأَ لِقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا

إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

فَرَطُ جهلهم ، وشؤم جحدهم سَرَّ على عقولهم قُبْحُ دعاويهم في القدرة على معارضة القرآن  
فانفضحوا عند الامتحان بدم البرهان ، والسجز عما وصفوا به أنفسهم من الفصاحة والبيان ،  
وقد جاء قيل :

مَنْ تَحَلَّى بَنِيهِ مَا هُوَ فِيهِ فَصَحَّ الْامْتِحَانُ<sup>(١)</sup> مَا يَدَّعِيهِ

(١) وودت ( الامتحان ) بالهاء والصواب أن تكون بالحاء .

ويقال لما لاحظوا القرآن بين الاستعصار حرماً تركت الفهم فعدوه من جهة أساطير  
الآولين ، وكذلك من لا يراى حرمة الأولياء ، يُعاقب بأن تُسَرَّ عليه أحوالهم ،  
فيظنهم مثله في استحقاق مثالبه ، فيطلق فيهم لسان الوقيمة ، وهو بذلك أحمق ، كما قيل :  
« رَمَتْني بِدَائِهَا وَانْسَلَّت »

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ ظَلَمُوا إِلَهُهُمْ إِنْ كُنْ هُنَا هُوَ الْحَقُّ  
مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَلَةً  
مِنَ السَّمَاءِ أَوْ إِنِّي بِغَمَابٍ آَلِيمٌ ﴾

دَلَّ سؤال المِغْذَابِ على تصحيح عديم على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ،  
واستيقنوا عند أنفسهم بأنه لا يُسْتَجَابُ فيهم ما يدعونه على أنفسهم .  
وفي هذا أظهر دليل على أن سكوت النفس إلى الشيء ليس بعلم ، لأنه كما يوجد مع العلم يوجد  
مع الجهل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

ما كان الله معذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله ليُعَذِّبَ أسلافهم وأنت في أصلابهم ،  
وليس يعذبهم اليوم وأنت فيا بينهم إجلالاً لِقَدْرِكَ ، وإكراماً لِحُلُوكِ ، وإذا خرجت من بينهم  
فلا يعذبهم وفيهم خدمك الذين يستخفون ، فالآية تدل على تشريف قَدْرِ الرسول —  
صلى الله عليه وسلم .

ويقال لِحُجْرَةِ حُرْمَةٍ ، فَجَارُ الْكَرَامِ في ظل إثمهم ، فالكفار إن لم يتَّعَمُوا <sup>(١)</sup> بقرب  
الرسول — صلى الله عليه وسلم — منهم فقد اندفع للمذابح — بمجاورته — عنهم :

وَأَحْبَبُ وَأَحَبُّ مَنَزَلِهَا الْإِنِّي تَزَلَّتْ بِهِ وَأَحَبُّ أَهْلِ الْمَنَزَلِ

(١) وردت ( يمتدوا ) واللام للبعث ( يمتدوا ) لترتيب بالإسم الذي جاء ذكره في الآية السابقة ،  
ويؤكد اختبارنا أيضاً وجود ( الباء ) في ( بقرب الرسول ) إذ يقال ( نم بكذا ) ولا يقال  
( منع بكذا ) .

ويقال إذا كان كرون الرسول — صلى الله عليه وسلم — في الكفار يمنع المناب عنهم  
فكرون المروة في القلوب أولى يدفع المناب عنها .

ويقال إن المناب — وإن تأخر عنهم مدة مقامهم في الدنيا مادام هو عليه السلام فيهم —  
فلا محالة يصيبهم المناب في الآخرة، إذ الاعتبار بالمواقب لا بالأوقات والطوارق .

قوله جل ذكره : ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾

علم أنه — عليه السلام — لا يتأبَّد مكثه في أمة إذ قال له : « وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد » (١) ، فقال إني لأضيق أمتي وإن قضى فيهم مدته ، فما دامت ألسنتهم بالاستغفار متطوعة فصنوف المناب عنهم مرتفعة .

قوله جل ذكره : ﴿ وما لهم ألا يذنبهم الله ﴾

وهم يصدون عن المسجد الحرام

وما كانوا أوليائه

نفى المناب عنهم في آية ، وأثبتته في آية ، فالتقى في الدنيا والمثبت في الآخرة .

ثم بين إصالح المناب إليهم في الآخرة بقوله تعالى . « وهم يصدون عن المسجد الحرام »  
دليل انطباع أن إغاثة المسلمين على ما فيه قيام بحق الدين يوجب استحقاق الثوبة والثواب  
وفي الآية دليل على أنه لا يذنب أوليائه بقوله : « وما كانوا أوليائه » ، فإذا عذب  
من لم يكونوا أوليائه دل على أنه لا يذنب من كان من جملة أوليائه . والمؤمنون كلهم أوليائه  
الله لأنه قال : « والله ولي الذين آمنوا » (٢) . والمؤمن — وإن عذب بمقدار جرمة زماناً فإنه  
لا يخلد في دار العقوبة ، فما يقاسون بالإضافة إلى تأييد الخلاص جلاله ، وقيل :

إذا سلم العهد الذي كان بيننا فودى وإن شط المزار سليم

قوله جل ذكره : ﴿ إن أوليائه إلا المتقون ولكن ﴾

أكثرهم لا يملون

(١) آية ٣٤ سورة الأنبياء .

(٢) آية ٢٥٧ سورة البقرة .

وليس أولياؤه إلا المتقون ، وم الذين اتقوا الشر .

قوله جل ذكره : ﴿ وما كان صلاحهم عند البيت إلا مسكاةً وتصديقةً ﴾ .

تجردت أعمالهم بظواهرهم عن خلوص عقائدهم ، فلم يوجد — سبحانه وتعالى — لها احتساباً ؛ فزكاة القالة لا يكون إلا مع صفاء الحالة ، وعناء الظاهر لا يقبل إلا مع ضياء السرائر .

قوله جل ذكره : ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾  
كان العذاب مستجلاً وهو حسباتهم أنهم على شيء ، قال الله تعالى :  
« وم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » ، ومؤجلاً وهو كما قال الله تعالى : ﴿ ولعذاب الآخرة أشق » <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿ إن الذين كفروا يفتنون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فينشقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يكذبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾  
يرومون بأنفاقهم صنوف أموالهم صلاحاً ونظاماً لأحوالهم ، ثم لا يحفظون إلا بضران ، ولا يحصلون إلا على نقصان . خيروا وم لا يشعرون ، وخابوا وسوف يملون ؛  
سوف ترى إذا انفجرت التباير أفرس تحتك أم حمار ؟  
قوله : « والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » إنهم وإن ألهمتهم أموالهم فأبى الهوان والقلة ما لهم ، لم تنفّر عنهم أموالهم ، ولم تنفعهم أعمالهم ، بل خفيت بالشقاوة أحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿ ليسير الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركبه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ .

(١) آية ٣٤ سورة الرعد .

انطِيت ما لا يصلح لله ، والطيب ما يصلح لله .  
 انطِيت ما حكم الشرع بقبحه وفساده ، والطيب ما شهد العلم بحسنه وصلاحه .  
 وقال انطِيت الكافر ، والطيبُ المؤمنُ .  
 انطِيتُ ما شغل صاحبه عن الله ، والطيبُ ما أوصل صاحبه إلى الله .  
 انطِيتُ ما يأخذه المرء وينفقه لحظ نفسه ، والطيب ما ينفقه بأمر ربه .  
 انطِيتُ عملُ الكافر يُصور له ويُندبُ بإلقائه عليه ، والطيبُ عملُ المؤمن يُصور له  
 في صورة جميلة فيحمل المؤمن عليه .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .

إن كبحوا لجام التمرد ، وأقلعوا عن الركن في ميدان المناد والتَّجَبُّرِ أَرْلْنَا عَنْهُمْ صَنَارَ  
 الهوان ، وأَوْجَهْنَا لَهُم رُوحَ الْأَمَانِ .

ويقال إن حلوا نطق المناد أطلقنا عنهم عقاب البعاد .  
 ويقال إن أبصروا قُبُحَ فِعالهم جُدْنَا عَائِبَهُمْ بِإِصْلَاحِ أحوالهم .  
 ويقال إن جنحوا للاعتذار أَلْقَيْنَا عَلَيْهِمْ حِلَّةَ الْإِغْتِيَارِ .  
 ويقال إن عادوا إلى التَّنَصُّلِ (١) أَبْجَحْنَا لَهُمْ حُسْنَ التَّفَضُّلِ :

أَنَاسُ أَعْرَضُوا عَنَّا بِلا جُرْمٍ وَلَا مَعْنَى  
 أَسَاحُوا ظَنَّمُوا فِينَا فَهَلَّا أَحْسَنُوا الظَّنَّ  
 فَإِنْ كَانُوا لَنَا - كَتْنَا ، وَإِنْ عَادُوا لَنَا عُدْنَا  
 وَإِنْ كَانُوا قَدْ اسْتَشْتَرَوْا فَإِنَّا عَنْهُمْ أَغْنَى  
 قوله جل ذكره : ﴿ وَتِلْكَ أَمْثِلُ لِمَنْ لَا يَكُونُ فَنَةً وَيَكُونُ

(١) تتمثل من ذنبه أى سببه

الذين كُفُّوا عَنْهُ فَإِنْ تَابُوا فَإِنَّ اللَّهَ

يَا يَسْلُونَ بِصَدْرِهِ

أمرهم بمقالة الكفار والإبلاغ فيهلك تستأمل شأقهم بحيث يأمن للسلون مفرتهم ،  
ويكفون بالكلية قتلهم . . . وحية الواسي لا تؤمن ما دامت تبق فيها حركة ؛ كنكس المدو  
إذا فبرغته أن تقتل جميع هروقه ، وتقتل باع الإسلام من كل شكيرة (١) تبت من الشر كـ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَوْا إِنَّ اللَّهَ مُوَلاَكُمْ

نِمْ الْمَوْلَى وَنِمْ النَصِيرُ ﴾

إِنْ أَبَوْا إِلَّا عَصَوْا ، وعن الإيمان إلا نبوا ، فلا على قلوبكم ظل خافة منهم ، فإن الله  
— سبحانه — ولي نصرته ، ومتولى كفايتكم ؛ إن لم تكونوا بحيث نتم العبد  
فهو نتم المولى لكم ونتم الناصر لكم .

ويقال نتم المولى لكم يوم قسمة العرفان ، ونتم الناصر لكم يوم نعمة العفران .

ويقال نتم المولى لك حين لم تكن ، ونتم الناصر لك حين كنت .

ويقال نتم للمولى بالتريف قبل التكليف ، ونتم الناصر لكم بالتخفيف والتضعيف ؛

يُخَفَّفُ عَنْكُمُ السَّيِّئَاتِ وَيُضَافُ الْحَسَنَاتِ :

وهو أول ما عرفت من المولى والقلب لا ينسئ الحبيب الأول

قوله جل ذكره : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ

فَإِنَّ اللَّهَ يُخَسِّمُهُ وَالرَّسُولُ وَلِيُّ

الْقَرْنَى وَالْيَتَامَى وَالسَّائِلِينَ وَإِذَا

السَّيْلُ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ

وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ

يَوْمَ التَّقَى ائْتَمَعْنَا ، والله على

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(١) شجرة الشجرة أي خرجت منها الشكيرة وهي ما يلبث حولها من أسهلها .

الغنيمة ما أخذه المؤمنون من أموال الكفار إذا ظفروا عند المجاهدة والقتال معهم .  
 فإذا لم يكن قتال - أو ما في مثله - فهو قبة .

والجihad قسبان : جهاد الظاهر مع الكفار ، وجهاد الباطن مع النفس والشيطان وهو  
 الجهاد الأكبر - كما في الظهور<sup>(١)</sup>

وكأن في الجهاد الأصغر غنيمة عند الظفر ، ففي الجهاد الأكبر غنيمة ، وهو أن  
 يملك العبد نفسه التي كانت في يد العدو : الهوى والشيطان . فبعد ما كانت ظواهره مقرأ  
 للأعمال القبيحة ، وباطنه مستقراً للأحوال الدنيئة يصير عمل الهوى مسكناً الرضا ،  
 ومقر الشهوات وللهي مسلاً لما يرد عليه من مطالبات للولى وتصير النفس  
 مستلبة من أسر<sup>(٢)</sup> الشهوات ، والتلب محطفاً من وصف الغلات ، والروح منتزعة  
 من أبدى العلاقات ، والسرة مصونة عن الملاحظات . وتصبح طاعة النفس متهزئة ،  
 ورياسة الحقوق بالاستجابة لله خافقة .

وكأن من جملة الغنيمة سماً لله والرسول ، وهو الخس فما هو غنيمة - على لسان  
 الإشارة - سهم خالص لله ؛ وهو ما لا يكون للعبد فيه نصيب ، لا من كرائم المعنى ،  
 ولا من ثمرات التزويج ، ولا من خصائص الإقبال ، فيكون العبد عند ذلك حرراً  
 من رقب كل نصيب ، خالصاً لله بآله ، يحرم ما سوى الله ، كما قيل :

من لم يكن لك فانياً من حظّه وعن الهوى والإنسي والأجباب  
 فكأنه - بين المراتب - واقف لمأل حظ أو لحسن ثواب

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْأُدُوتِ الدُّنْيَا وَهَمُّ  
 بِالْأُدُوتِ النَّصَوَى وَالرَّكْبِ اسْتَلَّ  
 مِنْكُمْ ، وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِ

(١) إشارة إلى ما قاله الرسول بعد إحدى النزوات : « رجعتا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر  
 جهاد النفس » .

(٢) وودت (أسرار) وهي خطأ في النسخ .



في المياد ، ولكن لِيَقْضِيَ اللَّهُ  
أمرًا كان مفعولاً ❊

خير - سبحانه - أن ما جرى يوم بدر من القتال ، وما حصل من فنون الأحوال  
كان بحكم التقدير ، لا بما يحصل من الخلق من التدبير ، أو بحكم تنضيه روية  
التفكير . بل لو كان ذلك على اختيار وتواعد ، كنتم عن تلك الجملة على استكراه  
وتباعد ، فجرى على ما جرى لِيَقْضِيَ اللَّهُ أمرًا كان متضيًا ، وحصل من الأمور ما سبق  
به التقدير .

قوله جل ذكره : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنْ هَٰذَا شَيْءٌ﴾  
ويحییٰ مَنْ حَىٰ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ  
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ❊

أى لِيُضِلَّ مَنْ زَاغَ عن الحق بعد لزومه الحجة ، ويبتدى من أقام على الحق بعد  
وضوح الحجة .

ويقال الحق أوضح السبيل ونصب الدليل ، ولكن سدّ بصائر قوم عن شهود  
الرشد ، وفتح بصائر آخرين لإدراك طرق الحق .

المالك من وقع في أودية التفرقة ، والحي من حي بنور التعريف .  
ويقال المالك من كان بطله مربوطاً ، والحي من كان من أسر كل نصيب  
مُتَلَبِّيًا مجنوباً<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكِبِكُمْ لَئِلَّا  
تُؤْمِنُوا بِهِ﴾  
ولمّا أَرَاكُمْ كَثِيرًا لَّقَدْ أَخَذْنَا  
بَلَاءَ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْأُمَمِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ  
سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّوَرِ •  
وَإِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ إِذْ تَقِفُونَ فِي آيَاتِهِ  
قَلِيلًا وَيَقْلِلُكُمْ فِي آيَاتِهِمْ لِيَقْضِيَ

(١) كلمة ( مجنوب ) بهذا الاستعمال قد تؤدي المعنى الذى تطلق به في أوساط الصوفية اليوم

اللهُ أَمْرًا سَكَنَ ضَعُفًا وَإِلَى اللَّهِ

رُجِعَ الْأُمُورُ ﴿١﴾

قيل أراد الخيام في نومه — صلى الله عليه وسلم — بوصف القِيَّة ، وأخير أصابعه بذلك فلزادوا جسارة عليهم .

وقيل أراد في منامه أى في محل نومه أى في حبيبه ، فعنه قلَّهم في حبيبه ؛ لأنهم لو استكثروهم لقتلوا في قتالهم ، ولا تكسرت بذلك قلوب المسلمين .

وفي الجملة أراد الله جريان ما حصل بينهم من القتال يوم بدر ، وإنَّ الله إذا أراد أمرًا مهيأ أسبابه ؛ فقتل الكفار في أمين المسلمين فزادوا جسارة ، وقلل المسلمين في أمين الكفار فلزادوا — عند شغلهم إلى القتال — صغراً في حكم الله وخسارة .

« والله علم بذات الصدور » : وكيف لا ؟ ومنه تصدرُ التقادير ، وإليه رُجِعَ الْأُمُور .  
وقيل إذا أراد الله نصرة عبده فهو كآذ له جميع البشر ، وأراده الكفاة بكل ضرر ، لا ينفع من شاء مضرته كد ، ويحصل بينه <sup>(١)</sup> وبين منافع لطفه به سد .

وإذا أراد بعبده سوءاً فليس له رد ، ولا ينفعه كد ، ولا ينفعه بده ما سقط في حكمه جهته .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيمَ رَبِّكَ

فَاتَّبِعُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

أراد إذا قِيمَ فتن من المشركين فاتَّبِعُوا . والنبت إنما يكون بقوة القلب وشدة اليقين ، ولا يكون ذلك إلا لئلا تفلت الصورة ، والتحقق بالله ، وشهود الحادثات كلها منه ، فعند ذلك يستسلم لله ، ويرضى بحكمه ، ويتوقع منه حسن الإحاة ، ولهذا أحاطهم على الذكر قتال : « واذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا » .

وقيل إنَّ جميع الخيالات في ثبات القلب ، وبه تبيّن أقدار الرجال ، فإذا ورد على الإنسان خاطر يزعمه أو هاجس في نفسه يبيحه .. فمن كان صاحب بصيرة توقف ونا

(١) الضمير لى ( بينه ) يعود على الضرر أو من شاء الضرر ، والضمير لى ( به ) يعود على البعد المنصور .

تَبَيَّنَ لَهُ حَقِيقَةُ الْوَارِدِ ، فَبَيَّنَتْ لِكَوْنِهِ رَابِطَةُ الْجِلَاشِ ، مَا كُنِيَ الْقَلْبُ ، صَافِي الْقَلْبِ ..  
وَهَذَا نَمَتْ الْأَكَابِرُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا  
فَعَتَقَ لَكُمْ مِنْكُمْ وَيُحْكَمْ وَأَصِيرُوا  
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

المواقة بين المسلمين أصل الدين . وأول الفساد ورأس الزلل الاختلاف . وكما يجب  
المواقة في الدين والقيمة يجب المواقة في الرأي والزينة<sup>(١)</sup> .

قال تعالى في صفة الكفار : « يحسبهم جميعاً وقرينهم شئ » ، وإنما تجد عزائم المسلمين  
لأنهم كلهم يحسبهم التبرئ من جوارهم وقومهم ، ويمنحون في رجوعهم إلى الله ، وشهودهم  
التقدير ، فيتحذرون في هذه الحالة الواحدة .

وأما الذين تَوَهَّمُوا الحادِثَاتِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَصَلُّوا فِي سُلْطَانِ حِسَابِهِمْ ، وَأَجْرُوا الْأُمُورَ  
عَلَى مَا يَسْتَحِلُّونَ لِرَأْيِهِمْ ، فَكُلُّ يَدِي عَلَى مَا يَشَاءُ ، فَإِذَا تَنَازَعُوا تَشَعَّبَتْ بِهِمُ الْأَرْءَاءُ ،  
وَاخْتَرَقَتْ بِهِمُ الطَّرِيقُ ، فَيُضْضَعُونَ ، وَتُخْتَلَفُ طُرُقُهُمْ . وكما يجب في الدين طاعة رسول الله  
— صلى الله عليه وسلم — يجب طاعة أولى الأمر ، ولهذا يجب في كل وقت نصب إمام  
المسلمين ، ثم لا يجوز مخالفته ، قال النبي — صلى الله عليه وسلم — : « أطيعوه ولو كان عبداً  
مجذوماً »<sup>(٢)</sup> ، وكان الرسول — صلى الله عليه وسلم — إذا بَثَّ سَرِيَّةً أَمَرَ<sup>(٣)</sup> عليهم أميراً  
وقال : « عليكم بالسواد الأعظم » .

وإجماع المسلمين حجة ، وصلاة الجمعة سنة مؤكدة ، والاتباع محمود والابتداع ضلالة .  
قوله « وَأَصِيرُوا » الصبر حبس النفس على الشيء ، والمأمور به من الصبر ما يكون  
على خلاف هواك .

(١) وردت (الطيمة) والملائم قرأى ولما جاء بعد ليل تعد : ( عزائم المسلمين ) كلمة (الزينة)

(٢) في رواية مسلم وابن ماجه عن أم الحسين : « إن أمر عليكم بعد جريح أسود بقودكم بكتاب الله  
فصواله وأطيعوا » ص ١٤٦ - ٧ من منتخب كتبه للملك .

(٣) وردت (أمر) والصواب (أمر) أميراً ، وربما اشغبت علامة الضعيف على الناسخ لغيرها  
تتألف .

« إن الله مع الصابرين » يتولى بالكفاية إذا حصل منهم التثبت وحسن التفويض .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرَاوِيذِهِمُ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾

عن سبيل الله والله بما يعملون

محيط

يريد أن أهل مكة لما خرجوا من مكة عام بدر لنصرة العير ملكهم العزة ، واستمكن منهم البطر ، وداخلهم رياء الناس ، فارتكبوا في شباك غلظتهم ، وحصلوا على ما لم يحسبوه . وأما للؤمنون فصرم نصراً عزيزاً ، وأزال عن نبيه — عليه السلام — ما أظله من الغلوف وبصديق توبه من حوله ومنته — حين قال : ( لا تكلفني إلى نفسي )<sup>(١)</sup> — كناه بحسن التولي فقال ( فلو لميت إذ رميت ولكن الله رمي ) .

قوله جل ذكره : « وَإِذْ زَيْنٌ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَهْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَ اتَّافِقَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَكْفَى مَا تَكْفُونَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ » .

لا غالب لكم اليوم من الناس

وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان

نكص على عقبيه وقال إني بَرِيءٌ

منكم إني أكفى ما تكفون إني أخاف

الله والله شديد العقاب .

الشیطان إذا زين للسان بوساوسه أمراً ، والنفس إذا سوت له شيئاً هيئت بصائر

أرباب الغفلة عن شهود صواب الرشد ، فيبقى الناقل<sup>(٢)</sup> في قياد وساوسه ، ثم تلحقه هواجس

(١) « لا تكلفني إلى نفسي طرفة عين »

الحاكم من حديث أنس قال صحب على شرط الشيخين . وهو في اليوم والقيل ، وعنه صلى الله عليه وسلم لا يلبث الزمراء رضي الله عنها .

(٢) وردت ( الناقل ) وهي خطأ في النسخ فالكلام عن أرباب الغفلة .

التقدير من كوامن المكر<sup>(١)</sup> من حيث لا يرتب، فلا الشيطان يفتي<sup>(٢)</sup> بما يعيده، ولا النفس شيئاً مما تمنه نجاه، وكما قال القائل :

أحسنَ تلكَ بالألَمِ إذَ حَسَنَتْ      ولمَ تَحَفَّ سوءَ ما يأتي به التَذَنُّرُ  
وسالَتَكَ الِإِيَالِي هَافَقُورَتَ بِهَا      وعندَ صغورِ الِإِيَالِي يَحْدُثُ الكُدرُ

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ

عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

إن أصحاب الغفلة وأولب الغيرة إذا هبت رياح صولاتهم في زمان غفلتهم يلاحظون أهل الحقيقة بين الاستقار، ويحكمون عليهم بضعف الحال، وينسبونهم إلى الضلال، ويعدونهم من جملة الجهال، وفلك في زمان الفترة ومنه مهلة أهل النبوة .

والذين لهم قوة اليقين ونور البصيرة ساكنون تحت جريان الحكم، يرون الغائبات من الخواص بيون البصيرة من وراء ستر رقيق، فلا الطوارق تهزمهم، ولا هواجس الوقت تستزيم<sup>(٣)</sup>، ومن قريب يلوح علم اليسر، وتجلج سحاب العسر، ويعحق الله كيد الكائدين .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَوَلَّوْا تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا

الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ

وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ .

يُسَلِّمُ<sup>(٤)</sup> هنما يُقَاسُونَ من اختبارات التقدير بما يندكرهم زوال الهنة، وثقل روع

(١) مكنا في المكي، وفي الهامش (كوامن المكر) ولكن الصواب مناجاة بالمكي إذ المقصود ما يهجم على القائل من (مكر) إله — سبحانه .

(٢) وردت (يفتي) وللأتم لما (يسمى) كلمة (يفتي) .

(٣) وردت (هوام) .

(٤) وردت (تستزيم) ويكون معنى الجملة بعد هذين التصويين هو مناجاة في الرسالة (س ٤٤) [المجهوم ما يرد على التلب بقوة الوقت، وسادات الوقت لا تصرفهم الهواجم]

(٥) وردت (يسليم) والمقصود (تسليته) المؤمن في أوقات الاختبار .

البسر ، وسرعة حصول النصر ، وحول النقم يرتكبي الظلم . والمؤمن كثير الظفر ؛ فإذا شاهد بأرواب الجرائم حلول الانتقام رقى قلبه لهم ، فلا ينخرط في سلك الشهادة ؛ إذ ينظر قلبه من شهوة الانتقام ، بل يجب أن يكون كل أحد يحسن الصفة ، وكما قيل .

قَوْمٌ إِذَا ظَفَرُوا بِنَا جَلَدُوا بِسِنِّ رِقَابِنَا

قوله جل ذكره : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّهُ

لَيْسَ بِظُلَامٍ لِّلْمُتَّعِينَ ۖ ۞

يُعرفهم أن ما أصابهم من شدة الوطأ جزاء لهم على ما أسلفوه من قبيح الزلة ، كما قيل :

سَقَمْتُ فِينَا سِنًّا قَتَفَ الْبَلَاءُ صُغْبَةً

يَصِيرُ عَلَى أَهْرَامِنَا مَنْ يَرَى يَوْمًا رُبَّهُ <sup>(١)</sup>

« وأن الله ليس بظلام للمبيد » أى كيف ياملهم في السراء والضراء فنك من حسن وعدل ، إذ تلك ملكه ، والخلق خلقه ، والحكم حكمه .

قوله جل ذكره : ﴿ كَذَٰبُ آلِ فِرْعَوْنَ وَآلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ عَمَلِكُمُ الرِّجَالِ ۚ إِنَّهُمْ يَحْمِلُونَ أَسْفَارَكُمْ ۚ يَخْلِبُوكُم بِدِينِهِمْ كَمَا يُخْلِبُونَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ وَهُمْ لَكَاظِمُونَ ۚ ۞

كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم

إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ ۞

لما سلكوا سلك أهل فرعون في الضلال ، سلكنا بهم سلكهم فيما أذقناهم من المذاب وسوء الحال ، ومنه الله ألا تغيير في الإنعام ، وحذاته ألا تبديل في الانتقام ، ومن لم يتغير بما يشهد <sup>(٢)</sup> اعتبر بما يصنمه به .

قوله جل ذكره : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغْتِرًا تَعْمَةً

أَنْصَبِي عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُفْخَرُوا

مَا بَأْنَفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۖ ۞

(١) في الشعر اضطراب ، وترجع أن هناك خطأ في النقل .

(٢) أى بما يهتد به بحث للمبره .

إذا أنعم الحق — سبحانه — على قوم نعمة وأراد إهلاكهم أكرمهم بتوفيق الشكر ،  
فإذا شكروا نعمته فبقدر الشكر دامت فيهم .

وإذا أراد — سبحانه — إزالة نعمة عن عبد أذله بخذلان الكفر ، فإذا سأل<sup>(١)</sup> عن  
طريق الشكر عرض النعمة للزوال . فإدام العبد يشكر النعمة مقيماً كان الحق في إنعامه عليه  
مديناً ، فإذا قابل النعمة بالكفران انتزعت نظامه ، فبقدر ما يزيد في إصراره يزول الأمر  
من قراره .

قوله جل ذكره : ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾

تنوعت من آل فرعون الذنوب فتوَعَّ لم العقوبة ، وكنكث هؤلاء : حُوقبوا بأنواع  
من العقوبة لما ارتكبوا أنواعاً من الزلة .

وعامة تكرار ذكرهم تأكيد في التعريف أنه لا يجل المكثف أصلاً ، وإن أمهه  
جناً ودمراً .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

« عند الله » : في سابق علمه وصادق حكمه ؛ فإذا كانوا في عِلْيَه شَرُّ المخلوقات فكيف  
يسمدون باختلاف السمايات وصنوف الطوارق ؟

هيهات أن تبطل الحقائق !

وإذا قال : « فهم لا يؤمنون » — وكلامه صادق وقوله حق — فلم يبق للرجاء فيهم مسامح ،  
ولا ينجم فيهم نصيح وإبلاغ .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتُ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مِرْقَوْمٍ لَا يَتَّقُونَ ﴾

(١) ( حال ) أى تنير مقبولة في الحق ، ولكن لا نستبعد أنها ( حاد ) في الأصل .

أى الذين صار قرضُ المبدلِمْ سحبةً ؛ فلم يَدْرُوا من استغراغِ الوسعِ في جهلهم بشية .  
 وإن من الكبائرِ التي لا غفرانَ لها في هذه الطريقِ أن يتنقضَ المبدُّ عهداً ، أو يتركَ عهداً  
 التزمه بقلبه مع الله . أولئك للذين سقطوا عن (....) (١) الله ، فوضع عنهم ظلاً  
 العنايه والصمة .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِذَا تَشَفَّعْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْهُمْ  
 مِّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴾

يريد أن صادفتَ واحداً من هؤلاء الذين دأبهم قرضُ المبدِّ فاجعلهم عذرةً لمن يأتي بعدهم  
 لئلا يسلكوا طريقهم فيستوجبوا عقوبتهم .

كانتكَ مَنْ فَسَّخَ عَهْدَهُ (٢) الله بقلبه يرجوعه إلى رُخَصِ التأويلات ، ونزوله إلى الكون  
 مع العادات (٣) يجعله الله نكالا لمن بعده ، بجرماته ما كن حوالة ، وتنقيصه عليه مامن حظوظه  
 أمه ، فيفوته حق الله ، ولا يكون له امتناع عما آتاه على حق الله :

تبدلت وتبدلتنا واحسرتنا لمن ابنتى عروفاً ليلي فلم يجد

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْزِدْ  
 إِلَيْهِمْ عَلَى سَرَادٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُحَافِينَ ﴾

يريد إذا تحققت بخيانة قومٍ منهم فصرِّحْ بأنه لا عهدَ بينك وبينهم ، فإذا حصلت  
 الخيانة زال سمُّ الأمانة ، وخيانةُ كلِّ أحدٍ على ما يليقُ به ، ومن صنَّ (٤) بميسوره  
 قد خانَ في عهده ، وزاغَ عن جده ، وعقوبته مصجلةٌ ، فهو لا يحبُّه الله ، وتكون عقوبته  
 باذلاله وإهاتته .

(١) مشبهة .

(٢) وردت (من) والصواب عهده (مع) الله .

(٣) وردت (العادات) والصواب (العادات)

(٤) وردت (ظن) وهي خطأ في النص .



قوله جل ذكره: ﴿وَلَا يَحْصِيَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سُبُحَانَ  
أَنَّهُمْ لَا يُحْجِرُونَ﴾

كيف يارض الحق أو ينازعه من في قبضته قلبه، وقدرته نصرته، وبصره إياه  
عدمه وثبوته.

قوله جل ذكره: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ  
وَمِنْ رِبَاطِ الْغَلِيلِ﴾

أعدوا لقتال الأعداء ما يبلغ وسعكم ذلك من قوة، وأتمها قوة القلب بالله، والناس فيها  
مختلفون: فواحد يقوى قلبه بموجود نصره، وآخر يقوى قلبه بأن الحق عالم بحاله،  
وآخر يقوى قلبه لتحقيقه بأن يشهد من ربه، قال تعالى: «وَأصبر لحكم ربك فانك  
بأعيننا»<sup>(١)</sup>، وآخر يقوى قلبه بإيثار رضا الله تعالى على مراد نفسه، وآخر يقوى قلبه  
برضاء بما يرضه مولاه به.

ويقال أقوى محبة للمبد في مجاهدة المبد وتبريه عن حوله وقوته.

قوله جل ذكره: ﴿رُحُمَتُهُمْ بِهِ عَدُوٌّ لَهُمْ وَعَدُوُّكُمْ  
وَأَخْرَجَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ  
اللَّهُ يُلْهِمُهُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ مِنْ شَيْءٍ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوَفُّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ  
لَا تَعْلَمُونَ﴾

الإشارة فيه أنه لا يجاهد على رجاء غنية ينالها، أو لاشتفاء صدره من قضية حقد،  
بل قصده أن تكون كلمة الله هي العليا.

قوله جل ذكره: ﴿وَإِنْ جَاهِدَا لِمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ سَائِغٌ إِلَيْكُمْ  
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

(١) آية ٤٨ سورة الطور.

بعث الله نبيه — صلى الله عليه وسلم — بالرحمة والشفقة على الخلق ، وبمسألة<sup>(١)</sup> الكفار رجاء أن يؤمنوا في المستقبل فإن أبوا فليس يخرج أحدٌ عن قبضة العزة .

ويقال الصودية الوقوف حيناً وقتت ؛ إن أمرت بالقتال فلا تقصّر ، وإن أمرت بالمواعدة فرحباً بالسألية ، « وتوكل على الله » في الحالين فإنه يختار لك ما فيه المنفعة ، فيوفقك لما فيه الأولى ، ويختار لك ما فيه من قسي الأمر — في الحرب وفي الصلح — ما هو الأعلى .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الْقَىٰ أَيْدِكَ يَفْضَحْهُ ﴾<sup>(٢)</sup> وباللذين \* وألف بين قلوبهم لو انقطعت ما في الأرض جميعاً ثا ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم .

أى إن ليسوا عليك ، وراموا خداعتك بطلب الصلح منك — وهم يستبطنون لك بخلاف ما يظهرونه — فإن الله كافيك ، فلا تشغل قلبك بظنك عن شر ما يكيونوك ؛ فإن أحلم ما لا تعلم ، وأقدر على ما لا تقدر .

هو القى بضمه أفردك ، وبلفظه أيدك ، وعن كل سوء ونصيب طهرك ، وعن رق الأشياء جردك<sup>(٣)</sup> ، وفي جميع الأحوال كان لك .

هو القى أيدك بمن آمن بك من اللذين ، وهو القى ألف بين قلوبهم المختلفة فجعلها على الذين ، وإيثار رضاه الحق . ولو كان ذلك يحصل<sup>(٤)</sup> الخلق ما انتظمت هذه الجملة ، ولو أبلست بكل ميسور من الأمال ، وبذلت كل مستطاع من المال — لما وصلت إليه .

(١) وردت ( بمسألة ) وهي خطأ في النسخ .

(٢) وردت ( حررك ) بالهاء وهي خطأ في النسخ والصواب أن تكون بالميم .

(٣) وردت ( يحيل ) بياضين وهي خطأ في النسخ فهي ( حيل ) جمع حيلة .

قوله جل ذكره . ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

أَحْسَنُ التَّأْوِيلَاتِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ تَكُونَ «مَنْ» فِي حُلِّ التَّعْصِبِ ؛ أَيْ وَمَنِ اتَّبَعَكَ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَكْفِيهِمْ اللَّهُ .

وَمِنَ التَّأْوِيلَاتِ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَنْ تَكُونَ «مَنْ» فِي حُلِّ الرَّفْعِ أَيْ حَسْبُكَ مَنْ اتَّبَعَكَ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَدْ عَلِمَ أَنْ اسْتِفْظَلَ الرَّسُولَ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — كَانَ اللَّهُ لَا يَمُنُ سِوَى اللَّهِ ،  
وَكُلُّ مَنْ هُوَ سِوَى اللَّهِ فَحْتَاجُ إِلَى نَصْرَةِ اللَّهِ ، كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ حْتَاجُ إِلَى نَصْرَةِ اللَّهِ <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾  
الْمُؤْمِنُ لَا يَزِيدُ بِنَفْسِهِ ضَعْفًا إِلَّا أَزَادَ بَقْلَهُ قُوَّةً ، لِأَنَّ الاسْتِفْظَالَ بِقُوَّةِ النَّفْسِ نَتِيجَةُ  
الْغَفْلَةِ ، وَقُوَّةُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ — صَبْحَانَهُ — عَلَى الْحَقِيقَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ حِشْرٌ صَابِرُونَ

يَقْلِبُوا مَا فِيهِمْ وَلَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتِي

يَقْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ

قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ \* الْآنَ خَفَّتْ اللَّهُ

هَنُوكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ

يَكُنْ مِنْكُمْ قِطَاعٌ صَابِرٌ يَقْلِبُوا

مَا فِيهِمْ وَلَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَقْلِبُوا

أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

هَذَا لَمْ ، فَأَمَّا النَّبِيُّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَهُوَ بِتَوْحِيدِهِ كَانَ مُؤْمَلًا بِأَنْ يَنْبَسَتْ

لِجَمِيعِ الْكَفَرَةِ لِكَمَالِ قُوَّتِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «بِكَ أَسْوَلُ» <sup>(٢)</sup> ، وَفِي تَحْرِيفِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ

(١) لَاحِظْ كَيْفَ تَوْثُرُ التَّرْتِيبُ الْمُصَوِّفِي فِي اخْتِيَارِ الْفِكْرَةِ التَّوْحِيدِيَّةِ .

(٢) «الْأَمْرُ بِكَ أَسْوَلُ وَبِكَ أَسْوَلُ وَبِكَ أَسْمَرُ» .

كَانَ هَذَا مِنْ دَعَائِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ — إِذَا أَرَادَ سَفَرًا (إِلَى إِمَامٍ أَحَدٍ وَالْبَرَّازِ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ،  
وَقَالَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ : رَجَّاهُ نَحْنُ ) .

على القتال كانت لهم قوة ، وبأمر الله كانت لهم قوة ، بقوة الصحابة كانت بالنبي — عليه الصلاة والسلام ، وتحريضه أيام وقوتهم بذلك كانت بالله وبأمره إياه .. وشئان ماها !

قوله : « الآن خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا » : والضعف الذي علم فيه كان ضعف الأشباح فحَفَّتْ عنهم ، أما القلوب فلم يتدخلها الضعف فحِيلَ من عمارة القتال بالعنبر للذكر في الكتاب .

والعوام يصلون للشاق بنفوسهم وجسومهم ، وانطواص بقلوبهم وهمهم ، وقالوا : « والقلب يحيل ما لا يحيل البدن » وقال آخر .

وإن رَوَى أَعْدِيهَا فَلَا حَاجِبٌ عَلَى النُّفُوسِ جَنَائِلُكَ مِنَ الْهَمِّ

قوله جل ذكره : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى

حَقٌّ يُحْشِنَ فِي الْأَرْضِ يَرِيدُونَ عَرَضَ

الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

أى لا ينبغي لنبي من الأنبياء — عليهم السلام — أن يأخذ أسارى من أعدائه ثم يرضى بأن يأخذ منهم الفداء ، بل الواجب عليه أن يحشِنَ في الأرض أى يبالغ في قتل أعدائه — إذ يقال أَمْحَنَهُ للرض إذا اشتد عليه . وقد أخذ النبي — صلى الله عليه وسلم يوم بدر منهم الفداء ، وكان ذلك جائزاً لوجوب القول بعصته ، ولكن لو قاتلهم كان أولى . وأراد « بمنزلة الدنيا » أخذ الفداء ، والله جعل الفداء ، والله جعل رضاء أن يقاتلهم ، وحرمة <sup>(١)</sup> الشرع خلاف رحمة الطبع ، فشرط اليهودية أن يؤثروا البعدُ الله ، وإذا كان الأمر بالنظر فكما قال تعالى : « وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ » <sup>(٢)</sup> .

(١) وودت ( ورجة ) للترح والصواب ( وحرمة الشرع ) والمعنى إن اتباع الأمر أولى من تمسك عاطفة الرحمة .  
(٢) آية ٣ سورة النور .

« والله عزيز » : بالانتقام من أعدائه ، « حكيم » : في جميع ما يصنع من التملك والإملاك ، والتيسير والتدبير .

قوله جل ذكره : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فَمَا آتَيْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

لولا أن الله حكم في آزاله بالحلل القنينة لهدم صلى الله عليه وسلم وأمنه لَمَسَّكُمْ — لأجل ما أخذتم من الغناء منهم يوم بدر — عذابٌ عظيم ، ولكن الله أباح لكم القنينة فأزال عنكم العقوبة .

قوله جل ذكره : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنَيْتُمْ حَلَالًا مَّالِيًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

الحلال ما كان مأذوناً فيه ، والحلال الطيب أن تعلم أن ذلك من قبل الله فضلاً ، وليس لك من قبلك استحقاق .  
ويقال الحلال الصالح ما لم ينس صاحبه فيه مبيوده .

ويقال هو الذي لا يكون صاحبه عن شهود ربه — عند أخذه — غافلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّعَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَمْسِرِ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

الذي يظفونه خيراً مما أخذ منهم . ويحتمل أن يكون ما في الآخرة من حسن الثواب ، ويحتمل أن يكون ما في الدنيا من جيل الموضع . ويقال هو ما يوصلهم إليه من توفيق الطاعات ، وحلاوة الإيمان ، وهو خير مما أخذ منهم .

ويقال ما أعطاهم من الرضاء بما هم فيه من الفقر ، بعدما كانوا أغنياء في حال الشرك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا غِيَاثَتَكَ فَقَدْ خَلَوْا إِلَهُهُ ﴾

مِنْ قَبْلِ قَامُكَنْ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

يريد إن عادوا إلى قتالكم بعدما منّنت عليهم بالإطلاق وغانوا عهدك ، فلتليانة لم دأب  
وطريقة ، ثم إنا نَكُنْكَ مِنْهُمْ ثَانِيَا كَمَا أَمَكْنَاكَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَوَّلًا ، وقيل :  
إِنْ عَادَتْ الْعُقُوبُ عُدْنَا لَهَا وَكَانَتْ التَّغْلُ لَهَا حَاضِرَةً

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ  
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِاجِرُوا  
مَا لَكُمْ تَيْنَ وَلَا يَنْهَمُ مِنْ شَيْءٍ  
حَتَّى يَهِاجِرُوا وَلَئِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي  
الْدِينِ فَمَلِكُ النَّصَرِ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ  
يَتَّقُونَ وَيَتَذَكَّرُونَ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ  
بَصِيرٌ ﴿١١﴾

ذَكَرَ صَفَةَ الْمُهَاجِرِينَ مَعَ الرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَصَفَهُمْ أَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ هَاجَرُوا  
مَعَ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ ، ثُمَّ « جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ » هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُهَاجِرُونَ .  
أَمَّا الَّذِينَ آوَوْا فَهُمْ الْأَنْصَارُ ، آوَوْا الرَّسُولَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — وَالْمُؤْمِنِينَ .

فَهَذَانِ الْفَرِيقَانِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي النَّصْرَةِ وَالدِّينِ .

وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَكِنْ لَمْ يَهِاجِرُوا فَلَيْسَتْ لَهُمْ هَذِهِ الْمَوَالِيَةُ إِلَى أَنْ يَهِاجِرُوا ، وَإِنْ اسْتَمْتَاوَا  
بِكُمْ فَلَيْسَ بِنَصَرِهِمْ .

« إِلَّا عَلَى قَوْمٍ » وَهِيَ الْمُتَاهِدُونَ بِكُمْ .

وَكَيْلُ الْهَجْرَةِ مُتَارِقَةُ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيَّةِ ، وَهَجْرَانِ النَّفْسِ فِي تَرْكِ إِجَابَتِهَا إِلَى مَا تَدْعُو

إليه من شهواتها . ومن ذلك هجران إخوان السوء ، والتباعد عن الأوطان التي يكثر المبدء فيها الزلة ، ثم الهجرة من أوطان الحظوظ إلى أوطان رضا الحق .<sup>(١)</sup>

وأما قوله « والذين آووا ونصروا » فهم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، عوأم هؤلاء في الأمور الدنيوية ، وخواصهم في الكرائم في الآخرة ، وخاص الخصاص في كل ما يصح به الإثبات من سقى الأحوال إلى ما لا يدرك الوهم .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعضي

إلا تفلوه تكن فتنة في الأرضي

وفساد كبير ﴾ والذين آمنوا

وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله

فأولئك آووا ونصروا أولئك هم

المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم

قطع العصمة بينهم وبين المؤمنين ، فالزمن للأجانب مجانب ، وللأقارب مقارب . والكفار بعضهم لبعضهم ، كما قيل : « طير السماء على الأرض تقع »

قوله جل ذكره : ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا

وجاهدوا معكم فأولئك معكم

وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعضي

في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم ﴾

يريد من سلك مسلكهم في الحال ، ومن سيلحق بهم في الاستقبال وآتى الأحوال فالألفة تجسمهم ، والأولاية تشملهم ، فلمن من الله في المقى جزيل الثواب ، والنجاة من العذاب . ولمن في الدنيا الولاية والتناصر ، والمودة والتقارب ، والله أعلم

---

(١) التقى من الشيوخ الثنتين بأهمية السفر إذا دعت الضرورة  
بشرط أن يصحب السفر عن المكان سفر عن النفس ( انظر الرسالة ص ٢٠٠ ) .





## ( تنبيه )

ذكر السيد المحقق في الصحيفة ٢٠ موقفه من أخطاء الناسخ بأنه اتخذ منها ثلاثة مواقف (١) موقفا نجده فيه الخطأ مؤكدا « ويتجلى ذلك عند كتابة بعض الآيات الكريمة حيث تسقط كلمة أو حرف أو تزيد كلمة أو حرف ، فنصلح هذا الخطأ .

ولما كانت الطبعة الأولى كثيرة الأخطاء خاصة في الآيات القرآنية ، فقد قمت بتصويبها وتصحيحها قبل هذه الطبعة الثانية (أفست) ..

أما ماورد في ب . ج ، فقد تركته كما هو حسب منهج السيد المحقق وسأقوم بمبنيئة الله تعالى بتصويب المجملين : الثاني ، الثالث ، على هذا النحو ، وأرجوا الله التوفيق والعون .

متولى خليل. عوض الله  
الطبعة الأولى - مركز تحقيق التراث



# فهرس

السلحة

- ملخصل ... ٣
- صورة لورقة من المخطوطة السوفيتية ... ٣٩
- سورة فاتحة الكتاب ... ٤٢
- سورة البقرة ... ٥٢
- سورة آل عمران ... ٢١٧
- سورة النساء ... ٣١٠
- سورة المائدة ... ٣٩٦
- سورة الأنعام ... ٤٥٩
- سورة الأعراف ... ٥١٦
- سورة الأنفال ... ٦٠١

تم المجلد الأول ويلي المجلد الثاني  
وأوله سورة التوبة

مطابع  
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٢٥ / ٢٠٠٠

---

I.S.B.N. 977 - 01 - 6594 - 8



يسر إدارة التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب أن تعيد تقديم هذا التفسير الصوفى الكبير للإمام القشبرى بتحقيق العالم الدكتور إبراهيم بسيونى.. وهذا كتاب تشعر خلال قراءته أن كل صغيرة وكبيرة فى علوم الصوفية لها أصل من القرآن، ويتجلى ذلك بصفة خاصة حيثما ورد المصطلح الصوفى صريحا فى النص القرآنى كالذكر، والتوكل، والرضا، والولى، والولاية، والحق، والظاهر، والباطن، والقبض والبسط... وغير ذلك. فلا تملك إلا أن تحكم أن الصوفية قد استمدوا أصولهم وفروعهم من كتاب الله الكريم، وأن علومهم ليست غريبة ولا مستوردة كما يحلو لبعض الباحثين حين يتهمون التصوف الإسلامى بالتأثر بالتيارات الأجنبية - وإلى الجزء الثانى.

Bibliotheca Alexandrina



0553467

